بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الاسلامية

التبشير فى العالم الاسلامى

أهدافه وآثاره

رسالة
مقدمة الى كلية أصول الدين - جامعة الأزهر
للحصول على درجة العالمية الدكتوراه
فى الدعوة والثقافة الاسلامية

إشراف

الدكتور	الأستاذ الدكتور
بكر زكى عوض	عبد الغفار محمد عزيز
مدرس بقسم الدعوة بكلية أصول الدين	رئيس قسم الدعوة والثقافة الاسلامية

إعداد

محمد زين العابدين محمد التطشو
مدرس مساعد بكلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م



بسم الله الرحمن الرحيم

"وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ."

صدق الله العظيم

(سورة البقرة الآية ١٣٥)

الإهداء

أهدي هذا البحث إلى ولاة المسلمين

(أمراء وعلماء) فهم أقدر المسلمين على

تحمل مسئولية الذب عن أمة الإسلام

وانقاذها من مخاطر المبشرين ومكائدهم

ليعود للمسلمين مجدهم وعزهم.

محمد زين العابدين محمد الطشو

شكر وتقدير

أشكر الله العلى القدير الذى أعاننى على تأدية هذا العمل ووفقنى لإنجازه .

" وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "

أما خالص تقديرى

فلأستاذى الدكتور / عبد الغفار محمد عزيز

الذى تفضل مشكورًا بالاشراف على هذا البحث بالرغم من ضخامة المسئولية الملقاة على عاتقه .

ولقد أحاطنى برعايته منذ أن كنت معيدًا بكلية الدعوة الإسلامية حتى حصلت على الماجستير وذلك فى فترة عمادته .. لكلية الدعوة الإسلامية وهاهو الآن يمدنى بنصحه وتوجيهاته العلمية لينال بحث الدكتوراه مكانته فجزاه الله خير الجزاء .

وإنى أتوجه إلى الله تعالى بالدعاء ان يسبغ عليه نعمه وأن يؤيده بنصره ليظل سيفًا ينصر الحق ، وعلمًا يجهر برأى الدين .

وخالص تقديرى أيضًا :

للدكتور / بكر زكى عوض

الذى تفضل مشكورًا بالإشراف المتابع على هذا البحث ، وبذل معى جهدًا كبيرًا برحابه صدر وانشراح نفس ، وقد حبانى بنصحه وتوجيهاته السديدة ، من بداية البحث حتى نهايته ، مع الإرشاد المستمر إلى المراجع اللازمه ، حتى خرج البحث على هذه الصورة ، أثابه الله تعالى حسن الثواب وأكثر من أمثاله . إنه سميع قريب مجيب الدعوات .

محمد زين العابدين محمد الطشو

المقدمه

" بسم الله الرحمن الرحيم"

الحمد لله رب العالمين ،(الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا).(١)

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له أرسل إلى عباده رسلا من البشر " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ".(٢)

وبعث خاتم النبيين محمدًا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين فخاطبه بقوله تعالى " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين "(٣) ، وأرسله كافة للخلق أجمعين يقول الله عز وجل " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون "(٤) فصدع بالحق لكل الخلق فبصرهم به من العمى وأرشدهم به من الغى وأخرج الإنسانية من ظلماتها ، وألف القلوب بعد شتاتها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حملوا راية الدعوة إلى الله تعالى فكانوا هداة مهديين ورضى الله عنهم أجمعين .

أما بعد ..

فإن من رحمة الله عز وجل بعباده أن أرسل رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالإسلام لهداية الناس وإرشادهم إلى الصراط المستقيم ، وذلك لعلمه عز وجل بخلقه ومعرفته بقصور عقولهم وتفاوتها فى إدراك ماهو محسوس فضلا عن جهلها بالغيب فاقتضت حكمته أن يبعث فى كل أمة نذيرا يأخذ بيدها إلى النجاة فلما تهيأت الإنسانية للكمال بعث إليها الرحمة المهداة " محمدا صلى الله عليه وسلم " ،وخاطبه الله عز وجل بقوله : " إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ".(٥)

فكان صلى الله عليه وسلم خير بشير ، وأصدق نذير ، دعا الناس إلى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد بالحكمة والموعظة الحسنة وجادل المعاندين بالتى هى أحسن معلنا

---

(١) سورة الفرقان الآية ٢ .
(٢) سورة النساء الآية ١٦٥ .
(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .
(٤) سورة سبأ الآية ٢٨ .
(٥) سورة فاطر الآية ٢٤ .

أخوة كل الأنبياء ، ووحدة الدين فعن أبى هريرة " رضى الله عنه " قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد "(١) .

وبالرغم من هذا السلوك الربانى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جوبهت دعوة الإسلام منذ بداية أمرها بالمشركين وباليهود والنصارى ، ولقرب عهد الرسالتين بالرسالة الخاتمة وتمسك المسلمين بدينهم هدى الله عز وجل أمما من أهل الملتين وخاصة النصارى للإسلام ، وظل الحال على ذلك والإسلام يفتح القلوب بسماحة أهله وعدلهم وقيامهم بواجبهم نحو دينهم إلى أن لقى محمد صلى الله عليه وسلم ربه راضيا مرضيا فقام صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين بحمل عبء الدعوة إلى الله عملا بقوله الله عز وجل " ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين "(٢) ـ فاستعذبوا المصاعب والآلام فى سبيل نشر كلمة الله إلى عباده وسار على دربهم واقتفى أثرهم سلفنا الصالح فقاموا باتمام المهمة الملقاة على عاتقهم خير قيام ، ونشروا الإسلام فى جل الكرة الأرضية .

وجاء العصر الحاضر وقد ابتلى المسلمون فيه بقوة أعداء التوحيد وفكرهم ، وتربصهم بالمسلمين الدوائر وساعدهم تقدمهم فى مجال العلم وسبقهم فى ميادين الحياة فى إحكام قبضتهم على المسلمين ، وتملك زمام المبادرة ، وكل ذلك جعل المسلمين فى حيرة من أمرهم ، فانشغلوا عن الدعوة الإسلامية إما لنظرتهم إلى الغرب وتطلعهم إليه فى التقدم العلمى ليلحقوا بالركب ، وإما لتلافى ضربات الغرب المسيحى والشرق الملحد وكيدهم جميعا للمسلمين .

وسواء كان هذا أو ذاك فقد تسرب الوهن إلى قلوب المسلمين بينما نشط أنصار المسيحية الغربية فى نشرها من جديد ببلاد الإسلام ، بمساندة القوى الاستعمارية فى كل مكان وهذا أمر له خطورته على المسلمين والمسيحيين أيضا فالمسيحية المبشر بها رديفة للاستعمار وهى تبيح كل شىء من أجل تحقيق المهمة المكلفة بها ، ولو ناقض

---

(١) كتاب : التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك الزبيدى (رحمه الله تعالى) ج ٢ ص ٤٥ (كتاب بدء الخلق) طبع بالمطبعة اليمنية لمصطفى البابى الحلبى وأخويه بمصر ١٣٢٣ هـ .

(٢) سورة فصلت الآية ٣٣ .

تعاليم المسيح ، ولما كان مبشروا المسيحية الغربية يستغلون وسائل القوى الاستعمارية وينتهزون فرصة ضعف المسلمين فيحاولون تنصيرهم بكل الطرق ، رأيت من واجبى كشف الدور التبشيرى العام لكى يتنبه المسلمون لمخاطره ويحذرون مكائده ، ويتجنبوا الوقوع فى شراكه ، ثم ليقوموا بواجباتهم نحو دينهم وحماية أمسهم فأقدمت على البحث مستعينا بالله ومتوكلا عليه فعنونته بالآتى :

" التبشير فى العالم الاسلامى "

- أهدافه وآثاره -

واخترت لفظ " التبشير " بدلا من لفظ " التنصير " لورود مشتقات اللفظ فى الأناجيل المعتمدة عند علماء النصارى ولتداوله بين العامة والخاصة ،واكتفيت بعبارة التبشير فى العالم الإسلامى لأن لفظ التبشير إذا أطلق فهم منه التبشير بالمسيحية لاسواها حسب المعهود من العرف كما وأن القول فى العالم الإسلامى يصرفه إلى التبشير بالمسيحية دون سواها .

وقد التزمت فى عرض الرسالة بالعنوان فلم أخرج عن إطاره أثناء البحث فبعد التمهيد تعرضت لمفهوم التبشير وعلاقته بالحروب الصليبية ثم أردفت ذلك بالحديث عن أهداف التبشير بالتفصيل ولما كانت الأهداف لاتتحقق إلا بالوسائل اللازمة تحدثت عن الوسائل المتبعة من قبل المبشرين وأعوانهم والتى بواسطتها يصلون إلى أهدافهم ، ثم عقدت فصلا خاصا بالمؤتمرات التبشيرية التى تم انعقادها على أيدى دعاة التبشير لوضع الخطط الماكرة لإحكام السيطرة على العالم الإسلامى ففى قاعاتها يتدارسون السبل المؤدية لأغراضهم ويبتكرون الوسائل للتغلب على مراكز الإشعاع العلمى والحضارى الموجودة فى بلاد الإسلام وهم يريدون أن يبطلوا مفعولها ويطفئوا نورها .

ولكى ينفذ المبشرون المهام المنوطة بهم فى جو يكفل لهم الأمان لابد لهم من ركائز ودعائم تضمن لهم الحماية وتعاونهم فى مسعاهم .

وأهم مراكز التبشير فى البلاد الإسلامية :

١ - المراكز التبشيرية المقامة فى بلاد الإسلام .
٢ - الجماعات التبشيرية المنتشرة فى جل أقطار الإسلام .
٣ - البابوية المساندة للتبشير فى كل بقاع الأرض على الدوام .

٤ ــ الصهيونية العالمية وهى ركيزة خطيرة للتبشير فى قلب البلاد الإسلامية •

وبعد ذلك شرحت آثار التبشير فى أمتنا الإسلامية مبينا ماخلفه الدور التبشيرى من ظهور النزعات الجنسية والقومية ثم ذكر نماذج حية للآثار الناتجة عن التبشير فى بعض بلدان آسيا ــ وإفريقيا كاشفا الستار ومبينا خطورة ذلك على بلاد الإسلام والمسلمين •

ثم تعرضت لتسرب الفكر التبشيرى إلى ثقافتنا الإسلامية وأثره فى تغيير السلوك وصوغ العقول حتى ظهر فى عالم الإسلام من ينادى باحلال العامية محل اللغة العربية ومن يرى تحرر المرأة فى تقليدها للمرأة فى الغرب واختلاطها بالرجال وأنهيت الرسالة بالمواجهة وأهم النتائج ، وكنت ملتزما بالأسلوب العلمى من البداية حتى النهاية •

الدوافع لاختيار هذا الموضوع :

١ ــ اجتماع أعدا الإسلام على حرب المسلمين عسكريا وفكريا مما مكنهم من اسقاط دولة الخلافة الإسلامية ومازال التكاتف الاستعمارى والصهيونى والإلحادى مستمرا لمجابهة المسلمين وقد وجد الجميع فى المستشرقين والمبشرين ضالتهم المنشودة لنشر أفكار الغرب ومنهجه فى بلاد الإسلام عن طريق التبشير المدعم من قبل الاستعمار بالخطط والإمكانيات المادية والمعنوية •

٢ ــ ما أصاب الأمة الإسلامية من ضعف نتيجة للتسلط الاستعمارى الذى شل الخلايا النشيطة فى أرض الإسلام ، تلك الخلايا التى تحاول أن تعيد مجد المسلمين • كما مكن من صنعهم على عينه ورباهم تربية غربية من مقاليد الأمور فى جل الأقطار الإسلامية ، فكانت وسائل الإعلام فى الغالب فى أيدى من صنعهم الغرب ، ورباهم على فكره بالإضافة إلى أن جلهم وجه مسار التعليم فى بلاد الإسلام وتقلد مناصب هامة ، وترتب على ذلك انتشار الأمية الدينية بصورة مخيفة فتمكن دعاة التثليث من نشر عقيدتهم بين العامة من المسلمين والخاصة أيضا ، وساعدتهم الظروف التى خلقها وخلفها الاستعمار •

٣ ــ ظهور النشاط التبشيرى منذ قرن من الزمان بصورة سافرة فقد قام المبشرون بشتى الطرق ، وكافة الوسائل بدءا من المدرسة والتطبيب إلى المؤتمرات بالدعوة إلى المسيحية •

---

٤ ـ محاولة نشر المسيحية على الطريقة الغربية ، وتبعا لطوائفها فى كل من قارتى آسيا ـ وإفريقيا ، مما جعل البعض من المسيحيين الشرقيين ينفرون من هذا اللون التبشيرى ويحذرون إخوانهم من الوقوع فى براثن الأفكار الغربية .

٥ ـ منذ خمسين عاما والبابوية تظهر تعاونها مع الصهيونية العالمية فى الوقت الذى تتحرك فيه البابوية فى آسيا وإفريقيا فى محاولة منها لخداع المسلمين فى البلدان الفقيرة عن طريق قضاء حاجتهم وسد جوعهم لجذبهم نحو المسيحية ولو عاطفيا ، كما يحاول قادة الفاتيكان استدراج قساوسة أهل البلاد واستنفارهم ضد أوطانهم وأكثر من ذلك فهم ينصبون قساوسة جدد من المنصرين من أهل البلاد وهم يتوقعون تنصير إفريقيا وآسيا بوسائلهم فى فترة وجيزة .

كل هذه الدوافع جعلتنى أتحدث عن التبشير مبينا أهدافه وآثاره حتى نفيق نحن المسلمين قبل أن تفوتنا الفرصة ونندم على تقصيرنا ، فليس فى دعوة عيسى عليه السلام تبشير بها لغير اليهود ومع ذلك نجد أتباعه يبشرون بها كل الأمم ، ورسالة الإسلام عالمية ودعوته قائمة إلى قيام الساعة فواجبنا أن ندعو كل الناس للإسلام كما كان يفعل المصطفى عليه الصلاة والسلام .

خطة البحث :

لقد قسمت هذا البحث إلى :

مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .

المقدمة :

عرضت فيها فكرة الرسالة والدوافع للكتابة فى موضوعها ، وخطة البحث وهى كما يلى :

التمهيد :

فى الرسالات الثلاث من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقاتها بالتبشير ، وأشرت فيه إلى أن الرسالة اليهودية خاصة ببنى اسرائيل ومقصورة عليهم وأن المعول عليه فى الرسالة عند اليهود موسى عليه السلام ورسالته خاصة بهم ، وذكرت أن رسالة عيسى عليه السلام خاصة ببنى اسرائيل من واقع الأناجيل وأن فكرة التبشير بها إلى الأمم من فكرة التلاميذ

بعد رفع المسيح وبعد مجمع أورشليم سنة ٥٠ ميلادية وكل الروايات التى وردت فى الأناجيل المعتمدة عندهم تشير إلى التبشير بالمسيحية خارج نطاق اليهود أثبت عدم صحتها من واقع كتب القوم وبشهادة علمائهم ، وذكرت عموم الرسالة الخاتمة التى جاء بها النبى محمد "صلى الله عليه وسلم" وأنها رسالة دعوة الى أن تقوم الساعة .

البـاب الأول :

مفهـوم التبشير وأهدافـه ويحتوى على ثلاثـة فصـول :

الفصل الأول :

" التبشير وصلته بالحروب الصليبية "وفيه وضحت مفهوم التبشير من وجهة النظر الإسلامية والمسيحية ودور بولس التبشيرى وتوسيع دائرة التبشير على يديه وأنه بشر باسم الآب والابن والروح القدس مخالفا بذلك تعاليم المسيح عليه السلام الذى اعترف بأنه مجرد رسول الله الواحد الأحد وقد شاع التثليث بواسطته وبالرغم من تمسك الموحدين من أتباع عيسى بالوحدانية وقد كان بوسعهم أن يخترقوا ظلمات الوثنية ، ويزيلوا كل الحجب ليرى العامة والخاصة التوحيد نورا يتلألأ فى رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام لكنهم حين اقتربوا من نهاية الشوط ، وجدوا سيف السلطان مسلطا على الرقاب وحاميا لفكرة التثليث من كل باب .

ومن وقت دخول قسطنطين فى المسيحية لعصرنا الحاضر وانتهى عهد دخول الناس فى المسيحية عن اقتناع إلا ماندر وفرضت المسيحية بعصا السلطان أو بعطائه ، ولما كان التبشير قبل الحروب الصليبية غير منظم وعمل فردى فإن الحروب الصليبية التى حدثت بتحريك من البابوية قد أفرزت حركة تبشيرية منظمة لغزو العالم الإسلامى فى الوقت الذى أدت فيه دورها فكانت حائلا منع امتداد الإسلام إلى أوربا ، وفرصة للنصارى تمكنوا بها من القضاء على مسلمى الأندلس قضاءا تاما حيث انشغل المسلمون فى الشرق بالحروب الصليبية وما نتج عنها فلم يتمكنوا من مناصرة إخوانهم فى بلاد الأندلس .

الفصل الثانـى :

أهـداف التبشير ووسائلـه .

أ ـ أهداف التبشير :

توجد صلة قوية بين التبشير والاستعمار ولذا نلتقى أهداف التبشير مع أهداف الاستعمار فيمـا يلى :

---

١ - القضاء على وحدة المسلمين وظهر ذلك واضحا فى مجال القول كما حدث من تصريحات لزعماء التبشير ، وفى مجال العمل فقد أثاروا الخلاف بين العرب والترك وتم مرادهم بالقضاء على دولة الخلافة .

٢ - هدف سياسى : وهو خدمة السياسة الاستعمارية بدعوى أن دول الاستعمار تعمل على رقى بلاد المسلمين وتقدمها .

٣ - محاولة تشويه الإسلام بالطعن فى القرآن الكريم والافتراء على النبى عليه الصلاة والسلام .

٤ - إفساد أخلاق المسلمين وذلك باثارة الاتجاه الغريزى فى نفوس المسلمين وهى حرب معلنة صباح مساء ، فهم يرون أنهم استردوا الأندلس من هذا الطريق .

٥ - اصطناع العداء بين النصرانية والإسلام ، فقد اصطنعوا العداء بين رسالة عيسى ورسالة سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام ولقبوه بالعداء بين الشرق والغرب مع العلم بأن الدين عند الله الإسلام وكل رسول جاء به إلى قومه ، ورسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام انبثقتا من الشرق فلاداعى لهذا التقول ، واتباع محمد عليه الصلاة والسلام لايعادون اتباع المسيح الحقيقيين .

٦ - احتواء حكام المسلمين بالإلتفاف حولهم : وهذا الهدف يسعى إليه الاستعمار ويدفع المبشرين لتحقيقه عن طريق التعلم ، أو التطبيب أو غير ذلك من الوسائل .

٧ - محاولة الاستيلاء على بيت المقدس : فقد أراد الغرب أن يستولى على بيت المقدس وبطرقه الاستعمارية مكن اليهودية من السيطرة عليه ، وهو يؤازرها ليظل بيت المقدس فى حوزتها متناسيا أن به معالم الإسلام ومقدسات المسيحية وأن المسلمين حافظوا عليه عدة قرون واحترموا مشاعر غيرهم من اليهود والنصارى .

ب - وسائل التبشير :

لتحقيق هذه الأهداف استخدم المبشرون هذه الوسائل :

التعليم ، والتطبيب ، ووسائل الإعلام (من صحافة ، وإذاعة ، ودورالنشر) ، والمخيمات الكشفية ، والمعسكرات ، والجمعيات التبشيرية والخيرية التابعة للتبشير ، ثم الملاجئ ، والكتب والرسائل ، والمؤتمرات التبشيرية .

وقد استخدموا كل وسيلة من هذه الوسائل بطريق تمكنهم من تحقيق أهدافهم فالمدرسة يقام حولها سور ، وبعد فترة تبنى بجوارها الكنيسة فيجد الطالب نفسه أمام المبشر مباشرة بل حوله التبشير من كل جانب كما يتم التأثير على المريض وتحبيبه فى المسيحية من خلال علاجه واستغلال حاجته ومرضه .

الفصل الثالث :

نماذج للمؤتمرات التبشيرية وأغراضها وتناولت مراحل المؤتمرات التبشيرية فى مرحلتها الأولى :وفيها اتخذت المؤتمرات وسيلة لنشر المسيحية وبث أفكار الاستعمار وفتحت باب التقارب بين الطوائف المسيحية .

وفى المرحلة الثانية : تم انشاء مجالس التبشير وبواسطتها نشط التبشير فى آسيا وإفريقيا .

وفى المرحلة الثالثة : تم دمج مجالس التبشير مع اتحاد الكنائس وكان الناتج هو " مجلس الكنائس العالمى " .

وبعد ذلك ذكرت نموذجًا من المؤتمرات التبشيرية ذاكرا الدوافع الأساسية لانعقاد هذه المؤتمرات وهى :

١ ـ المواجهة الفورية لليقظة الإسلامية .
٢ ـ احكام السيطرة على بلاد الشرق المسلم لاستغلال خيراته .
٣ ـ نشر المسيحية فى بلاد الإسلام .
٤ ـ زرع الكنائس فى كافة أقطار الإسلام .

وذكرت مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦م كنموذج يوضح وسائل التبشير مع الإشارة إلى المباحث التى نوقشت فيه ثم مؤتمر أدنبرج سنة ١٩١٠م ، والغاية من عقد هذا المؤتمر كما أعلن أحد قادته هى البحث فى مسائل العالم الخارج عن النصرانية ، ثم مؤتمر لكنو بالهند سنة ١٩١١م، مع ذكر برنامج المؤتمر ، ونماذج للتقارير حيث تناولت التقارير مكة ، والأزهر الشريف بمصر ، والدعوة المهدية وقرر أعضاء الموتمر انشاء مدرسة بمصر تنافس الأزهر ثم أشرت إلى المؤتمر الأفخارستى سنة ١٩٣١م الذى عقد فى مدينة قرطاجة (قرب تونس) وقد حدث فيه مايثير مشاعر المسلمين وذكرت مؤتمر لوزان لتنصير العالم عام ١٩٧٤م ثم

مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين ، وفى نهاية المطاف جاءوا بفكرة التقارب الإسلامى المسيحى وهم يستخدمونها وسيلة لنشر المسيحية بعد تنويم المسلمين .

الباب الثانى :

" ركائز التبشير " ويتكون هذا الباب من أربعة فصول :

الفصل الاول :

المراكز التبشيرية فى العالم الإسلامى

وبينت فى هذا الفصل أن المبشرين سلكوا طريقين لصنع مراكز ثابتة فى بلاد الإسلام يعتمدون عليها فى القيام بأعمالهم التنصيرية .

الطريق الأول : انشاء مؤسسات ثابتة لهم فى الأقطار الإسلامية :

وفى مقدمة المؤسسات التنصيرية الكنيسة ثم المؤسسات الأخرى التى تقدم خدمات ملموسة وتضطر إليها الجماهير كالمدرسة والمستشفى ، ولكل إرسالية مركز خاص فى البلد الموجودة فيه فللإرسالية الإنجليزية مركز ، وللأمريكية مركز وهكذا ، وهذه المراكز يتجه إليها المسيحيون طلبا للإرشاد والمعونة كما أنها تمد المبشرين بما يلزمهم من احتياجات ومعلومات للقيام بمهامهم التبشيرية .

وكل إرسالية لها مؤسساتها الخاصة بها ، وقد اقتضى الحديث عن الكنيسة ـ كمؤسسة مسيحية ـ بيان أصلها والعهود التى مرت بها والعاملين فيها وأدوارهم التبشيرية والقيادية ثم الرابطة بين المجامع والكنائس ، وذكر إرساليات التبشير التابعة للكنيسة الإنجيلية مع إعطاء صورة عن الجهاز الكنسى والجهات العليا الموجهة للكنائس فى العالم الإسلامى .

الطريق الثانى : إنشاء مراكز خاصة بالتبشير لتخريج القسس والمبشرين :

ومن المراكز المنشأة فى بلاد الإسلام ، مركز تدريب المبشرين بإفريقيا ـ والمقام بمصر بكوتسيكا (طره) ، ومن مراكز تدريب المبشرين بآسيا ، والمقامة " بأندونيسيا " مركز لتدريب المبشرين فى " لاونج " شرقى جاوا ، ومركز إعداد القسس فى " سوارايابا " فى جاوا وبعد ذلك ذكرت بعض النماذج لمحاولات الأقليات المسيحية شد انتباه المسلمين إلى النصرانية

ومنها ماحدث فى مصر من ادعاء ظهور العذراء ، ونبأ العثور على رفات النبى يحيى عليه الصلاة والسلام .

الفصل الثانى :

الجماعات التبشيرية ودورها فى نشر المسيحية .

وفى هذا الفصل أشرت إلى البداية للجماعات التبشيرية وتوغلها فى بلاد المسلمين ودورها التبشيرى ثم رتبتها مع ذكر دور كل منها فى نشر المسيحية وخاصة فى البلاد الإسلامية .

١ ـ الآباء البندكتيون .
٢ ـ الآباء الفرنسيسكانيون .
٣ ـ الدومينيكان .
٤ ـ الآباء الكبوشيون .
٥ ـ الآباء الكرمليون .
٦ ـ الجزويت .

وكل جماعة من هذه الجماعات قامت بدور فى نشر المسيحية فبنت المدارس ، وأنشأت المطابع ، وأصدرت المجلات ، وغير ذلك لاستخدامها فى الدور التبشيرى ، ولهذه الجماعات أيضا دور فى ظهور الحركة المرسلية الحديثة .

الفصل الثالث :

البابوية ودورها فى التبشير وحماية المبشرين .

البابوية ركيزة هامة للتبشير فى العالم أجمع وكان لها دور فى القرون الوسطى ثم فى عصر النهضة ثم بعد القرن الثامن عشر وقد تعرضت للحديث عنه بإيجاز وبينت أنه منذ أوائل القرن الثالث عشر تتوالى أوامر البابوية للقضاء على المسلمين فى الأندلس .

وبهذه الصورة أوجدت نوعا من التعصب البغيض بتحريضها لملوك النصارى لمحاربة المسلمين كما أنها قدمت العون والرعاية للمبشرين ، ولذا يطلق المسيحيون على البابا (أنوسنت الثالث) ١١٩٨م أبو التبشير ، وقد قام البابا "بيوس السابع" "١٧٤٣م ـ ١٨٠٠م" بإحياء جمعية اليسوعيين وأعاد إنشاء جمعية الرسالات فى الخارج .

وللفاتيكان نشاط واضح فى تدعيم الكنائس وتوحيدها من أجل نشر المسيحية وقد ظهر هذا فى المجمع الفاتيكانى الأول كما ظهر التعاون والتعاطف مع اليهود فى المجمع الفاتيكانى الثانى ، وقد قامت البابوية فى السنوات الأخيرة بتحركات واسعة النطاق فى كل من آسيا وأفريقيا وخاصة فى عهد البابا يوحنا بولس الثانى .

الفصل الرابع :

مساندة الصهيونية للتبشير والتعاون اليهودى المسيحى ضد المسلمين .

وفى هذا كشفت الستار عن علاقة الصهاينة بالنصارى موضحا أنها علاقة منافع ذاتية وأن اليهود يضمرون الشر لأتباع عيسى عليه السلام كما يضمرونه للإنسانية جمعاء ، لكن القيادة المسيحية أملا منها فى المساندة اليهودية للحركة التبشيرية تعاونت مع الزعماء الصهاينة وفى مقابل ذلك تسعى الصهيونية لتوجيه دفة الفاتيكان حسب إرادتها وقد تحقق هذا بالفعل .

الباب الثالث :

آثار التبشير فى العالم الإسلامى .

الفصل الأول :

ظهور النزعات الجنسية والقومية .

فقد ظهرت النزعات الجنسية من جديد فى أرض الإسلام على أيدى المبشرين والمستشرقين بعد أن أماتها الإسلام ، وكان من بدايات التشيع الشعوبى ماحدث من الحبر اليهودى " عبد الله بن سبأ " فى ايجاد هذا اللون من التشيع وقد أطلت الشعوبية برأسها فى العهد العباسى إلا أن أمراء المسلمين وعلماءهم وقفوا بالمرصاد لدعاتها وشلوا حركتهم .

وجاء أعداء المسلمين فى العصر الحاضر إلى أمة الإسلام بشعوبية حديثة تغرق الأمة الواحدة وتقسمها إلى دويلات وتصنف جماعتها الإسلامية المعتزة بالإسلام إلى أصناف بالية تعود إلى عصور ماضية ، محا الإسلام بنوره كل أثر مظلم لها لكن المستشرقين والمبشرين يريدون بعثها من جديد فمصر فرعونية ، ولبنان فينيقية ، وإيران فارسية ، وبلاد المغرب بربرية .

وفتحوا أبواب الطائفية ، والفرق الدينية على مصراعيه بإثارة الخلاف بين السنة والشيعة وإشاعة اضطهاد الأقليات المسيحية المقيمة ببلاد الإسلام وقد تحرك المبشرون من منطق فكرى معاد للمسلمين ، وساروا فى ركب الاستعمار الذى زرع الشعوبية اليهودية فى أرض الإسلام فى فلسطين ، وكملت ارسالياته الدور فى نشر كل مايفكك المسلمين فقد أفسحت فرنسا المجال للبعثات التبشيرية لتنصير البربر ، وبث دعاية أن البربر شعب مستقل وأن العرب غزاة دخلاء على هذا الشعب .

ثم تحدثت عن ظهور القومية : وذكرت أن المبشرين اتخذوا من الدعوة القومية ذريعة لتقسيم الأمة الإسلامية فظاهر الدعوة جمع الصفوف العربية لكنها فى واقع الأمر سلخ للأمة العربية من الأمة الإسلامية ، وهذا ماحدث فقد انشطرت دولة الخلافة إلى قومية طورانية ، وقومية عربية .

ونادى بالقومية الطورانية اتباع الفكر التبشيرى الغربى ومن تربو فى مدارس التبشير من أمثال ضياء كوك ألب (١٨٧٥ أو ١٨٧٦ ـ ١٩٢٤م) ومصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١ ـ ١٩٣٨م) وعصمت اينونو (١٨٨٤ ـ ١٩٧٣م) وغيرهم كل هؤلاء نادوا بالقومية الطورانية وأعلنوا اسم (تركيا) بدلا من دولة الخلافة المساة " بالدولة العليه العثمانية " وقلدوا الغرب فى الشكليات ، وانسلخوا من تعاليم الإسلام كما ظل دعاة القومية العربية ومعظمهم من النصارى ومن يسير فى فلكهم ينفخون فى بوق القومية العربية حتى انقسمت الأمة العربية إلى دويلات ، وتمكن الاستعمار مع الصهيونية العالمية من اقتطاع جزء عزيز من أرض الأمة الإسلامية ، وتسليمه هدية لليهود ، وهذه ثمرة من ثمار الدعوات القومية .

وزاد تفكك الأمة الإسلامية بإثارة النعرات الطائفية والخلافات الدينية بين السنة والشيعة ، وبين الأكراد والعرب .

الفصل الثانـى :

نمـاذج من آثار التبشير فى بلاد الإسـلام .

وذكرت نماذج لآثار التبشير فى بعض بلدان قارة آسيا على سبيل المثال إندونيسيا فقد تمكن المنصرون فيها من تنصير قرية مسلمة فى " بونوروجو " بشرق جاوة ، واتبعوا أخطر أسلوب فى تنصير إندونيسيا حيث يقومون ببناء قرى فى أماكن الغابات بعد اجتثاثها واعدادها ، وبناء مدارس وكنائس مسيحية بها وجعل القرية مهيأة للسكن وجعل ادارتها

فى أيدى النصارى ، ثم ينقل المسلمون من الأماكن المكتظة بالسكان إلى القرى العمرانية الجديدة فلا يجدون إلا التنصير حلا لمشاكلهم وقضاء حوائجهم ، وتعرضت لآثار التبشير " بماليزيا " و " الفلبين " وما يحدث بالهند ، ثم آثار التبشير فى دول الخليج العربى ثم ذكر نماذج لآثار التبشير فى إفريقيا ، واخترت من غرب إفريقيا "موريتانيا " ، " ونيجيريا " مبينا آثار التبشير الخطيرة فى هذه المنطقة من القارة الإسلامية مع ذكر آثاره السيئة فى إفريقيا الوسطى ، وجنوب إفريقيا وما صنعه التبشير فى شرق إفريقيا فى كل من " كينيا " وأثيوبيا " الحبشة " والسودان ، ومصر ثم بلاد المغرب الإسلامى ملاحظا أن الإسلام دخل إفريقيا من الشرق ، والتبشير مع التغريب جاءها من الغرب .

الفصل الثالث :

تسرب الفكر التبشيرى فى الثقافة الإسلامية .

فقد تسرب الفكر التبشيرى إلى ثقافة الإسلام ، عن طريق المبشرين والمستشرقين وبواسطة مدارسهم ، وصحافتهم وتبجحهم فى ذلك من تربو فى محاضن الغرب حتى وجدنا من ينادى باحلال العامية محل اللغة العربية ومن ينادى " بسفور المرأة " على أنه نوع من التحضر ، ومن يصف السلفيين بالرجعية . وهكذا

الخاتمة :

وفيها تحدثت :

أولا :

عن مواجهة الغزو التبشيرى .

ثانيا :

عن أهم نتائج البحث .

تمهيد

في الرسالات الثلاث من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقاتها بالتبشير .

ويشتمل على :-

١ - الرسالة اليهودية من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقتها بالتبشير .

٢ - الرسالة المسيحية من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقتها بالتبشير .

٣ - الرسالة الخاتمة من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقتها بالتبشير .

تمهيـــد
فى الرسالات الثلاث من ناحيـة العموم أو الخصوص
وعلاقاتها بالتبشـير

موضوع عموم الرسالة السماوية الموحى بها إلى نبى من الأنبياء عليهم الصـــلاة والسلام أو خصوصها من الموضوعات التى تحتاج إلى بيان شاف كاف ، وخصوصا فـى العصر الحالى الذى كثر فيه النقاش والجدل حول الرسالات من هذه الزاوية ولـــذا أناقش هذا الموضوع باعتبار أهميته أولا وعلاقته بالتبشير ثانيا ، مع النظر فى كل رسالة على حده بعيدا عن المؤثرات حتى تكون نتيجة البحث قائمة على الحقائق العلمية المعترف بها .

أولا : الرسالة اليهودية من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقتها بالتبشير

بعد القراءة والاطلاع على القسم الأول من العهد القديم وهو مايشار إليه بالأسفار الخمسة ـ سفر التكوين ، وسفر الخروج ، وسفر التثنية ،وسفر اللاويين ، وسفر العـــدد ـ لم أعثر على نص يدل على التبشير باليهودية لغير أبنائها بل وجدت من الفقرات مايؤكد قصر هذه الملة على بنى إسرائيل حين أمر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام أن يذهب إلى بنى إسرائيل الذين انتقلوا إلى مصر لإنقاذهم من بطش فرعون وقومه ، ودعوتهم جميعا إلى الإيمان برسالته : (فقال موسى لله من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر ، فقال إنى أكون معك وهذه تكون لك العلامة أنى أرسلتك حينمـــا تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل فقال موسى لله ها أنا آتي إلـــى بنى اسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلنى إليكم فإذا قالوا لى ما اسمه فماذا أقـــول لهم فقال الله لموسى أهْيَه(*) الذى أهيه وقال هكذا تقول لبنى اسرائيل أهيه أرسلـــنى

(*) أهيه : اسم عبرى معناه " الكائن " وهذه كلمة عبرية فى حروف عربية ويرى علما اللاهوت أن الرب أطلقه على نفسه ، والاسم العبرى الذى يطلق عادة علـــى الرب هو اســم " يهوه " ويترجم عـادة بالـرب ويقـول زكى شـنودة فـــى توجيه العبارتين " أهيه " " ويهـوه " فالله حين يتحدث عن نفسه يقـــول ما معناه " أنا الموجود " أو " أنا الكائـن " أما حين يتحدث اليهود عنه فهو يريد هم أن يقولوا ما معناه " هو الموجود " أو " هو الكائن " .

يراجـع معنى " أهيه " فـى قاموس الكتاب المقدس : تأليـف نخبـة من الأساتذة ذوى الاختصاص، ومـن اللاهوتيين صـــ ١٢٨ طـ ٦ طبع بيروت ١٩٨١م بتصرف .

ويراجع فى توجيه العبارتين " أهيـه ، ويهوه " اليهود نشـأتهم وعقيـدتهم ومجتمعهم مـن واقع نصوص التـوراة كتابهم المقدس صـ ٢٩٣ طـ (١) طبع مكتبـة النهضة المصـرية بالقاهرة ١٩٧٤م .

إليكم ، وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبنى اسرائيل يَهْوَه إله آبائكم إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم هذا اسمى إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دَوْرٍ فدَوْرٍ .(١)

فقول موسى عليه السلام إله آبائكم أرسلنى إليكم وقول الله لموسى ليخبرهم أهيه أو يهوه أرسلنى إليكم وتكرار هذه العبارة بصورتها الواردة فى النص المقدس يدل على خصوصية هذه الملة بهؤلاء القوم دون سواهم من البشر ، وحين النظر فى الأسفار التاريخية وهى اثناعشر سفرا ، وأسفار الأناشيد وعددها خمسة أسفار نرى عدم تعرضها لعموم الرسالة أو التبشير بها بين الأمم ، وتبقى أسفار الأنبياء وهى تتمة " العهد القديم " وعددها سبعة عشر سفرا ، وفيها تلميحات تدل على نشر اليهودية بين الأمم كما أن بها من النصوص الدالة على تخصيصها ببنى اسرائيل فقط ، وكنموذج فقط لما يدل على نشرها خارج حدود بنى اسرائيل قول إشَعْيَاءَ (واجعل فيهم آية وأرسل منهم ناجين إلى الأمم إلى تَرْشِيشَ(*) ، وفُولَ ولُودَ(*) النّازعين فى القوس إلى تُوبالَ وياوانَ إلى الجزائر البعيدة التى لم تسمع خبرى ولا رأت مجدى فيخبرون بمجدى بين الأمم) .(٢)

وفى المقابل نذكر النموذج الدال على قصر الرسالة على بنى اسرائيل من قول حزقيال : فدخل فِيَّ روح لما تكلم معى وأقامنى على قدمى فسمعت المتكلم

---

(١) سفر الخروج (٣ : ١١ ــ ١٥) .

(*) ترشيش : اسم مدينة تونس التى بإفريقية بالرومية ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى المتوفى سنة ٧٣٩ هـ (وهو مختصر معجم البلدان) تحقيق على محمد البجاوى جـ١ صـ ٢٥٨ ط (١) طبع دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤م .

(*) " وفول " و " لود " قبيلتان فى إفريقية إلى جهة الجنوب من مصر و " توبال " قبيلة مسكنها بين البحر الأسود وبحر قزوين و " ياوان " هم سكان بلاد اليونان والجزائر البعيدة المراد بها البعيدة عن تلك الأمم ، يراجع : كتاب السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم (لنخبة من علماء اللاهوت) جـ ٨ صـ ٣٩٤ ، صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى طبع بيروت ١٩٧٣م .

(٢) سفر إشَعْيَاءَ (٦٦ : ١٩) .

معى وقال لى يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بنى اسرائيل إلى أمة متمردة ، قد تمردت على هم وآباؤهم عصوا علىّ إلى ذات هذا اليوم .(١)

ومن كثرة النصوص الدالة على لزوم رسالة اليهود بهم خاصة نزداد يقينا أن نص اشعياء الذى يستخلص منه تبليغ غير اليهود بمجد الله إما أن يكون من بنات أفكار تلاميذه الذين يسجلون عنه وإما أن يكون رأى له أضافوه إلى نبوءاته ويرجح ذلك مايقوله فى وصف اشعياء " موريس بوكاى " إنه يسود الأحداث لأن الملوك يستشيرونه إنه نبى العظمة وإلى مؤلفاته تضاف نبوءاته التى نشرها تلامذته حتى القرن الثالث قبل الميلاد .(٢)

فلا يعدو الأمر أن تكون هذه فكرة طارئة خصوصا وأن صاحبها نبى من أنبياء بنى اسرائيل الذين يقال فى شأنهم " وجميع هؤلاء من الأنبياء اسرائيليون وأرسلوا إلى بنى اسرائيل ماعدا " يونس " فإنه يظهر من عبارات كتابه أنه مرسل إلى نينوى(*) وهو النبى " يونس " المذكور فى القرآن الكريم " .(٣)

وليس المجال متاحا لعرض تفنيد كتب القوم وإلا فإنه يكفينا أن كثيرًا من علماء المسلمين حين تعرضوا لنقد العهد القديم اكتفوا بنقد الأسفار الخمسة وركزوا عليها

---

(١) سفر حزقيال (٢ : ٢ ـ ٤) .

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة) صـ ٣٥ طبع دار المعارف ١٩٧٩م .

(*) نينوى بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو ، وهى قرية " يونس بن متى " عليه السلام بالموصل ، وسواد بالكوفة ناصية يقال لها نينوى منها كربلاء الذى قتل بها الحسين رضى الله عنه (معجم البلدان للشيخ الإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ) المجلد الخامس طبع دار صادر بيروت ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م .

(٣) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام دكتور / على عبد الواحد وافى صـ ١٥ طـ ٢ مطبعة دار السلام العربى بالقاهرة ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م .

لأنها أساس الشريعة عند اليهود بل والنصارى لأن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يصرح بنسخ التوراة وإنما صرح بأنه يريد الإصلاح .

فإذا كشف مافيها من تضارب واختلاف واختلاق ، وظهر للجميع أنها ليست كلها وحيا من الله فمن باب أولى بقية أسفار أنبياء بنى اسرائيل .

خصوصية رسالة " موسى " عليه الصلاة والسلام :

المعول عليه عند اليهود رسالة موسى عليه الصلاة والسلام فهو رسول من الرسل الكرام ، وهو الذى نزلت عليه التوراة بما فيها من تشريع ، فإذا ثبتت خصوصية رسالته فمن باب أولى يكون ذلك لغيره من رسل وأنبياء بنى إسرائيل ، والنبوة كما نعلم تكليف وكل نبى مكلف حسب مقدرته ، وصاحب الهداية حكم بنجاة من لم تبلغهم الدعوة ومن لم تأتهم رسل وجعل لكل رسالة زمانًا ومكانًا وهو الذى جعل رسالة سيدنا محمد " صلى الله عليه وسلم " امتداد الزمان والمكان ، وحدد رسالة موسى عليه السلام بالزمان والمكان فدائرة دعوة موسى عليه السلام بنص القرآن الكريم بنى اسرائيل : (وإذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين)[١] .

ولم يتعد موسى عليه الصلاة والسلام هذه الدائرة إلى دعوة فرعون إلا بأمر ربه حين خاطبه بقوله عز وجل (اذهب الى فرعون إنه طغى)[٢] وقتها أدرك موسى عليه السلام عظم المهمة الملقاة على عاتقه فرجا ربه عز وجل أن يمده بما يعينه على هذه المهمة الشاقة (قال رب اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، واحلل عقدة من لسانى ، يفقهوا قولى ، واجعل لى وزيرًا من أهلى ، هارون أخى ، اشدد به أزرى ، وأشركه فى أمرى)[٣] .

وفى ضوء هذه الآيات البينات يقول الإمام الألوسى : وذلك أنه عليه السلام علم من الأمر بالذهاب إليه والتعليل بالعلة المذكورة (وهى قوله تعالى : إنه طغى) أنه

(١) سورة الصف الآية ٥ .
(٢) سورة طه الآية ٢٤ .
(٣) المرجع السابق الآيات ٢٥ ـ ٣٢ .

كلف أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه إلى احتمال مالا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه أن يشرح صدره وأن يسهل عليه مع ذلك أمره حتى يتغلب على الصعاب التى تواجهه بجميل الصبر ، ويتمكن من تبليغ الدعوة على أكمل وجه(١) .

وتوجه أيضا إلى ربه عز وجل طالبا أن يرزقه من فصاحة اللسان مايفهم به المدعو دعوته ، سائلا مساعدة أخيه هارون له ، كى يتمكن من أداء الرسالة بمعاونته ومشاركته ولقد حقق الله تعالى سئله ، فينبغى للباحث أن يفهم أن أمور الرسالات ليست محل اجتهادات فهم يبلغون ما أمروا بتبليغه إلى من أرسلوا إليهم ، والله تبارك وتعالى يقول :

(ولقد ءاتينا موسى تسع ءايات بينات فسئل بنىٓ إسرآئيل إذ جآءهم فقال له فرعون إنى لأظنك ياموسى مسحورا)(٢) .

فوضح أن رسالة موسى عليه السلام خاصة ببنى إسرائيل وفرعون وقومه ، ومما يدل على خصوصية الرسالات السابقة والمقدمة فى الزمان على الرسالة الخاتمة توافق رسالتين فى فترة ما ، كما حدث مع ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام .

وإذا كان المعول عليه فى الاستشهاد على خصوص ملة اليهود هو القرآن الكريم لأنه الكتاب الوحيد الذى سلم من التحريف ، فإن الأسفار الخمسة التى يطلق عليها توراة موسى عليه الصلاة والسلام ، كما ذكرت سابقا خالية مما يدل على عمومها أو نشرها خارج حدودها ، ولذا يقول حسنى يوسف الأطير :

ويسأل سائل : هل أباح موسى إخراج شريعته من نطاقها الإسرائيلى وحدودها العنصرية القاصرة على نسل يعقوب إلى النطاق العالمى للأمم جميعا ؟

والنفى الجازم هو الجواب لهذا السؤال من علماء الرسالات الكتابية الثلاث(٣) ، وإذا تأكد لنا أن رسالة اليهود ليست عامة ، ولاتحوى أوامر صريحة بالتبشير بها خارج الدائرة الإسرائيلية فمتى ظهر التبشير بها ؟

---

(١) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للعلامة أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسى البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ جـ١٦ صـ ١٨١ ط٢ طبع بيروت بلبنان بتصرف .

(٢) سورة الإسراء الآية ١٠١ .

(٣) عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية صـ ١٤ طـ ١ مطبعة دار البيان بمصر ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م .

متى ظهر التبشير باليهـــودية ؟

الإجابة على السؤال المطروح تدفعنا أن نشير بإيجاز إلى أصل اليهود فهـــم ينتسبون إلى الخليل ابراهيم عليه السلام المنتمى إلى الجنس السامى (*) ، فقد نشـــأ قبل الميلاد بنحو ألفى عام ، بمدينة " أور " الكلدانية ، والتى تعرف اليوم " بالعراق " ورحل ابراهيم من تلك المدينة بعد وحى الله تعالى إليه إلى أن وصل أرض " كنعان " المسماة حاليا " فلسطين " ولما وصلها وجد الكنعانيين المنتسبين إلى " كنعان بن حام " مقيمين بها ، كما أخبر الكتاب المقدس : " واجتاز إبرام فى الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة (*) ، وكان الكنعانيون حينئذ فى الأرض " (١) ، ويقال إن الكنعانيين حلـــوا هذه البقعة بين سنة ٢٢٥٠ ، ٢٣٠٠ ق٠م ٠ (٢)

ويطلق المؤرخون على ابراهيم وعشيرته الذين جاءوا معه إلى فلسطين اســـم العبرانيين نسبة إلى عبورهم نهر الفرات (أو الأردن) فى طريقهم إلى أرض كنعان (٣)

وقد رزق ابراهيم عليه السلام بابنه الأول إسماعيل من زوجه هاجر ثم منّ اللـــه تعالى عليه وعلى زوجه ساره بعد كبرهما باسحاق فأنجب اسحاق يعقوب ، فولد لـــه اثنا عشر ولدا من الذكور هم الأسباط من بينهم " يوسف " الذى اشتراه عزيز مصـــر وتربى فى بيته وتبوأ منصبا كبيرا بمصر ٠

(*) هو ابراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن فالج بن عابر بن شالح بن ـ أرفكشاد بن سام (اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس ، زكى شنوده ، ص ٣ ٠

(*) بلوطة مورة : أجمة من البلوط عند حبرون أى الخليل وكان مسكنا للأموريين فأخذه ابراهيم عليه السلام وطنا له باتفاق معهم (السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ج ١ ص ١٢١ (تفسير سفرى التكوين والخروج) بإيجاز ٠

(١) سفر التكوين (١٢ : ٦) ٠

(٢) تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس المجلد الأول ج ١ ص ٢٥٧ المطبعة العمومية الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٣م ٠ باختصار ٠

(٣) الصهيونية والاستعمار دكتور / محمود حسن صالح منسى ص ٥ بدون عدد للطبعة طبع مطبعة مخيمر بمصر ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م٠

" وفى سنة (١٦٥٦ ق ٠ م) نزح يعقوب بأولاده إلى مصر بسبب انتشار القحط بفلسطين ، فتكاثر الإسرائيليون فى مصر إلا أنهم تعرضوا لاضطهاد فرعون انتقاما منهم لتعاونهم مع الهكسوس غزاة مصر فنزح بهم موسى عليه السلام إلى فلسطين[1] وظل الشعب العبرى أسباطا متفرقة حتى عهد النبى داود عام ١٠٠٠ ق ٠ م فوحدهم ووسع ملكهم وفتح يبوس[*] " القدس " التى تحول اسمها أورشليم أى مدينة السلام وخلفه ابنه سليمان (٩٦٠ ـ ٩٣٥ ق ٠ م) فبنى الهيكل ثم بعد موت " سليمان " عليه السلام انقسمت الدولة إلى مملكة يهوذا فى الجنوب "أورشليم" ومملكة اسرائيل فى الشمال " السامرة " واستحكم النزاع بين المملكتين ، حتى زحف " سرجون " الأشورى ملك نينوى سنة ٧٢١ ق ٠ م على المملكة الشمالية وقضى عليها ، كما استولى " نبوخذ نصر " البابلى على المملكة الجنوبية سنة ٥٨٦ ق ٠ م فهدم الهيكل[*] ، وأحرق أورشليم ، وأرسل ملكها ومعظم اليهود أسرى إلى بابل وهو مايعرف بالشتات الأول ٠

ومنذ ذلك الحين وتفرق اليهود فى بلاد متعددة بينما تعتبر فلسطين خلت منهم تماما إلى أن جاء " قورش " الفارسى وحكم بابل سنة ٥٣٨ ق ٠ م فسمح لليهود بالرجوع إلى أورشليم أى بعد نصف قرن من الزمان تقريبا ، فلم يعد منهم إلا النزر اليسير وبعد سلسلة من حكم الفرس غزاها الاسكندر المقدونى ثم العرب الأنباط ٩٠ ق ٠ م حتى احتلها الرومان قبل القرن الأول الميلادى بقليل وصارت ولاية رومانية ٠

وفى سنة ٧٠م ثار اليهود الموجودون فى فلسطين على الحكم الرومانى فأنزل بهم " تيطس " الرومانى النكال والعذاب ألوانا ، وهو مايعرف بالشتات الثانى ومن المؤرخين

---

(١) المرجع السابق صـ ٥ ، ٦ ٠

(*) سميت " يبوس " أو مدينة اليبوسيين نسبة لليبوسيين وهم إحدى القبائل الفلسطينية القديمة (إسرائيل ركيزة الاستعماريين المسلمين للدكتور حسن ظاظا صـ ٧٩ طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهره ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م ٠

(*) الهيكل الثانى بناء اليهود فى أورشليم عام ٥٣٦ ق ٠ م عقب عودتهم من المنفى أما الهيكل الأول فكان قد بناه سليمان ودمر حوالى عام ٥٨٦ ق ٠ م ثم بدأ " هيرود " فى بناء الهيكل الثالث الذى دمره الرومان عند استيلائهم على أورشليم حوالى سنة ٨٠م ، وكانت هذه الهياكل لعبادة يهوه ٠ اليهود بين الدين والتاريخ دراسة للجوانب العقائدية والتاريخية عند بنى اسرائيل صابر عبد الرحمن طعيمة صـ ٣٢٤ ط١ طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة ١٩٧٢م ٠

من يعتبره الثالث ويعتبر فتوح الإسكندر بداية الشتات الثانى فيقول : أما الشتات الثانى من شتات اليهود فيتعاصر مع المرحلة الهلينية التى بعد قرنين من السيادة الفارسية تبدأ بفتوح الإسكندر وتستمر مع السلوقيين والبطالسه ثم البيزنطيين والاتجاه العام فى هذا الشتات نحو الغرب فى هذه المرة .(١)

على أن شتاتهم فى العهد الرومانى تزايد حين ادعى بركوكبا " أى ابن الكوكب " فى عام ١٣٢ للميلاد أنه المسيح المنتظر ، وثار فى وجه الرومان وعاث فى فلسطين فسادًا ، فجرد عليه الإمبراطور " هادريان " حملة عاتية ظلت تتعقب اليهود وتحيق بهم أنكى العذاب والدمار طوال عامين كاملين(٢).

ولم يقتصر الأمر على هذا التنكيل بل استمر فى أرض الشتات بأوربا يقول الدكتور حسن ظاظا : واضطهدتهم أوربا المسيحية فى العصور الوسطى أشد الإضطهاد(٣).

م ــ فكرة التبشير اليهودى :

يلاحظ أن اليهود لم ينعموا بالراحة النسبية إلا فترة وجيزة ، وهى فترة داود ، وسليمان عليهما السلام وذلك بالنسبة للزمن الممتد من (١٦٥٦ق.م) إلى (٥٨٦ق.م) والمقدر بـ ١٠٧٠ سنة ، ولذا بدأت فكرة التبشير باليهودية فى القرن الثامن قبل الميلاد على يد إشعياء وسرعان ما أميتت لتمسكهم بحرفية الناموس ، ولستعلائهم على غيرهم ولتشدد " حزقيال " ومن سار على دربه من زعماء اليهود ، وماترجم عن و ٠١٠ ل المسلى يشهد بما أقول : فإنه يبدو من الثابت تاريخيا أن العادات التى ينطوى عليها شمل اليهود الأعلى فى القداسة الطقسية لاسيما الختان ، وقوانين الطعام ، والأسبات وتحريم الزواج من غير اليهود ، هذه العادات كانت أكبر عون على خلق شعور قوى بقومية أساسها الدين يتفرد بها اليهود عن سائر الأمم (٤).

---

(١) اليهود أنثروبولوجيًا الدكتور جمال حمدان صـ ١٧ طبع دار الكتاب العربى بمصر ١٩٦٧م.

(٢) الصهيونيه بين الدين والسياسة. عبد السميع الهرّاوى صـ ١٩٣ بدون عدد للطبعة مطابع الهيئة المصريه العامه للكتاب ١٩٧٧م

(٣) اسرائيل ركيزة الإستعمار بين المسلمين صـ ٣٩ .

(٤) تاريخ العالم نشره بالإنجليزية السيرجون ٠١٠ هامرتن وأشرفت وزارة التربية والتعليم على ترجمته للعربيه (المجلد الثالث) (الفصل التاسع والستون ــ سقوط أورشليم وأهميته العالميه) ترجمة د / فؤاد .أندراوس صـ ٦٤١ .

وكان لقلة عدد اليهود وشعورهم بالضعف ، وللعادات المذكورة سابقا وتمسكهم بها أثر بالغ فى انعزالهم عن الأمم وفى احساسهم بأنهم أمة متميزة عن بقية الأمم .

ب ـ فكرة التبشير اليهودى بعد الشتات الرومانـــى :

قبل هذا الشتات كان الشتات المعاصر للعهد الهلينى(*) ويلاحظ فيـــه أن اليهود لم يذوبوا فى الوثنية ، وبدت نواياهم فى جذب البشرية إلى تعاليمهم يقـــول و.ال . المسلى ماترجمته :

وبدأت اليهودية الأن تستوعب الأميين بدلا من أن تستوعبها الهلينيـــــة وظهرت حركة تبشير يهوديه نشيطة جدا أثارت أشد الاهتمام وقد أعلن سنكا " أنّ العالم كله يندفع نحو التقاليد اليهودية " وهى مبالغة تدل على أهمية الحركة وتحدثت النبوءات السلبية عن اليهود وشعورهم بأنهم مدعون " لهداية البشر الهالكين "(١).

لكن هذه الحركة لم تحقق الأثر المرجو منها ، وإن فتحت ثغرة للزواج الخفى أو المخالف للتعاليم مما كثّر عدد اليهود .

أمّا بالنسبة لتاريخ اليهود بعد الشتات الرومانى ، وقيامهم بالتبشير فنجـــد الآتـــى :ـ

١ ـ أن يهود الشتات الرومانى قد تفرقوا فى أنحاء العالم الرومانى إلى إيطاليا وإسبانيا وفرنسا وألمانيا حتى وصلوا إلى الراين وتمركز كثير منهم فى فرانكفورت بالذات ، وقد تزايد عددهم لدرجة تلفت النظر مما يدل على أن زيادتهم كانت بطريق التحول فقد قدر عدد اليهود وقت خروجهم فى العهد الرومانى ، وشتاتهم فى أنحاء الإمبراطورية بأربعين ألفا ، وفى القرن الخامس الميلادى تراوح عددهم بين ٤ ـ ٧ ملايين ، ومعنى هذا أن اليهود فى فترة من شتاتهم تقدر بأربعة قرون تقريبا تضاعف عددهم وتكاثـــر بين ١٠٠ ـ ١٨٠ مرة وكل هذا يعطى دلالة قاطعة على أن نموهم لم يكن بطريـــق

(*) العهد الهلينى : يبدأ بفتوح الإسكندر سنة ٣٣٢ق.م إلى زحف القيصر الرومانى " بومبى " على فلسطين واحتلالها سنة ٦٦ق.م وهى فترة زمنية تقدر بـ ٢٦٦ سنة (يراجع : إسرائيل ركيزة الإستعماريين المسلمين صـ ٩٧ ، ٩٨) .

(١) تاريخ العالم (المجلد الثالث) صـــ ٦٥٩ .

التكاثر الطبيعى وإنما تم بالتبشير والتحول [١] .

فاليهود الموجودون حاليا خليط من مختلف السلالات ، وليسوا من نسل يعقوب فقط ولذا يقول " لامبروزو " إن يهود العالم الجديد هم أدنى إلى الجنس الآرى منهم إلى الجنس السامى وهم عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية واقتصادية وانضم إليهم فى جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ومن مختلف صنوف البشر ، وجاء هؤلاء المتهودون من جميع الآفاق ، فمنهم - " الفلاشا " [*] - سكان الحبشة ، ومنهم الألمان ذوو السحنة الألمانية المعينة ومنهم - " الشامل " - أى اليهود السود فى الهند ومنهم " الخزر " - من الجنس التركى ، ومن المستحيل ، أن نتصور أن اليهود ذوى الوجه الحسن البديع والشعر الأشقر أو الكستنائى ، وذوى العيون الصافية اللون الزرقاء من تلقاهم اليوم فى أوربا الوسطى يمتون بصلة القرابة - وأعنى قرابة الدم - إلى اسرائيل أرض الميعاد أو يهود فلسطين القدماء الذين كانوا يعيشون بجوار نهر الأردن والبلاد المقدسة منذ القدم [٢] .

٢ - أن يهود الخزر الوجودين فى شمال تركيا وجنوب روسيا خصوصا مابين بحر الخزر (بحر قزوين) والسواحل الشمالية للبحر الأسود حتى نهر دنبير كان لهم دور فى نشر الديانة اليهودية فقد شهدت منطقة جنوب روسيا منذ القرن السابع الميلادى قيام دولة من التتر تسمى دولة الخزر وقد استمرت هذه الدولة حتى القرن الثانى عشر ولامتياز موقعها الجغرافى قصدها التجار المسلمون والمسيحيون واليهود ، وجرى تنافس بين أتباع الرسالات الثلاث كل يحاول نشر رسالته ، وجاء القرن الثامن الميلادى ليشهد كثرة الداخلين فى الإسلام والمسيحية من أهل الخزر ، حيث الدولة العباسيه لها آمال فى دخول الخزر جميعا فى الاسلام ، والدولة البيزنطية لها أطماع فى جذبهم إلى المسيحية ، وخشى " الخاقان " زعيم الخزر من نفوذ هاتين الدولتين وظن أنه إن اعتقد بملة أحدها خضع لنفوذها ، فاعتنق اليهودية مع أسرته وجل الطبقة الحاكمة والناس على دين ملوكهم كما يقال فكان هذا سببا فى انتشار اليهودية بين الخزر ، يقول الدكتور / محمود حسن صالح منسى: وقد سقطت دولة الخزر على أيدى الدولة الروسية سنة ١٠١٦م وانتشر اليهود فى داخل

(١) اليهود أنثربولوجيًا د / جمال حمدان ص ٢٢ بتصرف واختصار .

(*) جاء هؤلاء اليهود إلى الحبشة هربا من مظالم الملك بختنصر ملك " آشور وبابل " بعد خراب أورشليم وسكنوا شمال الحبشة ويطلق عليهم الأحباش " الفلاشا " أى اليهود المنفيون (كتاب - حاضر الحبشة ومستقبلها رمزى تادرس ص ١١٢ بدون عدد للطبعة مطبعة مصر بالفجالة - بدون تاريخ، بتصرف)

(٢) الصهيونية العالمية وأرض الميعاد تأليف / على إمام عطيه ص ١٠ ط ١ مطابع الشعب بمصر ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣م .

روسيا ، وكان اليهود الروس الذين هاجر كثير منهم إلى فلسطين فى القرنين التاسع عشر والعشرين من يهود الخزر أو من الذين تهودوا على أيديهم ، وليسوا جميعا من نسل إسرائيل الذين كانوا يعيشون فى فلسطين قبل الشتات الثانى[١] ، وكان سعى اليهود لتحويل الوثنيين إلى اليهودية فى منطقة جنوب روسيا ليس مجرد اقتناع دينى ، وإنّما لأغراض سياسية ومنافع شخصية بحتة حولها اليهود على مدار الزمن لخدمة أهدافهم العدوانية والتوسعية وإن من الواضح أن الديانة اليهودية ليس فى أسفارها المعتمدة مايدل على التبشير بها بين غير أتباعها ، إلا أن أبناءها حاولوا ترويجها بين الأمم ليعوضوا ماحاق بهم من إبادة ، جعلتهم قلة ذليلة ، كما أنهم يسعون فى القرن العشرين لضم أناس لليهودية لاحبا منهم فى ذلك ، وإنما لملء الفراغ العددى ، ولوضع هؤلاء الجدد وقودًا للحرب الدائرة بينهم وبين المسلمين فى فلسطين ، وهذا ماسيكشف عنه بقية البحث .

التبشير باليهودية فى العصر الحاضر :

تحاول الصهيونية بكافة الطرق سد العجز العددى ، لتبقى إسرائيل على أرض الواقع ، ولحمل العالم أجمع على التسليم باسرائيل الوطن والشعب معا ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف سارت فى خطين :

الأول : الهجرة :

فبالرغم من قيام الصهيونية الموجودة الآن بفلسطين على الهجرة إلا أن باب الهجرة مازال على مصراعيه وكلمة : مجلة الأمة القطرية تشهد بذلك ثم توالت الهجرات ولم تنقطع ففى عام ١٩٥٠م هاجر إلى " إسرائيل " ستون ألف يهودى من اليمن عبر جسر جوى بين عدن و " إسرائيل " ومن ثم كانت الهجرة الثانية من العراق عام ١٩٥١م عن طريق قبرص والهجرة الثالثه جاءت من شمال إفريقيا بين عامى ١٩٥٦م ، ١٩٦٢م عن طريق فرنسا وكانت ستة وسبعين ألف يهودى وتستقبل " إسرائيل " الآن الهجرة الرابعة (يهود الفلاشا) من الحبشة[٢] ، ويتم التخطيط السرى لما يسمى بالهجرة الخامسة فقد ذكرت صحيفة لوموندر الفرنسية أن محادثات دولية سرية حول مغادرة ١٥ ألف يهودى سوفيتى عبر بولندا إلى إسرائيل[٣] ، والبقية تأتى فالأمل مازال قائمًا من النيل إلى الفرات .

---

(١) الصهيونية والاستعمار صـ ١٠ بتصرف .
(٢) مجلة " الأمة " (السنة الخامسة ـ العدد ٥٤) صـ ٦ (من مقال بعنوان : إسرائيل تستقبل الهجرة الرابعة) ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .
(٣) أهرام " الخميس " العدد (٣٦١٦٣) صـ ١ ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥م .

الثانى : الزيادة الكميـة لليهـود :

رأت الصهيونية أن الهجرة وحدها غير كافية ، وسوف تنفذ هجرة اليهود الفقراء وتضطر إلى سحب الأغنياء الموجودين بالدول الأوربيه ، وهم العون لها ، والمـدد المالى ووسائل الضغط المستمر على العالم الغربى لتحقيق مصالح الصهيونية على حساب الأمة الإسلامية •

لذا سلكت التبشير باليهودية طريقا لها ، بواسطته تلتهم ماتحتاجه من الرجال نتيجة لعدوانها الدائم ، وقد نوه الدكتور / محمد عبد الله إلى سلوكها هذا الطريق فى مقاله : " التبشير باليهودية وسياسة التوسع الإسرائيلى " فى الأسبوع الأول من شهر كانون الأول لعام ١٩٨١م عقد مجلس اتحاد المعابد العبرية الأمريكى ، وهو منظمـة تتألف من (٧٣٥) معبدا يهوديا مؤتمره النصف سنوى فى مدينة "بوسطن" •

وكان الموضوع الرئيسى للمؤتمر التبشير باليهوديه بين غير اليهود ونتيجة للمؤتمر المذكور صادق المجلس على الخطة المقترحة للتبشير والتى قدمتها لجنة مكونة من (٢٦) عضوا كانت قد تشكلت منذ عام ١٩٧٨م ولقد ركزت الخطة على أن يجرى التبشير بـين أولئك الذين ينحدرون من زواج نصف يهودى ، وبين الأمريكيين الذين لايهتمون بديـن آخر •

وقد كانت الأسباب المعلنة لهذه الخطوة التاريخية الغريبة أن اليهود فـى الماضى لم يهتموا بالتبشير بدينهم ، إلا أن ارتفاع الزواج المختلط بين اليهـود وغيرهم ، بالإضافة إلى عوامل أخرى أوجبت مراجعة موقف اليهود التقليدى الذى أغلق باب اليهودية أمام الآخرين[١] •

وقد لخص كاتب المقال ما أسموه بعوامل أخرى فى الآتى :

الأول : انتشار الإسلام فى أمريكا انتشارا قد يكون له أثره المستقبلى بحيث يصبح المسلمون إذا نظموا أمرهم مجموعة تنافس اليهود فى القارة الأمريكية •

الثانى : هو الحاجة إلى القوى البشرية المقاتلة فى معركة اسرائيل مع العرب[٢]. وأضيف إلى ماذكـر •

العامل الثالث : وهو نشر أفكار الصهاينة التى ، تخدع بواسطتها الشباب تحت دعاوى براقة ، كالحرية ، والسلام ، والمساواة فينجذب نحوها الشباب فلايستيقظ حتى يجـد

(١) مجلة الأمة (السنة الثانية ـ العدد العشرون) صـ ١٤، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
(٢) الموجع السابق صـ ١٥

الحرية انطلاقا للناحية الغريزية التى تدمر كيانه ، ويكتشف السلام سلب حقوقه بلا مقاومة منه ، ويرى المساواة فقرًا حاضرًا يقتسمه الناس ماعدا الشعب المختار كانز الدرهم والدينار .

وبدا واضحا أن نشر اليهودية مخطط سياسى من أجل زيادة الكم وليس له سند من الدين والدليل على ذلك لزوم اليهود للتعصب ، والانطواء البغيض الذى لم يفارقهم .

فاليهود قد آثروا العزلة الفكرية والاجتماعية حيث يتجمعون فى أحياء خاصة من المدن تعرف عادة فى معظم أقطار أوربا وأمريكا باسم الجيتو(*) Ghetto وتعرف فى ألمانيا باسم حارة اليهود Judengoss وفى أسبانيا باسم جودريا Juderia وفى مصر باسم حارة اليهود ، وفى المغرب باسم الملة وفى اليمن باسم القاعقاع ، وفى تركيا يهودى محلى بينما يطلق اليهود على غيرهم من سائر الأمم اسم الجوييم أى الأميين أو الأجانب ويعنى فى عرفهم الكفرة والأنجاس وهو مشتق من الكلمة العبرية (جوى) أى أمة (١) .

ومن منطلق النظرة اليهودية الضيقة ، نعلم أن قيامهم بالتبشير باليهودية ورغبتهم فى إدخال غير اليهود فى ملتهم لاأساس له فى الدين ، ولادليل يؤيده من واقع حياتهم المتقوقعة ، ويكفى أنهم لايعترفون بعيسى عليه السلام وهو رسول إليهم وقد قال الشهرستانى فى وصفهم :

واليهود تدعى أن الشريعة لاتكون إلا واحدة ، وهى ابتدأت بموسى وتمت به ، فلم يكن قبله من شريعه إلا حدود عقلية ، وأحكام مصلحيه ولم يجيزوا النسخ أصلا قالوا فلايكون بعده شريعة أخرى . (٢)

(*) اشتق اسم الجيتو من الكلمة الإيطالية السامية بورجيتو وهى اسم حارة فى مدينة البندقية خصصت لسكنى اليهود بمعزل عن غيرهم من المواطنين منذ عام ٥١٦م ثم حرف الاسم إلى جيتو وأصبح يعنى اصطلاحا حارة اليهود أو الحى اليهودى . (الصهيونية بين الدين والسايسة صـ ٢٦١ بالهامش) .

(١) المرجع السابق

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ ومعه الملل والنحل للشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ جـ٣ صـ ١٤ مطبعة محمد على صبيح وأولاده بميدان الأزهر بالقاهرة بدون تاريخ .

فلايجوز لباحث أن يسلم بعالمية اليهودية ولو مكانا فقط وإلا وقع فى خطأ فادح لأنهم لم يعترفوا بشريعة قبلها ولا بعدها فكأنه شاركهم الرأى فى أنها الدين الوحيد وليس الأمر كذلك ، فكل القرائن تؤكد خصوصيتها زمانا ومكانا حتى أسفارها بالرغم مما اعتراها من تحريف وتغيير تشهد فى جملتها بذلك .

ثانيا : الرسالة المسيحية من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقتها بالتبشير

علم مما سبق أن موسى عليه السلام أرسل إلى قومه خاصة ولمن أمره ربه بدعوته كفرعون وقومه ، وقد يبعث الرسول إلى قومه وإلى غيرهم ممن تربطه بهم صلة قرب ومجاورة كما حدث مع " شعيب " عليه السلام ، فقد أرسل إلى قومه " مدين " وإلى أصحاب الأيكة بالمجاورة ، بناء على التعليمات الربانية ، ولقد أرسل " عيسى " عليه السلام إلى بنى اسرائيل خاصة وهناك حقيقة لايجب إغفالها وهى أن الراغب فى الإيمان بالله ورسوله ليس من حق أحد أن يمنعه من الإيمان ، بدعوى أن الرسالة مقصورة على جنس بعينه ، وهذا مادعى المسيح عليه السلام أن ينعى على الاسرائيليين منعهم من أراد الدخول فى دينهم ،بقوله : (ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة مادخلتم أنتم والداخلون منعتموهم) (١)

وهناك من المسيحيين من يفسر النص المذكور بأن الناموسيين حرفوا معانى الناموس ولاسيما معانى ماقيل فى المسيح فلم ينتفعوا بعلمهم وبالتالى لم يفيدوا غيرهم (٢) فالمسيح يدعو عليهم بالهلاك من أجل فعلهم المذموم .

ولما كانت دعوة " عيسى " عليه السلام خاصة ببنى اسرائيل ومع خصوصيتها لم يكن هناك مانع يحجز دخول غير الإسرائيليين فيها ، لكنها كرسالة محددة لم تحمل بين طياتها أوامر حقيقية تنادى بالتبشير بها خارج نطاق بنى اسرائيل .

دعوة المسيح عليه السلام مقصورة على اليهود بنص الأناجيل

الدارس للأناجيل يعلم يقيناً أن دعوة المسيح عليه السلام مقصورة على اليهود فقط وليست عالمية كما يزعم دعاة النصرانية ، يقول المستشار / محمد عزت اسماعيل الطهطاوى :

(١) إنجيل لوقا (١١ : ٥٢)
(٢) يراجع: الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل دكتور / وليم إدى ج ٢ صـ ٢٥٥ (شرح إنجيل مرقس ولوقا) ــ صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى طبع بيروت ١٩٧٣م .

وكل البشائر قبل مولده وبعده تشير إلى أن رعايته خاصة بالشعب الإسرائيلي والأدلة على ذلك كثيرة منها :

١ ـ أنه ورد بانجيل متى إخبار من الله عزوجل أنه سيخرج من بيت لحم من يرعى أمة إسرائيل : " وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر شعبى إسرائيل "(١) .

٢ ـ حين بشر الملاك السيدة مريم العذراء بولادة يسوع أخبرها بأنه سيملك على بيت يعقوب إلى أن يتوفاه الله تعالى " فقال لها الملاك لاتخافى يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله،وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع،هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد "(٢) .

٣ ـ لقد أعلن المسيح عليه السلام بعد بعثته خصوص رسالته ببنى إسرائيل دون سواهم (فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)(٣) .

٤ ـ اختار المسيح عليه السلام اثنى عشر تلميذا من بين اليهود فقط وأوصاهم أن يدينوا اليهود دون سواهم ، وسجل متى ذلك فى محاورة بين السيد المسيح وأحد تلاميذه بقوله " فأجاب بطرس حينئذ وقال له هانحن قد تركنا كل شئ وتبعناك فماذا يكون لنا فقال يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر "(٤) .

٥ ـ عندما أرسل المسيح عليه السلام تلاميذه المذكورين أوصاهم بدعوة بنى إسرائيل فقط وحذرهم من نقل دعوته إلى الأمم والشعوب الأخرى .
وشهادة متى تثبت ذلك : (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا إلى طريق أمم لاتمضوا وإلى مدينة للسامريين لاتدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت اسرائيل الضالة)(٥) .

---

(١) انجيل متى(٢ : ٦) .
(٢) انجيل لوقا (١ : ٣٠ ـ ٣٣) .
(٣) انجيل متى (١٥ : ٢٤) .
(٤) المرجع السابق (١٩ : ٢٧ و ٢٨) .
(٥) المرجع السابق(١٠ : ٥ و ٦) .

٦ ـ بين المسيح فى انجيل يوحنا أنه أرسل لخاصته وهم شعب اليهودية (إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله)[١] .

٧ ـ ولما رفضت أورشليم رسالة المسيح ناجاها بلطف مبينا أن رسالته خاصة بشعبها ، وأنه أراد أن يجعل من نفسه مظلة له (يا أورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فرخها تحت جناحيها ولم تريدوا)[٢] ،[٣] .

٨ ـ إن عبارة تبشير الأمم (تلمذوا جميع الأمم ..)[٤] لم ترد عن المسيح وقت حياته كلها التى عاشها على الأرض ولم يسمعها منه تلاميذه وحواريوه وقتئذ ،وكونهم زعموا أنها صدرت منه بعد القتل والصلب كما يدّعون يشير إلى أنها من قبيل الرؤيا والأحلام أو الأوهام مما يدعو إلى الشك وعدم الاطمئنان كلية إلى تلك العبارة المنسوب صدرها للمسيح عليه السلام ، ويؤكد ماقلته الآتى :

(أ) أن العبارة تتضمن ألفاظ التثليث (وهى اسم الآب والابن والروح القدس) ، وهذا يناقض ماصرح به المسيح حال حياته على الأرض من توحيد لله تعالى ، وإقرار بأن الحياة الحقيقية معرفة الوحدانية بقوله : " وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته "[٥] .

فهذا القول نفى تام للتثليث والأقانيم الثلاثة واعتراف صريح من المسيح بأنه رسول الله وأن الألوهية لله وحده (فاعلم أنه لاإله إلا الله)[٦].

(ب) إن عقيدة التثليث وألوهية المسيح لم تتقرر إلا فى القرن الرابع الميلادى سنة ٣٢٥م ، وإن ألوهية الروح القدس لم تتقرر إلا فى مجمع القسطنطينيه سنة ٣٨١م مما يقطع بأن هذه الفقرات مصطنعة ألحقت وأضيفت بعد ذلك إلى إنجيل متى .

---

(١) انجيل يوحنا (١ : ١١)
(٢) انجيل متى (٢٣ : ٣٧)
(٣) اقتبست فكرة هذه المعلومات من (كتاب : النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة للمستشار / محمد عزت اسماعيل الطهطاوى ص ٢٨٩ـ٢٩٢ بدون عدد للطبعة مطبعة التقدم بالقاهره ١٩٧٧م .
(٤) يراجع انجيل متى (٢٨ من الفقره ١٩) . (٥) انجيل يوحنا (١٧ : ٣) .
(٦) سورة محمد من الآية ١٩ .

(جـ) إن فكرة قيام المسيح من بين الأموات بعد حادثة الصلب المزعومة ، مبنية على الوهم وقد تعارضت الأناجيل وتناقضت فى عرضها مما يجعلنا لانعترف بحدوثها .[١]

ويقول الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن : وعلم من بعض الأقوال أن قيام المسيح من الأموات أيضا باطل وقصة موته وصلبه فى هذه الأناجيل المصنوعة من أكاذيب أهل التثليث .[٢]

والقرآن الكريم قوله الفصل (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما)[٣] .

فالقرآن الكريم أخبر بأن المسيح عليه السلام نجا من القتل والصلب ، وكرمه الله تعالى برفعه إليه فلاتستطيع يد من قربه ولا يراه أحد حقيقة إلا وقت أن يأذن الله تعالى قرب قيام الساعة حين ينزل المسيح إلى الأرض .

التبشير بالمسيحيه أمر اتفق عليه بعد المسيح عليه السلام :

لما ضيّق اليهود الخناق على " عيسى " عليه السلام ، وعادوا الدعوة وصاحبها ودبروا مؤامرة دنيئة للتخلص منه ، لتودى به فى النهاية حسب اعتقاد النصارى إلى خشبة الصليب ظلما وعدوانا ، كما نكلوا باتباعه المخلصين ، مما جعلهم يجدّون طلبا للنجاة برقابهم فرارا من ظلم اليهود وتسلطهم الدائم فاتفق بعض حواريه وتلاميذه على الخروج بالدعوة من دائرة اليهودية إلى الأمم ليجدوا متنفسا لهم من قهر اليهود ومكرهم والوشاية بهم لدى الحكام فادعوا أن المسيح قام من قبره وخاطب التلاميذ الذين عاينوه كما يزعمون بقوله : (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس)[٤] ، ويختم هذا النص بلفظ " إله واحد آمين " ويحدثنا خبير بالنصرانيه هداه الله تعالى للإسلام بقوله : والمدقق فى النصوص الكتابية يرى إضافة هى " إله واحد آمين " ، ويشار إليها فى الحاشية بأن هذه الإضافة لم توجد أصلا فى النسخ

---

(١) يراجع : كتاب النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة صـ ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٢) اظهار الحق ـ جـ ١ صـ ٧٤ طبع بالمطبعة الخيرية بالقاهره بدون تاريخ بتصرف .

(٣) سورة النساء الآيتان ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٤) انجيل متى (٢٨ : ١٩) .

الأصلية القديمة ، بل وجدت فى الترجمات .[1]

ومن غير المعقول أن يأمر " المسيح " عليه السلام تلاميذه أن يبشروا باسم الأقانيم الثلاثة ، كما أنه من غير الممكن اجتماعها فى شخص واحد ، وكل منها يقوم بدور معين ولنا أن نستانس بالأنبا يوأنس وهو يدلل على أن الثلاثة واحد بقوله عن المسيح : قال لهم باسم الآب وليس بأسماء الآب والابن والروح القدس لأنهم إله واحد [2]

ولما كان عالم اللاهوت القمص / ميخائيل مينا يشير إلى أن كل واحد من الثلاثة قائم بذاته ، وهو يعرف الأقنوم : بأنه كلمة سريانية الأصل تشير فى مسماها إلى كائن حى قدير مستقل بذاته ينسب أفعاله الى نفسه ، فقد ظهر التضارب فى تفسير النصرانيين علماء الملة ، لكن ميخائيل مينا يرتد على عقبيه ليفسر الأقانيم بما يخدم قضية التثليث حسب زعمهم فيظهر الحق الأبلج ، ويسقط باطله الأعرج وذلك أثناء تدليله على أن الأقانيم الثلاثة صفات متميزة بقوله : إننا نجد كل اقنوم من هؤلاء الأقانيم الثلاثة يخاطب الآخر أو يتكلم عنه ففى أثناء العماد هتف الأقنوم الأول مشيرا إلى الأقنوم الثانى قائلاً (هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت) .[3]

وفى إقامته لعازر من بين الأموات خاطب الأقنوم الثانى الأقنوم الأول بقوله (اشكرك أيها الآب لأنك سمعت لى)[4] ، وعندما أراد الأقنوم الثانى أن يتكلم عن الأقنوم الثالث قال (ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم)[5] ، [6] .

ولننقل قوله المرادف لهذه النصوص ، وهو كاف لنسف قضية التثليث وإن كان هو لا يريد ذلك وإنما أورده لإثباتها فى ذات واحدة فقال نيافته : ومن المسلم به أن أسماء وصفات الشخص الواحد المختلفة لا يمكنها أن تتخاطب معا ، أو تتكلم عن بعضها بأمور صريحة كما رأينا الأقانيم الثلاثة فى هذه النصوص تتكلم وتتخاطب فى

(١) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية الأستاذ / ابراهيم خليل أحمد صـ ١٦ بدون عدد للطبعة ، مكتبة الوعى العربى بالفجالة بالقاهرة ١٩٧٢م .
(٢) إيماننا الأقدس (سلسلة محاضرات الصوم الأربعين ـ ٢) الأنبا يوأنس أسقف الغربية صـ ١١٩ بدون عدد للطبعة ـ طبع دار العالم العربى بالقاهره ١٩٧٩م .
(٣) انجيل متى (٣ : من الفقرة ١٧) .
(٤) انجيل يوحنا (١١ : من الفقرة ٤١) ونصها (أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى) .
(٥) المرجع السابق (١٦ : ١٤) .
(٦) علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المجلد الأول صـ ١٦١ طـ (٥) مطبعة الأمانة بشبرا بالقاهرة ١٩٧٤م .

جوهر وحدانية الإله الواحد [١]، ولما كان من غير الممكن اجتماع هؤلاء الأقانيم الثلاثة في شخص واحد، مع أن كلا منها يقوم بدور خاص، ويلقى أوامر للآخر، وغير معقول أن ينادى المسيح فى تلاميذه ليبشروا الأمم باسم أقانيم ثلاثة كل له رأيه وعمله، فلم يبق إلا اثبات أن النص لم يرد على لسان المسيح عليه السلام تبرئة لرسول كريم من هذا الخبل والخلط، وإذا كان الاستاذ / ابراهيم خليل أحمد يرى زيادة " إله واحد آمين " للنص، فان المدققين من الباحثين المسيحيين يرون عدم ثبوت النص بالكامل كما سنعرف فيما يأتى.

النصوص الإنجيلية التبشيرية فى الميزان :

الأناجيل التى سجلت أن المسيح أمر بنشر رسالته للأمم :

١ ـ متى : حيث قال على لسان المسيح " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر " [٢].

٢ ـ لوقا : الذى ذكر كلام المسيح عليه السلام للرسل " وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم، أو يقوم من الأموات فى اليوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبه ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم " [٣].

٣ ـ ومرقس : الذى أشار أن المسيح ظهر للأحد عشر تلميذا، ووبخهم لقساوة قلوبهم وعدم إيمانهم ثم أمرهم بنشر الإنجيل فى العالم (وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها) [٤].

وهذا النص ضمن خواتيم إنجيل مرقس التى لاأصل لها يرجع إليه بشهادة عالم مسيحى خبير بخفايا النصرانية، أذكر ماجاء على لسانه " ولسنا نستطيع الجزم بقول إن كان قد ذكر فى الأصل فى بشارة مرقس، لأن البشارة ينقصها خاتمتها التى لابد أن تكون تمزقت عرضا والآيات الاثنتا عشرة الأخيرة فى الترجمة العربية لاوجود لها فى

---

(١) المرجع السابق.
(٢) انجيل متى (٢٨ : ١٩، ٢٠).
(٣) انجيل لوقا (٢٤ : ٤٦، ٤٧).
(٤) انجيل مرقس (١٦ : ١٥)

أقدم المخطوطات ، وهى قد أضيفت فى تاريخ متأخر لتكملة القصة [١] "

فالفقرات الاثنتا عشرة من الإصحاح السادس عشر وهو الأخير من انجيل مرقس لاأصل لها ، وقد نقل أحمد عبد الوهاب أن النسخة القياسية المراجعة للكتاب المقدس كانت على صواب تام فى معاملتها لهذه الأعداد من ٩ إلى ٢٠ على أنها غير شرعية ولذلك نقلتها من الأصل إلى الهامش،إن هذه الفقرة لايمكن تحديد تاريخها الزمنى بالضبط ولكنها قبلت كجزء من انجيل مرقس حوالى عام ١٨٠م ، كما أن مؤلفها غير معروف البتة . [٢]

وفى شأن أواخر انجيل متى يقول أيضا أحمد عبد الوهاب: ولكن يهمنا الحديث فقط عن خاتمته التى يشك فيها العلماء ويعتبرونها دخيلة عليه فهى تنسب للمسيح عليه الصلاة والسلام قوله لتلاميذه (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس) [٣] .

والشك فى صحة هذا النص الذى تمسكوا به ، أرجعه العالم المسيحى " أدولف هرنك" إلى أمرين :

١ ـ لم يرد إلا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسحية مايتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات وأن بولس لايعلم شيئا عن هذا .

٢ ـ أن صيغة التثليث هذه (التى تتكلم عن الآب والابن والروح القدس) غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل وهو الشئ الذى كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا . [٤]

---

(١) تفسير سفر أعمال الرسل تأليف دكتور لورانس براون ترجمة حبيب سعيد صـ ٤٦ بدون عدد للطبعه ، المطبعة العصرية بالقاهره بدون تاريخ .

(٢) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر أحمد عبد الوهاب صـ ١٧ بدون عدد للطبعة دار غريب للطباعة بالقاهرة ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م. نقلا عن D.E Nincham Saintmark , Penguin Books, p.449-London 1963 .

(٣) المرجع السابق صـ ١٨ .

(٤) المرجع السابق صـ ١٨ نقلا عن Adolf Harnack : History Of dogma contable and Company, p.79 London , 1961 .

والأمران المذكوران كافيان فى تزييف النص وعدم صحته كما أنه لايعول على ماقاله " لوقا " فى خاتمة انجيله ، وأنه يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم .

يقول حسنى يوسف الأطير : إن مما يوهن من قيمة هذا النص أن كاتبه " لوقا " أممى دخيل لم ير المسيح ولاكان من تلاميذه ، واعتنق النصرانية على يد " بولس " الذى لم يكن هو أيضا تلميذا له ، وهو الداعية لتبشير الأمم فمن الطبيعى أن يتتلمذ عليه خاصة وأن كليهما خصم للمتهودين(*) المنكرين لذلك .(١)

ولما كان كلا الانجيلين سابقا فى الزمان على " انجيل لوقا " فاحتمال أن ماحدث بهما من زيادة هذه النصوص حدث مثله فى نفس الإنجيل ، ونصل فى نهاية الموضوع إلى أن المناداة بالمسيحية لكل الأمم أمر اتفق عليه بعد المسيح لاأساس له فى رسالته وهذا ماكشفه مجمع أورشليم المنعقد سنة ٥٠ ميلادية .

نشر المسيحية بعد " مجمع أورشليم " :

المهتم بأمر المسيحية يرى أنها لم تتعد نطاق الإسرائيليين إلا بعد مجمع أورشليم ، وقد كان " بولس " و " برنابا " يبشران أهل الختان فى بدء الأمر حتى بحث موضوع الختان فتغير حال التبشير وانتقل إلى الأمم ، ويشير إلى هذه الحقيقة صاحب كتاب " الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة "(٢) بقوله : ثم عين " بولس " و " برنابا " والبعض من الذين كانوا يعلمون بالختان ليصعدوا إلى أورشليم لكى يبحث عن قضية الختان هذه لدى الجميع فلما جاءوا إلى أورشليم اقتبلهم الرسل بفرح عظيم .

(*) المتهودون تعبير اصطلاحى : يطلق على اليهود المتنصرين .

(١) عقائد النصارى الموحدين ص ٩٣ .

(٢) ترجم حديثا من اللغة اليونانية عن مختصر تاريخ " استفانوس قوميطا " المقتطف من تاريخ " ملانيوس " مطران أثينا الكنائس ص ٢٠ طبع فى أورشليم بمطبعة القبر المقدس البطريركية المختصة بدير الروم العامر سنة ١٨٦٧م .

ثم انعقد مجمع أورشليم وذلك فى السنة الخمسين لميلاد المسيح دقق فيه فى البحث عن هذا الأمر فبرهن فيه بطرس أن الأمم يخلصون بنعمة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح كما يخلصون هم أيضا وأنه لاينبغى أن يضعوا نيرا ثقيلا على أعناق التلاميذ .

فكان قبول غير المختونين فى النصرانية أمر مرفوض حتى أباح " المجمع " دخولهم فيها ، ويؤكد المرجع السابق أن الرسل لم ينتشروا ببشارتهم خارج أورشليم إلا بعد ذلك " المجمع " بقوله : وإلى ذلك الحين كان الرسل يطوفون كارزين بالإنجيل فى ماحول أورشليم فقط ، ثم يعودون راجعين إليها ولكنهم بعد المجمع المذكور تفرقوا ماضين إلى الكرازة[1] فتحرك بطرس مبشرا فى أماكن عدة ، ومثله بولس ومجموعة التلاميذ الذين يطلقون عليهم الرسل كل سار فى اتجاه معين ولذا يقال :وأما باقى الرسل " فتوما " منهم كرز بالإنجيل فى بلاد الهند ، " ويوحنا " فى آسيا الصغرى[*] " واندراوس " فى سيكثية "[*] ، وفى البيزنطية[*] حيث صار أول أسقف ،

---

(١) الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة صـ ٢١ .

(*) آسيا بكسر السين وياء وألف (مقصورة) كلمة يونانية فقد كان اليونان يقسمون الأرض إلى مغرب ومشرق بالنسبة لمستقبل الجنوب فما كان عن يمينه فهو المغرب وما كان عن شماله فهو المشرق وما استقبل هاتين القطعتين من المشرق فهو آسيا .

وبعض الناس يقسم آسيا قسمين : صغرى وهى العراق وفارس والجبال وخراسان وكبرى وهى الهند والصين والترك ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع جـ ١ صـ ٤ حرف الهمزة والألف باختصار .

(*) سكيثيا : بلاد قديمة اختلف المؤرخون فى تحديدها فبعضهم يرى أنها البلاد الواقعة بين نهر " الدنيبر " و " الدون " وأنها تمتد إلى أواسط آسيا شرقا .

وأما سيكيثيا آسيا : فهى مما يلى " الدون " شرقا إلى أواسط آسيا فهى تقسمها جبال هملايا شطرين ، وسكانها قبائل متجولة من شمال البحر الأسود وبحر قزوين (يراجع : دائرة المعارف بطرس البستانى المجلد التاسع صـ ٦٩٠ طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ ، قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٧٥) .

(*) بزنطية : أو بزنطيوم مدينة يونانية قديمة على شاطئ البسفور على قسم من موقع القسطنطينية الحديثة (دائرة المعارف للبستانى المجلد الخامس صـ ٧٥٨) .

ثم ترك هناك " استاخيس " خليفة عنه ومضى متبعا رسالته و " فيليبس " كرز فى أسيا العليا " وبرثلماوس " فى أرمينية الكبرى(*) ، " ومتى " فى بلاد العجم و " سيمون " فى مابين النهرين و " يهوذا " فى بلاد العرب ، و " متياس " فى بلاد الحبشة و "يعقوب " بـن زيدى فى إسبانيا (١) ووضح ما تقدم :

١ ـ أن رسالة عيسى " عليه السلام " لم تحمل فى طياتها مايدل على عالميتها ولم يحدث عنه أنه بشر بها خارج فلسطين .

٢ ـ أن حوارى المسيح " عليه السلام " لم يخرجوا بالتبشير عن دائرة اليهود إلا بعد مجمع أورشليم .

٣ ـ فكرة نشر المسيحية بين الأمم من اختراع التلاميذ لاأساس لها صحيح ولامرجع لها مستقيم تعتمد عليه .

ولما كانت المسيحية محرفة ، والانجيل الحقيقى قد اختفى ، فى سراديب مظلمة وذهبت تعاليم المسيح مع الرياح العاتية وضاعت فى متاهات الصراعات الدموية ، وتحت مطارق المضطهدين فلم يبق للجميع إلا أن يحتكم إلى المعجزة الخالدة وهى " القرآن الكريم " فهو الفيصل ، وقوله الفصل : (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) .(٢)

" الأنبا شنودة "(*) وعبارة " مرقس " :

فى مقال لتوفيق الحكيم : بعنوان (دفتر الجيب)(١) أفزعت توفيق الحكيم عبارة انجيل لوقا القائلة عن المسيح : جئت لألقى نارا على الأرض ..

(*) أرمينية الكبرى : ويقال لها : " أرمينية " الحقيقية وتقع شرق الفرات ويحدها نهر دجلة من الجنوب ، وآشور وأطروباتيه من الشرق وإيبريا من الشمال يراجع المرجع السابق المجلد الثالث صـ ١٣١ .

(١) الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة صـ ١٦ ، ١٧ .

(٢) سورة الصف الآية ٦ .

(*) الأنبا شنودة : ولد فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٣م بقرية سلام من أعمال أسيوط وتسمى نظير جيد ، والتحق بكلية الآداب وتخرج منها سنة ١٩٤٧م ومن القسم الليلى بالإكليركية سنة ١٩٤٩م وترهب بدير السريان فى ٢٥ يوليو سنة ١٩٥٤م باسم الراهب انطونيوس ورسم قساسته ١٩٥٦م ، وعمل سكرتيرا للبابا كيرلس السادس لفترة وجيزة عاد بعدها إلى الدير ورسم اسقفا فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٢م وأخرج بعد سيامته مجلة شهرية باسم " الكرازة " ولكنها توقفت بعد سنتين من صدورها ونصب بطريركا باسم البابا شنوده الثالث فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١م فأعاد مجلة الكرازة وجعلها أسبوعية وصار يشرف بنفسه على تحريرها (باباوات الكرسى الاسكندرى ١٨٠٩ ـ ١٩٧١ مع موجز لمعاصريهم من أساقفة الأقاليم بقلم القمص تاوضروس السريانى صـ ٢٤٠ ط ١ مطبعة حجازى ١٩٧٧ .

(١) أهرام الإثنين العدد (٣٦١٥٣) صـ ٧ ، ٦ ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .

أتظنون أنى جئت لأعطى سلاما على الأرض كلا أقول لكم بل انقساما وتسآءل وسأل المثقفين المسيحيين فلم يجد عندهم مايريح نفسه كما ذكره فتوجه إلى كبيرهم بالسؤال " الأنبا شنودة " .

واستغل الأنبا شنودة فرصة الرد على الحكيم ، لإثبات عالمية المسيحية وبلباقة حاول جعل هذا الأمر ضمن الإجابة على السؤال ، فقال عن المسيح : إنه جـاء ينشر عبادة الله فى العالم كله ، بكل وثنيته ولذلك قال لتلاميذه " إذهبوا إلـى العالم أجمع واركزوا بالإنجيل للخليقة كلها "(١) .

وقد سبق أن تحدثت عن هذه الفقرة ، وبينت أن بضع فقرات قبلها ومابعدها لا أصل له يرجع إليه بشهادة مفكرين مسيحيين وقد تلى الفقرة المذكورة مباشرة : (من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بألسنة جديدة ، يحملون حيّات وإن شربوا شيئا ميتا لايضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون)(٢) .

وسأكتفى بملخص لما رد به ابن حزم من قديم الزمان على هذا الكلام :

١ ـ فالقول للتلاميذ بشروا بالإنجيل ، يدل على انجيل خـاص أتاهم به المسيح والقوم عندهم عدة من الأناجيل المتغايرة يعتمدون منها أربعة وكلها ألفت بعد رفع المسيح بزمن طويل فأين انجيل المسيح الذى أمـر التلاميذ أن يبشروا به على حد زعمهم ؟ .

٢ ـ لقد وعد المؤمنين على أيدى التلاميذ بالتكلم بلغات لم يعرفوها وبنفس الجن عن المصابين به ، وشفاء المرضى ، وإن شربوا شيئا ميتـا لايضرهم إلى غير ذلك وربما طردوا الجن ببعض التعاويذ أو تمكن الحواة منهم بامساك الثعابين ، أو أبرأ بعضهم المرض بالتطبيب إن شاء الله تعالى لكن ليس منهم ولا من التلاميذ من تكلم بلغة لم يتعلمها أو تنـاول

---

(١) أهرام الإثنين العدد (٣٦١٦٠) رد البابا شنودة على المقال السابق لتوفيق الحكيم صـ ٧ ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .

(٢) انجيل مرقس (١٦ : ١٦ ـ ١٩) .

سما ولم يؤذ ، وقد قيل : إن يوحنا(*) صاحب الإنجيل قتل بالسم وحاشى لنبى الله عيسى عليه السلام أن يكذب على الله ، ويخبر بمواعيد لاتحدث فى واقع الحياة(١) ، واعتقد أن الأنبا شنودة بحصافته لايغفل عن ذلك ، ولايغيب عن علمه فقد انجيل المسيح فكيف يأمر المسيح تلاميذه بنشر انجيل يعلم أنه لابقاء له ؟ أو كيف يعلم أن إنجيله سيختفى برفعه ويأمرهم بنشره ؟ كفى استخفافا بالعقول ومر اتباعك باتباع المعقول (قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) .(٢)

ثالثا : الرسالة الخاتمة من ناحية العموم أو الخصوص وعلاقتها بالتبشير

ختم الله عز وجل الرسالات السماوية بالقرآن الكريم الذى أنزله على " محمد صلى الله عليه وسلم " يحوى من المعجزات مايساير رقى الإنسانية فى كل العصور ، وفيه من التشريعات الإلهية مايضئ طريق البشرية ، وقد تكفل الله بصونه ، وحفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .(٣)

ويتبع القرآن الكريم مباشرة هدى النبى "صلى الله عليه وسلم" ، السنة النبوية المطهرة فيها تبيان ما أجمل القرآن الكريم ، وتفسير ما يحتاج إلى توضيح ، وهى فيض النبوة تروى الظمأ وتداوى النفوس ، وتزيل مشاكل الحياة ، ولقد بعث الله عز وجل رسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين (الإنس والجن) وإلى الملائكة تشريعا أو تكليفا يليق بهم .

(*) وقول ابن حزم : وهم معترفون بأن يوحنا صاحب الإنجيل قتل بالسم : لعله يقصد به مرقس (فاسمه يوحنا وأما مرقس فلقبه) وهو الذى مات مقتولا يقول زكى شنودة فى شأن موته : "وراح يدعو للإيمان بالمسيح فقام عليه الوثنيون وراحوا ينكلون به ويعذبونه حتى مات شهيدا ، وهو من التلاميذ .
أما يوحنا ابن زبدى فأمه سالومى ، أخت السيدة مريم أم المسيح فهو من الحواريين وتوفى بين سنتى ٩٨ ، ١٠٠ يراجع تاريخ الأقباط : لزكى شنودة جـ١ صـ ٧٦ ط ١ مطبعة فايقه محفوظ للتدريب المهنى بحدائق القبة بالقاهرة ١٩٦٢م ، والأسفار المقدسة فى الأديان السابقة صـ ٦٩ ، ٧٤ .

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ٢ صـ ٦١ ، ٦٢ بتصرف .

(٢) سورة المائدة الآية ٦٨ .

(٣) سورة الحجر الآية ٩ .

بعثت إلى الناس كافة(*)

وقوله تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون)(١)(٢)
وصلب رسالته صلى الله عليه وسلم ، الاعتراف بكل الرسالات السماوية والإيمان بأنبياء
الله تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)(٣) .

ورسالة هذا شأنها تعترف بكل ماهو حق ، وتبطل الباطل وكتابها محفوظ
بعناية الله عز وجل ، جديرة بالعمومية والشمول فهي تسع الزمان والمكان ، وتصلح
شأن المخلوق أيا كان ومن أجل هذا نص القرآن الكريم على نشر الدعوة ، وحض
النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه على القيام بهذا الأمر : (قل هذه سبيلي
أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)(٤) .

(*) الحديث : عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة " .

صحيح البخاري (كتاب الشعب ـ ٤٢) لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ) ج ٢ صـ ١١٩ كتاب الصلاة ـ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا " مطابع الشعب ١٣٧٨هـ ، وورد في رواية لمسلم بصيغة فيها : " وأرسلت إلى الخلق كافة " صحيح مسلم بشرح النووي للإمام ابن الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (٢٠٤ ـ ٢٦١ هـ) ج ٥ صـ ٥ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) ، المطبعة المصرية ومكتبتها ١٣٤٩هـ .

(١)

(٢) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

(٤) سورة يوسف الآية ١٠٨ .

ويقول الله تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) .[١]

فهاتان الآيتان تحملان كل مؤمن عالم مسئولية الدعوة الإسلامية وتبليغها بأمانة لكل من لم تبلغه الدعوة إلى يوم الدين ، وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بمقتضى هذا الأمر الإلهى خير قيام فدعى إلى الله عز وجل بنفسه ، وبعث رسله إلى الحكام كما سيأتى فى مفهوم التبشير فى الإسلام .

وكان صلى الله عليه وسلم للعالمين نذيرًا يقول الله تعالى : (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)[٢] ، وخاطب صلى الله عليه وسلم النّاس كافة مقتديا بأمر ربه عز وجل (قل يا أيها النّاس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) .[٣]

وجاء الحديث الشريف بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم وخصوص غيرها من الرسالات بما لايدع مجالا للتأويل ، فعن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى المغانم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى النّاس عامة " .[٤]

وكونه خصص بهؤلاء الخمس دون غيره ، فلا ينبغى لأحد من الأنبياء أن يشاركه فى واحدة منها ، ومن يجوز مشاركة الرسول صلى الله عليه وسلم فى البعثة العامة فلا يمانع بالتالى مشاركته في الشيء الذى خص به "صلى الله عليه وسلم" فى بقية الأمور الواردة فى الحديث وقد أكد الحديث خصوص الرسالات السابقة (وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة) فلا يسوغ لأحد أن يؤول هذا النص كأن يقول المراد بالقوم أهل زمانه

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٥ .
(٢) سورة الفرقان الآية ١ .
(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٨ .
(٤) صحيح البخارى (كتاب الشعب) جـ ١ صـ ٩١ ، ٩٢ (كتاب التيمم) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٥ صـ ٣ ، ٤ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) .

وإلا فإن اللفظ ورد فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع وكان المراد به بنى جنسه وهم أناس مخصوصون قال الله تعالى : (ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون)(١) .

فمن يجرؤ أن يقول إنّ قوم فرعون أهل زمانه ؟ إن القرآن الكريم يبين لنا أن الحق أرسل رسلا إلى بنى إسرائيل خاصة وليس رسولا واحدا وهذا لايقلل من شأن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أو من شأن رسالتهم ، ولايعظم من شأن مَنْ أُرسل إليهم وإنما لتكون الحجة قائمة ، ومدعمة والله عز وجل يقول : (لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون)(٢) .

ويخبرنا الله عزوجل أنه أرسل إلى كل أمة بقوله تبارك وتعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)(٣) .

ويشير المولى عز وجل إلى عموم رسالته صلى الله عليه وسلم لكل الناس بقوله تعالى : (بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون)(٤)

" دور المسلمين فى نشر الدعوة "

لما كان أتباع محمد صلى الله عليه وسلم مأمورين بالدعوة إلى الله وتوضيح الحق للعالم حتى لايقعوا تحت طائلة التقصير والتفريط فى تبليغ الهدى ونشره ، والواقع يشهد بغفلة المسلمين عن رسالتهم ، وإهمالهم فى تبليغها للدنيا كلها قولاً وعملاً ولولا جهد فردى مشكور لبعض الهيئات الإسلامية والجمعيات الإسلاميه لانقطع صوت الإسلام عن كثير من الأماكن النائية تحت وطأة وسائل التشويش الغريبة ، وصيحات النزعات الشيوعية ، وقد سنحت لى الفرصة أثناء الاطلاع فى دار الكتب المصرية بقراءة تقرير سنوى لجمعية التبشير الإسلامية لجميع بلاد ملايو عن سنة ١٩٣٦م .

---

(١) سورة الزخرف الآية ٥١ .
(٢) سورة المائدة الآية ٧٠ .
(٣) سورة النحل الآية ٣٦ .
(٤) سورة النحل الآية ٤٤ .

وفيه ثناء على مشاهير الدعاة المسلمين الصادقين : أمثال صاحب الفضيلة العلامة شاه محمد عبد العليم صاحب الصديق القادرى الشستى فى مدينة "ميروط" فى الهند فإنه قام بمفرده ومن غير تعضيد مالى من أية جمعية بباهر الأعمال فى الهند وبورما وملايو وجاوا وإفريقية الجنوبية وإفريقية الشرقية واليابان والصين وما إلى ذلك من الأقاليم . (١)

وهو عمل طيب ، وأجر عظيم لمن يقوم باتباع تعاليم الإسلام ونشر رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وإذا كان سلفنا الصالح لم يقصر فى التبليغ ونشر الدعوة بالرغم من صعوبات الاتصال بالمدعوين ، فإن وسائل الاتصال متاحة وما علينا فرادى وجماعات أمم ودول إلا أن ننظم أنفسنا ونضحى من أجل هذه الرسالة ، ولانتخلف عن الميدان فيملأ الباطل الفراغ بوسائله ، ووساوسه ، ونضيع أنفسنا وغيرنا والمسئولية فى النهاية تقع على عاتقنا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ويكفى فى هذا المجال عرض القليل من الكلام الحسن للأستاذ مهدى استانبولى الذى يكشف فيه عن خطر إهمال التبشير فى ديار الغرب ويذكر أن الغرب غالبا يخفى نواياه الدينية ، تحت ستار اقتصادية وسياسية وغيرها من الحيل ولكن غايتهم الحقيقية هى القضاء على الإسلام والمسلمين ثم يتساءل والآن مالعمل ؟ وكيف النجاة من أخطار الغربيين وغزوهم .. ؟ ريثما يتم لنا الحصول على قوة كقوتهم واستعداد كاستعدادهم .. ؟

السبيل إلى ذلك التبشير بالإسلام فى البلدان الغربية لاطلاع الغربيين على عظمة الإسلام وإنسانيته وسماحته وسمو مبادئه ، ومبلغ حاجتهم إليه وما خسروه بسبب محاربتهم له ، وقد جاء هذا الدين رحمة للعالمين فاستطاع النهوض بالعرب خلال مدة قصيرة من الزمن ، فانطلقوا من باديتهم وفتحوا الدنيا المعروفة وقتئذ وملؤها عدلا ورحمة بعد ما ملئت جورا وهمجية وهو لايزال - وإلى الأبد - يحمل بين طياته عناصر القوة والسعادة والمعرفة .

وينبغى أن يكون هذا التبشير على مستوى عال وبأرقى وسائل الإعلام ونذكر فيما يلى نماذج منها لبيان مزايا الإسلام وحاجة الغرب إليه

(١) التقرير السنوى لجمعية التبشير الإسلامية لجميع بلاد ملايو عن السنة المنتهية فى يوليو ١٩٣٦م صـ ٢٧ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦م .

كل ذلك بمختلف اللغات الأجنبية :

١ ـ استئجار بعض الصحف والمجلات الغربية .
٢ ـ الاتصال بالعلماء والأدباء الغربيين واطلاعهم على الإسلام .
٣ ـ صنع الأفلام السينمائية وعرضها في الغرب .
٤ ـ المسارح التمثيلية .
٥ ـ تأليف الكتب والنشرات المبسطة عن الإسلام .
٦ ـ إنشاء مجلات إسلامية وخاصة للأطفال .
٧ ـ التعاون مع الغربيين الذين أسلموا لوضع المخططات لنشر الإسلام .
٨ ـ تقوية الإذاعات العربية لايصال صوت الإسلام إلى أسماع جميع الغربيين بأساليب حديثة مشوقة .

ويحسن إلى جانب ماسبق إعلام الغربيين بما جاء في كتبهم الدينية من تحريف وتناقض ومعوقات عن التقدم والرقي . (١)

وهذا هو الطريق الجاد لتوصيل رسالة الإسلام إلى كافة أرجاء الأرض ، أما أن نترك المجال لمن انتهى زمن رسالتهم ليجوبوا ديار الإسلام مبشرين ، وطاعنين في الدين ، فهذا مالا يكون من خير أمة أخرجت للناس .

وبعد : فقد بات واضحا أن الرسالة إلى بني اسرائيل خاصة ، وأنها لا تحمل بين طياتها أوامر حقيقية للتبشير بها إلى كل الأمم ، وأن الرسالة الخاتمة عامة ، وأتباعها مأمورون بتبليغها للناس كافة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

لذا : أنتقل إلى بيان التبشير بالمسيحية وأهدافه في الباب الأول من الرسالة .

والله المستعان .

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي (السنة التاسعة ـ العدد ٩٨) أصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ص ٣٤ ، ٣٥ سنة ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م بتصرف .

الباب الأول

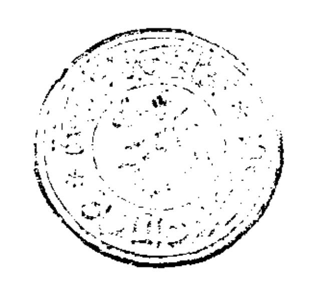
التبشير وأهدافه

ويحتوى هذا الباب على ثلاثة فصول :ـ

١ ـ الفصل الأول :ـ
التبشير وصلته بالحركة الصليبية .

٢ ـ الفصل الثاني :ـ
أهداف التبشير ووسائله .

٣ ـ الفصل الثالث :ـ
نماذج للمؤتمرات التبشيرية وأغراضها.



الفصـــل الأول

التبشـير ، وصلتـه بالحـركة الصليبيـة

بعد التمهيد آثرت أن أتناول فى هذا الفصل مفهوم التبشير بالتوضيح والتحليل من مفهوم اسلامى أولاً ثم من وجهة النظر المسيحية ثانياً ، وأردفت ذلك بالحديـث عن دائرة التبشير المسيحى ،مبينًا أنها كانت منحصرة فى بنى إسرائيل بعد رفع المسيح عليه السلام مايقرب من ربع قرن من الزمان ولما كان " بولس" صاحب فكرة نشر المسيحيه بين الأمم ، تحدثت عنه وعن ثقافته ، ذاكرا أنه بشر اليهود فى بدء أمره ثم غير مساره التبشيرى فجأة إلى كل النّاس ، فى الوقت الذى خرب فيه المسيحية من داخلها فمزج تعاليمها بالوثنية ، وأعمل معوله فى هدمها بقوة فنادى بأن المسيح ابن الله وأشـاع صلبه تكفيرا عن خطايا البشر .

وأشرت فى الفصل المذكور إلى مجموعة من الفرق المسيحية الموحدة وغير الموحدة مبينا أن غوغاء العامة وعصا السلطان اجتمعتا سويا مع الفرق الغير موحدة لوئد دعوة التوحيد والقضاء على أنصارها ولولا ذلك لانكشف الظلام أمام النصارى وهدوا جميعـــا إلى التوحيد الحق .

وتطرق الحديث عن قسطنطين كحاكم لروما ناصر المسيحية فى وثنيتها ،واعـترف بها ضمن الديانات الموجودة فى الدولة فأكسبها قوة شكلية إلى أن جاء " ثيودوسيوس الكبير " فاعترف بها ديانة رسمية للبلاد فى نهاية القرن الرابع الميلادى ثم أنهيـت هذا الفصل بالحديث عن صلة التبشير بالحروب الصليبية ودور البابا وات فى هذه الحروب ومانتج عنها من تبشير منظم له مدارس وكراسى فى الجامعات وأساتذة متخصصـون يوجهون دفته بخطط مدروسه .

وهذا إجمال أعود إليه بالتفصيـل فيما يـأتى بعد .

المفهوم الاسلامى للتهشير

للتهشير فى لغة العرب معان عدة والذى يعنينا من معانيه اللغوية مايشير إلى التبليغ والإخبار .

والتبشير يكون بالخير والشر [1] يقول الله تعالى : " يبشرهم ربّهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم " [2] ، ويقول الله تعالى : " فبشرهم بعذاب أليم " [3] .

والبشير : المبشر الذى يبشر القوم بأمر خير أو شر [4] ، قال الله عز وجل " يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترةٍ من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير فقد جاءكم بشيرٍ ونذير والله على كل شىء قدير " [5] . وفى ضوء هذه الآية الكريمة يقول ابن كثير : أى لئلا تحتجوا وتقولوا يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيروه ماجاءنا من رسول يبشر بالخير وينذر من الشر بشير ونذير يعنى محمدًا صلى الله عليه وسلم [6].

والبشارة : أول خبر يرد على الإنسان بما يسره ، وقيل إنها بما يسر ويغم إلا أن استعمالها فيما يسر أكثر واشتقاقها من البشرة وهى ظاهر الجلد لتغيرها بأول خبر [7] . فتلقى المرء للخبر أيًا كان نوعه يظهر أثره على ملامح الوجه من بهجة أو تقطيب حسب نوع الخبر يقال : بشره أخبره بما يسر فانبسطت بشرة وجهه [8] .

---

(١) لسان العرب للإمام : أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى ٦٣٠ ــ ٧١١هـ تحقيق محمد عبد الله على الكبير وآخرون المجلد الأول صـ ٢٨٧ مادة "بشر" طبع دار المعارف بالقاهره ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م .

(٢) سورة التوبة الآية ٢١ .

(٣) سورة التوبة من الآية ٣٤ .

(٤) لسان العرب صـ ٢٨٧ .

(٥) سورة المائدة الآية ١٩ .

(٦) تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفدا اسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ جـ ٢ صـ ٣٦ نشر مكتبة الدعوة الاسلامية بالأزهر ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

(٧) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم للقاضى العالم نشوان بن سعيد الحميرى اليمنى تصحيح القاضى عبد الله بن عبد الكريم الجرافى اليمنى جـ ١ صـ ١٦٢ بدون عدد للطبعة طبعة بيروت

(٨) معجم متن اللغه " موسوعة لغويه حديثه " للشيخ أحمد رضا المجلد الأول حرف الباء صـ ٢٩٦ مطابع دار صادر ودار بيروت ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ م .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مستجيبا لأمر ربه عز وجل : (يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا)[1] فلم تصرفه مؤامرات اليهود والمنافقين فى داخل المدينة ، وكيد المشركين من خارجها ، عن التبشير بالدعوة الإسلامية فبعث الرسل بالكتب إلى الملوك والأمراء .

وأخبر " صلى الله عليه وسلم " أصحابه رضوان الله عليهم أنه مرسل إلى قيصر ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، والنجاشى ملك الحبشة ، والمقوقس ملك القبط بمصر والحارث الغسانى ملك الحيرة ، والحارث الحميرى ملك اليمن ، وغيرهم يدعوهم إلى الاسلام[2].

عملا يقول الله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)[3] وفى هذا دلالة واضحة على اهتمام الإسلام بالتبشير وجعله فرضا لازما على اتباع النبى " صلى الله عليه وسلم " من العلماء العاملين ، وقد أخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل فى شرح الآية السابقة أن الخير الإسلام والمعروف طاعة الله والمنكر معصيته[4] ، ويمكن أن نُعرّف التبشير فى الاصطلاح على ضوء ماذكر بأنه دعوة للدخول فى دين المبشر ، وقد كان لأتباع عيسى عليه السلام نشاط واضح فى ميدان التبشير، ويشير الدكتور / يوسف القرضاوى إلى تفضيل النصارى لهذا الاسم بقوله : وقد اختار المنصرون هذا الاسم لأن الانجيل معناه " البشارة " باليونانية ، فأصبح " التبشير " اصطلاحا على دعوة الناس للدخول فى ديانة النصرانية وإن كان اصطلاح التنصير متداولا رغم أنه ليس كل تبشير تنصيرًا فقد ينتج التبشير تنصيرًا وقد لاينتج ولامشاحة فى الاصطلاح كما قال علماؤنا .[5]

ومن ضوء التعريف اللغوى والاصطلاحى يمكن أن نقول إنّ مفهوم التبشير عام لايختص برسالة بعينها أو دين بعينه أو ملة بذاتها ، أو نحلة برسمها فإذا خصص

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٦ .

(٢) يراجع السيرة النبوية لابن هشام " أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى المتوفى سنة ٢١٣ هـ ج ٤ صـ ١٨٨ طبع شركة الطباعة الفنيه المتحدة بالقاهره ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

(٤) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ج ٤ صـ ٢١ .

(٥) مجلة " الأمة " القطرية من محاضرة للدكتور يوسف القرضاوى بعنوان : التبشير فى العالم الاسلامى كيف نواجهه ؟ صـ ٢٨ العدد ٤١ ــ السنة الرابعة ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.

التعريف بقولنا " التبشير فى العالم الاسلامى " عرف القصد من ذلك بأنه التبشير برسالة عيسى عليه السلام ليس كما أنزلها الله رسالة هادية ، وإنما فكرا محرفا يخدم الاتجاه الغربى ، ويقضى على المفاهيم الإسلامية ويساعد الاستعمار الأوربى فى إحكام قبضته على العالم كله .

ولذ سلك أتباع المسيحية لتحقيق هذا الغرض جانبين :

الأول : التبشير بالصورة المعروفة .

الثانى : الدراسة المستمرة والمتجددة لأحدث الوسائل لتشويه الإسلام بالذات ثم الطعن بعد ذلك فى الملل والنحل الأخرى وإن كنا نطلق على التبشير الدعوة للدخول فى النصرانية فهذا مقبول فى أول الأمر أى قبل سنة ٣٢٥ م .

أما بعدها ، وخصوصا بعد بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فمن الخطأ أن نطلق عليه هذا التعريف فقط لأنه تجاوزه إلى أمور أخرى وقد كشف اللثام عن ذلك الأستاذ / محمود محمد شاكر وهو يوبخ من يحصر التبشير فى هذا المفهوم القاصر بقوله : فمن تمام الجهل أن يظن المرء أن معنى " التبشير " هو اقتصار فئة من الرهبان أو القسوس بالدعوة إلى دينهم ، من حيث هو عقيدة يسمعها المرء فيرضاها أو ينكرها فهذا أمر " باطل " أشد البطلان لامن حيث الواقع فحسب بل من حيث شرح " المبشرون " أنفسهم معنى " التبشير " عندهم ، وهم الممارسون له وهم لذلك أدرى به وأشد بطلانا أن يتصور امرؤ أن " التبشير " بمعزل عن الغزو الحربى والغزو الاقتصادى والغزو الفكرى والسياسى ، وعن محاولة الجنس الأوربى " المسيحى " أن يخضع الأمم لسيطرة تدوم مادامت له حضارة .

وأشدُ بطلانا منهما جميعا أن يخطر ببال أُحد أن " التبشير " قد غاب عن كثير من الدعوات التى قام بها أصحابها ينادون بضروب من الاصلاح فى بلاد العرب وفى بلاد الإسلام وفى غيرهما من البلاد ، وأنه لم يضع فيها اصبعه ليحول معنى " الاصلاح " إلى معنى من التدمير والهدم والتحطيم .(١)

وتركز الحركة التبشيرية جهدها على المسلم ، فتحاول خلعه من الدائرة الاسلامية بكل الوسائل ، لتدور به فى دوائر مفرغة من حلقات الفكر البشرى نطلق عليها أسماء متعددة علمانية ، وجودية ، فوضوية ، وذلك حتى يفقد اتزانه فلايهتدى لمكان يستند عليه بل لايعرف اتجاها يسير فيه ، فيسهل احتواءه والسيطرة عليه .

---

(١) أباطيل وأسمار . محمود محمد شاكر جـ١ ، ٢ص ١٨٤ ـ ١٨٥ ط٢ مطبعة المدنى بالقاهره ١٩٧٢م .

المفهوم المسيحى للتهشير

للنصارى نظرة خاصة فى مفهوم التهشير ، يستطيع الباحث أن يحددها من مراجعهم ، فهم يقولون : بشر تهشيرا أبلغ الخبر الطيب [١] .

ويذكرون فى كتبهم أن المسيح كان يبشر ويعلم فى الهيكل وخارجه وكثيرا ماكان يعظ الجموع من البحر أو على الجبل[٢] ، ولفظ مبشر : تطلق هذه الكلمة فى العهد الجديد على من يعظ ببشارة الخلاص متنقلا من مكان إلى آخر ، لايستقر فى مكان مخصوص إنما همه التجول يعظ بالانجيل ويؤسس الكنائس باسم المسيح [٣] وقام رفقاء بولس بهذا الدور خير قيام ، فارتحلوا من بلدة إلى أخرى فى خدمة التهشير كما ذكر سفر أعمال الرسل قولهم : (ثم خرجنا فى الغد نحن رفقاء بولس وجئنا إلى قيصرية فدخلنا بيت فيلبس المبشر إذ كان واحدا من السبعة وأقمنا عنده) [٤] .

ويبدو واضحا مما تقدم أن من يعظ بالانجيل ، ويبشر بالخلاص يعد مبشرا عند المسيحيين ، وهم يعتبرون قول يوحنا باقتراب ملكوت السماوات تبشيرا برسالة المسيح عليه السلام ، فوقت أن كان طباريوس قيصرًا امبراطورا فى رومية وبيلاطس واليا خامسا على اليهودية (وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى بَرِّيَّةِ اليهوديَّةِ قائلاً توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات) [٥] .

وكان تهشيره غايته فى زعمهم إعداد الناس لقبول بشارة المسيح الأقرب إليه وتم فى البَرِّيَّة شرق أورشليم قرب بحر لوط وهو المكان الذى تربى فيه يوحنا [٦] .

وإذا كان يوحنا بشر بقرب ملكوت السماوات ودعا الإسرائيليين إلى قبول دعوته فإن المسيح حين أرسل أمر تلاميذه الإثنى عشر وأوصاهم بدعوة بنى اسرائيل خاصة بقرب هذا الملكوت قائلا : " إلى طريق أمم لاتمضوا وإلى مدينة للسامريين لاتدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت اسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين إنه قد

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٧٣ .
(٢) المرجع السابق
(٣) المرجع السابق .
(٤) سفر أعمال الرسل (٢١ : ٨) .
(٥) انجيل متى (٣ : ١ و ٢) .
(٦) الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ج ١ ص ٢٥ بتصرف .

اقترب ملكوت السموات »[١]، وملكوت الله أو ملكوت السماوات[*] يقول عنه النصارى : إنــه هو ملكوت المسيح ، ملكوتا روحيا .

أما المسلمون فيقولون : إنه هو ملكوت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ملكوتا أرضيا بمجد وسلطان[٢].

وهكذا بدأ التبشير بالنصرانية فرديا ، وكان غايته الوعظ بالانجيل وبشرى الخلاص واقتراب ملكوت السماوات وتحرك حوارى المسيح فى هذا المسار فلم يحيدوا عنه حـــتى دخل بولس فى زمرة المسيحية ، فسار على نفس الدرب فى أول الأمر ، وحث معاونيــه على القيام بهذه المهمة ، يشهد بذلك رسالته إلى تيمُوثاوُس وفيها (اكرزْ بالكلمة اعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب وَبِّخ انتهِرْ عِظْ بِكلِّ أناةٍ وتعليم)[٣] إلى أن يقول له أيضا : (وأما أنت فاصحُ فى كلِّ شىءٍ احتمل المشقَّاتِ أعملْ عَمَلَ المبشِّرِ تمِّم خدْمَتَكَ)[٤] ولم يقتصر بولس على دعوة رفقائة إلى التبشير وإنما أرسلهم حاملين أخبارا مختلفـــة بخصوص بشرى الخلاص ليعلنوها للإخوة البعيدين عنه ، وأمرهم فى نفس الوقت أن يعودوا إليه بعد ذلك بأخبار المرسل إليهم وها هو قول بولس :

(على أنى أرجو فى الرب يسوع أنْ أُرسل إليكم سريعا تيمُوثاوُس لكى تطيب نَفْسِى إذا عرفتُ أحوالكمُ لأَنَّ لَيْس لى أحدٌ نظير نَفْسِي يهتم بأحوالكم باخلاص إذ الجميــــع يطلبون ماهو لأنفسهم لاماهو ليسوع المسيح ، وأما اختباره فأنتم تعرفون أنه كولد مــع أب خدم معى لأجل الإنجيل ، هذا أرجو أنْ أُرسله أول ما أُرى أحوالى حالاً) .[٥]

ويضيف بولس فى رسالته إلى أهل أَفْسُسَ أنَ الله قَسَمَ للناس وظائفهم فى الحياة فيقول : (وهو أُعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعـــض رعاة ومعلمين)[٦] ، والذين اختيروا للقيام بالتبشير هم فى الواقع مساعدون للرســـل فى أعمالهم ورفاق لهم فى أسفارهم و "بولس" كثيرًا ماأخذهم معه فى الذهاب إلى

---

(١) انجيل متى (١٠ : ٥ – ٧) .

(*) هذا التعبير خاص بمتى وهو يتمشى مع النظرة اليهودية التى تعتبر الإشارة إلى الله بالاسم تجديفا ، يوحنا المعمدان " يحيى عليه السلام " بين الإسلام والنصرانية دكتور / أحمد حجازى السقا ص٧٥ ط ١ مطبعة دار التراث العربى ١٣٩٩ = ١٩٧٨م.

(٢) المرجع السابق ص ٩٦ .

(٣) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس (٤ : ٢) .

(٤) المرجع السابق (٤ : ٥) .

(٥) رسالة بولس إلى أهل فيلبى (٢ : ١٩ – ٢٣) .

(٦) رسالة بولس إلى أهل أفسس (٤ : ١١) .

المدن المتعددة ، ويجعلهم مستقبليه فى البلاد المختلفة (فرافقه إلى أسيَا سُوَبَاتِرُسُ البِيرِيُّ ومن أهل تَسَالُونِيكى ارِسْتَرْخُسُ وسَكُونْدُسُ وغايُوسُ الدَّرْبِيُّ وتيموثاوُسُ ومن أهل أسِيَـا تيخيكُسُ وَتُرُوفِيمُسُ هؤلاء سبقوا وانتظرونا فى تَرُوَاسَ(*)) (١) .

وبذا اتضح لنا مفهوم التبشير عند القوم من كلامهم المدون فى كتبهم ، وعلمنـا أنه يدور حول الوعظ بالانجيل ، وبشرى الخلاص ، وبشرى اقتراب ملكوت الله وأن المبشرين هم الذين يوصلون هذه المفاهيم إلى من أرسلوا إليهم فما هى الدائرة التى سـار فيها التبشـير ؟ .

" دائـرة التبشـير المسيحـى "

بعد أن ذكرت بإيجاز مفهوم التبشير ، أعود إلى دائرة التبشير المسيحى فنظـرة واقعية تؤكد للجميع هذه الحقيقة ، وهى خصوصية التبشير المسيحى ببنى إسرائيل فقـد نشأ المسيح عليه السلام فى بيئة يهودية تغذى بلبانها ، وارتوى من مائها ، وتنسـم من هوائها يقول شارل جينيبير ماترجمته : ظهر بإقليم الجليل خلال حكم الامبراطور تيبريوس شخص يدعى بيسوع الناصرى ، وصار يتحدث ويعمل حديث وعمل الرسل اليهود . (٢)

وكيف يخرج عن هذه الدائرة ؟ وهو نبى من بنى اسرائيل ، ورسول اللـه إليهم وقد أعلن عن الهدف من رسالته ، وهو اتمام الناموس ، وتكميل مانقص منه ، " لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ماجئت لانقض بل لأكمل " (٣) .

وقد أدرك هذه الحقيقة المؤرخ المسيحى " شارل جينيبير " فقال : المسيحيـة إذن تنبع أساسا من حركة يهودية وهى تبدو أولا وعلى وجه التخصيص كظاهرة تهـم الحياة الدينية لليهود ، وتتميز بها البيئة الفلسطينية ـ ولايمكن تصور قيامها خارج نطاق العالم اليهودى . (٤)

وكدأب اليهود مع رسلهم من قبل ، تعنتوا مع المسيح ، ولم يستجب لدعوتـه منهم إلا النفر القليل ، وذلك فى فترة بعثته التى تربو على ثلاث سنين كما ذكـر

(*) تَرُوَاسَ : هى بلدة تقع فى القسم الشمالى الغربى من آسيا تطل على البوسفـور بالقرب من آثار مدينة ترواده المشهورة قديما بمحاربة اليونانيين ، الكنز الجليـل فى تفسير الانجيل جـ ٤ صـ ٢١٢ بتصرف .

(١) سفر أعمال الرسل (٢٠ : ٤ و ٥) .

(٢) المسيحية (نشأتها وتطورها) شارل جينيبير ترجمة الإمام / عبد الحليم محمود صـ ٣٠ ط٢ مطابع دار المعارف بالقاهره بدون تاريخ .

(٣) إنجيل متى (٥ : ١٧) .

(٤) المسيحية (نشأتها وتطورها) صـ ٣٤ .

الشهرستانى : وقد أوحى إليه انطاقا فى المهد ، وأوحى إليه ابلاغا عند الثلاثين وكانت مدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام . (١)

بعد هذه الفترة مباشرة رفع إلى السماء بينما كانت دعوته حبيسة فى بيت اسرائيل ، يؤمن بها خفية نفر قليل ، وأتباع عيسى عليه السلام متفقون فى ذلك يقول ابن حزم : وأما النصارى فلاخلاف بين أحد منهم ولامن غيرهم فى أنه لم يؤمن بالمسيح فى حياته إلا مائة وعشرون رجلا فقط ، ونسوة منهم امرأة وكيل هردوس وغيرها كن ينفقن عليه أموالهن هكذا فى نص انجيلهم وأن كل من آمن به فإنهم كانوا مستترين مخافين فى حياته وبعده ، يدعون إلى دينه سرا ولايكشف أحد منهم وجهه إلى الدعاء إلى ملته ولايظهر دينه . (٢)

ومايعجب له المرء ، ولايصدقه ذو عقل ، قولهم بعودة المسيح قبل أن يتم تلاميذه مهمتهم التى كلفهم بها ، وهى دعوة بيت اسرائيل فنرى متى يقول عن المسيح عليه السلام : (... فإنى الحق أقول لكم لاتكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان) (٣)

ولذا يطرح السؤال الآتى : (إذا كانت عودة المسيح ستحدث بهذه السرعة قبل أن يتم التلاميذ تبشيرهم فى مدن اسرائيل ، فمن الذى أمرهم بالكرازة بالإنجيل للخليقة كلها والعودة لم تحدث بعد ؟ .

إن الاجابة على هذا السؤال واضحة تماما ، وهى تتفق مع ماسبق بيانه من أن دائرة التبشير المسيحى الحقيقى لاتتجاوز بنى اسرائيل)(٤).

وكان تلاميذ المسيح أدرى من غيرهم بهذا الأمر ، فبعد رفع المسيح وخلال ربع قرن من الزمان أو يزيد ، نجد المسار التبشيرى لم يتجاوز نطاق اليهود ، حتى النشاط التبشيرى المتحرك إلى اليونان ، وروما ، كان لدعوة يهود الشتات ، ولعلهم تعقبوا اليهود المشردين انطلاقا من اشارة المسيح أثناء محاورته مع اليهود ، والتى فهموا منها أنّ المسيح ذاهب لدعوة يهود المنفى فى اليونان حيث قال : أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضى إلى الذى أرسلنى ستطلبوننى ولاتجدوننى وحيث أكون أنا

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ـ هامش الفصل لابن حزم جـ ٣ صـ ٢٩ .
(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ٢ صـ٢١ .
(٣) انجيل متى (١٠ : من الفقرة ٢٣) .
(٤) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر صـ ١٩ باختصار .

لاتقدرون أنتم أن تأتوا فقال اليهود فيما بينهم إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لانجده نحن ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين)[١] .

ويذكر لوقا صاحب سفر أعمال الرسل ان خليطا من اليهود جاءوا أورشليم للمشاركة فى الاحتفال بعيد الخمسين ـ والذى يطلق عليه عيد الأسابيع ـ وبعد أن يقول فى شأنهم : " وكان يهود رجال اتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين فى أورشليم "[٢] يعود فيحدد طوائفهم ومواطنهم فيقول : (فرتيون[*] وماديون وعيلاميون والساكنون مابين النهرين ، واليهودية ، وكبدوكية ، وبنتس ، وآسيا وفريجية ، وبمفيلية ، ومصر ونواحى ليبية التى نحو القيروان ، والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء كريتيون وعرب تسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله)[٣] .

وهذا الجمع الحاشد من اليهود الذين حضروا من مختلف المدن والبلدان يقول لورانس براون فى شانهم : كان أكثر الذين ذكروا هنا يهودا مولدا وذلك لأن اليهود

---

(١) انجيل يوحنا (ص٧ : من الفقرة ٣٣ ـ ٣٥) .
(٢) سفر أعمال الرسل (٢ : ٥) .
(*) الإشارة إلى معانى الكلمات التى تحتاج إلى توضيح فى النص : فرتيون : " أهل فرتيا " وفرتيا قسم من بلاد الفرس بجوار الخليج العربى .
وماديون : أى أهالى مادى وبلادهم تقع فى الشمال الغربى من بلاد فارس ، وجنوب بحر الخزر .
وعلاميون : وهم سلالة عيلام بن سام وبلادهم كانت ولاية من مملكة فارس ، وتسمى اليوم " كردستان " .
ومابين النهرين : أى بين " نهرى دجلة والفرات " واليهودية نسبة للأماكن التى وجد بها اليهود وقتها .
وكبدوكيه : ولاية فى اسيا الصغرى جهة الشرق .
وبنتس : ولاية فى شمال اسيا الصغرى على شاطىء البحر الأسود ، والمراد بلفظة " اسيا " الجزء الغربى من اسيا الصغرى ، وفريجيه : وبمفيليه ولايتين فى اسيا الصغرى ، ومصر هى البلاد المعروفة والواقعة فى الجزء الشمالى الشرقى من إفريقيا ، وليبيا : تقع غرب مصر فى شمال إفريقيا ، والقيروان مدينة فى تونس اسسها عقبة بن نافع الفهرى وبنى بها " جامع القيروان " عام ٦٧١م بعد فتحه للبلاد .
" كريتيون " من جزيرة كريت الواقعة فى البحر الأبيض المتوسط على بعد خمسمائة ميل من سوريا (يراجع الكنز الجليل فى تفسير الانجيل ج٤ صـ ٢١ ـ ٢٣ بتصرف .
(٣) سفر أعمال الرسل ٢ : ٩ ـ ١٢ .

فى عصر المسيح كانوا قد تبعثروا فى كل أرجاء العالم [١].

ومع تبعثر اليهود فى العالم انتقل المبشرون متتبعين لهم فى الشتات وهذا مايلاحظ دائما وغالبا من حصر التبشير وقصره على اليهود يشير إلى هذا المفهوم قول : أحمد عبد الوهاب: وبعد قتل " استفانوس" وتشتت أغلب التلاميذ والتابعين استمر التبشير المسيحى منحصرا فى اليهود ، إلا ماكان يقوم به بعض الغرباء مثل القبارصة وغيرهم من تبشير بين اليونانيين ، أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينقية [*] وقبرص وانطاكية ، وهم لايكلمون أحدا بالكلمة إلا اليهود فقط . [٢]

وبولس الذى قام بنشر المسيحية بين الأمم كان فى بدء تنصره يبشر بين اليهود دون سواهم .

<u>نبذة عن " بولس " :</u>

اسمه أول الأمر " شاول " وشهر بهذا الاسم العبرى أو الارامى فى سفر أعمال الرسل من أوله إلى الاصحاح الثالث عشر الذى عرف فى إحدى فقراته ب" بولس" [٣]. وشاع اسمه الجديد هذا بين الناطقين باليونانية ومعناه " الصغير " .

ولد بولس الرسول فى طرسوس فى ولاية كيليكيه من أعمال الإمبراطورية الرومانية حيث قضى زمن طفولته وكان أبوه فريسيا من سبط بنيامين . [٤]

---

(١) تفسير سفر أعمال الرسل دكتور لورانس براون تعريب حبيب سعيد صـ ٦٠ .

(*) " فينقية " : لفظ أطلقه اليونان على هذه البقعة الضيقة من أرض الكنعانيين الواقعة عند سفح لبنان على ساحل البحر .
و" قبرص" : جزيرة فى البحر الأبيض المتوسط .
و " انطاكية " : قصبة قضاء فى ولاية حلب على الضفة الجنوبية من العاصى تبعد ٥٥ ميلا عن حلب يراجع بالترتيب (الفينيقيون وركاز الذهب واكتشاف أميركا ، عبدالله يوسف النحاس صـ ٧ ، ط ٢ مطبعة جريدة البصير ، ١٩٥٠م .

(٢) مراصد الاطلاع جـ ٣صـ ١٠٦٣ (حرف القاف والباء) ، ودائرة المعارف لبطرس البستانى مجلد ٤ صـ ٥٠٦ .

(٣) سفر أعمال الرسل (١٣ : ٩) .

(٤) قاموس الكتاب المقدس صـ ١٩٦ بتصرف واختصار شديد .

وقد حصل على الرعوية الرومانية وهى منصب شرف وتقدير ولقب عظيم يحصل عليه الشخص اما بدفع مال للحاكم الرومانى أو بتقديم عمل جليل للدولة ، وربما حصل "بولس" على هذا اللقب لعمل قدمه والده فى خدمة الدولة فنال ابنه بسببه هذا الشرف

ثقافته :

تلقى بولس ثقافته الأولية فى موطن راسه طرسوس ، ويقال : إنها كانت مركزا للفلسفة الرواقية التى ظهر تأثيرها فى كثير من تعبيراته عن المبادىء المسيحية ، وبعد أن تشبع من هذا الجو المملوء بالثقافة العقلية أرسل إلى أورشليم عاصمة اليهودية فى هذه الفترة ليبحر فى الناموس . (١)

وكان لهذا التعليم أثره فى عقلية " بولس " وبالتالى نالت المسيحية نصيبا وافرا من ثقافته مهما قيل فى ذلك ، " ولايزال الجدل يرتفع بين العلماء والمورخين حول نوع التربية التى تلقاها والموثرات التى تأثر بها قبل اعتناقه المسيحية ، وماتدين له المسيحية من أثر الفلسفة والنحلة الهلينيه "(٢).

دخول " بولس " فى النصرانية :

هذا الشاب اليهودى الملة ، الرومانى النشأة تعصب لليهودية ، فحارب النصارى فى كل مكان واضطهدهم فى كل موقع ، وقصة تحوله إلى المسيحية فيها من الاختلافات ما يجعلها تسقط فى ميدان الاستدلال العلمى ويكفى ذكر نوع واحد من الاختلافات فقد ورد فى سفر أعمال الرسل فى الاصحاحين التاسع ، والثانى والعشرين أن المسيح عليه السلام أمر " بولس " بالذهاب الى دمشق حين ابرق النور لتلقى الرسالة . (٣)

وفى الاصحاح السادس والعشرين أرسله فورا قائلا : " منقذا إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الان أرسلك إليهم "(٤) فأيهما نصدق إرساله فورا ، أو انتظاره لتلقى الرسالة ؟ إنّه يبدو للباحث أن " بولس " من الشخصيات التى تحب وتطلب الرفعة

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٦ بتصرف .

(٢) تاريخ الحضارات العام (روما وامبراطوريتها تأليف / أندريه إيمار ، السيدة جانين أوبواية ، نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر ، فريدم داغر ص ٤٢٠ ، ط ١ بيروت — دار الارشاد للطباعة ١٩٦٤م . بتصرف يسير .

(٣) يراجع سفر أعمال الرسل (٩ : ١٧) ، (٢٢ : ١٠) .

(٤) المرجع السابق (٢٦ : ١٧) .

الدنيوية ولايهمه الدين بالمرة ، وأنه اخترع هذه القصة لتحقيق هذه الأهداف .

" بولس " مبشر لليهود أولا :

انضم " بولس " لحوزة المسيحية فجأة ، ولتحقيق ماتصبو إليه نفسه انخرط فـي سلك التبشير مع تلاميذ المسيح بالرغم من أنه لم يشرف بالتلمذة بين يدى المسيح واتجه إلى اليهود مقتصرا على تبشيرهم وعاكفا على مجامعهم ، ومستخدما عبارات العهد القديم فى أحاديثه معهم فحين أبحر مع برنابا إلى قبرص ، توجها فورا إلى مجامع اليهـود يقول لوقا : " فهذان إذ أرسلا من الروح القدس انحدرا إلى سلوكية(*) ومن هنـاك سافرا فى البحر إلى قبرص ، ولما صارا فى سلاميس(*) ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود وكان معهما يوحنا خادما " .(١)

والفقرة الرابعة عشر من السفر المذكور ، تذكر تحرك بولس برفقته إلى انطاكيـة بيسديه(*) ، لوعظ أهلها ، على طريقة بولس فى المرحلة الأولى من قيامه بالتبشير حيث يبدأ بمقدمة مختصرة من تاريخ العهد القديم ، وينتهى فى السرد التاريخى عند داود الملك المثالى الأول ، الذى تنبأ عنه الأنبيا أن من سلالته سيأتى ملك المستقبـل المثالى ، المسيا .(٢)

هذه مواعظ بولس فى أماكن عبادة اليهود ، يطوف بها عليهم من مجمع لآخر يقول سليمان مظهر : وقضى خمسة وعشرين عاما ينتقل من مدينة إلى اخرى، ومن بلـد إلى آخر ، وحيثما ذهب كان يقصد معابد اليهود حيث يواصل فيها نشر تعالـيم يسوع .(٣)

وكل تلاميذ المسيح كانوا على الدرب سائرين ، فلم يتقدم واحد منهم بالكـرازة إلى غير اليهود فى هذه الحقبة الزمنية وهذا ماترجم عن " يوسابيوس القيصـرى " يؤكـد

(*) سلوكية : مدينة اسمها اليوم السويدية وهى قرب مصب العاصى ، وكانت يومئذ مينـا انطاكية يراجع: الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل جـ ٤ ص ١٧٠ .

(*) "سلاميس" مدينة على شاطئ جزيرة قبرص الشرقى. (قاموس الكتاب المقدس ص ٤٧٥).

(١) سفر أعمال الرسل ٣ : ٤ ـ ٥

(*) " انطاكية بيسديه " تقع على تخوم ولاية بيسديه القديمة ويطلق عليها انطاكيه بيسديه تمييزا لها عن انطاكية سورية التى بدأ منها الرسل رحلتهم (تفسير سفر أعمال الرسل ص ١٦٨ بالهامش) .

(٢) المرجع السـابق صـ ١٧٠ .

(٣) قصة الديانات ص ٤٣٧ دار الوطن العربى للطباعة والنشر بالقاهرة بدون تاريخ .

هذا الأمر :

وعندما تشتت كل التلاميذ ـ عدا الاثنى عشر ـ فى كل اليهودية والسامـــرة ، ذهب البعض كما تقول الكتب الإلهية حتى فينيقية وقبرص وانطاكية ، ولكنهم إلى ذلـك الوقت لم يجسروا على تقديم كلمة الإيمان إلى الأمم ولذلك كرزوا بها لليهود فقط ٠ (١)

ومن يرد المزيد من المعرفة حول هذا النوع من التبشير ويطلع على رحــلات " بولس " فى هذا المضمار فليطالع سفر أعمال الرسل ليعلم الكثير عن سفريات هذا الرجل واكتفى لتتميم الموضوع على سبيل الاختصار بذكر ماحدث من وصول " بولس " " وسيلا " إلى تسالونيكى (*) ودخولهما مجمع اليهود ، ومناقشة " بولس " لليهود ثلاثة سبوت ثم وصولـه برفقة " سيلا " ليلا إلى " بيريه " ووصوله وحده إلى أثينا وعودته منها إلى كورنثوس (*) ثم أفسس ، وفى كل مرة يناقش ، أو يحاج ، أو يعظ اليهود حتى يختم سفر أعمــال الرسل صفحة بولس بوصوله إلى روما وحواره مع اليهود ، ومحاولته اقناعهم بناموس موســى وتعاليم المسيح عليهما السلام ، وقد استجاب البعض وامتنع الأخرون ، وهذه صــورة موجزة لدور " بولس " التبشيرى فى البداية ظهر لنا منها قصره المسيحية على بنى اسرائيل فكيف تحول بها إلى الأمم ، وبصورة مخالفة لتعاليم المسيح عليه السلام ، ذلك ما أبحثه بمشيئة الله تعالى فيما يلى ٠

بولس " وتغيير المسار التبشيرى :

ذكرت قبل ذلك بقليل دخول بولس فى حوزة المسيحية فجأة ، ثم تبشيره بهــا فى دائرة اليهود ، وكما دخل بولس المسيحية بغتة فى وضح النهار لرؤية نهاريــة " فإنه نقل التبشير بنفس الطريقة لغير اليهود فى ظلام دامس لرؤية ليلية " ، وهذا ماسجلـه لوقا : (وظهرت لبولس رؤيا فى الليل رجل مكدونى قائم يطلب إليه ويقــول اعــبر

---

(١) تاريخ الكنيسة ترجمة القس مرقس داود صـ ٦٦ بدون عدد للطبعة مطبعـة الوحدة بالفجالة القاهره ١٩٦٠م٠

(*) تسالونيكى : ولاية من تركيا تعرف الآن " بسلانيك " دائرة المعارف لبطرس البستانى مجلد ٦ صـ ١١٤ باختصـار ٠

(*) " كورنثوس " وهى عاصمة مقاطعة اخائية فى بلاد اليونان تقع على بعد ٤٠ ميلا غربى اثينا (قاموس الكتاب المقدس صـ ٧٩٦) بتصــرف ٠

إلى مكدونية(*) وأعنا ، فلما رأى الرؤيا للوقت طلبنا أن نخرج إلى مكدونية متحققين أن الرب قد دعانا لنبشرهم(١) .

ويعتبر هذا الاتجاه مسار جديد فى الخط التبشيرى المسيحى يقول لورانس براون : ومهما يكن من امر فأن الدخول إلى ولاية جديدة كان بمثابة مرحلة جديدة فى جهود " بولس " التبشيرية(٢) ، الذى ابتدأ فى مد الخط المسيحى من بنى اسرائيل إلى الأمميين ، متخذا مقاومة اليهود له ، ومحاورتهم معه ذريعة ، لهذا السلوك فانفلت من بينهم ونفض ثيابه مما علق بها من رجسهم كما ذكر سفر أعمال الرسل : واذ كانوا يقاومون ويجدفون نفض ثيابه وقال لهم دمكم على رؤوسكم أنا برئ من الآن أذهب إلى الأمم .(٣)

وصدر هذا الكلام منه بعد خروجه من أثينا ، ودخوله كورنثوس ، حيث دعى اليهود ، فصدوه بعنف فتصرف بعصبية ردًا على فعلهم ، وكأنه أراد ان يثبت لهم أنه فى استطاعته هداية غيرهم ، وليس الأمر مقصورا عليهم ولذا يقول الدكتور / لورانس براون : (وقد سار نشر الدعوة فى كورنثوس فى الطريق العادى ، فنادى " بولس " أولاً بين اليهود ، مثبتا أن المسيا هو يسوع ولكن لما تقست قلوبهم وعابوا فى يسوع ، ترك المجمع وأخذ يعمل بين الأمم وهو يقيم فى بيت رجل متعبد لله يدعى تيطيوس يوستس)(٤).

ثم زار مرة أخرى مكدونية واخائية(*) ، وانطلق إلى أورشليم عاقدا العزم على الذهاب إلى رومية ، تحقيقا لرؤية راها يقول لوقا : (وفى الليلة التالية وقف به الرب وقال : ثق يابولس لأنك كما شهدت بمالى فى أورشليم هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضا)(٥) .

(*) مكدونية : إقليم شهير ببلاد " أوربا " يحد من الجنوب إقليم تساليا ومن جهة الشرق اقليم ترامسه ومن الشمال والغرب سلسلة جبال فاصلة بينه وبين إقليم بلغار (يراجع : كتاب اتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات فى أوربا ترجمة خليفه بن محمود ج٢ صـ ٣٣ " الخاتمة " طبع مطبعة بولاق بمصر ١٢٥٨ هـ .

(١) سفر أعمال الرسل (١٦ : ٩ ـ ١٠) .

(٢) تفسير سفر أعمال الرسل ١٩٤ .

(٣) سفر أعمال الرسل (١٨ : ١٦) .

(٤) تفسير سفر أعمال الرسل صـ ٢١٤ ، ٢١٥ .

(*) اخائية : إقليم كان فى الأصل جزءا من بلاد اليونان فى الجنوب فى شبه جزيرة البليوبس وفى زمن العهد الجديد كانت إخائية ولايه رومانية تشمل بلاد اليونان الواقعة جنوب مكدونية (يراجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٣١) .

(٥) سفر أعمال الرسل (٢٣ : ١١) .

وانطلق بولس مبشرا بمسيحية على هواه ، لا كما تحدث عنها المسيح فالمفهوم الصحيح للنصرانية الحقة ، هو إتمام مسيرة موسى عليه السلام وإعلان اليهود بمجيء النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم ، لكن "بولس" لما صدمه اليهود ولم يستجيبوا لقوله طوّع المسيحية لأفكاره واتسعت دائرة تبشيره جغرافيا كما اتسعت جنسيا ووصل قطرها من أورشليم إلى روما ، وكان منطقة : (بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله حتى أنى من أورشليم وماحولها إلى اللّيريكون(*) قد أكملت التبشير بانجيل المسيح ولكن كنت محترصا أن أبشر هكذا ، ليس حيث سمى المسيح لئلا ابنى على أساس لآخر)(١)

"بولس" نقض تعاليم المسيح عليه السلام :

لقد أعلن المسيح عليه السلام أن رسالته قائمة على أساس الناموس وقد ذكرت ذلك سابقا ، والناموس حرم كثيرا من الأطعمة ، والتى من بينها لحم الخنزير ، والميتة وكل اللحوم المحرمة ذكرت فى الاصحاح الحادى عشر من سفر اللاويّين ، وورد أيضا عطلة السبت فى نفس السفر : (ستةَ أيام يُعمل عمل وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلةٍ محفلٌ مقدس عملا مالا تَعملوا ...)(٢) .

لكن "بولس" كان حريصا كما قال أن يبشر على طريقته ليس على طريقة المسيح ولم يعد بولس مقيدا بأن يوصى المتنصرين الأمم بالامتناع عن أكل لحم الخنزير والعمل يوم السبت ابتغاء مرضاة اليهود .(٣)

وبهذا تتحرر المسيحية رويدا من قيود اليهودية ، وتصبح نحلة ميسرة تتقبلها أى أمة ، وبالطبع لم يرض اليهود بهذا المسلك واعترضوا طريق "بولس" فانبرى بطرس على الفور مؤيدّا له يقول لوقا : (فبعد ماحصلت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم أيُّها الرجال الإخوة انتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمى يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويومنون والله العارف القلوب شهد لهم معطيا لهم الروح القدس كما لنا أيضا)(٤) .

(*) اللّيريكون كانت إقليما رومانيا واقعا على الشاطئ الشرقى لبحر الأدرياتيك (تاريخ الكنيسة ، يو سابيوس القيصرى ترجمة القس مرقس داود ص ١٠٦ بالهامش .

(١) رسالة بولس إلى رومية (١٥ : ١٩ ، ٢٠) .

(٢) سفر اللاويين (٢٣ : من الفقرة ٢) .

(٣) تفسير سفر أعمال الرسل ص ١٧٣ .

(٤) سفر أعمال الرسل (١٥ : ٨ ، ٩) .

ولايستغرب حدوث هذا الكلام من " بطرس " وموقفه من " بولس " فقد وصفـــه المسيح عليه السلام بأنه شيطان ، وأنه حجر عثرة فى طريقه لأنه يعمل مايرضى النـاس لامايرضى الرب ، يقول متى عن المسيح : فالتفت وقال لبطرس اذهب عني ياشيطـان أنت معثرة لى لأنك لاتهتم بما لله لكن بما للناس) [١] ولايفوتنى أن أذكر بما قيـل عنه إنه : هو أول من دعا إلى تغيير التوراة فى " الشريعة " وقد غيرها هو ومـن معه [*] من أجل الرومان أولا ، الذين أرادوا أن يدخلوهم فى النصرانية بسهولة . [٢]

وبهذا التحول الخطير وضعت بذور الأناجيل فى التربة الوثنية الغربية كمـا وضعت سابقا فى التربة اليهودية ، واستطاع "بولس" أن يحقق هدفه من هذا الباب فجعل النصرانية مظلة فوق من يستظل تحتها فقال (الدعوة التى دعى فيها كل واحـد فليلبث فيها) . [٣]

فإذا دعى اليهودى إلى النصرانية وقبل الدعوة فليعمل بحسب شريعته التى درج عليها وهى شريعة موسى ، وإذا دعى اليونانى إلى النصرانية وقبل الدعوة فليعمل بحسب قوانين بلاده التى تحكم المواطنين وبحسب العادات والتقاليد التى درج عليها فالمهـم عنده أن يطلق على الفرد لفظ مسيحى وفقط ، ويبرز فكره المشار إليه واضحا فى رسالتـه إلى أهل كورنثوس حيث يدعو معاونيه إلى تقبل كل داخل فى حظيرة المسيحية أيا كانت هويته ، وأياً كان سلوكه حتى بعد الدخول فيها فيقول : (كونوا بلا عثرة لليهود ـ ولليونانيين ولكنيسة الله كما أنا أيضا ارضى الجميع فى كل شئ غير طالب مايوافق نفسى بل الكثيرين لكى يخلصوا) [٤] .

ومازال لهذا الفكر أثر قائم لوقتنا الحاضر ، فالمبشرون والمبشرات لايتورعـون عن ارتكاب أى شئ فى سبيل نجاح خطتهم بدعوى أنهم يخلصون غيرهم من العـذاب والحرمان ، وما إلى ذلك .

---

(١) انجيل متى (١٦ : ٢٣) .
(*) ويقصد بمن معه : بولس ، ويعقـوب .
(٢) الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسـلام واثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام للإمام القرطبى تحقيق الدكتور / أحمد حجـازى السقا جـ ١ صـ ٤٧٩ مطابع دار التراث العربى بالقاهره بدون تاريخ .
(٣) رسالة بولس الاولى إلى كورنثوس (٧ : ٢٠) .
(٤) المرجع السابق (١٠ : ٣٢ و ٣٣) .

" بولس " وتحريف المسيحية :

يرى الدارس في تاريخ المسيحية ، أنها كرسالة سماوية أصابها التحريف وقد تسلل التغيير لها رويدا رويدا ، وظهر بصورة ملفتة للنظر على يد " بولس " الذى طوع المسيحية للفلسفة الإغريقية ، وساعده في هذا المضمار ثقافته الفلسفيه التى تلقاها في مسقط رأسه " طرسوس " ، ولذا لم يغب دوره في تحوير المسيحية عن العالم الاسلامى الجليل الشهرستانى حيث ذكره بعد كلامه عن المسيح : وصعد إلى السماء وكان وصيه شمعون (×) الصفا وهو أفضل الحواريين علما وزهدا وأدبا غير أن فولوس (×) شوش أمره وصير نفسه شريكا له وغير أوضاع علمه وخلطه بكلام الفلاسفة ووسوس خاطره ٠ (١)

ويؤكد حقيقة مزج المسيحية بالفلسفة الإغريقية باحث من مفكرى الغرب المسيحى مشيرا إلى ما تركته رسائل بولس من معالم تنطق بهذه الحقيقة قائلا : وقد أدى اتصال الكنيسة بالعالم الهلينى منذ البداية إلى محاولات لتفسير غوامض العقيدة المسيحية بالفلسفة الإغريقية وأتت تلمس أثار هذه المحاولات حتى في رسائل القديس بولس ٠ (٢)

وبذا وصل تأثير الوثنية في الرسالة النصرانية إلى هذا الحد ، فدمجت تعاليم عيسى بالأفكار الوثنية ، وتمت عملية المزج في البوتقة البوليسية ، حتى إذا تم الانصهار خرجت بتشكيلة جديدة ، هى مسيحية بولس ، التى فيها المسيح الرب ، وابن الله ولا دهشة لأحد بعد توجيه النصيحة للمبشرين بالقول الآتى :

إن عمل المرسل المسيحى ليس أن يدعو الناس من الهيكل الوثنى إلى كنيسة الله بل أن يشعل فتيلة الله المدخنة في الهيكل الوثنى ، ويصب بعض الزيت من التعاليم المسيحية فيضئ المصباح بلمعان جديد ٠ (٣)

(×) شمعون الصفا : اسمه الأصلى سمعان ، دعاه المسيح لمصاحبته ، وسماه " كيفا " وهى كلمة آرمية معناها في هذه اللغة " الحجر أو الصخرة " ثم ترجم هذا الاسم إلى اللاتينية في كلمة معناها الصخرة في هذه اللغة ،هى : " بطرس " وهى رئيس الحواريين وله جهود واضحة في التبشير بالمسيحية في عهد المسيح ومن بعده في كثير من البلاد (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام دكتور على عبد الواحد وافى ص ٦٨ ، ٦٩ ٠

(×) فولوس : المقصود به " بولس "

(١) الفصل وبهامشة الملل والنحل للشهرستانى ج ٣ ص ٣٢ ٠

(٢) تاريخ العالم نشره بالانجليزية السيرجون ٠ ١ ٠ هامرتين المترجم بوزارة التربية والتعليم المجلد الرابع ص ٣٦٢ ٠

(٣) تفسير سفر أعمال الرسل ص ٢٠٧ ٠

وبهذا العمل تتلاشى المسيحية وتذوب بل تحترق وتصير رمادا يتطاير وسط رياح الوثنية ، وهيهات لها أن تنير أو تلمع كما يزعم ، وهكذا يستمر التيار فى مجراه فتنتهى حياة " بولس " وتبقى تعاليمه ، ينقلها جيل عن جيل ، مع اضافات وتحسينات من عند انفسهم ، يظنون انها تتمشى مع التطور الزمنى ، ولكنها فى الواقع انتكاسة للعقل ورجوع بالانسانية السوية الى الوراء ، وكان " لبولس " الدور الاكبر ، واليد الطولى فى صنع الانتكاسة البشرية فى جانب العقيدة وتحريف الملة المسيحية ، فبالرغم من اعتراف المسيح عليه السلام بتوحيد الله تعالى وشهادته على نفسه بانه رسول الله حيث يقول (... إن أول كل الوصايا هى اسمع يا اسرآئيل الرب الهنا رب واحد)[1] ويقول الله تعالى : (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأ بين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ، إنّ اللّه هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) .[2]

بالرغم من هذا يجئ " بولس " ليقول : إن المسيح ابن اللّه ، والمسيح الرب كما ورد فى رسالته لأهل روميه : (وتعيين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات ، يسوع المسيح ربنا ...) [3] ، ويقول أيضا : (مبارك اللّه أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية) .[4]

ويشيع مهزلة صلب المسيح فداء للبشرية الآثمة ، شاكرا ربه أن قدم ابنه قربانا لخطيئة بنى آدم ، قائلا : (شاكر بن الآب الذى أهلنا كشركة ميراث القديسين فى النور ، الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا) .[5]

وحيال هذه الافتراءات ، أُذكر بقول الله عز وجل : (وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن اللّه ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يوفكون ، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون اللّه والمسيح ابن مريم وما أُمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)[6] وقوله تعالى (ألا تزر وازرة وزر أخرى) .[7]

---

(١) انجيل مرقس (١٢ : من الفقرة ٢٩) .
(٢) سورة الزخرف الآيتان ٦٣ ، ٦٤ .
(٣) رومية (١ : من الفقرة ٤) .
(٤) رسالة بولس الثانية إلى كورنثيوس (١ : ٣) .
(٥) رسالة بولس إلى كولوسى (١ : ١٢ـ ١٤) .
(٦) سورة التوبة الآيتان ٣٠ ، ٣١ .
(٧) سورة النجم الآية ٣٨ .

مسار المسيحية بعد بولس :

انتهت حياة بولس ، وبقى أثارها ، والتى من أفظعها ادعاء ألوهية المسيح وقد علمنا أنه تاثر بالفلسفة فى عصره ، وتابعه فى السير على منواله يوحنا ، صاحب الإنجيل ، هذا الرجل اقتبس فكرة " الأفلاطونية " فى تعدد الآلهة ، وساعده فى إخراجها إلى حيز الوجود ، أنّ إنجيله آخر الأناجيل المعتمدة تدوينا فقد ظهر على مسرح التاريخ حوالى سنة ٩٥ او ٩٨ م .

" فما من شك فى أن كاتب هذا الإنجيل الذى روى فيه حياة المسيح متأثر بالأفلاطونية فهو لايصور لنا المسيح كما صورته الأناجيل الثلاثة الأولى ، ابن الانسان وحسب إنما هو عنده " الكلمه " أو " اللوغوس " والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، وترى المسيح يعلن وجوده الأزلى بقوله : " قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن "(١) (٢).

وإذن فقد شقت هذه الفكرة – أى كون المسيح هو الكلمة الإلهى – طريقها إلى الكنيسة فى هذا الوقت المبكر ، على أن الكنيسة لم تكن فى ذلك الوقت قد كونت عقيدة ثابتة عن علاقة الكلمة بالله من جهة ، وعلاقته بالمسيح الإنسان من جهة أخرى " (٣)

ونظرا لانتشار المسيحية فى هذه الحقبة التاريخية فى بلاد برز فيها تعدد الألهة ، فقد ظهر تعدد الألهة فى مصر فى صورة آلهة ثلاثة كل إله له دور يقوم به .

يقول الدكتور روف شلبى : وخصصوا لكل إله وظيفة :

أوزيريس : وظيفته الإنبات والخصوبة فهو إله النيل .

ايزيس : وظيفتها الحكمة والتشريع والسحر والوفاء والإخلاص .

تـوت : وظيفته العلم والتدبير . (٤)

وعلى نفس الشاكلة كان اليونانيون ، والرومانيون ، يعددون الآلهة وإن قلنا إنهم نقلوا كثيرا من مظاهر معتقداتهم عن المصريين القدماء لانكون قد تعدينا الصواب : يقول المرحوم الدكتور / محمد أبو زهره : اعتقد الرومان ، كما اعتقد اليونان من قبل بأن كل

---

(١) انجيل يوحنا (٨ : من الفقرة ٥٨) .
(٢) يراجع تاريخ العالم جـ ٤ صـ ٣٦٣ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) آلهة فى الأسواق (دراسة فى النحل والأهواء القديمة فى الشرق) صـ ٢٥٨ طـ ٣ الدار الاسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة بالقاهرة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

مايحدث فى هذا العالم هو ما قضت به إرادة خالق له ، ولكنهم لم يعتقدوا بوحدانية الخالق ، بل عددوا أربابهم بتعدد مظاهر الطبيعة التى تتجلى فيها أوامر آلهتهم ونواهيها ، فهناك رب بنيت البذر ، وآخر يحمى الحقل وثالث يحرس الثمار ، وهكذا ولكل رب اسمه وجنسه وعمله فعندهم للسماء إله وللشجاعة إله ، كما عند اليونان وسموا إله السماء جوبتر وإله الحرب مارس ، وإله الشجاعة هركوليس وهو مايسمى عند اليونان هركليس ، وقد اقتبسوا أيضا بعض أسماء آلهتهم وخواصها من المصريين القدماء .(١)

وكل هذه الأفكار المضللة تسربت إلى المسيحية وتسربلت بها المسيحية بصورة حيرت العقول ، وكان لمدرسة الإسكندرية المسيحية نشاط بارز فى هذا المضمار .

مدرسة الإسكندرية(*) والمسار المسيحى :

تمت عملية التقريب بين المسيحية والوثنية ، بل والخلط بينهما فى مدرسة الإسكندرية وكانت نهاية القرن الثانى الميلادى مسرحا لارتداء المسيحية ثوب الفلسفة الإغريقية يقول الدكتور / ابراهيم نصحى : ومما يجدر بالذكر أنه فى القرنين الثانى والثالث قامت الإسكندرية بدور كبير فى التقريب بين أسس الأفكار فى الوثنية والأفكار التى انبثقت من المسيحية فإلى جانب " الجامعة " القديمة التى استمرت تتابع دراساتها الوثنية نشطت المدرسة المسيحية الكبرى التى أسسها بنتلينوس (Pantaenus) وكانت أصول الإيمان تُعلم فيها عن طريق السؤال والجواب .(٢)

وللمرء أن يتصور مدى تأثر هذه المدرسة بالوثنية وبالتالى تلاميذها ، إذا علمنا أن أحد الذين تولوا عمادتها وقع أسيرًا للأفلاطونية ، فى الوقت الذى كان يحاربها فى الساحة الكبرى للصراع الإسكندرية لا روما .

---

(١) مقارنات الأديان (الديانات القديمة) الدكتور / محمد أبو زهره ص ١٤ بدون عدد للطبع ، دار النصر للطباعة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥م .

(*) مدرسة الإسكندرية : يبدو أنها أنشئت أصلا لتعليم الموعوظين أى الراغبين فى الدخول إلى الايمان ثم اتسعت وقد لعبت هذه المدرسة دورا داما فى التاريخ الكنسى تحت ادارة اكليمنص الإسكندرى (تلميذ بنتينوس) كما أدارها أيضا " أوريجانوس " " هركلاس " و " يوتسيوس " و " ديديموس " وغيرهم حتى القرن الرابع حيث توارت (تاريخ الكنيسة ـ يوسابيوس القيصرى ص ٢٢٥ بالهامش مع التصرف) .

(٢) تاريخ الحضارة المصرية (العصر اليونانى والرومانى والعصر الإسلامى) المجلد الثانى تأليف نخبة من العلماء ص ١٣٩ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بدون تاريخ .

وقد دون هذا فى كتاب تاريخ العالم : ففى مدرسة الإسكندرية اللاهوتية الجدليه Catechetical School. بدأ " بنتاينوس " " وكليمنت " فى ختام القرن الثانى يفصلان الأفكار المسيحية مستعينين بالفلسفة الاغريقيه ، وكان من تلاميذها "أوريجانوس" أبو اللاهوت المسيحى الذى تولى عمادة هذه المدرسة سنة ٢٠٣م وحسبنا أن نقول عن تعاليمه فى هذا المجال إنه وقع تحت تأثير دعاة الأفلاطونية الحديثة بينما كان يحاول محاربتهم وترجم عقيدة الكنيسة إلى آراء تحمل طابع تفكيرهم . (١)

الأثر المباشر لهذه الفلسفات :

تركت هذه الفلسفة آثارا خطيرة على المسيحية ، من أهمها : تغلل مظاهر الوثنية فى هذه الرسالة السماوية ، فأجهزت على صلب الدعوة النصرانية ، وحجبت نور التوحيد بظلمات متراكمة بعضها فوق بعض ، وكلما اخترقت مصابيح الموحدين ظلمة وجدت أخرى وكان بوسع دعاة التوحيد بعد العناء والجهد المضنى أن يخترقوا هذه الظلمات ويزيلوا كل الحجب ، فيرى العامة والخاصة التوحيد نورا يتلألأ ، لكنهم حين اقتربوا من نهاية الشوط ، وجدوا سيف السلطان مسلطا على الرقاب وحاميا للوثنية من كل باب وكان قسطنطين قائد الرومانيين الوثنيين ، حامى حمى السيحيين ، هو الدرع الامين لطائفة المضلين ، فزاد معالم المسيحية تحريفا ، فأكمل دور " بولس " وحقق ماعجز عن تحقيقه .

هذا بالاضافة إلى ماحدث بين المسيحيين من جراء هذه الفلسفة فقد شهد القرن الثانى الميلادى انقسامات خطيرة فى صفوفهم وتعدد مخيف لفرقهم ظل فترة كبيرة من الزمن مما اضطر معه قسطنطين لعقد مؤتمر للحد من صراعهم ، وذلك فى نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادى ولكى نتعرف على أهم المؤثرات فى المسيحية لهذه الفترة لابد من الإشارة إلى مجموعة من هذه الفرق المتنازعة .
والتى يمكن اجمالهما فى الآتى :

١ ـ طائفة ظلت رافعة لواء التوحيد نورا يضىء الظلمات ويكشف السحب الكثيفه .

٢ ـ طائفة مالت عن التوحيد وتخبطت فى ظلمات الشرك وفقدت الرؤية الواضحة فى سحب الوثنية وتأثرت بالفلسفات الأرضيه .

---

(١) جـ ٤ صـ ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

أهم فرق الطائفة الثانية :

أ ـ فرقة المرقيونيين : وهى تنسب إلى مرقيون أو مرسيون وهو من رجال القرن الثانى الميلادى ، وكان قسيسا ، ثم حكم عليه بالطرد والحرمان ويقوم مذهبه على الاعتقاد بوجود إلهين أحدهما الإله العادل ، والآخر إله الخير الذى ظهر متمثلا فى المسيح وخلص الانسانية من خطاياها ، وبظهوره بطلت جميع الآلهة الأول .

وقد تعسفت هذه الفرقة فطرحت أسفار العهد القديم ، ومعظم أسفار العهد الجديد وحرمت الزواج على جميع أفرادها رجالا ونساء فتناقصت تدريجيا حتى انقرضت تماما فى القرن العاشر الميلادى . (١)

ب ـ فرقة البربرانيه : وهى قديمة النشأة كسابقتها ، وبقى امتدادها بعد بعثة النبى عليه الصلاة والسلام ، ونشأت منها فرق تؤمن بأفكارها ، واتباع البربرانيه : يقولون بألوهية المسيح وأمه من دون الله عز وجل . (٢)

وقد نزل بشأنها قرآنا يتلى إلى قيام الساعه : (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب) . (٣)

جـ ـ فرقة إليان وهم صنف من اليعقوبيه ، ولما كانت اليعقوبية تؤله المسيح كذلك الأليانية ، وهم يزيدون على اليعقوبيه فى نظرتهم الخاصة بشأن المسيح عليه السلام وتفسيرهم الخيالى لمولده يقول الشهرستانى فيهم : وزعم قوم من اليعقوبيه أن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئا لكنها مرت بها كالماء فى الميزاب ، وما ظهر من شخص المسيح عليه السلام فى الأعين هو كالخيال والصورة فى المرآة وإلا فما كان جسما متجسما كثيفا فى الحقيقة ، وكذلك القتل والصلب إنما وقع على الخيال والحسبان وهؤلاء يقال لهم الاليانية ، وهم قوم بالشام واليمن والأرمينيه قالوا وإنما صلب الإله من أجلنا حتى يخلصنا . (٤)

---

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة صـ ١٠٦ بتصرف واختصار .
(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل صـ ٣٩ .
(٣) سورة المائدة الآية ١١٦ .
(٤) الفصل فى الملل والأهواء والنحل بالهامش الملل والنحل للشهرستانى صـ ٤٣ .

د ـ فرقة التثليث وألوهية المسيح :

وقد ذهبت إلى أن الاله ثلاثة أقانيم وهى الآب والابن والروح القدس ، وبرزت هـذه الفكرة فى خواتيم القرن الثالث ، وهذا مادعى صاحب تاريخ العالم إلى القول : ويلاحظ أن عقيدة التثليث ـ أى القول بان الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم فى إلـه واحد ـ كان لها الغلبة فى روما قبل أن يختم القرن الثالث[1] ، وظلت فكرة مطروحة للمناقشة والرد حتى انعقد المجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١م ـ أى لمدة قـرن بالتقريب ـ فقرروا فيه أن الاب وروح القدس ثلاثة أقانيم ، وثلاثة وجوه ، وثلاث خـواص وحدية فى تثليث ، وتثليث فى وحديه ، كيان واحد فى ثلاثة أقانيم[2] وبذا تكامـل للقوم ثالوثهم ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

أهم فرق الطائفة الأولـى :

أ ـ فرقة أبيون : وهى تقر شريعة موسى عليه الصلاة والسلام وترى المسيح عليـه السلام مجرد بشر رسول ، وتم انقراض هذه الفرقة فى أواخر القرن الرابع الميلادى .[3]

ب ـ فرقة " بولس الشمشاطى " : كان " بولس " تلميذا من تلاميذ مدرسة الاسكندرية ورسم فيما بعد اسقفا لكرسى انطاكية سنة ٢٦٠م تقريبا ، وكان يؤمن بعقيدة " أرتيمـون " القائلة بأن المسيح كان مجرد إنسان وأنه كان ممتلئا قوة الهية من وقت ميلاده ، وعقـد المخالفون لقوله مجامع متعددة فى انطاكية ، للنظر فى أمره حتى تمكنوا من خلعه حوالـى سنة ٢٦٨م .[4]

وكان هدفهم من وراء خلعه ذبح مقالة التوحيد ، بطرد قائلها ورفضه ، ولو كـان من يأخذون منه أمور دينهم ، كهذا القس الجرئ فى الحق ، والذى يقول فيه ابـن حزم : وكان بطريركا بانطاكية قبل ظهور النصرانية وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح وأن عيسى عبد الله ورسوله ، كأحد الأنبياء عليهم السلام خلقه الله تعالى فى بطـن

---

(١) جـ٤ صـ ٣٦٣ .
(٢) محاضرات فى النصرانية صـ ١٥٣ .
(٣) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام صـ ١٠٨ باختصار وتصرف .
(٤) تاريخ الكنيسة صـ ٣٤٣ بالهامش مع التصرف .

مريم من غير ذكر ، وأنه انسان لاإلهية فيه ، وكان يقول لاأدرى ما الكلمة ولا الروح القدس [1] ، وشاءت ارادة الله أن تنتقل مقالة "بولس" المذكور بالرغم من اضطهاد قائلها ولعنه وطرده كما نعلم .

ج ـ فرقة أريوس : على الرغم من اضطهاد "بولس الشمشاطى" ورفض مقالته فسان لوقيان تلميذ "بولس" تمسك بأراء استاذه ، وملخص قوله أن الكلمة صار أقنوما فى يسوع المسيح ، فالمسيح ليس إلها لأن الجوهر الإلهى ، وهو الكلمة خلقها الله ، واتخذت جسد المسيح ، فلم يعد المسيح هو الإله الواحد ولم تعد له طبيعته . [2]

وتلقف " أريوس" تلميذ مدرسة الاسكندرية ـ فكرة لوقيان بعقليته الواسعة وبصيرته النيرة ، وأخذ على عاتقة صد كل فرقة تقول بالتعدد ، يقول عنه الدكتور / على عبد الواحد وافى : وقد أخذ على نفسه أوائل القرن الرابع الميلادى مقاومة كنيسة الاسكندرية فيما كانت تذهب إليه من القول بألوهية المسيح وبنوته للآب فقام يقرر أن المسيح ليس إلها ولا ابنا لله إنما هو بشر مخلوق . [3]

ويصور صاحب تاريخ العالم حماسته ، وخوفه من ضياع التوحيد بواقعية لانظير لها فيقول : فألقى بنفسه فى المعمعه مدفوعا بغيرته على وحدانية الاله وبساطته .

فكان لمشاركته فيها من النتائج مازعزع أركان الكنيسة والإمبراطورية جميعا [4] ، ورهبت كنيسة الاسكندرية فى وجهه " ولم تأل جهدا فى محاربته ومحاربة أرائه ، وكالعادة حكمت عليه بالطرد من الكنيسة فلم يوهن ذلك من قوته ، فقد كان أتباعه وناصريه كثيرين ومنتشرين فى الاسكندرية ، وأسيوط ، وفلسطين ، ومقدونيه والقسطنطينية " [5] .

ومن سوء حظ المسيحيين تدخل قسطنطين ، فقد كان يوسع أتباع الحق أن ينصروه على الباطل لكن عصا السلطان ، وغوغاء العامه مكنتا مناصرى الباطل من تحقيق هدفهم ، فقد أدرك قسطنطين خطورة الأمر واتساع دائرة النزاع فعقد مجمع "نيقيه"

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ١ صـ ٣٩ .
(٢) تاريخ العالم جـ ٤ صـ ٣٦٤ ، ٣٦٥ بتصرف .
(٣) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام صـ ١٠٩ .
(٤) تاريخ العالم جـ ٤ صـ ٣٦٥ .
(٥) يراجع الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام صـ ١٠٩ بتصرف .

الشهير وتم فيه الإجهاز على كل قول ينطق بوحدانية الله ، ومنذ حدوث هذا المؤتمر لعصرنا الحاضر ومفكرو المسيحية فى مأزق حرج لايعرفون بابا للخروج منه ، حيث أقر مجمع نيقيه ألوهية المسيح وتلته مجامع أخرى ثلثت الالوهية كما علم وأخذت المسيحية تتنقل من الدائرة " البوليسية" إلى الدائرة القسطنطينية ، ومن ينصب فيها وصارت مسيحية الملوك منذ تدخل قسطنطين فمن هو قسطنطين ؟ .

من هو قسطنطين ؟ :

هو قسطنطين بن قسطنطينوس كلوروس[*] له الدور الكبير فى ظهور المسيحية فقد ظهرت بالإمبراطورية الرومانية فى عهده بعد خفاء وجاهر بها أتباعها بعد استتار " وهو أول ملوك الطبقة الثانية وهم المنتصرة " ويعرف بأمه هيلانى واليها ينسب وقد ملك اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وهو الذى أظهر دين النصرانية .[1] ، وقد أراد ان يستنصر بالمسيحيين فى حربه ضد خصومه فأكسب المسيحية قوة ولو أنها قوة شكلية إلا أنها أثرت فى انتشارها وزيوعها فى الوقت الذى أثرت فيه على تعاليمها

كيف اكتسبت المسيحية قوتها ؟

فى عام ٣١٣م بدأ المسيحيون يتنفسون الصعداء فقد أصدر الإمبراطور الرومانى " قسطنطين " منشور " ميلان " [*] بموافقة " ليكنيوس "[*] ، امبراطور الشرق ، وهذا المنشور يمنح بموجبه الحرية الدينية لجميع رعايا الإمبراطورية بالإضافة إلى ذلك قرر المنشور أن تدفع التعويضات للمسيحيين عن جميع أملاكهم المفقودة ، وأن تبنى الكنائس المسيحية من جديد وتعمر[2] وهذا المنشور ورقة رابحة قدمها قسطنطين ليظفر بالحكم وحده بلا منازع فبعد عام من صدوره قرر مهاجمة امبراطور الشرق ثم تقابلا فى معركة متكافئة ، رجحت فيهما

(*) يقول صاحب " الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة ص ٧٥ " إن قسطنطين ـ قسطنديوس خلوروس " وهو موافق لما ذكر بأعلى الصفحة مع اختلاف يسير نتيجة لترجمة الكلمة إلى العربية .

(١) كتاب " التنبيه والاشراف لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ص ١٣٧ طبع بمطبعة بريل فى مدينة " ليدن " عام ١٦٦٧م بتصرف يسير .

(*) ميلان : أو " ميلانو " حاليا . Milano مدينة فى شمال إيطاليا شهيرة بقبة كاتد رائيتها المنجد فى العلوم لمجموعة من الأساتذة ذوى الاختصاص ص ٧٠١ ط ٨ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٧٦ .

(*) ليكينيوس : امبراطور رومانى فى القسم الشرقى (٣٠٧ ـ ٣٢٤م) اتفق مع قسطنطين على سياسة التسامح مع المسيحيين ثم تراجع عنها فحاربه قسطنطين وقتله ، المرجع السابق ص ٦٢١

(٢) " صراع عبر الزمان " أو المسيحية معركة متواصلة تأليف السيده مايل وربرتن نقله إلى العربية القس ايليا خورى ص ٤٠ مطبعة النيل المسيحية بدون تاريخ .

كفة امبراطور الغرب بعض الشيء ، فاضطرا سويا إلى اتفاق وضعت الحدود فيه بينهما فكان " لليكينيوس" جزء من أوربا بينما ظفر " قسطنطين " بجل أوربا وظل يعد الجيش لمعركة فاصلة مع خصمة مهيئا لأسباب النصر من تنظيم للإدارة وتدريب للجيش وتسليحه بالاضافة إلى تحببه للمسيحيين ، لكسب ودهم ، حتى إذا وقعت الواقعه جعلهما حربا بين المسيحية والوثنية ، فبالرغم من عنف المعركة لم تستمر أكثر من عام ففى سنة ٣٢٣م لقى الامبراطور الشرقى شر هزيمة ومات منتحرا بينما حكم قسطنطين الإمبراطورية موحدة مدى أربعة عشر عاما بلا منازع وحقق فى هذه الفترة أمورا كثيرة من أهمها :

١ ـ تأكيد قرار " ميلان " بقرار تسامح نهائى جديد سنة ٣٢٤م ، كان له أثره البالغ على المسيحيين والمسيحية .

٢ ـ الاعتراف بالمسيحية ضمن الديانات المعترف بها فى الامبراطورية وهذا ماحدث فى مؤتمر نيقيه عام ٣٢٥م .

٣ ـ نقل عاصمة الامبراطورية من روما فى الغرب إلى القسطنطينيه فى الشرق عام ٣٣٠م وظل يحكم منها امبراطوريته حتى وافته المنيه عام ٣٣٧م.

٤ ـ بدأت المسيحية فى الحقبة الاخيرة من حكم " قسطنطين " تأخذ دورها فى الامبراطورية مسايرة للجو السياسى والاجتماعى ، وانتهى عهد دخول الناس فى المسيحية عن اقتناع إلا ماندر ومنذ عهد قسطنطين وللعصر الحاضر والمسيحية مفروضة بالسلطان السياسى فى الظاهر مرة ، وفى الخفاء مرة أخرى وخير شاهد على هذا كتاب " تراث العصور الوسطى " حيث يقول مؤلفاه : ذلك أنه اذا استعرضنا تاريخ انتشار المسيحية منذ أيام قسطنطين رأينا أن ذلك الانتشار تم باضافة أفواج من الناس لابدخول أقوام معينين فى حظيرتها ومع التسليم ببعض الاستثناءات الواضحة من هذه القاعدة كان اعتناق الناس عموما للمسيحية ـ على حد قول التعبير الحديث ـ عملا من أعمال الدولة ، حيث اضطلع الملوك وغيرهم من أرباب السلطان السياسى بادخال رعاياهم معهم فى الدين أو باخضاع جماعات غريبه عنهم لمشيئتهم الدينية عن طريق الفتح ، استجابة ولاريب لنشاط المبشرين ، وتنفيذا فيما بعد لرغبة البابويه .(١)

كما كان للدوافع المادية أثرها فى دخول كثير من الوثنيين فى المسيحية فيد السلطان مع العطاء المالى قد ساعدا على فوز هذه الملة بالنجاح ولو أنه فى الواقع نجاح مزيف ، وهذا ماشهد به موريس بقارينى :

---

(١) ج كرامب ، اجاكوب ترجم بإشراف وزارة التعليم العالى راجع ترجمته: محمد بدران ، ومحمد مصطفى زيادة جـ ١ صـ ٤٥ مطبعة مخيمر بالقاهرة ١٩٦٥م.

إن ما أخذت المسيحية تنعم به من مراعاة السلطات العامة منذ اهتداء قسطنطين قد ساهم ولاشك فى تضخيم صفوفها ، بانضمام كثيرين إليها ، مندفعين بدوافع مادية أكبر منها دينية وهذا خطر يقع فيه كل مذهب يفوز بالنجاح . (١)

وينبغى أن لايغيب عن الباحث فى الملة النصرانية حقيقتان أولاهما ان قسطنطين قد جعل نفسه حامى حمى المسيحيين لا المسيحية ، وثانيتهما " أنه لم يتقبل المعمودية إلا وهو على فراش الموت " (٢) كذلك ظل طوال حياته محتفظا بلقبه الوثنى فهو الكاهن الأعظم ، وكان يعتبر يوم الأحد يوم إله الشمس الذى لايقهر . (٣)

وهذا يؤكد وثنيته فى الباطن ، بل فى الظاهر أيضا وكونه أبدى ميلا للمسيحيين إنما هو فى الواقع سياسة اتخذها لتحقيق مآربه ، وقبول زعماء الكنيسة لذلك منه نوع من تبادل المنافع .

وإذا كان الربع الأول من القرن الرابع الميلادى شهد بضم المسيحية ضمن النحل والملل المعترف بها فى روما ، فإنه لم يكد ينتهى هذا القرن حتى صارت الديانة الرسمية للامبراطورية على يد الامبراطور " ثيودوسيوس الكبير " (٣٧٨ ـ ٣٩٥) . (٤)

وظلت المسيحية سائدة فى الدولة الرومانية ، ومتغلغلة فى الدول الغربية بالرغم من الصراعات بين طوائفها وبين رجال الدين مع بعضهم البعض ، ثم بين البابوية والأباطرة ، حتى جاء الاسلام بنوره وحدث اللقاء بين المسيحيين والمسلمين بأرض الحبشه فى القرن السابع الميلادى .

---

(١) تاريخ الكنيسة " المجامع المسكونية الأولى والغزوات الكبرى " نقله عن الفرنسية الأب ج.عقيقى اليسوعى جـ ٢ صـ ٤٥ بدون عدد للطبعة ، مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٦م .

(٢) يراجع " معالم تاريخ الإنسانية هـ. ج . ويلز : ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد جـ ٣ صـ ٧١٧ ط ٣ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهره ١٩٧٢م .

(٣) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة فى " مدينة الله " د / اسحاق عبيد ، د / جورج شحاته قنواتى صـ ٥٥ . بدون عدد للطبعة ـ مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢م . باختصار .

(٤) تاريخ الحضارة المصرية صـ ٢١٧ بتصرف .

اللقاء الأول بأرض الحبشة :

فى السنة الخامسة للبعثة النبويه أشار الرسول " صلى الله عليه وسلم " على اصحابه بالهجرة الى الحبشة ، ونفذ الصحابة أمر النبى صلى الله عليه وسلم والتقى أتباع محمد " صلى الله عليه وسلم " باتباع عيسى " عليه الصلاة والسلام " على السماحة والرحمة ثم تلى ذلك لقاء " بيت المقدس " حين تولى عمر بن الخطاب عقد الصلح ، وتم فتح ايلياء سنة سبع عشرة من الهجرة وحدث اللقاء الثالث فى فتح مصر حين كان أميرها من قبل هرقل هو " المقوقس " ثم وصل عمرو بن العاصى إلى مصر سنة تسع عشرة من الهجرة النبوية ، وفى هذه اللقاءات كان الكرم والتسامح سمة بارزة بين اتباع النبيين الكريمين ، وقد علق على هذه المقابلات مع المقارنة بغيرها من المقابلات العدوانيه فى أسلوب فياض الكاتب : عبد الحميد الكاتب قائلا :

وكان هذا أول لقاء بين الاسلام والمسيحية وبين المسلمين والمسيحيين وكان لقاء كريما بين أتباع دينين كتابيين ، يختلف أحدهما عن الآخر فى بعض المعتقدات ولكنهما يلتقيان فى تعظيم عيسى بن العذراء البتول ، مثلما يلتقيان فى كثير من المبادئ الأخلاقيه التى يحض عليها دين أوحى به الله .

ولكن ما أبعد الفرق بين هذا اللقاء وماجرى فيه من تعاطف ومودة وبين ماجرى بعد هذا من لقاءات أو مواجهات ومصادمات على مدى عصور متتالية .

ما أبعد الفرق بين اللقاء الأول وغيره من القاءات التى تمت فى صدر الاسلام فى " بيت المقدس " وفى " مصر " ، وبين اللقاءات التى كانت معارك وحروبا ومذابح فى الحروب الصليبية التى شنتها الكنيسة المسيحية فى أوربا ، وشنها الحكام والأمراء المسيحيون من أوربا .

وأفظع من هذا وأبشع أعمال التنكيل والتعذيب ، وحرب الابادة التى قام بها الملوك والملكات ، وباركها البابوات فى روما ، ودفع إليها الناس فى طيش وجنون حتى قضوا على الإسلام (*) والمسلمين فى الأندلس . (١)

(*) لايستطيع مخلوق أن يقضى على الاسلام .

(١) أخبار اليوم ص ١٠ العدد ٢٠١٧ (السنة الثالثة والثلاثون) ١٥ رمضان ١٤٠٣هـ = ٢٥ يونيه ١٩٨٣م .

ونتج عن هذا حركة تبشيرية ظاهرها الدعوة إلى المسيحية والرحمة وباطنها الدعوة الى الاستعمار والعذاب ، وهذا تولد العداء بين أتباع الرسولين وحل محل الوفاق ووسعت دائرة الشقاق وإنها لحرب صليبية وغزوات تبشيرية نحاول عرضها فى ثوبها الحقيقى فيما يلى :

الصلة بين الحروب الصليبية والتبشير

الحروب الصليبية مرحلة من مراحل عدوان الغرب النصرانى على الشرق الإسلامى ولها دوافع سبقتها ، وأثار أعقبتها وصلة هذه الحروب بالتبشير تختلف بحسب نظر الباحث واجتهاده فى تعقب أحداث التاريخ وتحليله لسلسلته المتوالية ، والذى يهم البحث أن نبين ما أفرزته الحروب الصليبية من تدعيم للحركة التبشيريه فما أنتجته هذه الحروب ترتب عليه الأثر المشاهد فى العالم الاسلامى فى العصر الحالى ، من التأخر ، والتفكك ، فحصاد الحرب الصليبية قد أتى أكله فى القرن العشرين الميلادى .

دوافع الحروب الصليبية :

منذ القرون الأولى للهجرة النبوية ورقعة الإسلام فى اتساع مستمر ، وقد بلغ المد الإسلامى مداه فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) فقد ثبت أركانه فى الشرق ببلاد الصين ، وفى الغرب بقلب فرنسا ، وأثار هذا التقدم حفيظة الغرب ، يقول الدكتور / جمال الدين الشيال : ولم يكد يبدأ القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) حتى بدأ الغرب الأوربى المسيحى يضيق بالعرب وبالاسلام ، ويعلن عن رغبته فى عدم السماح لدين آخر غير المسيحية بالبقاء فى أوربا [1] ، وبدأ بالمقدمة ، فأشعلها حربا شعواء على المسلمين فى أوربا ، وذاق مسلموا الأندلس أصحاب الحضارة الانسانية الراقية مرارة التعصب الصليبى ، فسقطت المدن الأندلسية فى أيدى الصليبيين الواحدة تلو الأخرى ، طليطلة ، ثم سرقسطة ، ثم صقلية كما استطاع البيزنطيون بتحريض من البابا بندكت الثامن - أن يحتلوا جزيرة سردينيا [2] ، ونجح الأوربيون فى القضاء على المسلمين فى أوربا ، ولم يكتفوا بذلك ، بل علت الاصوات فى الغرب بدعوة أهل أوربا لاقتحام قلب العالم الإسلامى والاستيلاء على بيت المقدس وكان السلاجقة

---

(١) التاريخ الإسلامى وأثره فى الفكر التاريخى الأوربى فى عصر النهضة ص١٢ بدون عدد للطبعة طبع المؤسسة التجارية للطباعة ببيروت ١٩٦٩م .

(٢) المرجع السابق بتصرف .

المسلمون قد حكموا بلاد الأناضول وآسيا الصغرى بعد طرد البيزنطيين وانتزعوا بيت المقدس عام ٤٧١ هـ - ١٠٧٨ م من الفاطميين ، وبالغ الحجاج المسيحيون فى وصف تعصب السلاجقة الأتراك ووصموهم بسوء المعاملة حتى اثاروا أهل أوربا على المسلمين بينما الأمر لا يتعدى حرص السلاجقة على الإسلام والمسلمين ، والتزامهم بحماية بيت المقدس من كل معتد أثيم ، لكن الصيحات الصليبية وقت بشن الحرب العدوانية ضد مسلمى الشرق بداية من القرن الخامس الهجرى إلى القرن السابع (نهاية الحادى عشر الى الثالث عشر الميلادى) بالتقريب ، وكان الدافع المباشر لمن أشعلوا الحرب انتزاع بيت المقدس من أيدى المسلمين والاستيلاء بعد ذلك على ثروات الشرق ، وصبغه بالمسيحية الكاثوليكية ولقد بين الدكتور / جوزيف نسيم يوسف : سير الحركة الصليبية مع كشف الستار وطرح الأقنعة التى تختبىء بها بقوله : لقد اتجهت الحركة منذ بدايتها إلى تحقيق هذه الأهداف فهى حركة استعمارية بكل ماتحمله هذه الكلمة من معان ، هى استعمار عسكرى اتخذ القوة المسلحة وسيلة لتحقيق أهداف العدوان .

وهى استعمار استيطانى يهدف إلى الاستيلاء على الأراضى واستبعاد النفس البشرية وهى استعمار اقتصادى استغلالى مظهره نهب ثروات البلاد والاستئثار بخيراتها وهى استعمار ثقافى يسعى إلى فرض الحضارة الغربية اللاتينية على العالم العربى وهى أخيرا تعصب دينى يتمثل فى محاولات أوربا نشر الكاثوليكية فى العالم العربى عن طريق الحروب الصليبية ، والبعثات التبشيرية وكما يبدو من تسميتها وشعارها ومن مسلكها وتصرفاتها وبهذه الروح عبرت الحركة بوضوح عن نفسها ،[1] كما يتضح من الإعلان عنها ، ومن العلامة المميزة لها ، ومن منبعها .

البابا " اربان "[*] والحركة الصليبيــة

كانت الدولة البيزنطية فى غاية الضعف بعد سبعة قرون قضتها راسخة القدم فى ملتقى الطرق المارة بين أوربا وآسيا ، وحين أصابها الوهن لاضطرابها داخليا وتناحر طوائفها فاجتمعت الكتلة الروسية على حربها من جهة الغرب حتى دقوا أبوابها فى أوربا بينما كان الأتراك يقطعون أوصال ولاياتها الآسيوية واقترب الزحف التركى من مدينة مانزكرت [*] بأرمينيا البيزنطية .

(١) العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى د / جوزيف نسيم يوسف ص ٨٦ ط ١ مطابع رويال بالإسكندرية ١٩٦٣م .

(*) " اربان الثانى " : ولد فى ضاحية من فرنسا نحو سنة ١٠٤٢م وتقلد كرسى البابوية عام ١٠٨٨م وتوفى فى روما سنة ١٠٩٩م (يراجع دائرة المعارف للبستانى مجلد ٤ ص ٦٠٤) .

(*) " مانزكرت " : اسمها الحالى ملازجرت وهى : مدينة فى شمال شرقى تركيا على مقربة من بحيرة وان . وقعت فيها معركة شهيرة تغلب فيها السلاجقة بقيادة ألب أرسلان على البيزنطيين بقيادة الإمبراطور رومانس ٤ (سنة ١٠٧١م) فانفتحت أبواب آسيا أمامهم (يراجع المنجد فى العلوم ص ٦٣٠ ، ٦٨٢) .

وكاد الجيش البيزنطي أن يقضى عليه عند مانزكرت عام ١٠٧١م واستولى السلاجقة على حمص وأنطاكية (١٠٨٥م) وطرسوس ، ونيقيه ذات الماضى التاريخى الدينى وأخذوا يتطلعون من وراء مضيق البسفور إلى القسطنطينية نفسها ، واستطاع " الكسيوس الأول " (١٠٨١ ـ ١١١٨) أن يحتفظ بجزء من آسية الصغرى بعقد صلح مذل وكادت القسطنطينيه أن تسقط فى أيدى الترك ولما لم يستطع " الكسيوس " صد الغارات التركية والزود عن أملاكه بعث برسله إلى " أربان الثانى " وإلى مجلس " بيا سنزا " Piacenza يستحث أوربا اللاتينية لتساعده على صد هجمات الترك[1] ، وتلقى البابا اربان الدعوة لمحاربة المسلمين بالترحاب ، فقد صادفت هوى فى نفسه لأنها جاءت فى وقت استحكمت فيه حلقة النزاع بين البابوية والامبراطورية ، فأعتقد أنها المخرج لانتصار السلطة الدينية على السلطة الزمنية ولرفعة شأن الكنيسة بعد الانحطاط والتروى ولطرد المسلمين من بيت المقدس ثم واتته الفرصة بقرب انعقاد مجمع فى مدينة كليرمون[*] الواقعة بوسط فرنسا يتولى هو رئاسته .

مجمع كلير مونت

سمى المجمع باسم المدينة المنعقد بها وفترة انعقاده عشرة أيام من ١٨ نوفمبر إلى ٢٨ نوفمبر سنة ١٠٩٥ ، وشهده نحو ثلثمائة من رجال الدين الذين تشعبت أعمالهم وأصدر فى هذه المدة قرارات عامة ضد التقليد العلمانى .[*]

---

(١) قصة الحضارة اول ديورانت ترجمة محمد بدران المجلد الرابع عصر الإيمان صـ ١٣ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧م بتصرف .

(*) تعرف هذه المدينة حاليا باسم كليرمون فران Cler Mont Ferrano وهى تقع فى وسط فرنسا وتنقسم إلى قسمين أحدهما جبلى مرتفع والثانى سهل منبسط (العرب والروم واللاتين ... هامش صـ ٤٧) .

(*) مسألة التقليد العلمانى : المقصود بالتقليد العلمانى هو أن يقوم الحكام العلمانيون من أباطرة وملوك بتقليد رجال الدين مهام مناصبهم الدينية والمعروف أن القانون الكنسى نص منذ القدم على أن يكون تعيين القساوسة بواسطة أساقفتهم .

وأن يقوم القساوسة وغيرهم من رعايا الأسقفية بانتخاب الأسقف ثم يعتمد " البابا " هذا الاختيار ، لكن الأوضاع تغيرت على مر الأيام فتولى الأباطرة تعيين القساوسة (أوربا العصور الوسطى (التاريخ السياسى) د / سعيد عبد الفتاح عاشور ج (١) صـ ٣٤٢ ط (٨) طبع دار الطباعة الحديثة بالقاهرة ١٩٨١م .

والسمعانية(*) ، وزواج القس(*) ، وقرارات خاصة منها حرمان الملك الفرنسي فيليب من الكنيسة لاتهامه بالزنا ، وحرمان أسقف كومبراي لما عرف به من السمعانية والتسليم بقيادة كنيسة ليون على كنيستي سنس(*) Sens. وريمس(*) ، والذي يعنينا هنا أن البابا خصص يوم الثلاثاء ٢٧ نوفمبر قبل نهاية المؤتمر بيوم لالقاء النبأ الهام وحض الحاضرين على دعوة الناس لسماعه . (١)

اعلان البابا الهام

حضر جمهور غفير من القسس ، ومختلف الطبقات وبلغ من كثرتهم أن ضاقت عليهم الكاتدرائية التي انعقد بها المجمع بما رحبت فنقلوا منها كرسي البابوية ، ووضعوه على منصة مرتفعة خارج الباب الشرقي للمدينة وأمام الجمع الحاشد والمحشود قام ايربان الثاني في حماس متدفق ، مخاطبا سامعيه : (أيها المسيحيون إن تلك

(*) السمعانية أو السيمونية : وهي استحصال أو بيع الأمور المقدسة بواسطة المال ونسبت إلى سمعان أو سيمون الساحر ، والذي ولد في " جنون " قرى السامرة وهي المعروفة الآن باسم قرية " جيت " في جوار نابلس والسمعانية من الجرائم الدينية الخطيرة فقد تمكن كثير من الفاسدين من شراء الوظائف الدينية بالمال فشوهت الكنيسة وضاعت سمعتها وقد حكم مجمع خلقدونيه المسكوني الرابع على مرتكبي السمعانية أن يفصلوا في مناصبهم وثبت الحكم مجمع سنة ٤٥٩م في القسطنطينية كما أصدرت المجامع الدينية التي عقدت سنة ١٠٥٩ م قرارات مشددة ضد السيمونيه والاتجار في المناصب الدينية (يراجع دائرة المعارف للبستاني " المجلد العاشر " صـ ٣٤٩ ، أوربا العصور الوسطى جـ ١ صـ ٣٤١ .

(*) أما عن زواج رجال الدين فالمعروف أن معظم الأساقفة ظلوا عزابا في حين أقبل على الزواج معظم القساوسة وصغار رجال الدين والواقع أنه لم يوجد قانون كنسي يفرض حياة العزوبة على رجال الكنيسة وإن وجدت بعض تشريعات في أوائل العصر المسيحي تؤيد مبدأ العزوبة (أوربا العصور الوسطى صـ ٣٤٢) .

(*) " سنس " حي صناعي في بلدة برشلونه التي تقع في جزيرة ايبريا (بلاد الاندلس) وتشتهر بالتجارة والصناعة (يراجع الحلل السندسية في الأخبار والآثار الاندلسية للأمير سكيب أرسلان جـ ٢ صـ ٢٧٢ بدون عدد للطبعة طبع بيروت ١٣٥٥هـ) .

(*) ريمس : من المدن التاريخية في فرنسا تقع شمال البلاد (المنجد في العلوم صـ ٣١٠) .

(١) تاريخ الحروب الصليبية ستيفن رنسيمان ترجمة دكتور / السيد الباز العريني جـ ٢ صـ ١٦٠ ط (١) طبعة بيروت ـ بلبنان ١٩٦٨م بتصرف .

الأرض المقدسة بحضور شخص المخلص فيها وتلك المغارة المرعبه المختصة بفادينا وذاك الجبل الذى عليه تألم ومات من أجلنا وذلك الضريح الذى تنازل لأن يدفن فيه ضحية للموت كلها أضحت ميراثا لشعب غريب ، وغاب كل بهاءها الاصلى وهياكلها قد خربت وأشعة نورها الساطعة تحولت إلى ظلام حالك وهى تستحق الندب الشديد والبكاء ، ولم يعد لله من معبد داخل المدينة المقدسه الخصوصيه والمشرق الذى هو المهد والينبوع المقدس لايماننا لم يعد مشهدا إلا لافتخارات أعمال المسلمين ، وجهات آسيا الاكثر ثروة وغناء قد التحقت بالظلام الى الكره والفقر السهين .

وانطاكية (*)، وأفسس (*) ، ونيقيه (*) قد صارت مدن الاسماعيليين والأتراك قد سدوا ولايتهم الى حدود " هاليبوتوس " لابل إلى ابواب القسطنطينيه .

ومن هناك ذراع هؤلاء الشعوب الشديد يتهدد بأن يستولى على كل ممالك الغرب [1] ". وليس هذا كل خطابه وإنما جزء يسير منه ، ولقد دعى فى نفس الخطاب مسيحى الغرب أن يطرحوا العداء فيما بينهم ، ثم يتوجهوا محاربين يدا واحدة ضد المسلمين ، وبالغ فى المصاعب التى تعترض حجاج المسيحية ، ووعد المحاربين بحماية عائلاتهم وأملاكهم ، ومنحهم صكوك الغفران مقابل العدوان ، ولم ينس الصليب فى هذا الجو المملوء بالحماس فأمر بجعله علامة بارزة فى الحرب ، وحرض أساقفة فرنسا لنشر صيحة القتال ، وأنهى التحرشات بهذا النداء " فلينطلق المسيحيون بالغرب لنجدة الشرق " . [1]

نتيجة بيان " ايربان ":

١ ـ الاستجابة السريعة للحرب : فقد جاء خطاب " ايربان " مؤثرا حيث حضهم فيه على إنهاء الحرب فيما بينهم ، وتوجيهها إلى المسلمين ، وأثار عواطفهم بإعطائهم صورة قاتمة ومخالفة للحقيقة عن معاملة المسلمين للمسيحيين وخصوصا زوار بيت المقدس ولعلمه بولوغ قومه فى المعاصى منح صكوك الغفران لمن يقتل فى سبيل الصليب ، فلبى

(*) انطاكية : سبق التعريف بها صـ ٤٢ بالهامش

(*) وأفسس ويقال لها أفسوس : بلد بثغر طرسوس ، وطرسوس : مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم (يراجع مراصد الإطلاع أسماء الأمكنة والبقاع جـ ١ صـ ١٠١ (حرف الهمزة والفاء) ، جـ ٢ صـ ٨٨٤ (حرف الطاء والراء) .

(*) ونيقيه عاصمة بثينية بآسيا الصغرى وهى التى عقد بها المجمع العام فى أيام قسطنطين عام ٣٢٥م وبثنيه تقع شرق ميسيا على شاطئ البحر الاسود (يراجع الكنز الجليل فى تفسير الانجيل جـ ٤ صـ ٢١٢) .

(١) المرجع السابق صـ ٦ بتصرف ، تاريخ الحروب الصليبيه جـ ١ صـ ٦٠ ، وموسوعة العصور الوسطى (العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطى والغرب اللاتينى فى العصور الوسطى ـ الدكتور / عادل زيتون صـ ٨٤ ، ٨٥ ط ١ مطبعة دار دمشق بدمشق ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

المستمعون النداء بهتافات مدوية " هكذا أراد الله " Deusievolt ولم يكد البابا ينتهي من خطابه ، حتى نهض من مجلسه أسقف لي بويه Lepuy فركع أمام عرش البابا ، والتمس منه الإذن بأن يلحق بالحملة المقدسة وتزاحم مئات من الحاضرين لينتهجوا مثاله ، ثم ركع الكاردينال " جريجوري " على ركبتيه وأخذ يتلو بصوت جهوري قداس الاعتراف Confiteor فيردده وراءه جموع الحاضرين فلما انتهت الصلاة نهض "ايربان" مرة أخرى وتلا التحلل وأمر سامعيه بالانصراف إلى بلادهم .(١)

وهذا المشهد يبين بوضوح تأثير رجال الدين المسيحي في هذه الحقبة التاريخية على أتباع ملتهم ، ويكشف استغلالهم للمواقف لخدمة مصالحهم بطريقة عجيبة ولو على جماجم الشعب المسيحي .

٢ ـ قيام المبشرين بالدعوة للحرب : قام بعض الأساقفة بالتجول في بلاد الغرب لدعوة أهلها لهذه الحرب " ومن هؤلاء المبشرين " روبرت أربرسيل " الذي أنشأ طائفة " فونتيفرول " بل أشد من ذلك ما أقام به الراهب الطواف المعروف باسم بطرس(*) هو الذي أطلق عليه الناس بطرس الصغير لقصر قامته ، وبطرس السائح لكثرة أسفاره وعرفوه بعد ذلك باسم بطرس الناسك لشدة زهده ، وخشونة مظهره ، ولقد طوف في كثير من بلاد الغرب يحثهم على الحرب وكون مريدين له في كل بلدة زارها ليقوموا بدوره في دعوة الناس ، وأينما توجه بطرس ونوابه غادر الرجال والنساء دورهم كيما يتبعوه ، فلم يكد يبلغ كلونيا حتى بلغ عدد اتباعه ١٥ ألف شخص .(٢)

وهذا يعطينا دليلا واضحا على أن من يطلقون عليهم دعاة سلام ومحبة هم في الواقع دعاة حرب وخصام .

٣ ـ قيادة الكنيسة للحملة : عقد " اربان " العزم على أن تقود الكنيسة الحملة الصليبية ولم يدر بخلده أن ذلك جرم في حق المسيحية ، ستسجله فيما بعد الكتب التاريخيه ولذا اتخذوا قرارا بالاجماع بأن يكون أسقف لي بويه(*) قائدا للحملة .(٣)

وهو جدير بهذا المكان ، موثوق به من قبل الجميع وقد أثبتت التجربة أنه مبشر بارع ودبلوماسي ماهر على أنه لم يقتصر الأمر على قيادة الكنيسة للحملة وإنما عاونها

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية صـ ١٦٢ بتصرف .

(*) بطرس الناسك نحو(١٠٥٠ ـ ١١١٥م) راهب فرنسي نادى بالحملة الصليبية الأولى وسار على رأسها ١٠٩٦م (المنجد في العلوم صـ ١٣٥) .

(٢) يراجع المرجع السابق صـ ١٧٠ .

(*) يسمى هذا الأسقف : أدهيمردي منتيل ـ المرجع السابق هامش صـ ١٦٤ .

(٣) المرجع السابق .

بعض الامراء ، ومنهم " ريموند كونت تولوز " وهو أول من طلب ذلك فقبل منه الاشتراك فى الحرب ، فتعاون فى اخلاص مع الأسقف المذكور ، وهكذا اثمر خطاب " اربان الثانى " الثمرة المرة بقيادة الكنيسة للحملة الحربية الصليبية وهى المشرفة على القيادة الروحية فهدم صرحا من صروح المسيحية ونقض بندا من بنود المسيحية ، وهو الدعوة الى السلام فتبنت الكنيسة الدعوة الى الحرب ، وحملت مشاعل العدوان .

الفترة الزمنية للحروب الصليبية :

تعددت وجهات نظر المؤرخين فى تحديد الفترة التاريخية للحروب الصليبية فمنهم من يرى أنها بدأت منذ سطعت شمس الاسلام ، وعم نورها شبه الجزيرة العربية من غير اعتبار لزمان أو مكان ، وفئة من المؤرخين تعتبر الحرب ضد المسلمين فى بلاد الاندلس ، هى الاخرى حروب صليبيه ، والكثرة منهم ترى امتداد زمنها من نهاية القرن الحادى عشر الميلادى إلى أخريات القرن الثالث عشر ، ويضيف البعض الحروب التى حدثت فى القرن الرابع عشر الميلادى ضمن الحروب الصليبية ، والواقع يشهد بأن بدايتها عام ١٠٩٥م منذ دعا اليها " اربان الثانى " وأمر المقاتلين بحمل شارة الصليب ، وهى التى من أجلها سميت بالحروب الصليبية ، وهذا الامر لايمنع من أن لهذه الحروب مقدمات بدأت منذ فجر النبوة الاسلامية ، كما اعتبرت سنة ١٢٩١م نهاية لها لان السلطان الاشرف خليل قد استولى على مدينة "عكا " أخر معاقل الغرب فى نفس العام ، وإن كان هذا لايمنع من أن آثار هذه الحروب باق إلى مابعد القرن الثالث عشر .

الحروب الصليبية

بعد ذكر دوافع الحروب الصليبية ، والإشارة الى فترتها الزمنية نعود إلى ايجاز الحملات الشهيرة دون التعرض التفصيلى لها ، لان الذى يفيد البحث هو النتائج المترتبة على الحروب الصليبية .

أ ـ الحرب الصليبية الأولى :

وتنقسم الى حملتين :

١ ـ حملة شعبية : وهى حملة غير منظمة ، تكونت من مجموعات شعبية من مختلف البلدان ، أثارهم الرهبان ، فخرجوا من وادى الدانوب متجهين إلى

القسطنطينية ، كل مجموعة تسير على هواها ، ترتكب من الفظائع مايعجز عن وصفه البيان ، من نهب للأموال وسفك للدماء وانتهاك للحرمات ، حتى لحق بهم بطرس الناسك بحشد كبير عند القسطنطينيه ، وعبر الجميع البسفور الى مدينة نيقيه ، حيث لاقوا مصيرهم المحتوم يقول هـ.ج.ويلز ماترجمته : وهناك لم يهزمهم السلاجقة فقط بل ذبحوهم عن بكرة أبيهم ،[1] فلاقوا حتفهم جزاء وفاقا .

٢ ـ حملة منظمة : جاءت مجموعات هذه الحملة عام ١٠٩٧م من معظم بلدان الغرب تحت لواء الامراء الذين شاركوا فيها أمثال " جودوفروادى بويون " وأخوة " بودوين " " وبوهمند " ، وابن اخته " ريمون تانكرد " و " ريموند كونت تولوز " وقد ذكرت سابقا أنه أول من انضم من الأمراء لمعاونة قيادة الكنيسة ، وزحف الكثير منهم إلى انطاكية واستولوا عليها بعد مقتل كثير من أهلها ، واستأنفوا المسير الى القدس فدخلوها عنوة في يونيو سنة ١٠٩٩م بعد حصار دام أربعين يوما انتهى بذبح سبعين ألفا من سكانها يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن فى وصف دخولهم المدينة : وقد حدثت على أثر دخول الصليبيين مذبحة شنيعة قتل فيها أكثر من سبعين ألفا حتى خاضت خيولهم فى بحر من الدماء كما ذكر جودفرى فى رسالته إلى البابا يهنئه فيها بالظفر .[2]

وبهذه الصورة المؤلمة لكل غيور ، والتشفى الواضح من قبل المغيرين انتهت الحلقة الأولى من الحروب الصليبية ، ولم يكن النصر فيها يرجع إلى قوة الغرب وإنما مرجعه إلى الآتى :

١ ـ ضعف القوى الإسلاميه فى الشرق الادنى وانحلال أمورها ذلك ان دولة السلاجقه التى حطمت قوة الروم فى"ا تزكرت" لم تلبث أن تعرضت للذبول السريع بحيث لم تكد تحل سنة ١٠٩٧م إلا وكانت قد انقسمت إلى خمس ممالك متنافسة وقد أدى ضعف دولة السلاجقة ومادار بين ملوكها من حروب أهلية إلى انتشار الفوضى فى بلاد الشام والعراق بوجه خاص .

٢ ـ فى ذلك الوقت كانت الخلافتان الإسلاميتان اللتان تنازعتا شعور المسلمين فى الشرق الأدنى ، وهما الخلافة العباسية فى بغداد ، والخلافة الفاطمية فى القاهرة

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث صـ ٨٨٤ .

(٢) تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى (العصر العباسى الثانى فى مصر والمغرب والأندلس) ج ١ صـ ٢٤٧ ط ٢ مطبعة المعرفة با لقاهره ١٩٨٢م .

تمران بدور واضح من الضعف .

٣ ـ أدى النزاع بين الخلافتين إلى ظهور إمارات تحت سيطرة أمراء كل واحد منهم يحاول الاستقلال بإمارته ، فعم التفكك صفوف المسلمين فلما وصل الصليبيون إلى بلاد الشام فى أواخر سنة ١٠٩٧م وجدوا أمامهم قوى إسلامية ضعيفة ، أنهكها النزاع المذهبى وباعدت بينها المنافسات والأطماع مما مكن الصليبيين من تحقيق مكاسب سهلة وسريعة فى آن واحد .(١)

ب ـ الحرب الصليبية الثانية

كما نفخت البابوية فى أبواق الحرب الصليبية الأولى صنعت مثل ذلك فى الثانية فاستغاث القديس " برنار "(*) بالبابا " يوجينوس "(*) الثالث لينادى مرة أخرى بحمل السلاح .

ولما كان البابا مشغولا بالنزاع مع الخارجين على الدين فى روما نفسها طلب من القديس " برنار " أوف كليرفو أن يقوم هو نفسه بالدعوة لها ، واتخذ " برنار " سبيله مباشرة إلى الملك " لويس السابع " وأقنعه بأن يحمل الصليب ، ثم وقف والملك إلى جانبه وأخذ يخطب الجمع الحاشد فى فيزلاى (١١٤٦م) ولم يكد يتم خطبته حتى تطوع الجمع كله لحمل السلاح وبهذا اشترك " لويس السابع " الفرنسى فى هذه الحرب ، والإمبراطور " كونراد الثالث " امبراطور ألمانيا(٢) وتحرك لويس بجيشه إلى الشام بطريق البحر حتى وصلوا إنطاكية وسار الجيش الألمانى إلى عكا ثم اتفق الجيشان على الاستيلاء على دمشق عند ئذ فاجأتهم قوات " عماد الدين زنكى " وأحاطت بهم من كل جانب تحت قيادة ابنيه سيف الدين زنكى ، الذى خلفه فى ولاية الموصل ونور الدين محمود الذى خلفه فيما بعد فى ولاية حلب واضطر الصليبيون إلى التقهقر ، وأرغم كنراد الثالث إمبراطور ألمانيا على العودة إلى بلاده بسبب مرضه وتبعه ملك فرنسا بعد قليل وانتهت هذه الحرب بإخفاق الصليبيين والذى يلفت النظر هنا ، أن هذه الحرب أشعلها رجال الدين كسابقتها لكن نتيجتها وقعت مخالفة للحرب الأولى فأعطت دفعة قوية للمسلمين جمعت صفوفهم وكان النصر فيها حليفهم .

---

(١) أضواء جديدة على الحروب الصليبية دكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور صـ ٢٦ ، ٢٧ بدون عدد للطبعة مطابع دار القلم بالقاهرة ١٩٦٤م .

(*) " برنار " أو " برنروس " (القديس) (١٠٩٠ ـ ١١٥٣م) راهب فرنسى قام بإصلاح الحياة الرهبانية فأسس دير كليرفو " بفرنسا " ودعا إلى الحملة الصليبية الثانية (يراجع المنجد فى العلوم صـ ١٢٧) .

(*) " يوجينوس الثالث " أو " اوجانيوس الثالث ": ولد نحو سنة ١١٠٠م وجلس على كرسى البابوية سنة ١١٤٥م ، وكان من المرتبين للحرب الصليبية الثانية وتوفى عام ١١٦٣م . يراجع دائرة المعارف للبستانى مجلد (٤) صـ ٥٩٢ .

(٢) قصة الحضارة جـ ١٥ صـ ٣٠ بتصرف واختصار .

جـ ـ الحرب الصليبية الثالثة

وهى امتداد للحرب الصليبية الثانية ، وشاءت إرادة الله أن يحكم " مصر " "صلاح الدين الأيوبى" ، فوحد صف مصر وبغداد ، وجمع شتات الشام ، ثم دعى إلى الجهاد المقدس ، وبفضل الوحدة الإسلامية ، والقيادة المؤمنة ، هزمت الصليبية فى موقعة حطين سنة ١١٨٧م ، ولم يكتف صلاح الدين بذلك ، وإنما تعقب الصليبيين .

يقول الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور : فاستولى على ماكان بأيديهم من مدن وموانى ساحلية جنوبى عكا ، ليقطع الصلة بينهم وبين الغرب الأوربى كما استولى على مدينة " بيت المقدس " ذاتها سنة ١١٨٧م .(١)

وأثار هذا الحديث شعور الغربيين بالرغم من تسامح " صلاح الدين " ورأفته فى معاملة المسيحيين ، فأخبار حطين وضياع بيت المقدس حركت الشعور العام فى غرب أوربا .

ولم تلبث أن وصلت إلى الشرق الحملة الصليبية الثالثة ، وعلى رأسها " فردريك باربروسا " امبراطور ألمانيا ، " ورتشارد ـ الملقب قلب الأسد " ملك انجلترا ، " وفيليب أوغسطس " ملك فرنسا ، وقد وضعوا خطة لاسترداد بيت المقدس ، فأرسل " ريتشارد " إلى " صلاح الدين " يطلب الصلح .

وهكذا دخل الفريقان فى مفاوضات أدت إلى عقد صلح " الرمله " فى أوائل سبتمبر سنة ١١٩٢م ، وهو الصلح الذى حفظ للمسلمين بيت المقدس مع السماح لحجاج المسيحيين بحرية الحج والزيارة .(٢)

د ـ الحرب الصليبية الرابعة

هذه الحرب لم يقدر لها النجاح ، وذلك لأن كلا من الملك " ريتشارد " ملك انجلترا ، والملك الفرنسى فيليب عادا من الحرب الثالثة إلى بلادهما وكل منهما انشغل بالاصلاحات الداخلية ، ووقف كل منهما للآخر بالمرصاد .

---

(١) أضواء جديدة على الحروب الصليبية صـ ٣٢ .
(٢) المرجع السابق صـ ٣٤ ، ٣٥ .

" ولذا لما أرسل البابا " اينوشيوس الثالث "(*) منشورا لكل منهما يحضه فيه على تخليص القدس من قبضة المسلمين لم يهتما بمنشور البابا ".(١)

ومن لبى دعوة البابا من أمراء النمسا وألمانيا ، لم يتمكنوا من المجيء إلى القدس يقول هـ . ج ويلز : ولم تصل معظم الحملة الصليبية الرابعة إلى الأرض المقدسة بتاتا ، خرجت من البندقية (١٢٠٢م) واستولت على " زرارا " وعسكرت فى القسطنطينية (١٢٠٣م) وأخيرا نهبت المدينة (١٢٠٤) وكانت الحملة هجوما مشتركا صريحا على الإمبراطورية البيزنطيـــة ، فاستولت البندقية على شطر كبير من شواطىء الامبراطورية وجزرها ، وأقيم أمير لاتينى هـــو " بلدوين " الفلاندرى امبراطور بالقسطنطينية .(٢) ، وكانت نهاية الحملة على هـــذه الصورة ، على أن الأمر لم يقتصر على هذا الحد من السُّعار فلما سئم البالغون الاستجابـــة لمطلب الحرب كانت " حملة الأطفال " التى قضى الجوع والطريق على الكثير منهم وبيع باقــى الغلمان فى سوق الرقيق فى ثغور " تونس " و " مصر " .(٣)

باقى الحملات الصليبيـــة :

ثم كانت الحملة الخامسة على مصر وبعد أخذ ورد ، عادت من حيث أتت " ثم كانت الحرب السادسة (١٢٢٨ ــ ١٢٢٩م) وانتهت برحيل فردريك الثانى قائد الحملة من بيت المقـدس عائدا إلى ايطاليا ، وتبعتها الحملة السابعة (١٢٤٨ ــ ١٢٥٤م) وقادها لويس التاســع متوجها إلى مصر ، وحاول الاستيلاء على دمياط ١٢٤٨م ، ثم وقع أسيرا فى موقعة المنصورة (١٢٥٠م) وتم اطلاق سراحه بعد ذلك نظير فدية فرحل إلى عكا وأقام بها أربع سنين رحل بعدها الـــى أوربا ، ولم يحدث أن خرجت بيت المقدس من قبضة المسلمين حتى عام (١٩١٨م) .

ثم الحملة الثامنة : وهى حملة على تونس قام بها لويس التاسع ملك فرنسا بعد العفـو عنه عام (١٢٦٧ ــ ١٢٧٠م) ، ولكنه قضى نحبه أمام تونس (١٢٧٠م) كمدا وحسرة وبهـــا سقطت امارات الصليبية الواحدة تلو الاخرى (٤) ، وهكذا انتهت الحملات أو الحروب الصليبية الثمان بهزيمة الفرنجة وعودتهم إلى أوربا لكنها تركت آثارا فما هى آثارها على العالـــم الإسلامى ؟ والعالم أجمع ؟

(*) " اينوشنيوس الثالث " تقلد كرسى البابوية من سنة ١١٩٨م الى سنة ١٢١٦م دائـــرة المعارف للبستانى مجلد (٥) صـــ ٨ .

(١) الأخبار السنية فى الحروب الصليبية صـ ٢١٧ ، ٢١٨ بتصـــرف .

(٢) معالم تاريخ الانسانية ــ المجلد الثالث صـــ ٨٩٠ .

(٣) المستشرقون نجيب العقيقى جـ ١ صـ ٦٣ ط (٣) طبع دار المعارف ١٩٦٤م بتصرف .

(٤) يراجع المرجع السابق صـ ٦٣ ، ٦٤ باختصـــار .

نتائج الحروب الصليبية

١ ـ أكدت الحروب الصليبية أن القوة العسكرية لاتفلح مع الشرق الإسلامى ، فالحرب الصليبية قد استمرت فترة زمنيه كبيرة ومع ذلك لم يستطع الغرب بقوته أن يحكم قبضتـــه على الشرق المسلم ، وبقيت مدينة " بيت المقدس " بأيدى المسلمين لعام (١٩١٨م) .

٢ ـ أثرت هذه الحروب على الكنيسة ، والبابوية ، بل على المسيحيين والمسيحية عموما ، وكانت عاملا مشجعا على ظهور حركة الاصلاح الدينى سافرة .

٣ ـ لفتت أنظار الأوربيين للبحث عن منافذ سهلة للوصول لقارتى آسيا وإفريقيـــا فى محاولة لاستغلال ثروات القارتين فظهرت الرحلات الاستكشافية المدعمة بالأموال الأوربيـــة ومن ذلك ماراه " وليم روبركورى " مبعوث الملك التاسع إلى خان المغول من مغامراتـــه الجريئة فى آسيا الوسطى .

وفى سنة ١٢٧١م بدأ " ماركو بولو " رحلته الشهيرة فى آسيا فمر بالموصـــل وبغداد وخراسان ، حتى وصل إلى بلاط خان المغول ، وهناك أوفده الخان مبعوثـا إلى بعض البلدان الآسيويه مثل بورما والصين والهند وفارس ، فوصل البندقية سنة ١٢٩٥م حيث كتب رحلته التى ضمنها كثيرا من مشاهداته ومغامراته .[1]

واطلع أهل الغرب على الرحلة فى القرن الرابع عشر فسال لعابهم ، وهمـــوا بالبحث عن سبيل يوصلهم إلى السيطرة على القارة الآسيويه ، ولم تقصر الكشـــوف الجغرافية الاستعمارية على آسيا ، فقد ازداد " هنرى الملاح " شغفا بثروات إفريقيـــا زيادة على تعصبه الدينى الذى أشار إليه "بانيكار" بقوله : وقد غذى منذ أيام طفولتـــه بلبن تصوف دينى مسيحى عسكرى يخالطه بغض مرير للإسلام[2] . فدفعه حقده إلـــى محاولة السيطرة على بلاد الإسلام ونهب ثرواتها ، فوضع المعالم وكان هدفه منذ حوالـــى ١٤١٧م وضع الخطة الاستراتيجيه الكبرى التى تطوق جناح الإسلام ، وتحمل العالم المسيحى رأسا إلى المحيط الهندى .[3]

---

(١) الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى دكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور جـ ٢ صـ ١٢١٧ ط ٤ طبع دار الطباعة الحديثة بالقاهـرة ١٩٨٢م .

(٢) آسيا والسيطرة الغربية تأليف ك . م . بانيكار ـ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مراجعـة أحمد خاكى صـ ٢٥ بدون عدد للطبعة طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .

(٣) المرجع السابق .

فدرب رجاله البحريين على فن الملاحة ، وبناء السفن يقول الدكتور زاهر رياض:
ولم يلبث أن وجه جهودة نحو جنوب بحر الظلمات بجوار الساحل الإفريقي ، وكان التقدم بطيئا في أول الأمر ، إذ لم يصل سنة ١٤٣٤م إلا إلى "رأس بوجادور" وحاول اكتشاف الساحل الإفريقي الصحراوي ولكن خلال السنين القصيرة التاليه اكتشف " جزر ماديرا " ومجموعة جزر " أزورس " فكانت أول مستعمرات برتغاليه فيما وراء البحار . [1]

واستطاع ملاحو البرتغال أن يحققوا الحلم الكبير للقوة البرتغاليه المسيحية بكشف معظم القارة الإفريقية ، فوصلوا الرأس الأبيض في ١٤٤١م والرأس الأخضر في سنة ١٤٤٦م ومصب السنغال ، ثم وصلوا " سيراليون " سنة ١٤٦٠م وهي السنة التي مات فيها " هنرى" ونفذوا بتجارتهم إلى "مالي" ، [2] ويقول الدكتور زاهر رياض:

وواصلت البرتغال سياستها الكشفية والاستعمارية تحت حكم " جون الثاني " الذي كان يرمي إلى إيجاد مملكة مسيحية في غرب إفريقيا ليتخذها قاعدة يتوغل منها خلال القارة إلى الهند [3] وهذه هي النية الحقيقية من وراء الكشوف الأوربية التي لم تقف عند حد بل واصلت سيرها إلى ساحل غانا وعبرت خط الاستواء ، وهكذا إلى أن جاء "فاسكودي جاما" ، وعاود الرحلة فوصل إلى نهاية القارة في سنة ١٤٩٨ وأطلق عليها اسم رأس الرجاء الصالح ودار حول القارة حتى وصل الى الساحل الشرقي . [4]

ولا يفوتني أن أذكر بأن هؤلاء المكتشفين سبقهم إلى هذه الكشوف العرب وهم قد استفادوا من العرب بالأدلاء وبالعلوم التوضيحية العربية وأذكر من هؤلاء العرب المسعودي، أبو الريحان البيروني الفلكي المشهور ، وابن بطوطة، وابن ماجد . [5]

وهذه النخبة الكريمة وصلت لهذه المناطق قبل كشوف الغربيين بعدة قرون من أجل العلم والمعرفة لا طلبا للمال والسيطرة بخلاف من دفعتهم الأطماع الشخصية والتوسعية فأعقبت كشوفهم حركة استعمارية وبعثات تبشيرية كما سنعلم أنها كانت تمهيدا مباشرا للحركة التبشيرية المنظمة .

---

(١) استعمار إفريقية د / زاهر رياض ص ٢١ بدون عدد للطبعة طبع الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م .
(٢) المرجع السابق ، وموجز تاريخ إفريقية ـ رولاند أوليفر ، وجون فيج ترجمة دكتورة دولت أحمد صادق ، مراجعة دكتور / محمد السيد غلاب ص١٢٦ بدون عدد للطبعة مطابع كوستا توماس بالقاهرة ١٩٦٥م .
(٣) استعمار إفريقية ص ٢٢ .
(٤) المرجع السابق .
(٥) الفينيقيون وركاز الذهب واكتشاف أمريكا ص ٢٨ ـ ٣١ بتصرف .

٤ ـ أفرزت الحروب الصليبية حركة تبشيرية منظمة ظلت تسلل بكل الطرق إلى بلاد الإسلام ، لتؤدي الدور الذى عجزت عن القيام به الحروب واتخذت هذه الحركة التبشيرية اتجاها جديدا عندما فكر لويس التاسع ملك فرنسا فى نشر المسيحية بين المغول جميعا ، وبذلك يقع المسلمون فى الشرق الأدنى بين شقى الرحى ولايجدون مناصا من اعتناق المسيحية ولذلك أرسل لويس التاسع بالاشتراك مع " البابا أنوسنت الرابع (*) أحد المبشرين الفرانسيسكان واسمه وليم روبركورى إلى خان المغول لاقناعه وقومه بالدخول فى المسيحيه . (١)

وبدأ الاتجاه يزداد إلى تعليم المبشرين اللغات الشرقية وخاصة اللغة العربية وإلى إنشاء كراسى وأقسام فى دور التعليم لمعرفة عادات وتقاليد الأمة الإسلامية ودراسة مناخها الجغرافى ، وتأهيل " جمعيات مسيحية " مكونة من أفراد كل تخصص فيما يحقق هدفا من هذه الأهداف ثم إرسالهم إلى الشرق ، كذلك أشار لويس التاسع على البابا " أنوسنت الرابع " بإنشاء جمعية التبشير الأولى ١٢٥٣م ، وهى الجمعية التى ضمت عددا كبيرا من المبشرين الفرانسيسكان والدومينكان .

على أن أهم شخصية أدت دورا كبيرا لخدمة التبشير فى القرن الثالث عشر كانت شخصية " ريموند لول " وهو أسبانى كرس حياته لمهمة التبشير بالمسيحية بين المسلمين بالذات ، فاقنع ملك ميورقة بانشاء كلية الثالوث المقدس سنة ١٢٧٦ وهناك أخذ يعد مجموعة من المبشرين للقيام بمهمتهم وأهم وسائل الاعداد كانت تعليمهم اللغة العربية وبعد ان قضى " ريموند " عشر سنوات فى اعداد أعوانه أوفدهم الى شمال أفريقية ، فضلا عن بلاد المغول والأرمن للتبشير بالمسيحية الكاثوليكية . (٢)

ولقد طرد " ريموند لول " من شمال إفريقيا ، بسبب نشاطه التبشيرى المحموم لكنه كلما ذكر الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور لم يتعظ وعاد إلى شمال إفريقيه سنة ١٣٠٧ لمعاودة الكرة ومحاولة نشر المسيحية بين المسلمين وبخاصة البربر وفى تلك المدة نزل " ريموند " فى مدينة " بجاية " بالجزائر حيث استطاع أن يتصل ببعض العلماء المسلمين ويطالب مناظرتهم فى موضوعات دينية وكان أن ثار الرأى العالم الاسلامى فى " بجاية " على أساليب ذلك المبشر ، فحكم عليه بالسجن ستة أشهر طرد بعدها

(*) أنوسنت الرابع : اعتلى كرسى البابوية من عام (١٢٤٣ ـ ١٢٥٤م) ،يراجع دائرة المعارف للبستانى مجلد (٥) ص ٨ .

(١) الحركة الصليبية صفحة مشرقة جـ ٢ صـ ١٢١٥ .

(٢) المرجع السابق .

من البلاد[1] ، ولكنه ترك لمسات واضحة ، وكانت له آراء التبشيرية وبفضل جهوده قرر مجمع فينا سنة ١٣١١م إنشاء ستة معاهد لتدريس اللغات الشرقية فى أوربا وذلك لأنه لا يمكن للمبشر أن ينجح نجاحا مضمونا إلا اذا عرف لغة القوم الذين يبشر برسالته بينهم ومهما يكن من أمر فإن اتساع حركة التبشير بالمسيحية بين الشعوب الإسلامية فى الشرق كله جاءت من نتائج الحروب الصليبية [2]

وكانت فى صورة منظمة بعض الشيء ووفق خطة مدروسة بعد هذه الحروب لتتمشى مع طبيعته من يبشر بينهم وبذا يعتبر هذا من أعظم ثمار تلك المعارك بالنسبة للغرب وأمرها بالنسبة للعالم الاسلامى ، حيث يتم التبشير " بالمسيحية الصليبية " التى تحمل الحقد ، وتكن البغض لا لأمة الإسلام فقط بل للانسانية جمعاء ، فمبادئها الحرب واراقة الدماء والوصول الى النفع المادى من أى طريق .

وكان للاستشراق الدور الأكبر فى تغذية الحركة التبشيرية بالمعلومات اللازمة لها لتؤدى دورها على أكمل وجه ، وظهر العمل البابوى فى مؤتمر فينا واضحا فى خدمة الأغراض الكنسية والذى تحول الى خدمة السياسة الغربية وهذا ماتحدث به الأستاذ أنور الجندى يشير إلى كل هذه المعانى :

لقد نشأ الاستشراق لمقاومة الامتداد والتوسع العربى الإسلامى هذا الامتداد الذى عبر إلى أوربا وسيطر على أسبانيا واجتاح جزءاً من جنوب " فرنسا " حتى مدينة (بواتيه) أو بلاط الشهداء ، ونفذ إلى جزيرة " صقلية " وبدأ يسيطر على جنوب إيطاليا معقل المسيحية وكان من نتيجة ذلك أن تألف (مؤتمر فينا ١٣١١م) الذى ترأسه البابا كليمان الخامس[*] وتقرر فيه تأسيس مدارس خاصة فى برلين وبولون واكسفورد ، وسلمنكة تدرس فيها العربية والعبرانية والكلدانية لتخرج وعاظ يستطيعون تنصير المسلمين أو تشكيكهم فى عقائدهم .

وقد كان هذا العمل الذى بدأ فى أحضان البابوات والكنيسة ثم تحول إلى خدمة الملوك ورجال السياسة يهدف إلى دراسة الشرق ولغاته وتاريخه والعقلية العربية[3] وتقدم نتيجة هذه الدراسة للمبشرين ، ليكيفوا أنفسهم حسب ماتقتضيه ظروف الخدمة التنصيرية فى أى منطقة من مناطق الشرق الإسلامى وبذا يتغلبوا على كثير من العقبات .

---

(١) أضواء جديدة على الحروب الصليبية صـ ٦٧ .

(٢) الحركة الصليبية صفحة مشرقة صـ ١٢١٥ .

(*) كليمان الخامس : ويسمى أكليمنصنس (١٣٠٥ - ١٤٥١٤م) من أصل فرنسى نقل كرسى البابوية من روما إلى أفينيون فى " فرنسا " (يراجع : المنجد فى العلوم صـ ٥٩) .

(٣) الفكر العربى المعاصر فى معركة التقريب والتبعية الثقافية أنور الجندى صـ ٢٧٢، ٢٧٣ بدون ذكر للطبعة ، مطبعة الرسالة بدون تاريخ .

٥ ـ تركت الحروب الصليبية أثرا فعالا على العالم الإسلامى كله ، فقد ساعدت الغرب فى إتمام الإجهاز على المسلمين فى الأندلس ، كما أنها أوقفت المد الإسلامى نحو أوربـــا ووضعت سدودا أمام الإنسياب الإسلامى المتجاوب مع الفطرة الانسانية أن يصل إلى العقليـــة الغربية ، وهذا مادعا أحد مفكرى الغرب أن يقول :

لم تفشل إذن الحروب الصليبية إذا اعتبرنا المدى الواسع الذى وصلت إليه والميـــدان الفسيح الذى نتج عن فكرتها الأساسية بل هى لم تفشل تماما إذا اعتبرنا ماوفقت إلـــى آدائه من غرضها الاصلى : وهو حماية المسيحية عموما من خطر الإسلام فى شرق بحـــر الروم .(*) (١)

وهى فى الواقع لم تحم المسيحية ، بقدر ماخدمت السياسة الغربية بل لوثت المسيحيـــة بصليب مخضب بالدماء وبعثرت البقية الباقية من تعاليمها الرحيمة ، وصنعت منها مطيـــة تستغل بواسطتها الأمم ، وتنهب خيرات الشعوب .

وعلى كل حال فينبغى للمسلمين أن لايغفلوا عن هذا الأثر ويرددوا فشل الحروب الصليبية فى تحقيق هدفها ، لأن هذا خطأ فادح فأثرها على العالم الإسلامى مايزال باقيا يدق ناقوس الخطر إلى أن يأذن الله تعالى بالصحوة الكبرى .

خلاصة هذا الفصـــل :

١ ـ التبشير بالمسيحية مر بمراحل :

أ ـ المرحلة الأولى : كان فيها موجها لليهود فقط ، وذلك فى وجود المسيح ، وبعد رفعه إلى السماء على يد تلاميذه .

ب ـ المرحلة الثانيه : تحول فيها التبشير من اليهود فقط إلى كل الأمم على يد " بولس " ومن وافقه الرأى بعد مجمع أورشليم سنة ٥٠ ميلادية .

جـ ـ المرحلة الثالثة : وبدايتها منذ اعتراف " قسطنطين " بالمسيحية ضمـــن ديانـــــات

(*) " بحر الروم " الإسم العربى للبحر الأبيض المتوسط ويطلق على هذا البحر أسماء أخـــرى مثل " بحر المغرب " دائرة المعارف الإسلامية نقلها إلى العربية عباس محمود وآخـــرون المجلد الثالث (مادة بحر خوارزم ـ بحر الروم) صـ ٣٧٧ العدد الثانى ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧م .

(١) تراث الإسلام تأليف شاخت ، وبوزورث ترجمة حسين مؤنس وزميلاه جـ١ صـ ١٤٦ بدون عدد للطبعة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦م .

الدولة الرومانية ، وفيها تدخل السلطان وزاد التدخل بعد أن صارت الديانة الرسمية ، وتوغلت المسيحية فى الغرب بالسلطان ترغيبا أو ترهيبا ،
د ـ المرحلة الرابعة : بعد الحروب الصليبيه ، وأثناءها فقد وجه التبشير الى الشرق بمسيحية لم يعهدها من قبل ، لانها صيغت تماما بالفلسفة الغربيه ، المخالفة لرسالات السماء وقد استغل الغرب فى نشرها الافراد ، والجماعات وأخذ يطورها من حين لآخر ، وينظم جماعتها بما يتلائم مع العصور بحيث تتمشى مع الحملات التبشيريه مع حياة الناس ، السياسيه ، والاجتماعيه ، والاقتصاديه ، واستخدم كل وسيلة لتحقيق أهدافه التى سأكشف الستار عنها فى الفصل القادم إن شاء الله تعالى ،

" الفصل الثاني "

أهداف التبشير ووسائله

بعد بيان مفهوم التبشير وصلته بالحركة الصليبية مع الإشارة إلى ما أفرزته الحروب الصليبية من تبشير منظم قائم على خطط مدروسة لتحقيق أهداف معلومة في بلاد المسلمين ولتغيير المفاهيم الإسلامية في عالم الإسلام.

يلزمنا توضيح الوسائل التي يستخدمونها في تحقيق أهدافهم المرسومة ، ومتابعة حركتهم ورصدها باستمرار لأنهم في طريقهم لتنفيذ أغراضهم يطورون وسائلهم من حين لآخر .

وواجب الدعاة وولاة الأمور كل في موقعه أن لا يستهينوا بالحركة التبشيرية ، فالأمر يقتضي اليقظة التامة قبل فوات الوقت .

فإن ما يحدث في بلاد الإسلام وما يشاهد من تمزق لعالمه قد أسهم الفكر التبشيري بنصيب وافر فيه فأهداف التبشير مرتبطة بأهداف الاستعمار إن لم تكن هي نفسها كما يتضح من ثنايا هذا الفصل .

أهداف التبشير

يبذل المبشرون جهدا غير عادي في نشر أفكار الاستعمار وفي خدمة ساسته وذلك في مقابل العون المادي والمعنوي الذي لاينقطع ، ولايجد الباحث صعوبة في كشف أغراض المبشرين وأخطارها ، تلك الأغراض التي تعلن في ظاهرها التسمح بالمسيحية والدعوة إليها ، ولكنها في باطنها تروج لأهداف المستعمرين والمستغلين وأصبح واضحا للعيان استغلال الغرب للتبشير المسيحي ، باستخدامه كوسيلة لفرض السيطرة الاستعمارية من ناحية ، ولتخريب المفاهيم في عالم الإسلام من ناحية أخرى ويمكن تلخيص أهداف التبشير في العالم الإسلامي فيما يلي :

١- القضاء على وحدة المسلمين :

فالهدف الأول للمبشرين تفتيت وحدة المسلمين وتوهين قواهم ، وذلك باختلاق مايؤدي إلى التفرقة بينهم ، واختلال صفوفهم ، لدرء خطر تجمعهم وتآلفهم ، وسلك المبشرون طريق تفريق المسلمين والقضاء على وحدتهم قولاً وعملاً .

أما القول :

فظهرت التصريحات لقادة التبشير ، وأفصح القس " كالهون سيمون " عن رغبة التبشير في تفريق المسلمين لما قال إن الوحدة الإسلاميه تجمع آمال الشعوب السمر " كذا " وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوربية ولذلك كان التبشير عاملا مهما في كسر شوكة هذه الحركة ، ذلك لأن التبشير يعمل على اظهار الأوربيين في نور جذاب ، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصري القوة والتمركز اللذين هما فيها . (١)

وبقدر ما يستطيع الفكر الغربي من تجريد المسلمين من عناصر القوة ، والترابط بقدر مايتمكن من إحتوائهم والتصرف في كل شئونهم على حسب رغبته ، لأنهم حينئذ لاتأثير لهم ولا وزن ، وهذا ماقاله " لورانس براون " ، إذا اتحد المسلمون في

(١) التبشير والاستعمار د / مصطفى خالدي ، د / عمر فروخ صـ ٣٧ ط (٢) طبعة بيروت ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م .

إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطرًا ، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضا ، أما إذا ظلوا متفرقين فإنهم يظلوا حينئذ بلا قوةٍ ولا تأثيرٍ . (١)

وما ذكر من التصريحات فى هذا الموضع قليل من كثير بالنسبة لما هو مدون فى المراجع من أقوال المبشرين وأعوانهم من المستشرقين مما جعل الدكتور محمد البهى " رحمه الله " يشير إلى سلوك كل منهما المضاد للإسلام ولوحدة أهله بقوله : إنّ التبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار فى مصر والشرق الإسلامى فكلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية والغض من شأن اللغة العربية الفصحى وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب الإسلاميه الحاضرة والازدراء بها فى المجالات الدولية العالميه" . (٢)

هذا فى مجال القول " قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون " (٣) .

أما مجال العمل :

فقد كان التبشير شحنةً ناسفةً وجهها الغرب للقضاء على الوحدة الإسلامية أو غزوة منظمة وجهتها أوربا إلى العالم الإسلامى لغايات سياسية على حد تعبير الدكتور / محمد حسين هيكل: الذى تساءل كيف كانت هذه البعثات غزوا سياسيا منظما وجهته أوربا للشرق ؟ رأيت أن تركيا باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية الحائلة بامتدادها حول البحر الأبيض المتوسط دون غزو أوربا لإفريقيا وآسيا ، كانت موضع نظر خاص من جانب دول أوربا . (٤)

فالتاريخ الصادق يشهد أن دولة الخلافة التركية أدت دورًا عظيما لخدمة الإسلام وأهله حتى وهى فى مراحل ضعفها فى الوقت الذى كان يطلق عليها فيه الرجل المريض ذبّتْ عن بلاد الإسلام الأعداء يقول عبد الرحمن زكى :

كانت تركيا العثمانية تؤدى للعالم الإسلامى خدمة جليلة فقد ظلت خمسة قرون تتولى الدفاع عنه فى الخط الأمامى ضد الغارات الأوربيه ـ التى تشبه الغارات الصليبية القديمة ـ وكان هذا الخط يمتد من شمالى القوقاز على سواحل البحر الأسود ثم يدور

(١) المرجع السابق ص ٣٧ نقلا عن كتاب الإسلام والإرساليات ص ٤٤ ـ ٤٨ .
(٢) المبشرون والمستشرقون ص ٧ .
(٣) سورة آل عمران من الآية ١١٨ .
(٤) الشرق الجديد د / محمد حسين هيكل ص ٦٠ بدون عدد للطبعة مطابع دار المعارف بالقاهره ١٩٦٢م .

نصف دائرة عظيمة حتى يكمله شاطئ البحر الأدرياتيكي الشرقي .

ولو لم تك جند العثمانيين واقفة فى هذا الخط وقفة صلبة عنيدة لاجتاحت جنود أوربا الوسطى الشرق الأوسط كله ، ولحققت أحلام " رتشارد " و " لويس التاسع " ولاحتاج الشرق الأوسط إلى " صلاح الدين " مرة أخرى ليرد هذا الغارة .[1]

ولذا لم تتوان أوربا فى استغلال العوامل التى تجهض الدولة العثمانية من تشجيع اليونان ، ودول البلقان للإنقضاض على تركيا واستخدام المناطق التى يتجمع فيها نسبة كبيرة من المسيحيين فى دولة الخلافة للإثارة والفتنة كما حدث فى لبنان مما سيعرف فيما بعد ، وفوق كل هذا أثاروا مؤامرة القومية العربية داخل الولايات العربية التابعة لدولة الخلافة فى مقابل القومية الطورانية التى تبناها حزب الاتحاد والترقى بعد حزب تركيا الفتاة ، وخدع الشريف "حسين" فانزلق إلى القومية العربية كقائد لها ظنا منه أنها الوجه الأخر للإسلام ، وهدف القوم من وراء هذه المؤامرات تفريق الأمة الإسلامية عمليا بالقضاء على دولة الخلافة ، " وكان التركيز أشدّ قوة ووضوحا على " العرب " باعتبارهم القوة الأساسية فى العالم الإسلامى ، وحملة لواء الفكر الإسلامى العربى الناصع ومن بينهم انبعثت اليقظة ودعوة الإسلام المعطلة لمخطط النفوذ الاستعمارى القائم أساسا على القضاء على مقدمات الفكر الإسلامى التى تحمل طابع المقاومة والاستقلالية ، وذات الطابع الواضح والقيم التى تندمج ولاتذوب "[2] .

وسار المخطط التبشيرى الاستعمارى فى مجراه ، وتحقق ماأراده مثيروا الدعوات العنصرية والعصبيات الجاهلية ، وحدث الشرخ بين المسلمين من العرب والترك وتعمق وكانت له من الآثار الأليمة التى ماتزال ماثلة حتى أيامنا هذه فانفجرت صيحة القومية قنبلة شطرت المسلمين فأضعفت الأتراك وجرت عليهم النكبات ، وأوهنت العرب وألحقت بهم الويلات ، وقسمت أمتهم إلى دويلات ، ولاعجب إن علمنا أن دعاة القومية العربية فى البداية كانوا من غير المسلمين." فقد تم على يد خمسة من طلاب الكلية الإنجيلية (البروتستانتيه) فى " بيروت " والتى أسميت فيما بعد الجامعة الأمريكية " وكلهم من النصارى الذين اجتمعوا عام ١٢٩٣هـ = ١٨٧٥م ، وشكلوا جمعية سرية (جمعية بيروت العربية) بالتعاون مع " محفل بيروت الماسونى " وجعلوا هدفها : دعوة العرب

---

(١) الشرق الأوسط (دراسة شاملة لبلدانه وأحواله الاقتصادية والاستراتيجيه صـ ١١٥ بدون عدد للطبعة ، وذكر للمطبعة ١٩٤٨م .

(٢) اليقظة الإسلاميه فى مواجهة الاستعمار (منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى) أنور الجندى صـ ٩٤ ط ١ دار العلوم للطباعة بالقاهرة ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م بتصرف يسير .

لمحاربة الأتراك والثورة عليهم وقامت هذه الجمعية بصياغة هذه العنصرية على شكل عقيدة سياسية فى محاولة منها لاجتذاب المسلمين من العرب إلى صفوفها فلم تفلح فى ذلك فقد نفر المسلمون منها ومن مؤسسيها الذين كانوا يواصلون السعى بالتعاون مع البعثات التبشيرية لبث ما أسموه بالشعور القومى بين العرب .(١)

وظل الأمر على هذه الصورة ، وهى محاولة دفع العرب لمحاربة الأتراك ، ونفور العرب من نصارى الشام أصحاب المحاولة لاعتقادهم أن هذا من أثر البعثات التبشيرية المتأثرة بالفكرة الغربية ، واستمر الحال بهذا الشكل إلى أن وصل الاتحاديون للحكم بسقوط السلطان " عبد الحميد " (*) ، وتنكروا للعرب بل للإسلام الذى يجمع العرب والترك فحل العداء محل الوئام ، وحدث الانفصال بين الأخوين ، وهو الثمرة التى جناها التبشير ثم قدمها هدية للاستعمار الغربى ، وللصهيونية العالمية ، ولذا يقول الأستاذ أنور الجندى : وقد تحقق بذلك عام ١٩١٨م ماكانت تتطلع إليه أوربا منذ أجيال وقرون وهو القضاء على الدولة العثمانية باعتبارها وحدة جامعة ذات طابع إسلامى تجمع العرب والترك وكذلك سقوط أجزاء العالم العربى نهائيا تحت الاستعمار الغربى وإقامة حاجز بشرى يفصل بين إفريقيا وآسيا .(٢)

---

(١) مجلة " الأمة " ص ٥٨ (السنة الأولى – العدد الثالث) من مقال بعنوان : من مفكرة (القرن الرابع عشر الهجرى) لهيئة تحرير المجلة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م بتصرف يسير ، كتاب يقظة العالم الإسلامى تأليف ف .و.فرنو ترجمة بهيج شعبان ، وتعليق الشيخ سليمان طاهر جـ ١ صـ ١٧٣ بدون عدد للطبعة ، مطبعة دار الحكمة بيروت ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م بمعنى قريب منه .

(*) فالخلافة تعتبر أنها ألغيت فعلا من النواحى العملية – منذ نجحت الثورة ضد السلطان عبد الحميد فى عام ١٩٠٨م ، ثم عندما خلعته نهائيا فى العام التالى ١٩٠٩ وولت غيره فقد أصبح الضباط – أى رجال جمعية الاتحاد والترقى – هم حكام البلاد منذ ذلك الوقت – وهم الذين وقعت الهزيمة فى عهدهم – ولم يكن السلطان " محمد رشاد " الذى لقب " محمد الخامس " الذى خلف عبد الحميد إلا مجرد شبح ، ليس له إلا سلطة دينية أو روحية ، ثم تلاه " محمد السادس " بعد الحرب العالمية فعبد المجيد آخرهم (الإسلام والخلافة فى العصر الحديث) نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم د / محمد ضياء الدين الريس صـ ٦٢ ط ٢ دار الجيل للطباعة بالقاهرة ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

(٢) اليقظة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار صـ ١١٠ .

النعرة القومية فكرة غربية

نبتت النعرة القومية فى الغرب ، وتمكنت القوة الغربية من جذب مجموعة من شباب الإسلام إليها ، فأفرغت عقولهم من تعاليم الإسلام ، وملأتها بالأفكار الهدامة ، بدعوى التقدم ، وبدلا من أن يجعل المسلم العقيدة هدفه الأسمى يغضب إن اعتدى عليها ويقاتل من أجلها ، جعل الوطن ، والجنس ، واللون وغير ذلك مما يولد العنصرية ويشيع الفرقة والتحزب هدفا أسمى وقد سرب الغرب إلينا هذه الأفكار كما سنعرف فى الحديث عن الجماعات ، وجند رجاله لإقناع الشباب المسلم بها ، محاولا فك الرباط الإسلامى ، ويكشف عن هذه المحاولة كلام "جب" ولنسأل الآن : أين وجهة الإسلام ؟

مرمى هذا السؤال هو أن نعرف هل سيقدر الإسلام على الاحتفاظ بالوحدة بين شعوبه رغم الإنحلال السياسى وأمام غارة تشنها الأفكار الحديثة والعلم الأوربى ؟

أتراه سيكون خصيما لها أم حليفا ؟ أهو آخذ فى الإنحلال إلى قوميات صغيرة تتأثر كل منها على حدتها بالمؤثرات الأوربية وتنهج طريقا خاصا بها ؟

إنى وإن كنت لا أستطيع البت فى الجزئيات فإنه يخيل لى أن بعض المنهاج العام سيسير مع التطور المقبل (١) ، وملخص كلام "جب" أنه بعد تقطيع الروابط الإسلاميه بتغيير المفاهيم الإسلاميه وإثارة الأحقاد ، سينجح الغرب فى تفكيك المجتمع الإسلامى وهدم الكيان الإسلامى ، وضياع المجتمع الإسلامى مطلب استعمارى يسعى الغرب لتحقيقه بكل الوسائل .

يقول الدكتور محمد محمد حسين : وكان بين ما اعتمد عليه فى ذلك من أساليب نشر الاهتمام بالآثار القديمة ، وتوجيهه إلى تدعيم عصبيات إقليميه تتسم بالغلو والإسراف فى الدعوة إلى حصر الانتباه فى أوطان صغيرة ، وعدم الاكتراث بما يجرى فى خارجها .

وقد كادت هذه الأساليب تنجح ، فى الفترة التى تقع بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، فى إيجاد هذه العقلية الإنفصاليه بين المسلمين ، حتى رأينا

---

(١) وجهة الإسلام نظرة فى الحركات الحديثة فى العالم الإسلامى تأليف هـ . ا . "جب" وآخران نقله عن الإنجليزية محمد عبد الهادى أبو ريده صـ ٩٨ ، ٩٩ ط ١ المطبعة الإسلامية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤م ، الإسلام والحضارة الغربية د / محمد محمد حسين صـ ١٠٣ ، ١٠٤ ط ٥ بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

بين العرب من يزعم أن بلده أقرب للغرب منه للشرق ورأينا بين المسلمين من يتكلم عن الإسلام الحديث والإسلام القديم ، بل رأينا منهم من يتحدث عن الإسلام الهندى والإسلام التركى .(١)

وكانت فكرة القوميات كارثة كبرى منيت بها أمة الإسلام وابتليت بها دولة الخلافة التى كانت بالرغم مما أصابها من وهن قوة يحسب حسابها ، ويخشى بأسها وجمعها فضلا عن أنها كانت رافدا ثقافيا لبلاد الغرب حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادى وهو ما اعترف به المفكر الغربى " كويلر يانج " : بأن تيار الإسلام الثقافى ظل متدفقا من الشرق المسلم إلى الغرب وبلغ قمته فى القرن الثالث عشر الميلادى حتى أن أوربا لم تتخلص من ضغط هذا التيار الدينى الثقافى إلا بعد أن ارتد الأتراك على أعقابهم ، بعد أن كانوا على أبواب فينا سنة ١٦٨٣م(٢) .

وحين تحول الرافد من الغرب إلى الشرق ، وتربى دعاة القومية فى محاضن الغرب كما حدث مع دعاة الحزبية فى تركيا ، ودعاة القومية العربية الذين تعلموا فى مدارس التبشير البيروتية مع العلم أن جماعة تركيا ، دبروا مؤامراتهم خارج الوطن وهذا كان فى معرفة تسهيل الغرب لحركات التمرد ، وخلقها وتشجيع أصحابها ، ففى ديسمبر عام ١٩٠٧م كما يذكر صاحب " موسوعة تاريخ العالم " : تم اجتماع مختلف الهيئات الثورية وجماعة تركيا الفتاة فى " باريس " حيث دبروا خططا للعمل المشترك واتصلوا بضباط الجيش الساخطين .(٣) ، وكل ذلك لتقويض الوحدة الإسلامية وفك شملها .

" تركيا الفتاة " :

الذين قاموا بإحياء حركة تركيا الفتاة وتطورها فى الفترة من (١٨٩٦ – ١٩٠٨م) كان معظمهم من المتعلمين فى فرنسا ، وسويسرا ، وانجلترا وكان هدفهم أن تشكل " تركيا من جديد على أساس قومى ، لكن حركتهم باءت بالفشل للخلاف الذى دب بينهم(٤)

وكان العرب فى بدء حركتهم يقابلونها بالترحيب ، ولكن لما تكشف أمرهم استاء العرب منهم يقول : ف. و. فرنو : وسر العرب أولاً من نجاح ثورة تركيا الفتاة سنة

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية صـ ١٠٤ .
(٢) الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته (من مجموعات الألف كتاب رقم ١١٦) كويلر يانج ترجمة د / عبد الرحمن محمد أيوب صـ ٧ بدون عدد للطبعة مطبعة الرسالة بالقاهرة بدون تاريخ .
(٣) اصدار وليام لانجر أشرف على الترجمة د / مصطفى زيادة جـ٦ صـ ١٩٠٦ مطابع الدار القومية بمصر ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م .
(٤) موسوعة تاريخ العالم .

١٩٠٨م لأنهم كانوا يأملون في الحصول على الاستقلال الإداري والكثير من الاصلاحات ولكن الفرح قد أعقبه خيبة أمل مرة وأصبحت القطيعة بين " تركيا الفتاة " في القسطنطينية وبين الوطنيين العرب لايمكن تلافيها .[1] وذلك مما عجل بنهايتها بالرغم من كثرة أتباعها .

" الاتحاد والترقي " :

رجال الاتحاد والترقي كشأن من سبقهم ، استوردوا مبادئهم من الغرب المسيحي وحاولوا غرسها في تربة إسلامية لاتتقبل مثل هذه البذور الرديئة .

يقول د / محمد ضياء الدين الريس : ذلك أن أعضاء جمعية الاتحاد كانوا في الغالب من شباب تلقى تعليمه في بيئات الغرب ، وقضوا شطرا من حياتهم في عواصم أوربا ، فنشأوا مفتونين بنظم الغرب وثقافته ، وحشوا أدمغتهم بنظريات ومبادئ لاتصلح للتطبيق في غير موطنها .

كما أن من المحزن أن معرفتهم بالإسلام كانت ضئيلة ، وفهمهم لحقيقة مبادئه أو لطبيعة تاريخ أمتهم كان مضللا ، أو على غير أساس ومن الثابت أن " جمعية الاتحاد " كانت خاضعة لتأثير الجمعيات " الماسونية " وكان نفوذ اليهود غالبا وظاهرا وسط محيط تلك الجمعية .[2]

فقد تأثر أصحاب " الاتحاد والترقي " بالفكر الغربي المادي و " بالماسونية " اللعينة ، فضاعوا بين الإثنين ، وكانت مصيبتهم مصيبتين ، تأثروا بفكر لايصلح في بيئة الإسلام وساروا وراء " الماسون " الذي يعمل دائما في الظلام ، فاتجهوا قطعا إلى غير وجهة الإسلام ، فأهملوا كل مايمت للدين وأشعلوا نار العصبية والحزبية في بلاد المسلمين ، وكان صوتهم دائما تركية للاتراك ، وانطبق عليهم قول الله عز وجل : (واتل عليهم نبأ الذي ءاتيناه ءاياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)[3] .

---

(١) يقظة العالم الإسلامي جـ ١ ص١٧٣ ، ١٧٤ باختصار .
(٢) تباشير النهضة في العالم الإسلامي أو " الشرق الأوسط في التاريخ الحديث" ص ١٨٤ ، ١٨٥ ط ١ طبع دار الدعوة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .
(٣) سورة الأعراف الآيتان ١٧٥ ، ١٧٦ .

دعاة القومية فى القرن العشرين

دعاة القومية العربية ، ومثيرو النزعات الطائفية غالبيتهم فى الواقع من المسيحيين وقد لفت هذا الأمر نظر الأستاذ / محمد محمود الصواف فتسآل فى دهشة : فهل ياترى جآءت هذه الموافقة من قبيل الصدفة ؟ ؟ ؟ ، وهى أن تجد غالبية زعماء هذه الدعوة من غير المسلمين وهم يدعون إليها المسلمين ، وفى بلاد الإسلام ومجد الإسلام ، وبلاد الخلافة الإسلامية العباسية والأموية وغيرهما ، فزعيم حزب البعث العربى الاشتراكى " ميشيل عفلق " وهو غير مسلم ، وزعيم حزب القوميين السوريين " أنطون سعادة " وهو غير مسلم وزعيم القوميين العرب " جورج حبش " وهو غير مسلم " وقسطنطين زريق " زعيم فريق آخر من القوميين وهو غير مسلم أيضا .[1]

وإنه من المؤلم حقا أن يطاع دعاة القومية ، وجلهم من المسيحيين الذين يحملون الكيد للإسلام ، ويصنعون الخطط لسحق المسلمين ويعملون جهدهم لإيقاع العداوة بين صفوفهم والله عز وجل يحذرنا من أن تستجيب لكيدهم : (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين)[2] .

وإن كانت هذه الآية نزلت فى طائفة من أهل الكتاب ، حاولت أن تشعل نار الفتنة بين قبيلتى الأوس والخزرج المسلمتين ، فإنها متحققة فى كل العصور وعلى توالى الأزمان فحين كانت نيجيريا تحت الاحتلال البريطانى ، يقول عبد السلام شحاته : وقد اضطرت بريطانيا لاستخدام المسلمين فى نيجيريا مثلا لأنهم كانوا على مستوى عال من التعليم لايتوفر فى غيرهم ولكنها عجلت فى الوقت نفسه على بث الفرقة بين قبائل الهوسا والفولانى ، وهى القبائل المسلمة الحاكمة وبين القبائل الأخرى وذلك عن طريق الدعاية المسمومة التى تشكك فى أصل هذه القبائل والتى تحط من شأنها .[3] ، وذلك لبث الفرقة داخل صفوفها لتضمن تفتيت البلد وانقسام أهله فتبقى لها السيطرة .

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ٤٧ ط ٣ دار النصر للطباعة الإسلامية بالقاهره ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٠.

(٣) الإسلام والتحرر الإفريقى ص ١٦ (العدد ٢٧ ـ السنة الثالثة) اصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهره ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣م.

مصـــر والجمعيات السرية

تعدد المحاولات فى هذا الميدان ، وكانت مصر متقدمة فى مجال الجمعيات السرية فوجد بها على سبيل المثال جمعيتان .

أ ـ الجمعية السرية للضباط :

وهى أولى الجمعيات السرية فى مصر ظهرت عام ١٨٦٧م انضم إليها أحمد عرابـــى زعيم الثورة العرابية وزملاؤه الضباط الذين قاموا بهذه الثورة وقدمت هذه الجمعية عريضـــة إلى إسماعيل مطالبة فيها بإصلاحات اقتصادية منها تخفيف الضرائب عن كاهل الفلاح ولـــم يكن من السهل على إسماعيل إذ ذاك أن يستجيب إلى هذه المطالب فى وقت كان فيـــه غارقا فى ديونه وكان بحاجة ماسة إلى هذه الضرائب وأخيرا أعلنت الجمعية السرية عـــن نفسها فى عام ١٨٧٦م ، وظهرت بإسم " الحزب الوطنى " وهو غير الحزب الوطنى المنسوب إلى مصطفى كامل والذى تم إنشاؤه على يد هذا الزعيم فى سنة ١٩٠٧م.(١)

ولم يقصد " عرابى " من الإنضمام إلى هذه الجمعية تحقيق هدف استعمارى أو مطلب شخصى ، فلاشك فى اخلاصه ، وحبه للوطن وتفانيه فى سبيل إقرار العدالة ووقفته الشجاعة فى وجه الخديوى إسماعيل ونجله الخديوى توفيق خير شاهد على جرأته فى الحق وكل ذلك رصيد طيب فى سجله .

ب ـ جمعية مصر الفتاة :

وهى من الجمعيات السرية التى نشأت فى مدينة الإسكندرية عام ١٨٧٥م وكان قوامها الشبان المثقفون فى الأمة من غير ضباط الجيش ، وكان من أعضائها عبد الله النديـــم وأديب اسحق وسليم النقاش ، ثم بتأثير النديم تغير إسم هذه الجمعية السرية وأعلنت عـــن نفسها بإسم الجمعية الخيرية الإسلامية . (٢)

---

(١) قصة الصحافة العربية فى مصر منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين دكتور عبد اللطيف حمزة صـــ ٨٢ ، ٨٣ بدون عدد للطبعة مطبعة المعارف ببغداد ١٩٦٧م.

(٢) المرجـع السابق صـــ ٨٣ .

ويلاحظ أن هذه الجمعيات كانت نتيجة مباشرة للاتصال بالأفكار الغربية فهي عدوى غربية سرت في بلاد الشرق فمثلا وجد في إيطاليا قبيل جمعية مصر الفتاة جمعية إيطاليا الفتاة، وهي التي أنشأها مازيني (١٨٠٥ - ١٨٨٢م) الذي يلقب عندهم برسول الحرية والحركة القومية في إيطاليا، وقد جعل شعارها " الله والشعب " فسوى بذلك بين الإيمان الوطني والإيمان الديني .[1]

وإذا كان الغرب مر بمرحلة، لم يعد الدين فيها كافيا لحل مشكلات الحياة أو متجاوبا مع متطلباتها، فظهر بين مفكريه من يسوي بين الإيمان بالدين والوطن وذلك لأن رسالة المسيح " عليه السلام " مؤقتة كسابقتها لاتصلح لغير زمانها وهذا مبلغ علمنا، لكنا بالرغم من هذا نرفع دائما شعار من لاخير فيه لدينه لاخير فيه لوطنه فلا مجال عندنا لوضع الدين في كفة والوطن في أخرى لنساوي أو لنرجح .

فالدين أقوى رابطة بين الأفراد، وهي تعلو كل الروابط، ونصاب بالدهشة حين تتسرب هذه الأفكار الغربية الضيقة، في دوائر صغيرة من مثقفي العرب لتكون خميرة تسري في دوائر أوسع فأوسع، علما بأن رسالة سيدنا محمد "صلى الله عليه وسلم" شملت مايصلح دنيانا وأخرانا ونهتنا عن النظرة المحدودة من التحزب والتقوقع وتأمرنا بالاعتصام، والوحدة .

يقول الله عز وجل : (واعتصموا بحبل الله جميعًا ولاتفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تهتدون)[2] .

ويقول الله تبارك وتعالى : (وإن هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاتقون)[3]، ومع هذا الإرشاد القويم وقع بعض مثقفينا فريسة للتعاليم الغربية يقول هانزكوهن ماترجمته وتحت تأثير الأفكار الغربية وحركات إيطاليا الفتاة وأيرلندا الفتاه وألمانيا وروسيا الفتاة في أوربا في منتصف القرن التاسع عشر نشأت على التوالي حركات تركيا الفتاه والهند الفتاة، والصين الفتاة، ومصر الفتاة .[4]

---

(١) تاريخ القرن التاسع عشر في أوربا منذ عهد الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العظمى تأليف : دكتور محمد قاسم، دكتور حسين حسني ص ١٢٥ بدون عدد للطبعة، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٥٢ .

(٤) عصر القومية (من مجموعة الألف كتاب ٥٢٢) ترجمة : عبد الرحمن صدقي ومراجعة مصطفى حبيب ص ١٤٠ بدون عدد للطبعة مطبعة دار الحماس شر الجيزة القاهرة ١٩٦٤م.

أثر المدارس الأجنبية فى صنع القومية

كان للإرساليات التبشيريه أثر ملموس فى صياغة عقلية تؤمن بالحركات العنصريـــة وبالدعوات القومية على الطريقة الغربية واتخذت من المدرسة ميدانا فسيحا لصنع الأشكال والقوالب لا للتعليم النافع بقصد التعلم وإلا لتغير حال العالم الإسلامى اليوم ونظـــرة متفحصة لدور الإرساليات فى تركيا دولة الخلافة ، نضع نصب أعيننا الأمر الواقـــــع وهو مايخبرنا به مؤلف كتاب عصر القومية بقوله : ولم تفتح المدارس الحديثة إلا بعد سنة ١٧٥٧م ، عندما أنشئت وزارة التعليم ، وكانت أهم هذه المدارس " الليسيه الإمبراطوريه " فى جالاتا (١٨٦٨م) ، حيث كان يدرب الموظفون المدنيون وتستعمل الفرنسية لغـــة التدريس ، ووجدت طبقة مثقفة تركية صغيرة ، شبيهة بالطبقة الروسية فى أوائل القـرن التاسع عشر ، وأصبحت من ذلك الوقت قاعدًا القوة الدافعة الأساسية ، لتغيير جذرى فى المجتمع التركى .[1]

وفى نفس هذه الفترة الزمنية ، كانت بوادر عودة المتعلمين من دولة الخلافـة من بلاد الغرب ، فظهر أول رواد الأدب الحديثين إبراهيم سيناس ، وهو ابن أحـد ضباط الجيش التركى جاء مشحونا بتعاليم الغرب فترجم بعد خمسة أعوام قضاها بفرنسـا كتاب " الشعراء الفرنسيين " وأنشأ أول صحيفة خاصة وقد بدأ تلميذه نامق فى سنـة ١٨٦٨م نشر أول صحيفة تركية حرة فى لندن ، (الحرية) بعد حوالى عقد من بـعد " الكسندر هيرزن " فى نشر أول دورية روسية حرة ، وقد ساعدت روايات " نامـق كمال " الوطنية وشعره المثير على إيقاظ الوعى القومى التركى .[2]

واقتصر تعليم الغرب لأبناء الشرق على خدمة أهداف الغرب ، من فكرة تقسيم بلاد المسلمين ، وبث الفرقه بين صفوفهم إلى توجيه سياستهم حسب أهوائهم ، ســواء كان تعليمهم للمسلمين فى ديار الإسلام أو فى ديار الغرب .

ولذا يقول الأستاذ / أنور الجندى : وقد أصبحت فروع الجامعتان الأمريكيـة والقديس يوسف الفرنسية مراكز هامة فى الشرق الأوسط كله ليس للثقافه وحدها بل للسياسة العالمية حيث يتعلم بها طلاب من الشام والعراق والسودان .[3]

---

(١) عصر القومية صـ ١٤٨ بتصرف .

(٢) المرجع السابق صـ ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٣) الإسلام فى وجه التغريب " مخططات الاستشراق والتبشير " صـ ٢٣ بدون عدد للطبعة مطابع الناشر العربى بالقاهره بدون تاريـخ .

فلا غرابة إن وجدنا دعاة القومية التركية الذين تعلموا فى مدارس الغرب،عاصرهم دعاة القومية العربية الذين أنبتتهم مدارس الغرب الموجودة فى الشرق .

٢ ـ هدف سياسى (وهو خدمة السياسة الاستعمارية)

كان الهدف التبشيرى دينى فى أول الأمر ، وهو نشر المسيحية ولكن المبشرين دأبوا على تحويله ، أو دمجه فى غيره من الأهداف السياسية والاستعمارية وعند تعادل الكفتان نراهم يرجحون كفة الأهداف الاستعمارية على كفة نشر المسيحية كرسالة سماوية يعتقدون فيها .

ولذا يعطى الأستاذ أنور الجندى : الصورة الواقعية لهذا السلوك بقوله : ولذلك كان الهدف الأمريكى من التبشير هدفًا دينيا أساسيا ، ولكنه تحول إلى هدف سياسى بعد أن بدأت أمريكا تتدخل فى سياسة العالم العربى وخاصة موقفها من إسرآئيل بعد أن خلقتها وأمدتها بالحياة ، وقد استهدفت هذه الدعوة :

أ ـ التشكيك فى الإسلام .

ب ـ القضاء على اللغة العربية وتغليب اللهجات العامية .

جـ ـ كتابة هذه العامية بالحروف اللاتينية .

أما هدف المبشرين الفرنسيين (ومركزهم الجامعة اليسوعية فى بيروت) فهو خلق صداقة روحية مع فرنسا ، على أساس البرنامج الفرنسى الذى وضع عام ١٨٦٤م،وهو " معرفة فرنسا ومحبتها " وقد أعطى الاحتلال الفرنسى " لبيروت " فرصة كبيرة فى سبيل دعم هذا الهدف .[١]

ولو اقتصر الأمر على " معرفة فرنسا ومحبتها " دون مقابل باهظ لايطاق لكنا نحن المسلمين أول الداعين إليه ، فإسلامنا يأمرنا بذلك (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند اللّه أتقاكم إن اللّه عليم خبير) .[٢]

---

(١) الفكر العربى المعاصر فى معركة التغريب والتبعية الثقافية صـ ٢٨٩ بدون عدد للطبعة وذكر المطبعة والتاريخ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

والدهشة تبلغ مداها حين يعلم المرء أن ثمن محبة فرنسا ، مثلا احتلالهـــا لوطنه ، ومسخها لدينه ، والتحكم فى مساره واستنزاف ثرواته .

ومن شدة حرص المبشرين على خدمة الاستعمار ، وتنفيذ رغبات ساسته ، الذين يقومون بتمويلهم ماديا ، وحمايتهم عمليا ، حاولوا العمل فى اتجاهين :

الأول : إبعاد الإسلام عن مجال التأثير الاجتماعى والسياسى ، والاقتصادى ، باعتبـاره دينا ينظم حياة الإنسان لدنياه وأخراه وذلك فى محاولة منهم لتصويره على أنه دين عبادة لايصلح للحياة والله عز وجل يبين للناس أنه دين يربط الإنسان بخالقه ، وينظم علاقتـــه بالحياة فى كافة شئونها : (وابتغ فيمآ اتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيـا وأحسن كمآ أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد فى الأرض إنّ الله لايحب المفسدين) (١) .

الثانى : القضاء على الوحدة الإسلامية وذلك بخلق تيار قوى وجارف من الإقليميات ، ومحاولة إرجاعها إلى نزعات على أساس التاريخ القديم ، كالفرعونية ، والاشورية ، والفينيقية ، ـ ليضمنوا تقسيم الأمة الإسلامية الواحدة يقول الأستاذ / أنور الجندى :

ولقد أولى التبشير اهتمامه منذ وقت بعيد إلى (الجامعة الاسلامية) وتناولهـا بالبحث والدراسة ، وخاصة فى مؤتمر سنة ١٩١١م بعد أن سقط السلطان عبد الحميـــد حامل لواء هذه الدعوة وسيطرة تركيا الفتاة من الاتحاديين أصحاب الدعوة إلى الجامعـــة الطورانية على أزمة الحكم ، وانفتاح الطريق إلى النفوذ التبشيرى والاستعمارى والصهيونـى جميعًا إلى قلب العالم الإسلامى .

وفى التقرير الذى كتبه " القس نلسن " ، " والقس ورنر " نجد إشارة إلـــى المخطط الرامى إلى القضاء على الوحدة الإسلامية وهى الموجودة فى شعور كل مسلــم حتى وإن كانت مفقودة على أرض الواقع ، وهذا مانقل عن الذين وضعا التقرير .

عبثا يبنى هؤلاء آمالهم على الجامعة الإسلامية ، لأن التربية الغربية المسيحيــة التى تقوم بها (الإرساليات التبشيرية) قد انبثت فى دمائهم بفضل مدارس التبشـــير وباحتياطات استمدتها حكومة هولنده ـ والإشارة هنا إلى إندونيسيا ـ من شأنها أن تزعزع آمال المسلمين . (٢)

---

(١) سورة القصص الآية ٧٧ .

(٢) الإسلام فى وجه التغريب ـ مخططات الاستشراق والتبشير ص ٢٥٤ .

وهذه صورة ناطقة بالعداء الظاهر للإسلام وأتباعه ، تؤكد تعاون الاستعمار والتبشير ، وتبرز الخدمة التى تقدمها " الارساليات " للمستعمرين ، فى بث أفكار التشرذم ، والتحزب وزاد القوم فى عدائهم ليشمل كل مايمت إلى الإسلام يقول الأستاذ / محمد محمود الصواف : وقد اتخذت الخصومة للإسلام ومكافحته من قبل هؤلاء الخصوم الألداء أشكالا وألوانا مختلفة حسب طبيعة الأحوال ومقتضيات الظروف ، فتارة تكون بالبهتان الكاذب ووضع الإسلام فى قفص الاتهام ، وتارة تكون مجادلة فى الإسلام خاصة مع من خلى باله منه ، وجهل مبادئه وأحكامه وآدابه من أبناء المسلمين وشباب العصر الحاضر وغيرهم وتارة تكون مناقشة فى القرآن ، وطعنا فى بعض آياته البينات وأخرى تكون انتقاصا لقدر النبى " صلى الله عليه وسلم " ووصفه بنعوت يخجل الرجل الحقيقى والعالم الصادق من أن يذكرها أو ينسبها لإنسان فضلا عن نسبتها لنبى الإنسانية ورسول الكمال الإنسانى المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله " صلى الله عليه وسلم " .

واتخذت الخصومة للإسلام ومكافحته سبيلا آخر هو طريق التبشير الممهد للاستعمار فانتشر المبشرون فى ديار الإسلام يدعون إلى المسيحية ويبشرون بها ومن ورائها يشككون فى الإسلام ويطعنون فيه وفى عدم صلاحيته للمجتمع الحديث بزعمهم ، تمدهم دول الاستعمار بكل أسباب الحياة والنشاط .[١]

وسأنوه ببعض هذه الاتهامات مع الرد عليها فيما يأتى بعد .

٣ ـ محاولة تشويه الإسلام

خطة التبشير قائمة على أساس محاربة الدين الإسلامى ، وذلك بالطعن فى القرآن الكريم ، والافتراء على خاتم النبيين سيدنا محمد " صلى الله عليه وسلم " ثم طرح الشبهات والمغالطات حول القضايا الإسلاميه الكبرى وفى مقدمتها الجهاد فى الإسلام والمرأة من وجهة النظر الإسلاميه ، ولقد تمكنوا من إثارة الشكوك فى كثير من النفوس ، نظرا لأن كثيرين من المسلمين لم يدركوا فهم تعاليم الإسلام لوجود الأمية

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام صـ ٩٣ باختصار .

الدينية ، وقلة الوسائل الفعالة لمحوها ، وهذا يمكن المتربصين بالإسلام وأهله الدوائر من تحقيق مرادهم .

وفى هذا الصدد يذكر : سعد جمعه ما ملخصه أنه لما كان سفيرا لبلده الأردن بواشنطن سنة ١٩٦٣م ، أثارت الصحف الأمريكيه حملة ضارية ضد الإرساليات التبشيريه فى افريقيا التى انفقت ملايين الدولارات ، دون أن تُدْخِل فى المسيحية مايوازى هذه النفقات فهى لم تؤد الغرض المطلوب من وجودها ، ولم تكتف الصحف بذلك وإنما عيّرتْ الإرساليات بأن الإسلام قد انتشر فى قارة افريقيا دون بعثات وإرساليات وبدون نفقات ، فكان جواب المبشرين على تلك الحملة : إنهم إن يكونوا أخفقوا فى دعوتهم فهم قد نجحوا نجاحًا ملحوظا فى تشويه الإسلام فى نفوس أصحابه من العامة. [1]

" الطعن فى القرآن الكريم "

ولا يتوانى المبشرون فى طرح الشبهات حول الإسلام ، بالطعن فى القرآن الكريم وهاهو أحدهم هـ ٠ ا ٠ ر جيب يقول عن القرآن الكريم : إنه مجموعة الخطب الواردة على لسان محمد " صلى الله عليه وسلم " خلال العشرين سنة الأخيرة من حياته .

وهى تشكل فى حد ذاتها تعاليم دينية وأخلاقية مختصرة ، وحجج مقدمة ضد خصومه وتعليقات حول الاحداث المعاصرة وبعض الأحكام ذات الصبغة الاجتماعية والقانونية كان النبى محمد " صلى الله عليه وسلم " يعتقد أن جميع هذه الآيات أوحيت إليه ولاتشكل فى حد ذاتها فكرته الواعيه . [2]

ومثل هذا الزعم يدل على إفلاسهم ، فلما لم يعد تنطلى على النّاس فكرة تعليم القرآن من الأحبار والرهبان ، وغير ذلك من الادعاءات لجأوا إلى فكرة الايحاء النفسى ظنا منهم أنهم جاءوا بما لم يعلمه الأوائل وهم فى الواقع مقتدون بغيرهم من كفار مكة ، الذين سبقوهم إلى هذا الرأى [3] ، يقول الدكتور / دراز :
ومن تتبع أنواع المجادلات التى حكاها القرآن عن الطاعنين فيه رأى أن نسبتهم القرآن إلى تعليم البشر كانت هى أقل الكلمات دورانا على ألسنتهم ، وأن أكثرها ورودا فى

---

(١) الله أو الدمار سعد جمعه ص٧٠ ط٣ مطابع المختار الإسلامى ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م بتصرف
(٢) الاتجاهات الحديثة فى الإسلام تعريب جماعة من الأساتذة الجامعيين ص ٢٩ ، ٣٠ ط ١ المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت لبنان بدون تاريخ .
(٣) يراجع شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة - عرض ونقد - (رسالة ماجستير) رسالة مخطوطة بكلية أصول الدين . محمد زين العابدين الطشو ص ١٢٨ . ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

جدلهم هى نسبته إلى نفس صاحبه على إضطرابهم فى تحديد تلك الحال النفسية التى صدر عنها القرآن : أشعر هى ، أم جنون ، أم أضغاث أحلام ؟ [1]

وصور القرآن هذه الادعاءات ورد عليها بالقول الفصل (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) [2] ، وكشف القرآن كذبهم بقول الله تعالى : أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) [3] ، ويقول تعالى : (وما علمناه الشعر وماينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) [4] .

فنكرة الوحى النفسى مرفوضة أساسا بالنسبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد بذلك :

١ ـ حالة نزول الوحى : فكل من عاصر الرسول صلى الله عليه وسلم " وجلس بجواره لحظات لقاء جبريل معه يسمع دويًا كدوى النحل أو صوتا مثل صلصلة الجرس فهذا الصوت الحادث والمسموع من أين جاء ؟
والمتلقى له صامت لايحرك بنت شفاه كما أمره مولاه (لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرآناه فاتبع قرآنه . ثم إنّ علينا بيانه) [5] يقول الألوسي : وكان صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليه جبريل عليه السلام القرآن يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة خوفا أن يصعد عليه السلام ولم يحفظه " صلى الله عليه وسلم " فنهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك إذ ربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع مابعدها [6] ، ويفهم من هذا أن هناك كان صوت الوحى المغاير لصوت النبى وهذا محسوس لمن عاصروا اتصال السماء بالأرض فى حياة النبى " صلى الله عليه وسلم " وفترة الوحى .

٢ ـ حالة النبى فى لحظات الوحى : فلقاء ملك الوحى ليس بالأمر الهين فحين الاتصال به وقت نزول القرآن تبدو علامات واضحات على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتغير وجهه الشريف ، وتسيل قطرات الماء من جبينه كما ورد فى الحديث

---

(١) النبأ العظيم (نظرات جديدة فى القرآن) للدكتور / محمد عبد الله دراز ص ط٢ طبع دار القلم ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م .
(٢) سورة الأنبياء الآية ٥ .
(٣) سورة يونس الآية ٣٧ .
(٤) سورة يس الآية ٦٩ .
(٥) سورة القيامة الآيات من ١٦ : ١٩ .
(٦) روح المعانى جـ١٦ صـ ٢٦٨ .

الشريف : عن عبادة بن الصامت قال : كان نبى الله " صلى الله عليه وسلم " إذا أنزل عليه الوحى كرب لذلك وتربد وجهه (*) (١) " . وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ماقال وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى مايقول " قالت عائشة رضى الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا) (٢) .

وأيضا ما أحسه زيد بن ثابت وهو يكتب الوحى لحظة نزول جبريل عليه السلام بآية " غير أولى الضرر " وقوله : غشى النبى صلى الله عليه وسلم الوحى ووقع فخذه على فخذى حتى كادت تدق من ثقل الوحى (٣) ، وهذه حالات شاهدة بوجود اتصال غير منظور إلا لمن نزل عليه الوحى لكن أثره ظاهر لكل من حضر وشاهد الحالة من ملامح وجه النبى أو احساس من بجواره كما حدث مع زيد .

٣ ـ الفرق الواضح بين النص القرآنى والنص النبوى فمع أن النبى أوتى جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا إلا أن العبارة من القرآن فيها من الاعجاز والبلاغة مايقصر عن إدراكه البشر وكل مخلوقات الله أيًا كانوا لأنه تنزيل من حكيم حميد فلا يبقى لشبهة الوحى النفسى أثر ، وسيظل تحدى القرآن دليل على وحى الرحمن) (٤)

ووحى الرحمن حوى مايصلح البشرية من القوانين والنظم الاجتماعيه ، والأخلاق السامية ، ووضع الضوابط الكفيلة بصيانة أى مجتمع يتخذها دستورا له فى حياته وكل من يدعى القصور أوعدم التمام والإلمام فى أى ناحية من نواحيه ، نقول هات براهنك إن كنت صادقًا .

افتراء حول النبى " صلى الله عليه وسلم "

ولما لم يستطع القوم أن يجابهوا القرآن الكريم نراهم لم يكفوا عن التشكيك فيه والافتراء حول النبى صلى الله عليه وسلم ويكفى فى هذا الموضوع الإشارة إلى افتراء

(*) " تربَّدَ وجهه " " ربد " قيل فى معناه : تربد لونه ، وتربده تلونه : تراه أحمر مرة ومرة أخضر ومرة أصفر ، ويتربد لونه من الغضب أى يتغير (لسان العرب مجلد ٣ص ١٠٥٥ باب الراء)

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٥ ص ٨٩ (كتاب الفضائل / باب طيب عرقه صلى الله عليه وسلم
(٢) صحيح البخارى كتاب الشعب ج ١ ص ٢ ، ٣ (باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٣) روح المعانى ج ٥ ص ١٢١ .
(٤) شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة ـ عرض ونقد ـ ص ١٢٨ ـ ١٣٠ بتصرف .

" ميكا آسين بالاسيوس " حول قصة الاسراء والمعراج يقول : نشأت اسطورتا الاسراء والمعراج الاسلاميتان عن آية قصيرة غير صريحة وردت فى " القرآن "[1] ثم ذكر الآية الأولى من سورة الاسراء والحق ان الاسراء والمعراج رحلتان قدسيتان أخبرنا بهما القرآن وسنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وشهد التاريخ الصادق بحدوثهما لسيد الخلق ، فليسا من قبيل الاساطير ، أو التخيلات النفسية يقول الله عز وجل : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)[2] ، وفى شأن معراجه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : (وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ماكذب الفؤاد مارأى أفتمارونه على مايرى ، ولقد رءاه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى)[3] .

وذكر البخارى ومسلم فى صحيحهما إسراءه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى بيت المقدس ، ثم معراجه إلى السموات العلى سماء بعد سماء إلى سدرة المنتهى حتى صار قاب قوسين أو أدنى فلامجال للشك فى حدوثهما حقيقة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمن معجزاته التى لاتتكرر وأولها وأبقاها القرآن الكريم ، وقد شهد التاريخ بحدوث الإسراء والمعراج لسيدنا رسول الله " صلى الله عليه وسلم " .

ومن الشبهات التى يحاول المبشرون نشرها فى العالم الإسلامى والعالم الغربى :

أن الإسلام دين السيف ، وأنه قام على سفك الدماء والحروب فى الوصول إلى غاياته ويقصدون من ذلك تحقيق غرضين :

الأول : تنفير المسلمين من الجهاد ، وخنوعهم للاستسلام تحت دعوى أن الإسلام دين سلام وهى حقيقة ، قبلها المسلمون المعاصرون استسلاما لا اسلاما ..

الثانى : تخويف العالم الغربى من الإسلام عموما لأنه نقل إليهم على أنه دين يأمر بالقتال ، وأتباعه يمارسون هذا على أنه شريعة وأمر يجب تنفيذه وفقط ، وفى تصوير الإسلام بهذه الصورة مغالطات لاتغتفر ، ولو نظرنا لرأينا أن حرب الإسلام فى جوهرها تحقيق السلام ، ويكفى أن حروب الرسول " صلى الله عليه وسلم " والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ، كانت ضد الوثنية والأكاسرة والأباطرة الطغاة ، فأنقذت الانسانية من ويلات الظلم ، وجبروت الحكم ، وبالرغم مما حققته من نتائج خيرة للبشرية

---

(١) آراء غربية فى مسائل شرقية تعريب عمر فاخورى صـ ٤٢ بدون عدد للطبعة طبع فى مطبعة المفيد بدمشق ١٩٢٥م .

(٢) سورة الاسراء الآية ١ .

(٣) سورة النجم الآيات من ٧ : ١٤ .

جمعاء ،فإن قتلاها من القلة التى لاتكاد تذكر بالنسبة لما جرى فى الحروب الصليبية التى جرها أنصار الصليبيين على العالم الإسلامى واكتوى بنارها الشرق والغرب على السواء ، ويطول بنا الحديث لو عددنا الفظائع المرتكبة باسم المسيح عليه السلام والمسيح برئ منها ، ولاتزال الإنسانية تذكر ما أذاقها الغرب المتحضر من كؤوس مرة ، وليست حادثة قنبلة هورشيما الذرية ببعيدة عن أذهان العالم ، فأثارها باقية ومشاهدها حية مهما حاول الغرب الصليبى بواسطة مجموعة من مفكريه إسدال الستار ، ولف هذه الجرائم فى كثير من الخرق ، وإخفاء معالمها التى لاتخفى فى صورة إشاعة مقالات السوء حول الإسلام وتصويره بصورة جرح ينزف دما فى كل مكان ، حتى يتم إخفاء ماترتكبه الصليبية ووضعه فى طى الكتمان ، وحتى لا أطيل فى سرد الرد على افتراءات المستشرقين وترويج المبشرين لها ، أحيل القارئ الكريم على الباب الثالث من رسالة الماجستير [1] التى رددت فيه على مزاعم القوم حول أسلوب الدعوة ، والحرب والسلام فى نظر الاسلام بالإضافة إلى ماتم دحضه فى الباب الأول والثانى من الرسالة من شبهات القوم حول الوحى القرآنى ، والنبوة الإسلامية ، مع توضيح القول فى زيجات النبى " صلى الله عليه وسلم " وتعدد الزوجات فى الإسلام .

" محاولة إفساد المرأة المسلمة "

مايزال القوم فى حملتهم المركزة على النصف الثانى للمجتمع الإسلامى وهو المرأة وسأبين بمشيئة الله تعالى دورهم فى توجيه أفكار الفتيات فى مراحل حياتهن العلمية فى مبحث تعليم البنات الآتى فيما بعد ، أما الدور الآن فعلى المرأة كزوجة ، وأم فالمبشرون لايفتأون يرفعون شعار حقوق المرأة ، أو تحرير المرأة ويتبعهم فى حمل هذه المسئولية بأمانة أذيال لهم فى بلاد الإسلام وليس المجال لعرض محاسن الإسلام فيما صنع بالمرأة ، فالأمر واضح ، ومانعجب له أشد العجب أن أسيادهم يستعبدون الشعوب برجالها ونسائها ، ولانجد توجيها من " البابا " أو من دونه إلى هؤلاء الحكام المسيحيين بالنظر فى حقوق الإنسان ، ودومًا التوجيهات الحسان إلى المرأة المسلمة

(١) شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة ــ عرض ونقد ــ

فى الشرق بكشف الأذرع والسيقان ، ومساواتها بالرجل فى المكابدة الخارجية فـــى المزاحمة بالمواصلات ، والأعمال والغريب فى أمر هؤلاء أن يضعوا موازنة بين حشمـــة المرأة والتأخر ، وسفورها والتقدم ، وأقول لهم إن كانت نيتكم خيرًا بأمة الإســـلام فصدروا لها " تكنولوجيا العصر " حتى تلحق بالركب وحين تفعلوا هذا يكون بعضـــا من الوفاء لأمة قدمت لكم الحضارة والمعرفة فى العصور المظلمة ، وإن لم تتمكنــــوا فاتركوا أمة الإسلام تخط طريقها بدون وضع المعوقات والعراقيل ، فلماذا حرصكم الشديد على عرى المرأة ، وعنايتكم الفائقة بتحريرها ؟

إننا فى دهشة من هذه التصرفات ، دعوا نسوة الشرق لتعاليم دينهم ، ولرجال وطنهم ، فكل أدرى بمن يحيط به ، ولنعلنها مدوية ، لاتنخدعى أيتها المـــرأة المسلمة ببريق الغرب ، فتعاسة المرأة الغربية ، وضياعها فى ضباب الفوضى أقلقهـــا وأرّق مجتمعها الذى تحول بالرغم من شدة النظام فيه ، ودقة تنفيذ القوانين إلـــى مجموعات من اللصوص وتجار السموم ، وبائعى الأعراض ، ولاعبى القمار وصارت اللعبـــة المفضلة للرجل فى هذا المجتمع المرأة ، بل صورة لابتزاز الأموال ، فى حفلات الرقص فى نوادى العراة والعياذ بالله ، فى دور الخنا ، فى أعمال الجاسوسية فى المتاجرة الرخيصـة .

فيا مسلمة الشرق والغرب عضى بالنواجذ على تعاليم الإسلام ، وقومى بدورك كما أمر الله تعالى خير قيام ، وانتظرى النتيجة عطاءً سخيا مما لاتنفذ خزائنـــــة ولا تلتفتى للأفاكين ، ومدى يد العون للمجتمع الكريم فى حشمة ووقار ، تنعمـــــين بالاستقرار ، وتنالين التكريم .

٤ ـ إفساد أخـلاق المسلمين :

إنها محاولة لتدمير الأخلاق الإسلاميه ، التى بُعث خاتم النبيين " صلى الله عليه وسلم " لإتمامها حيث قال : (ﷺ بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[١]، والقـــــوم يثيرون الإتجاه الغريزى فى نفوس المسلمين فى صورة حرب معلنة على المسلمين صبـــاح مساء ، ولاعاصم منها إلا من عصم الله ، وإن بلادًا إسلامية كثيرة ضاعت من أيـــدى المسلمين ، ليس تحت وطأة الأعداء ، وشدة بأسهم ولكن بغياب العقول ، والوقـــوع فى براثن الشهوات .

---

(١) رواه أحمد والبيهقى والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة (تعليق العراقى على الإحياء جـ٢ صـ ١٥٥) .

ويضع الأستاذ الفاضل دكتور / عبد الودود شلبى أيدينا على خطة العـدو فى الإجهاز علينا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام حين يتساءل عَلَّنا نفيق : أتعلمـون كيف ضاعت الأندلس يامسلمون ؟

ويجيب :

لقد أعد " الفرنجة " جيشًا لهذه المهمة ولكن قبل أن يتحرك هذا الجيـش تنكر أحد جواسيسهم فى صورة تاجر لقد أرادوا أن يعرفوا حال المسلمين أولاً ..

وفى أول خطوة داخل أراضى الأندلس الإسلامية التقى هذا الجاسوس المتنكـر بصبى مسلم كان واقفًا يبكى تحت ظل شجرة قال الجاسوس للصبى :
لماذا تبكى هل تريد طعامًا ، مالاً ، أم تقبل منى هذه الهديه ؟ لقد أمسك الصـبى المسلم بيد الجاسوس ثم ألقى بهديته على الأرض قائلاً : أتظننى طفلا حتى تضحـك على بهذه اللعبة ؟ !.

لقد فوجىء الجاسوس بالإجابة واعترته دهشة ورعشة ثم أردف قائلاً : إذن لـم تبكى ؟ أبكى لأنى أخرج صباح كل يوم للتدريب على الرمى فى هذه المنطقة وقد رأيت طائرين فوق هذه الشجرة ، فأردت أن أصيدهما بضربةٍ واحدة ، غير أنَ طائرا واحدًا سقط بينما طار الآخر ونجا لهذا حزنت .

حزنت لأننى عجزت عن صيد طائرين بضربة وأخشى أن يفاجئنا أعداء اللـه فلا أقتل منهم الكثير بهذه الحربة ، واستدار الجاسوس راجعًا على الفور وأمام هيئـة قيادة جيش الغزو قال لكبير كهنة العدو : هكذا يفكر الأطفال فكيف بالرجال من ذوى الخبرة فى القتال ، وما العمل ؟

عليكم بالنساء والخمر إن هذا هو السلاح الحقيقى فى معركة الغد وقد حدث فعلا .. وبعد سنوات كثيرة طبعا أصبح الأندلس " فردوسا " مفقودا ، وتحول إلـى " قصيدة " يترنم بها المسلمون أغنية ونشيدا .[1]

ولم يكتف أستاذنا بهذا الحد من التحذير إنه يفتح أعيننا على مايجرى بيننـا حتى لاتغمض الجفون أكثر من ذلك فلا نبصر إلا الحديد فى أيدينا وسياط الأعـداء تسيل دمنا وقتها نقول ليت ولاتنفع ليت .

---

(١) أفيقوا أيها المسلمون !! قبل أن تدفعوا الجزية دكتور عبد الودود شلبى ص ١٠٦ ، ١٠٧ ط ٣ دار المجتمع للنشر والتوزيع بجدة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

يقول بعض القادمين من مدن الضفة الغربية فى فلسطين المحتلة : إن السلطات الصهيونية تدعو الشباب العربى إلى الإختلاط باليهوديات ثم تشجع هؤلاء الفتيات على ممارسة الفاحشة مع هذا الشباب • ويقول الراوى : إن معظم الأفلام التى تعرض هناك أفلام جنسية صارخة وقد عمدت الحكومة الإسرائيلية إلى فتح بيوت للدعارة فى أماكن عمل الفلسطينيين وتجمعاتهم المختلفة •

إنه نفس المخطط • ولنفس الغاية • ولافرق فى ذلك بين التبشير والصهيونية ماذا بقى بعد ذلك ؟

إنها الكارثة • وهى قادمة مابقيت أمور المسلمين على ماهى عليه فى العالم الإسلامى بعامة وفى الخليج العربى بصفة خاصة •[1] • وإن هدف المبشرين سلخ المسلمين من إسلامهم قبل كل شئ ولايتأتى ذلك إلا بشيوع الإنحلال • بينهم وسوق المغريات إلى أوطانهم • وقد أخذ المبشرون على عاتقهم تنفيذ هذه المهمة ضمن مايقومون به من تخريب فى ديار الإسلام •

دور " زويمر[*] " زعيم المبشرين فى اشاعة الفساد

لما وقف " صموئيل زويمر " رئيس جمعيات التبشير فى " مؤتمر القدس " سنة ١٩٣٥م والخاص بالتبشير خطيبا فى إخوانه المنصرين • أرجع الفضل فى صرف عقول الشباب المسلم عن كل ماهو جاد • ومفيد إلى إخوانه • وكان من قوله :
" أيها الإخوان الأبطال والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس لقد أديتم الرسالة التى نيطت بكم أحسن آداء ووفقتم لها أسمى التوفيق وإن كان يخيل إلىّ أنه مع اتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه •

إننى أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لقد كانوا كماقلتم أحد ثلاثة • إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ماهو الإسلام أو رجل مُستخِفّ بالأديان • لايبغى غير الحصول على قوته

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٧ • ١٠٨ • قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله ص ٥٣ •

(*) صموئيل زويمر : عاش من عام ١٨٦٧م الى ١٩٥٢م وهو مستشرق أميركى محرر مجلة " عالم الإسلام " الانجليزية له مؤلفات عن العلاقات بين المسيحية والإسلام منها " يسوع فى إحياء الغزالى " (المنجد فى العلوم ص ٢٤٠ بتصرف) •

وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش، وآخر يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية ، ولكن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ، ليست هى إدخال المسلمين فى المسيحية فإن فى هذا هداية لهم وتكريما ـ هكذا ـ وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لاصلة له بالله ـ وبالتالى فلا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية وهذا ماقمتم به فى خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعًا كل التهنئة .

لقد قبضنا أيها الإخوان فى هذه الحقبه من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية ونشرنا فى تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس ، والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التى تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية والفضل إليكم وحدكم أيُّها الزملاء إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول الإسلامية إلى قبول السير فى الطريق الذى مهدتم له كل التمهيد ، إنكم أعددتم شبابا فى ديار المسلمين لايعرف الصلة بالله ولايريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه فى المسيحية وبالتالى جاء النشئ الإسلامى طبقا لما أراده له الاستعمار لايهتم للعظائم ويحب الراحة والكسل ولايصرف همه فى دنياه إلا فى الشهوات فإذا تعلم فللشهوات وإذا جمع المال فللشهوات وإن تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوات يجود بكل شئ .

إنّ مهمتكم تمت على أكمل الوجوه ، وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضى عنكم الاستعمار فاستمروا فى أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب " .(١)

وبهذه النهاية ختم زويمر خطابة ، فمادام الناهبون والمستغلون رضوا عن المبشرين أصبحوا موضع بركات الرب فأى ربّ هذا الذى يبارك عمل المفسدين ؟ ويرضى عن المستعمرين الظالمين ، سبحانك يارب العالمين قلت فى القرآن الكريم :

(إن الله لايصلح عمل المفسدين) .(٢)

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ٥٨ ، ٥٩ ، قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله ، جلال العالم ص٥٣ بدون عدد للطبعة (المختار الإسلامى للطبع والنشر) بالقاهرة ١٩٧٤م .

(٢) سورة يونس من الآية ٨١ .

إن زعماء التبشير يدركون تماما دور الأخلاق فى حياة المسلمين ويعلمون مدى تأثيرها على الحضارة بل أثرها الحضارى على العالم أجمع ، وهم يأتون إلينا بالإستعمار بكل معانيه الإستيطانى ، والثقافى ، والإقتصادى ، .. من مدخل هدم القيم يقول مرما ديوك باكتول :

إنّ المسلمين يمكنهم أنّ ينشروا حضارتهم فى العالم الآن بنفس السرعة التى نشروها بها سابقا ، بشرط أن يرجعوا إلى الاخلاق التى كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول لأن هذا العالم الخاوى لايستطيع الصمود أمام روح حضارتهم .[1]

٥ ـ إحتواء حكام المسلمين بالإلتفاف حولهم

وهو هدف إستعمارى ، يمهد له المبشرون السبل بما يتاح لهم من إمكانيات وبما يملكون من وسائل ، وبما لهم من خبرة يقول جب : لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعيه وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئًا فشيئًا حتى انحصرت فى طقوس محددة ، وقد تم معظم هذا التطور تدريجيًا عن غير وعى وانتباه ، وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد ، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه ، لكن نجاح هذا التطوير يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء فى العالم الإسلامى ، وعلى الشباب منهم خاصة كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمى والثقافى العلمانى[2] .

ومن أجل صنع القادة كما يشاء الاستعمار ، التف حولهم المبشرون وأحاطوهم بالرعاية ، فكانوا بأعين التبشير يرون ، وعلى عصاه يتكئون وهذا نوع من التدخل السياسى الغربى لصالح أمم الغرب على حساب أمة الإسلام .

التبشير السياسى للقادة

ويختص هذا النوع لقادة البلاد ، لجذبهم تجاه مصالح الاستعمار وهو من ألوان التبشير الهام ، يستخدمون فيه كافة الوسائل للوصول إلى قلوب معظم الحكام والقادة ، والوزراء ، وذوى الجاه ولايتركون ثغرة بدون أن ينفذوا منها إلى عقلية هؤلاء عن طريق الترجمة ، أو التعليم ، أو التطبيب ولو وصل الأمر للخدمة داخل الدور والقصور .

---

(١) قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله صـ ٤٥ .

(١) يراجع المرجع السابق صـ ٤٧ .

ويلفت النظر إلى هذا اللون التبشيرى الدكتور / فهمى الشناوى بقوله : لقد أحاط بالخديو " توفيق " وأبيه " إسماعيل " رجال مثل " نوبار باشا " " ونجران " باشا " وبطرس غالى " وأحاط " بفاروق " رجال مثل " كريم ثابت " والسياسى " أندراوس " ، وأحاط " بالنحاس " مكرم عبيد .

حتى داخل القصور ، وبين خدم الحريم كان يحيط بالملكات والأميرات نساء وأحيانا رجال مسيحيون ويهود ومن لايبشر فليس مسيحيا ، والتبشير هنا لايعنى بالضرورة تحويل الملك أو الزعيم أو الأميرات إلى المسيحية دينا معلنا ولكن تحويلهم بعيدا عن مصلحة الإسلام وفى خدمة المسيحية الدولية هو المطلوب والأكثر فعالية والأبعد أثرا .(١)

ونجح الغرب فى القيام بهذا الدور ، وسخر بعض مسيحى الشرق لتشيله حتى تمكن من غرس مبادئ التربية الغربية وبث أفكارها فى كثير من ملوك وقادة المسلمين .

وفى النهاية اتخذ هؤلاء الحكام معاهد الغرب قبلة لهم وأساتذة أوربا أئمة لهم يتلقون النصيحة منهم ويشير الأستاذ ابراهيم خليل أحمد إلى بعضهم قائلا : ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ الملك السابق فاروق (مصر) .
٢ ـ الملك فيصل(*) (العراق) .
٣ ـ الملك حسين (الأردن) .

ولعل الغرض من هذا كله أن يشبوا متشبعين بمبادئ الغرب مالئين له ، وبهذا تخف فى نفوسهم موازين القيم الإسلامية ، والقيم الوطنية العربية .(٢)

٦ ـ اصطناع العداء بين النصرانية والإسلام

والواقع يؤكد أن الإسلام فى جوهره لايعادى (دعوة المسيح الحقة) التى أوحى الله تعاليمها إلى نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام وإنما يوجب على المسلمين الإيمان بالمسيح عليه السلام والتصديق برسالته ، كما يفرض عليهم الإيمان بكل الأنبياء والرسل بما فيهم

---

(١) المختار الإسلامى صـ ٥٩ من مقال بعنوان : المؤامرة على اسقاط الخلافة العثمانية (العدد ٢٩ السنة الخامسة) ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م .

(*) فيصل ٢ ابن غازى عاش من عام ١٩٣٥م إلى ١٩٥٨م نودى به ملكا على العراق عام ١٩٥٣م ثم قتل بانقلاب عسكرى (يراجع المنجد فى العلوم صـ ٥٣٦) .

(٢) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية صـ ٦٠ ، ٦١ بدون عدد للطبعة وبدون ذكر المطبعة ١٩٧٢م .

خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والإيمان بأن الاسلام نسخ الشرائع السابقة كلها بما فيها النصرانية يقول الأستاذ / نذير حمدان :

ولكن المبشرين يصطنعون صراعا بين الرسالتين ، ويتكلفون أن يقيموا عداء بين المسلمين والمسيحيين ، فالمستشرق الألماني (بيكر) يرى أن " هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سدا منيعا في وجه انتشار النصرانية ، ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها ..) فالقضية الحقيقية هي تعارض مصالح المبشرين التوسعية وتخوفهم على مصالحهم الكنسية وتغلغل النفوذ الاستعماري قبل أي اعتبار آخر .[١]

والقوم يشعلون نار العداء كلما أحسوا بخمودها وكان الأليق بهم أن ينظروا نقاط الإلتقاء بين الإسلام والمسيحية ، ويعمقوا الصلة بين أتباع الأخوين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، حتى يصل الجميع إلى بر الأمان ولكن الحاجة في نفس يعقوب نجد التصريح من جانب التبشير وأذنا به بأن الصراع لاينتهي ، وبأنه صراع بين الشرق والغرب وتناسى القوم أن الرسالتين انبثقتا من الشرق ، فلاداعي لاصطناع استمرار العداوة من أمثال آلن مورهيد القائل في كتابه النيل الأبيض :

لقد انتهت هذه القلاقل (ثورات عرابي والمهدي) كما رأينا بالهزيمة الساحقة للإسلام على ضفاف النيل ولكن ثبت أنها هزيمة مؤقتة ليس إلا ومنذ سنة ١٩٠٠م وهناك تقدم منتظم للإسلام في شرق ووسط أفريقيا ، وفي الوقت الحاضر يكسب المسلمون مؤمنين جددًا أكثر من المسيحيين كما قال " رولاند أوليفر " إنهم يكسبون السباق .

وأوغندا تعتبر الآن مسيحية ولكنها ستستقل قريبًا وكل من مصر والسودان تحت حكم مسلم لذا فما من رجل عاقل يغامر بالقول بأن ذلك هو نهاية الأمر ، التناقض بين الدينين الشرق ضد الغرب ، يبدو كأنه جزء دائم من الواقع الإفريقي ، وهذا الصراع يمضي أحيانا تحت الأرض وأحيانا فوقها ولكنه مستمر ومحتوم كالنيل نفسه .[٢]

والواقع يشهد بخلاف هذا الكلام ، فالشرق المسلم في مجده كان للغرب نورا يزيل ظلام الحياة ، وكان كالنيل في نتاجه يروي الأرض فتنبت الحب والبقل وحين

---

(١) مجلة منار الإسلام ص ٩٢ ، ٩٣ مقال بعنوان: بين التبشير والاستغراب (العدد الثامن - السنة الخامسة) ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م .

(٢) الغزو الفكري محمد جلال كشك ص ٣٨ ط ٤ مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م نقلا عن: النيل الأبيض تأليف آلن مورهيد ، وترجمة محمد بدر الدين خليل ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ بدون عدد للطبعة طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٥م بتصرف .

واتت الفرصة الغرب فتقدم فى ركب الحياة ، أشعلها نارا حامية تأكل الأخضر واليابس وتناسى رجاله تسامح الإسلام ، وكان الأجد بمفكرى الغرب أن يذكّروا إخوانهم وعشيرتهم بأيادى الإسلام البيضاء ، بدلا من أن يثيروا فيهم البغضاء والشحناء .

٧ ـ محاولة الاستيلاء على بيت المقدس

أراد الغربيون أن ينفسوا عما يجيش فى صدورهم من استيلاء المسلمين على "القدس" ولذا يقول الأستاذ نذير حمدان : فمنذ أن هزم الصليبيون بعد قرنين من الزمان أنفقوهما فى محاولة الاستيلاء على "القدس" وغيرها وانتزاعها من أيدى المسلمين يقول اليسوعيون :

ألم نكن نحن ورثة الصليبيين ؟ أولم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيرى والتمدن المسيحى ، ولنعيد فى ظل العلم الفرنسى ، وباسم الكنيسة مملكة المسيح ؟ [١] .

وظلت فكرة الاستيلاء على بيت المقدس تراود أفكار الغرب بعد هزيمته العسكرية فى الحروب الصليبية ، وأخذ يستعد لتحقيق هدفه ، لفترة تمتد لعدة قرون كانت الأرض المقدسة بأيدى المماليك ثم بحوزة الأتراك المسلمين فى القرن السادس عشر الميلادى ، ونعم النّاس جميعًا بوجود بيت المقدس فى رعاية المسلمين ، حتى قربت نهاية الحرب العالمية الأولى ، عندما دخلت قوات الغزو الأوربى بلاد الشام .

" وهكذا نرى أن هذا الأمل القديم من أجل غزو بيت المقدس ظل مطويًا فى زوايا النسيان مدى خمسة قرون إلى أن تمكنت القوات المتحالفة من دخوله فى ١٠ ديسمبر ١٩١٧م ، ولم يكن هذا خاتمة الصراع المرير فى سبيل امتلاك هذه البقعة المقدسة إذ تجدد النزاع من أجلها مرة أخرى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

ولكن بعد أن كان هذا النزاع فيما مضى نزاعا بين المسيحية الغربية والعالم الإسلامى أصبح اليوم نزاعا بين إسرائيل تناصرها القوى الاستعماريه فى العالم الغربى وبين دول الشرق العربى يشد أزرهم إيمانهم العميق بعدالة قضيتهم ووضوح حقهم

---

(١) مجلة منار الإسلام ص ٩٢ من مقال بعنوان بين التبشير والاستغراب وقد سبق ذكر هذا المرجع .

وإذا كان ذلك هو ماضى الأراضى المقدسة وهذا حاضرها ، فلانعلم على وجه اليقين ماذا سيكون مصيرها فى المستقبل القريب أو البعيد ، وإن كانت الدلائل تؤذن بأنه سوف يكون مستقبلا حافلاً بالتطورات الهامة والأحداث الجسام .

وقد بذل الغرب جهده ومايزال ، ليدوم له التحكم فى مصير المسلمين والهيمنة على أوطانهم " فاستغل الاستشراق والاستعمار والتبشير كذلك ليظل العالم العربى تابعا لألوان حضارته ويبقى تحت سيطرته وخاصة فلسطين وذلك لموقعها الجغرافى الممتاز الذى جعلها عاملا حيويا فى التاريخ العالمى إذ تضم أعز الأماكن المقدسة للرسالات الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلام على حد سواء[1].

فإن على المسلمين واجب تجاه بيت المقدس بكل مقدساته وفى مقدمتها أولى القبلتين وثالث الحرمين" المسجد الأقصى " عليهم تطهير بيت المقدس من كل معتد أثيم وتخليص مقدساته من قبضة الصهيونية الاستعمارية ، ليعود الأمن والأمان إلى مدينة السلام ، ومن يتقاعس عن الجهاد فى سبيل الله لتطهير هذه الأماكن من رجس المعتدين فهو خائن لله ولرسوله وللمؤمنين ، ومفرط فى الأمانة فعلى ولاة المسلمين وعلمائهم أن يعيدوا للمسلمين المجد والعزة .

وسائل التبشير

تنوعت وسائل المبشرين للوصول إلى أغراضهم ، وتحقيق أهدافهم فلم يقفوا عند أسلوب بعينه ، وإنما استخدموا كل الأساليب المتاحة ، وهم دائمًا فى طريق التجديد ، وفى خدمة دولهم ، فهم فى نفس الوقت الذى يعملون فيه لنشر المسيحية الغربية يوجهون جهودهم لخدمة مصالح الدول التى ابتعثتهم ، ولقد حدث فى عهد الخديوى إسماعيل صاحب الفتوحات فى أرجاء السودان ، أن خشى الإنجليز من توسعاته فى السودان الشقيق .

يقول ميخائيل شاروبيم : وجعلوا يعملون على ماتقتضيه مصلحتهم ويتدبرون لمستقبل الأيام فأرسلوا الكشاف ، والرواد ، من طريق الزنجبار ورأس الرجاء بعضهم فى زى المبشرين

---

(١) فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر دكتور / أحمد سمايلوفتش ص ١٤١ ، ١٤٢ بدون عدد للطبعة ، طبع دار المعارف بمصر ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م .

بالنصرانية وبعضهم باسم علماء الآثار وأصحاب علم طبقات الأرض.[1]

وهكذا يتضح أمرهم ، فهم سخرة للدول الاستعماريه وأداة لتحقيق المآرب السياسية وهذه وسائلهم إجمالاً :

١ ـ التعليم فى المدارس ، والكليات والمعاهد ، بعد إنشائها .
٢ ـ إنشاء المستشفيات ، والمستوصفات المجانيه ، وتقديم الخدمات الطبية مجاناً .
٣ ـ وسائل الإعلام : من صحافة ، وإذاعة ، ودور النشر ، والطباعة .
٤ ـ المخيمات الكشفية ، والمعسكرات .
٥ ـ الجمعيات التبشيرية والخيرية التابعة للتبشير .
٦ ـ الملاجئ .
٧ ـ الكتب ، والرسائل .
٨ ـ المؤتمرات .

وسأتحدث بإيجاز عن كل وسيلة من هذه الوسائل ليظهر بوضوح الدور التبشيرى المستتر تحت الخدمات الإنسانية ، والرحمة بالبشريه .

١ ـ من أهم وسائل التبشير التعليم

وقد اتخذ المبشرون التعليم وسيلة من قديم الزمان ، وكانت الخطة بناء مدرسة مسيحية فى أحد أقطار الإسلام ، وبحجة توسيع المدرسة يتم شراء ماحولها من أرض ، أو مساكن بأى وسيلة ، ويقام سور كبير حول المدرسة والأرض المشتراه ، وفى فناء المدرسة تشيد الكنيسة ، فيجد التلميذ المدرسة تلاصق الكنيسة ، فيتعود على رؤية هذا المنظر ، وتنطبع فى ذهنه هذه الصورة وإن لم يذهب لتأدية الشعائر فيها مجاملة لأساتذته المسيحيين ، ومن البطاركة الذين برزوا فى هذا الدور وطبقوه ببلاد الإسلام :

أ ـ البطريرك " كيرولس الرابع " (*) بابا الإسكندرية والمدارس التبشيريه :

يشهد تلميذ من تلاميذ المدرسة التى أنشأها بالدور الذى أداه هذا البطريك

(١) الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ميخائيل شاروبيم ج ٤ صـ ٢٧٦ ط١ طبع بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية ١٣١٨هـ = ١٩٠٠م .

(*) كيرلس ٤ وهو داود بن توباس بن بشوت بن داود ولد سنة خمس وعشرين ومائتين وألف هجريه بقرية اسمها نجع أبوزقالى من قسم صومعة شغلان بإقليم أخميم بصعيد مصر (الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ج ٤ صـ ١٣٤) .

مفتخرا بأعماله ، قائلا : فإنه عزم أن يجمع جميع أبناء الملة ، ويضعهم فى دار أنشأها بالقبيله " وسماها " دار العلوم " وقد عين لدخول التلاميذ يوم كذا ونودى بذلك فى الناس بالكنيسة الكبرى .(١)

وبدهاء البطريرك ، استمال محفظى القرآن الكريم من المسلمين بالقريه حتى لايؤلبوا أهل القرية على المسيحيين ، ويكشفوا خطته الماكرة ، وحتى يضمن دخول أولاد المسلمين بالمدرسة وهو المقصود الأول وأناط بهم التعليم الابتدائى ، على أن يضم الأولاد النجباء بعد اختبارهم إلى جانب التلاميذ المسيحيين ليتلقوا بقية تعليمهم على يد أساتذة مسيحيين ، وهذا ماقاله التلميذ المذكور : وجعل لامتحان تلامذتهم أياما معدودة فى كل ستة شهور فمن وجد منهم ناجبًا ضُم إلى صفوف المدرسة ، فلم يمض على ذلك إلا القليل حتى دخل من هؤلاء فى صفوف المدرسة نيف وتسعون تلميذا ومائة ممن كانوا خارجا وظهرت عليهم علامات النجابه ودلائل الفلاح فتكلموا بالإنجليزية والفرنسية والإيطالية والقبطية وجودوا اللغة العربية .(٢)

دوره فى بناء المدارس :

أدرك " داود " الصومعى منفعة التعليم للمسيحية ، ودوره فى التبشير بها فسلط جهده فى إنشاء المدارس التى تخدم أغراض المسيحية منذ عهد مبكر ، فحين كان مطرانا عاما أنشأ مدرسة فى الدار البطريركيه " بالقاهره " ، وجعل فيها التعليم مجانا لكل الطبقات وبعد جلوسه على السدة البابابويه عمل على توسيعها وزيادة فصولها حتى تستوعب أكبر عدد من الطلبة وافتتحها رسميا بحضور وجهاء الدولة سنة ١٨٥٥م وكان يقوم بكل مطالب الطلبة مع دفع مرتبات المدرسين " .(٣)

وحتى لاتغلت الفتيات المسلمات ، من الدعوة إلى حظيرة المسيحية قام بإنشاء بعض مدارس للتلميذات وهذا ماقاله صموئيل تاوضروس فى تعداده لمآثره ولم يقف البطريرك المصلح عند هذا الحد ، بل أنشأ مدرستين أخريين فى حارة السقايين : واحدة للبنين والأخرى للبنات علاوة على مدرسة أولية لهن فى حى الأزبكيه وهكذا كانت مدرسة الأقباط الكبرى التى يتعلم فيها المسيحى بجانب المسلم أول مدرسة أهليه تمتلكها الكنيسة فى

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١٣٢ ، ١٣٣ .
(٣) باباوات الكرسى الإسكندرى ١٨٠٩ - ١٩٧١م مع موجز لمعاصريهم من أساقفة الأقاليم صموئيل تاوضروس ص ٤٦ ، ٤٧ .

القاهرة بل وفى مصر ، كما كانت مدارس البنات الأولى من نوعها التى شهدتها البلاد فى وقت مبكر من نهضتها .[١]

وليت أمر البابا وقف عند هذا الحد ، بل تعداه إلى القيام بنفسه بدور تبشيرى يفوق الخيال ففى نهاية العام الدراسى كل سنة يعد حفلا يدعو إليه كبار المسئولين بمصر ، ويحضره جميع التلاميذ وبالها من فرصة ذهبية حيث يقوم بنفسه أمام هذا الجمع بتوزيع الجوائز فهو فارس الميدان ، وقتها سيفهم التلاميذ بنين وبنات أنه كل شئ عند كبار رجال الدولة ، وبالتالى يتطرق الى عقولهم التساؤل : لو كان على باطل فما الذى جعل كبار الدولة يقفون من خلفه ويسمحون له أن يكون سيد الحفل والموقف وهم شهود .

ويكفى القارئ الكريم ، أن يتلو وصف هذا الحفل كما ورد على لسان صاحب " الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث " حيث قال : وكان فى نهاية كل سنة يولم الولائم العظيمة ويدعو كبار القوم والوجهاء ، والعلماء ، لامتحان التلاميذ ثم يفرق الجوائز من نياشين الذهب والفضة ونفيس الكتب ويعد الموائد الفاخرة ، وكان إذا سمع من أحد التلاميذ كلمة وأعجبه وضعها أو استكبرها على قائلها لصغره وعدم بلوغه حد النقد فرح به فرحا عظيما واستعادها مرارا وأخبر بها كل من يراه فى يومه ويقول سمعت اليوم فلان بن فلان يقول كيت وكيت فسرنى جدا إدراكه وتحقق لى نجاحه إنشاء الله .[٢]

ب ـ البطريرك الإنطاكى كيرلس الثامن[*] ودوره فى نشر التعليم المسيحى :

فور وصول هذا البطريرك إلى كرسى البطريركية فى ٣ مايو سنة ١٨٨٥م اتجه للتعليم كما يقال وابتدأ ببلاد الشام فوسع مدرستى الصليبه ، والشرعوس الابتدائيتين وأنشأ مدرسة ثالثة فى القبب ومدرستين بابتدائيتين للبنات ، وبلغ عدد التلاميذ فى السنة الأولى لحبريته نحوا من ١٥٠٠ تلميذا وتلميذة ، إلا أنه ماكان يرضى بهذه المدارس الابتدائية فعزم على إنشاء مدرسة عالية وأخذ ينهض هم رعيته لمعاونته على هذا العمل المبرور فتبرع الخواجات بحمص وهم عيون الطائفة بإحدى دورهم فى الصليبة لتكون مدرسة داخلية وتقدر النفقات بعد ذلك بأربعة الآلف ليرة أخذ يعمل لإيجادها .[٣]

(١) المرجع السابق صـ ٤٧ ، الكافى فى تاريخ مصر جـ ٤ صـ ١٣٣ .
(٢) الكافى فى تاريخ مصر ٠٠ جـ ٤ صـ ١٣٣ .
(*) كيرلس ٨ هو سمعان جحا ولد فى سنة ١٨٤٠م بمدينة حلب الشهباء من والدين كريمين تقيين هما حنا جحا وكتريتا بيطار وكلاهما من أكرم العائلات الحلبية (تاريخ نشأة المسيحية صـ ٤٩) تاريخ نشأة المسيحية وطائفة الروم الكاثوليك تأليف مترى بك قسيس صـ ٤٩ بدون عدد للطبعة ـ مطبعة الأمانة بالفجالة بالقاهرة ١٩٢٨م .
(٣) المرجع السابق صـ ٥٠ .

وفى عام ١٩٠٤م كان هذا البطريك فى زيارة لبابا روما ، يقول : مترى بك قسيس: وعندما أزمع على الرجوع صحبه قداسة البابا رسالة جوابية للسلطان عبد الحميد فعاد بها غبطته للآستانة فأهداه السلطان الوسام العثمانى المرصع مكافأة على اخلاصة وصداقتــه وأعمال غبطته بدمشق .

ثم قفل غبطته إلى سوريا فوصل دمشق فى أغسطس سنة ١٩٠٥م وعاد إلى مواصلــة أعماله الاصلاحية فى الكرسى الإنطاكى فوجه اهتمامه بنوع خاص إلى المدرسة البطريركيــة بدمشق فحولها إلى مدرسة عالية داخلية ، وتوفق إلى مشترى السور الأثر المسيحى الكائن بجوار البطركخانه والكنيسة ، وهو السور الذى تدلى منه بولس الرسول عندما فر من دمشق تخلصا من بطش حاكمها به على مافى أعمال الرسل ، وأقام سورا عظيما حول الكنيســة والمدرسة والبطركخانه ، وإذ كانت كنيسة دمشق مدينة بمبلغ ألفى ليرة فرنسوية عمل يانصيب خيرى فنجح نجاحاً عظيما تمكن معه من وفاء الدين كله ، ووجه نظرة اهتمام إلــى حوران فوسع بناء المدرسة فيها وأسس مدرسة للبنات وعندما انتقل إلى بيروت رأى المدرسة البطريركيه تداعى للخراب فجدد القسم الأكبر منها وانفق على ذلك مالا طائلا وفــى الوقت نفسه بنى كنيسة المعرة واشترى أملاكا لوقفها على مدرستى البطريركيه فى بــيروت " وعين تراز الإكليريكيه " وفى سنة ١٩٠٧م سار غبطته لزيارة ابروشيته الأورشليمية فقضــى نحو من خمسة أشهر عاملا على النظر فى شئونها وفى هذه المدة بنى بطركخانة جميلــة فى " يافا " وكنيسة وبطركخانه فى بيت لحم وكنيسة فى السلط وأسس مدرسة بجوارها وأقام كنيسة فى عين بقرب السلط وغير ذلك .(١)

وبهذه الصورة اتضح لنا أنه أضاف إلى إنشاء العديد من المدارس المسيحيــة وبناء الكنائس بجوارها تطلعاته التوسعيه ، ومحاولته تضييق الخناق على المسلمــين بشراء الأراضى ووقفها على المدارس الخاصة بالبطريركيه ، ولاغرابة فى ذلك فقد نهـــج منهج كيرلس الرابع بابا الإسكندرية ، الذى اختار اسمه لنفسه عند سيامته ، وتوســـع فى الرغبات المسيحية غير المحدودة ، فلم يقصر نشاطه على بلاد الشام بل إمتد الى مصر .

نشأة المدرسة البطريركية لطائفة الروم الكاثوليك فى مصر :

واصل " كيرلس الثامن " نشاطه فى قطر مصر مطبقا ماكان يصنعه ببلاد الشــام بدهاء ، فيقال فى ذكر دوره فى مصر فى خدمة طائفته : وعندما بلغ غبطته القطــر المصرى توجهت عزيمته لتأسيس مدرسة بطريركية فيها تليق لعظمة الطائفة .

---
(١) المرجع السابق صــ ٥٥ ، ٥٦ .

وبالفعل نفذ فكرته الطيبة وافتتح المدرسة فى شارع الفجالة وأخذ لها دارا كان اشترى ثلثاها سليم بك وسمعان بك صيدناوى فتنازلا عن ايجارها للمدرسة وبقى الثلث الثالث بين سعادة الوجيه باسيلى بك موصيلى والست تغيده قسيس وأوقفوهـا للمدرسة كما وعدوا بذلك غبطته ، وهذا ليس بكثير على مكارمهم وسلم هذه المدرسة للاكليروس البطريركى وتهذب اليوم (أى يومها) نيفا وثلاثمائة تلميذا .(١)

ومن البطاركة الذين لهم دور بارز فى فتح المدارس التبشيرية ببلاد الإسلام " غريغوريوس(*) يوسف " الذى سبق البطريركين المذكورين من قبل فى هذا الصدور فحين تولى البطريركية الإنطاكية فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٦٤م برز نشاطه التبشيرى المستتر حول المدارس الداخلية والجمعيات الخيرية .

ففى سنة ارتقائه العرش البطريركى نفسها وضع أساس المدرسة البطريركية فى بيروت وأنشأ ثلاث مدارس كبرى داخلية ، ومدارس كثيرة خارجية ، ومثلها كتاتيب للأحداث والبنات فى عموم الأبرشيات ، وأقام جمعيات للفقراء فى أكثر حواضر سوريا ومصر .(٢) ، فالتبشير بواسطة التعليم مشروع باباوى من أساسه ،وفى جميع مراحله .

مفهوم التعليم التبشيرى :

اتجه القوم لغزو الإسلام فكريا لمشقة الغزو العسكرى ولعلمهم أنه يولد مقاومة لاطاقة لهم بها ، فبعد الحروب الصليبية الدامية ، تحولوا إلى الغزو الثقافى فأعطوه أهمية قصوى بجانب الغزو الحربى عند الضرورة ، فكان تعلم اللغة العربية ،واللهجات المحلية لأمم الشرق الإسلامى ، وتعلم اللغات الشرقية عموما حتى يتمكنوا من نقل فكرهم إلى هذه الأمم ، وأرسلوا البعثات التبشيرية التعليمية لنشر أفكار الغرب المسيحى وكان التركيز على تعليم النشئ فالصغار قلوبهم غضة ونفوسهم بريئة ، وعقولهم مستجيبة والتأثير فيها أعظم والوصول إليها أقرب فلا عجب أن يقول أحد المبشرين : إن الأثر الفعال فى الإسلام ،يبدأ باكرا جدا ، من أجل ذلك يجب أن يحمل الأطفال الصغار

---

(١) المرجع السابق صـ ٥٦ .

(*) غريغوريوس يوسف : ولد فى بلدة رشيد بجوار الإسكندرية سنة ١٨٢٣ وهو ابن يوسف سيور من أعيان دمشق وكانت وفاته فى دمشق يوم ١٣ يوليو سنة ١٨٩٨م " المرجع السابق ٤٤ ، ٤٦ باختصار .

(٢) المرجع السابق صـ ٤٤ ، ٤٥ .

إلى المسيح قبل بلوغهم سن الرشد ، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية.(١)

ومن أجل إرضاع الأطفال تعاليم المسيح " عليه السلام " على الطريقة الغربية اهتم التبشير بدور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية عموما ، " فكل مولود يولد على الفطرة " والذى يغير سلوكه ويحول فطرته ، التربية ، وبالها من فرصة لدعاة المسيحية ، وهم بدون شك خير من يغتنم الفرص وقد أبانت المبشرة " أنا مليجان " عن ذلك أحسن الإبانة إذ قالت :

إنّ المدرس أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحى ، وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما قادة أوطانهم .(٢)

وامتد هذا اللون من التعليم إلى الكبار ، لكى يكونوا أداة طيعة للغرب فى تنفيذ خططه ، بعد صبغهم بثقافته وتلوينهم بحضارته الخادعه ، ولقد كان المستعمرون الغربيون يعلمون أبناء البلاد لتسخيرهم فى خدمة أغراضهم .

التعليم التبشيرى فى خدمة الغرب :

ومن أجل ذلك فتحوا المدارس ، وتفننوا فى جمع المال للإنفاق على معلميها وإن كان واقع الأمر يشهد أنهم لايدفعون من مالهم الخاص وإنما مما استنزفوه من خيرات الشعوب ، ليستخدموه فى مصلحتهم الخاصة ، وتشير التعاليم الصادرة إلى حاكم إحدى المستعمرات فى عام ١٧٦٥م .

إلى أن كل مؤسسة أوربية لابد أن تكون فى خدمة الاستعمار حيث ورد فيها" أن جميع المستعمرات التى أسستها الدول الأوربية المختلفه لم توجد إلا لمنفعة الدول المستعمرة " (٣)

ومعنى هذا أن المستعمر يعد الإنسان فى البلاد التى تحت تصرفه ليكون فى خدمته فلايعطيه من التعليم الجرعة التى تؤهله لأن يكون عالما متفوقا وقد أشرت فى مفهوم

---

(١) مجلة " الوعى الإسلامى " تصدر بالكويت شهريا كل شهر عربى (السنة ١٥ العدد ١٨٠) صـ٥٨ من مقالة للأستاذ / عزت محمد إبراهيم بعنوان " التبشير وما يتستر وراءه من أغراض " ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

(٢) أباطيل وأسمار محمود محمد شاكر جـ ١ ، ٢ ، صـ ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٣) إفريقيا الثائرة البيرتيفود جرى تعريب : نجده هاجر/سعيد الغز صـ ٥٩ ط ١ مطابع دار الكشاف ــ بيروت ١٩٦٠م .

التبشير ، أن توهم " التبشير" دعوة للدين المسيحى وفقط ، أمر باطل ، بل هـو أحد أدوات الاستعمار الغربى فى آسيا وإفريقيا .

فليس التعليم لذاته وسيلة عند المبشرين ، وإنما هو غاية تبرر الوسيلة، هـو غاية تُدَعِّمُ الاستعمار وتبث أفكاره وتحكم سيطرته ، والتعليم بهذا ستار يحقق المآرب .

ويكفى فى التدليل على هذا ماقاله كاتب مسيحى : هلا تقدر يوما الحرب الصامته التى تشنها الحكومات ، كلما دعت الحاجة على مبشرينا عندما يحاولون فتح مدارس ومساعدة الطلاب ؟

اسألوا إذن الأب " برتو " الذى كان لمدة عشر سنوات مفتشا للمدارس المسيحيـة فى إفريقيا الفرنسية ، وهو يقول لكم بصراحته المعهودة مايتعرض له مبشر لايخضـع لميثاق الاستعمار ، وكم يقاسى إذا انصرف إلى تسليح الإفريقيين بما يحتاجون إليـه من علم وثقافة . (١)

ويتساءل نفس الكاتب فى دهشة عن السر الذى من أجله يحيى طلاب المدارس المسيحية كل صباح العلم الفرنسى ، ثم عن طلب الكاهن إلى المؤمنين بالمسيح أن يصلوا من أجل مسيحى الأبرشيه ومن أجل فرنسا فيقول : لماذا حشر اسم فرنسا فى كـل ذلك دون أن نذكر البلد الذى نعيش فيه وننتسب إليه ؟

وأظنه لايجهل الإجابه فهم يعلمون التلاميذ الاتجاه نحو الغرب بكل ماتحملـه الكلمة من معان ، وهاهو مؤشر لباحث مسيحى ينطق : وزاد من خطورة كل ذلك أن جميع المدارس الأجنبيه دون استثناء قد اسهمت بنصيب كبير فى اضعاف اللغـة العربية لدى تلاميذها وهى لغة البلاد التى قامت فيها هذه المدارس .

فقد أسهمت فى تنشئة شبابنا على معرفة اللغات الأجنبية والجهل بلغتهـم الوطنية وأسهمت إلى حد كبير بتلقين أبنائنا تاريخ أوربا ، والدول الأجنبيه المختلفـة وإمبراطورياتهم وتمجيدهم ونسيت أو تناست أن تلقن هذا النشىء ذاته تاريخ أو جغرافية وطنه . (٢)

---

(١) إفريقيا الثائـرة صـ ١١٠ .

(٢) تاريخ التعليم الأجنبى فى القرنين التاسع عشر والعشرين جرجس سلامه ص ٢٠ طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهـره ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣م .

والنتيجة تخريج أنواع من المتعلمين يعلمون لغة الغرب وتاريخه وحضارته ويشمخون على غيرهم من بنى جنسهم ممن تعلموا العربية فى المعاهد الإسلامية ، وينظرون إليهم نظرة ازدراء كما أنهم لايعرفون لغة دينهم ، ولاتاريخ وطنهم ومشاكل مجتمعهم وكل هذه فواصل بينهم وبين مجتمعهم صنعها المبشرون بمهارة ، وتراهم ينتهزون الفرص للتأثير على الأمة الإسلاميه ولاتفوتهم فرصة تربية الفتيات على الطريقة الغربية فهم يعلمون أنهن أمهات فى المستقبل ، ومربيات للأجيال ، والتربية التبشيرية تعرف الطريق المختصر إلى قلوبهن الغضة ، ولذا تقول "أنا مليجان" عن كلية البنات فى القاهرة :

" فى صفوف كلية البنات القبطية فى القاهره ، بنات آباؤهن باشاوات وبكوات وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة " (١)

ما أسهل أن يتسرب الفساد إلى قلوبهن ، فى هذا السن وما أيسر أن يدفعهن إلى الإباحية والفوضى بعد العمل على مايفسد فطرتهن ، ومن أجل هذا الغرض أنشئت مدارس تبشيرية خصيصا لتعليم الفتيات .

مدارس البنات :

تأكد أن التبشير أداة طيعة للاستعمار ، والنظرة الاستعمارية بعيدة المدى ، فسخرت المبشرين لتحقيق ماتصبو إليه ، ولما كان التعليم من أجدى الوسائل وأعظمها أثرا فى سرعة بث أفكار الدول الاستعماريه ، والفتاة تلميذة اليوم زوجة الغد ، مربية أجيال المستقبل ، فإذا صيغت عقليتها ونفسيتها وفق تعاليم التبشير على أيدى الرهبان والراهبات كانت خطرًا من العسير مقاومته ، خطرًا على الشباب بسلوكها الماجن والمستهتر وعلى زوجها ببعدها عن مفاهيم الإسلام ، وعلى أبنائها بتنشئتهم على تقاليد وعادات غربيه وبهذا يكون دورها أشد من دور المبشرين والمبشرات فى اختراق حصن الإسلام المنيع ، ولإدراك الغرب لدور المرأة اهتم بمدارس الفتيات (فأنشأ أول مدرسة للبنات فى الإمبراطورية العثمانية فى بيروت سنه ١٨٣٠م وكان من أوائل عمل التبشير فى مصر فى أواخر عصر إسماعيل ١٨٧٠م تقريبا إنشاء مدرسة للبنات فى أسيوط كما نشر مدارس البنات

---

(١) أباطيل وأسمار جـ ١ ، ٢ صـ ٢٥٤ .

فى سورية والسودان) .[1]

ولم يكن الغرض من تعليم الفتيات التهذيب ، والعلم ، وإلا كان ثمرة هـــذا النوع من التعليم رقى المجتمع وهذا لم يحدث ، لأن القصد التدمير الأخلاقـــى والجذب نحو الغرب فى مظاهره البراقة لا فى اتباع مناهج العلم والتقدم ، ولحبك الدور كان بالمدارس أقسام داخلية ، حسب توصية المبشرين حتى يكون التمكن من الفتيـــات أشد ، ووقوعهن تحت تأثير النفوذ المسيحى أقرب ، وهذه واقعة تاريخية تكشف مهمة المدارس التبشيرية الداخلية ، وخطتها فى تعليم البنات يقول الأستاذ / أنور الجندى :

وقد أشار الدكتور هيكل عام ١٩٣٢ الى دور الإرساليات التبشيرية فى مجال تعليم الفتاة المسلمه وتربيتها وما يفرض عليهن من ضرورة أداء الصلوات ، وماقاله : إن بنـــات الأستاذ أحمد علوبه المحامى بأسيوط وكن فى إحدى مدارس التبشير قد لاحظ أبواهن عليهن قلقا وارتباكا أدى إلى حالة عصبية جعلت الكبرى منهن تبكى حين سألها والدها عما بها وأخيرًا قالت وبعد إلحاح : إنها لكثرة ماتسمع عن الدين المسيحى ولما يشاربه من عبارات موجزة ومن طرف خفى تشعر وهى مسلمة صالحة تحب الإسلام ورسوله " صلى الله عليه وسلم " بشىء من تزعزع العقيدة هو الذى يدعوها لذلك الذى تعانى من ألم وحزن ، فإن الصلاة التى يؤديها التلاميذ والطلبة كل يوم ومايشعرون به من عطف الأساتذة والمعلمات إزاءهم وإزاءهن تجعلهم يميلون إلى دين ينافس فى قلوبهم وأفئدتهم دين آبائهم واجدادهم ، ويورثهم هذا القلق ، وينتهى بهم هذا التطاحن بين العقيدتين آخر الأمر إلى إسكات الضمير الدينى إسكاتًا هو الإلحاد واللاأدريه والشك وهو الرغبة عـــن دينهم إلى دين معلميهم وأساتذتهم .

وقد كتب الأستاذ أحمد علوبه إلى الكلية الملحقة بها بناته مراعاة العاطفة الدينية للطالبات " فلاتجبروا كريماتى وهن مسلمات على حضور الصلاة فى كنيسة المدرســـة وعلى حفظ الإنجيل وحضور الإجتماعات التى تبحث فى الأمور الدينية وقد أرسلت إليـــه الناظرة (٢٧ / ٢ / ١٩٣٢م) تقول : " إنها تأسف لعدم إمكانها إجابة طلبه لأنه مخالف للقواعد التى وضعتها الإرساليه لجميع مدارسها وليس فى مقدور مدرسة واحدة أن تسير على غير ماهو متبع فى غيرها " .

---

(١) الإسلام فى وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير) صـ ١٧٩ ، ١٨٠ .

وكانت النتيجة أن سحب الرجل بناته من المدرسة .[1] وكثيرات بالطبع وقعن تحت التأثير المسيحى ، وسقطن فى الهاوية ومانعانيه اليوم من ظهور بعض الشبان والشابات المتخذين الوجودية مذهبا ، إنما هو نتاج هذه التربية .

وحوادث الأربعينات فى القرن العشرين الميلادى تكشف لنا مدى ماوصلت إليه التربية المسيحية من إسفاف ، فهى تحاول بطريقة الإستدراج والإغراء ، دفع المسلمات إلى الرذيلة ومن الحوادث المؤلمة ماوقع فى مدرستهم المساة " مدرسة السلام " ببورسعيد من أن مبشرة أجنبية هنالك ، كانت تستهوى فتاة مسلمة إلى النصرانية ، ولما لم يجدها الاستهواء بالقول نفعا عمدت إلى تعذيبها بالضرب ، حتى اضطرت الفتاة تحت هذا الإرهاق إلى التظاهر بالدخول فى النصرانية وظهر على ماروته الصحف أيضا أنهم توسلوا إلى تنصير فتاة مسلمة بتأثير التنويم المغناطيسى ، وزوجوها من داعية لهم نصرانى زعموا لأمها أنه مسلم .[2]

وهذه الحوادث وأمثالها تحتاج إلى وقفة مخلصة من كل مسلم غيور على دينه وأمته فيحافظ على أولاده من مثل هذه المدارس ، ويرعى الله فى تربيتهم ، وعلى المسئولين أن يجعلوا أمثال هذه المدارس خاضعة لإشراف الدولة فى كل بلد إسلامى .

الكليات والجامعات

لما كانت العقلية التبشيرية تضع فى حسابها ، أن من بين التلاميذ والتلميذات من سيلتحق بالجامعة بعد استكمال الدراسة الثانوية وهى تريد أن تَتِمّ تشكيلهم بمعرفتها وتصنعهم بأعينها فوضعت برامج لإعداد من سيقوم بتدريبهم جيدًا ، من الناحية الإجتماعية والنفسية ليعرف المداخل التى يؤثر بها فى عقلية هؤلاء الشباب ، وأعدت معاهد لهذا الغرض كما ذكر فى كتاب " تاريخ البشرية " وصارت معاهد تدريب القس تضع فى برامجها دراسات اجتماعية ، وكان هذا فى أول الأمر فى معاهد الفرق البروتستنتية الأكثر تحررًا ثم عَمّ فى غيرها سواء عند البروتستنت أو الكاثوليك .[3]

وبعد ذلك يقوم هؤلاء المدربون بتعليم الطلاب حسب مفاهيم خاصة ، ومن أجل هذا تؤسس الكليات فتم فى عام ١٨٦٠م تأسيس كلية روبرت ، ذروة أعمال الإرسالية الأمريكية

---

(١) الإسلام فى وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير) صـ ١٨٠ ، ١٨١ .

(٢) مجلة نور الإسلام المجلد الرابع ج ٣ صـ ٢١٠ من مقال بقلم التحرير عنوانه (حول حوادث التبشير) مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية ١٣٥٢هـ = ١٩٣٣م .

(٣) المجلد السادس (التطور العلمى والثقافى) إعداد اللجنة الدولية ترجمة ومراجعة : عثمان نويه وزميلاه ج ١ صـ ٣٠ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م .

فى تركيا ، ومنذ عام ١٨٢٠م أسس "سيرس هاملين" مدرسة " ببيك " فى ١٨٤٠ ، ومدرسة البنات ، التى سميت فيما بعد بكلية القسطنطينية للبنات ١٨٧٠م. [١] ، ولما وصل المبشرون البروتستانت الأولون الآتون من مالطة إلى بيروت سنة ١٨٢٠م رسلا للبروتستانتية الأمريكيـة وجدوا تمسك البلاد بإسلامها ، وعرفوا أن نجاحهم فى نشر المسيحية سيكون محدودًا ، إن لم يحولوا نشاطهم إلى الحقل الثقافى ، ويصف نشاطهم ف.و.فرنويقوله :

وقد أنشأ الأمريكيون مطبعة فى بيروت ، وطبعوا كتبا مدرسية باللغة العربية ، ومنوا فى بضع عشرات من السنين عدة مدارس تضم زهاء ألف من التلاميذ العرب وتستطيـع (الكلية البروتستانتية السورية المؤسسة سنة ١٨٦٦م) والتى كانت نواة للجامعة الأمريكيـة فى بيروت اليوم ، أن تفتخر بأنها أول جامعة عصرية فى الشرق العربى . [٢]

واقتفى أثرهم على نفس الدرب اليسوعيون كما هو مذكور فى كتاب يقظة العالـم الإسلامى : وبعد بضع سنوات من قيام المؤسسة الأمريكية ، جاء اليسوعيون بدورهم وأسسوا " جامعة القديس يوسف " .

وفى هاتين الجامعتين ، فى المرفأ اللبنانى ، تعلم قسم كبير من النخبة الفكريـة فى البلاد العربية ليصبحوا أطباء ومحامين وفنيين وموظفين فى الحكومة [٣] ، وهكذا لم تخل المعاقل الإسلامية الكبرى من كلية بل من جامعة أجنبية يؤدى فيها التبشير أعظم أدوار ، ويرحم الله تعالى الأستاذ محمد البهى فقد ذكر من مؤسساتهم التبشيريه فى الشـرق الإسلامى " جامعة القديس " المعروفة الآن بالجامعة اليسوعية ثم " الجامعة الامريكيـة " ببيروت ، التى كانت أولا كلية ببيروت ثم سميت (الكلية السورية الإنجيلية) وهى جامعـة بروتستانتيه ، والكلية الأمريكية بالقاهره التى أصبحت فيما بعد " الجامعة الأمريكية " وقـد كان القصد من إنشائها أن تكون قريبة من المركز الإسلامى الكبير وهو الجامع الأزهـر وكلية روبرت فى استنبول التى أصبحت تسمى (بالجامعة الأمريكية) هناك .

والكلية الفرنسية فى لاهور ، وأسست فى لاهور باعتبار أن هذا البلد يكاد يكـون البلد الإسلامى فى تكوينه فى شبه القارة الهندية . [٤] ، والهدف من وراء إنشاء هـذه الكليات والجامعات فى بلاد الإسلام جذب أبناء المسلمين إليها ، فتتمكن مدارس التبشـير

---

(١) موسوعة تاريخ العالم أصدرها وليام لانجر ـ أشرف على الترجمة الدكتور / محمد مصطفى زيادة ج ٥ ص ١٩٠١ مطابع الدار القومية بمصر ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥م.
(٢) يقظة العالم الإسلامى ص ١٧١ .
(٣) المرجع السابق . ص الإسلام
(٤) المبشرون والمستشرقون فى موقفهم الدكتور محمد البهى ص ٢١ ، ٢٢ مطبعة وزارة الأوقاف ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣م.

من تشكيلهم كما تريد ، وقد ذكر القس (ترويريدج) فى تقرير له : إن فى استطاعة المسلمين التردد على مدارس وكليات التبشير ، وبين جدران الكلية الإنجيلية فى بيروت[1] ١٠٤ من المسلمين وفى كلية الآستانة ٥٠ وفى كلية المبشرين فى كدك باشا فى الآستانة أيضا ٨٠ ومنذ بضع سنين صدر إذن خفى بجواز التردد على الكلية الأولى والثانية .[2]

وفى الوقت الحاضر قد تزايد العدد بدرجة كبيرة ، وبالطبع لايدخل هذه الكليات فى الغالب إلا أولاد الطبقات المقتدرة فى المجتمع ، وهم يؤهلونهم فى الغالب لتولى العديد من المناصب فى بلدهم ، وهنا مكمن الخطر ويزيد من خطورة هذا النوع من التعليم عدم رقابة الدولة له .

القصد من إنشاء الجامعة الأمريكية

فى الوقت الذى حمل فيه الغرب على الأزهر هجوما عنيفا ، ووجه الحرب على الإسلام فى صورة شيوخ الأزهر وأبنائه ابتداء من وصفهم بالجمود ، وعدم مسايرة الحياة وتطورها إلى السخرية منهم فى كل وسائل الإعلام ، ثم الهجوم السافر بواسطة أذناب الاستعمار على صفحات الجرائد ، وكان التفكير الجاد فى خلق جامعة تبشيرية بحيث تكون فى خدمة الإرساليات وتدرس بها الدراسات الشرقية ، والمقررات التعليمية الموجودة بالكتب الإسلامية وقصد القوم من إنشاء مثل هذه الجامعة سلب فاعلية الأزهر وهو ما أفصح عنه أحد أعضاء مؤتمر القاهرة التبشيرى حيث وضح دور الأزهر وتأثيره على العالم الإسلامى فى كل مكان وقبل أن يختم حديثه : تساءل عما إذا كان الأزهر يتهدد الكنيسة المسيح بالخطر وعرض اقتراحا يريد به إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى الدنيا على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان تعليم اللغة الغربية .

ثم قال : إنّ فى الامكان مباشرة هذا العمل فى دائرة صغيرة وهى أن تختص أولا بتعليم المسلمين المتنصرين وتربيتهم تربية اسلامية ليتمكن هؤلاء من القيام بخدمة جليلة فى تنصير المسلمين الآخرين وختم كلامه قائلا : ربما كانت العزة الإلهية قد دعتنا إلى

---

(١) هى الجامعة الأمريكية وكانت تسمى (الكلية السورية الانجيلية) ويرمزون لها بهذه الحروف S . P . C

(٢) الغارة على العالم الإسلامى تأليف أ . ل شاتيليه تلخيص وترجمة محب الدين الخطيب ، ومساعد اليافى صـ ٦٦ ، ٦٧ ط (٤) المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ١٣٩٨ هـ .

اختيار مصر مركز عمل لنا لنسرع بإنشاء هذا المعهد المسيحى لتنصير الممالك الإسلامية .[١]

وبعد هذا المؤتمر كان التركيز من جانب المبشرين لخلق هذه المؤسسة بأى صورة فأثناء انعقاد المؤتمر التبشيرى الدولى بالقاهرة عام ١٩١٠م قال أحد الأعضاء ماترجمته : أقول ذلك بدون تحامل على مشروعات سيكون لها مكانها بالتأكيد ، ولكنها كما اعتقد لن تكون أكثر من إضافة أو متممة لما أشير إليه وفى القاهرة فقط من ثَمَّ فإن هذه المدرسة يمكن أن تبدأ وتبقى .[٢]

وصار الكلام المذكور فيما بعد واقعًا ملموسًا ، فشيدت الجامعة الأمريكية بالقاهرة وعلى مَقْرُبة من ميدان التحرير ليسهل الوصول إليها ، والاتجاه منها إلى أى مكان بالقاهرة فموقعها فى ميدان ملتقى خطوط القاهرة ، كما وأنها قريب من دار الكتب القديمة الموجودة بباب الخلق ، بل إنها أشدُّ قربا لدار الكتب الجديدة المنشأة على كورنيش النيل بالقرب من " محطة الرمل " بالقاهرة ، وكل هذه ميزات تشجع على الالتحاق بها ، بعكس جامعة القاهرة الموجودة بالجيزة ، فطالب القاهرة ، لابد من عبوره نهر النيل للوصول إليها ، سواء بواسطة سيارات النقل ، أو سفن البحر .

مؤسسات أخرى بالقاهرة :

بالإضافة إلى الجامعة الأمريكية ، توجد مؤسسات عديدة أخرى بالقاهرة معقل الإسلام وبلد الأزهر الشريف ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ المعهد الشرقى بدير الدمنيكان بشارع صنع الطرابيش بالعباسية بالقاهرة وملحق به مكتبة حديثة من طابقين يوجد بها العديد من المراجع الإسلامية والمسيحية العتيقة وقد زرت هذه المكتبة أثناء البحث ، واطلعت على بعض المراجع فيها .

٢ ـ معهد دار السلام بكنيسة دار السلام بمصر القديمة

٣ ـ المعهد الفرنسى بالمنيرة .

٤ ـ مدارس الفرنسيسكان بالفجالة .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٢) الوثيقة الإسلام الخطر نص الخطاب الذى ألقاه و . هـ . ت جايردنر فى مؤتمر أدنبره للتبشير (التنصير) الدولى المنعقد بالقاهرة عشية السبت ١٨ يونيو ١٩١٠م ترجمة محمود الشاذلى ص ٢٥ " المختار الإسلامى " سنة ١٩٨٥م .

٥ - مدارس الفرير بالخرنفش .

وهذه المؤسسات - سواء مايتبع المذهب البروتستانتى أو المذهب الكاثوليكى - ملحق بها مطابع كمطبعة النيل المسيحية التى يملكها البروتستانت بشارع الأصبغ بالزيتون .

وهذه المؤسسات تخضع مباشرة للنفوذ الأمريكى الإنجليزى الفرنسى (١) . ويضاف إلى هذه المؤسسات كلية رمسيس للبنات وهى تقيم حفلاً سنويا لتوزيع دبلوماتها ويحضره غالباً وزير التربية والتعليم المصرى . كما يحضره السفير الأمريكى وبعض شركاء الخدمة ومندوبى الكنيسة المشيخية المتحدة الذين اشتركوا فى الخدمة كما يذكرون فى كتبهم .

٢ - المستشفيات والمستوصفات الخاضعة للإرساليات :

اتخذ أطباء الإرساليات المسيحية التطبيب وسيله لنشر الإنجيل والمبشرون يصرحون بذلك . فقد كتب ش . أ . موريسون فى مجلة العالم الإسلامى التبشيرية يقول :

" نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجين فى المستشفيات أن تأتى بهم إلى المعرفة المنقذة . معرفة ربنا يسوع المسيح . وأن ندخلهم أعضاء عاملين فى الكنيسة المسيحية الحية " ويرى الكاتب أن للتبشير بين هؤلاء المرضى طريقين .

وهو يفضل أن يزور الطبيب المبشر المريض (المسلم) حتى يكون هذا المريض واسطة لجمع عدد غفير من المسلمين عنده فى انتظار زيارة الطبيب بين أكبر عدد ممكن من المسلمين فى القرى الكثيرة فى طول مصر وعرضها . (٢)

وحينئذ يكون التأثير على الحاضرين . وكسب ثقتهم بداية للإيحاءات النفسية ناهيك عن المريض . وما يختلج فى نفسه من مشاعر طيبة لمن يقف بجواره وهو فى محنته . وأوقات ألمه وشدته . فربما تمكن الطبيب من الاستحواذ على مشاعر هذا الإنسان الضعيف . فى لحظات تطبيبه . وإزالة آلامه . خصوصا حين يكون المريض فى مرحلة الصغر أو فى ضائقة مع المرض . فيسهل انقياده . ويؤكد هذا مايحدث فعلا فحين بحث مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م .

مسألة إرساليات التبشير الطبية :

ذكر المستر " هاربر " حكاية طفلة مسلمة عنى المبشر بتمريضها فى مستشفى مصر القديمه . ثم ألحقت بمدرسة البنات البروتستانتيه فى باب اللوق . وكانت نهاية

---

(١) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية ص ٥٣ .
(٢) التبشير والاستعمار فى البلاد العربيه ص ٥٩ ، ٦٠ بتصرف يسير .

أمرها أن عرفت كيف تعتقد بالمسيح بالمعنى المعروف عند النصارى ، وذكر أيضا عن رجل مسلم كان يحضر محاضرات المبشرين لإثارة الجلبة والضوضاء ، واتفق أنه مرض فدخل مستشفى المبشرين وبعد أن لبث فيه مدة شفى وخرج منه ، فصار يحضر المحاضرات فى هذه المرة ولكن بخشوع زائد ، وبعد ذلك بقليل تعمد وأصبح نصرانيًا على المذهب البروتستانتى .

ثم قام الدكتور " أراهاس " طبيب إرسالية التبشير فى " طرابلس " الشام فقال :
إنه مر عليه اثنان وثلاثون عاما وهو فى مهنته فلم يفشل إلا مرتين فقط وذلك عقب منع الحكومة العثمانية ، أو أحد الشيوخ لاثنين من زبائنه من الحضور إليه ، وأورد احصاءً لزبائنه فقال : إن ٦٨٪ (فى المائة) منهم مسلمون ونصف هؤلاء من النساء .

وفى أول سنة مجيئه إلى حيث يبشر بلغ عدد زبائنه ١٧٥ وفى آخر سنة كان عددهم ٢٥٠٠ ، وختم كلامه قائلاً : يجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا ينسى ولا فى لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شئ ثم هو طبيب بعد ذلك .[1]

وبالرغم من قلة من يدخل فى النصرانية عن طريق هذه الوسيلة إلا أنها باب مفتوح يجب غلقه وعلى الطب الإسلامى أن يملأ الفراغ ، وإذا كان المبشرون فى منطقة الخليج قد تمكنوا عن طريق التطبيب من تنصير أربعة اشخاص فى فترة زمنية طويلة من سنة ١٩٢٥ ـ ١٩٧٤ كما يقال .[2]

فلا ينبغى لنا أن نستهين بذلك ، فكما قال الشاعر : ومعظم النار من مستصغر الشرر والقوم يستخدمون هذه الوسيلة بذكاء سواء فى الطب الخاص أو المستشفى ، وسواء كان القائم بالخدمة الطبية طبيبًا أو ممرضًا ذكرا أو أنثى ، ويرى المشاهد لدورهم أثر التضحية والجهد واضحا .

دور المستشفى والمستوصف

الفرصة للتبشير تكون متاحة داخل مبنى خاص ، حيث يستطيع الطبيب المبشر أن يملى على المريض مايدور بخاطره ضمن روشتة العلاج ، فالمريض بمفرده مع من

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى صـ ٢٣ .
(٢) التبشير فى منطقة الخليج العربى (دراسة فى التاريخ الإجتماعى والسياسى : تأليف د / عبد المالك خلف التميمى صـ ٢٣٢ ط١ شركة كاظمة للنشر والترجمة بالكويت ١٩٨٢م بتصرف .

يعالجه ، والجو مهيأ للحديث الخاص فمع إعطاء المريض زجاجة من الدواء كهدية وبيان ما فيها من فوائد صحية ، وكيفية استخدامها تكون النصائح المسيحية ، وهكذا يمزج السم بالعسل .

" وفى هذه الحال يكون كل من دخل المستشفى أو أتى إلى المستوصف للمعالجة قد تلقى من طبيبه المبشر تلك الكرازة التى توجهه نحو المسيح "[١] .

وليت الأمر يقتصر على الطبيب المبشر الذى يعالج المرض بل يتعداه ليصل إلى القسيس الذى يحضر إلى المستشفى فى أوقات منتظمة لإلقاء الدروس الدينية ، التى يسبقها إعداد ، وترتيب ، ومن ثم يتوافد المرضى على العيادة الخارجية ، ويقوم الكاتب وهو واعظ إنجيلى بتحرير بطاقة للمريض ، كما تقوم الممرضة بمعرفة شخصية المريض وظروفه الخاصة ، هذه التحريات كلها تصل تباعا إلى مكتب قسيس المستشفى لتبويبها وتصنيفها .

ويلقى واعظ من قبل قسيس المستشفى قصة دينية قصيرة على جمهور المرضى المنتظرين فى خيمة الاجتماع ، فإذا دخل المريض المستشفى فإنه يستمع لدرس دينى فى أصيل كل يوم ، وقد يتبعه عرض بالفانوس السحرى ، ثم توزع على المرضى النشرات لقراءتها والتسلى بها .[٢]

وفى نفس المكان يحضر درس القسيس بعض الأطباء المسيحيين والممرضات ، وما يكاد الدرس ينتهى إلا والأتباع ينكبون على أبيهم بالمصافحة ، والقبلات الحارة ، وتظل صورة الموكب حتى يخرج من المستشفى فى حفاوة بالغة ، وذلك ليتعود المسلمون على احترامه من خلال مايشاهدون ، وهذه صورة من صور التبشير .

وللسياسة التبشيرية خطة جغرافية ، فى تحديد المبنى المراد اتخاذه مستشفى وغالبا مايراعى فيها الموقع المؤثر ، وطرق المواصلات ثم يتم تزويده بالآلات الحديثة والمعدات الطبية اللازمة ، وتراعى النظافة الداخلية ، وسعة المكان وسرعة تقديم الخدمة الطبية ، ويكفى نقل صورة للمقارنة بين مستشفى حكومى وآخر تبشيرى تظهر فيها حكمة اختيار الموقع .

---

(١) التبشير والاستعمار فى البلاد العربية صـ ٦٠ ، ٦١ نقلا عن Harrison Da in Arabia , by Pauiw . Harrison I4I . London 1942 .

(٢) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية صـ ٧٤ .

مقارنة بين مستشفى قصر العينى ومستشفى هرمل (*)

إن مستشفى قصر العينى يخضع لروتين معين ، وموظفوا المستشفى وأطباؤه مسئولـــون أمام الجهات العليا عما يعملون ، والإمكانيات فى المستشفى محدودة ، فإذا ماتجـاوز المرضى عدد أسرته رفض إتاحة الفرصة لهم بالنزول به .

وهنا تظهر السياسه الماكرة فى قرب مستشفى هرمل من مستشفى قصر العيـــنى إذ يتوجه المرضى الحائرون ـ فى مرارة نفس وفى خور وضعف كارهين ـ إلى مستشفـــى هرمل ، وهناك يجدون من الإبتسامات والترحيبات ماينسيهم مرارة المرض وقسوتـــه ويرون الفرق فى المعاملة دون أن يدركوا أن موظفى مستشفى القصر العينى مقيـــدون بتعليمات ـ ولوائح لايمكن تحطيمها إطلاقا .

ويطمئن المريض إلى مستشفى هرمل وإلى موظفيه ، وهنا يبدأ معه النشاط التبشيرى السافر فى أسلوب الصداقة والمحبة والإنسانية ، والمريض منذ اللحظة التى يدخل فيها مستشفى هرمل تدون له بطاقة شخصية لمعرفة كل شئ عنه . (١)

ومن واقع هذه البطاقة يتم التعامل مع صاحبها ، لإزالة آلامه النفسية أيضـــا ، وحل ضوائقه المادية ، لاسيما وأن المعالج له وافر المعرفة .

وقد نقل الأستاذ / على رياض (*) كما ذكر الدكتور / عبد الودود شلبى صورة واقعية لما شاهده بنفسه فى مستشفى هرمل أثناء زيارته لأحد أقربائه المريض ، فوجد المرضـــى

(*) مستشفى هرمل : منسوبة للدكتور هرمل أول مدير لها ويطلقون عليه رئيس المبشريـن وموقعها بمصر القديمة على مسافة خمسمائة متر بعد كوبرى الملك الصالح وبناؤها ضخم فسيح كامل المعدات يوجد بها قسم لعلاج مرض البلهارسيا والإنكلستومـا يسع الآلاف من المرضى ، وملحق بها " مدرسة الأحد " يجمعون الصبيه بها بكافـة وسائل الإغراء وتلقى عليهم مباشرة من العاملات بالمستشفى قصة من الإنجيل وتقـوم بتحفيظهم أناشيد وترا تيل مسيحية يترنم بها الصبية ، ثم يوزعون الهدايا علـــى الأطفال المواظبين على حضور دروس الأحد وعلى الذين يجيدون حفظ التراتيل المسيحية وهكذا يغرسون المسيحية فى نفوس الناشئين الصغار دون علم أهليهم كما لاتدرى الحكومة من ذلك شيئا ، وبالقرب من المستشفى ناديًا لجذب الشباب وتنصيرهم وكل ذلك تابع للإرساليه الإنجليزية (يراجع: خفايا المبشرين فى تنصير أبناء المسلمين ، تأليف: أحمد محمد سالمان " وهو مجموعة طريفة تحتوى على بيان حيل المبشرين فى تنصير أبناء المسلمين وبه رسالة على بطلان التثليث .. بقلم عبد الرحمن أفندى رضا كحيلة صـ١٧ ، ٢٤ طبــع المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ .

(١) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبرياليه العالميه صـ ٥٧ .

(*) مساعد المستشار الثقافى لرئيس دولة الإمارات .

جالسين على الأرضوقد وقف أحد الأطباء خطيبا يبشر : يقول الأستاذ على :

لقد بدأ الطبيب حديثه قائلاً : أليس قرآنكم يقول عن المسيح : أنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى .. ؟

فقال البعض من المرضى : نعم ..

قال المبشر : فلماذا إذن لاتدعون المسيح ليشفيكم ويخلص أرواحكم ؟ إن المبشركان يتكلم هنا على طريقة " فويل للمصلين " دون تكملة بقية السوره فما كان من الأخ على إلا أن تصدى له قائلاً : نعم .. كان المسيح يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى لكن بقدرة الله وإرادته وبإذنه فما كان من الطبيب المبشر إلا أن أنهى محاضرته .. ثم طارد الأخ " على " حتى أخرجه من المستشفى . ؟ (١)

خطورة الطبيب المبشر :

يمكن حصر خطورة الطبيب المبشر فى شقين :

١ ـ الناحية العلمية المدعمة بالخبرة الناتجة من التعامل مع النوعيات المختلفة من المرضى ، فهو يعرف أقصر الطرق للسيطرة على الضحية ، ويرمى الشبك حين يكون الصيد الثمين .

٢ ـ إيمانه العميق بأنه يتقرب بعمله للمسيح ، وينفذ توجيهات الأسفار المقدسة فى نظره ، والتى من بينها : وأما أنت فأصبح فى كل شئ إحتمل المشقات إعمل عمل المبشر تمم خدمتك . (٢)

واعتقاده أنه يعمل من أجل المسيح وفقط ، (أيها الإخوة لست أحسب نفسى أنى قد أدركت ، ولكنى أفعل شيئًا واحدًا إذ أنا أنسى ماهو وراء وامتدُّ إلى ماهو قُدَّام أسْعَى نحو الغرض لأجْلِ جعَالَةِ دَعْوةِ اللّه العُلْيَا فى المسيح يَسُوعَ) (٣) .

ولذا نجد التفانى فى العمل ، ثم المحاولة الدائبة فى تنفيذ مهامهم طواعية أضف إلى كل هذا الحماية المكفولة لمن يقومون بالخدمة وتشجيع دولهم ، ووقوف مؤسسات التبشير من خلفهم تساندهم بالخطط ، وتمدهم بالمال ، وبالمعدات اللازمة .

---

(١) أفيقوا أيُّها المسلمون .. !! قبل أن تدفعوا الجزية صـ ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس (٤ : ٥) .
(٣) رسالة " بولس" إلى أهل فيلبى (٣ : ١٣ و ١٤) .

٣ ــ وسائل الإعلام : من صحافة وإذاعة :

لمعرفة الغرب بأهمية الكلمة وتأثيرها بذل جهده في محاولة دائبة للسيطرة على الصحافة ووسائل الإعلام وتوجيه دفتها في بلاد الإسلام ، وأشار لذلك الأستاذ محمود محمد شاكر بقوله: أما " الصحافة والاستيلاء عليها ، وتتبعها بلا ريب ، سائر وسائل الاعلام والتوجيه التي انتشرت في هذا العصر الأخير فحسبك أن تقرأ ماقاله المبشر " ولسن كاسن " إن الصحافة لاتوجه الرأي العام فقط ، أو تهيئه لقبول ماينشر عليه بل هي تخلق الرأي العام .

وقد استغل المبشرون الصحافة المصرية على الأخص ، للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر ، لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية مأجورة في أكثر الأحيان ، أو بلا أجرة في أحوال نادرة .[1]

وأثناء الحديث سأتعرض لنموذج من صحافة التبشير والتغريب أو التي كان لها الدور التبشيري الكبير في الماضي وبدأ يضمحل الآن .

أ ــ استخدام التبشير للصحافة :

استخدم المبشرون الصحافة كوسيلة لبث أفكار الاستعمار وتمكين السيطرة الغربية في بلاد الإسلام وتدعيم المسيحيين بكل أنواع الدعم ، والعمل على بذر النزاع بين أمم الإسلام وفي المقدمة يذكر " بييروندو " : تأتي الصحف التي أنشأها لبنانيون مسيحيون في مصر كالأهرام التي أنشأها تقلا ١٨٦١م وهي مازالت في مقدمة الصحف العربية إلى يومنا هذا ، والمقطم لصاحبها " فارس نمر " و " خليل ثابت " " ودار الهلال " لزيدان " وغيرها وغيرها .[2]

ومن الصحافة التي كانت تقوم بالعمل التبشيري المنظم في حيلة ومكر " المقتطف " ويذكر أحد اعضائها الدكتور "فارس نمر"[*] أنه حضر من الشام مع زميليه

---

(١) أباطيل وأسمار جـ ١ ، ٢ صـ ٢٥٥ ، ٢٥٦ باختصار .

(٢) النصارى في الشرق (سلسلة الثقافة السياسية) صـ ٢٤ ط ١ طبع مطابع الاتحاد ــ بيروت ١٩٤٦م .

(*) فارس نمر هو : فارس " باشا " بن نمر فارس أبي ناعسه ولد في حاصبيا من أعمال ولاية سوريا في ٦ يناير " كانون الثاني ١٨٥٦م ، وقد تلقى بعض العلوم في المدارس الإنجليزية وتخرج من " الكلية السورية " ببيروت سنة ١٨٧٤م وشارك يعقوب صروف في إنشاء " مجلة المقتطف الشهرية " ببيروت سنة ١٨٧٦م " ثم انتقل إلى مصر في أواخر ١٨٨٤م فأصدر المجلة في القاهره ١٨٨٥م مع زميله ثم انضم إليهما شاهين مكاريوس فأنشأوا جريدة " المقطم " اليومية بمصر يراجع : تاريخ الصحافة بقلم " الفيكونت فيليب دي طرازي جـ ٢ صـ ١٢٨ بدون عدد للطبعة طبع المطبعة الأدبية بيروت سنة ١٩١٣م، الأعلام تأليف خير الدين الزركلي مجلد ٥ صـ ١٢٧ ط٦ طبع دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٤م .

" يعقوب صروف " (*) ، و " شاهين مكاريوس " (*) تلبية لدعوة كبراء مصر الذين اقترحوا عليهم اصدار المقتطف فى مصر[1] ، وكل هذا تغطية لدورهم ، وهؤلاء الثلاثة خدم للسياسة الاستعمارية ويزيد مكاريوس بولاء خاص للماسونيه ، ويعترف صحفى مسيحى بمناصرتهم للإنجليز بقوله : وإن تاريخ فارس نمر وصروف ومكاريوس منذ وصولهم إلى مصر يؤيد هذه النظرية التى تقوم على أساس اظهار محاسن الحكم الإنجليزى والعمل على إصدار صحف كثيرة متنوعة (المقتطف للعلوم ، اللطائف للآداب ، المقطم للسياسة) والمناداة بما عليه مصر من حريه ، والتنديد بما ترزح تحته بلاد الشام من ضغط وعسف فى ظل السيادة العثمانية وتمنى وقوع سوريا فى حالة تشبه ما عليه مصر ، أى إحتلال إنجليزى آخر ، وهكذا ينجح الإنجليز فى التمهيد لبسط نفوذهم فى هدوء على منطقة أخرى من مناطق الشرق العربى . [2]

وقد قام عدد من مسيحى الشرق بإنشاء صحف فى الغرب منذ عدة سنوات ، ويطلق عليها إسم الصحف المهاجرة نسبة إلى أصحابها الذين هجروا الشرق وأقاموا ببلاد الغرب ومن هذه الصحف المتعصبة ضد الإسلام ، أو الموالية للغرب ما يأتى :

نماذج للصحف المهاجرة المعادية للإسلام

١ ـ مجلة " المستقبل " وتصدر فى باريس .

٢ ـ مجلة " النهار العربى والدولى " وتصدر فى باريس أيضا .

٣ ـ مجلة " الوطن العربى " ومكان صدورها كسابقتيها .

وأعطى المسلم الصحفى : حلمى محمد القاعود : فكرة للقارئ عن كل مجلة مبينا الدور الخطير لكل منها ، والذى يتضح من محاولتهم الدائبة لإفساد المرأة المسلمة بكل الوسائل ، وهم يسمونها المرأة الشرقية استنكافا منهم للفظ المسلمة ثم المحاولات

(*) يعقوب صروف : هو يعقوب بن نقولا صروف ولد فى ١٨ يوليو "تموز" سنة ١٨٥٢م فى قرية " الحدث " بلبنان وتخرج مع أول فرقة من " الكلية السورية " فى بيروت سنة ١٨٧٠ م يراجع المرجع السابق ج ٢ صـ ١٢٤ .

(*) شاهين مكاريوس (١٢٦٩ = ١٣٢٨هـ = ١٨٥٣ ـ ١٩١٠م) ولد فى قرية ابل السقى من (مرج عيون ـ بلبنان) ونشأ فى بيروت ثم رحل إلى مصر مع زميليه يعقوب ، وفارس وقد خدم الماسونيه بكتبه والتى من بينها " الجوهر المصون فى مشاهير الماسون " " والحقائق الأصليه فى تاريخ الماسونيه " و " الدر المكنون فى غرائب الماسون " و " الآداب الماسونية " وكلها نشر جريدة اللطائف التى أنشأها : يراجع " الأعلام " مجلد ٣ صـ ١٥٣ .

(١) يقظة العالم الإسلامى ج١ صـ ١٧٣ .

(٢) الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى تأليف الدكتور سامى عزيز صـ ١٨٨ بدون عدد للطبعة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨م .

المستترة " للدعوة إلى القومية العربية " فى ثوب المفاهيم الغربية" وليس من منطلق إسلامى ومن خلال فحصه لبعض العينات من هذه المجلات الأسبوعيه ، وَضَحَ الخط التبشيرى بهذه الصحف فأثناء تحليله للعدد رقم ٢٢١ من مجلة " المستقبل " الصادر بباريس بتاريخ ١٦ آيار - مايو ١٩٨١م تعرض لمقال بقلم " فؤاد مطر " عنوانه (عندما يعترف الفاتيكان بمنظمة التحرير) فوصفه بأنه مقال خادع ومسرف فى السذاجه إذ يعطى " البابا " أهمية كبرى فى حل مشكلة فلسطين ، ويضفى عليه من الأخلاقيات والملامح مالايملكه ، وفضلا عن ذلك فإنّه يطرح مفهوما عن طريق الايحاء فحواه ، بأن الغرب المسيحى يملك كل شىء وأن على العرب المسلمين الإرتماء فى أحضانه واستجدائه[1]

ولاغرابة فى أن يصدر هذا التصرف من كاتب مسيحى ، وفى مجلة منشئها " نبيل خورى " وهو نصرانى يحمل بذور التعصب والبغضاء لكل ماهو مسلم وإسلامى كما يقال عنه ومايؤكد ذلك إشادته بموقف " البابا شنوده " زعيم الأقباط فى مصر واعتباره بطلا ، فضلا عن الإشادة بسلوك بعض الأقباط وتحركاتهم التآمريه ضد الإسلام والمسلمين داخل مصر وخارجها .[2]

والغريب موقف الصحافة الإسلامية فى العالم كله ، فى عدم يقظتها وفى تركها مثل هذه الصحف تغزو الأسواق العالمية بهذا الفكر المعوج دون كشفها ، ورفع الستار عن أهدافها المدمرة ، والمخطط لها من قبل أعداء الإسلام ، ويكفى عرض النموذج الثانى من الصحافة المغرضة ، لإظهار الهدف أوضح مايكون ، فحين تناول صاحب كتاب " الصحافة المهاجرة " بالبحث العدد رقم ٢٠٠ من " مجلة النهار العربى والدولى " - الأسبوعية والتى تصدر فى باريس بتاريخ الأحد ٨ آذار (مارس ١٩٨١م) نظر صفحة الشئون الدولية وكان مما قال : وأخطر مافى هذه الصفحة الرسم الكاريكاتورى الذى يتحدث عن زيارة " البابا " للفلبين وشرق آسيا ، وفى الصورة يظهر بابا الفاتيكان وهو يقدم " صليبا " لإنسان فلبينى أو شرق آسيوى أضناه الجوع والفقر والمرض ، وتحليل الصورة لايحتاج إلى ذكاء خارق لأنها ببساطة دعوة صريحة إلى " التبشير " أو " التنصير " بمعنى أدق وإضفاء ملامح الإنسانية الرقيقة على شخصية " البابا " وسلوكه .[3]

---

(١) الصحافة المهاجرة " دراسة وتحليل " حلمى محمد القاعود ص ١٢٥ ، ١٢٦ بدون عدد للطبعة دار العلوم للطباعة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢م .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٥ .

(٣) المرجع السابق ص ١٣٦ .

استغلال معاناة الإعلام الإسلامي

وقد استغل القوم ضعف الإعلام فى دول الإسلام ، وقصوره ، وقلة الموارد التى تمكن إعلام الإسلام من الوصول إلى كل الآذان ، ومختلف الجنسيات بكل اللغات واللهجات فهم يواصلون جهدهم لترسيخ فكرهم التبشيري والاستعمارى من خلال وسائل الإعلام يساعدهم فى ذلك كثرة المال وتوفر الإمكانيات وكثرة وكالات الأنباء ، ودور الصحافة والنشر ، ولنأخذ على سبيل المثال قارة إفريقيا التى تعانى من سيطرة وسائل الإعلام الأجنبية ، حيث تقول الدكتورة عواطف عبد الرحمن :

وقد شهدت إفريقيا فى السنوات التى تلت الاستقلال (خلال عقد الستينات) عدة مؤتمرات تناولت تطوير وسائل الاتصال وإنشاء وكالات أنباء وطنية وتطوير استخدام الإذاعة والتليفزيون فى أغراض التنمية الاجتماعيه ، والثقافة ، وتحقيق الوحدة بين شعوب القارة وقد أسفر ذلك عن إنشاء ثلاثة تجمعات تتولى الإشراف على وسائل الاتصال الإفريقيه وهى اتحاد الصحفيين الإفريقيين فى باماكو ١٩٦١م واتحاد الإذاعات الإفريقية فى داكار ١٩٦٢م واتحاد وكالات الأنباء الإفريقية فى تونس ١٩٦٢م .

واستطاعت هذه التجمعات الإعلامية من خلال العديد من الدراسات التى قامت بها للإعلام الإفريقى أن ترصد أهم السلبيات التى يعانى منها الإعلام الإفريقى فى المرحلة الراهنة وتتلخص فيما يلى :

١ - نقص الكوادر المتخصصة والمدربة ونقص الأجهزة الإعلامية الحديثة .
٢ - سيطرة وكالات الأنباء الغربية على أجهزة الإعلام الإفريقية .
٣ - وقوع وكالات الإعلان الإفريقيه فى أيدى الشركات الأجنبيه .
٤ - ارتفاع أسعار الورق والمواد الطباعية وارتفاع قيمة الاشتراكات فى وكالات الأنباء العالمية .(١)

وإذا كانت الباحثة تتحدث عن معاناة الإعلام الإفريقى بوجه عام ، وتبين كيفية السيطرة عليه فى مقالها المستفيض ، وتوضح كيفية توجيه الإقتصاد ، والتجاره ، والصناعه والثقافه من خلال مفهوم الشركات الأجنبية المتملكة لوسائل الإعلام فى القارة الإفريقية ، وضح لنا مانحتاج إلى بذله لتحرير الإعلام الإسلامى عامة فى كل اتجاهاته ليعرف

---

(١) مجلة " عالم الفكر ص ١٣٠ (المجلد الرابع عشر - العدد الرابع) يناير - فبراير مارس ١٩٨٤م من مقال بعنوان " الصحافة الإفريقية بين التبعية والاستقلال ") .

الإنسان فى العالم محاسن الإسلام فى الإقتصاد وفى التجارة وفى كل المعاملات ، ومدى رعايته للإنسان نفسيا وبدنيا ، واحترامه للنفس البشرية والعقلية الإنسانية ، وتحرير الإنسان من كل القيود ، والأثقال سواء كانت داخل النفس أو خارجها ، وتقديره للوقت ورفعه لقدر العلم والعلماء ، وموازنته الحقة بين كل الطبقات الغنية والفقيرة ، القوية والضعيفة ، البنين والبنات ، الذكور والإناث ، التجار والمستهلكين بما لم يسبق له مثيل من قبل ، ويوم أن يرى العالم هذه التعاليم فى ثوبها الإسلامى بلاشك سيبحث عن هذا الدين القيم ، ولن يلتفت إلى التلفيقات المشبوهة والمغرضة ، ولن تروج للتبشير ولا للباطل دعوة أياً كانت .

(ب) الإذاعة :

بجانب استخدام التبشير للصحافة ، كوسيلة إعلامية يبث على صفحاتها أفكارها المغرضة لم يهمل الإذاعة كوسيلة لها دورها ، وقطاعها العريض ، ومن خلالها يخاطب من يستطيع القراءة والكتابة ، والأمى ، ولم يكتف المبشرون بنشر برامجهم عبر محطات الإذاعة فى دولهم وما أكثرها وإنما لجأوا إلى محطات الإذاعة فى دول آسيا وإفريقيا فاستحوذوا على العديد منها شراءً أو استئجارا نظير منافع مادية ويشير إلى هذا الفعل محمد عبدالرحمن عوض قائلاً : ويوجد أكثر من خمسين محطة إذاعة تبشيريه فى أنحاء العالم منها محطة "كويتو " فى الإكوادور بأمريكا الجنوبيه ، وأخرى فى " منروفيا " فى ليبريا ، وهناك إتحاد الإذاعات وسط إفريقيا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، وتذيع بخمس عشرة لغة إفريقية عدا الإنجليزية والفرنسية والعربية وهناك إذاعة عبر العالم ومركزها " مونت كارلو" ولها فرع فى البحر الكاريبى وهناك محطات تبشيريه فى كل من " قبرص" و " سويسرا " ، و" سرى لانكا " و " مانيلا " [1] وأهل التبشير فى حركة دائبة ، ودورتهم مستمرة للسيطرة الشاملة على الإذاعة فى عالم الإسلام ، ومما يؤكد ذلك ماحدث فى تقرير مجلس إدارة مدارس سنودس النيل بالقاهره فى ١٩٧٧/٤/٢٦م .

فقد خصص المجلس لجنة لدراسة التعامل مع هيئة إذاعة الشرق الأقصى وجاء فى البند الثالث ـ هيئة إذاعة الشرق الأقصى محطة " سيشيل " لازالت اللجنة تواصل

---

(١) أخطار التبشير فى ديار المسلمين محمد عبد الرحمن عوض ص ٢١ ، ٢٢ طبع دار الأنصار بالقاهرة رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٠/٢٠٩٢ .

الدراسة للتعامل مع المحطة المذكورة[1] ، وفى عهد الإمبراطور هيلاسلاسى[*] صارت إذاعة أديس أبابا تحت تصرف المبشرين فى كل وقت " بالإضافة إلى أن إذاعة " أديس أبابا " قد تحولت إلى أقوى إذاعة فى إفريقية وبمساعدة تجهيزات المخابرات الأمريكية تقـــوم ببث رسائل الإنجيل كل يوم وطوال النهار الى كل إفريقيا وباللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية والسواحلية ، ولغة شانينغا Chanyanja ولغة ياوربا Yaruba بالإضافة إلى عدد آخر من اللغات الإفريقية دون السماح بدقيقة واحدة لإذاعة القرآن الكريم ".[2]

(جـ) استخدام دور النشـر والطباعة :

من أجل نشر رسالة الإنجيل فى أرجاء العالم وخاصة بلاد الإسلام ، إهـــتم المبشرون بدور النشر فى عواصم بلاد الإسلام الكبرى وخاصة فى القاهرة وبيروت فأنشأوا العديد من المطابع المسيحية فى العاصمتين ، لطبع الكتب والنشرات المسيحية وتوزيعها كما ذكر الأستاذان خالدى ، فروخ .

أما القاهرة فاتخذها البروتستانت مركزا لتوزيع المنشورات فى القطر المصرى وفى جميع العالم الإسلامى ، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية فى بيروت ، تلك المطبعة التى أصبحت أهم وسائل التبشير فى الشرق كله أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم فى المطبعـــة الكاثوليكية فى بيروت منذ عام ١٨٧١م وقاموا من طريقها بعمل تبشيرى فى الدرجة الأولى .[3]

وترادفت التضحيات المادية والمعنوية ، لغمر الأسواق بطبعات الكتاب المقدس ، وتوزيعه مجانا فى بعض البلدان الإسلامية أو بيعه بثمن بخس لايساوى سعر التكلفة فضـــلا عن ترجمته إلى العديد من اللغات ، فقد ذكر الكاتب التركى : ضياء أو يغور ماترجمته

---

(١) تقرير مجلس إدارة مدارس سنودس النيل : مرفوع إلى سنودس النيل الإنجيلى فى دورتـه (٨٧) المنعقدة بمدينة القاهرة فى ٢٦/٤/١٩٧٧م ص ٣٩ مطبعة دار الجيل .

(*) هيلاسيلاسى ــ معناه باللغه الأمهرية قوة الثالوث واسمه تافرى وهو من مواليد عـام ١٨٩٢م " بأديس أبابا " وبعد تعليمه توج ملكا على الحبشة عام ١٩٢٨م ثم تـــوج إمبراطورا عام ١٩٣٠ يراجع كتاب :الوحدة الإفريقية محمد أبو الفتوح الخياط ص ١٠٥ طبع دار المعارف ١٩٦٤م .

(٢) أحقاد وأطماع التبشير فى إفريقيا المسلمة تأليف د / عماد الدين خليل ص ٥٩ طـ ٢ مطابع المختار الإسلامى ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

(٣) التبشـــير والاستعـــمار فى البـــلاد العربيـــة صـــ ٢١٤ .

لقد تجاوز مجموع ترجمات الكتاب المقدس خلال المائة والخمسين سنة المنصرمة أكثر من (١١٣٠) ترجمة وبما يقارب الألف لغة وبلغ مجموع نسخ الكتاب المقدس أكثر من مليار نسخة ولم يقتصر نشاط المبشرين على نشر الكتاب المقدس فقط بل تعدى ذلك إلى نشر الكثير من المجلات والكتب والنشرات التى تجاوز تعدادها المليارات ٠

فإذا أحصينا تكاليف طبع مليار نسخة من الكتاب المقدس لرأينا عظم التضحية المادية التى يقوم بها المسيحيون ٠

إن الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) يباع فى " تركيا " مجلدا بمبلغ لايتجاوز العشرين ليرة تركية ٠[1]

فإذا فرضنا أن هذا الثمن هو تكاليف الطبع فقط فيكون مجموع ماينفقون على طبع مليار نسخة منه (٢٠) مليار ليرة تركية ، وإذا أضفنا ضعفى هذا المبلغ لطبع الكتب والمنشورات والمجلات التى يقومون بنشرها لبلغ المجموع الكلى (٦٠) مليار ليرة تركية ٠

ويجب أن لايغيب عن البال بأنهم ينشرون هذه المطبوعات باعترافهم بما يقارب الـ (١١٣٠) لغة فى العالم ٠[2]

ويدهش المرء حين يكشف النقاب عن توظيف المسيحيين لكل إمكاناتهم وتسخيرها لنشر الإنجيل ، بأحدث الوسائل الدكتور : الطيب زين العابدين بقوله : لقد سخرت الكنيسة إمكاناتها كلها لتنصير إفريقيا وفى اجتماع عقد منذ وقت قريب بـ " نيروبى " لكبار المسئولين عن إتحاد جمعيات الإنجيل ، كشف النقاب عن جانب من توظيف تلك الإمكانات فقد تبين أن الإنجيل الذى ترجم حتى الآن إلى (١٨٠٨) لغات ولهجات محلية فى مختلف أنحاء العالم ، قد ترجم أيضا إلى (٤٩٨) لغة ولهجة محلية إفريقية وأن العمل يجرى حاليا لترجمته الى (٢٠٠) لغة ولهجة أخرى وأن اتحاد جمعيات الإنجيل سوف ينفذ مشروعا يكلف ملايين الدولارات لترجمة الإنجيل إلى (١٥٠٠) لغة ولهجة إفريقية فى غضون (٧) إلى (٨) سنوات وأن آخرين يعملون الآن على تسجيل الإنجيل

---

(١) أى ما يقارب الثمانمائة فلس عراقى فى الوقت الحاضر (المعرب) ومقدارها ٢ ر ٤ دولار تقريبا ٠

(٢) جذور الصهيونية (السلسلة السياسية ـ ١٤) للكاتب التركى ضياء أويغور ترجمة وتقديم إبراهيم الداقوقى صـ ٣٣ طبع وزارة الثقافة والإرشاد بغداد ١٩٦٦م ٠

على أشرطة "كاسيت" ليسهل تداوله بين الجماهير الإفريقيه التى تتجاوز نسبة الأمية فيها حدود الـ (٧٥٪) وسوف توزع مع الأشرطة أجهزة تعمل بالطاقة الشمسيه ، وفى "كينيا" تباع النسخة الواحدة من الإنجيل بثلاثة دولارات ونصف الدولار بينما تصل تكلفتها الحقيقية إلى ثمانية دولارات .(١)

ويخبر صاحب المقال ما أسفرت عنه هذه التضحيات وما يتبعها من وسائل فى توغل المسيحية ، وسرعة انتشارها فى إفريقيا حيث يقول :

وأمام هذه الإمكانات والجدية فى توظيفها ، لابد أن نعترف بأن الكنيسة ـ خاصة الكاثوليكية ـ استطاعت أن تحقق نجاحا كبيرًا فى أفريقيا كما لابد من الاعتراف والإعتبار أيضا ـ بأن الكاثوليك الأفارقة الذين لم يكن عددهم سنة ١٩٠١م يتجاوز (١ر١) مليون نسبة (١٪ فقط من السكان) ، يقدر اليوم بـ (٦٥) مليونا وبنسبة تزيد عن (١٦٪) من مجموع سكان القـارة .(٢)

٤ ـ المخيمات الكشفية :

يهتم المبشرون بالأنشطة الطلابية المختلفة من اجتماعية ورياضية ويرون فيها الفرصة لتعليم الإنجيل ، وبث الأفكار المسيحية فالطلاب فى مراحل التعليم لم تتشكل عقولهم بعد ، ولم تتشرب تعاليم الإسلام جميعها ، وعلى هذا يمكن استدراجهم وصوغ عقولهم من جديد ، بعد تشكيلها حسب أهواء القوم ، وهم لايتركون ثغرة فمن بيوت للأطفال يشرف عليها مبشرون ، إلى مدارس تحت اشرافهم حتى أوقات الفراغ والترويح عن النفس خارج نطاق المدرسة فى المخيمات ، والمعسكرات الطلابية ، والأندية الرياضية يلاحق التبشير أولاد المسلمين ، بل ويحاصرهم من كل جانب حتى لايجد الطلاب أى فرصة للخروج من الشباك المحبوكة .

" ولقد كان الفرنسيون فى المغرب العربى يرسلون قسيسين يشرفون على مخيمات الكشافة ويوجهونها توجيها ظاهرا لا استحياء فيه ولقد عقد مؤتمران قبل عام ١٩٣٨ م . لمنظمات الشباب المختلفة ومنها الكشافين ، والمرشدات (للفتيان والفتيات) .

---

(١) مجلة (الأمة) من مقال للدكتور : الطيب زين العابدين تحت عنوان (مستقبل الإسلام فى إفريقيا) صـ ٦٣ (العدد ٦٥ ـ السنة السادسة) ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

(٢) المرجع السـابق .

كان البرنامج فيهما يدور خاصة حول هذه الموضوعات : "التوراة" "كلمة اللـــه" "الكنيسة" "جسد المسيح" وفى عام ١٩٣٥م نظمت مؤسسة "الحزمة المغربية" بالتعاون مع "اللجنة التبشيرية لشبان فرنسا" مخيما تبشيريا نقل بعد مدة إلى جنوبى الجزائـر وقد اشترك فى هذا المؤتمر التبشيرى ستون من زعماء (حزمة التبشير) فى فرنســا وسويسرا " .(١)

وهم فى سعى دائب لإقامة أندية اجتماعية فى البلاد الإسلامية والعربية ، وفــى قاعة هذه الأندية تتجمع الخلايا المسيحية بكل الصور وهذا مانبه إليه المستشار محمـد عزت اسماعيل الطهطاوى بقوله :

وهذه الأندية تضم بيوتا للشباب يتمكن المبشرون بواسطتها من إيواء الصبيان الذين لامأوى لهم ليدربوهم على أساليب المسيحية ، وفى النهاية يكون هؤلاء الصغار نواة حيـة للنوادى الكاثوليكية فى أرض الإسلام ، وقد أقام القوم الكثير من النوادى فى شمال إفريقيـه وجنوب الجزائر (٢) ، وغالبا ماتقام الحفلات الماجنة وتدار الكؤوس المحرمة ، على الحاضرين فالمهم محو كل أثر لعقيدة الإسلام فى نفوس الناشئة حتى إذا جاء المبشر يلقى محاضرته ملأ عقلية الحاضرين بما يريده ، ووجد كلامه مستساغا ولو ناقض كل المبادىء الإنسانيـه وكما يقال :

لايهم القوم أن يتمتع الشباب بما فى النوادى من أسباب التثقيف والترويح الـبرىء وإنما يهمهم أن تجتذب هذه الأماكن أناسا يستمعون إلى صوت المبشر الانجليزى أو الأمريكى أو الفرنسى أو الهولندى أو غيره ، ليجد حب الغرب طريقه إلى قلـــوب الشرقيين على الأقل أما التقوى المسيحية أو الإنسانية الغربية فيجب أن نبحث عنهمـا فى الولايات المتحدة وميادين أوربه .(٣)

٥ ـ الجمعيات التبشيرية و "الخيرية" التابعة للتبشير :

نبتت فكرة الجمعيات التبشيرية فى الغرب ، ثم توغلت وانتشرت فى بلاد الشـرق الإسلامى ، ووجهت نشاطها إلى أهل الإسلام ، وقد قيل أن المستر كارى لما نشـر كتبه فى التحريض على التبشير قوبلت بالإستحسان ففتح له باب الإكتتاب وذهب إلـى

(١) التبشير والاستعمار فى البلاد العربية صـ ٢١٤ ، ٢١٥ بتصرف يسير ، التبشـير والاستشراق أحقاد وحملات صـ ٣٣ .
(٢) التبشير والاستشراق أحقاد وحملات صـ ٢٩ ، ٣٠ بتصرف .
(٣) التبشير والاستعمار فى البلاد العربية صـ ٢٠٨ بتصرف يسـير .

الهند لهذا الغرض وصارت الأموال ترسل إليه ثم طلب أن يرسل له رجال يؤازرونه في التبشير تأسست سنة ١٧٩٥م " جمعية لندن التبشيرية " وما حمت أن تأسست جمعيات على شاكلتها في " اسكوتلنده " و " نيويورك " وانتشرت هذه الفكرة في ألمانيا والدنمارك ، وهولندا ، والسويد ، والنرويج ، وسويسرا ، وغيرها ، وتأسست جمعيات فرعية كثيرة مثل " جمعية التبشير في أرض التوراة العثمانية " .(١)

وصارت هذه الجمعيات في طريقها إلى الانتشار ، والتفرغ إلى أخرى مشابهة في العمل ، ومختلفة في الاسم ، وقد نقل عن ا . ل شاتيليه ماترجمته : وفي سنة ١٨٥٥م أسست " جمعية الشبان المسيحيين " من الانجليز والأمريكان ووظيفتها إدخال ملكوت المسيح بين الشبان ، وعقد تلاميذ المدارس النصرانية في " نورثفيلد " مؤتمرا اجتمع فيه ٢٥٠ مندوبا عن ٨٠ مدرسة تكفلت بتقديم ١٠٠ شاب للتطوع في نشر الدين المسيحي ومن هؤلاء تألفت " جمعية الشبان المتطوعين للتبشير في البلاد الأجنبية " .(٢)

والمقصود " بالبلاد الأجنبيه " بلاد الإسلام كما ينظر إليها المبشرون وبات الأمر واضحًا من إنشاء هذه الجمعيات من تعبيرات القائمين على أمرها والساهرين في قيامها .

فقد أقام المبشرون جمعيات الشبان المسيحيين ، وجمعيات الشابات المسيحيات وعمل تلك الجمعيات في الظاهر القيام بأوجه النشاط الإجتماعي ولكنها في الحقيقة أنشئت لتكون عونا على تغلغل التبشير المسيحي .

يقول أديسون : إن عوامل التعليم المسيحي في مصر ، تزيد قوة على قوتهما بمؤسستي جمعية الشبان(*) المسيحية وجمعية الشابات المسيحيات ـ أن لهاتين الجمعيتين

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي صـ ١٣ ، ١٤ باختصار يسير .
(٢) المرجع السابق .
(*) لقد تبدل اسم هاتين الجمعيتين فأصبح : الجمعية المسيحية للشبان والجمعية المسيحية للشابات وفي هذا التبديل غرض غير خفي ، إن معناها اللفظي الأول كان : جمعية للشبان السيحيين وحدهم وللشابات المسيحيات وحدهن أما الآن فالمعنى اللفظي قد أصبح جمعية مسيحية (يديرها المسيحيون) للشبان (لكل الشبان) وللشابات (لكل الشابات) على أن المقصد الحقيقي كان من قبل كما هو الآن ، وهو الآن كما كان من قبل) ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية صـ ٢٠١ بالهامش .

مراكز نشيطة وخصوصا فى القاهرة والإسكندرية هذه الفروع تقدم للمسلمين مناسبات مختلفة للألعاب الرياضية ، وتهيئ فى المجتمع ألوانا من النشاط تندر فى الشرق وفى هذا اقتراب من المسلمين بالتبشير .[١]

ولقد أنشأوا بعد ذلك جمعيات تبشيرية لمختلف الأعمار الإنسانية ، وتساير النوعيات البشرية ، حسب أطوارها فأسسوا سنة ١٩٠٢ " جمعية تبشير الشبان " ومن وظائف هذه الجمعيات الأخيرة استمالة النساء والبنات والشبان والطلبة إلى استماع صوت المبشرين ثم تقرر سنة ١٩٠٧م أن تؤسس جمعية أخرى لتبشير الكهول فأسست وأخذت تباشر أعمالها وترفع التقارير بهذا الشأن .[٢]

وحين نعم البروتستانت بالهدوء ، وأحسوا بشئ من الأمان بعد حروب طويلة بينهم وبين الكاثوليك ، كانت تهدأ لتنشط من جديد ولم تتوقف حتى عم الإرهاق الطائفتين فعقدوا صلح " وستفاليا "[*] سنة ١٦٤٨م .

وخلال الفترة الباقية من القرن السابع عشر نظم البروتستانت صفوفهم بعض الشئ فكانت البوادر لظهور النشاط الخاص بهم " ومن ثم أخذت الجمعيات التبشيرية تظهر إلى الوجود وكانت بريطانيا أسرع الدول إلى تنظيم هذا النشاط حين أصدر البرلمان قرارا فى سنة ١٦٤٩م بإنشاء (هيئة نشر المسيحية فى إنجلترا الجديدة) ومن الواضح أن نشاطها كان متجها أكثر مايكون إلى الدنيا الجديدة ، وتحول بعد ذلك إلى كل من لايعتقد بالمسيحية فى الخارج وشهد القرن الثامن عشر نشاطا تبشيريا ملحوظا .[٣] ظهر أثره واضحا فى إفريقيا الجنوبية وقام بالدور البارز مبشران إسكوتلانديان ("موفات" و " ليفنجستون ") فقد ذكر هوبير ديشان ماترجمته :

وبلغت الجرأة بالمبشر (روبرت موفات) أن أسس مركزا للتبشير بين قبائل بتشوانا وأن يقيم بين أظهرهم على بعد مئات الأميال عن موطن الرجل الأبيض فى مستعمرة الرأس فاستخف به هؤلاء فى بادئ الأمر ، ولكنهم لما رأوه أنضم إليهم فى الدفاع عن بلادهم ونجح فى صد بعض الغزاة من القبائل الأخرى عنهم وكان سببا فى انتصارهم دخلوا المسيحية واعتنقوها أفواجا أما " دافيد ليفنجستون " وهو زوج ابنة

(١) المرجع السابق .

(٢) الغارة على العالم الإسلامى صـ ١٤ بتصرف يسير .

(*) " وستفاليا " أو " فستفاليا " إحدى مقاطعات بروسيا قديما فى غرب ألمانيا ومعاهدة "وستفاليا " : هى الإتفاقيات التى وضعت حدا لحرب الثلاثين سنة ١٦٤٨م ، بين الإمبراطورية الألمانية من جهة وفرنسا " و " السويد " من جهة أخرى وأطلقت الحرية الدينية لأمراء ألمانيا الشمالية (يراجع المنجد فى العلوم صـ ٥٢٨) .

(٣) إستعمار إفريقية صـ ١٠١ ، ١٠٢ بتصرف .

(موفات) فقد استطاع أن ينصر أحد ملوك (بتشوانا) واسمه (سيشيله) [١] .

ولقد كان " لفنجستون " مبشرا ، ومستكشفا وطبيبا ، وعلى أثر اكتشافاته الإفريقيه تعددت الجمعيات التبشيريه " فتألفت أكثر من جمعية تبشيرية من أجل التبشير بالمسيحية في الجهات التي اكتشفها ، وكان من بينها " بعثة الجامعات إلى وسط إفريقيا " وأنشأت أول مركز تبشيري لها عند الزمبيزي في سنة ١٨٦١م ، ثم اتخذت لها مركزا جديدا في " نياسالاند " .

وكذلك جمعية الكنائس الاسكتلنديه " التي بدأت العمل في " نياسالاند " أيضا في سنة ١٨٧٤م ، وتلتها " جمعية الكنيسة التبشيرية " التي بدأت نشاطها في منطقة " بحيرة تنجانيقا " ثم وجهت نشاطها إلى أوغندا ، كما أخذت " جمعية لندن التبشيريه " في توجيه نشاطها من جديد إلى روديسيا الجنوبيه وأسست لها مركزا جديدا في لنيانتي سنة ١٨٩٥م ، وسار على دربهم الفرنسيون فأسسوا جمعية باريس التبشيريه لتباشر نشاطها في مستعمرات فرنسا في جنوب إفريقيا " . [٢]

وتوغلت هذه الجمعيات التبشيرية في القارة الإفريقيه تحت ستار الخدمات الطبية والرعاية الإجتماعية ، والعناية بالناحية التعليمية ، فأنشأت العديد من المستشفيات والمدارس والجامعات وكلها أوكار للتبشير المكشوف أحيانا ، والمستتر حينا ، بحيث أن يتشرب الإفريقي كل مالايتنافى مع التقاليد المسيحية ، وأن يتقبل ماتمليه الروح الصليبية ، وحين يرتاح لذلك تتوالى المعونات المشروطة وغيرها إلى هذه المراكز التبشيرية ويلاحظ أن هذه المعونات ، جاءت نتيجة لما استغلوه من خيرات هذه البلاد من المواد الخام ، والمحاصيل النادرة والطاقة البشرية المتاحة وعلى غرار الجمعيات التبشيرية أقام المسيحيون المقيمون في بلاد المسلمين مايسمى بالجمعيات الخيرية .

نموذج للجمعيات الخيرية المسيحية في مصر :

تقمص المسيحيون القاطنون ببلاد الإسلام ، دور مسيحي الغرب فأنشأوا في بلاد المسلمين مايسمونه بالجمعيات القبطية الخيرية وأغراض هذه الجمعيات كما ورد على لسان

---

(١) الديانات في إفريقيا السوداء (الألف كتاب ـ ٥٢) تأليف هوبير ديشان (حاكم المستعمرات (سابقا ـ أستاذ بمعهد الأجناس البشرية ومعهد الدراسات السياسيه بـ جامعة باريس تعريب أحمد صادق حمدي ، دكتور محمد عبد الله دراز صـ ١٥٨ ، ١٥٩ مطابع دار الكتاب المصري بالقاهرة ١٩٥٦م .

(٢) استعمار إفريقية صـ ١٠٣ ، ١٠٤ باختصار .

أصحابها :

إنشاء الكنائس ورعايتها ، وبناء المدارس ، والمستشفيات والمستوصفات والملاجئ ، وعمل مشاغل خاصة بالحياكة وفن التطريز ، وتدوين التقاويم ، وإصدار المجلات ، وتصميم المطابع ودور النشر ، وتوزيع النشرات المسيحية ، [1]

كما أن لكل جمعية عمل يميزها عن غيرها ، فمنها مايشمل نشاطها

١ ـ الترشيح لانتخاب المجلس الملى .

٢ ـ مساعدة الجمعيات الناشئة .

٣ ـ بحث مشاكل الرهبان .

٤ ـ تنبيه المجلس الملى إلى بعض أعماله .

٥ ـ الرقابة على الكنائس من كافة الوجوه .

٦ ـ قيام الجمعية بترشيح البطريرك الحالى .

ومنها مايمتد نشاطه لجمع شمل العائلات المنشقة ، وإصلاح مابين الزوجين ومحاولة إعادة من ترك المسيحية إليها مرة أخرى .

وبعض الجمعيات تقوم بتعليم أولاد الملاجئ الموسيقى ، ثم تسعى لإلحاقهم بالفرق الموسيقيه بالجيش بعد بلوغهم سن التجنيد ، وهذا ماذكره القوم عن نشاط جمعياتهم ، أو بعضه ومالم يرد على لسان القوم مما يزيد فى خدمة الأهداف التبشيرية التوسعية ألخصه فى الآتى :

١ ـ شراء أراضى لبناء مثل هذه الجمعيات فى المدن والمناطق السكنيه عموما ، أو شراء مساكن جاهزة ، أو تأجيرها لعمل الجمعيات .

٢ ـ شراء عمارات سكنية بأكملها ووقفها عليهـا .

٣ ـ شراء الأراضى السكنية ، بل والزراعيه ووقفها عليها .

٤ ـ توسيع دائرة العمل التبشيرى عن طريق هذه الجمعيات حيث تضم صبية مسلمين يتعلمون المهن المختلفة ، أو يؤتى بهم لاجئين ويترتب على الأمور الثلاثة الأول :

١ ـ توسيع رقعة الأراضى بالنسبة للقلة المسيحية وتضييق الرقعة السكنية والزراعيه بالنسبة للكثرة المسلمـة .

---

(١) الجمعيات القبطية ومدى اتساع أعمالها ـ رمزى تادرس جـ ١ صـ المقدمة بدون عدد للطبعة مطبعة الأمانة بالفجالة بمصر بدون تاريخ بتصرف .

٢ ـ التحكم فى الموارد التجارية نظرا لما تقوم به هذه الجمعيات من أنشطة إنتاجية لكثير من المنتوجات والسلع .

وماهو أهم من ذلك أن هذه الجمعيات تتلقى مساعدات مالية من أموال المسلمين تختلف حسب الأنشطة المتاحة لها فللملاجئ إعانة ، وأيضا لدور الحضانة والمشاغل وخلافة ، وتصرف هذه الإعانات مباشرة من وزارة الشئون الاجتماعيه .

وإذا علمنا أنَ جَل الموظفين بهذه الوزارة مسيحيون وأنهم يشرفون على هذه النشاطات ويقدرون المساعدات والمعونات اللازمة لها تأكد لنا العطاء السخى ، وسرعة التنفيذ لوصول المعونات فى وقتها ، وعلى هذا أصبح واضحا أن مال المسلمين يستخدم لخدمة التبشير وتنصير المسلمين وأن ثروة الإسلام تنتقل بطريق مرسوم لأيدى القلة المسيحية ولوكان بيت مال المسلمين مقاما لما حدث مثل هذا .

جدول لذكر بعض الجمعيات ـ المذكورة فى كتاب (الجمعيات القبطية ومدى اتساعها) بالنسبة لمصر :

الرقم	اسم الجمعية	بعض البيانات
١	الجمعية الخيرية القبطية	افتتحت بشارع القبيلة بالأزبكيه يوم ٨/١/١٨٨١م باسم " جمعية الساعى الخيرية " .
٢	جمعية التوفيق	أسست فى أغسطس سنة ١٨٩١م ولها فروع ثلاثة (فى الإسكندرية ـ وطنطا ـ والفيوم)
٣	جمعية السلام	تأسست فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٨م بحى القللى بالقاهره .
٤	جمعية ثمرة التوفيق القبطيه	أنشئت عام ١٩٠٧م فى حى متواضع من أحياء الفجالة بالقاهره .
٥	جمعية الإيمان	أسست سنة ١٨٩٩م فى خط حارة السقائين وانتقلت بعد سنة إلى الفجالة وفى سنة ١٩١٤م أنشأت فرعا لها فى حى جزيرة بدران بالقاهره .
٦	جمعية الإخلاص بالإسكندرية	أنشئت بالإسكندرية فى ١٤/٣/١٩٠٩م .
٧	جمعية المحبة بالظاهر	
٨	جمعية الإخلاص بفم الخليج	أنشئت فى ١٤ فبراير ١٩٣٠م .

الرقم	اسم الجمعية	بعض البيانات
٩	جمعيات تربية الطفولة	وفى مقدمتها جمعية السيدات القبطيه المؤسسه فى ١٩٤٠/١/٢٦م ولها فرع " فى الإسكندريه " ويشبه هذه الجمعيه " جمعية صديقات الكتاب المقدس" وترأسها حرم الدكتور/ نجيب محفوظ باشا
١٠	جمعية ملجأ النظام	أسست ملجأها القائم فى شارع الظاهر سنة ١٩٢١، وهو أول ملجأ أنشئ من نوعه فى القاهره لإيواء البنات اليتيمات .
١١	جمعية ملجأ الأيتام	أسست سنة ١٩١٧م وأنشأ رجالها الملجأ فى سنة ١٩١٩ .
١٢	جمعية النشأة القبطيه	
١٣	جمعية المحبة بشبرا	
١٤	جمعية الدفاع عن الكنيسة	
١٥	جمعية نهضة الكنائس	
١٦	جمعية أصدقاء الكتاب المقدس	
١٧	جمعية الراعى الصالح	تأسست فى حى الفجالة سنة ١٩٣١م .
١٨	جمعية أبناء الرسل	أسست ١٩٣١م بنادى الشباب الجامعى بشبرا .
١٩	جمعية كنيسة المليحة	أقيمت بحدائق القبه فى سنة ١٩٣٩م.
٢٠	جمعية أبناء الكنيسة	تأسست فى سنة ١٩٢٥م.
٢١	جمعية المحبة بسمالوط	انشئت بمحافظة المنيا بمركز سمالوط فى شهر يوليو سنة ١٩٣٤م.
٢٢	جمعية الحياة	أسست فى سنة ١٩٢٤م .
٢٣	اتحاد الجمعيات	

يضاف إلى النشاط المنوط بهذه الجمعيات ومايوقف عليها من عقار ومال ،وقف البرات الخيرية المسيحية الذى يخصص ريعه لتشيد الكنائس ، والمدارس للإنفاق على الكنائس ، وفرق الكشافة ، وكل مايحبب فى المسيحية ، وما ذكرته نموذج لما يحدث فى بلد إسلامى به أكبر جامعة إسلامية فى العالم ،جل هذه الجمعيات مقامة فى عاصمته ومعنى ذلك أن بقية القطر به العديد من أمثال الجمعيات المذكورة ،وأن البلاد الإسلاميه الموجودة بها أقليات مسيحية يجرى فيها أكثر مما يحدث فى مصر ، خاصة إذا علمنا

ماكان مرقوما على الجمعيات المذكورة فى الجدول • ومساحة الأرض المقام عليها شمل هذه الجمعيات خصوصا فى المدن التى يعانى فيها الناس من أزمات المساكن فماذا يحدث لو ألقت الحكومة المصرية • نظرة ووزعت أماكن الإجتماعات لا أقول الأماكن المقام عليها مشروعات - على الأسر التى تسكن فى العراء ؟ • ثم العمل على الحد من إقامة مثل هذه الجمعيات المشبوهة فالأمر قد وصل حدا لايحتمل • ويكفى أن نطالع ماعده أحد المسيحيين : فقد ذكر أنه فى فترة زمنية تقدر بخمس وأربعين عاماً منذ سنة ١٩٢٧ - ١٩٧٢م• أقامت جمعيات خلاص النفوس خمسين جمعية بدءً من جمعية " خلاص النفوس " بأسيوط ١٩٢٧م• إلى جمعية أبى قبر عام ١٩٧٢م•

ويلاحظ أنه فى العشر سنوات من ١٩٥٢ حتى ١٩٦٢ تأسست ثلاثون جمعية [1] • ومعنى هذا زيادة العدد الكمى والتوسع فى الاستحواذ على الأراضى فى بلاد الإسلام وحسبنا أن النوع المذكور من الجمعيات ضم مختلف الطوائف المسيحية • وركز هدفه فى أمرين :

<u>الأول</u> : الدعوة إلى التوبة والإيمان بالرب (المزعوم) يسوع المسيح تعالى الله عن زعمهم " سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيراً " [2] •

<u>الثانى</u> : الدعوة إلى المحبة والإتحاد فى المسيح بعيداً عن الجدل الطائفى العقائدى• [3]

وهذا ما أفصح به المتحدث عن جمعيات خلاص النفوس وأنشطتها المختلفة • ومنه ظهرت الخطة التبشيرية سافرةً •

٦ - الملاجئ :

إحتواء أولاد المسلمين • هدف أساسى من أهداف التبشير ولايعدم المبشرون الوسيلة للوصول إلى مايريدون فالساحة أمامهم خالية • وتحت ستار أعمال البر والخير وشعار الرفق بالطفولة • ورعايتها يتم التقاط أطفال المسلمين • ووضعهم فى محاضن التربية المسيحية •

وقد كتب ألبرد وغلاس مقالاً عنوانه " كيف نضم أطفال المسلمين فى الجزائر " ؟ ذكر فيه أن ملاجئ قد أنشئت فى عدد من أقطار الجزائر فى شمال إفريقيا لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحيانا ثم قال إن هذه السبيل لاتجعل الأطفال نصارى لكنها

---

(١) يراجع " اليوبيل الذهبى لجمعيات خلاص النفوس " إعداد رزق جاد الله بدون عدد للطبعة طبع مطبعة الخلاص ١٩٧٧م •

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٣ •

(٣) المرجع السابق ص • بتصرف •

لاتبقيهم مسلمين كآبائهم ، ومثل هذه الجهود يبذلها المبشرون فى شمالى إفريقيا ومصر .[١]

وعلى سبيل المثال أنشأوا جمعيات لهذا الغرض فى القاهرة وجعلوا مهمتها رعاية أحد الملاجئ ومن بينها :

أ - جمعية ملجأ الأيتام :

أسست تلك الجمعية فى سنة ١٩١٧م ، لغرض طبى ، هو إنشاء ملجأ لإيواء بعض اليتامى ، وتعليمهم تعليما أوليا بسيطا مع تدريبهم على صناعة السجاد فى البدء ثم عادت فأغلقت مصنع السجاد وألفت فرقة موسيقية من هؤلاء اللاجئين تستطيع بإيرادها أن تقوم بإعالتهم ، وفى نفس الوقت تلحق من تعلم الموسيقى بإحدى فرق الجيش الموسيقية بعد بلوغه السن القانونية .[٢]

ب - جمعية ملجأ النظام :

أقامت هذه الجمعية ملجأها فى شارع الظاهر بالقاهرة سنة ١٩٢١م وخصص لإيواء البنات اليتيمات ، ويقال فى شأنه إنه بلغ من الإتقان وحسن الرعاية والنظام ، وضم الكثيرات من اللاجئات ، والمتخرجات منه يجدن من الأعمال مايتناسب معهن من ناحية التدريب ، على أن الجمعية لها أغراض مختلفة تقوم بتنفيذها من إنشاء ملجأ للكفيفات وصنائع يدوية وعلمية تنسجم ونعومة الأيدى التى تشتغل .[٣]

كما أن لمثل هذه الجمعيات شروط خاصة بالنسبة للاجئين واللاجئات من ناحية السن فلابد من صغر السن حتى يكون تأثير التربية أقوى مايمكن ، فيتم تشكيله بسهولة ويفضل يتيم الأبوين على من فقد أحدهما وهكذا ، حتى يشب فى كنف التربية المسيحية بلا اعتراض من أحد .

ويضاف إلى الجمعيات التى يوجد بها ملاجئ تحت رعايتها ملاجئ أخرى قائمة بنفسها لاتتبع جمعيات ولها دور بارز فى نشر المسيحية ، ومنها على سبيل العرض

---

(١) التبشير والاستعمار فى البلاد العربيه صـ ١٩٤ .
(٢) الجمعيات القبطية ومدى اتساع أعمالها جـ ١ صـ ٢٤ باختصار .
(٣) المرجع السابق صـ ٢٢ ، ٢٣ باختصار شديد .

ماهو موجود بمصر .

١ ـ كملجأ ليليان تراشر بأسيوط .

٢ ـ والملجأ الإنجيلى بحلوان الحمامات .

ملجأ تراشر بأسيوط

وسأتحدث بإيجاز عن أحدهما وهو " ملجأ ليليان تراشر بأسيوط " [١] كما حكت صاحبة الملجأ الأمريكية الجنسية . والتى كانت تعمل من قبل فى ملجأ بمدينة (ماريون) فى " كارولينا " بالولايات المتحدة الأمريكية ثم فكرت فى الذهاب إلى بلاد الشرق الإسلامى . لتأدية هذا الدور فى خدمة التبشير أثر سماعها لمحاضرة لإحدى المرسلات العائدة من بلاد الهند . وكانت " ليليان تراشر " وقتها تبلغ من العمر الثالثة والعشرين . وكانت على وشك الدخول بزوجها . لكنها آثرت التبشير على الزواج وأرادت أن تخدم المسيحية من الموقع التى برزت فيه . وظهرت خبرتها وهو الملجأ فتقول عن نفسها :

توجهت إلى " أسيوط " وكان وصولى إليها فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩١٠م . وفى أسيوط قصدت إلى مكان جمعية القس " برلسفورد " على الطريقة فى الكنيسة الرسولية هناك أخذت أتعلم اللغة العربية . حتى أتمكن من التفاهم البسيط مع من يحيطون بى . [٢]

وبعد ذلك استأجرت بيتا صغيرا . وفرشته بقليل من الأثاث وأحضرت يتيما وفى ١٠ فبراير سنة ١٩١١م افتتحت الملجأ [٣] . وبعد خمس سنوات وفى عام ١٩١٦م تم شراء نصف فدان وأقيم عليه مايسمى بـ (ملجأ الأيتام الخيرى) بدلا من " ملجأ ليليان تراشر " . واستمرت المعونات والمساعدات تترادف على الملجأ حتى صار قلعة تبشيرية بالوجه القبلى بمصر .

" تضم مستشفى لعلاج اللاجئين عرف باسم (مستشفى جنى بنتون) وزود المبنى جميعه بماكينة مياه . تضخ المياه إلى صهاريج . وماكينة إنارة كهربائية . وشيد قسم

---

(١) ملجأ الأيتام الخيرى بأسيوط تأسس سنة ١٩١٠ تحت رقم ٥٢ ط ٤ مطبعة بخيت ومكتبتها بأسيوط (وهو كتيب للمبشرة ليليان تراشر) . ١٩٦٠م .

(٢) المرجع السابق صـ ٢٢ .

(٣) المرجع السابق صـ ٢٣ بتصرف .

بالملجأ للأطفال الذين يحتاجون لعناية خاصة من الزجاج لدخول الشمس، وأرفق بالملجأ مزرعة أبقار مهجنة من خليط من النوع الجرس الأمريكي والنوع البلدي ، بالإضافة إلى ما احتواه الملجأ من مدرسة ابتدائية ، مقامة على مساحة تزيد عن ألفين من الأمتار المربعة يحيط بها حديقة ، ومدرسة كبيرة للبنات والجميع يحضر الصلوات بكنيسة الملجأ الكبيرة ، ويتلقى العظات وليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، فقد بنى القوم بهذه المؤسسة مخبزا خاصا لعمل الخبز الطازج يوميا .

ولاغرابة إن علمنا كما قالت المبشرة صاحبة الملجأ أن منطقة أسيوط التعليمية تمدهم بالإعانات ، وتساعدهم بكل مايحتاجون إليه .[1]

٧ ـ الكتب والمجلات :

يصدر المسيحيون الكثير من الكتب والمجلات التى تحمل الطابع التبشيرى سواء منها ماينشر فى الغرب أو الشرق ، وسنكتفى ببعض الكتب والمجلات التى تنشر وتوزع ببلاد المسلمين ، وتحمل اللون التبشيرى الخفى والظاهر، ونبدأ بما يوجه إلى الفئة المتعلمة بصفة خاصة ومنها مجموعة كتب معنونه بالعناوين الاتيه :

١ ـ مسيحنا فوق الزمان .
٢ ـ إيماننا الأقدس .
٣ ـ كتابنا المقدس ، ومسيحنا القدوس .

وهذه المؤلفات الثلاث عبارة عن محاضرات ألقاها الأنبا يوأنس : أسقف الغربية التابعة لجمهورية مصر العربية فى محافل عامة ، وهو يقول عن كتابه : "إيماننا الأقدس" ماملخصه : أنه عبارة عن سلسلة محاضرات الصوم الأربعين التى ألقاها بالمحلة الكبرى بمحافظة الغربية" .

وأنها موجهة فى مضمونها إلى الطلبة المسيحيين ليردوا بها على أسئلة الطلاب المسلمين، وليشرحوا لهم المفاهيم المسيحية لبعض النقاط الغامضة فى التعاليم المسيحية .

وبالأصح هى محاولة لحمل الطلاب على تحمل مسئولية التبشير بالمسيحية بين أقرانهم وفيها ميزتين :

الأولى : إقناع الطلاب النصارى بصحة مايلقى عليهم من قضايا المسيحية ، المعقدة

---

(١) يراجع المرجع السابق من ص ٣٧ ـ ٤٦ .

والتى لايستسيغها العقل ٠

الثانيه : جعلهم فى صورة المدافعين عن دينهم ، يكسبهم حماسة فلا يرتدون عنه حين ينكشف لهم الحق ٠

ومن الكتيبات الموجهة للعامة سلسلة كتب شباب تحت العشرين (وفى العدد ١٠ ـ المعنون بالآتى : أنت والكنيسه) للقس : منيس عبد النور وهذا الكتيب عبارة عن دراسة فى قالب حوار حول معنى الكنيسة ، ورسالتها ، وعملها ، والعبادة فيها وهو تصوير لمناقشة جرت فى إجتماع لنوعيات مختلفة من الشباب على مدى شهر ٠

والهدف من الحوار أن يقوم الشباب المسيحى تحت سن العشرين بدعوة الناس للدخول فى النصرانيه ، ويظهر هذا بوضوح فى الفصل الثالث " عمل الكنيسة " فتحت عنوان : (الكرازة بالمسيح ") يقول د / جرجس : هذه فعلا هى رسالة الكنيسة الأولى أن تنادى الناس ليعرفوا المسيح المخلص ٠ [1]

ثم رسم الشكل التالى على السبورة ، الدائرة هى الكنيسة التى يجذب الناس إليها الصليب هو مركز الكنيسة الذى يجذب الناس إلى محبة الله ، النقط وسط الدائرة هم الناس الذين دخلوا حظيرة المسيح ٠

فى الدائرة الأولى :

يدعو المسيح الناس ليصيروا أعضاء فى الكنيسة

وفى الدائرة الثانية :

نراه يرسل أتباعه إلى العالم المحتاج ليدعو الناس للمسيح

وفى نفس الكتيب يقولون : الوعظ الجماهيرى يشبه الصيد بالشبكة أما العمل الفردى فهو صيد الناس بالصنارة ، والطريقتان لازمتان ٠ [3] ، وأيضا من هذه الكتب مايصدر بالقاهره لشخصية تدعى (مكس ميشيل) من كتب بينها كتاب (حياة المسيح) [4] وتبدأ مقدمته بـ " دعوة تعارف " ونهايته : (تجديد الطبيعة البشريه") ٠

وفى الختام للاستفسار عما يخص أو لمزيد من المعلومات موضوع الكتابة يمكن مراجعة المؤلف على صندوق بريد ١٤ حدائق القبه القاهره ٠

---

(١) أنت والكنيسة (سلسلة كتب شباب تحت العشرين ـ ١٠) صـ ٢٨ بدون عدد للطبعة طبع بمطبعة دار الطباعة القوميه بالفجالة مودع بدار الكتب عام ١٩٧٦م ،

(٢) المرجع السابق صـ ٢٨ ، ٢٩ ٠

(٣) صـ ٣٠ باختصار ٠

(٤) ط ٤ دار يوسف كمال للطباعه حدائق القبة بالقاهره ١٩٨٢م ٠

ومن الكتيبات سلسلة " مقالات للشباب " إعداد المركز الأرثوذكسى للدراسات المسيحية ص.ب ١٤ حدائق القبة القاهرة ، وقد صدر من هذه السلسلة :

١ ـ القيامة والفرح مايو ١٩٨٠ .
٢ ـ امتلئوا بالروح يونيو ١٩٨٠ .
٣ ـ الحياة الجديدة يوليو ١٩٨٠ .
٤ ـ ليكونوا واحدا أغسطس ١٩٨٠ .
٥ ـ لم يحبوا حياتهم سبتمبر ١٩٨٠ .
٦ ـ تحقيق الكنيسة أكتوبر ١٩٨٠م .

ولايخلو كتيب من حمل الدعوة التبشيرية بين طياته وفى الكتيب السادس (تحقيق الكنيسة نجد هذا السؤال : كيف أحدث صديقى عن المسيح ؟ ، ويكون الجواب " أما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا ، بل قدسوا الربّ الإله فى قلوبكم مستعدين دائمًا لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم بوداعة وخوف " (١)

ونراه يطرح الأسئلة ويجيب عنها بأسلوب مخالف للحقيقة ومن أمثلة ذلك :
السؤال الأول : كيف يكون المسيح إبنا لله ؟
السؤال الثانى : ما الدليل على صلب المسيح ؟ (٢)

وفى الإجابة على السؤال الثانى يحاول أن يدلل على أن المصلوب هو المسيح حقا لاشبيهه من كلام الإمام فخر الدين الرازى بعد اقتطاعه ، وتحويره ، ويفهم من هذا أنه يخاطب المسلمين بأن المسيح هو المصلوب من واقع شهادة علمائكم .

ويحرض المسيحيين على مناقشة المسلمين فى هذه الأمور وفتح باب للحوار بقصد زعزعة المسلمين ويتضح هذا فى الإجابة على ما طرح من أسئلة . (٣)

ومن ثم حرص المؤلف على الرد على التساؤلات التى تعترض القارئ فى المسيحية ودعاه عندئذ أن يستفسر بأن يكتب على المظروف س.ج وترسل الخطابات على العنوان البريدى للمركز الأرثوذكسى للدراسات المسيحية وهو : ص.ب: ١٤ حدائق القبة بالقاهرة . (٤)

---

(١) رسالة بطرس الأولى (٣ : من الفقرة ١٤ ، ١٥) .
(٢) تحقيق الكنيسة " سلسلة مقالات للشباب ـ ٦ " صـ ٢٢ . ، دار يوسف كمال للطباعة بالقاهرة ١٩٨٠م .
(٣) يراجع المرجع السابق صـ ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .
(٤) المرجع السابق هامش صـ ٢٣ .

وحين تريد إنجيل يوحنا مجانا : أكتب على المظروف " التوزيع المجانى للإنجيل ".(١)
ومن الكتب أيضا كتاب (الكنيسة فى مجتمع القرية) " الأديب نجيب سلامة " ولايخلو الكتاب من دعوة الفلاح المسلم فى القرى والنجوع للدخول فى النصرانية ، وتحبيبه بالطرق المباشرة وغير المباشرة فيها ، والصورة التبشيرية فى " الباب الثالث " ، وعنوانه " الخدمة المسيحية فى القرية " .

وأثناء الحديث فى هذا الباب يقارن المؤلف بين المرأة فى الإسلام والمرأة فى النصرانية من ناحية النظرة الدينية لها قائلاً : وفى الإسلام كان التدين مقصورا فى أغلب الأحيان على الرجال ، ولم يقدروا فى المرأة أن تكون متدينة ، ولذا يكون هناك حرص على تعليم الصلاة للذكور منذ طفولتهم دون الإناث وفى المسيحية سمح للمرأة أن تكون متدينة وتذهب للكنيسة ولكن مع وجود حاجز بينها وبين الرجال .(٢)

والحق أن الإسلام حض الذكر والأنثى على تأدية شعائره وتكفل الله عز وجل أن لايضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى ونهى الرسول " صلى الله عليه وسلم " الرجال أن يمنعوا النساء من ارتياد المساجد للعبادة إذا لم يترتب على ذهابهن فتنة عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل فقال ابنٌ لعبد الله بن عمر لاندعُهُن يخرُجنَ فيتخذنَهُ دَغَلاً (*) قال فزبرهُ (*) ابنُ عُمر وقال أقولُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول لاندَعُهُنَّ .(١)

والسماح للنساء بالذهاب إلى المساجد لحضور الصلوات مشروط بألا تخرج متطيبة ، ولا متزينة ، ولا ذات خلاخل يسمع صوتها ، ولاثياب فاخرة ، ولا مختلطة بالرجال وغير ذلك مما فيه حفاظ على كرامة المرأة ، وحين تكون المقارنة فى وضعها السليم لاتوضع بين الإسلام والنصرانية فكلاهما رسالة سماوية ولكن توضع فيما يجرى ويقع بين المسلمين والمسيحيين ، فقد تشدد البعض من المسلمين مع المرأة وحرمها من الذهاب للمسجد

---

(١) المرجع السابق صـ ٣١ .
(٢) الكنيسة فى مجتمع القرية : أديب نجيب سلامة صـ ٤٢ بدون عدد للطبعة طبع دار الطباعة القومية بالفجالة بالقاهرة بدون تاريخ .
(*) دَغَلاً : هو بفتح الدال والغين المعجمة وهو الفساد والخداع والريبة .
(*) قوله (فزبره) أى نهره (المرجع السابق بالشرح صـ ١٦٢ .
(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٤ صـ ١٦١ ، ١٦٢ كتاب الصلاة باب خروج النساء إلى المساجد ...) .

وذلك لقصور فى الفهم ، ولعدم إدراك لدور المرأة المسلمة فى المجتمع كما أطلــــق المسيحيون للمرأة الحبل على الغارب ، حتى وهى فى أماكن العبادة ترى سافـــرة متبرجة كأنها ستزف إلى بعلها .

وفى ميزان المفاضلة يقول صاحب العقل السوى إنّ تصرف المسلم الذى يمنع محارمه من الذهاب إلى المسجد (مع أن دينه لايأمره بذلك) أفضل من تصرف المسيحـــى الذى يترك محارمه يذهبن إلى الكنيسة بهذه الصورة ، وإن كان الرجلان ارتكبا مخالفة للتعاليم الدينية ، فلا مانع أن تخرج المسلمة إلى المسجد لتأدية الصلاة وسماع المواعظ بالشروط المأمورة بها .

كما أنه لامانع من ذهاب المسيحية إلى الكنيسة لتأدية شعائر دينها إذا التزمت الحشمة ، ولاداعى إذن لطعن الإسلام من هذه الناحية .

بعض المجلات المسيحيـــة

مجلة رسالة النور : أسسها القس صموئيل حبيب فى سنة ١٩٥٦م . وهى أول مجلة مسيحية تتخصص فى التنمية الريفية ، وصدر عددها الأول فى يوليو ١٩٥٦م.(١)

مجلة أجنحة النور : وهى مجلة شهرية تقدم دراسات متخصصة فى اللاهوت وعلم النفس المسيحى ، ودرس الكتاب ، والتاريخ ، وغيرها من مجالات الدراسة .(٢)

وقد صدر عددها الأول فى إبريل ١٩٥٩م. ومن المجلات المسيحية أيضا " مجلـة الهدى " ، وهى مجلة الكنيسة الإنجيلية بمصر ، تشرف دار الثقافة على طباعتهـــا وتوزيعها .

ومجلة الصلاح (مجلة بطريركية الأقباط الكاثوليك) ، و" مجلة الكرازة " بخـــلاف المجلات المسيحية الأخرى التى تصدر فى الشرق والغرب والصحف والجرائد اليوميـــة والأسبوعيه والتى من بينها " جريدة وطنى " التى تصدر بمصر .

---

(١) المرجع السابق صـ ١٥٨ .
(٢) المرجع السابق صـ ١٨٦ .

كما تصدر لهم بعض المجلات فى المناسبات الدينيه ، وهى من المجلات التبشيرية توجه إلى المسلمين فى القرى والنجوع ومثال لها مايصدر عن : مركز التدريب للدياكونيـة الريفية بمطرانية بنى سويف :

حيث يكتب على صدر صحيفة الغلاف بالخط الواضح (لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز هناك أيضا لأنى لهذا خرجت) وعنوان المجلة " الرسالة الكنسية لخدمة الريف "

ولاتخل صفحات المجله من دعوة أهل الريف إلى المسيحية ، والخطورة الكامنـة أن المجلة تتعرض لمواضيع يحتاج إليها القروى فهى تعالج الكثير من مشاكل القرويين ، وتهتم بما يلزمهم فتتعرض لعلاج بعض الأمراض المنتشرة فى الريف ، مع ذكر طرق الوقايـة كما أنها تذكر طريق تكوين مشروع إنتاجى قروى بأبسط التكاليف ، ولاتدع عددا من أعدادها بدون ذكر عيد من أعياد المسيحية ، أو التعريف بقديس من أشهر القديسين وهكذا .

وعند ذكر الفهرس فقط للعدد ٦ من المجلة يتضح المراد

فهرس الرسالة (1)

---

(1) الرسالة الكنسية لخدمة الريف ـ العدد ٦ ـ السنة ١٩٧٢م مطبعة النصر بشبرا بالقاهرة عام ١٩٧٢م .

٨ ـ المؤتمرات التبشيريه :

بالرغم من تقدم الحضارة الغربية فى النواحى المادية فى هذا العصر إلا أنهـــا جوفاء فى الناحية الروحية ، لاحصيلة لها من الإيمان والعقيدة ، والشىء الملفت للنظـــر أنها وجدت ملحدة فى كل شىء إلا مع المسلمين فهى صليبية مسيحية ، تتحالف فيهـــا السلطة العلمانية مع السلطة الكنسية ، ويتقمص رجل العلمانية فى هذه الحضارة دور الراهب إذا لزم الأمر .

وحرص الاستعمار من البداية ودائما على استخدام الكنيسة كوسيلة لتحقيق أهدافــة وبالذات الكنيسة الشرقيه ، ومن أجل صالحه ذلل العقبات ، ومهد الطريق للمبشـــرين سواء كانوا من قبل السلطة البابوية ، أو من الجماعات المرسلية فتمكنوا من القيام بدورهـم فى بلاد الإسلام ، وعقدت المؤتمرات التبشيرية المدعمة بالقوة الاستعمارية والتى من أهمهـــا

١ ـ مؤتمر القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦م) المنعقد فى منزل زعيم الثـــورة العرابية المسلم فى باب اللوق تحت سمع الحكومة وبصرها .

٢ ـ مؤتمر " أدنبرج سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠م) فى إنجلـــترا .

٣ ـ مؤتمر لكنؤ سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١م) بالهند .

٤ ـ مؤتمر القدس سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥م) .

٥ ـ مؤتمر القدس سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦١م) .

وسأقدم بإذن الله تعالى : عرض موجز لمراحل المؤتمرات ، ونماذج مبسطة فى الفصل التالى .

الفصل الثالث

" نماذج للمؤتمرات التبشيرية وأغراضها "

أدت المؤتمرات التبشيرية دورها في نشر النصرانية ، وفي تقريب الصفوف بين الطوائف المسيحية المتعددة ، وقد استخدمها المبشرون وسيلة لتحقيق الأهداف التبشيرية الإستعمارية ، وعقدوا الكثير من هذه الموتمرات في بلاد المسلمين وفي أماكن لها تأثير على نفوس المسلمين ، وبواسطة المؤتمرات التبشيرية توضع الخطط لتطويق البلاد الإسلامية ، وابطال مراكز الاشعاع العلمي والحضاري فيها كالأزهر الشريف والجامعات الإسلامية الأخرى .

وكان المؤتمر التبشيري بالقاهرة سنة ١٩٠٦م ، ومؤتمر لكنؤ بالهند ١٩١١م صورتين واضحتين للهجوم التبشيري على قلاع الإسلام الحصينة ، وهناك مؤتمرات تبشيرية لغزو العالم .

ومنها " مؤتمر لوزان لتنصير العالم المنعقد عام ١٩٧٤م" " ومؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين المنعقد عام ١٩٧٨م " والذى روعى في برامجه تنصير الأقليات المسلمة الموجودة في الدول الغربية ينصب الشباك حولها بكل الوسائل لتجد نفسها فريسة المسيحية الغربية .

وهذا الفصل يعطى النماذج الواقعية لهذه المؤتمرات .

المؤتمرات التبشيرية ومراحلها

المؤتمرات التبشيرية حلقة فى سلسلة نشر المسيحية ، وتدعيم كيانها ، وبداية هذه الحلقة مايسمونه " بالنمو الطائفى " والذى يُقصد به تمدد الطوائف المسيحية ، خارج حدودها وتغلغلها فى أنحاء البلاد فى صورة فرق مسيحية ، أو كنائسية أو جماعات تبشيرية ، وقد أعطت الكنيسة الإنجليزية صورة واضحة لهذا الزحف والتوغل ، وبث فروعها فى كثير من البلاد يقول جون فوستر ماترجمته :

وقد أحيت جمعية نشر الإنجيل عام ١٨٥١م ذكرى مرور ١٥٠ عاما على تأسيسها وحضر الإحتفال انجليكان من بلاد مختلفة ، فنهضت الفكرة أن يتكرر مثل هذا الإجتماع بإستمرار.[١]

وكان عقد المؤتمرات التبشيرية لنشر المسيحية ، وتدعيم السلطة الإستعمارية فى بلاد الإسلام ، ولتوحيد العمل التبشيرى وفق خطة مدروسة ، ومن أجل هذا التوحيد ، تم إنشاء " مجالس للتبشير " تضم جماعات الطائفة الواحدة تحت قيادة موحدة ، فالكاثوليكية لها قيادة ، وأيضا الأرثوذكسية ، والبروتستانتية وهكذا ، وبالمثل الجماعات التبشيرية ويتبع هذه المرحلة ويسير معها فى خط واحد دمج هذه الطوائف ، والجماعات المتعددة فى إطار واحد تحت هذه التسمية : " إتحاد مجلس الكنائس العالمى " وكان للمؤتمرات التبشيرية دورها فى صنع هذا الاتحاد كما سيأتى فى مراحلها .

المؤتمرات التبشيرية فى مرحلتها الأولى

حدث انعقاد مؤتمرات تبشيرية محلية ، وأدت دورها فى نشر الأناجيل ، وبناء الكنائس ، وعقد أغلبها بالقارات الثلاث آسيا ، وأفريقيا ، وأمريكا ، ويقول فى ذكرها المهندس أحمد عبد الوهاب :

يمكن القول بأن فاتحة ذلك كان فى الهند : عام ١٨٥٥م حيث عقد بكلكتا " المؤتمر العام للمبشرين البروتستانت فى البنغال " وقد حضره ٥٥ مبشرا من ٦ إرساليات بينهم

---

(١) قصة انتشار المسيحية منذ عام ١٧٠٠م حتى اليوم ص ١٤٤ تأليف : جون فوستر نقله إلى العربية : القس منيس عبد النور ط(١) مطبعة النصر بشبرا مصر ١٩٦١م.

٣ قسس هنود ، ثم مؤتمر البنجالور عام ١٨٧٩م ، وقد حضره ١١٨ مبشرا ، نوقش فيه لأول مرة امكانية تأسيس " كنيسة المسيح فى الهند " ثم مؤتمر مدراس عام ١٩٠٠ وقد عقد أيضا مؤتمر تبشيرى فى اليابان عام ١٨٧٢م ، " المؤتمر العام للمبشرين البروتستانت" عام ١٨٨٣م بأوزاكا ، وعقد نفس المؤتمر بطوكيو عام ١٩٠٠م ، وتم عقد العديد من المؤتمرات فى الصين ، من بينها المؤتمر الثالث والكبير عام ١٩٠٧م .

وفى إفريقيا عقد ثلاث مؤتمرات فى جنوب إفريقيا فى أعوام ١٩٠٠ ، ١٩٠٦ ، ١٩٠٩م كذلك عقد بالقاهره مؤتمر تبشيرى عام ١٩٠٦م ، وفى أمريكا الجنوبية عقد فى المكسيك مؤتمرين فى عامى ١٨٨٨ ، ١٨٩٧م .(١)

واتخذت هذه المؤتمرات وسيلة لبث أفكار المستعمرين وللعمل التبشيرى فى نفس الوقت فتحت باب الالتقاء بين الطوائف المسيحية ، وقاربت بين المبشرين .

المؤتمرات التبشيرية فى مرحلتها الثانية

فى هذه المرحلة تم إنشاء مجالس التبشير ، وإذا كان " هنرى مارتن " صاحب اقتراح إقامة " مؤتمر مرسلى عالمى " قبل انعقاد مؤتمر أدنبرج ١٩١٠م بقرن من الزمان فان " جوستاف فارنك " صاحب فكرة مجالس التبشير ، قد قدم عام ١٨٨٨م بحثا قرىء " فى مؤتمر لندن التبشيرى " فى نفس العام دعا فيه لتخطيط عقد مؤتمر تبشيرى كل ١٠ سنوات ، وإلى تشكيل لجنة مركزية ، تربط أعمال هذه المؤتمرات (٢)

ونالت فكرة " فارنك " التقدير ، وتمخض مؤتمر أدنبرج ١٩١٠م فنتج عنه مايسمونه " اللجنة الدائمة للمؤتمر " ويتحدث عن أعمال هذا الرجل جون فوستر فيقول :

ومنذ أكثر من عشرين سنة كان فارنك المرسل والمؤرخ والسياسى الألمانى يحض على إقامة " مركز للإرساليات " فى لندن وقد عين مؤتمر أدنبره لجنة تتابع أعماله تكون منها " مجلس المرسليات العالمى عام ١٩٢١م مؤسسا من أعضاء من " لندن " و " نيويورك " وقد عاون هذا على إقامة مجالس الكنائس الإقليمية فى بلاد كثيرة .(٣)

---

(١) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر : أحمد عبد الوهاب صـ ٢٠٤ ، ٢٠٥ بتصرف .
(٢) المرجع السابق صـ ٢٠٥ بتصرف .
(٣) قصة انتشار المسيحية منذ عام ١٧٠٠ حتى اليوم صـ ١١٦ ، ١١٧ بتصرف .

ونشط التبشير منذ بداية القرن التاسع عشر نشاطا ملحوظا ، وبالأخص في بلدان الشرق الأقصى ، وكانت فكرة تشكيل " مجالس مسيحية وطنية " عاملا ساعدًا في نجاح التبشير ويقول المهندس أحمد عبد الوهاب :

ويعتبر مؤتمر مانيلا عام ١٩٤٨م نقطة البدء في دفع الحركة التبشيرية وإحكام تنظيمها فقد ضم من يطلق عليهم " القادة " المسيحيون في شرق آسيا ـ من اليابان إلى الباكستان ـ وهكذا التقوا جميعا ، ونتج عن هذا اللقاء إنشاء " سكرتارية شرق آسيا " لتكون وحدة اتصال بين الكنائس والهيئات التبشيرية .

ونتيجة لهذا النشاط عقد " المؤتمر المسيحي لشرق آسيا " عام ١٩٥٧م في سومطرة (بإندونيسيا) ، ثم مؤتمر عام ١٩٥٩م في كوالالمبور (بماليزيا) ، فزاد ذلك في ربط الكنائس بالهيئات التبشيرية .

وفي إفريقيا عقد " المؤتمر المسيحي لكل إفريقيا " عام ١٩٥٨م في نيجيريا " وقد حضره مندوبون من كل البلاد الإفريقية ، عدا المستعمرات الأسبانية ، وكان من نتائجه تشكيل " لجنة دائمة " تعد للمؤتمر الثاني الذي عقد عام ١٩٦٣م في كينيا ، وفي أمريكا الجنوبية عقد مؤتمر عام ١٩٦١م في ليما عاصمة بيرو .[1]

المؤتمرات التبشيرية في مرحلتها الثالثة

وبواسطة هذه المؤتمرات تم دمج مجالس التبشير ، مع إتحاد الكنائس ليكون الناتج هو : " مجلس الكنائس العالمي " يقول " جون فوستر " ماترجمته :

كان تبادل الفكر الناجح في العمل المرسلي سببا لتشجيع قيام مؤتمرين آخرين مؤتمر الحياة والعمل عام ١٩٢٥م ، والإيمان والنظام عام ١٩٢٧م ، وقد اشترك في المؤتمر الأخير ممثلون من الكنائس الشرقيه والأرثوذكسيه الشرقيه فاشترك فيه كل المسيحيين ماعدا الكاثوليك .

وقد استمر هذا التعاون حتى اتحد يوما في مجرى واحد ففي عام ١٩٣٩م ، كانت الخطط قد وضعت ، وعين موظفون لمجلس كنائس عالمي يتأسس في " جنيف " .[2] وظل التعاون على أشده بين الهيئتين الكبيرتين : إتحاد الكنائس ، والإرساليات

---

(١) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر صـ ٢٠٦ بتصرف .

(٢) قصة انتشار المسيحية منذ عام ١٧٠٠ حتى اليوم صـ ١١٧ .

فى الفترة مابين ١٩٤٦ ـ ١٩٦١م ويقول جون فوستر :

وفى عام ١٩٤٨م اجتمع مجلس الكنائس العالمى فى " امستردام " لوضع دستورة الأول ولكن الجميع دخلوا للعبادة قبل بدء جدول الأعمال ودخلوا حسب ترتيب أسماء بلادهم الابجدى (بالأسماء الإنجليزية) وحين دخل آخر الوفود كانت القاعة قد امتلأت فرنموا معا مزمور .. " اهتفى للرب ياكل الأرض " وكأن كل الأرض كانت هناك ، ولكأن التاريخ المسيحى يسعى على قدمين .(١)

وفى هذا الاجتماع الذى يعدونه الأول من نوعه ، إفتخر المجتمعون بشمول الكنائس لجل الكرة الأرضية وتكلم الدكتور / " جون مكاى " " رئيس مجلس المرسليات العالمى " فى الإجتماع الأول " لمجلس الكنائس " فقال : " اليوم نجد كنائس منظمة فى كل بلاد العالم ماعدا التبت ، وأفغانستان ، والعربية السعودية لقد صارت الكنيسة مسكونية لأول مرة فى التاريخ بالمعنى الحرفى تصل حدودها إلى أقاصى المسكونة ، واليوم نرى بيننا برهان هذا ـ نرى ممثلين من آسيا وإفريقيا ، وجزائر الاقيانوس(*) ، وأمريكا اللاتينية إنهم بيننا كأعضاء فى مجلس الكنائس العالمى .(٢)

وترادفت الاجتماعات ، حتى تم إعلان " مجلس الكنائس العالمى " رسميا يقول المهندس أحمد عبد الوهاب : وفى نيودلهى عام ١٩٦١م اتحد المجلسان : مجلس الكنائس ، والمجلس التبشيرى فى جهاز ضخم هو " مجلس الكنائس العالمى "

ولأول مرة فى تاريخ العالم المسيحى ، تعلن الكنائس الأرثوذكسية ، والرومانية الكاثوليكية ، والإنجليكانية ، والبروتستنتيه ، أنها كنائس مسئولة عن تبشير العالم بالإنجيل (٣) ، وكان للمؤتمرات الدور البارز فى صنع هذا الإلتئام الذى يعتبرونه فتحا حدث للمسيحية فى القرن العشرين ويتوقعون من خلاله أن يكون القرن الحادى والعشرون قرن المسيحية ، هذا بالإضافة إلى الدور التبشيرى وخدمة الإستعمار كما سيظهر أثناء العرض لنماذج من المؤتمرات فيما يأتى :

---

(١) المرجع السابق صـ ١١٩ .

(*) جزائر الأوقيانوس وتسمى أوقيانيا : وتتألف من عدة جزر تقع جنوب شرقى آسيا بين المحيط الهندى والمحيط الهادى وأهمها أوستراليا ، نيوزيلاندا ، وكاليدونيا الجديدة وعدة أرخبيلات فى المحيط الهادى (يراجع المنجد فى العلوم صـ ٩٦) .

(٢) المرجع السابق صـ ١١٩ ، ١٢٠ .

(٣) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر صـ ٢٠٧ .

نموذج من المؤتمرات التبشيريه

لم تظهر المؤتمرات التبشيريه فجأة ، ولم توجد من فراغ وإنما مهدت لها الحركات الإرسالية التى سأفرد الحديث عنها فى الباب التالى ، وساهمت فى إعدادها مجموعة من الكنائس الأوربيه ثم الأمريكيه ، وكانت المؤتمرات التبشيريه ثالث أربعة من التطورات المسيحية التى تحدث منذ القرن الثامن عشر ، وفى طريق استمرارها لجعل الكنيسة عالمية بلا منازع ، وهذه التطورات الأربعة هى :

١ ـ النمو الطائفى بالنسبة للعالم .
٢ ـ حركة الطلبة على نطاق عالمى .
٣ ـ المؤتمرات المرسلية العالمية .
٤ ـ مجلس الكنائس العالمى .

ولما كانت المؤتمرات التبشيرية ضمن هذه السلسلة المحكمة فإن الدافع الأساسى لانعقادها يتلخص فى الآتى :

١ ـ المواجهة الفورية لليقظة الإسلامية .
٢ ـ إحكام السيطرة على بلاد الشرق المسلم لاستغلال خيراته .
٣ ـ نشر المسيحية فى بلاد الإسلام .
٤ ـ زرع الكنائس فى كافة أقطار الإسلام بلا استثناء .

الصلة الاستعمارية بالحركات التبشيريه

كانت الكنيسة الغربية فى خدمة الحركة الإرسالية ، وبتعبير أدق القوة الدافعة لها ، واليد المدعمة لها ماديًا ومعنويًا كما أخذت الحكومات الغربية على عاتقها حماية مثل هذه الحركات بل وتشكيل بعض التنظيمات الشبابية ، التى ترفع لواء التبشير وما ذلك إلا لصالح الإستعمار وخدمته ، ولذا يقول د / وليم سليمان :

ولعل الشعار الذى تبنته منظمات الشبان والطلبة فى أمريكا خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ونقلته إلى أوربا لتندفع وراءه جموع الطلبة فى إنجلترا على الخصوص لعل هذا الشعار الذى يدعو إلى " ضرورة تبشير العالم كله فى هذا الجيل " يعد

أصدق التعبير على الرغبة القوية فى سرعة المواجهة لليقظة الشرقيه دون أى إبطاء . (١)

ويكشف النقاب عن الصلة الوثيقة بين الاستعمار والإرساليات نفس الكاتب المذكور سابقا ـ وهو مسيحى الملة ـ إلا أنه أبى إلا الإنصياع للحق ، فشهد أن دور الإرساليات ـ التى أفرزت " المؤتمرات " ـ الأول والأخير خدمة المستعمرين ، حيث قال :

ولكن ارتباط الإرساليات بالاستعمار يمثل وجها واحدا من الأيدلوجية التى صدرت عنها ، أما الوجه الآخر فهو أن الإرساليات فى أهدافها ووسائلها قد انفصلت عن المنهج الذى وضعه السيد المسيح للدعوة إلى دينه ، ولو رجعنا إلى المفاهيم الأصيلة التى نادت بها المسيحية الأولى لوجدنا المسيح يرفض أن يكون الإيمان بدينه ثمرة التهديد أو الرشوة فالمبشر الذى يملأ كيسه مالا أو يحتمى بعلم الكتائب العسكرية المنتصرة ، هذا المبشر فى نظر المسيحية الأصيلة يعطل عمل المسيح ، ومن باب أولى ذلك الذى يستغل تبشيره بالمسيحية لتحقيق المنفعة واستغلال الشعوب . (٢)

وهذه سمة الحركات المرسلية ، فهى لاتنظر لنشر المسيحية كدين رإنما تتخذ هذا العمل تكأة لتحقيق المنافع والمآرب ، ولخدمة المستغلين للشعوب .

ولما كانت الحركة المرسلية هى المفرزة الأساسية للمؤتمرات التبشيرية وهى فى نفس الوقت فى ركب الدول الاستعماريه فبالتالى تكون المؤتمرات التبشيرية فى نفس الاتجاه ومبلغ علمنا مانشر عنها ، وهو قليل من كثير قد حجب فى طى الكتمان ومع ذلك سأشير إلى نماذج من هذه المؤتمرات تبعا لما بلغنا والزمن كفيل بنشر المكتوم .

مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦م :

يقال إن القس " زويمر " أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر تبشيرى بالقاهره يجمع إرساليات التبشير البروتستانتية ، ليبحث مسألة نشر المسيحية بين المسلمين ، ولقد بحثت الفكرة فى الهند وعرضت على مؤتمر التبشير الذى كان ينعقد فى مدينة " مدراس " الهندية كل عشر سنوات فأقر عقد هذا المؤتمر .

---

(١) الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية ص ٥٣ بدون عدد للطبعة طبع دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة بدون تاريخ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩ .

مكان انعقاد المؤتمـــر :

وقع الاختيار على القاهرة ، وفى مكان محدد بها ، وكان القصد من عقـــد المؤتمر فى هذا المكان بالذات التشفى من الأحرار المسلمين وضرب كل صوت مسلـــم ينادى بجلاء الاستعمار فى صميم المقتل، فقد كان صاحب البيت المنعقد فيه المؤتمـــر فى المنفى لوقوفه ضد الظلم ، ومطالبته بجلاء الاستعمار . ، وهذا ماترجم عن ا . ل شاتيليه :
فى يوم ٤ أبريل من سنة ١٩٠٦م افتتح المؤتمر فى القاهرة فى منزل عرابى باشـــا فى باب اللوق وبلغ عدد مندوبى إرساليات التبشير ٦٢ بين رجال ونساء وكان عدد مندوبى إرساليات التبشير الأمريكية ، التى فى الهند وسوريا والبلاد العثمانية ، وفارس ومصـــر واحدًا وعشرين ومندوبوارساليات التبشير الإنجليزية خمسة واشتركت فى المؤتمر الإرساليـــات الاسكتلنديه ، والإنجليزيه المنفردة والألمانية ، والهولندية ، والسويدية ، وارساليـــة التبشير الدنمركية الموجودة فى بلاد العرب . (١)

ويلاحظ دائما إختيار الأماكن الحساسة فى بلاد الشرق الإسلامى لعقد المؤتمرات التبشيريه ، ففى القاهره فى منزل " عرابى " الذى كان وقتها فى المنفى بسبب ثورتـــه على الظلم والاستعمار ، كما أنها بلد الأزهر الشريف ومعقل الإسلام ، وفى " القدس " حيث مهد المسيح ، والمسجد الأقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ونهاية مســـرى خاتم النبيين ، وبداية معراجه إلى أعلى عليين ، وفى " لكنو " بالهند حيث مدرســـة " عليكر " الإسلامية معقل علماء مسلمى الهند ، وباحثيهم ، ونقطة انطلاق إسلامـــى فهى كرائد مستمر فى شبه القارة الهندية ، وهكذا بالقرب من كل معقل إسلامى يعقـــد مؤتمر تبشيرى .

المباحث التى نوقشت فى مؤتمر القاهـــرة :

ألقى المجتمعون نظرة شاملة على العالم الإسلامى فى جل أقطارة ، بعد دراســـة دقيقة ومتعددة الجوانب لنواحى القصور لينفذوا منها ، ثم مواجهة الحصون بالخطـــة الكفيلة للتخلص منها ، حتى يصفو الجو للمبشرين فشملت نظرتهم الإسلام والمسلمين فـــى قارتى آسيا وإفريقيا ، بدءً من الإحصاء العددى إلى إدخال المرأة فى حظيرة المسيحيـــة إلى غير ذلك من المواضيع الخاصة ويمكن تلخيص مباحثهم على النحو التالى :-

١ - بيانات عن عدد المسلمين فى العالم .

٢ - الإسلام فى كل من إفريقيا - الدولة العثمانية - الهند - فارس - الملايو والصين .

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى صـــ ١٩ .

٣ ـ النشرات التى يجب توزيعها على المسلمين المثقفين ، والعوام .
٤ ـ التنصير والإرتداد .
٥ ـ وسائل مساعدة المتنصرين المضطهدين .
٦ ـ شئون إسلامية نسائية .
٧ ـ تربية المبشرين ورسم العلاقات بينهم .
٨ ـ كيفية التعليم فى الإسلام .

وسجلت هذه المباحث حتى تكون فى متناول المؤتمرين والمبشرين ، كما هو مذكور فى كتاب " الغارة على العالم الإسلامى " وهذه الموضوعات جمعت فى كتاب كبير اسمه " وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين " ثم صنف القسيس " زويمر " كتابا جمع فيه بعض تقارير عن التبشير وسماه " العالم الإسلامى اليوم " جمع هذا الكتاب ونشره القسيس " فليمنغ " الأمريكى وكتب عليه هذه الكلمة " نشرة خاصة " بمعنى أنه طبع لينتقل فى أيدى فئة خاصة من رجال التبشير لا ليطلع عليه كل النّاس وقد ضمنه المباحث التى دارت فى مؤتمر القاهرة واختتمه بندائين استنهض بأحدهما هم رجال النصرانية ، ليجمعوا قواهم ويتضافروا بأعمال مشتركة وعمومية فيستولوا على أهم الأماكن الإسلامية . ، والنداء الثانى خاص بأعمال نسائية ، واحتوى الكتاب خمسة فصول .[١]

موجز لفصول الكتاب :

وتناول الفصل الأول منها الطريقة التى ينبغى اتباعها فى التبشير والثانى والثالث بحث الصعوبات التى تحول دون تبشير عوام المسلمين وعدد الوسائل التى يمكن استجلابهم بها ، ومن أهمها :

عزف الموسيقى الذى يميل إليه الشرقيون فى الغالب ، وعرض المناظر المحببة فى المسيحية على شاشة التلفزيون ، وبعث الإرساليات الطبية بينهم ، وتوصية المبشرين بتعلم اللهجات العامية ، ودراسة " القرآن الكريم " ليقفوا على مايحتريه وليتمكنوا من مخاطبة المسلمين كل على قدر عقله ومستواه ، بالإضافة إلى ذلك كون المبشر فصيح اللسان رخيم الصوت ، ذا عقلية واسعة تختار الموضوعات المهمة يلقى وعظه بألفاظ مفهومة لسامعيه ، عارفا كيف يدير المناقشة ؟ ، ويرد على الأسئلة ؟ .

أما الفصل الرابع فقد تناول :

١ ـ بحث قضية الصعوبات التى تقف فى سبيل تبشير المسلمين المثقفين وكانت التوصية

---

(١) من المرجع السابق صـ ٢٠ ـ ٢٣ بتلخيص واختصار شديد .

عدم البدء بمسائل التنصير بينهم وإنما محاولة التأثير عليهم من نواحى أخرى اجتماعية، وخلقية، وأدبية ، ومحاولة إعادة الثقة برجال الدين المسيحيين عن طريق إلقاء محاضرات لهم تاريخية ، وعلمية ، لايتخللها مباحث دينية ، ثم تأسيس مكاتب لبيع الكتب بأثمان قليلة لاستجلاب زبائن منهم ومحاولة محادثتهم ، وقد لمست بنفسى ذلك أثناء شرائى لبعض المراجع المسيحية من مكتبة دار الثقافة بشبرا بالقاهره فقد سألت البائع لماذا لم يكتب الثمن على الكتاب ؟

فأجاب لو فعلنا ذلك لدفعت الثمن وخرجت بدون حديث معنا ، وهدفنا أن نبادل الزبائن الحديث ونعرف منهم ويعرفوا منا .

٢ ـ مواجهة رجال الأزهر الشريف :

وفى مواجهة الشباب المثقف ومحاولة خلق علاقة طبيعية بينه وبين المبشرين : يقول سكرتير المؤتمر " إن المبشرين فى القطر المصرى اضطروا إلى محاولة إعادة الثقة بهم عند الشباب المسلم عن طريق إلقاء محاضرات اجتماعيه ، وخلقية ، وتاريخية ، لايستطردون فيها إلى بحث أى شئون دينية ، وأنشأوا بعد ذلك فى القاهرة مجلة أسبوعية تحت عنوان (الشرق والغرب) وافتتحت بأبواب غير دينية ، وأسسوا مكتبة لبيع الكتب بأسعار زهيدة ، وفى مدة ثلاث سنوات تسنى للمبشرين تحقيق بعض النتائج من أهمها :

الوقوف على أحوال البلاد وأفكار المسلمين وعواطفهم وميولهم كما كسبوا ثقة البعض إلى جانب أنهم تحققوا من إمكانية التأثير عن طريق التظاهر بالود للمسلمين والميل إلى ماتطمح إليه نفوسهم من الاستقلال السياسى والاجتماعى ، وفى نفس الفصل الرابع ورد بحث موضوع أولئك الذين تعلموا فى الأزهر على الطريقة الشرقية من خلال بعض نظريات عرضها أحد أعضاء المؤتمر حيث أفاض فى وصف نفوذ الأزهر ، وإقبال الآلاف عليه من كل الأقطار فى العالم الإسلامى .

وبعد تساؤل عن سر نفوذ هذا الجامع منذ ألف سنة توصل أن المسلمين قد رسخ فى أذهانهم أن تعليم اللغة العربية فى الجامع الأزهر متقن ومتين أكثر منه فى غيره .

ثم عرض اقتراحا بإنشاء مدرسة جامعة تقوم بتعليم اللغة العربية بإتقان وتتكفل بنفقاتها كل الكنائس المسيحية فى العالم .

وختم نظريته بقوله " ربما كانت العزة الإلهية قد دعتنا إلى اختيار مصر مركز عمل لنا لنسرع بإنشاء هذا المعهد المسيحى لتنصير الممالك الإسلامية ، وهى محاولة سافرة لسلب الأزهر فاعليته ، ومنافسة ابنائه فى أهم مايمتازون به عن غيرهم من خريجى الجامعات الأخرى ، وعلى طلاب الأزهر أن ينهلوا من علوم الإسلام ، ولغة القرآن فى دأب ومثابرة حتى يحافظوا على أنفسهم وأمتهم ، ويرفعوا من قيمة أزهرهم الشريف ، كما يتطلب الأمر يقظة المسئولين عن الأزهر عامة ، فيعملوا كل جهدهم للحفاظ على مستوى طالب الأزهر فى كل مراحل تعليمه ، وتسليحه بما يلزمه من العلوم النافعة .

محاولة خداع المثقفين :

وتبدو هذه المحاولة سافرة فى الفصل الخامس من الكتاب المذكور ، وهو كتاب " العالم الإسلامى اليوم " جمعه " زويمر " ونشره فليمنغ " فقد بحث النشرات التى ينبغى إذاعتها لتنصير المسلمين ، وبين أمام المؤتمر أن التوراة ترجمت إلى معظم اللغات الإسلاميه الهامة ، وقد اقترح أحد المؤتمرين ، مراجعة المؤلفات التى قدم عليها العهد ، وتصحيحها واستخدامها فى تبشير المثقفين الذين تلقوا علومهم فى المعاهد المصرية مثل " اكسفورد " " وبرلين " وأوصى بضرورة تخفيف لهجة المجادلات الدينيه .

أما الموضوعات التى رؤى أن هناك حاجة شديدة إلى نشر كتب عنها فهى أسماء وألقاب المسيح فى الأناجيل ـ طبيعة الخطيئة ـ ضرورة الغفران ـ الروح القدس وأعماله ـ عقيدة سر التجسد ـ الإنسان فرد اجتماعى وخالقه ليس كذلك ـ الإله الاجتماعى يشمل الثالوث ـ الشيطان وكيفية الخلاص منه .(١)

وأثناء المحاولة للوصول إلى قلب المسلم ، توضع النظريات المبسطة المدروسة بحيث يتم الأخذ بتلابيب المسلم للإطباق عليه وحصره فى الدائرة التبشيرية ، وللقس " ترونتن " باع طويل وخبرة كبيرة فى الحقل التبشيرى فعرض على المؤتمر أمثلة للنظريات الأوليه والتى من بينها :

١ ـ الشعب البسيط يلزمه إنجيل بسيط .

٢ ـ الشرق سئم المجادلات الدينيه .

٣ ـ الشرق يحتاج إلى دين خلقى روحى .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢ ، ٢٣ بتصرف ، حقائق عن التبشير عماد شرف ص ٣٩ ، ٤٠ ط ١ مطبعة أطلس بالقاهره ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م.

واستنتج من هذه النظريات الأولية القواعد الآتيـــه :

١ ـ يجب أن لانثير نزاعا مع مسلــــم .

٢ ـ يجب أن لايُحَرِّض المسلم على الموافقة والتسليم بمبادئ النصرانية إلا عرضا وبعد أن يشعر المبشر بأن الشروط الطبيعية والعقلية والروحية قد توفرت فى ذلك المسلم .

٣ ـ اذا حدث سوء تفاهم حول الدين المسيحى فيجب أن يزال ولو أفضى إلــــى المناقشــة .(١)

أما " زويمر " صاحب فكرة المؤتمر فلم يقتصر على الحديث فى المؤتمر وإنما فى مقدمة كتابه " العالم الإسلامى اليوم " قدم نصائح للمبشرين منها :

١ ـ يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداءً لهم .

٢ ـ يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لانه أهم عمل مسيحى على أنه قد نتمم جزء من هذه المهمة .

٣ ـ تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أغصانها .

٤ ـ ينبغى للمبشرين أن لايقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة إذ مــــن المحقق أن المسلمين قد نما فى قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحريــــر النساء .(٢)

مؤتمــــر أدنبرج سنة ١٩١٠م :

يعتبر هذا المؤتمر بداية المؤتمرات المرسلية العالمية ، وكانت فكرة إقامة مؤتمـــر مرسلى عالمى مقترحة منذ عام ١٨١٠م ، يقول جون فوستر ماترجمته :

وقد جاء فكرة هذا قبل عقد أول مؤتمر بقرن كامل ، إذ عقد أول مؤتمـــــر فى " أدنبرج " عام ١٩١٠م وكان سكرتيره والمنظم له الاسكتلندى " ج ٠ هـ أولد هام " وكان رئيسه الأمريكى " جون موط " وكان الرئيس والسكرتير قد اكتسبا خبرة من العمــل اللاطائفى العالمى وسط الطلبة ، وكان لاختيارهم الفضل فى جذب الجناح الانجلوكاثوليكى فى كنيسة انجلترا للاجتماع فى " أدنبرج " وقد حضر المؤتمر ١٧ وطنيا من الحقـــل

---

(١) المرجع السابق صـــ ٢٧ .

(٢) المرجع السابق صـــ ٢٩ ، ٣٠ باختصار يســـير .

المرسلى وسط الألف الذين حضروا الاجتماع منهم الأسقف "عزريا" من الهندو " س . ى . تشنج من الصين " ، وقدما معونة كبيرة للمؤتمر وقد حصل بعض الحاضرين على أول ــ أفكارهم عن العمل المسكونى من هذا المؤتمر ، مثل " وليم تمبل رئيس أساقفة كنتربرى (١٩٤٢ ــ ١٩٤٤م) وكان وقت المؤتمر يحفظ النظام وسط الحاضرين من الطلبة .[1]

وتحول التبشير من عمل طائفى محدود إلى عمل جماعى يشمل جل الطوائف والمذاهب المسيحية فى صورة منظمة .

المؤتمر ومحاولة احكام القبضة الحديديــة :

إن مؤتمر " أدنبرج " الذى عقد عام ١٩١٠م" نقطة انطلاقة فى مجال العمل التبشيرى الجماعى المدروس ، فقد رسم الخطط ، وأوصى بكل مايلزم لنشر المسيحيـــة ولذا يتحدث الأستاذ أنور الجندى : فى شأن هذا المؤتمر بالآتى :

ولم يفت مؤتمر " أدنبرج " الذى عقد عام ١٩١٠م أن يدرس كيفية تعليم المبشرين وتربيتهم وتعليم المبشرين فى العالم الإسلامى لغة البلاد ، وأوصى بإنشاء مدارس تبشير خاصة بتعليم مبشرى الأقطار الإسلاميه والتخرج الكامل فى اللغات السامية ، والقبض على ناصية اللغات العامية ، والفصحى ، وفهم روح المسلم وخصائص عقليته .[2]

وأولى هذا المؤتمر الإسلام وأهله أهمية خاصة ، فى محاولة من أعضائه لإحكـــام القبضة الحديدية على المسلمين .

ويقال : عقد هذا المؤتمر فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٠م وكان للمسائل الإسلامية حظ كبير من مداولات أعضائه بل إن لجنتين من أهم لجانه تفرغت إلى البحث فى أمر الإسلام والمسلمين وقد نشرت أعمال هذا المؤتمر ومناقشاته فى تسعة مجلدات أو يزيــد لم نتمكن من الحصول عليها ، إلا أننا عثرنا على مجلات ثلاث تكلمت عن هذا المؤتمر واحدة ألمانيةّ وهى " مجلة الشرق المسيحى " التى تصدرها جمعية " التبشير الشرقيـــة الألمانية " والثانية إنجليزية وهى " مجلة العالم الإسلامى " المعروفة ، والثالثـــة سويسرية وهى " مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية " التى تصدرها جمعية التبشـــير

---

(١) قصة انتشار المسيحية منذ عام ١٧٠٠ حتى اليوم ترجمة القس منيس عبد النور صـ ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) الإسلام فى وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير) صـ ٩٢ .

فى مدينة "بال" فى "سويسرا" ، وأعمال مؤتمر "أدنبرج" التبشيرى أهتم بأمر إرساليات التبشير الجرمانية حتى خيل إلى الناس أن هذا المؤتمر الإستعمارى السياسى تحول إلى مؤتمر تبشيرى دينى .[1]

وقد استعد لهذا المؤتمر عدد غفير من خبراء التبشير وواضعى الخطط المضادة للإسلام كما نال إهتمام بعض الرؤساء من الدول الأوربية يقول الأستاذ / محمد محمود الصواف : فى وصف الذين حضروا المؤتمر وقد ضم أكثر من ١٢٠٠ ألف ومائتى مندوب منهم ٥٠٢ من الإنجليز و ٥٠٠ من الأمريكيين والباقون من الدول المسيحية الأخرى وكان المستر "روزفلت" رئيس جمهورية الولايات المتحدة سابقا أحد مندوبى إرسالية التبشير الأمريكية إلا أنه أرسل اعتذارا لعدم تمكنه من الحضور .[2]

وكل هذا يدل على أن القوم أخذوا الأمر مأخذ الجد وحزموا أمرهم رجال الدين ورجل السياسة ، لمحاربة الإسلام والكيد لأتباعه ، بينما نجد المسلمين حكاما ومحكومين فى غفلة ، أو غيبوبة لم يفيقوا منها بعد .

وثيقة من وثائق المؤتمر :

دون المؤتمرون أبحاثهم باللغة الإنجليزية ، وقد ملأت حيزا كبيرًا من المجلدات ولقد أخبر الأستاذ / محمود الشاذلى بها بواسطة صديقه ، والذى ذكر له أنها صدرت فى عشرة مجلدات ، وهذه المجلدات لاتوجد إلا فى المتحف البريطانى فى لندن ، وأن هناك حظرا على نشرها ثم وعده بأنه سيتمكن بعون الله من تصوير بعض الوثائق من المجلد العاشر نفسه ، وسيرسلها إليه حين يتمكن من ذلك .

وتمكن من تصوير خطاب الأب " و . ت . هـ " جايردنر " فى ذلك المؤتمر وهو عبارة عن خريطة مسح كامل لبلاد العالم الإسلامى ، ولكل بقعة يوجد فيها مسلمون !! وقد تضمنها المجلد العاشر من الصفحات ٢٥١ إلى ٢٦٤ .[1]

وأذكر ببعض ماترجم عن هذه الوثيقة الطافحة بالكيد للمسلمين ، والتى رأى مؤلفها أن أقطارًا إسلاميه تأثرت بالحركة العصرية فقال عنها ماترجمته : نحن مطلعون على

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى صـ ٤٠ بإضافة يسيرة .
(٢) المخططات الاستعماريه لمكافحة الإسلام محمد محمود الصواف صـ ٥٦ ، ٥٧ .
(١) الوثيقة الإسلام الخطر خطاب الأب و . هـ . ت جايردنر فى مؤتمر "أدنبره" صـ٧ بتصرف يسير .

الحركة العصرية التى تؤثر فى الممالك الإسلاميه الوسطى : تركيا ، ومصر ، وفارس، والهند وكلها أقطار قد وجدت الأفكار الأوربية طريقها إليها .(١)

وأثناء مسحه الشامل للمناطق الموجود بها مسلمون نجده يشير إلى مايوجد بدولة ملحدة من مسلمين ، وقمعوا تحت ضغط المطرقة والسندان قائلا :
وفى روسيا فإن إعلان الحرية الدينية فى ١٧ أبريل ١٩٠٥م قد أسفر - كما أخبرتنى سيدة روسية أعدت دراسة عن هذا الموضوع - عن عودة خمسين ألفا من الخاضعين كرها للكنيسة اليونانية ، وقد صحبهم عدد غير قليل اعتنقوا الإسلام لأول مرة .

ولاشك أن حوادث كهذه سوف تحفز المسلمين فى " روسيا الأوربية " ومناطق " الفولجا " و " آسيا الوسطى الروسية " وربما " سيبريا " نفسها لأن الأفكار كالكهرباء تنتقل بسرعة لاسيما إذا مانقلتها خطوط السكك الحديدية .(٢)

وهو يخشى آية وسيلة تربط المسلمين وتجعل أخبارهم متداولة بينهم فيحس المسلم فى الشرق بأخيه المسلم فى الغرب ، ولذا يحذر من سرعة الإتصال الناتج عن الوسائل الحديثة للمواصلات ويعتقد أن هذا فى صالح المسلمين ، وهى حقيقة ينبغى أن لايهملها المسلمون ، فسرعة التلاقى الشخصى وسرعة نقل الأخبار عامل مهم فى إنقاذ أى مسلم يقع تحت ضغط عقائدى أو مذهبى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله " (٣)
وعن أبى موسى قال : قال رسول الله صى الله عليه وسلم " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " (٤) .

المنطقة الإسلامية سد فى وجه المسيحية

لقد تطرق الأب و . هـ . ت جايردنر بالحديث عن الصين ، كبلد بها أقلية مسلمة ، وإندونيسيا ، وماليزيا كبلدين مسلمين واتجه مصوبا السهام إلى الجزيرة العربية قلب العالم الإسلامى ، ثم إلى السودان وتشاد ، وهو يخشى على أوربا من الإسلام بالرغم من ضعف المسلمين ، ويعتبر المنطقة الإسلامية الممتدة من شمال إفريقيا إلى

---

(١) المرجع السابق ص ١٥ .
(٢) المرجع السابق ص ١٥ ، ١٦ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ص ١٦ ص ١٤٠ .
(٤) المرجع السابق .

غرب آسيا (بما فيها من شبه الجزيرة العربية) إسفين ثابت يمنع أوربا من اختراقه إلى حيث تريد وهاهي ترجمة حديثه :

إن مشكلة الإسلام هذه مسألة لايمكن أن نتغافلها ببساطة ليست حتى فى مواجهة الأوضاع العاجلة بطريقة لايمكن وصفها ، والتى تواجهنا فى الشرق الأقصى وهذه أولاً: لأن الإسلام على أبوابنا ، فمن أقصى الساحل الشمالى الإفريقى يواجه أوربا ، إنه فعلا يلمسها ويمكن القول إنه يمسكها عليا من طرفى البحر المتوسط عند أعمدة هرقل وعند القسطنطينية ثانيا : لأنه مشكلة أساسية مركزية أيضا ، فكروا فى تلك الكتلة المركزية لعالم الإسلام الصلب ، من شمال إفريقيا إلى غرب ووسط آسيا إنه كإسفين ثابت ، يحجب الغرب المسيحى عن الشرق الوثنى ، وأريدكم أن تدركوا أيها الآباء والإخوة أنه حتى لو حلت مشاكلنا مع يابانيينا ، وكوريينا ، وصينيينا ، ومنشوريينا ، وهنودنا ، ولو واجهنا أزماتهم الحالية فى سعادة وتغلبنا عليها ، وأضفنا شرق أقصى مسيحى إلى الكنيسة ، فإن ذلك الوتد (الخازوق) الغريب عنا والمعادى لنا ، الغير منسجم أو متعاطف ، سيقطع العالم النصرانى ، الشرقى والغربى ، كلية إلى نصفين ، فاصلا الإثنين ، عازلهما عن بعضهما ، وظهرا - للرب والإنسان - ليس فتقا فحسب ، بل صدعا فى ثوب الإنسانية ككل التى لولا الإسلام ، لانتصر عليها المسيح .

فحقا لذلك ، يجب ألا نؤجل مشكلة الإسلام إنها مشكلة اليوم كما رأينا فليكن نفس " اليوم " على هذا ، هو يوم الحل والخلاص .[1]

ولا أدرى لماذا يعتبرون الإسلام مشكلة بالنسبة لهم ، بينما النحل الأخرى التى لاتعترف بدين سماوى ، لايجابهونها مثل الإسلام وهى لاتكن احتراما للوحى فى عمومه والإسلام يضع عيسى عليه السلام فى مكانته السامية ويؤمن أتباع الإسلام بأنه نبى من المقربين ، وغالب اعتقادى أن القوم يعلمون حقيقة الإسلام ، وصدق رسالة محمد " عليه الصلاة والسلام " وإنهم يخشون فقد مناصبهم ، والمدد الذى لاينقطع من المال ومعظمهم من كناز الدرهم والدينار ، ومن أجل هذا يحاربون الإسلام ، ويحجبون الحقائق عن أقوامهم والله عز وجل يقول فى القرآن الكريم : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإنّ فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)[2] وهذا الفريق الذى

---

(١) الوثيقة الإسلام الخطر صـ ١٨ ، ١٩ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٦ .

قال الله تبارك وتعالى فى حقه : "(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . ، يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)" .[1]

الغرض من المؤتمر :

أعلنت عن هدف المؤتمر "مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية" التى تصدر منذ شهر فبراير سنة ١٩١١م ، وكان المتولى لإدارتها فى ذلك الحين القس "زويمر" فنشر مقالا للمستر "تشارلس وطسون" تحت عنوان "العالم الإسلامى" قال فيها : إن من الخطأ الحكم على مؤتمر "أدنبرج" بأنه لم يهتم بالمسائل الإسلامية ، لأن الغاية من عقد هذا المؤتمر هى البحث فى مسائل العالم الخارجى عن النصرانية ، والإهتمام بإيجاد وحدة وتضامن بين المبشرين فى أعمالهم ، وإن نظرة واحدة توجه إلى قرارات المؤتمر تظهر لصاحبها الخط الكبير الذى كان للمسائل الإسلامية من أعمال المؤتمر فقد كان المؤتمر مؤلفا من ثمان لجان ، اختصت الأولى والرابعة منها بالتوسع فى بحث المسألة الإسلامية أما مهمة اللجنة الأولى فهى أن تبحث فى مسائل اسلامية من الوجهة الخارجية وفى إيجاد ميدان عام مشترك لأعمال المبشرين ، واختيار خطة "الهجوم" و "الغارة" ، وتقرير هذه اللجنة يتضمن إحصاء متعلقا بالمسلمين وعددهم ومبلغ ارتقائهم فى كل قطر .

وأورد الإحصاء الخاص بعدد المسلمين أن عدد مسلمى ماليزيا والهند يزداد يوما بعد يوم ، واتضح أن لجنة المبشرين خصصت جزء من خمسة أجزاء من أعمالهم على تبشير المسلمين هناك ، وهذه اللجنة لها فروع تبحث فى حال الإسلام فى الشرق الأدنى وآسيا الوسطى .

وجاء فى تقرير اللجنة عن حالة الإسلام فى أفريقيا أن الموقف فيها صار حرجا لسرعة تقدم الإسلام من مركزه الواسع فى الشمال ومعاقلة التى فى السواحل إلى الجنوب والغرب الإفريقى[2] أما الشرق الإفريقى فإن الأسقف "بيل" قد كفاهم مهمة وضع

---

(١) سورة التوبة الآيات ٣٢ ـ ٣٤ .
(٢) الغارة على العالم الإسلامى صـ ٤٣ ، ٤٤ باختصار .

خطط له ، بأن وضع نقاطه الكفيلة بالسيطرة التبشيرية الإستعمارية على العالم الإسلامي وهي :

١ ـ " أن أي حكومة مسيحية يجب ألا تعتبر الديانة المسيحية كواحدة من كثير ، بل الديانة الوحيدة التي تتميز بأنها الأسس ، وبينما لاتظهر تحيزا في المحاكم أو الإدارة ، فعلى الحكومة المسيحية أن تجعل كل الشعب يشعر أن الأشخاص ذوي التعليم للديانة المسيحية ذوو قدر عظيم في المناصب والحكم في كل الفروع وأن تستغل مثل ذلك في الأفضلية حيثما تستطيع ، والألمان يفعلون هذا "

أليست هذه الكلمات تحديًا لهذا المؤتمر العظيم لكي يحمل وجهة النظر هذه بطريقة جادة محددة أمام الحكومات الثلاث المهتمة بإدارة شرق إفريقيا ؟

٢ ـ " أن تحتل بقوة كل قاعدة أو مركز استراتيجي (من الجزء الإسلامي من شرق إفريقيا) ، لكي تخضعه للمراقبة " .

وهذا يتطلب نفس التعاون الوثيق في الساحل الشرقي الذي طالما تقنا إليه في الغرب .

٣ ـ أن تقدم تربية صحيحة من الأدنى إلى الأعلى في الأماكن المنتقاه ، مع تعليم الكتاب المقدس مفتوحا للجميع ولكن ليس إلزاميا ، وهكذا فحسب يستطيع كثير من أبناء المسلمين أن يظلوا على اتصال بالمعلمين وتحت التأثير التنصيري . [1]

مؤتمر " أدنبرج " من واقع " مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية "

أما مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية التي تصدر في بلدة " بال " في " سويسرا " فقد نشرت سلسلة مقالات عن تقارير اللجنتين السابعة والثامنة من لجان مؤتمر " أدنبرج " وهذه السلسلة من المقالات تكملة لما نشرته مجلة " العالم الإسلامي " الإنجليزيه .

وهي مكتوبة بقلم الأستاذ " شلاتار " صاحب التقرير المقدم إلى مؤتمر " أدنبرج " عن ضرورة الوسائل لتوحيد أعمال التبشير ومن قوله :

إن مسألة توحيد أعمال التبشير من أهم ماينبغي للإرساليات على وجه العموم العناية به مادامت النصرانية لم تنتشر إلا بين ثلث بني الإنسان ، وبالتالي مادام أمام النصرانية عمل جسيم يجب أن تتمه ، إذ من المحقق أن الأمم المتجانسه التي لاتدين

(١) الوثيقة الإسلام الخطر ص ٣٥ ، ٣٦ .

بالنصرانية قد أخذت تتدرج إلى الأعمال التاريخية ، وسيقوم بينها و بين المنتمين إلى الإنجيل نزاع ومعارك شديدة .

لذلك ينبغى للمبشرين أن يتضافروا ويتعاونوا لتكون ثمرات مجهوداتهم وهم متحدون أربعة أمثالها وهم متفرقون ، وهنا استشهد بحوادث إشترك المبشرون فى الفلبين وكوريا بالعمل لها فأدت إلى النجاح .[1]

وهم بهذه الصورة يدركون أن وحدة العمل ستكون القوة الدافعة ، للعمل التنصيرى بين المسلمين والأساس المتين لنجاح خطتهم الماكرة فى القضاء على المسلمين أو نسف الإسفين الإسلامى كما يقولون ومن أجل تحقيق هدفهم كانت نتائج مؤتمر " أدنبرج " موضع تنفيذ وعناية .

نتائج مؤتمر " أدنبرج " :

فور انتهاء مؤتمر " أدنبرج " واصلت اللجنة المختصة تنفيذ الأعمال فلم تكن قرارات المؤتمر حبرًا على ورق ، وإنّما كانت أنوالا نالت نصيبها من الأعمال على أرض الواقع ، وعانى العالم الإسلامى من آثارها الأمرين ومايزال ويشير كتاب " الغارة على العالم الاسلامى " بأن كل لجنة نفذت الأعمال المنوطة بها " .

ولذا قام بعض فروع اللجنة بعمل الإحصائيات ، وبعضها بالمطبوعات ، والمنشورات والبعض للتربية والتعليم والآخر لحسم المشاكل بين المبشرين أو لدرس علاقات المبشرين بالحكومات ، وعينوا أيضا فرعا من اللجنة لاكتشاف العقبات التى تحول دون نشر التبشير بين المسلمين .

وفى مايو سنة ١٩١١م إجتمعت لجنة مواصلة أعمال المؤتمر وبحثت فى طرائق التربية والتعليم التى ينبغى لمبشرى المسلمين إتباعها وقررت أن تنتهز الفرص وتنتفع بالظروف السانحة وأن تنشر مجلة مختلطة تصدر سنة ١٩١٢م مرة كل ثلاثة أشهر [2] ومن واقع النتائج المذكورة ظهر لنا أن المبشرين فى سعيهم دائبون وعن أعمالهم لاينامون وفى طريقهم التنصيرى سائرون .

---

(١) الغارة على العالم الإسلامى صـ ٤٦ .
(٢) المرجع السابق صـ ٤٨ بتصرف .

مؤتمر لكنؤ بالهند سنة ١٩١١م :

يعتبر هذا المؤتمر ثانى المؤتمرات التبشيرية العامة لأنهم يرون أن مؤتمر القاهرة المنعقد سنة ١٩٠٦م مؤتمر خاص بالرغم من أهميته ودوره .

وقد انعقدت جلسات المؤتمر فى ساحة مدرسة " ايزا بلاثوبون " البروتستانتيــة الخاصة بالبنات وبدأت يوم ٢١ وامتدت إلى يوم ٢٩ يناير سنة ١٩١١م وتعتبر جلسات افتتاحية ، ويذكر الأستاذ محمد محمود الصواف الوصف التفصيلى لرئيس المؤتمر وعدد الذين ساهموا فى قراراته ، وحددوا برامجه وأعماله فيقول :

وشارك فيه ١٦٨ مائه وثمانية وستون مندوبا ويمثلون عن ٥٤ جمعية تبشيريــة بلغوا ١١٣ مائة وثلاثة عشر عضوا وكان رئيس هذا المؤتمر القسيس " زويمر " وهو من أعلام التبشير وكانوا يلقبونه " بالرسول المختار إلى العالم الإسلامى " ويريدون بذلك أنه تكفل أمام جماعات التبشير بتحويل العالم الإسلامى عن عقيدته ! .

وقد بلغ الخامسة والثمانين ومات سنة ١٩٥٢م ولم يؤثر على مسلم واحد ويحوله من دينه إلى النصرانية ، وكان رئيسا للمبشرين فى الشرق وقد خطب فى هذا المؤتمر ودعا إلى البحث عن الوسائل التى يمكن بها مقاومة الإسلام ، وعرقلة سيره .(١)

وقد ذكر محرروا " المجلة الفرنسية " التى عرضت فى مقدمتها ملخصا مختصرا عن المؤتمر أنهم طلبوا من القسيس " زويمر " أن يوافيهم بملخص أعمال المؤتمر أثناء انعقاده فأجابهم إلى ماطلبوا وأرسل مجموعة تحتوى أبحاث المبشرين فى ذلك المؤتمر .(٢) وهى قليل من كثير حجب عن الرأى العام لأن عملهم فى غالبه يحاك فى الظلام .

برنامج مؤتمر " لكنؤ " بالهند

ألقى المشتركون نظرة على العالم الإسلامى ، وتتبعوا الحوادث فى كل أقطاره وأكدوا تمسك المسلمين بدينهم ، ورأوا أن الأقليات الإسلامية فى البلاد الشيوعيــة تحاول جهد الطاقة فى بعث الدين الإسلامى من جديد ، فقرروا مواجهة هذه الأمور بكل حزم وسأنقل الأمور التى وضعوها للبحث وهى :

أولها : درس الحالة الحاضرة

ثانيها : استنهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين والتعليم النسائى

---

(١) المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام صـ ٥٧ .

(٢) الغارة على العالم الإسلامى صـ ٥٢ .

ثالثها : إعداد القوات اللازمة ورفع شأنها .

أما مواد البرنامج المقدمة والمستخلصة من خطب وتقارير المجتمعين فهى :

الأولى : النظر فى حركة الجامعة الإسلامية ومقاصدها وطرقها والتأليف بينها وبين تنصير المسلمين .

الثانية : النظر فى الإنقلابات السياسية فى العالم الإسلامى وعلاقتها بالإسلام ، ومركز المبشرين المسيحيين فيها .

الثالثة : موقف الحكومات إزاء إرساليات تبشير المسلمين .

الرابعة : الإسلام ووسائل منع اتساع نطاقه بين الشعوب الوثنية .

الخامسة : تربية المبشرين على ممارسة تبشير المسلمين والمزايا النفسية اللازمة لذلك والبحث فى الدروس الاعدادية ودروس التبشير وتأليف الكتب للمبشرين ، وللقراء المسلمين

السادسة : حركات الإصلاح الدينى والإجتماعى .

السابعة : الارتقاء الإجتماعى والنفسى بين النساء المسلمات .

الثامنة : الأعمال النسائية .

التاسعة : القرارات العلمية وتقارير اللجان المالية للمطبوعات والمنشورات .(١)

مقتطفات من خطبة " زويمر " فى المؤتمر

افتتح القس " زويمر " مؤتمر لكنو بخطبة أنيقة تكلم فيها عن المسائل الإسلامية التى يتناقش بها الأعضاء ، فقسم خطبته إلى أربعة أقسام :

الأول : الإحصاءات الإسلامية .

الثانى : حالة المسلمين السياسية وارتقاؤها .

الثالث : ماطرأ على الإسلام بعد مؤتمر القاهرة من الإنقلابات السياسية والفكرية .

الرابع : الخطة التى اتبعتها كنائس أوربا وأمريكا بعد مؤتمر القاهرة .(٢)

١ ـ الإحصاءات الإسلامية :

بعد أن يعطى القس " زويمر " إحصاءات عددية عن جل البلاد الإسلامية ينقل عن كتاب (الهند وحياتها وأفكارها) للدكتور " جونس " قوله : ولاتخلو بلدة فى آسيا وأفريقيا من سكان مسلمين وقد يكون المسلمون أقل من غيرهم فى بعض البلاد إلا أن هذه

---

(١) المرجع السابق ص ٥٣ ، ٥٤ ، حقائق عن التبشير عماد شرف ص ٣٧ ، ٣٨ ط (١) مطبعة أطلس بالقاهرة ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م .

(٢) الغارة على العالم الإسلامى ص ٥٤ .

الأقليه فى نمو مستمر .[1]

ويضع تقييما للإسلام ، فى بعض بلدان شرقى أسيا فيرى أن الإسلام فى إندونيسيا قد ظهر بمظهر جديد على أثر تأسيس المدرسة الجامعة الإسلاميه ـ فى جاوة ـ وكثرة طبع القرآن الكريم ، وازدياد عدد الدعاة والمرشدين المسلمين ومازال الوطنيون يدخلون فى الإسلام إلى درجة يتعذر فيها على المبشرين المسيحيين أن يلقوا لأعمالهم رواجا .[2]

وتطرق فى الحديث إلى " أمريكا " كبلد بها أقلية مسلمة ، فأخبر أن عدد المسلمين بها لايستهان به ، فهو لم يكتف بالتبشير فى بلاد الإسلام بل يحذر من وجود مسلمين فى البلاد الغربية .

٢ ، ٣ ـ حالة المسلمين السياسية ، وما طرأ عليها من انقلابات: ينتقل " زويمر " إلى القسم الثانى من خطابه ، مركزا الحديث حول إتجاهين فى أسلوب ينم عن التربص :

أ ـ الإتجاه السياسى :

وفى أثناء عرضه لم يخف " زويمر " مافى نفسه من ناحية الخلافة الإسلامية فشكر الله على حدوث الإنقلابات فى بلاد المسلمين ، واعتبر عزل السلطان " عبد الحميد " وسجنه فى سلانيك ، واطلاق سراح التجول للمبشرين فى دولة الخلافة بعد تمزيقهما عصرًا جديدا فى تاريخ آسيا الغربيه وإفريقيا الشمالية .

وأعتبر أيضا التدخل الإستعمارى إنتقالا للسلطة السياسية من يد الخلافة إلى الدول المستعمرة ، ولذا أحمّل مسئولية التبشير وتنصير العالم الإسلامى ، حكام وملوك النصارى ، ووضعها أمانةً فى أعناقهم ، وياله من تبجح بلغ قمته ، فلم يكتف من حكام الاستعمار بما يصنعون ببلاد المسلمين ، بل وصاهم أن يعملوا جهدهم لتغيير ديانة البلاد .[3]

ب ـ الإتجاه الإجتماعى :

فى الناحية الاجتماعيه لبلاد الإسلام ، جوانب تتسم بالرقى وتستحق الدراسة والتقييم كظاهرة التدين وأثرها على الأفراد والأمم وظهور بوادر صحوتها منذ القرن التاسع عشر ، وكبروز الجوانب الأخلاقية فى المسلمين ، وكلها أمور هامة ، جديرة

---

(١) المرجع السابق صـ ٥٥

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق صـ ٥٦ بتصرف ، ويراجع (الإسلام فى وجه التغريب ـ مخططات الاستشراق والتبشير) أنور الجندى صـ ٢٥٢ .

بإشادة الباحث بها ، لكن " زويمر " كعادته يتحدث عن بعض الجوانب الإصلاحيـــة بأسلوبه ثم يحاول إثارة قومه لاستيعاب هذه الجوانب قبل إكمالها ، ومحاولة إجهاضهـا ولذا نراه يقول فى خطابه إن الإسلام الآن (أى وقتها) يتسم بثلاث نهضات إصلاحية:

الأولى : إصلاح الطرق الصوفية .

الثانية : تقريب الأفكار من الجامعة الإسلامية .

الثالثة : إفراغ العقائد والتقاليد القديمة فى قالب معقول .

وهو يرى أن هذا حدث نتيجة تغيير فى الإسلام ، والإسلام فى الحقيقة ديـن كامل وصالح لكل زمان ومكان ، لايتغير بالأفكار ، والحضارات وإنما يُغير الأفكار ويصنع الحضارة الراقية .

وحين يعود " زويمر " إلى مايسميه بالإنقلابات الاجتماعية فى العالم الإسلامى يولد التناقض فيه ، فيقول : فى العالم الاسلامى الآن حركتان متناقضتان : يحمـل لواء الحركة الأولى رجال الصوفية والمشايخ فى اليمن والصومال والبوادى ، وشعارهـم الرجوع إلى التعاليم المحمدية .(*)

والحركة الثانية يتولى زعامتها أنصار الإصلاح ومبشرو الإسلام فى مصر والهنـد وجاوة ، وفارس ، وهؤلاء يبنون أساسهم على رسم الطرق المعقولة .

ولم ينس ما تناولته الصحف المنتشرة فى بلاد الإسلام من موضوع الحجاب ،وتعدد الزوجات ، وخرج من ذلك باستنتاج غريب ألا وهو اختلاف " وحدة الأفكار فى الإسلام " ولو قال اختلافا عند المسلمين لكان قوله مستساغا بعض الشىء .

ثم يتساءل عما إذا كان المسلم يمكنه الإحتفاظ بمبادىء القرآن الكريم وتعاليمه مع مجاراته لتيارات الحضارة الوافدة عليه ، وهل التقدم الإجتماعى والعقلى المجرد من كل صبغة دينية كافيا لسد الحاجة الروحيّة فى الملايين من المسلمين .

أو أن العالم الإسلامى رجاله ونساؤه ينهض من كبوته ليتسلق معالم المجد الذى أبقاه على الأرض يسوع المسيح ابن الله ؟ .(١)

(*) اصطلاح يطلقه المستشرقون ، ومن على شاكلتهم والإسلام لايقره ، والأصح التعاليم الإسلاميـة .

(١) الغارة على العالم الإسلامى ص ٥٨ بتصـرف .

خطة الكنائس بعد مؤتمر القاهرة

ذكر " زويمر " فى القسم الرابع من خطابه : الخطة التى اتبعتها كنائس أوربا وأمريكا بعد مؤتمر القاهرة فأشار إلى أن المؤتمر كان فاتحة عصر جديد ، لتنصير المسلمين وذلك لأنه كشف الحجاب عن أمور كثيرة كانت مهملة ومنسية ، وحث الرجل رجال الكنيسة على وصف أعمال المبشرين فى بلاد الإسلام ، واستنجد بالكنائس واستصرخها فخاضت الجرائد والمجلات فى مسألة الإنقلاب العثمانى ، والإنقلاب الفارسى ، والنهضة المصرية ، وحركة الجامعة الإسلامية ومكانتها من الحالة السياسية الحاضرة ، وكل هذه المعلومات التى نشرتها الجرائد والمجلات أبانت عما يجب أن تعمله الحركة التبشيرية فى العالم الإسلامى ثم حض على تأليف الكتب الخاصة ببلاد الإسلام ، فصنفوا الكتب التى تشرح عادات المسلمين وتوضح حالتهم مثل كتاب (الشرق الأدنى والشرق الأقصى) وكتاب (لأخواتنا المسلمات) وكتاب (العالم الإسلامى) وكتب المبشرون فى هذه المدة العديد من الكتب منها : كتاب (دين الإسلام) و (الشعائر الدينية الإسلامية) و (الإسلام والنصرانية فى الهند والشرق الأقصى) ، و (صليبيو القرن العشرين) ، و (مصر والحرب الصليبية) و (الإسلام فى الصين) .

وفى نهاية خطابه قال " زويمر " :

إذا نظرنا إلى البلاد التى يحكمها هذا الدين الكبير المخاصم لنا وإلى البلاد التى يتهددها بحكمه إياها يظهر لنا أن كل واحدة من هذه البلاد هى رمز لعنصر من المعضلة الكبرى فالمغرب الأقصى فى الإسلام مثال الإنحطاط ، وفارس مثال للإنحلال وجزيرة العرب مثال للركود ، ومصر مثال لمجهودات الإصلاح والصين مثال للإهمال وجاوة مثال للتغيير والإنقلاب ، والهند مركز التحكك بالإسلام ، وإفريقيا الوسطى مكان الخطر الإسلامى ، والإسلام يحتاج قبل كل شئ إلى المسيح فهو الذى يرسل أشعة النور إلى المغرب ، ويعيد الوحدة لفارس والحياة لجزيرة العرب ، والنهضة لمصر ويرد إلى الصين ما أهمله الإسلام فيها ، وهو الذى يُبقى لأهالى ماليزيا بلادهم ، ويزيل الخطر العظيم من إفريقيا .[1]

وهذا ما رآه المبشر " زويمر " فى هذه الحقبة من التاريخ وأعتقد أن الوضع قد تغير إلى حد ما .

---

(١) المرجع السابق صـ ٥٩ بتصرف .

الجامعة الإسلامية من وجهة النظر التبشيرية

إفتتح القوم مؤتمرهم بأهم المسائل ، وهى مسألة الجامعة الإسلامية ، فهم يبحثون عما إذا كان من الممكن تكوين الدول الإسلامية فى وحدة واحدة أم لا .

ولذا حاز هذا الموضوع أكبر قدر من بحوثهم ، فقد طرحت ثلاثة تقارير خاصة بالجامعة الإسلامية من وجهة النظر التبشيرية :

الأول : تقرير القس " نلسن " عن حركة الجامعة الإسلامية فى السلطنة العثمانية والذى قال فيه : إن حركة هذه الجامعة قد ضعفت جدا بعد خلع " السلطان عبد الحميد " وبالرغم من هذا لاتزال روح التضامن ملازمة للإسلام وهى سائدة بين مسلمى " سوريا " الى درجة تدعو للتبصر فى علاقتها بزعماء الفكرة الإسلامية[1] ، وهو صادق فرباط الإسلام بين المسلمين حى وباق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو شعور يجعل المسلم فى أى مكان يتألم لأخيه المسلم ، ولايتأثر هذا الرباط بحكام ثم هو مخطئ حين يزعم أنه من المستحيل أن يكون من المسلمين عنصر حى حقيقى فى استطاعته أن يجمع شمل السنيين ، والشيعة معا ويضم الأتراك والفرس ، والهنود إلى العرب ليكافحوا يدا واحدة على اتفاق وثقة متبادلة .

الثانى : تقرير القس (ورنز) عن الجامعة الإسلامية و أُلخصه فى الآتى :

١ ـ إن مدينة مكة والطرق الصوفية هما من أكبر العوامل على بث شعور الوحدة بين المسلمين ، والنفرة من كل شئ غير إسلامى .

٢ ـ يرى أن التجارة فى النيجر وتشاد بيد القبائل الإسلامية وأن التاجر المسلم يبث فى هؤلاء المواطنين مع بضاعته دينه الإسلامى وحضارته الراقية .

٣ ـ الإستعمار يسلب الأمراء المسلمين سلطتهم السياسية ولكنه يزيد الإسلام نفوذا فيها .

٤ ـ أشار إلى تقدم الإسلام فى إفريقيا ، وتساءل عما إذا كان هناك عمل مرتب ويد عاملة على نشره أم أنه ينتشر بطبعه ؟

٥ ـ تكلم عن الأزهر ونظر إليه على أنه ليس معهدا تبشيريا كما هى مدارس اللاهوت فى أوربا .

٦ ـ أشار إلى الدعوة المهدوية ووصف رجالها بأنهم مبشرون مسلمون وأخبر أنهم يثيرون الفتن والقلاقل .[2]

---

(١) يراجع (الإسلام فى وجه التغريب مخططات الاستشراق والتبشير ص ٢٥٤ ، الغارة على العالم الإسلامى ص ٦٠ .

(٢) الغارة على العالم الإسلامى ص ٦١ ، ٦٢ باختصار .

وهذا أمر يدعو إلى الدهشة ، فهم بالرغم من ابتهاجهم لتفريق المسلمين ودعوتهم إلى الإباحية ، وترك أخلاق الإسلام وتمجيدهم للإستعمار وسلوكه العدوانى يعتبرون أنفسهم دعاة أمن وأمان ونظام ، بينما الدعاة من المسلمين الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويأمرون الإنسان بأن لايظلم أحداً ،يتهمونهم باختلاق الفتن ولعل المسلمين يفطنون لذلك ، فيدعمون دعوتهم بالقوة فقوتهم كلها عدل ورحمة تخرس الباطل وتنصر المظلوم وتردع الظالم .

أما التقرير الثالث : عن حركة الجامعة الإسلامية فى ماليزيا فقد ورد على لسان القس " سيمون " ، حيث تلا فى المؤتمر ما اختصاره :

ـ يجب أن لاننسى ارتباط الإسلام فى الهند " بمكة " فهذا الارتباط يدعو سكان جزائر ماليزيا " إلى الإعتقاد بأنهم جزء من مجموع كبير ، وبأن سلطة النصارى عليهم شئ مؤقت .

ـ يحاول أن يزرع اليأس فى قلوب المسلمين بالعودة إلى الوحدة فيقول من العبث أن يبنى هؤلاء المسلمون آمالهم على الجامعة الإسلامية لأن التربية النصرانية قد أثبتت فى دمائهم وذلك بفضل مدارس التبشير ، وبحماية حكومة " هولندا " لأصول الدين النصرانى .(١)

ـ فى الوقت نفسه يبعث روح الأمل فى المبشرين المسيحيين بقوله : إنّ العامل الذى جمع هذه الشعوب وربطها برابطة الجامعة الإسلامية هو الحقد الذى يضمره سكان البلاد الفاتحين الأوربيين ولكن المحبة التى تبثها إرساليات التبشير النصرانية ستضعف هذه الرابطة وتوجد روابط جديدة تحت ظل الفاتح الأجنبى .(٢)

خلاصة قرارات مؤتمر " لكنوء " :

دونت هذه الخلاصة فى محضر جلسات المؤتمر والتى يمكن تلخيصها فى الآتى :

١ـ يعقد المؤتمر مرة أخرى فى " القاهرة " سنة ١٩١٦م واذا طرأت هناك سياسة أو أمور أخرى تحول دون إجتماعه فى هذه المدينة فيعقد فى " لندن " .

٢ ـ يوافق مؤتمر لكنوء مؤتمر أدنبرج الذى عقد سنة ١٩١٠ على ضرورة حصر المساعى فى القارة الافريقية دون التقصير فى حق المساعى المبذولة للتبشير فى البلاد الأخرى .

٣ ـ حث الجمعيات التبشيرية على التكاتف والتساند لكى تطوف كل أفريقية وتؤسس مراكز قوية فى الأماكن التى تمد موطن الخطر .

---

(١) المرجع السابق صـ ٦٢ بتصرف .
(٢) الإسلام فى وجه التغريب مخططات الاستشراق والتبشير صـ ٢٥٤ .

٤ ـ تأسيس مدرسة فى مصر خاصة بالتبشير تكون عامة لكل الفرق البروتستانتيسة .

٥ ـ إنتقاء المبشرين الأكفاء الممتازين بصفاتهم ومواهبهم العقلية ، ولزوم تعليمهم اللغة العربية بوجه خاص ثم تاريخ الدين الإسلامى ، وأهم المؤلفات التى تتعلق به .

٦ ـ جعل أعضاء المؤتمر يتحملون مسئولية دراسة أدوار تقدم الإسلام فى افريقيه وجزائر الملايو ليكون بحثها أساسا للمناقشات فى المؤتمر المقبل .

٧ ـ حض المبشرين والمبشرات على الاحتكاك بالرجال والنساء عند قيامهم بأعمالهم التبشيرية .

٨ ـ اختتم المؤتمر قراراته مستنهضا همة الكنائس التبشيرية فى الهند لإرسال قسم من المبشرين الموجودين لديها حتى يشدوا أزر المبشرين فى إفريقيا[1] .

المؤتمر الافخارستى لسنة ١٩٣١م

لهذا المؤتمر مناسبة خاصة ، فقد أراد " البابا " أن يستغل الدين لأبعد الحدود ، فانتهز فرصة إحياء ذكرى أحد القديسين البرابرة ، للدعوة إليه وهذا ماوضحه الأستاذان د / مصطفى خالدى ، د / عمر فروخ :

فى عام ١٩٣٠م أراد " البابا " أن يقيم عيدا لمناسبة مرور ألف وستمائة سنة على موت " القديس أغسطينوس " ولكنه أراد أن يكون لهذا العيد طابع خاص فاختار أن يدعو إلى موتمر افخارستى فى مدينة قرطاجه (قرب تونس) ، لأن "القديس أغسطينوس" كان من البربر ، ومن تلك الناحية بتونس[2] ، وتونس يومذاك كانت مستعمرة قبل فرنسا وقد أجبرت على انعقاد المؤتمر بأرضها وهى البلد المسلم ، كما أرغمت على أن تدفع من خزينتها المنهوبة مليونين من الفرنكات يوم كان الفرنك يساوى قرشا من الذهب ، كما ارتكب أعضاء المؤتمر من الحوادث مايثير مشاعر المسلمين ، فقد تجولوا فى المدينة بزيهم الرسمى فى شبه استعراض أثار مشاعر المسلمين ، ووصلت ذروة الإسفاف نهايتها حين أجبرت فرنسا ، أهل البلاد على السماح بوضع الأسرة فى المساجد ليرقد عليها الرهبان الذين جاءوا من مختلف الأقطار لحضور المؤتمر الصليبى فى وطن المسلمين ولما اعترض الشباب الغيور على الدين ، على هذه التصرفات الإستفزازيه كان مصيرهم السجن كما حكس

(١) يراجع الغارة على العالم الإسلامى صـ ٧٤ ، ٧٥ بتصرف .

(٢) التبشير والإستعمار فى البلاد العربية صـ ١٥٧ بتصرف .

كاتب مسيحى فرنسى ونقله عنه صاحبا كتاب التبشير والإستعمار فى البلاد العربية :

ولما أراد بعض الشباب التونسيين أن يحتجوا على هذه الأعمال المنافية لكل ذوق فوق مافيها من تحد للشعور الدينى والقوى والإنسانى ، لم تتورع فرنسا عن أن تقبض على هؤلاء وتزجهم فى السجون لتتيح للمؤتمر الافخارستى أن ينعقد بكل صخب استعمارى فى جو من الهدوء . (١)

مؤتمر لوزان لتنصير العالم عام ١٩٧٤م

هذا المؤتمر كان بمثابة إعداد محكم لمؤتمر سيأتى بعده يقطع الطريق على المسلمين ، فدبر له بليل ، وهىء له المناخ المناسب يقول الدكتور / عبد الودود شلبى

فى عام ١٩٧٤م عقدت الكنائس البروتستانتية مؤتمرا فى مدينة " لوزان " بسويسرا واتفقوا فى هذا المؤتمر على أن المسلمين يشكلون أكبر مجموعة بشرية ، يجب أن تتجه إليها جهود التبشير ولقد تساءلوا فى هذا المؤتمر : لماذا لم يتم حتى الآن تنصير المسلمين كما يجب وبصورة أحسن . (٢)

ومنذ اللحظات الأولى لفكرة المؤتمر ، كان الإعداد الدقيق والتوجيه الحاسم فكما ذكر : تولى المركز العالمى للأبحاث والتبشير فى كاليفورنيا عبء تقديم التمويل والمكاتب والأشخاص اللازمين للإعداد للمؤتمر والتأكد من تهيئة عوامل النجاح له ، وكان القرار أن لايكون المؤتمر خطابيا ولامؤتمر أبحاث فحسب بل على حد تعبير الوثيقة المرفقة " مؤتمرا عمليا تنفيذيا يغير سير التاريخ ووجهته " .

لاعلى غرار المؤتمرات الأخرى تجتمع " فتناقش وتصدر التوصيات ثم لاتعدو أن تنفض" . (٣)

وكان رأس الحربة - كما يقال - فى هذا المؤتمر " دون ، هك كرى " وهو بروتستانتى المذهب عمل مبشرا فى باكستان لمدة عشرين عاما وهو أحد طلبة مدرسة " فلر " للتبشير العالمى وقد عرض اقتراحا على الأعضاء ، مقدما من الدكتور بيسر واجنر عن مدرسة " فلر " المذكورة خلاصته : الدعوة إلى مؤتمر أوسع يعقد فى أمريكا باسم " مؤتمر أمريكا الشماليه لتنصير المسلمين " . (٤)

---

(١) ص ١٥٨ .

(٢) أفيقوا أيها المسلمون !! قبل أن تدفعو الجزية ص ٨٢ .

(٣) مجلة الأمة الإسلاميه ص ٨٦ من مقال بعنوان (بروتوكولات حكماء كولوراد و لهيئة التحرير العدد الثالث - السنة الأولى) ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

(٤) أفيقوا أيها المسلمون !! قبل أن تدفعوا الجزية ص ٨٢ .

" مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين "

أعد القوم لهذا المؤتمر من الأمور بما لم يعهد فيما سبق من المؤتمرات التبشيرية فقد عرضوا أربعين بحثا خاصة بالمؤتمر ، ولم يسمح بالاشتراك فى المؤتمر إلا لمن قرأها وأبدى رأيه كتابة فى كل منها ، وقدمه للجنة المشرفة على المؤتمر ، لتبدى رأيها ، وبعد دراسة الآراء وتحديد الأعضاء بدقة عقد المؤتمر فى ولاية " كولوراد و " من الولايات المتحدة الأمريكيه ، وحضره ١٥٠ مائة وخمسون عضوا ، يمثلون أنشط العناصر التبشيرية فى الجامعات والكنائس والمؤسسات البروتستانتية .

واجتهد فى تكتم أخبار المؤتمر ، فلم يسمح للإعلام والإعلان بمعرفة مايجرى داخله من تخطيط ، فلم يتسرب من أنباءه إلا القليل مما سنذكره منقولا عن مجلة الأمه :

- عقد المؤتمر فى ١٥/١٠/١٩٧٨م واستمر أكثر من أسبوعين وعلى غير عادة المؤتمرات الأخرى ، وكان هذا المؤتمر مغلقا لم يسمح لغير المشتركين بحضور أية جلسة من جلساته والاسم الرسمى للمؤتمر هو " مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين " .

- قدم فى المؤتمر أربعون بحثًا غطت جوانب نظرية ودراسات ميدانية حول جميع أجزاء العالم الإسلامى دون استثناء بما فى ذلك الأقليات المسلمة .

- وضعت استراتيجية شاملة ذات أهداف محددة يتم تنفيذها فى أوقات زمنية محددة فى كل بقعة من بقاع العالم الإسلامى هدفها تنصير المسلمين ، وتحريف عقيدتهم ، وتغيير الأنظمة الاجتماعية والسياسية فى بلدانهم ، وأشار الكتاب إلى أن هذه الاستراتيجيه ستبقى سرية لخطورتها .

- يقول الكاتب لقد قدر لى أن أسمع من أحد الذين شاركوا فى المؤتمر عن بعض جوانب الإعداد ومستوى الجدية التى يتسم هؤلاء القوم بها فى تنفيذ ما يؤمنون به ، حيث أنهم وضعوا ميزانية مقدارها ألف مليون دولار لهذا الغرض وقد تم جمع هذا المبلغ .

- بقرار من هذا المؤتمر تم إنشاء معهد " صموئيل زويمر " و " دار للدراسات والنشر " مختصة بقضايا تنصير المسلمين ، وكلاهما فى ولاية كاليفورنيا .

- لقد بدىء فى إصدار عدد من الكتب والنشرات بواسطة هاتين المؤسستين وكذلك بعقد دورات تدريبية وإعداد المبشرين وتأهيلهم لمهمتهم كل بما يتناسب مع المنطقة التى سيعمل فيها) .(١)

(١) مجلة الأمه : (العدد الثالث ـ السنة الأولى) من مقال بروتوكولات حكماء كولوراد و ص٨٦ .

بحـوث المؤتمـر :

علمنا أن أعضاء " مؤتمر كلورادو " تدارسوا أربعين بحثا تبشيريا شملت الجوانب النظرية ، والعملية ، فى شبه دراسات ميدانية حول جميع أجزاء العالم الإسلامى دون استثناء وكما ذكر الدكتور / عبد الودود شلبى :

شملت بحوثهم الأقليات المسلمة ، حتى هؤلاء المسلمين الموجودين فى أمريكا وفى جميع أوربا ، ويظهر أثر هذه الغارة التبشيرية على الأقليات الموجودة بالعالم الغربى مما أعلنته قيادات المنظمة العالمية للتبشير عن بدء خطة دقيقة للعمل ضد الإسلام فى أوربا وفى عقر ديار المسلمين وسأشير إلى بعض الكلام المصرح به مكتفيا بما قيل حول المسلمين المقيمين بالخارج فى هذا الموضوع قال " روى جورج " رئيس المنظمة إنه ينبغى عدم الإكتفاء بالدعوة ضد الإسلام فى ديار المسلمين ، وإنما ينبغى محاربة الإسلام فى نفوس المسلمين المقيمين فى أوربا ، ففى أوربا الغربية وحدها ١٠ ملايين مسلم يعيش نصفهم فى كل من بريطانيا ، وفرنسا ، وألمانيا النمسوية لابد من العمل بينهم ، ومضى يقول :

إن الفرصة كبيرة لنجاح الخطة حيث أن العشرة ملايين مسلم المقيمين فى المجتمع الغربى المسيحى يسهل التأثير فيهم عن طريق المفتاح السحرى ! وقال : إنّ هذا المفتاح السحرى يتكون من كلمتين هما : المودة ، والكرم فلابد من فتح الصدور والبيوت للإقتراب من هؤلاء الذين يعانون من العزلة ، والوحدة وإنعدام الإتصال بينهم وبين شعوب البلاد التى يقيمون فيها ، وبالتدريج نبدأ فى دعوتهم للخروج من الإسلام !

ومضى " روى جورج " فى كلمته التى ألقاها فى جماهير المبشرين قائلاً : إنه ينبغى على دول أخرى أن تتحمل الجزء الأكبر من أعباء الخطة حيث أن المسلمين لايثقون بالفرنسيين أو الإنجليز لظروف نفسية تتعلق بسنوات الإحتلال .

واختتم كلمته بقوله : إن العشرة ملايين مسلم المقيمين فى أوربا هدية بعثها الله لنا ، وما علينا إلا أن نقبلها ونعمل بينهم ، ولتحقيق هذه الرسالة فإن منظمة المبشرين الدولية التى اشترت مقرا لتدريب الدعاة فى مقاطعة (كنت) بجنوب بريطانيا على استعداد لعقد الدورات التدريبيةّ للكوادر الصغيرة لتعليمها أفضل وسائل العمل .[١]

---

(١) المسلمون : تحقيقات بعنوان (استنفار تبشيرى فى أوربا ـ خطة لتنصير ١٠ ملايين عربى يعيشون فى الخارج ..) ص١ (السنة الأولى ـ العدد الحادى عشر) ٣٠ رجب ١٤٠٥هـ = ٢٠/٤/١٩٨٥م باختصار بعض العبارات والمقاطع .

وتتسع نظرة أحد زعماء التبشير وهو " ريتشارد و ميراند " لتشمل المسلمين الموجدين فى روسيا ، فيدعوا الإعلام الغربى لبث تعاليم الإنجيل بينهم ، ويشير إلى أماكن تجمعات الشباب المسلم فى بعض بلدان الغرب ، لاستغلالها فى تنصير المسلمين وهـــذا حديثه :

ولاينسى المبشرون مسلمى آسيا الوسطى الخاضعة للنفوذ السوفيتى ويحاول إعـلام البعثات التبشيرية أن يصل إلى هؤلاء المسلمين وخاصة التتر منهم ، أما بشأن الإعتداء السوفيتى على أفغانستان فإن W.C.C أظهروا أنهم عاجزون عن معالجة الموقف فى " فانكوفر " فى العام الماضى .

وفى ألمانيا الغربية : تعتبر منطقة كروزبرج فى " برلين " مقرا للطبقة العاملـة ويقطنها حوالى ٠٠٠ر ١٥٠ منهم ٠٠٠ر ٤٠ من الأجانب بينهم ٠٠٠ر ٣٠ من الأتراك والمهاجرين الأتراك المسلمين .

وهناك عدد من الأبرشيات تساهم فى العمل من أجل المسلمين فبعض الكنائـس تفتح دور حضانة للأطفال وفى بعض هذه الدور ثلث الأولاد الذين تأويهم من المسلمين .

وقد عينت الكنيسة فى ثلاثة من هذه الدور معلمين مسلمين كما اهتمت الكنيسـة فى كروزبرج بنشاطات الشباب وبعض الكنائس تشرف على أندية للشباب يأتى إليهـا الشباب المسلمون بعد انصرافهم من مدارسهم ولم تقبل بعض الجهات الكنسيه أن تعيين موظفين مسلمين فى هذه الأنديه .(١)

وهكذا كان " مؤتمر كلوراد و " مؤشر جديد للتبشير الصليبى فى لونه الخادع والذى ظاهره المودة ، والكرم ، وباطنه اصطياد شباب الإسلام ، من أماكن تجمعاتهم ، ونقاط التقائهم فى أماكن الغربة ، ومن منهم يخلو من مشاكل ؟ وكثير من أزماتهم مصطنعـة ومشكلة لهم بطريقة إعداد محكمة ، لإيقاعهم فى شباك النصرانية الغربية ، ولذا كـان المؤتمر المذكور علامة بارزة لوضع النقط على الحروف فتعددت مجالات دراساته والـتى سأنقلها من كتاب (أنيقوا أيها المسلمون !! قبل أن تدفعوا الجزية) .

أ ـ جوانب نظرية :

فمن الدراسات التى تناولت الجوانب النظرية والعملية :

١ ـ الإنجيل والثقافة .

٢ ـ التبليغ الشامل للإنجيل وتقديمه للمسلمين .

---

(١) المرجع السابق صـ ٧ .

٣ ـ شهادة تجسيد المسيح إلى قلب المسلم المتنور وثقافته " أى المرتد عن الإسلام "
٤ ـ الكنائس التعادلية الديناميكية فى المجتمع .
٥ ـ صدام القوة فى تحويل المسلم عن دينه .
٦ ـ الإحاطة والأصالة والتحويل .
٧ ـ محاولات نصرانية جديدة لتنصير المسلمين .
٨ ـ مقياس إنجيلى للمسلمين .
٩ ـ تحليل مقاومة واستجابة الشعوب الإسلامية .
١٠ ـ الصدام النصرانى الإسلامى وكيف يحل ؟ .
١١ ـ الدراسات الإسلامية : حدود وجسور .
١٢ ـ الإسلام جوع القلب .

ب ـ دراسات ميدانيــــة :

كما أن الخطة شملت دراسات ميدانية بواقع المسلمين منهــا :
١ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى الغرب .
٢ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى صحــراء إفريقيــا .
٣ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى إفريقيا الشمــاليه .
٤ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى الشرق الاوســط .
٥ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى تركيــا .
٦ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى إيران .
٧ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى شبه القارة الهندية .
٨ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى جنوب شرقى آســيا .
٩ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام فى روسيا والصين .
١٠ ـ الوضع الحالى للأدب النصرانى للمسلمين .

جـ ـ الوسائل العملية :

كما تناولت بحوثهم دراسة الوسائل العملية لتنفيــذ مخططهم فمن بحوثهم :
١ ـ الوضع الحالى لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين .
٢ ـ الوضع الحالى لبث الإذاعة للشعوب الإسلاميـــة .
٣ ـ نظرة الإرساليات الفاحصة إلى المسلمين .
٤ ـ ببيلوغرافيا مختارة للعاملين النصارى والمسلمين .

٥ ـ الدعوة إلى التجديد الروحـــى •
٦ ـ تطور الآلات الحديثة واستغلالها لدعم تنصير المسلمين •
٧ ـ مستوى أساليب ومراكز برامج التدريب •
٨ ـ إنشاء شبكة مراكـز البحث •
٩ ـ أسلوب وقيمة استراتيجيات التخطيط •
١٠ ـ شبكة المخيمات التبشيرية فى البلاد الإسلاميـــة •
١١ ـ ضرورة إنشاء مركز عصبى للشمال الأمريكـى •
١٢ ـ التبشير والمكالمـــة •
١٣ ـ صلات أمريكا الشمالية بإرساليات العالم الثالث •
١٤ ـ ضرورة إصدار صحف جديدة حول الإرساليات الموجهة إلى المسلمين •

ومن أسلحة المؤتمر التى لم يغفل عن استخدامها فى خدمة أغراضه :

د ـ سلاح الغذاء والصحة :

ومن أبحاث المؤتمر : استخدام الغذاء والصحة فى تنصير المسلمين وذلك بتقديم المعونات الغذائية للأسر الفقيرة ، والتأثير عليها وتقديم العلاج عن طريق المستشفيات والمستوصفات التبشيريه •

الكنائس المحليـة :

ومن دراسات المؤتمر : دور الكنائس المحلية فى تنصير العالم الإسلامى فقد خطط المؤتمر بالتعاون مع الكنائس المحلية لتنصير المسلمين فى البلاد التى بها هذه الكنائس المحلية •

الأسـرة المسلمة :

ومن الأبحاث التى لم يغفل عنها المؤتمر : محاولة الإتصال بالمرأة المسلمـــة والعائلة المسلمة ، فقد عرف هؤلاء الخبثاء أن المرأة المسلمة أساس الأسرة المسلمـــة والأسرة المسلمة هى وحدة المجتمع الإسلامى فهم يعملون على إفساد المجتمع ، بإخـراج الأسرة المسلمة من إطارها الإسلامى إلى الإطار الغربى الصليبى •

من لم يبلغهم التبشير :

وآخر أبحاثهم فى الأربعين ورقة عمل : هو الإتصال بمن لم يبلغهم التبشـــير

وهكذا نجد أن أبحاثهم العديدة تدل على ما اتسم به هذا الجهد التبشيرى الجديد بالجدية ؟ والتخطيط المدروس .(١)

فكرة التقارب الإسلامى المسيحى

يعمل المبشرون فى أى إتجاه للوصول إلى النتائج المطلوب تحقيقها بواسطتهم فهم يوحدون الصفوف عن طريق توحيد كنائسهم المنشقة على نفسها ، ويعقدون المؤتمرات من أجل هذا الهدف ، وفى الوقت نفسه يعقدون المؤتمرات ذات التخطيط المحكمة فيما بينهم وذلك للسيطرة على بلاد المسلمين سياسيا وفكريا ، وعسكريًا .

ولكى تتحقق أهدافهم فى زمن يسير وبأقل جهد ، تراهم يحاولون جاهدين تحذير المسلمين وتنويمهم بنشر مايسمونه بـ " التقارب الإسلامى المسيحى " .

فقد بدأ الغرب المسيحى فى أواخر القرن التاسع عشر يشيع هذه الفكرة ويعلنها على الرأى العام حتى يضمن احتواء العقلية الإسلامية المثقفة دينيا ويحركها وفق أفكاره ، وبالتالى يتمكن من إخضاع العامة لما يمليه الفكر المسيحى الغربى بلا مقاومة علما بأنه فى البداية قد ضمن السلطة السياسية فى جانبه ، لأنه صنعها من قبل على عينه ورباها حسب منهجه، وفكرة التقارب بين الطرفين " الإسلامى ـ والمسيحى " مجردة جديرة بالعناية والنظر إلا أن ظاهرها يخالف باطنها .

فشكلها يشير إلى توحيد الجهود بين المسلمين والمسيحيين ومحتواها : تمكين أنصار الصليب من إحكام قبضتهم على عالم الإسلام وهم فى مأمن من المقاومة من أى فرد من أبنائه .

وقد فطن علماء الإسلام الأزهريين لمكر دعاة المسيحية فلم ينخدعوا بزيفهم ولذا لما أوفدت فرنسا مستشرقا لاهوتيا إلى مصر فى آواخر القرن الماضى للدخول مع علماء الأزهر فى حوار من أجل التقارب بين الطرفين انكشف أمره على يد أحد شيوخ الأزهر فعاد إلى فرنسا يجر أذيال الخيبة .(٢)

لكن أنصار الصليب لم ييأسوا من محاولاتهم فخرجوا على العالم بما يسمونه " مؤتمرات الأديان " ومنها " مؤتمر الأديان العالمى " الذى عقد بلندن فى شهر

---

(١) أنيقوا أيتها المسلمون من قبل أن تدفعوا الجزية صـ ٨٤ ـ ٨٨ .
(٢) مجلة الأمة (العدد الثانى والثلاثون ـ السنة الثالثة) صـ٧٦ من مقال بقلم / محمد عبد الله السمان بعنوان " نحن وأهل الكتاب والحقيقة الضائعة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م بتصرف .

يوليو ١٩٣٦م٠

وقد بعث شيخ الأزهر الأسبق المرحوم / مصطفى المراغى رسالة إلى المؤتمر يبين فيها إسراف القوم من أهل الرسالات السماوية فى مقاتلة بعضهم ، وفى استعمال طرق الإكراه والإغراء وغيرها من الوسائل لكسب الشعوب إلى صفوفهم مع علمهم أن الإيمان لايحل القلب بالإكراه ٠ (١)

وفى الخمسينات من القرن العشرين للميلاد ظهر " نداء الإخاء الدينى " وأنشأ القس " هو بكنز " بتوجيه من المخابرات المركزيه الأمريكية " جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية " واحتفل بميلادها فى قرية " حمدون " بلبنان فى أوائل الخمسينات وفى إطار هذه الصداقة المقترحة أعلن القس الغاية من ورائها وهى الوقوف فى وجه الشيوعية

بينما المبدأ السائد فى سياسة الغرب المسيحى وخاصة أمريكا هو إضعاف المسلمين فى أراضيهم والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها :

* تركت السياسة الأمريكية فى سنة ١٩٧٠م اعتداء " الهند " و " روسيا " ضد باكستان الحليفة للأمريكان ٠
* عملت السياسة الأمريكية على أن يستباح الوطن الإندونيسى وإيمان المسلم هناك للتبشير فى صورته الظاهرة والخفية ٠
* تتغاضى السياسة الأمريكيه فى الفلبين عن اضطهاد السلطة المسيحية القائمة للإسلام والمسلمين ٠
* تركت السياسة الأمريكية الحرب بين إيران والعراق فى سنة ١٩٨٠م وللوقت الحاضر تدمر كل شئ فى البلدين ٠
* عاونت مسيحى الحبشة ومعهم السوفيت فى مطاردة المسلمين فى " أريتريا " بعد أن سعت أمريكا من قبل لدى هيئة الأمم المتحدة لضم أريتريا إلى الحبشة وباركت عمل الإمبراطور هناك فى تنصير المسلمين بالإكراه ٠ (٢)
* كما أغضت الطرف على اعتداءات السوفيت المتكررة على أفغانستان المسلمة ٠

---

(١) رسالة إلى البابا بولس السادس دكتور / عبد الودود شلبى صـ ٢١ ، ٢٢ بدون عدد للطبعة طبع المطبعة الفنية بالقاهرة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م بتصرف ٠

(٢) الإخاء الدينى ، ومجمع الأديان وموقف الإسلام دكتور / محمد البهى ص ١٤ ، ١٥ ط (١) طبع دار التضامن للطباعة بالقاهرة ١٤٠١ هـ — ١٩٨١م بتصرف ٠

فالمقصود من وراء المؤتمرات المذكورة ، ونداءات التقارب والإخاء امتلاك زمام أمور المسلمين بدون مجابهة وإبعادهم عن رسالتهم ، وفصلهم عن دينهم في هدوء تسام فإن الأصوات التي تنادي بالوحدانية ، تنكر على الإنسانية انتكاستها في جانب العقيدة وترديها في الحضيض حين تنقاد لغيرها وتتخذ لنفسها آلهة من دون الله .

ولذا يريد المعددون أن يسكتوا أصوات أصحابها حتى تظل الإنسانية عندهم في ضلالها بدلا من أن تفيء إلى رشدها ، وتؤمن بالواحد الأحد الذي لا شريك له ولا ولد .

وكان الحوار المسيحي والإسلامي الذي دار بين القساوسة ورجال الأزهر بحضور شيخي الأزهر السابقين أكبر تأكيد على مايريده أصحاب التثليث " حيث ركزوا على فكرة إسدال الستار على الخلاف الجوهري بين الإسلام والنصرانية مثل ألوهية المسيح أو بنوته وصلبه والأقانيم الثلاثة الآب ، والإبن ، والروح القدس [1] ، ومعنى ذلك بوضوح أن نغير القرآن الكريم ، وسنة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ونعوذ بالله العلي العظيم أن نكون من الضالين (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) [2] .

وعندما نعود بالذاكرة إلى صدر الإسلام نجد سابقة لمثل هذا حدثت في عهد رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فقد جاءه وفد من نصارى نجران يجادلونه في شأن عيسى عليه السلام وكان ذلك بعد تحويل القبلة إلى المسجد الحرام وصادف أن جرى الحوار بحضور بعض الأحبار : ويذكر ابن هشام طرفا لما جرى من الحوار بقوله :

إجتمع أحبار من يهود ورهبان من نصارى نجران عند رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فلما دعاهم إلى الإسلام فقال رجل من النصارى كما قال رجل من اليهود " أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى " فقال رسول الله " صلى الله عليه وسلم " معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره فما بذلك بعثني الله ولا أمرني فأنزل الله تعالى في ذلك : (ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون . [3] ، [4]

---

(١) مجلة الأمة (العدد الثاني والثلاثون - السنة الثالثة) ص ٧٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٠ .

(٣) سورة آل عمران الآيتان ٧٩ ، ٨٠ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٤٥ باختصار .

فلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم لايبغون إلا الجدل دعاهم إلى المباهلة ، وخرج إليهم ومعه ابنته فاطمة وزوجها على وابناهما الحسن والحسين وطلب إليهم أنْ يأتوا بأبنائهم ونسائهم ، ثم يقفوا جميعا ويبتهلون إلى الله أن يجعل لعنته على الكاذبين من الفريقين فلما رأوا منه ذلك خافوا على أنفسهم أن تنزل نقمة الله فتستأصلهم ، لأنهم يعلمون أنَ محمدا على الحق وأنهم على الباطل ، وصالحوه على أن يدفعوا الجزية ، ويظلوا على دينهم .

وفى ذلك يقول الله تعالى : "(إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلاتكن من الممترين ، فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)" .(١)

ولم يتجاوز رسول الله صلى الله عليه وسلم حدود ما أمره الله عز وجل فى رده على أهل الكتاب : (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " .(٢)

لقد انعقد مؤتمر قرطبة الإسلامى - المسيحى الأول فى عام ١٩٧٤م ثم تلاه المؤتمر الثانى ، وبعده حدث انعقاد مؤتمر قرطبة العالمى الإسلامى المسيحى الثالث خلال عام ١٩٧٩م .

وقد وعد سكرتير عام " جمعية الصداقة الإسلاميه - المسيحية " د / ميجيل ايبالثا قبل انعقاد المؤتمر بأنه سيوجه الدعوة لشيخ الأزهر لحضور المؤتمر ، وطلب منه رسميا تقديم مايقترحه ويراه مفيدا ونافعا لدراسته أثناء انعقاد المؤتمر وقد رد عليه شيخ الأزهر المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود بخطاب هام محتواه :

١ - أن الإسلام منذ أن بدأ خالف الجو اليهودى والوثنى فى أمر عيسى عليه السلام وأعلن رسالته مباشرة مع تقديره واحترامه للمسيح وأمه .

٢ - أنه لكى يتم التفاهم بين المسلمين والمسيحيين لابد من الإعتراف بالدين الإسلامى وبرسوله محمد "صلى الله عليه وسلم" .

---

(١) سورة آل عمران الآيات من ٥٩ - ٦١ .

(٢) نفس السورة الآية ٦٤ .

٣ ـ المسيح عليه السلام أرسل لهدايه خراف بنى اسرائيل الضالة وقد ترك أتباعه خراف بنى اسرائيل تفتك بالإنسانية ، وأخذوا يعملون على تنصير المسلمين بكل قوة .

٤ ـ الأقليات الإسلامية فى الأقطار المسيحية مضطهدة دائما وينكل بها فى الغالب باسم المسيح والمسيحية ولا بد من وقف الاضطهاد والتنكيل ، حتى يكون هناك تفاهم .

٥ ـ المسلمون قاموا بواجبهم تجاه أتباع المسيح وقدموا كل مايدعوا للمحبة والتفاهم باحترامهم للمسيح وأمه وحسن معاملتهم لأتباعه كما أمرهم القرآن الكريم فماذا قدم المسيحيون ؟ [١]

فلابد من أساس يوضع قبل إجراء أى حوار ، والأساس واضح أوله توحيد اللـــه تعالى ، وثانيه الشهادة المؤمنة برسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

ثم كف الأذى الواقع على المسلمين من أتباع المسيح إن كانت هناك نية صادقة فى الوصول إلى حوار هادف بين الطرفين وإلا كان الحوار مجرد لطمة يوجهها الطرف القوى للآخر كما حدث فى مؤتمر قرطبة الثالث : فقد انتهت أعمال المؤتمر بالذهاب الى " كباريه " فى مدينة AGUILAR التى تبعد عن قرطبة سبعة كيلو مترات ـ لشرب الخمر والرقص ، وختمت أعمال لقاء دينى بين اتباع رسولين كريمين بمشاهدة الغجريات وهن يرقصن علـــى نغمات الأرغن ودقات الدف واحتساء الخمر [٢] ، ومحمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام بريئان كل البراءة من هذه الأعمال المشينة ، وبعد هذا العرض بات واضحا أن المؤتمرات الخاصة بالمستشرقين والمبشرين لها أهداف خاصة تحققها وسائل معينة وغايتها السيطرة المسيحيـــة الغربية على أنحاء العالم الاسلامى .

أما المؤتمرات التى يدعون إليها المسلمين للاشتراك معهم فيها تحت اسمـــاء وشعارات براقة " كالإخاء الدينى " " والتقارب بين المسيحيين والمسلمين " ، ومؤتمـــرات الأديان العالميه فإنها تهدف إلى إحكام هذه السيطرة والوصول إلى ذلك من أخصـــر الطرق وفى مأمن من المقاومة بل بواسطتها يجدون المعاونة من المسلمين الذين تـــم تنويمهم بهذه المؤتمرات. هذا وللتبشير ركائز يحاول بواسطتها تحقيق مهامة سأتعرض لهـــا بالبيـــان فى الباب التالـــى .

---

(١) رسالة إلى البابا بولس السادس صـ ٥٧ ـ ٦١ باختصـــار .
(٢) المرجع السابق صـ ٣١ بتصـــرف .

الباب الثانى

ركائز التبشير

ويحتوى هذا الباب على أربعة فصول :-

١ - الفصل الأول :-
المراكز التبشيرية فى العالم الإسلامى .

٢ - الفصل الثانى :-
الجماعات التبشيرية ودورها فى نشر المسيحية .

٣ - الفصل الثالث :-
البابوية ودورها فى التبشير وحماية المبشرين .

٤ - الفصل الرابع :-
مساندة الصهيونية للتبشير والتعاون اليهودى المسيحى ضد المسلمين .

الفصل الأول

المراكز التبشيريه فى العالم الإسلامى

سلك المبشرون طريقين بارزين فى صنع مراكز ثابتة لهم فى ديار الإسلام ، حتى يستطيعوا بواسطتها العمل على تنصير المسلمين إن تمكنوا من ذلك بأى وسيلة من الوسائل التى تحدثت عنها فيما سبق ، فإن لم يتمكنوا من كسب عدد من المسلمين إلى صفوفهم فلا أقل من العمل على إيقاعهم تحت تأثير التعاليم التبشيريه التى تهون من شأن الاسلام وتعاليمه ، وتحط من قدر أتباعه ، وتحقر من هيبة علمائه ، وتطعن فى القرآن الكريم ، ونبى الإسلام عليه الصلاة والسلام ، وتحور كل عمل قام به الصحابة الكرام " رضوان الله عليهم أجمعين " عن وجهتة السليمة بالإضافة إلى تشويه تاريخ الاسلام فى نظر المسلمين وغيرهم وهم يرون أن هذا العمل أهم بكثير من إدخالهم فى دينهم وما يعانيه المسلمون اليوم فى كل مجالات الحياه ، من صناعة ، وزراعة ، واقتصاد ، وطب ، وهندسة ، وتعليم ، وإعلام ، وقيادة ، وفكر ، مرده إلى التربية الاستشراقيه التبشيرية التى تمكن المبشرون من بثها فى المسلمين من خلال طريقين :

١ ــ إنشاء مؤسسات ثابتة فى بلاد الاسلام

وتقوم هذه المؤسسات وعلى رأسها الكنيسة ، بالدور المنوط بها ، وسواء اتخذت التعليم ستارا ، أو العلاج ، أو تعليم المهن والحرف ، أو خلاف ذلك ، فهى فى المقام الأول مراكز تبشيريه تحقق السياسة الغربية ، وعوامل مساعدة للحركة التغريبية وينبغى مراعاة أن كل مؤسسة فيها تتبع جمعية إرسالية خاصة ، تشرف عليها ، وتخضع لمركزها .

٢ ــ إنشاء مراكز خاصة لانتاج القسس والمبشرين ببلاد الاسلام

واتبعت هذه السياسة فى كل من إفريقيا وآسيا ، " وتدل التقارير الواردة عن النشاط التبشيرى الواسع فى أنحاء إفريقيا على أن أهم المخططات الجديدة البارزة فى هذا النشاط هى أولاً :

المبادرة إلى انتاج أكبر عدد من القسس والمبشرين السود .

ثانيا : توجيه عدد من الأكفاء الذين يعول عليهم من رجال اللاهوت إلى التخصص في العلوم المدنيه والسياسية كي يشرفوا على مؤسسات ذات ظاهر علماني لامداد الأفارقة في الشئون الادارية والاقتصاديه .

ثالثا : الترخص في بعض المسائل الدينية التي لاتناسب المزاج الإفريقي ، كتحريم تعدد الزوجات - مثلا - حيث صدرت التعليمات العليا المكتوبة بإباحة ذلك لمن يعتنق المسيحية في إفريقيا .(١)

وما يحدث في افريقيا يحدث مثله في آسيا ، وسأتحدث عن نموذج واحد لمراكز التبشير في كل من القارتين ، والغرض من الحديث الإشارة لهذا النمط ولفت انظار المسلمين حكاما ومحكومين لأخذ الحيطة والحذر ، فقد تتعدد المراكز ، وقد تنقل من موقع لموقع آخر لتؤدى دورها المرسوم بعيدة عن أعين الواعين من المسلمين ، وسأرجىء الحديث عن النموذج لمراكز التبشير في آسيا وأفريقيا بعد الكلام عن العنصر الأول وهو المؤسسات المنشأة في بلاد الاسلام وعلى رأسها الكنيسة .

الكنيسة مركز تبشيري

تقوم الخطة المسيحية على إنشاء مؤسسات ثابتة في بلاد الإسلام وعلى رأس هذه المنشآت وفي مقدمتها الكنيسة ، وسأفرد الحديث عنها دون بقية المؤسسات الأخرى نظرا لما أفضته من الكلام عنها أثناء حديثي عن وسائل المبشرين ، ولقد لقيت الكنائس في بلاد الإسلام كل تدعيم عن طريق المستعمرين يقول الدكتور عماد الدين خليل :

وقد بلغ من تعسف المستعمرين في إفريقيا أنهم كانوا يستعينون بأموال المسلمين للعمل على تنصير المسلمين فكانوا يأخذون أموال الأوقاف الإسلاميه ويتبرعون بها للكنائس .(٢)

كما تتلقى الكنائس الأموال بسخاء من الإرساليات والبعثات التبشيرية الوافدة من بلاد الغرب ، ولذا يسرع المسيحيون ببناء الكنائس في بلاد المسلمين فالكنيسة في نظرهم

---

(١) مأساتنا في إفريقيا " الحصار القاسي " عماد الدين خليل صـ ٧٩ ، ٨٠ ط(٢) طبع موسسة الرسالة - بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م ، المسلمون المجلد الثامن عدد (١) .

(٢) مأساتنا في إفريقيا صـ ٨٠ .

الشرارة الأولى التى ينطلق منها التبشير متوسعا فى الأماكن الجديدة وهم يقولون : إن هدف الإنجيل هو تغيير الخطاة إلى قديسين ، ثم جمع القديسين فى كنائس وحيث أن كل عضو فى كنيسة مدعو ليكون مرسلا أو شاهدا للمسيح ، إذًا فكل كنيسة هى جمعية مرسلين ، جمعية من أشخاص كل همهم ــ كجماعة ــ هو الشهادة بالإنجيل .(١)

وحين يفصح اتباع يسوع عن نيتهم ، وعن رغبتهم فى جعل الكنيسة جمعية إرسالية تبشر بتعاليم الأناجيل بين الناس ، ينبغى لنا أن نعى المقصود من بناء أى كنيسة فى أرض الاسلام .

فليس بخاف على أحد من المسلمين مايبغيه القوم من كثرة بناء الكنائس فى المواقع الجديدة والمنشآت العمرانية الحديثة ، بالرغم من قلة عددهم ، ومن خلو الكنائس من الرواد ، ومن المقيمين بشعائر المسيحية .

الفرق بين الكنيسة والمؤسسة :

فى مجال العمل التبشيرى لايوجد فرق بين الكنيسة والمؤسسات المسيحية الأخرى فكلها تعمل لنشر الأناجيل بين غير المسيحيين وجميعها فى محاولة دائبة لجذب النّاس لأفكار التبشير وأرى أن المؤسسات المسيحية التى تقدم الخدمات للجمهور بطريقة ملموسة كالتعليم ، والتطبيب ــ مثلا ــ تستطيع بتأثيرها فى النفوس الضعيفة والقلوب المريضة أن تمهد الطريق للكنيسة لتقوم من جانبها باتمام المهمة .

ويقول ا . هـ برود بنت/فى الفرق بينهما من ناحية الطريقة التى تسلكها كل منها : ويوجد أيضا فرق بين الكنيسة ، والمؤسسة مثل مستشفى أو مدرسة ، فهذه قد تكون ذات نفع لايقدر إذْ تعلن الإنجيل بصورة عملية وتحوز ثقة النّاس ، ولكن إذا أصبحت المستشفى أو المدرسة ــ الأجنبيه الأصل ــ هى المركز الذى تجتمع حوله الكنيسة والذى عليه تعتمد فإن مثل هذه الكنيسه لايمكن أن تتقدم على مثال العهد الجديد ، بل تظل ديانة أجنبية تعتمد على موارد من الخارج ، وقد تنشىء جهازا من (المبشرين الوطنيين) بمرتبات محددة مما يقوض الاعتماد على اللّه ويعطل النمو فى معرفته .(٢)

وهذه هى الحقيقة فإن مؤسسات التبشير فى بلاد الإسلام تنفذ مخططات مرسومة ليست فى صالح المسيحية ، ولا تمت إلى تعاليم المسيح عليه الصلاة والسلام بصلة

---

(١) الكنيسة المتغربة ا . هـ . برودبنت ترجمة : وليم وهبه صـ ٥١٤ ط ٢ مطبعة الحضارة العربية بالفجالة بالقاهرة ١٩٧٣م .

(٢) المرجع السابق صـ ٥١٥ .

وفى مقابل ذلك تتلقى الإمدادات المادية والمعنوية من الخارج ، ولاتلتفت إلى الكنيسة المحلية إلا على اعتبار أنها تؤدى نفس الدور فإن حادت الكنيسة عن ذلك ترفقا بتعاليم المسيح ، عن السقوط إلى هذه الدرجة قوبلت بالنقد والتجريح ، ونادرا ماتستقل الكنيسة بنفسها .

الفرق بين الكنيسة ومركز الإرسالية :

أى إرساليه أجنبيه سواء كانت أمريكية ، أو فرنسية ، أو هولندية ، حين توزع نشاطها فى بلد ما تتخذ لنفسها مركزا خاصا كنقطة تجمع لها تستقى منه الأوامر وتعتبره المهيمن على جماعات الارسالية والصرف لشئون الكنائس التابعة لمذهبه ويفرق المسيحيون بين الكنيسه ومركز الإرساليه بقولهم :

إن مركز الإرسالية بجمعية المرسلين الذى هو فرع منها - هو المركز الذى يجب أن يتجه إليه المواطنون - فى البلد الذى يوجد فيه - طلبا للإرشاد والمعونات .

أما الكنيسة فى الجانب الأخر - بمعنى الكلمة فى العهد الجديد ، فهى من لحظة تكوينها ، عندما يجتمع اثنان أو ثلاثة باسم يسوع على نفس الأساس مثل أقدم الكنائس رسوخا لها نفس المركز " المسيح " ونفس المبادىء مع الاختلاف فى المواهب كما أنها أنسب واسطة لنشر الإنجيل بين النّاس ، وإذا كان مركز الإرساليه عظيم النفع لكن يجب ألا يصبح هو المركز الذى تجتمع الكنيسة حوله ، لأنّ هذا المركز هو يسوع المسيح لاسواه . (١)

وهذا ماينبغى أن يكون ، من تحقيق على لوجهة النظر المسيحية التى ترى أن الكنيسة هى المصدر الأول ، وأنها المنبع المتصرف فى كل مايخص المسيحيين من شئون دينيه ، يستقى منها التعليمات فهى جهاز إرسال أو يجب أن تكون لكن الواقع المشاهد يكذب ذلك ، فالكنيسه تلتف فى الغالب حول الإرسالية وتأخذ من مركزها الارشادات ، وهذا مايحدث فى بلاد الاسلام مهما قيل من كلام يخالف حقيقة مانراه ونحسه .

وحتى نكون على بينة من أمر الكنائس المقامة بأرض المسلمين وأنشطتها يلزمنا أن نعرف أصلها وعلاقتها بالمجامع المسيحية .

---

(١) المرجع السابق بتصرف واختصار .

أصـل الكنـائـس

لفظة كنيسة لها أصل قديم ترجع إليه ، وقد أطلقت على معابد اليهود ، كما أطلقت فيما بعد على معابد النصارى .

فالكنيسة : لفظة يونانيه معناها اجتماع أناس كثيرين لغرض واحد في مكان واحد ثم أطلقت على المجتمعين وعلى المكان الذى يجتمعون فيه ، ولما كانت اللغة اليونانية لذلك العهد سائدة على سوريا وفلسطين ، أطلقت هذه اللفظة على معابد النصارى وصارت علما لها كما أطلقت على معابد اليهود أيضا غير هيكل سليمان المشهور الذى كان قائمًا لذلك العهد .(١)

ومايطلق عليه كنيسة بالمعنى المفهوم فى عالم اليوم ، لم يظهر بوضوح فى تعاليم المسيح عليه السلام ، ولم يدر بخلد حوارييه من بعده وذلك بشهادة مفكر مسيحى تعرض لهذا الموضوع قائلاً :

ثم إن " عيسى " عليه السلام كان يهوديًا خاضعا تمام الخضوع لشريعة بنى اسرائيل الدينية — وإن عارضها ظاهريا فى سبيل توسيع مداركها فعليا حسب ماظن أنه روحها الحقه لهذا كله لابد لنا من الايقان بأنه لم يكن ليعمل فكره لحظة واحدة فى رسم خطوط مانسميه بـ " الكنيسة " وإذا ماقلنا ان المسيح صرح للحواريين الاثنى عشر بسلطة ما — وهذا محل جدل حتى اليوم — فمما لاشك فيه أن الأمر لم يتعد منحهم بعض ما أوتى من سلطان فى التبشير بالتوبة وبحلول مملكة الله ، ولم يصنع منهم " قساوسة " حيث لم يكن فى حاجة إلى ذلك وعلى أى حال فإننا عندما ندرس ماقام به هؤلاء الحواريون من أعمال لانجد أنهم فكروا فى إنشاء الكنيسة ، إذ ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودى وداوموا بكل دقة على شعائره مؤمنين أيضا بأن المستقبل لمملكة الله ، وليس لكنيسة ما .(٢)

فلم يكن هناك تخطيط لمنظمة خاصة يطلق عليها الكنيسة فى حياة " المسيح " عليه السلام ، ولم يوجد للنصارى كنيسة بالمعنى المفهوم فى أول الأمر وإنما كانوا يستترون بعبادتهم خشية اعتداءات اليهود مما جعل مؤلفا مسيحيا يصفهم بالماسونيين فى التكتم بعبادتهم بقوله : ولذلك جعلوا يتسترون فى عباداتهم ويشيدون كنائسهم

(١) تاريخ نشأة المسيحية وطائفة الروم الكاثوليك صـ ٧ بتصرف يسير .
(٢) المسيحية نشأتها وتطورها صـ ١٦٦ ، ١٦٧ .

فى الدياميس والمغر وكانوا يعرفون بعضهم بعضا بإشارات ورموز كرسم صورة السمكة أو اعطاء اشارة الصليب على الوجه وغير ذلك وعلى هذا كان المسيحيون يتسترهم كالماسونيين اليوم .(١)

ويفهم من هذا الكلام أنهم اتخذوا من المغارات مكانا يجتمعون فيه خفية ،واعتبروه كنيسا لهم ، ولم تبن لهم كنائس خاصة بالعبادة الا بعد انتشار المسيحية ،وخروجها من الدائرة اليهودية .

فلم يؤسس " المسيح " ولا حواريوه من بعده كنيسة بالمعنى المفهوم اليوم وما ورد من أن " المسيح " عليه السلام قال : " لبطرس" : " وأنا أقول لك أيضا انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها " .(٢)

فإن التعبير المذكور لم يقل إلا فى حالة واحدة ،وقد شك فى وقوعه كثير من أصحاب الفكر المسيحى ومنهم " شارل جنيبير " الذى أنكر الاعتماد على صحته فى أى حال من الأحوال .(٣)

ويمكن اعتبار هذا النص اليتيم فى الأناجيل الأربعة من التلفيقات التى حدثت فى الأناجيل ، وحديث " بولس" عن كنيسه اللّه (٤) لم يقصد بها جماعة منظمة تعبد اللّه تعالى فى مكان بعينه ، وإنّما كان يقصد بها لم شتات الشعب الذى يعيش فى فوضى عارمة كما قيل :

ففى الوقت الذى يتحدث فيه " بولس" عن كنيسة اللّه تدل رسائله إلى أهل كورينثيا أنهم كانوا يعيشون فى فوضى داخلية فقد تركوا زمام أمورهم إلى توجيهات الملهمين التى لاتسلك خطا تنظيميا محددًا معروفًا .(٥)

ولو كان " بولس" يريد الكنيسه مكانًا خاصًا بالعبادة فإنه صاحب فكرة نقل المسيحية إلى الدائرة العالمية وفى سبيل نجاح فكرته لايمانع فى اقتباس مايراه محققا لها ،وَرَدَ على

---

(١) تاريخ نشأة المسيحية وطائفة الروم الكاثوليك صـ ٩ .
(٢) الكتاب المقدس مت (١٦ : ١٨) صـ ٣٠ جـ .
(٣) يراجع المسيحية نشأتها وتطورها صـ ١٦٧ .
(٤) (إلى كنيسة اللّه التى فى كورنثوس ...) (رسالة " بولس" الأولى إلى كورنثوس ١ ـ من الفقرة ٢) .
(٥) المسيحية نشأتها وتطورها صـ ١٦٩ .

لسان المسيح أو لم يرد ، حدث فى عهده ، أم لا ، وما يقال عن الكنائس الحوارية ، لا يفهم منه أنهم المؤسسون لها وإنما يدل على أنها نسبت إليهم ومما يدل على ذلك أن المسيحيين أطلقوا على الكنائس أسماء العصور المختلفة حسب مرادهم ، ولم يكن للرسل ـ كما يسمونهم ـ ولكننا نعرض تقسيماتهم لعهد و الكنيسة من وجهة نظرهم فى الآتى :

عهد كنيسة الرسل من عام ٣٠م الى ١٠٠ م
عهد كنيسة الاستشهاد من عام ١٠٠م ـ ٣١٣م
عهد كنيسة الدولة من عام ٣١٣م ـ ٤٧٦ م
عهد كنيسة القرون الوسطى من عام ٤٧٦م ـ ١٥٤٣م
عهد كنيسة المصلحة من عام ١٥٤٣م ـ ١٧٠٠م
عهد الكنيسة الحديثة من عام ١٧٠٠م ـ ١٩٤٨م
عهد الكنيسة المسكونية من عام ١٩٤٨م .

الترتيبات الكنسية

لم يكن هناك فى بدء الأمر تقسيم كنسى لأقاليم النصارى ، أو تنظيم معين لرجال الكنيسة ، فكان بعضهم ينادى البعض الآخر بلفظ أخ ، وأخت ، وحين أرادوا عمل ترتيب وظائفى لجماعتهم اقتبسوه من النظام الوثنى واليهودى وتأثروا بهما كما يقول شارل جينيبير :

" ومن المرجح أن كلا التأثيرين ، تأثير الجماعات الوثنية وتأثير النظم اليهودية وقعا عليهم فى آن واحد ، مع ترجيح اتجاه احدهما على الآخر حسب ظروف الزمان والمكان ، وقد فرضت الضرورات أنواع الوظائف ، وسمى الموظفون بأسماء أخذت عن اللغة الشائعة مثل :

" بريسبيتيروس " أى : شيخ .
و " ايسكوبوس " أى : مشرف .
و " دياكونوس " أى : خادم .

وقد تطورت معانى هذه الكلمات فيما بعد إلى : قس ، وأسقف ، وشماس[1] وهذه الألفاظ المقتبسة من الشعوب الأخرى جعلت ألقابا لرجال الدين المسيحى لتنظيم العمل

---

(١) المرجع السابق صـ ١٧٢ .

فيما بينهم .

فالأساقفة جمع كلمة أسقف : وهى لفظة يونانية معناها ناظر وفاحص وأرادوا بها أن الحاصل على رتبة أسقف تناط به النظارة على أحوال الكنيسة التى هو رئيسها .

والقسوس جمع قس : وهى لفظة عربية على مايظهر لأن معناها العربى صاحب الإبل الذى لايفارقها ووظيفته فى الكنيسة مساعدة الأسقف وتعليم المؤمنين وإقامة الأسرار .

والشمامسة جمع شماس : وهى لفظة عبرانية يطلقها الاسرائيليون على خَدَمة الهيكل أما المسيحيون فأطلقوها على المرشحين للكهنوت والمبتدئين [1] . وبعد أن تنفس المسيحيون الصعداء وبدأت ملتهم فى الإنتشار منذ القرن الرابع الميلادى ، أدخلوا التنظيمات على الأقطار التابعة لهم أو التى توجد بها كنائس مسيحية .

فقسموا الأقاليم ، وجعلوا لكل إقليم رئيسا دعوه " بطريرك " ومعناها أبو العائلة أو رئيس العشيرة واللفظة يونانية ، وأطلقت أولاً على أسقف أنطاكية ثم صارت لقبا لأساقفة القسطنطينية وأورشليم فالاسكندرية ، وهى وظيفة ادارية محضة بدليل أنهم أبقوا لصاحبها لقب أسقف فيقال للبطريرك القسطنطينى أسقف القسطنطينية ، و " للبابا " أسقف روما .

ولا ميزة بين البطاركة والأساقفة فى الكهنوت ، والميزة بينهم فى الإدارة فالبطريرك رئيس والأسقف مرؤوس .

وكانت البطريركية تدير مباشرة مركزها وتناظر الأساقفة القريبين منها ، وأقامت رئاسات لما بعد عنها من الأبرشيات دعتها اكسرخسيه أو "ميتروبولينيه" أو رئاسة أساقفه يناظر الأساقفة المنضمين إلى أبرشيته ، فهم مرؤسون منه وهو مرؤوس من البطريرك .

ومعنى اكسرخس البادى فى العمل أو القائد ; وهى لفظة يونانيه واتخذتها الكنيسة بمعنى (المأمور الروحى الممتاز) وأطلقتها على أساقفة عواصم الولايات وأعطته حق الإشراف على من فى ولايته من متروبولينين ورؤساء أساقفة ، وأساقفة .

ثم مع الأيام جعل البطاركه يمطون هذا الاسم كلقب شرف من غير أن يكون لصاحبه حق الرئاسة على غيره وفى يومنا هذا يلقب البطريرك بها من ينيط به النظر فى

---

(١) تاريخ نشأة المسيحية وطائفة الروم الكاثوليك صـ ١٠ ، ١١ .

قضايا الإكليروس ، والشعب بصرف النظر عن درجته الكهنوتيه فيجوز أن يكون أسقفـــا أو ارشيمندريتا أو قسا أو شماسا .

أما ميتروبوليت : فهى لفظة يونانية ومعناها رئيس مدينة الأم أى العاصمة وأطلقوها فى الأصل على اساقفة العواصم ثم جعلوها علما لكل اسقف يرجع بابروشيته إلى البطريـرك رأسا وقد تمسك الأساقفة بلفظة رؤساء أساقفة أو " متروبوليتين " بدلا من اكسرخسى الـتى تطلق على المندوب البطريركى بصرف النظر عن درجته الكهنوتيه .(١)

التنظيم الكنسى الداخلى :

كما نظم المسيحيون كنيستهم إقليميا ، نظموها داخليا فأعطوا رتبا للعاملـين بالكنيسة ، وهذه الرتب وإن وضعت للترتيب الكنسى من الداخل إلا أن لها أثرهـــا خارج نطاق الكنيسة من ناحية القيادة والتقدم فى المنزلة والمكانة فى الاجتماعات وارتـداء زى معين فقد جعل المسيحيون مراتب متفاوته لخدمة الدين لم تكن فى الأصل . كـان أدناها مبتدئ ، وبعده راهب ، فشماس رسائلى يعطى حق تلاوة الرسائل فى الكنيسـة فشماس إنجيلى يقرأ الإنجيل فيها فرئيس شمامسه ، وهذا عادة يقوم بخدمة البطريـرك الذى يكون عنده شمامسه كثيرون ، فقس ، فخورى أسقفى ، فأرشيمندريت ، والأربعـة واحد فى الرتبة الكنسية بوظيفة كاهن .

غير أن الأرشيمندريت فى الأصل يطلق على رئيس الدير وفى الأديرة له الحـق يلبس المتيه ، واللاتيه ، والصليب ، وسك العكاز ، والوقوف فى الكرسى الأسقفـى وقت الصلاة والخورى أسقفى اعتاضوا به عن الأسقف فى الكنائس الصغيرة ثم جعلـت الكنيسة تعطى لقب أرشيمندريت للمتوحدين من كهنتها المتفوقين بالعلم أو حسن الإدارة وهؤلاء فى غير الأديرة ينحصر حقهم بالتقدم على الكهنة ولبس اللاتيه والصليب فقط وهناك رتبة أخرى باسم " ايكونوموس " واللفظة يونانية معناها المنتدب أو النائب ، وجرت عادة الكنيسة إعطاء هذا اللقب لأى من الكهنة وصاحبها يكون متقدما فى الجلسة علـى أقرانه ويلبس اللاتية والصليب كالأرشيمندريت .(٢)

---

(١) المرجع السابق صـ ١٢ ، ١٣ بتصرف .
(٢) المرجع السابق صـ ١٣ ، ١٤ .

وللكنيسة الأرثوذكسيه نظام اكليروس يبدأ من البطريرك ويليه فى الرتبة المطارنــــة[1] ثم الأساقفة ، ثم القماصة وهم قسس ممتازون يليهم القسس العاديون .

وكل هؤلاء يقومون بالتبشير ونشر المسيحية بدون كلل أو ملل كما يقومون بالخدمـــة فى الكنيسة كل حسب درجته وما نيط به من عمل .

بين المجامع والكنائس

للمجامع أثرها فى انقسام الكنائس وتعددها ، وسنوجز الحديث عن المجامع ذات الأثر الملموس فى هذا الشأن ومنها .

مجمع نيقيـــة

فقد عقد الإمبراطور الرومانى " قسطنطين " هذا المجمع المسكونى فى مدينـــة نيقية تحت قيادته سنة ٣٢٥م ، وذلك للقضاء على تعاليم " آريوس " التى وضعت " المسيــح " عليه السلام فى مصاف البشر وقرر هذا المجمع ألوهية المسيح ، كما تم فيه ترتيب الكنائس من حيث المكانة على النحو الآتى :

روما ، الاسكندريه ، انطاكيه ، أما اسقفية أورشليم التى كانت واقعـــة تحت اشراف أبروشية قيساريه ، فيأتى ترتيبها بعد هذه الكنائس الثلاث سالفة الذكر[2]

وفى تلك الحين لم تفتح مدينة القسطنطينية كمقر للدولة الرومانيه فلم يرد ذكرها .

المجمع المسكونى الثانى

أما المجمع المسكونى الثانى :ـ

فقد انعقد فى عهد الامبراطور " ثيودوسيوس " الكبير بمدينة القسطنطينيه عام ٣٨١م وذلك لمناقشة " مقدونيوس " الذى جاهر بأن الروح القدس ليس بإله ولكنه مخلوق ، ومــن أجل هذه المقاله عرف " مقدونيوس " وأتباعه باسم " أعداء الروح القدس " وكانت هـذه

(١) المطارنة : مفردها مطران والكلمة يونانية مأخوذة من كلمة " متروبوليت " ومعناهـــا المدينة الأم ، والمطران : هو أسقف المدينة الأم ، والمتقدم على الأساقفه فـى المجامع (يراجع : المجامع المسيحية وأثرها فى مذاهب الكنيسة وعقائدها دكتــور / محمد رجب داود الشتيوى " رسالة مخطوطة بكلية أصول الدين " ص٤٦١ عام ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .

(٢) الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة فى " مدينة الله " صـ ٨٣ .

النظرية تهدد أقنوما من الأقانيم الثلاثة ـ هو الروح القدس ـ بنفس القدر الـــذى هددت به " الأريوسية " نظرية التثليث .

ولذلك جدد الأباء المؤتمرون فى مجمع القسطنطينيه قانون الإيمان النيقـــاوى وأكدوا ألوهية الروح القدس " الرب المحى المنبثق من الآب المسجود له مع الآب والإبن الذى نطق به الرسل الأطهار . [١]

وكما تنازع القوم فى التثليث ، اختلفوا فى طبيعة المسيح عليه السلام ولا يزالـــون مختلفـين ، وأراد القوم رأب الصدع الناتج عن قـــرار التثليث بالقضاء على الموحديـن فاتسع الخرق وظهر مالم يكن فى الحسبان وجاء المجمع التالى ليزيد هوة الشقاق .

مجمع أفسس الأول سـنة ٤٣١م

وسبب انعقاده مقالة " نسطور " الذى أعلن أن المسيح " لم يكن إلها فى حـــد ذاته ، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة أو هو ملهم من الله ، فلم يرتكب خطيئة وما أتى أمرا اذا " [٢] .

وقد حضر المجمع مائتان من الأساقفة وقرروا مانصه : " أن مريم العذراء والـــدة الله ، وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين ، متوحد فى الأقنوم " . [٣]

ولم يعترف " نسطور " بقرار المجمع فنفى إلى مصر ، ووجدت النسطورية أرضـــا خصبة فى المشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة العربية وتوالت الأحداث بعـــد " مجمع أفسس الأول " ولم تأت برصيد للكنيسة المسيحية ، فكان رئيس المثلين للاهـوت السكندرى فى القسطنطينيه راهبا مسنا يدعى " يوتيخس " الذى لما سئل عن رأيـــه فى طبيعة المسيح قال : أقر أنه توجد طبيعتان فى ربنا قبل الاتحاد ، ولكن بعـــد الاتحاد طبيعة واحدة فقط ، واستخدم " يوتيخس " شرحًا لتوضيح مايعنى فقال : " إن إنسانية المسيح اندمجت فى ألوهيته كقطرة من الخل تبتلع فى المحيط " .

---

(١) يراجع المرجع السابق صـ ٨٤ .
(٢) محاضرات فى النصرانيه صـ ١٥٤ .
(٣) المرجع السابق صـ ١٥٥ .

وبمعنى آخر اختفت الإنسانية تماما ، وعرف الذين يتمسكون بهذا الرأى بالموحدين .[١]

وملخص هذا الرأى أن للمسيح طبيعه واحدةً اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت وهذا ما أعلنته كنيسة الإسكندريه ، ودان " فلا فيوس " رئيس الكنيسه فى القسطنطينيه " يوتيخس " الذى استأنف إلى " ديسقورس "[*] فى الاسكندريه الذى اهتم بالأمر بنفسه وعقد مجمعا فى أفسس عام ٤٤٩م ، وبسبب طبيعة الإجراءات فى هذا المجمع سمى فيما بعد " مجمع اللصوص " ، وبعد عودة " يوتيخس " عزل الأعضاء " فلا فيوس " ، وعاملوه معاملة سيئة حتى مات من الإصابات التى لحقت به .[٢]

ونتيجة لما حدث فى مجمع أفسس الثانى أمر " مارسيون " الإمبراطور الرومانى بعقد مجمع الكنيسة الرابع الكبير فى سنة ٤٥١م .

مجمع خلقيدونيهَ عام ٤٥١ م

اجتمع فى خلقيدونيهَ - بآسيا الصغرى عند مدخل البحر الأسود - مقابل بيزنطة أعضاء المجمع وكان معظم الحاضرين من قادة الكنيسة الشرقيه ، وإن كان " ليو الأول " رئيس الكنيسة فى " روما " قد أرسل مندوبين ، وحكم " مجمع خلقيدونيه " على " يوتيخس " بسبب تعاليمه وعلى " ديسقورس " بسبب معاملته " لفلافيوس "[٣] ، وذلك باللعن والنفى وكانت مهمة المجتمعين التوفيق بين الرأيين المتباعدين رأى " نسطور " ورأى الموحدين وأتى المجتمعون بأعمال مشينة من صراخ وسب ، وقذف ، وضرب ، ولكم .

" وسارت المناقشة بعد ذلك فى جو عنيف متعصب وانتهى المجمع إلى أن قرر أن المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة وأن الألوهية طبيعة وحدها ، والناسوت طبيعة وحده التقتا فى المسيح .[٤]

وانقسم أصحاب التثليث ، انقساما حادا ظل أثره على مدى الأجيال وبالتالى اختلفت الكنائس فى اعتقادها وطقوسها ، وطوائفها إلى يومنا الحاضر .

---

(١) نشأة الطوائف المسيحية صـ ٤٩ .
(*) " ديسقورس " بطريرك الاسكندريه .
(٢) نشأة الطوائف المسيحية صـ ٤٩ .
(٣) المرجع السابق صـ ٥٠ بتصرف .
(٤) محاضرات فى النصرانية صـ ١٥٧ .

يقول المرحوم الأستاذ / محمد أبو زهره :
فهذا المجمع يرى أن المسيح له طبيعتان أحدهما انسانية يشارك فيها الناس ، والأخرى لاهوتيه ، وأقنوم الابن مكون من الطبيعتين ، وهو بذلك يخالف النسطوريين لأنهم يقولون : إن اقنوم الابن لم يكن من العنصرين ، بل من العنصر الإنسانى وحده ، ويخالف قرار أفسس الثانى الذى يقول ان المسيح طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتى من الروح القدس ومن مريم العذراء ، مصيرًا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الإختلاط والاستحالة بريئة من الانفصال وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة .[1]

وتوصل أعضاء المجمع بمشقة بالغة إلى وضع التعريف الخلقيدونى وهو : المسيح كامل فى لاهوته ، وكامل فى ناسوته ولأجل خلاصنا ، ولد من العذراء مريم ، حامل اللّه ومتماس بالإنسانية ، ويعرف فى طبيعتين بدون اختلاط ، وبدون تغيير ، وبدون انقسام وبدون انفصال .[2]

ولم يُعد هذا التعريف الذى لايقبله عقل سليم الوحدة للكنيسة وإنما ضاعف المجادلات العقائدية داخلها وخارجها ، وزاد انقسامها حدة وعنفا ، وحول اختلافها إلى تنازع وأبرز مذهبين من مذاهب الكنيسة :

١ ـ مذهب الطبيعة الواحدة :

وأتباعه يعتقدون أن للمسيح طبيعة إلهية ، ويتبعه ثلاث كنائس أرثوذكسية :

أ ـ الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر والحبشة ، وتسمى الأرثوذكسية المرقسيه نسبة إلى " مرقس " صاحب الإنجيل .

ب ـ الكنيسة الأرثوذكسية السريانيه : ويرأسها بطريرك السريان ويتبعها كثير من مسيحى آسيا .

جـ ـ الكنيسة الأرثوذكسيه الأرمنية : ومع أن الأرمن يتفقون مع الكنيستين السابقتين فى القول بالطبيعة الواحدة للمسيح فإنهم يختلفون عنهما فى بعض التقاليد والطقوس ولا يندمجون مع الكنيسة السريانيةَ ولا مع الكنيسة المصرية ولقد تحدث القس صموئيل مشرقى

---

(١) المرجع السابق صـ ١٥٨ .
(٢) نشأة الطوائف المسيحية صـ ٥٠ .

عن ظهور الأرثوذكسيه أثناء كلامه عن بدء انقسام الكنائس فقال :

ظهرت " الأرثوذكسيه " نتيجة المشاحنات التى أثارتها المجامع المسكونية خلال القرنين الرابع والخامس حول معضلة التجسد ومحاولة تفسير كيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح وكان ذلك من أول المسائل التى واجهت الكنيسة فى صدر المسيحية ولقد ظهر فى أعقاب ذلك لفظة " الأرثوذكسية " وهى لفظة تعنى " استقامة الرأى " وتعتبر وصفا أطلق على كل من وقف عند حدود ما أقرته تلك المجامع وبين اتباع الهرطقات الخارجين على قوانين إيمانها ، وقد شملت الأرثوذكسية الكنائس الشرقية وقد عرفت فى التاريخ ولاتزال بأسماء لغاتها وأوطانها فدعيت سريانية فى سورية ، وقبطية فى مصر ، وأرمنيةً فى " آرمينيا " ونسطورية فى العراق (نسبة لنسطور) ومارونيةً فى لبنان (نسبة لمارون ـ وهذه انتسبت " لروما " فيما بعد نتيجة المجمع الخلقيدونى) واعتنقت الشعوب السلافيه (روسيا والبلقان) الأرثوذكسيه فى القرنين التاسع والعاشر .[١]

٢ ـ مذهب الطبيعتين :

وتبع هذا المذهب القائل بطبيعتين للمسيح ، طبيعة إلهية ، وطبيعة انسانية بمعنى اجتماع اللاهوت بالناسوت ، جميع الكنائس التى تنطوى تحت الكاثوليكيه ، وقد ظهرت الكاثوليكية فى البداية نتيجة اختلاف فى العقيدة المسيحية أثناء بحثها فى المجامع المسكونية فخالفت كنيسة " روما " الكنائس الشرقية فيما يختص بتحديدها ومع ازدياد امتداد روما نفوذا باعطائه لقب " بابا " ونقل السلطة الزمنية من " روما " إلى القسطنطينيه مما أتاح للبابا بسط سلطانه على البلدان الأوربية ، والجمع بين السلطتين الدينية والزمنية وهكذا ظهرت " الكاثوليكية " وهى لفظة تعنى الجامعة " .[٢]

ويعتبر المجمع الخلقيدونى المنعقد عام ٤٥١م نقطة تحول فى تاريخ الكنيسة تم بواسطته أول انفصال عقائدى حول طبيعة المسيح ونظم الكنائس الرئيسية : كنيسة روما القديمة الأولى ، وكنيسة روما الجديدة (بيزنطة) الثانيةً ، وكنيسة الاسكندرية الثالثة وانطاكية الرابعة ، وأورشليم الخامسة ، وأوجد الترتيب المذكور نوع من التنافس والصراع أدى إلى الرغبة فى التحكم والاستعلاء .

ولم ينته الأمر عند اختلافهم فى طبيعة المسيح وإنّما وصل الحال إلى اختلاف القائلين " بالطبيعتين " " فقد ظهر فى القرن السابع الميلادى سنة ٦٦٧م " يوحنا مارون "

---

(١) أضواء على تاريخ الكنيسة (سلسلة مجمع الله الخمسينى ـ مجموعة التعليم الأساسيه) القس صموئيل مشرقى صـ ١٤ (صدر بشبرا مصر ، بدون ذكر للطبعة والمطبعه وبدون تاريخ) .

(٢) المرجع السابق صـ ١٤ ، ١٥ .

معلناً أن المسيح مع أنه ذو طبيعتين له مشيئة واحدة وارادة واحدة ، وهى المشيئة الإلهية والارادة الإلهية لإلتقاء الطبيعتين فى أقنوم واحد إلهى وهو الابن أو الكلمة وشايعه فى هذا الرأى بعض مسيحى آسيا .

ولم ترق هذه المقالة فى نظر بابوات " روما " ورؤساء الكنيسة الكاثوليكية فأوعزوا إلى الإمبراطور أن يجمع مجمعا للرد على " يوحنا مارون " ووافقهم الإمبراطور ، وتم عقد مجمع القسطنطينيه السادس سنة ٦٨٠م وكان مؤلفا من ٢٨٩ أسقفا وانتهى كالعادة إلى إصدار قرار بكفر " يوحنا مارون " ولعنة وطرده وكفر كل من يقول بالمشيئة الواحدة وقرر " إيمانهم بأن الواحد من الثالوث الابن الوحيد هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الآب الإله فى أقنوم واحد ووجه واحد ، يعرف تاما بناسوته تاما بلاهوته فى الجوهر الذى هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين وفعلين ومشيئتين فى أقنوم واحد ، فهو مايشبه الإنسان أن يعمله فى طبيعته وما يشبه الإله أن يعمله فى طبيعته ، وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها بمشيئتين غير متضادتين " .

وقد نزلت بعد ذلك بأصحاب المذهب المارونى القائل بالمشيئة الواحدة اضطهادات شديدة ، وأخذوا يفرون بدينهم من بلد إلى بلد حتى انتهى بهم المطاف إلى جبل لبنان ، واشتهروا بلقب " المارون " وظلوا مستقلين فى شئونهم الدينية إلى أن قربتهم إليها كنيسة روما فأعلنوا فى سنة ١١٨٢م الطاعة لها مع بقائهم على مذهبهم القائل بالمشيئة الواحدة .(1)

ثم توالت المجامع بعد ذلك ، ومنها ماعقد فى القسطنطينيه وعرف باسم " المجمع الغربى اللاتينى " سنة ٨٦٩م وتصدر قراراته : انبثاق الروح القدس من الآب والابن معا .

بينما كان بطريرك القسطنطينيه على رأس المنادين بأن روح القدس منبثق من الآب وحده ، وقد عقد بدوره مجمعًا آخر فى القسطنطينية سنة ٨٧٩م وأصدر هذا المجمع قرارًا بأن روح القدس منبثق من الآب وحده واشتهر هذا المجمع باسم " المجمع الشرقى اليونانى " يقول الدكتور / على عبد الواحد وافى : وكان ذلك سببا فى انقسام الكنائس القائله بالطبيعتين والمشيئتين إلى كنيستين رئيسيتين :
إحداهما : الكنيسة الشرقية اليونانية ويقال لها كذلك الكنيسة الشرقية فقط وكنيسة الروم الأرثوذكسية ، وهى التى يذهب أتباعها إلى أن روح القدس منبثق عن الآب وحده

---
(1) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام صـ ١١٧ بتصرف .

والمشايعون لها أكثرهم فى الشرق ، ببلاد اليونان ، وتركيا ، وروسيا والصرب وغيرها ولهم بطاركة أربعة :
أولهم بطريرك القسطنطينية وهو كبيرهم ، ويليه بطريرك الاسكندرية للروم الأرثوذكس ثم بطريرك انطاكية ثم بطريك أورشليم .

وثانيهما : الكنيسة الغربية اللاتينيه وهى التى تذهب إلى أن روح القدس منبثق عن الآب والابن معا ، ويقال لها الكنيسة الغربية فقط ، وكنيسة روما ، والكنيسة الكاثوليكيه وقد تسمى كذلك الكنيسة البطرسيه أو كنيسة بطرس لأن مشايعيها يعتقدون أن مؤسسها هو الرسول " بطرس " كبير الحواريين وأن بابواتها خلفاؤه من بعده " ورئيسها فى الوقت نفسه " رئيس دولة الفاتيكان " .

والمشايعون لهذه الكنيسة أكثرهم فى الغرب فى بلاد إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وأسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية وبلاد أخرى كثيرة .(١)

وظل الحال على هذا الانقسام حتى جاء " مجمع اللاتران الرابع " الثانى عشر المسكونى سنة ١٢١٥م وفيه تقرر أن الكنيسة البابوية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء .

وكان هذا القرار سببا من الأسباب المباشرة لحدوث الانشقاق الكبير فى الكنيسة الغربية فقد ظهر بعد المجمع الثانى عشر المسكونى مايسمى بحركات الاصلاح .

وجاء القرن السادس معلنًا بظهور الكنيسة البروتستانتيه المنشقة على الكنيسة الغربية ، فقد برزت نحلة جديدة أطلق على معتنقيها اسم " البروتستانت " أى المحتجين أو المعترضين ، وسبب ظهورها تغشى مظاهر الفساد فى الكنيسة من إطلاق الهرطقة على كل مخالف لرأى الكنيسة ، ومن فرض الإتاوات التى لاتقف عند حد على التابعين لها ، ومن تحريم زواج القسس والرهبان والراهبات ، مما أدى إلى انتشار الفسوق والزنا ومن الزعم بتحول (الخبز والخمر) المستعملان فى العشاء الربانى إلى أجزاء من جسم المسيح ودمه ثم " بيع صكوك الغفران " جهارًا ليلاً ونهارًا ، وقصر تفسير الإنجيل على رجال الدين حتى ثار مارتن لوثر (١٤٨٣م - ١٥٤٦م) وعلق احتجاجه على باب الكنيسة(*) وفى هذا الاحتجاج حملة جريئة على بيع البابوية " لصكوك الغفران "

---

(١) المرجع السابق ص ١١٨ باختصار .
(*) بداية عصر الإصلاح يوم ٣١ اكتوبر عام ١٥١٧م حين ذهب مارتن لوثر إلى كنيسة " وتنبرج " وعلق على بابها الخشبى بنود احتجاجه المكونة من خمس وتسعين فقرة وخاصة مايتعلق ببيع صكوك الغفران ، (أضواء على تاريخ الكنيسة ص ١٦ بتصرف) .

ولم تكن البابوية المحبة للمال ، والكانزة للذهب والفضة أن تتنازل عن هذا المصدر فاستبدلت بدعة الصكوك ببدعة أخرى سمتها المطهر والتى يقول فى شأنها كاتب مسيحى :

إنها لم تولد فى احضان كنيسة الفاتيكان إلا بعد أن فضح " مارتن لوثر " بدعة الغفرانات ، فاشترى جهنم من " بابا " روما وأعلن لمن كانوا يشترون الغفرانات من الفاتيكان ، أن لايشتروها بعد لأنه ابتاع جهنم وأنه يعدهم بأنه لن يدخل أى واحد جهنم فلما أسقط فى يد الفاتيكان ابتدعوا بعد القرن السادس عشر بدعة المطهر وزينوا لشعوبهم أن يسعفوا موتاهم بما تتيحه لهم الكنيسة الكاثوليكية من اسعافات تقصر فترة النيران المطهرية وهذا تعوض مافقدته بفقدان الغفرانات .[1]

وأراد " لوثر " أن يتحرر من ظلم الكنيسة الفاتيكانيه فأنشأ الكنيسة البروتستانتيه وقد امتدت هذه الكنيسة فى بلاد الغرب إلى أقطار شمال " أوربا " ووصلت إلى أمريكا ، وتولدت منها " الكنيسة المشيخية بأمريكا ، وهى التى أسست " الكنيسة المشيخية " فى مصر وتعرف حاليا باسم " الكنيسة الإنجيلية "[2] ، وللكنيسة المشيخية نشاط واضح فى التبشير فى جميع البلدان الشرقية وإرسالياتها شيدت العديد من المؤسسات والكنائس بآسيا وإفريقيا يقول ابراهيم خليل أحمد : وللكنيسة المشيخية بالولايات المتحدة الأمريكية عديد من الإرساليات منها :

الإرسالية الأمريكيه إلى مصر والسودان .

الإرسالية الأمريكية إلى اليابان .

الإرسالية الأمريكية إلى الهند .

الإرسالية الأمريكية إلى سوريا .

الإرسالية الأمريكية إلى العراق .

الإرسالية الأمريكية إلى شمال أفريقيا " تونس وليبيا ومراكش " .

الإرسالية الأمريكية إلى الفلبين .

الإرسالية الأمريكية إلى إندونيسيا .

الإرسالية الأمريكية إلى ايران .

ولقد نجحت هذه الإرساليات فى تأسيس كنائس بروتستانتية منافسة للكنائس الوطنية إذ أوجدت لتكون مراكز عمل وتنفيذ خطة على أعلى المستويات .[3]

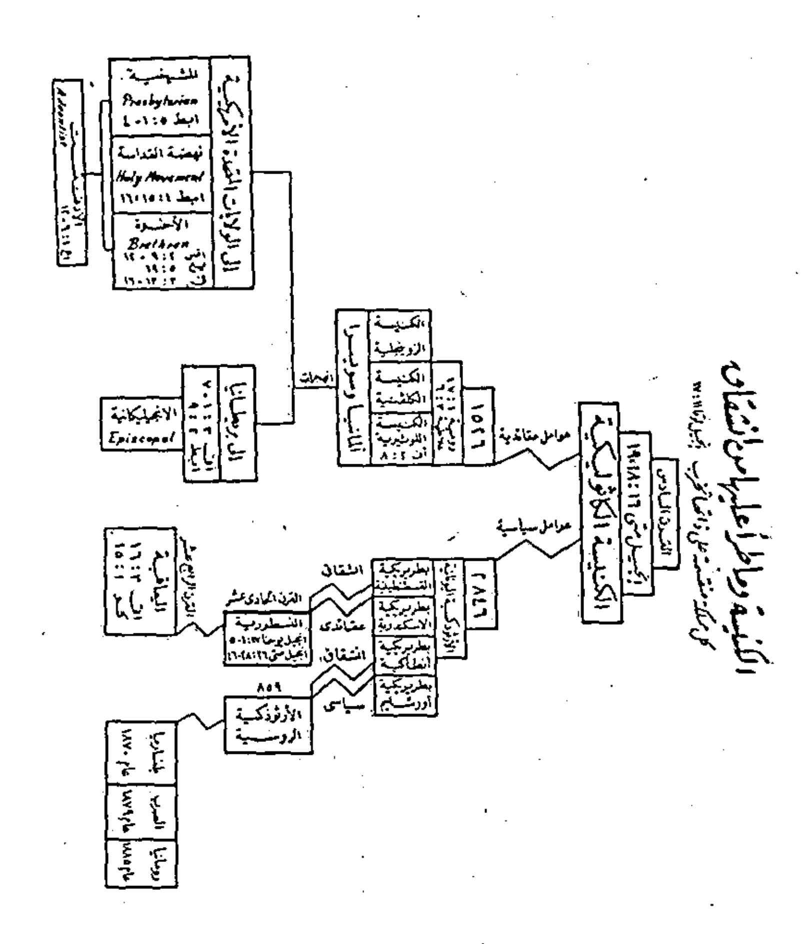
---

(١) مجلة (رابطة الأقباط الأرثوذكس (العدد ١٦١ ـ السنة ٤١) ص ٣٨ من مقال للتحرير بعنوان : الكنيسة القبطية وسائر كنائس العالم عدا الكنيسة الفاتيكانية براء من هذا التعليم الزنيم .

(٢) أضواء على تاريخ الكنيسة ص ٢٠ .

(٣) الإستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية ص ٢٦ .

وفيما يلي بيان بالانشقاق الكنسي وفي هذا يقول المسيح : « كل مملكة منقسمة في ذاتها لخرب وكل بيت منقسم على ذاته يخرب (١) » .

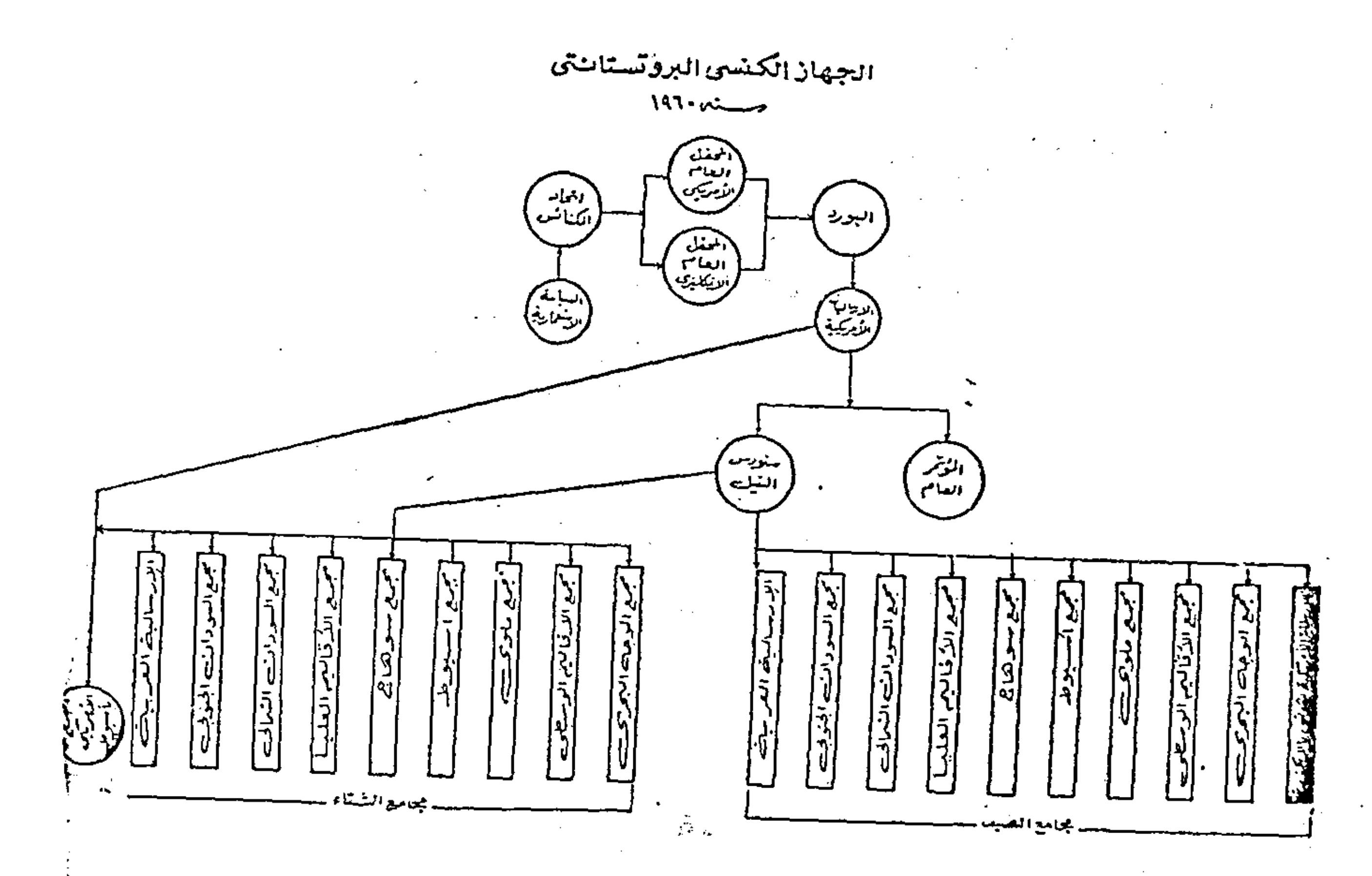


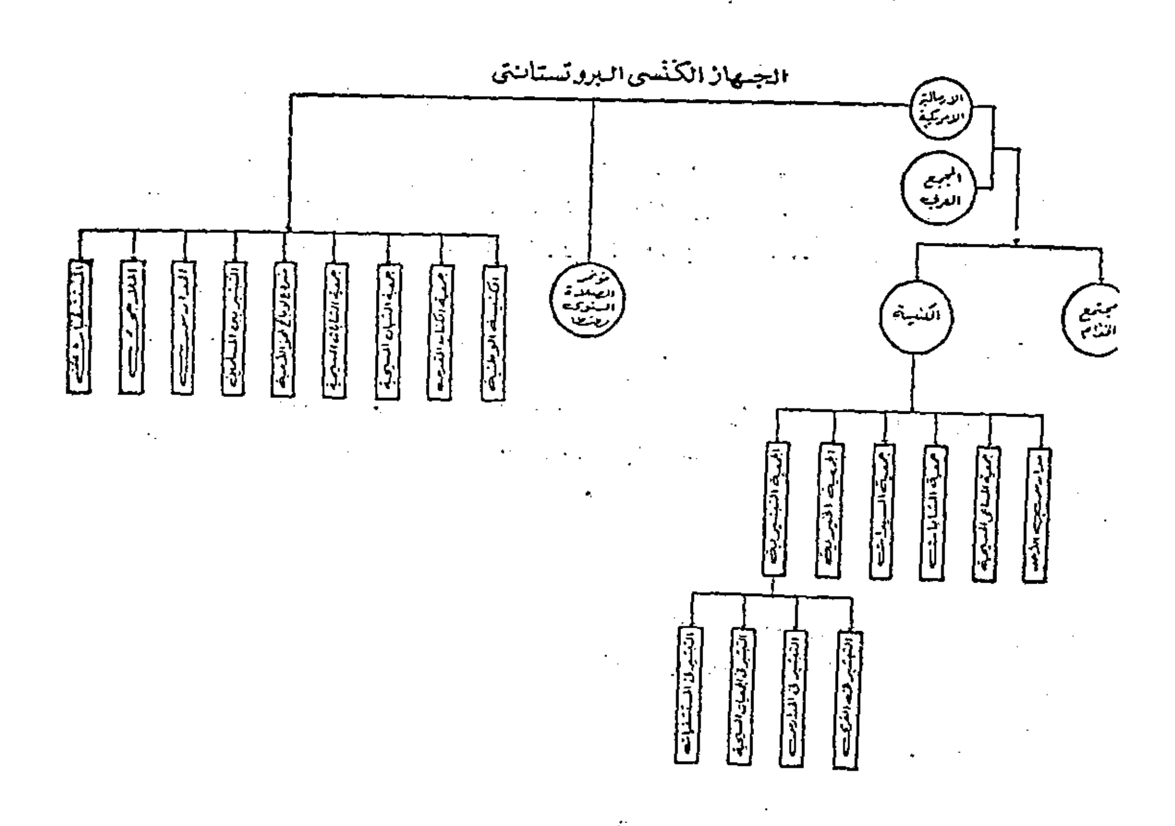
ملحوظة :

أما كنيسة الأدفنتست The adventist church فهي كنيسة أمريكية تسير وفق أهداف الماسونية العالمية وتتسق مع سياسة الصهيونية فيما يختص بمجيء المسيح وبناء الهيكل .

---

(١) انجيل لوقا ١١ : ١٧ .


الجهاز الكنسي البروتستانتي
سنة ١٩٦٠
اتحاد الكنائس
الجمعية الاستعمارية
المجمع العام الأمريكي
المجمع العام الإنكليزي
البورد
الإرسالية الأمريكية
سنودس النيل
المؤتمر العام
مجمع الوجه البحري
مجمع الأقاليم الوسطى
مجمع ملوي
مجمع أسيوط
مجمع سوهاج
مجمع الأقاليم العليا
مجمع السودان الشمالي
مجمع السودان الجنوبي
الإرسالية العربية
مجامع الشتاء
مجامع الصيف


الجهاز الكنسي البروتستانتي
الإرسالية الأمريكية
الكنيسة

وانتقل الآن إلى توضيح الرسم البيانى فى صفحتى ٢٠٧ ، ٢٠٨ من الرسم البيانى فى صفحة ٢٠٧ يتبين الجهاز الكنسى ، والجهات العليا التوجيهية لسياسة الكنيسة فى العالم الإسلامى على هذا النحو .

١ ـ اتحاد الكنائس :

اتحاد فيدرالى بين محفلى الولايات المتحدة وبريطانيا ، لتنسيق الجهود التبشيريه ولتنفيذ سياسة اتحادية استعماريه فى ربوع العالم الإسلامى ، وينعقد مرة كل بضع سنوات ، تارة فى الولايات المتحدة وأخرى فى بريطانيا .

٢ ـ المحفل العام :

ومقره الدائم للأمريكان واشنطن ، وللإنجليز لندن وهذا المحفل يعقد من سنودسات الدول التى تحتضن المذهب البروتستانتى فى أراضيها كجمهورية مصر العربية، وفلسطين ولبنان ، والعراق ، وتركيا ، والهند ، والباكستان ، ومن المحفل العام هذا تخرج التوجيهات يحملها المندوبون لتنفيذها ، كل فى دائرة اختصاصه .

٣ ـ المؤتمر العام :

والمؤتمر العام يجتمع مرة كل فترة من السنوات فى عواصم البلاد العربية من مندوبين عن السنودسات كما سبق ذكره فى البند السابق وعلمهم فى هذا المؤتمر دراسة كافة المشاكل التى تتعرض لها خططهم ، ووضع الحلول والاقتراحات لتقديمها إلى المحفل لإبداء الرأى النهائى فيها ، واتخاذ مايمكن اتخاذه من قرارات ، وسن مايرون من قوانين .

٤ ـ السنودس :

ويحدد مقره فى الدولة التى يتبعها ، ففى جمهورية مصر العربية تحدد مقره فى هذه المدن بالتتالى : القاهرة ، المنيا ، أسيوط ، وينعقد مرة فى السنة وينعقد من جميع قساوسة ورعاة الكنائس فى كل وادى النيل مصر والسودان ، وينعقد فى شهر مارس من كل سنة وفى السنودس يتدارسون المشاكل التى تعترض الكنيسة المصرية أو السودانية

وخطة التعليم الموضوعة لتنفيذها فى المدارس التابعة للإرسالية والسنودس فى هذا التمثيل يشبه إلى حد كبير المجالس النيابية ، وبالإضافة إلى ذلك : يشبه الهيئة التنفيذيـة فى تنفيذ ما قد تحدد من قرارات وما قد سن من قوانين وهو يشبه أيضا الهيئة القضائيـة فى تحرير أو صياغة القوانين الخاصة بالأحوال الشخصية .

من هذا كانت مكانة السنودس مكانة القيادة بالنسبة للكنائس الجمهورية العربيـة المتحدة .

٥ ـ المجمع الأمريكى :

إن المرسلين الأمريكيين هم الأساس فى نسيج الكنيسة الإنجيلية المشيخية ، وهم يستأثرون باجتماع خاص لهم ، لايسمح لأجنبى بالدخول فيه ، وينعقد هذا المجمع فى أواخر شهر يناير من كل سنة ، ومقره الدائم كلية أسيوط الأمريكية الثانوية بأسيوط ويجتمع جميع المرسلين من السودان إلى الدلتا بالجمهورية العربية المتحدة ، ويحضره أحيانا مندوبون من البورد الأمريكى ، وينعقد هذا المجمع لدراسة الشئون التبشيرية وتنسيق الجهود مع كافة المذاهب الإنجيليه بجمهورية مصر العربية والسودان ، وسياسته سياسة توجيهية ، لها أثرها فى المجامع العربية والسنودس .

٦ ـ المجمع العربى :

وهذا المجمع كما بينته بالرسم صفحة ٢٠٨ يتمثل فيه مجمع الوجه البحرى على سبيل المثال ، وينعقد فى دورتين فى السنة ، الدورة الاولى فى شتاء كل سنة فى الاسبوع الاول من شهر سبتمبر ، ويشتمل على جميع قساوسة المنطقة ، ولهم الاختصاصات التى سبق ذكرها من تشريع وتنفيذ ، كما يتدارسون شئون الشعب وما يتعرض له من شاكل فرديـة أو جماعية وتتكون فى أثناء انعقاد هذه المجامع لجان لدراسات معينة ، وجلسات هذه اللجان سرية . (١)

---

(١) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبرياليه العالميه ص ٣٢ ، ٣٣ ، ويراجع كتاب " دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر " (نشر دار الثقافة المسيحية ص ب ١٣٠٤ القاهرة) بدون ذكر المؤلف ص ١٠١ ـ ١١١ ط (١) طبع مطبعة دار نوبار بالقاهرة ١٩٨٥م .

انقسام الكنيسة البروتستانتية

في الوقت الذي ظهر فيه " مارتن لوثر " باحتجاجه ، كان في " سويسرا " صوت آخر آلمته الكنيسة الغربية بسلوكها وهو " زونجلي " (١٤٨٤ـ ١٥٣١م) الذي جاهر هو الآخر بالثورة ضد صكوك الغفران متخذا الصراع والعنف طريقا لدعوته ، ولما شاعت دعوة " لوثر " و " زونجلي " ، تبعهما رجل آخر في فرنسا وهو " كلفن " (١٥٠٩م ـ ١٥٦٤م) ، لكنه اضطر إلى الفرار بآرائه إلى " جنيف بسويسرا " وهناك " أعلن عقيدة الاختيار المطلق " مؤسسا بذلك " الكنيسة الكلفينيه " التي انتسبت إليه ، وقد اقتفى أثرها اخوة بليموت الذين انقسموا إلى ثلاث فرق وهي المحافظين والمرحبين (أو المتصعين) والريفنيين ، وأهم ماينادون به المساواة التامة بين جميع المؤمنين " .[1]

وسرعان ماظهرت " الكنيسة الاستقلالية " في انجلترا عام ١٥٧٠م وهي قائمة على نظام استقلال الكنائس المحلية ، ولو أنها أقرت اتحاد كنائسها معا في معالجة الشئون العامة ، ومن داخل هذه الكنيسة برزت " الكنيسة المعمدانية " ، وكان ذلك في استردام أولا بواسطة الذين نزحوا من " انجلترا " الى " هولندا " بسبب الاضطهاد وانقسمت هذه الكنيسة عند انتقالها لأمريكا إلى عدة أقسام يحمل كل منها اسما بجانب اسم " المعمدانيه " الذي تفرع منها .[2]

ومع ظهور الحركات المنشقة على الكنائس وما أكثرها في عالم المسيحية تبرز كنائس جديدة وهكذا وعلى مدى قرن من الزمان (١٧٥٠ ـ ١٨٥٠)م ظهرت عدة حركات نذكر منها ثلاثا أشار إليها " رولاند بيسنتون " :

الميثودستيه بقيادة " جون وسلي " و " جورج هويتفيل " ثم الكاثوليكية الانجليكانية بقيادة " جون هنري نيومان " ثم جيش الخلاص بقيادة الجنرال " وليم بوث " .

بدأت الحركة الميثودستيه بين جماعة من طلبة جامعة اكسفورد كان منهم " جون وسلي " و " جورج هويتفيلد " ، وقد أطلق عليها اسم " ميثودست " للتحقير فقد ضحك عليهم زملاؤهم الطلبه لانهم كانوا يوزعون وقتهم بطريقة " Method " دقيقة

---

(١) أضواء على تاريخ الكنيسة صـ ٢٠ .
(٢) المرجع السابق صـ ٢١ .

فكذا من الوقت للدرس ، وكذا للصلاة ، وكذا للعمل بين المسجونين وهكذا .[(١)]

ومن آثار الحركة " الميثودستيه " ظهور حركات أخرى منها : " الحركة المورافيه" بزعامة الكونت " زولزدورف " بألمانيا ، وحركة " الكويكرز " بانجلترا وهى التى تعتمد على الإرشاد المطلق وفى أثرهما ظهرت الحركة " الارفنجيه " عام ١٨٣٠م التى مهدت للحركة الحاضرة المسماة " بالخمسينية " والتى بدأت عام ١٩٠٦م فى مدينة " لوس انجلوس" بالولايات المتحدة " .[(٢)]

وامتد أثرها بعد ذلك إلى مصر كما يقال : وذلك فى أوائل الثلاثينات - من القرن العشرين - ببلدة دير الجرنوس ، فى عهد القس " بطرس لبيب " ، وامتدت إلى الفشن ثم إلى سمالوط والمنيا وأسيوط والقاهره والاسكندرية الخ .[(٣)]

وهم يرجعون أصل " المذهب الخمسينى " إلى " يوم الخمسين " منذ عصر الحواريين ، ولما كانت هذه الطوائف قد لمعت فى عالم المسيحية ونالت حظا من الاعتراف بها فقد وجدت طوائف عديدة ، منبوذة ، وتعتبرها الطوائف المسيحية المحافظة مرتدة وتتبرأ منها وأمثلتها : السبتيين ، والمورمن ، والعلم المسيحى ،وشهود يهوه .[(٤)]

وكل يوم يأتى بجديد فى تاريخ الانشقاق المسيحى طائفيا وكنسيا ، فتعدى الأمر الطوائف المسيحية القديمة إلى أعداد تزداد على مر الأيام من الطوائف ويتبعها مزيد من الكنائس المنشقة ، وكنا نظن أن " الكنيسة البروتستانتيه " نهاية المطاف فى التعدد الكنسى لكنا وجدنا انقساما حادا من داخلها نتج عنه الكثير من الكنائس المنشقة والتى ذكر بعضها صاحب كتاب كنز النفائس والذى يعنينا من كل هذا العرض أن نعرف المعلومات عن الذين يقومون بالدور التبشير على أرضنا وبين صفوفنا فقد تساعدنا هذه المعلومات فى مواجهة هجماتهم المتكررة فبالرغم من هذه الانقسامات لكنها فى جانب نشر المسيحية ربما تتلاشى وتتحدد فى مواجهة الإسلام واتباعه .

---

(١) الكنيسة من البدء إلى القرن العشرين رولاند بيسنتون ترجمة القس عبد النور ميخائيل ص ١٦٣ بدون عدد للطبعه - المطبعة التجاريه الحديثه بالقاهره بدون تاريخ .

(٢) أضواء على تاريخ الكنيسة ص ٢١ .

(٣) تاريخ المذهب الخمسينى فى مصر ، القس صموئيل مشرقى ص ١٣ بدون عدد للطبعه مطبعة الامانه بشبرا مصر ١٩٨٥ .

(٤) أضواء على تاريخ الكنيسة ص ٢١ .

نموذج للمركز التبشيرى بإفريقيا

بينت أن الكنيسة مركز هام من مراكز التبشير المقامة فى بلاد الاسلام ، وأوضحت أن الكنيسة الأرثوذكسيه انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية ، وأنها منتشرة فى بلاد الشرق وأشرت أنهم يسمونها باسم أوطان انتشارها ففى مصر مثلا تسمى الكنيسة القبطية وهكذا ، ومنذ الستينات من القرن العشرين الميلادى والكنيسة الأرثوذكسية القبطية ، تقوم بدور مكشوف فى التبشير فى القارة الإفريقيه ، كما تعد المبشرين وتدربهم ليتوزعوا على القارة لنشر الإنجيل بين ربوعها فقد اهتم " البابا " كيرلس السادس كما يقولون بخدمات الكرازة فى إفريقيا ، فأوفد القماصة والقسس للكرازة فى القارة كما أوفدهم لحضور المؤتمرات والتى من بينها (الاجتماع التأسيسى لمجلس كنائس إفريقيا) ، و (المؤتمر الأول لمجلس كنائس أفريقيا) و (مؤتمر الشباب الإفريقى) و (اجتماع اللجنة اللاهوتيه لمجلس السلام المسيحى) التى عقدت فى غرب إفريقيا بمدينة " فريتاون " عاصمة سيراليون وذلك فى سبتمبر سنة ١٩٦٥م ، وقد بعث القسس أيضا للدراسات الخاصة بشئون الأسرة فى إفريقيا ، وعمل على امتداد نشاط الكنيسة القبطيه فى افريقيا وفق خطة معدة ومنتظمة بتنسيق تام مع الكنائس الأخرى لتنصير القارة .

الدراسات الإفريقية

كما اهتم البابا " كيرلس السادس " بالكرازة فى القاره الإفريقيه أهتم أيضا بالدراسات الخاصة بالإفريقيين لمعرفة الكثير عن عاداتهم ، وطباعهم ، وغير ذلك من المعلومات التى تسهل المهمة التبشيرية " فشجع قسم الدراسات الإفريقيه بمعهد الدراسات القبطيه لإعداد قادة وخدام لاهوتيين ومدنيين للخدمة فى ربوع إفريقيا .

وبتشجيع من " البابا " تمكن " القس يوسف عبده " مدرس مادتى الكرازة والشئون الإفريقيه فى الكلية الإكليركيه ومعهد الدراسات القبطية من استكمال دراساته التى كان قد بدأها فى هذه الميادين قبل ذلك فى جامعات أمريكا بأن أعد لقسم الدكتوراه بكلية الآداب بجامعة القاهره بحوثا ورسالة موضوعها " الكنيسة والحركات الوطنية فى شرق أفريقيا منذ أواخر القرن التاسع عشر " .

وقد اقتضى الإعداد لهذه الرسالة أن يقوم " القس يوسف عبده " بجولة دراسيه فى دول وكنائس شرق إفريقيا ، فزار فى سنة ١٩٦٥م السودان ، وكينيا ، وأوغندا

وتنزانيا ، وأثيوبيا ، لمدة ثلاثة أشهر وجمع المستندات اللازمه للرسالة ، وعندما انتهى من إعداد الرسالة قدمها إلى جامعة القاهره ثم نوقشت علنا فى أحد مدرجاتها يوم ٢٩ أبريل سنة ١٩٦٨م ، وقررت لجنة الامتحان منح " القس يوسف عبده " " درجة الدكتوراه فى الآداب مع مرتبة الشرف " . (١)

وليس معنى هذا أن النشاط التبشيرى فى إفريقيا مقصور على الكنيسه القبطيسة فقط ، فهناك الكنائس الأخرى تقوم بادوار كثيره والجميع يعمل لنشر الأناجيل فى تعاون وتنظيم وفق خطة مدروسة يقول الدكتور / الطيب زين العابدين :

ومعلوم أن الكنائس العاملة فى إفريقيا ، متعددة الجنسيات ورغم الاختلافات المذهبية فيما بينها ، فإنها تتعاون فى مجال التبشير ، وتقسم فيما بينها المناطق والمقاطعات حتى لاتتضارب مصالحهم أو تصطدم ، وهم يتعاملون فيما بينهم بنوع من التنسيق والتعاون إلى حد بعيد ، وينبغى أن لاننسى أن للتبشير النصرانى خبرة طويلة جدا تناسب وقتنا الحاضر فإن طريقة المسلمين فى الدعوة ، أغلبها طريقة وعظية كما أن الجامعات تدرس فى كليات الدعوة الإسلاميه كيفية الخطابة باللغة العربية وفى الدول غير الناطقة بالعربية ، لكننا نجد أن للراهب النصرانى معلومات عملية فهو يعرف الاسعافات الأوليه والكهرباء ، وتشغيل أجهزة العرض والتسجيل وله معلومات زراعية يفيد بها الأهالى وكذلك معلومات علاجية ، وفوق ذلك فهو يعرف لغة أهل البلد الذى يعيش فيه ، وعاداتها وتقاليدها وتاريخها ، ومجمل القول إنه شخص معد لكى يعمل فى عالم معاصر ، ويكون مصدرا للتنصير فى منطقته . (٢)

مركز تدريب المبشرين بإفريقيا بكوتسيكا (طره)

أعد " بابا " الكرسى السكندرى المقر البابوى الملحق بكنيسة مارجرجس بكوتسيكا (طره) ليكون مركزًا هامًا لتدريب وتأهيل قساوسة أفارقة للقيام بالمهام التبشيرية بإفريقيا وسأكتفى بنقل كلام الشماسين د / حكيم أمين ، د / يوسف منصور حول هذا الموضوع حيث قالا : تحت عنون : " البعوث الإفريقية " .

تلقت البطريركية عدة رسائل من مجموعات وكنائس إفريقية تطالب الكنيسة القبطية برعايتها باعتبارها الكنيسة الإفريقية الأولى ، وتلى هذه الرسائل زيارات من قادة وأعضاء

(١) عشر سنوات مجيدة فى تاريخ الكنيسة صـ ٥٣ ، ٥٤ .
(٢) منار الإسلام (العدد الرابع- السنة العاشرة) صـ ٥١ من حوار بعنوان هموم الدعوة الإسلامية فى إفريقيا مع الاختصار .

هذه الكنائس الإفريقية ، زاروا الكنيسة القبطية فى فترات مختلفة ، وبعضهم مكث فى ضيافتها حوالى ثلاثة أشهر لدراسة طقوسها ونظمها وتوالت وفود الطلبة الإفريقيين لفترات متقطعة وفى يناير سنة ١٩٦٦م أرسلت الكنيسة القبطية بالخرطوم بعثة إفريقية قوامها ستة عشر طالبا للدراسة بالكنيسة القبطية بمصر بعضهم من السودانيين والبعض من بلاد جبال النوبة وقد اهتم قداسة " البابا " بهم وأمر بإعداد المقر البابوى الملحق بكنيسة مارجرجس بكوتسيكا (طره) ليكون مركزا بابويا للكرازة ، وعهد إلى القس انطونيوس السريانى برعايتهم والإشراف على دراساتهم وتدريبهم الروحى والعملى .

وبعد سفر القمص انطونيوس السريانى إلى السودان للإشراف على خدمات الكرازة هناك ، تولى الإشراف عليهم القمص بيمين السريانى (*) والقس داود السريانى ، وقد استمرت دراساتهم العلمية وتدريبهم العملى على الطقوس والخدمة الدينية حوالى ثلاث سنوات ثم أمر قداسة البابا بسيامتهم شمامسة وكانوا يؤدون خدمة الهيكل بانتظام ثم عادوا إلى بلادهم فى أغسطس سنة ١٩٦٨م حيث تولى نيافة الأنبا دانيال أسقف الخرطوم وأخذا تعيينهم للخدمة الدينية فى المناطق المختلفة ببلادهم .(١)

وفى وقتها كان يدرس طالب كينى دراسته الدينية فى مصر وتتوالى عدة طلبات من كنيسته لإرسال عدد كبير من أقرانه للدراسة فى مصر ، وبالاضافة الى ماتقدم " أنشأت الكنيسة القبطية فى السودان (ايبارشيتى الخرطوم وأم درمان) واقامت فيها فصولا تدريبية للراغبين فى الكرازة يعمل فيها الكارزون الذين تدربوا فى المركز البابوى بكوتيسيكا .(٢)

وقد تتعدد المراكز لتدريب المبشرين فى قارة إفريقيا ، وقد تغير موقفها كما ذكرت سابقا ، والمهم أن يفطن المسلمون وأن ينشطوا حتى يفوتوا الفرصة على المد التبشيرى فى بلاد الإسلام قبل أن يفلت الزمام من أيديهم .

وفى الحبشة أقيم مركز خاص لتدريب الفتيات على العمل التبشيرى ويقال : إن الذى أنشأه القس الكاثوليكى لمدينة " اديجرات " بأثيوبيا " سبحات ليب دركو " الذى رغب فى إقامة لقاءات دينية للسيدات اللاتى يعملن فى مجال الخدمة الاجتماعية ومن أصل أثيوبى .

(*) تنيح مساء ٩ مارس سنة ١٩٦٩م .
(١) عشر سنوات مجيدة فى تاريخ الكنيسة صـ ٥٤ ، ٥٥ .
(٢) المرجع السابق .

وتقوم الآن خمسة من الراهبات المسيحيات البيض بمساعدته فى هذه المهمة وفى أكتوبر سنة ١٩٨٠م افتتح مركز للفتيات المسيحيات ضم أربعا منهن للتخصص فى التشكيل الاجتماعى وتقوم هؤلاء الفتيات بزيارة الكنائس فضلا عن النشاط الطبى ، والاهتمام بالمعوقين ، وعمليات الولادة ، والتأثير على النساء المسلمات من خلال هذه النشاطات.(١)

مركز تدريب المبشرين بآسيا فى إندونيسيا

نموذج لإعداد المبشرين بإندونيسيا فى مركزين كبيرين مشيدين بهذا البلد الإسلامى ، فقد ذكرت التحقيقات الواردة فى الجريدة الدولية التى تسمى " المسلمون " مايجرى داخل هذا البلد بقولها :

وفى إندونيسيا أكبر دولة اسلامية امتدت نشاطات المبشرين فى مختلف الولايات من خلال مركزين كبيرين الأول منها هو فى " لاوانج " فى شرقى " جاوا " وقد أنشأه الأب " سيلاس " وهو مبشر إندونيسى وجد أن أفضل السبل للوصول إلى الشعب التوجه إلى القرى فمن بين الـ ١٤٨ مليونا ، وهو عدد سكان اندونيسيا نجد أن ٨٥٪ منهم يعيشون فى القرى .

ولذلك يقوم المركز بتدريب هؤلاء المبشرين المسيحيين على العمل فى القرى فقد اشتروا قطعة أرض مساحتها (١٥٠٠٠) قدم مربع وشيدوا عليها بناء افتتحوه فى ٢١ مايو ١٩٨١ وبدأ المركز عمله بتسعة طلاب من الذكور لدورة تدريبيه مدتها عشرة أشهر أما المركز الثانى للتدريب فقد أنشئ فى " سوارابابا " فى جاوا ومدة التدريب فيه عشرة أشهر أيضا حيث يتم التدريب فيه على الخدمة المسيحية واللاهوت المسيحى .

ومركز المنظمة الرئيسى هو فى كوالا لامبور(*) ، وتعمل فى أماكن مختلفة فى آسيا .(٢)

ويوجد بالقارة المذكورة العديد من المراكز التبشيرية التى تعتبر أوكارا لتربية القسس ، ومنها الجامعة التبشيرية المقامة بواسطة منظمة الكنائس الفلبينيه فى " مدينة كونباتو " بجنوب الفلبين ، ومهمة هذه الجامعة هى شن حملات تبشيرية على المسلمين

---

(١) المرجع السابق باختصار .
(*) تقع فى ماليزيا الغربية .
(٢) المسلمون صـ ٦ (السنة الأولى ـ العدد الحادى عشر) .

وذلك لتحويل الجنوب الفلبينى إلى النصرانية وفى إندونيسيا أيضا العديد من المنشآت التبشيريه كجامعة البروتستانت " بجاكرتا " و " الجامعة الكاثوليكية اتما جايا بجاكرتا " بشارع الجنرال سوديرمان الرئيسى بالإضافة إلى مركز تدريب إرساليات البروتستانت فى بيما مانغ سيانتار فى سومطرا الشمالية ، وهذا قليل من كثير من مراكز التدريب للإرساليات المختلفة المنتشرة فى بلاد الإسلام .

محاولة الأقليات المسيحية شد الانتباه إلى النصرانيه

تحاول الأقليات المسيحية دائما لفت الأنظار إلى النصرانية فى أى وطن اسلامى تنعم فى كنفه بالحرية ، والأمن ، والرخاء ، وغالبا مايحدث منها ذلك الشئ فى الأوقات التى يمر بها الوطن بمحنة قاسية عند ئذ تُظهر الأقليات نواياها التبشيرية بطريقة سافرة وكثيرًا مايتم إلقاء الضوء إلى المسيحية من هذا الطريق بدوافع خارجية وتكون الكنيسة أو الدير المكان الذى ينطلق منه الحدث الهام ، وسأضرب مثالين على ذلك حدثا فى بلد مسلم ، يرعى باهتمام بالغ أقلية مسيحية تعيش فى أرغد عيش متمتعة بكافة الامتيازات الوطنية .

الحدث الأول مايسمونه " تجلى أم النور " :ـ

لقد أراد المسيحيون فى مصر الإسلامية أن يكسبوا قلوب المسلمين نحو المسيحية مستغلين حبهم للصديقة : مريم أم المسيح عليه السلام ، وواتتهم الفرصة بعد نكسة يوليو ١٩٦٧م بعام واحد فقط ، حيث كانت مصر الاسلامية تلعق جراح الهزيمة وتسعى جاهدة لازالة ضباب النكسة التى حلت بها على أيدي الصهيونية المدعمة بالاستعمار العالمى فى تلك الظروف القاسية ، والمحنة الغاشية ، وجدنا أقباط مصر مدفوعين لشغل الرأى العام بحدث ظهور العذراء وتناسوا معاناة الهزيمة ، وكأن والده المسيح أبت إلا أن تظهر فى السنوات السوّ لمه، فكان ادعاء رجال الكنيسة أن السيدة مريم العذراء توالى ظهورها فى كنيستها بالزيتون فى ٢ أبريل سنة ١٩٦٨م وتوالى الظهور لنهاية الشهر على فترات متقطعة ، وهبت وسائل الإعلام المحلية والعالمية تنشر الحدث باهتمام وتضخم من شأنه حتى صارت ضاحية الزيتون بكنيستها مكانا يقصد ومزارا يشاهد ، وأراد زعماء الكنيسة فى مصر أن يحققوا وجودهم من خلال هذا الحادث المزعوم فانبرى البابا " كيرلس السادس " ملقيا أوامره بتشكيل لجنة خاصة لتقصى حقائق الظهور وبعد مايقرب من شهر من بداية الظهور ، الذى قررته اللجنة أعلن " البابا " رسميا ظهور أم النور ، وأقرت

الكنيسة القبطية اعتبارا يوم ٢ ابريل من كل عام (٢٤ برمهات) عيدا لظهور كلية الطهر وسأذكر البيان البابوى كما نشره القوم تاركا للقارئ الكريم فرصة استعمال فكره فى تقبل أو رفض الحادث فالعقل الخالى من الغشاوة يستطيع بسهولة التمييز بين الحق والباطل والنور والظلام .

بيان من المقر البابوى بالقاهرة

منذ مساء يوم الثلاثاء ٢ أبريل سنة ١٩٦٨م الموافق ٢٤ برمهات سنة ١٦٨٤ ، توالى ظهور السيدة العذراء أم النور فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية التى باسمها بشارع طومانباى بحى الزيتون بالقاهرة .

وكان هذا الظهور فى ليال مختلفة كثيرة لم تنته بعد ، بأشكال مختلفة فأحيانا بالجسم الكامل وأحيانا بنصفه العلوى يحيط بها هالة من النور المتلألئ ، وذلك تارة من فتحات القباب بسطح الكنيسة وأخرى خارج القباب ، وكانت تتحرك وتتمشى فوقها وتنحنى أمام الصليب العلوى فيضئ بنور باهر ، وتواجه المشاهدين وتباركهم بيديها وايماءات رأسها المقدس ، كما ظهرت أحيانا بشكل جسم كامل من سحاب ناصع أو بشكل نور يسبقه انطلاق أشكال روحانيه كالحمام شديد السرعة ، وكان الظهور يستمر لفترة زمنية طويلة وصلت أحيانا الى ساعتين وربع كما فى فجر الثلاثاء ٣٠ أبريل سنة ١٩٦٨م الموافق ٢٢ برمودة سنة ١٦٨٤ ، حين استمر شكلها الكامل المتلالئ من الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين إلى الساعه الخامسة صباحا .

وشاهد هذا الظهور آلاف عديدة من المواطنين من مختلف الأديان والمذاهب ومن الأجانب ، ومن طوائف رجال الدين والعلم والمهن وسائر الفئات الذين قرروا بكل يقين رؤيتهم لها ، وكانت الأعداد الغفيرة تتفق فى وصف المنظر الواحد بشكله وموقعه وزمانه بشهادات اجماعية تجعل ظهور السيدة العذراء أم النور فى هذه المنطقة ظهورا متميزا فى طابعه مرتقيا فى مستواه عن الحاجة إلى بيان أو تأكيد .
وصحب هذا الظهور أمران هامان :

الأول : انتعاش روح الايمان بالله والعالم الآخر والقديسين وإشراق نور معرفة الله على كثيرين كانوا بعيدين عنه ، مما أدى إلى توبة العديدين وتغيير حياتهم .

والثانى : حدوث آيات باهرة من الشفاء المعجزى لكثيرين ثبت علميا وبالشهادات الجماعية .

وقد قام المقر البابوى بجمع المعلومات عن كل ماسبق بواسطة أفراد ولجان من رجال الكهنوت الذين تقصوا الحقيقة ، وعاينوا بأنفسهم هذا الظهور ، وأثبتوا ذلك فى تقاريرهم التى رفعوها إلى قداسة البابا الأنبا "كيرلس السادس" والمقر البابوى إذ يصدر هذا البيان يقرر بكل الإيمان ، وعظيم الفرح ، وبالشكر الانسحاقى أمام العزة الإلهية أن السيدة العذراء أم النور قد والت ظهورها بأشكال واضحة ثابتة فى ليال كثيرة مختلفة لفترات متفاوتة وصلت فى بعضها لأكثر من ساعتين دون انقطاع ، سنة ١٦٨٤ ش حتى الأن بكنيسة السيدة العذراء القبطية الأرثوذكسية بشارع طومانباى بحى الزيتون فى طريق المطرية بالقاهره وهو الطريق الثابت تاريخيا أن العائلة المقدسة قد اجتازته فى تنقلاتها خلال اقامتها بمصر .

جعل الله هذه البركة رمز سلام للعالم ، ويمن لوطننا العزيز وشعبنا المبارك الذى سبق الوحى الإلهى فنطق عنه ، "مبارك شعبى مصر"[1] السبت : ٤ مايو سنة ١٩٦٨ م و ٢٦ برموده سنة ١٦٨٤ ش المقر البابوى بالقاهرة .[2]

وبعد هذا البيان لاندرى لماذا امتنعت السيده مريم العذراء عن الظهور مرة أخرى وأغلب الظن أن انتصارنا فى العاشر من شهر رمضان الكريم سنة ١٣٩٣ هـ حبسها عن الظهور مرة أخرى .

ومما يدل على أن هذا الحادث سيق إلى اقباط مصر من قبل الاستعمار الخارجى أن له شبيها فى إسبانيا زعم من قبل .

الحادث المماثل :

ومما يلفت النظر ماحدث فى إسبانيا من قبل ، واقتبست منه فكرة ظهور العذراء ففى بلدة "فاتيما"[*] ادعوا أن السيده العذراء ظهرت فيها ، ولعلهم يريدون جذب قلوب المسلمين إليهم من هذا الطريق وهو ما أفصح عنه مؤلف كتاب : داخل إفريقيا حيث قال تحت عنوان : هل ستعمل مريم على الظفر بمائتى مليون مسلم ؟ لفت الأسقف مولتون ج . شين أكثر من مرة إلى الحقيقة الاتيه ، وهى أن سيدة فاتيما (أى

(١) سفر إشعياء (١٩ : من الفقرة ٢٥) .
(٢) عشر سنوات مجيدة فى تاريخ الكنيسة للشماسين دكتور حكيم أمين ، دكتور يوسف منصور صـ ٦٥ ـ ٦٧ بدون ذكر الطبعة ، والمطبعة ١٩٦٩ م .
(*) "فاتيما" هى بلدة صغيرة فى البرتغال ظهرت فيها السيدة العذراء (داخل إفريقيا تأليف / جرجنتر إشراف وتقديم حسن جلال العروسى جـ ١ صـ ٢٧ مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بالقاهره ونيويورك ١٩٥٧م) .

السيدة العذراء) تحمل اسما مسلما ويكن لها المسلمون الولاء ، لأنها والدة المسيح ومن الممكن أن يترتب على هذا الولاء هدايتهم إلى المذهب الكاثوليكى بوساطتها أما عن ولاء القرآن لمريم فإنه خليط مستغرب ، لكنه جعل للمسلمين على آية حال تقاليد مريمية ، ويمكن أن تكون العذراء هى المفتاح لغزو المسيح للمسلمين[١] وعلى كل حال فإن القرآن الكريم كرم المسيح وأمه ، وأعطاهما حقهما كاملا غير منقوص وليس فيه ماخلط بمستغرب بل أمره فى ذلك واضح .

الحدث الثانى : نبأ العثور على رفات " النبى يحى " عليه الصلاة والسلام :

فى اليوم الثالث عشر من ذى الحجة ١٣٩٨ هـ الموافق ١٣ نوفمبر " تشرين ثان " ١٩٧٨م طالعتنا جريدة الأهرام المصرية[٢] فى صفحتها الأولى بهذا العنوان : " كشف دينى بالغ الأهمية " العثور على رفات النبى يحيى " المعمدان " أسفل جدار كنيسة قديمة بوادى النطرون — ووالت الاهرام نشر التحقيقات حول نبأ الكشف عن النبى يحيى عليه الصلاة والسلام فى سبعة عشر تحقيقا وقد أجرى هذه التحقيقات الصحفى عزت السعدنى ونقلها بعد ذلك فى كتاب له بعنوان : (هل يوحنا المعمدان ؟).[٣]

وفى التحقيق الأول يقول عزت السعدنى : لتكن البداية من داخل المكان الذى عثروا فيه على رفات " يحيى " عليه السلام أو يوحنا المعمدان كما يلقبونه فى الديانة المسيحية ، المكان : دير من الأديرة التى ذكرفيها اسم الله طويلا عبر رحلة من العمر طولها ١٦١٩ سنة أنه دير الأنبا مقار فى وادى النطرون ومشواره من القاهرة نحو ١٠٠ كيلو متر لاغير .

ويقال فى وصفه : والدير الرابع المسمى بدير القديس مقار ليس به سوى بئر واحدة ماؤها ملح ولكن على قيد زهاء أربعمائة متر منها توجد بئر أخرى معتنى بصيانتها عناية عظيمة ماؤها عذب فرات ويوجد ينبوع ماء على سطح الوادى المقابل للدير وعمق البئر الأخيرة خمسة أمتار ، واتساعها متر وثلث متر مربع وبها من الماء أقل قليلا من المتر .[٤]

---

(١) المرجع السابق .

(٢) (السنة ١٠٤ — العدد ٣٣٥٧٥) .

(٣) نشر جريدة الأهرام القاهرية فى أول فبراير ١٩٧٩م .

(٤) وادى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة مذيل بكتاب تاريخ الاديرة البحرية للأمير : عمر طوسون صـ ٧٦ بدون عدد للطبعه مطبعة السفير بالاسكندرية ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥م .

الدير ليس مكانا للعبادة فقط :

لقد كان الدير فى الزمن الماضى مكانا للعبادة فقط ، وكان الرهبان منقطعين للتبتل ، وبحث أمور الدين .

أما العصر الحالى فقد شاهد تغييرا فى نظام الرهبنة ، فصار الرهبان فى الغالب- رجال دنيا يضعون الخطط لنشر المسيحية ، وتمكن أتباعها فى بلاد الإسلام وينظمون الاحصاءات ، ويرسمون الخرائط لتحديد أماكن المسيحيين ويدبرون الأمور فى الظلام من أجل سيطرة الأقلية على الأكثرية ، فالرهبنة الحديثة ابتعاد عن أعين الرقباء وعمل فى الخفاء لتحقيق مكاسب للمسيحية فى كل الميادين على حساب أى وطن يعيشون فيه ولو كانوا أقلية لاتذكر بالنسبة لتعداد الوطن .

ويؤكد مانقول أن دير الأنبا مقار يوجد به ٨٠ راهبا من مختلف التخصصات بينهم ٢٥ مهندسا ، و ٦ صيادلة و ٤ أطباء بيطريين و ٥ مهندسين زراعيين ، وربما زاد عدد رهبان الدير وكثرت تخصصاتهم ، ولم تشغلهم العبادة كما كان يحدث فى الماضى بقدر مايسيطر على تفكيرهم العمل على إحكام قبضة المسيحيين فى أى قطر اسلامى على تجارته الداخلية والخارجية ، وملء الفراغ الخلفى - فى الزراعه والصناعة وكافة المجالات - الذى عجز المسلمون عن ملئه نتيجة للضربات المتلاحقة الموجهة إليهم ولإبعادهم عن ساحة العمل الجاد وتعمد غلق الابواب فى وجوههم فلا غرابة ان يستغل هذا الوادى لصالح المسيحيين ، وأن تقتصر خبراته عليهم وحدهم ولذا حين توجه الصحفى "عزت السعدنى" إلى الأب "باسيليوس" بالسؤال الآتى :

هل يعيش الرهبان طول وقتهم للعبادة وحدها ؟ قال الراهب ذو الرداء الأسود والعيون الزرقاء والكلام الشفاف والعبارة البيضاء ، كما أن الصلاة عبادة فإن العمل عندنا أيضا عبادة والرهبان فى صحراء وادى النطرون يحوّلون الرمال الآن إلى جنة خضراء وارفة الظل .(١)

ويقع وادى النطرون تقريبا فى منتصف المسافة بين القاهره والاسكندرية بالقرب من الطريق الصحراوى ، وبه الأرض الصالحة للزراعه ، والمعادن المختلفة ، ولو اهتمت وزارتى الزراعة والصناعة المصرية بهذا الوادى لتحول إلى مصدر من مصادر الثروة ، ولعمر بالمواطنين

---

(١) هل هو يوحنا المعمدان ؟ " المقدسة " .

من المسلمين والمسيحيين على السواء بدلا من بقائه منعزلا ، وشبه مستقل به الأديرة التى يستقل بها الرهبان ، الذين تخلوا عن واجب الرهبنة وعن واجب الوطن فكان واجب الوطن يحتم عليهم أن يتعاونوا مع المسئولين حتى يتم تعمير هذا المكان بأبناء الوطن الواحد بلا تفرقة ليكون مدينة بين المحافظتين ، لتخفيف العبء السكانى عن مدينتى القاهرة والاسكندرية ، لكن المفاجأة المذهلة أن يخرجوا على العالم أجمع بنبأ وجود رفات "يوحنا المعمدان" بالوادى ونحن فى ظروف صعبة أثناء البناء والتعمير وترميم ماتصدع نتيجة للحرب مع الاسرائيليين .

قاصدين أن يكون هذا المكان مزارا خاصا بالمسيحيين ومتوهمين أن وجود جسد النبى يحى عليه الصلاة والسلام يجعل المكان مقصورا عليهم دون سواهم .

والأمر الملفت للنظر أن مكان حج المسيحيين ومزارهم واقع فى قبضة اليهود والمسيحيون فى أرجاء الأرض يدركون حقيقة عداء اليهود للمسيح عليه الصلاة والسلام وبالتالى بغضهم لأتباعه وأماكن عبادتهم ، وبالرغم من إدراكهم لكل هذه الأمور لم يحركوا ساكنا ، وإنما دفنوا رؤسهم فى الرمال أمام اعتداءات الصهاينة على أماكنهم المقدسة "بالقدس" وخرج المسيحيون فى مصر على العالم بمزار جديد ادعوا وجود جسد يوحنا المعمدان فيه .

الكشف حديث العالم :

تحت عنوان وأصبح الكشف حديث العالم ننقل مجموعة من الآراء المتنوعة الصادر حول هذا الكشف كما ذكرت فى التحقيق الرابع ومن الفاتيكان : دعا المونسينيور "جوفانيا بابا مؤرخ كنيسة الفاتيكان لإجراء دراسات وقضيات من أجل التأكد من وجود رفات جثمان يوحنا "المعمدان" داخل الكنيسة المصرية (وأشار إلى أن معلوماته من هذا النبأ لم تصله إلا من الصحف المصرية) .

وأضاف أن الأدلة التى يمكن أن تؤكد مثل هذا الاكتشاف مازالت غير كافية وأكد "بابا" أنه يجب أن تعاد دراسة الوثائق التاريخية التى تشير إلى نقل جثمان يوحنا إلى مصر كما يجب اجراء اختبارات على الجثمان لمعرفة ما إذا كانت هناك بعضا من أجزائه مفقودة خاصة وأن بعض الكنائس الأخرى فى عدد من مدن العالم قد ادعت وجود أجزاء من رفات جثمان يوحنا "المعمدان" لديهم .

وفى مدينة سولت ليك الأمريكية قالت مصادر الكنيسة " المورمونيه " التى تأسست فى الولايات المتحدة عام ١٨٣٠م بأنه لاصحة لما روته الصحف المصرية مؤخرا عن وجود جثمان النبى يوحنا " المعمدان " فى مقبرة ما بالقرب من القاهرة .

وقال رئيس الكنيسة أمس أنه لايمكن أن تحتوى المقبرة التى اكتشفت على جثمان النبى يوحنا للسبب البسيط وهو أن يوحنا " المعمدان " قد قام متجسدا على الأرض مرة فى عام ١٨٢٩م.

وقال محمد عادل سليمان مفتش اللغة العربية بالأزهر : " إنه لابد فى البداية من معرفة الخلفية الحقيقية وراء هذا الكشف ماسر اللهاث المبحوح وراء الحفر المظنون أو المحقق ؟

ترى أكان العثور على الرفات عن طريق العمد أم على طريق العفوية ؟ فان يكن عن طريق العمد فإنه لابد من سؤال جديد .

هل تعمد الحفار ذلك لأنه يعلم أنه سيعثر حتما على رفات نبى ؟ وإن كان يعلم ذلك فَلِمَ تأخر البحث والحفر هذه القرون الطويلة ؟ وإن يكن عن طريق العفوية فكيف بقى الهيكل قائمًا بعد لم يتهدم ؟ وحين ندع هذه التساؤلات لندخل إلى الموضوع ذاته فى صميميته وأعماقه نرى أن الرفات إما أن يكون جسدًا تامًا أو بقايا جسد وحين نراه بقايا جسد فليس وراء الكشف قيمة دينية ولاتاريخية لأنه بقايا جسد الانسان أى إنسان وحين يكون الرفات جسدا تاما كامل الأعضاء فيه ليونة الولاية واخضرار النبوة وطراوة الاصطفائية فلذلك دلالة – لا على المعجزة – ولكن دلالة على ولاية صاحب الجسد حين يخبرنا علماء الاثار أن هذا الجسد قد مرت عليه أحقاب ضاربة فى تجاويف الزمان غير أننا نتوقف دون أن نقطع باسم صاحب هذا الرفات القديم فليس فى الكتب السماوية صورة دقيقة لملامح " يحيى " ولا ملامح " اليسع " .

وليس هناك نبى ولا رسول يعلم النّاس مكان مقامه إلا رسول اللّه محمد صلى اللّه عليه وسلم ، ومن هنا فإننا – حتى لو عثرنا على رفات جميع الأنبياء – لانستطيع أن نجزم بصاحب كل رفات ، ولا أن ننسب أسماء كل نبى إلى رفاته . (١)

والمسيحيون يعتقدون بقتل يحيى عليه الصلاة والسلام وفصل رقبته عن بقية جسده فمن أين يعرف الجسد بدون الرأس ، ولو وجد الجسد والرأس معا فكيف نتأكد من أن

---

(١) المرجع السابق صـ ٧٩ ، ٨٠ .

هذا رأس يوحنا وذاك جسده وهم يقولون بدفن الرأس فى مكان والجسد فى آخر وكلاهما انتقل من مكان إلى مكان بعيدًا عن الآخر وفى زمن غير زمن الآخر ولم يوجد مايدل على دفنهما فى مكان واحد بعينه .

يحيى عليه الصلاة والسلام

هو يحيى بن نبى الله زكريا الذى خاطبه القرآن الكريم (يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحى لم نجعل له من قبل سميا) [1] ، وقد ولد يحيى عليه السلام فى مدينة القدس فى العام الذى ولد فيه المسيح عليه السلام فى بيت لحم اذ حملت نبيه والدته ايشاع بنت فاقوذ أو اليصابات كما يسمونها أهل الكتاب زوجة زكريا عليه السلام وهى فى سن الثامنة والتسعين من عمرها فى الزمن الذى كانت مريم ابنة عمران ابنة أختها حنة بنت فاقوذ حاملة فيه بعيسى عليه السلام .[2]

فوالدة يحيى أخت جدة عيسى عليهما السلام وقصتهما : أن زكريا بن يوحيا وعمران بن ماثان كانا متزوجين بأختين إحداهما عند زكريا وهى إيشاع بنت فاقوذ أم يحيى والأخرى عند عمران وهى حنة بنت فاقوذ أم مريم والدة المسيح[3]، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وذلك أن مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر .

وبعد ولادة يحيى ثم بلوغه سنا يؤمر مثله فيه ناداه الله عز وجل : (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وءاتيناه الحكم صبيا) .[4]

وقيل : المراد بالحكم الحكمة ، وقيل بمعنى العقل ، وقيل الفراسة الصادقة وقيل النبوة وعليه كثير قالوا : أوتيها وهو ابن سبع سنين أو أقل ولم يتنبأ أكثر الأنبياء

---

(١) سورة مريم الآية ٧ .

(٢) حياة وأخلاق الأنبياء أحمد الصباحى عبد الله ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ط(١) طبع دار أقرأ ببيروت لبنان ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

(٣) قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس تأليف (أبى اسحاق أحمد بن ابراهيم النيسابورى المعروف بالثعلبى المتوفى سنة ٤٢٧هـ) ص٣٣٣ طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه .

(٤) سورة مريم الآية ١٢ .

عليهم الصلاة والسلام قبل الأربعين[١] ، فكان يعظ الناس من بنى إسرائيل ويدعوهم إلى الله ثم قتل قبل أن يرفع عيسى إلى السماء .

مقتل يحيى عليه الصلاة والسلام

كان " هيرودس " بن هيرودس ملك على نصف المملكة اليهودية وأخوه فيليبس على النصف الآخر وكان هيرودس فاسقا عاصيا أحب " هيروديا " زوجة أخيه الملك ومن أجلها حارب أخاه واستولى على ملكه ، وعزم على الزواج من " هيروديا " ليسكت ألسنة الذين احتجوا على فعله ومن ناحية أخرى أراد أن يبارك " يحيى " عليه الصلاة والسلام هذا الزواج ليكون فى حماية رجل الدين فلم يوافقه على سلوكه الشائن ، فزج به فى السجن وأثناء حفل ميلاد الملك حدث أن كانت " سالوس " ابنة " هيروديا " من راقصات الحفل الماجن ، فطلبت رأس " يحيى " من الملك بناء على رغبة أمها لأن " يحيى " لم يوافق على زواجها من الملك وما كان لمثل هذا الملك الظالم أن يرفض هذا الطلب ، فأمر السياف بإتيانه برأس " يحيى " وفورا نفذ السياف وحضر بالرأس فى طبق إلى الملك الذى أرسلها بدوره هدية إلى " هيروديا "[٢] فاستحقا معا ومن عاونهما على هذا العمل الشنيع من بنى إسرائيل لعنة الله تعالى .

فهذا النبى الغياض بالحنان قتل فى بنى إسرائيل ظلما ورأى بعض علماء المسلمين أن " يحيى " عليه الصلاة والسلام مات ولم يقتل مستشهدا بظاهر قول الله تعالى فى شأن " يحيى " " وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا " .[٣]

ومفرقا بين الموت والقتل ، وغاب عنهم أن " المقتول ميت بأجله " الذى قدره الله تعالى حكم بآجال العباد على ماعلم من غير تردد قال تعالى : " لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلايستأخرون ساعة ولايستقدمون "[٤] فالأجل قد يكون قتلا أو غيره بمرض أو غيره وكل ذلك بتقدير الله تعالى .[٥]

---

(١) روح المعانى جـ ١٦ صـ ٧٢ بتصرف .
(٢) تاريخ يوسيفوس بن كريون اليهودى ص ٢١٣ بدون عدد للطبعة طبع فى المطبعة العلمية ليوسف ابراهيم صادر فى بيروت .
(٣) سورة مريم الآية ١٥ .
(٤) سورة يونس من الآية ٤٩ .
(٥) كتاب الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية للعارف بالله : عبد الغنى النابلسى الحنفى الدمشقى صـ ٤٦٥ دار الطباعة العامرة ١٢٩٠ هـ .

ولذا يقول الالوسي : في معنى قول الله تعالى : " ويوم يموت " فيه دليل على أنه يقال للمقتول ميت بناء على أنه عليه السلام قتل لبغى من بغايا بنى إسرائيل ثم يشير إلى أن قول الله تعالى : " ويوم يبعث حيا " يعطى دلالة على قتله عليه الصلاة والسلام فالحال جيء بها للتأكيد ، وقيل للتنبيه على أنه عليه السلام من الشهداء .[1]
ولقد قتل اليهود كثيرًا من الأنبياء ، وهذا يرجح قتلهم " ليحيى " عليه الصلاة والسلام .

مكان رأس يوحنا

روى عن مراجع المسيحيين انتقال رأس يوحنا من مكان لآخر فقد ورد في " السنكسار الجامع لأخبار الأنبياء والرسل والشهداء ، أن رأس يوحنا انتقل من منزل " هيرودس " ـ بواسطة أحد رجلين من أهل "حمص " قصدا بيت المقدس فظهر القديس " يوحنا " لأحدهما وأعلمه باسمه ، وعرفه بموضع رأسه وأمره أن يحمله معه إلى منزله ، وحفر الرجل في الموضع فوجد الرأس داخل وعاء من الفخار المختوم ، فحمله إلى منزله ووضعه في خزانته ، ولم يزل الرأس ينتقل من انسان لآخر حتى انتهى إلى رجل " آريوسى " وقد طرد هذا الآريوسى من مكانه ، ولم يعلم أحد أين دفن رأس يوحنا ؟ .

حتى جاء زمان القديس " كيرلس " أسقف أورشليم ، فظهر القديس " يوحنا " لأنبا " مريتانوس " أسقف حمص في النوم وأرشده إلى موضع الرأس فأخذه وكان ذلك في الثلاثين من شهر أمشير .[2]

وقد جاء في تقرير علمي تاريخي للدكتور " هنري أمين عوض " : أنه معروض في متحف " طوباتوساي " في اسطنبول بعض عظام النبي يحيى " عظمة الجبهة وعظام أحد الأطراف " وذلك في الجناح المخصص لعرض المجوهرات والمطل على مضيق البسفور وبالتحديد في أول غرفة على يسار الداخل من باب المتحف .[3]

ويرى البابا " شنودة الثالث " بابا الإسكندرية أن رأس يوحنا " المعمدان " مدفونة في أحد أركان الجامع الأموي بدمشق ، وقد ذهب بنفسه وصلى على رأس يوحنا في هذا المكان[4] ورأس تعددت الآراء في مكان دفنه ، ومرت السنون العديدة عليه وهو

---

(١) روح المعاني ج ١٥ صـ ٧٣ ، ٧٤ بتصرف .
(٢) جـ ١ (شهر أمشير) بايجاز .
(٣) هل هو يوحنا المعمدان ؟ صـ ٥١ .
(٤) يراجع المرجع السابق صـ ٥٢ .

منفصل عن الجسد الخاص به كل هذا كفيل بعدم القطع بوجود رأس يوحنا فى مكان بعينه ، ومن باب أولى تحديدها ، ولكن زعماء القبط وعلى رأسهم " البابا شنودة الثالث" يصنعون قصة من وراء رفات النبى يحيى عليه السلام فى محاولة منهم لإحياء الحركة التبشيرية المسيحية فى هذه البلدان فرأس يوحنا بدمشق ، وبعض عظامه بدولة الخلافة فى تركيا الإسلامية وجسده بوادى النطرون بمصر وكل ذلك بمثابة إنذار للمسيحيين بأن يتحركوا فكل هذه الأماكن بها مآثر لهم وعليهم أن ينبشوا القبور لتعود المسيحية من جديد فى بلاد الشام ومصر خاصة وإلا فما الداعى لهذه الضجة وما الهدف المقصود من ورائها ؟ .

مكان جسد يوحنا

وكما انتقل الرأس الكريم من مكان لآخر ولم يعرف بالقطع مكانه الآن كذلك الجسد الطاهر ، وفى " التحقيق الثالث " يتوجه عزت السعدنى إلى رهبان دير الأنبا مقار قائلاً : ولكن إذا كان الفرق بين ظهور النبى اليسع والنبى يحيى بن زكريا (مابين ٣٠٠ و ٦٠٠ سنة)(*) كيف جمعتهما بعد رحيلهما من الدنيا " رحلة رفات واحدة " من فلسطين حتى الإسكندرية وحتى هذا المكان ؟ . تقول الكتب القديمة والمخطوطات:

المعروف تاريخيًا أن جسد النبى يحيى أو يوحنا المعمدان دفن بعد أن لقى مصرعه بحد السيف فى هيكل الملك سليمان فى نفس الوقت فإن هذا الهيكل كان يضم أجساد الأنبياء السابقين له وتقول الكتب إنّ الهيكل كان يضم ١٤ من أجساد الأنبياء .

وفى القرن الرابع قام الإمبراطور البيزنطى " جوليانوس " بنبش قبور الأنبياء وقال كلمته المشهورة : " هذا الهيكل يبقى خرابا " ويطلقون على هذه الفترة المسيحية بفترة الإضطهاد ، ولقد خرج من أساس الهيكل كرات من نار مع أجساد الأنبياء غطت المنطقة كلها ، واستطاع المسيحيون الأوائل أن ينقذوا جسدى يوحنا المعمدان والنبى اليشع من بين أنقاض الهيكل وهربوا بها إلى الإسكندرية فى عهد الأنبا " تاوفيلس(*) الثالث والعشرين "

(*) الصحيح تسعمائة سنة (يراجع : يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) بين الإسلام والنصرانية د / أحمد حجازى السقا صـ ١٥٩ بالهامش .

(*) البطريرك تاوفيلس : أصله من الإسكندرية وأقام بطريركا ثمان وعشرين سنة من شهر أغسطس ٤٠٢ م إلى ٢٥ أكتوبر ٤٣٠م وهى سنة الوفاة " وادى النطرون ورهبانه وأديرته صـ ١٠٩ بإيجاز " .

ودفن الجسدان فى إحدى الكنائس بالإسكندرية .

فى أوائل القرن الحادى عشر وبعد أن عانى المصريون كثيرا - مسيحيين ومسلمين - من جنون الحاكم بأمر الله نقل جثمان يحيى واليشع إلى دير الأنبا مقار ودفن الجسدان على مسافة ثلاث قامات أسفل الهيكل المعروف باسم هيكل يوحنا المعمدان مما يستحيل الكشف عنهما دون أن يتداعى الهيكل بأكمله .

كما جاء فى المخطوط الذى عرف منه الرهبان بمكان وجود الرفات[1] واعترض الباحث الدكتور أحمد حجازى السقا على أن يكون الهيكل مكانا لدفن جسد يوحنا ، وزكريا كان يؤم النّاس فيه بالصلاة الجامعة ، والمسيح عليه الصلاة والسلام صلى فيه ووعظ النّاس وناقش العلماء ورجح دفن يوحنا حيث قتل عند قلعة " ماكيروس " كما قال المؤرخ يوسيفوس المعاصر له والذى أثنى عليه ثناءً عاطرا .

ورد عليهم أن يكون " جوليانوس " عزم أن يبنى هيكل سليمان الذى هدم فى سنة ١٣٢م ليبطل قول المسيح ويسخر من نبوءاته لأنه قال : إن الهيكل سيهدم ولن يبنى وكيف يبطل " جوليانوس " قول المسيح ويسخر من نبؤته وهو وقسطنطين من المعترفين بالنصرانية دينا رسميا فى الدولة الرومانية ضمن الديانات المعترف بها فى الدولة ؟ ثم يقول عقب ذلك :

وحسب مؤرخى النّصارى - من غير السريان - الذين يقولون إنّه ملك سنة ٣٥٥ ومات سنة ٣٦٣ ب . م أى كان بعد موت قسطنطين مؤسس المسيحية بستة وعشرين سنة يسرد نفس الإعتراض ويلزمهم أن يفرقوا بين " يوليانوس " الذى كان سنة ١٩٣ ب.م و " يوليانوس " الذى مات سنة ٣٦٣ ب.م من منهم الذى أراد إغاظة المسيح وإبطال نبوءته[2] ؟ .

وكما وقع الاختلاف فى مكان دفن جسد يوحنا بأرض فلسطين وقع الاختلاف أيضا فى مكان دفنه بالاسكندرية حسب أقوال النصارى فيقال إن جسدى يوحنا المعمدان واليسع نقلا إلى الإسكندرية وحفظهما بابا الاسكندرية " اثناسيوس "[*] الرسولى فى بستان إلى

---

(١) الأهرام (السنة - ١٠٤ - العدد ٣٣٥٧٧)ص٣ تحقيق بعنوان هل هو النبى يحيى " المعمدان " ؟ ١٩٧٨م ، هل هو يوحنا المعمدان ؟ ص ٤٠ ، ٤١ .

(٢) يوحنا " المعمدان " " يحيى عليه السلام " بين الإسلام والنصرانية ص ١٨٤، ١٨٥ بتصرف .

(*) " اثناسيوس " الرسولى : أصله من الاسكندرية وأقام بطريركا ستا وأربعين سنة من مايو سنة ٣٤٤م إلى مايو سنة ٣٩٠م وعاش فى عهده القديس مقار الكبير ، والقديس مقار الاسكندرى " وادى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة ص ١٠٧ بتصرف .

حين بناء كنيسة (مارتيريا) على اسميهما وليدفنا بها ، ولما لم يتمكن من ذلك قام خلفه " البابا " تاوفيلس " أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس ببناء كنيسة (مارتيريا) وأودع فيها جسدى النبيين وسميت باسم كنيسة القديس يوحنا المعمدان فى مكان المعبد الوثنى القديم المشهور باسم السرابيوم (وموقعه حاليا بحى كرموز عند عامود السوارى المشهور) وتقول مصادر أخرى عربية إنّ كنيسة القديس يوحنا المعمدان كانت فى الموقع الذى يقوم فيه حاليا مسجد النبى دانيال ولكن الرأى الأول هو الأرجح حيث كانت كنائس " المرتيريا " تقام قديما على أطراف المدن وقرب المقابر . (١)

وبالتحديد القاطع الموصل إلى اليقين بأن جسد يوحنا دفن فى مكان بعينه فى مدينة الاسكندرية لم يجزم به باحث مما يجعلنا نشكك فى أن الجسد المنقول من الاسكندرية إلى دير الأنبا مقار هو جسد النبى يوحنا على فرض أنه تم نقله من فلسطين إلى الاسكندرية ولو فرض أن المنقول إلى دير الأنبا مقار هو جسد يوحنا يبقى الباحث فى حيرة فهم يقولون إنه لم ينقل وحده .

أيهـا رفات يوحنـا ؟

لو قال علماء النصارى إنّ رفات يوحنا نقلت واحدها إلى دير الأنبا مقار بوادى النطرون ، لبقى الأمر فى زمنهم إن كانت المواصفات التى نقلوه بها هى نفسها المواصفات الموجودة الآن من حيث تحديد الأشكال والأحجام وما إلى ذلك أما وإنهم يقولون إنه نقل مع رفات أخرى ، وهم لايستطيعون تميزها من بعضها فكفى حيرتكم ولاداعى لأن تدخلوا غيركم فى هذه الحيرة التى لاتوصل إلى اطمئنان ، ولاتوصل إلى يقين وهو مايظهر من التحقيقات فقد حكت " جريدة وطنى " أن رفاتى يوحنا واليسع وضعا مع رفات الأنبا مقار الأسقف الذى استشهد سنة ٤٥١م ودفن فى الاسكندرية .

ووردت عبارة فى سير القديسين يفهم منها ضمنا أن رفات مقار الأسقف نقل إلى دير الأنبا مقار الكبير وحيث أن الثلاثة كانوا معا ، ونقل واحد فإن الإثنين يكونان معه . (٢)

---

(١) المرجع السابق صـ ١٦٦ ، ١٦٧ بتصرف ويراجع السنكسارى جـ ٢ (اليوم الثانى من بؤونة) صـ ١٤٩ ففيه مايؤكد هذا الكلام .

(٢) يوحنا المعمدان " يحيى عليه السلام " بين الإسلام والنصرانية صـ ١٨١ .

ويجدر بنا أن نوضح أن المقارات ثلاثة :
أكبرهم صاحب هذا الدير ، ثم أبو مقار الاسكندرانى ثم أبو مقار الأسقف وهؤلاء الثلاثة قد وضعت رممهم فى ثلاث أنابيب من خشب وتزورها النصارى بهذا الدير .(١)

ولذ لما سأل عزت السعدنى الرهبان بالدير : أين إذن ثالثهما ؟ أى أين رفات مقار الأسقف ؟ أجاب الأب مينا المقارى من رهبان الدير : قال كأنه يدلى بمعلومه سبق أن تليت حتى حفظت تماما أنه فوق الهيكل فى كنيسة الأب "أبسخرون" مع رفات القديسين الثلاثة : الأنبا مقار الكبير ، والأنبا مقار القصير ، والأنبا مقار الاسكندرانى .(*)

ولما كان المسيحيون من قديم الزمان يتوجهون لزيارة المقارات الثلاثة الموضوعين فى أنابيب الخشب وهم بلاشك دون "يوحنا المعمدان" ، "واليسع" منزلة عندهم فلو كان النبيان دفنا بالدير لتوجهوا من باب أولى لزيارتهما ولما لم يحدث ذلك كان وجود النبيين بالدير مشكوكا فيه .

تحقيق اليوم الثانى

حدث التحقيق الثانى فى اليوم الرابع عشر من نوفمبر ١٩٧٨م وملخصه أن الرهبان بالدير أحضروا تابوتا من أمام الهيكل الأثرى الذى يحمل اسم يوحنا المعمدان نفسه فى دير الأنبا مقار ، وبعد سماحهم بفتح التابوت دون تصويره وفك الأحزمة الضاغطة على الخشب ورفع الغطاء المصنوع من القماش والذى قد أصابه البلى ، ثم فتح غطاء التابوت وأزاح راهب بيديه اللفافة الأولى لتظهر تحتها لفافة أخرى بيضاء وبرفق بالغ راح يكشف ماتحت اللفافة ، ومن بين اللفائف أبدى الراهب ظهر رأس الراقد فى سلام فى جوف التابوت يقول المحقق : فشددت يد عالم الآثار الدكتور / عبد الرحمن عبد التواب لينظر معى الوجه إنسانى الملامح ليس شيخا ولا شابا ، الرأس تتناثر فيه الشعيرات البيض والسود ولكن سواده أكثر ، العينان مغمضتان كأنه نائم لوقلنا له قم لقام معنا ، اللحية مازالت طويلة بشعيراتها السوداء والبيضاء الأذن اليسرى واضحة المعالم أما الأذن اليمنى فهو راقد عليها واليدان فوق الصدر والجسم كله نائم على الجنب الأيمن فما كان من عالم

---

(١) وادى النطرون ورهبانه وأديرته .. صـ ٦٨ .
(*) ملاحظة الأنبا مقار الكبير : مؤسس الدير بوادى النطرون فى صحراء مصر الغربية غير الأنبا مقار أسقف "ادكو" والأنبا مقار الكبير كان سنة ٣٣٠م والانبا مقار الأسقف كان سنة ٤٥١م والأنبا مقار الاسكندرى كان معاصر لمقار الكبير .

الآثار إلا أن قال : سبحانك ربى تعلم السر وما يخفى ، وخاطب المحقق الرهبان قائلاً : إذا كان هذا الراقد داخل التابوت هو النبى يحيى بن زكريا فلابد وأن يكون بلارأس قالوا : كيف ؟ قلت : تقول الأناجيل الأربعة متى ولوقا ومرقس ويوحنا إن هيرودس قطع رأس يوحنا المعمدان وقدمها على طبق لسالومى فلو كان هذا يحيى أو يوحنا فلابد أن يكون بلا رأس أو على الأقل يكون الرأس مع الجسد ولكن منفصلا عنه والذى شاهدناه رأسه مازال فى مكانه .

فقال عالم الآثار د / عبد الرحمن عبد التواب : هذا حق وصدق ، قالوا والجد كله يملأ وجوه الرهبان الخمسة : نحن رهبان نعبد الله فى مكان قصى : لقد اكتشفنا التابوت وبجواره الرفات ، ولقد شاهدتم التابوت وبقى الرفات قلت وأين الرفات؟ قالوا وهم يشيرون إلى صندوق آخر كبير الحجم فى نفس الغرفة لم نلحظه طول الوقت ولم يعره أحد اهتماما هنا فى هذا الصندوق قلت : ومن هو إذن الذى شاهدناه داخل التابوت .

قال واحد : ربما يكون النبى اليشع الذى صحب رفات يوحنا المعمدان فى رحلته الطويلة من أرض فلسطين إلى الاسكندرية حتى مقره الأخير فى دير الأنبا مقار .

وقال آخر : لوكان الاثنان قد قدما معا فلابد وأن يكون رفاتهما معا قلت : أين ؟ قال : فى هذا الصندوق قلت : لنفتحه ، قالوا : لم يأمرنا الأب متى المسكين رئيس الدير بفتحه .(١)

وبعد أن أذن الأب متى بفتح الصندوق ، وحدث الفتح برفع الغطاء كانت المفاجأة : اللوحة تضم أكثر من جسد واحد ، اللفائف تغطى كل شىء لم أشاهد رأسا ولكنى شاهدت رفات ، رفات من وحاولت أن أمد يدى ولكن الصندوق كان قد أغلق بابه .(٢)

ومادام الصندوق به عدة رفات فلايدل ذلك على وجود النبى يحيى عليه السلام به ، فإن أجساد الأنبياء لاتبلى فقد أخرج النسائى فى سننه فى كتاب الجمعه عن أوس

(١) هل هو يوحنا المعمدان ؟ صـ ٣٠ ، ٣١ .
(٢) أهرام الخميس صـ ٣ (السنة ١٠٤ ـ العدد ٣٣٥٧٧) .

ابن أوس أنّ رسول اللّه عليه الصلاة والسلام قال :
" انّ اللّه عز وجل قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام "[١] ،

والأنبياء أحياء فى قبورهم زيادة على أن الأرض لاتأكل أجسادهم فقد وردت فى حياتهم فى قبورهم أحاديث كثيرة منها مارواه أنس بن مالك رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال أتيت وفى رواية هدّاب مررت على موسى ليلة أُسرى بى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره .[٢]

وهذا الهدى النبوى الشريف يغنينا عن التحدث عما ورد فى الميامير والمخطوطات المسيحية حول مكان رفات النبى يحيى عليه السلام فقد تضاربت أقوالها وكل مايهم البشرية هو الاقتداء بسلوك الأنبياء والعمل بسنتهم لامعرفة أماكن أجسادهم ، وهذاالنبى الكريم كان مثلا أعلى فى التقوى والحنان والبر بالوالدين ، والطاعة لله والرحمة بالإنسانية وهذا كله تحتاجه الانسانية لتتحقق لها السعادة ولعل ماحدث من اثارة حول هذا الموضوع من جانب أقباط مصر يعتبر لفتة لعلماء مصر ومفكريها لتعمير هذا الوادى وتحويله من أوكار إلى جنات ذات ثمار .

---

(١) الحديث بتمامه فى سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى ج ٣ صـ ٩١ (كتاب الجمعة - باب فضل يوم الجمعة) طبع بيروت لبنان بدون تاريخ وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى باب ذكر وفاة النبى عليه الصلاة والسلام ورواه غيرهما كأبى داود .

وقال الحاكم فى المستدرك هذا حديث صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه وقال الذهبى صحيح (المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبى رحمهما اللّه جـ ١ صـ ٢٧٨ طبع بيروت - بدون تاريخ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٥ صـ ١٣٣ (كتاب الفضائل - باب فضائل موسى صلى اللّه عليه وسلم) .

الفصل الثانـــى

الجماعات التبشـيرية ودورهـــا فــى نشــر المسيحيــــة

الجماعات التبشيرية قامت بدور واضح في نشر المسيحية ومن الملاحظ أن هذه الجماعات انبثق منها جمعيات أنشئت العديد من المدارس والمطابع ، ومؤسســـــات التبشير فى الشرق الإسلامــى .

نذكر من هذه الجمعيات :

- اخوة المدارس المسيحية :

وهى جمعية أسسها القديس " دى لاسال " عام ١٦٨٠م لتعليم الناشئة ولهــــا مدارس فى الشـــرق .

- الاخوة الوعــاظ : أو الدومينيكان :

وهم أعضاء الرهبانية التى أسسها القديس عبد الأحد(*) عام ١٢٠٦م ، وكان اتباعها أرباب تعليم فلسفى لاهوتى ، ثم دخلوا البلاد الشرقية فى القرن السابع عشر الميلادى وأسسوا إكليركية بالموصل عام ١٨٨٢م ، وكانت فيها مطبعة عربية شهيرة .

- الاخوة المريميون :

وهى جمعية أسسها شامبانيا (*) الطوباوى ١٨١٧م لتعليم الناشئة لها مدارس عديدة فى الشرق [1] .

ونظرا لنشاط الجماعات التبشيرية ودورها فى نشر المسيحية يلزم ذكر بدايتهـــا وتوغلها فى بلاد الإسلام ، وبيان جماعتها بالتفصيل ، ودورها فى بلاد الإسلام ومساندة الاستعمار لها والربط بينها وبين الحركة المرسلية الحديثة لتكون على بينة من أمرها .

(*) عبد الأحد أو القديس دومينيك (١١٧٠ ــ ١٢٢١م) ولد فى قشتاله (باسبانيـــا) وأسس رهبانية الاُخوة الوعاظ لمقاومة بدعة الإلبيجيين ، يراجع (المنجد فى العلوم صـــ ٤٤٧) .

(*) شامبانيا (مارسلان) (١٧٨٩ ــ ١٨٤٠م) كاهن طوباوى أسس جمعية الاخوة المريميين يراجع (المرجع السابق صــــ ٣٨٢) .

(١) يراجع المرجع السابق صـــ ٢٨ .

بداية الجماعات التبشيرية

من الثابت تاريخيا أن الجماعات التبشيرية أدت دورا خطيرا فى نشر المسيحية فى الغرب والشرق ، وساهمت مساهمة فعالة فى تبشير أوربا وانتشار المسيحية بها فى الفترة من (٥٠٠ – ١٥٠٠) م ولذا يقال :

كانت فترة الألف سنة هذه ، بالنسبة للكنيسة المسيحية تتسم بعلامات التقدم الملحوظ ، والعدد الكبير من المتجددين ، وإن كان الاسلام خلال هذه الفترة يتقدم بخطوات سريعة واسعة فقد ربحت الكنيسة شعوب شمال غرب أوربا للمسيح وكذلك شعوب روسيا ومع الاستكشافات الجغرافية والرحالات إلى القارات التى لم تكن معروفة حتى ذلك الحين دخلت المسيحية الدنيا الجديدة .(١)

ولما سئم النّاس فى الغرب من ترف رجال الدين المسيحى ، وخداعهم انبثقت الجماعات التبشيرية من الأديار تمثل الزهد والتقشف فى الحياة ، وتقترب من النّاس فى صورة روحانية ، مما حبب فيها المسيحيون فى بادئ الأمر ، وعاونها رجال الكنيسة لشعورهم بأنّ الناس كادوا يولون لهم الأدبار .

وزاد النشاط التبشيرى فى الوقت الذى كره الغرب المسيحى فيه دعاة الحروب الصليبية يقول صاحب الكنيسة المتغربة ، وفى الواقع أنه حتى فى القرن الحادى عشر عندما استنفذت الحملات الصليبية حماس الشعوب الكاثوليكية ، كانت توجد شهادة مستمرة أخضعت بالتدريج الغزاة المتبربرين ، ونشرت معرفة المسيح فى الأقاليم النائية التى جاءوا منها ، فالمرسليون النسطوريون ارتحلوا حتى بلغوا الصين وسيبريا ، وأقاموا كنائس من سمرقند حتى سيلان ، وعبر اليونانيون من القسطنطينيه إلى بلغاريا ، ومنها نفذوا إلى روسيا حتى قلبها ، بينما وصل المرسلون من كنيسة بريطانيا وكنيسة روما إلى الشعوب الوثنية فى وسط وشمالى أوربا ، وكان فى شمال إفريقيا وغرب آسيا ممن يعتنقون المسيحية أكثر ممن فيها اليوم ، وكان الرهبان يخرجون فى جماعات يتألف كل منها من اثنى عشر راهبا بزعامة رئيس منهم ليفتحوا ميادين جديدة للإنجيل ، بينما يقوم الباقون بالتدين فى المدرسة ومتى تعلموا لغة الأهالى حولهم ، فإنّهم يترجمون بعض أجزاء

(١) نشأة الطوائف المسيحية للمطران اسحق سعد ص ١٠٤ بدون عدد للطبعة دار الجيل للطباعة بالقاهره بدون تاريخ .

الكتاب المقدس إليها ليسهل نشره بين الأهالى[1] وقام العديد من رجال الحركات التبشيرية بأعمال كبيرة ، كدراسة اللغات الشرقية لأجل التبشير بالمسيحية ، ومساعدة الفقراء ورعاية المرضى والمحتاجين وغير ذلك .

توغل الجماعات التبشيرية فى البلاد الإسلامية

بظهور البروتستانتيه فى الغرب ، تحرك النشاط التبشيرى المكثف إلى بلاد الشرق فقد أراد قادة الكنيسة أن ينفسوا عن هزائمهم المتلاحقة أمام ضربات البروتستانتية الموجعة بنشر المسيحية الكاثوليكية فى بلاد الإسلام ، وفى العالم الجديد أيضا .

يقول المرحوم : محمد فريد وجدى :

فى أوائل القرن السابع عشر رأت الكنيسة أن تنشط فى أمر التبشير لتعوض ما خسرته من النفوذ من جهة البروتستانتية فأعطى " البابا " خطة منتظمة وجاء البابا غريغور(*) الخامس عشر فأسس لها مدرسة خاصة يدخلها الشبان من مختلف الأمم ليتمرنوا على صناعة الدعوة إلى الدين ، وأسس لهم مطبعة تطبع بخمسين لغة وكان ذلك سنة ١٦٢٢م ومن ذلك الحين توزع الدعاة على أرجاء الأرض بواسطة أربع طوائف رئيسية وهى الدومينكان ، - والفرنسيسكان ، والجزويت ، والآباء البياض ثم قسموها إلى بعثة الشرق وهى تشمل "مصر" و " أثيوبيا " وجزائر الأرخبيل اليونانى ، و " تركيا " و " الفرس " ثم بعثة الصين واليابان .

ثم يلى هذه بعثة الهند وتشمل جزائر الأقيانوسية(*) إلى مانيلا والفلبين الجديدة وأخيرا بعثات أمريكا التى تمتد على الأمريكتين الشمالية والجنوبية إلى جزائر الأنتيل(*) (٢) وسأعرض أهم الجماعات التبشيرية مبرزا دور كل منها وخاصة بأرض الإسلام .

---

(١) أ . هـ برود بنت ترجمة وليم وهبة صـ ٣٩ - ٤١ بتصرف يسير .

(*) غريغور ١٥ : هو غريغوريوس الخامس عشر تقلد كرسى البابوية من عام ١٦٢١م إلى ١٦٢٣م يراجع دائرة المعارف للبستانى مجلد (٥) صـ ٨ ، المنجد فى العلوم صـ ١١٢ .

(*) جزائر الأقيانوسية : سبق التعريف بها صـ ١٥٤ بالهامش .

(*) جزائر الأنتيل : أرخبيل فى أميركا الوسطى فى المحيط الأطلسى يقسم إلى جزر الأنتيل الكبرى وهى جمهوريات منها "كوبا "و" بريطانيا " والولايات المتحدة الاميركية ، وجزر الأنتيل الصغرى وتتقاسمها عدة دول من بينها بريطانيا ، وفرنسا ، وهولندا ، والولايات المتحدة (يراجع المنجد فى العلوم صـ ٧٣) .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين " الرابع عشر الهجرى " المجلد الثانى صـ ٢٠٨ ط(٣) دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت بلبنان ١٩٧١م باختصار يسير .

١ ـ الآباء البندكتيون

ينسب " البندكتيون " إلى شخصية تدعى " بندكت " الذى أطلق على الحركة البندكتيه ، ويعتبر شخصية هامة فى تاريخ الرهبنة الغربية ويقال فى شأنه إنّه ولد عام ٤٨٠م لأسرة من النبلاء ونشأ فى حياة الترف والبذخ التى تميز بها نبلاء الرومان ولكن حدث له وهو فى العشرين من عمره رد فعل عنيف على تقاليد نشأته الأولى فقضى ثلاث سنوات من حياته ناسكًا فى كهف وفى عام ٥٢٠م أسس ديرا فى " مونتى كاسينو " أصبح مركزا للطريقة البندكتيه .[١]

ونشر " بندكت " طريقته من ايطاليا فى صورة تلائم الناس " فاندفعت الحركة من نورسيا Nursia فى " إيطاليا " دفعة قوية إلى الأمام ، وانتشرت تعاليم صاحبها فى الأديرة حيث قلل من انشغال الرهبان بالقسوة على أنفسهم ، ليتفرغوا لخدمة الناس مع القيام بالشعائر الدينية ، ووجه عناية خاصة بالزراعه ، وكانت الأديرة البندكتية إحدى الوسائل الرئيسية التى انتشرت بها المسيحية بين بعض الشعوب الأوربية فى القرنين السابع والثامن الميلاديين .[٢]

وحولوا نشاطهم بعد ذلك إلى بلاد الإسلام ، فاهتموا باللغات الشرقية عموما ، وزادوا عناية باللغة العربية ويصف نشاطهم نجيب العقيقى بقوله :

فكانوا أول من عنى بالعربية تعليمًا ، وترجمةً ، وتصنيفًا ثم تناولوا اللغات الشرقيه جميعها من فجرها حتى اليوم ونشروا الأبحاث عنها فى مجلتهم .[٣]

٢ ـ الآباء الفرنسيسكانيون

قام بإنشاء رهبانيتهم وتكوين جماعتهم (فرانسيس داسيز) الأسيزى نسبة إلى قريته ، وقام بنشر تعاليمه فى قريته وما حولها وقد قيل فى نشأته إنّه ولد سنة ١١٨٢م. وكان اسمه عند الولادة " جيوفانى " فغيره والده إلى فرانسيسكو تحدر من عائلة موسرة

---

(١) حكمة الغرب : تأليف برتراند رسل ترجمة : فؤاد زكريا جـ١ صـ ٢٦٢ (سلسلة كتب ثقافية ـ إصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ٦٢) ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

(٢) الكنيسة المتغربة صـ ٣٧ ، ٣٨ بتصرف ، ونفس المرجع صـ ٤٢ .

(٣) المستشرقون جـ ٣ صـ ١٠٤٤ .

قطنت أجمل بقاع إيطاليا آنذاك تعلم الفرنسية عن أمه ، والطليانيه عن أبيه واللاتينية عن طريق الكنيسة واشتغل بالتجارة مع أبيه فى البداية ، ثم تطوع فى الجيش البابوى سنة ١٢٠٤م ، وخُيِّل إليه وهو طريح الوساد فى مدينة " سبولينو "(*) أنه كلف بتأدية رسالة سماوية فترك الجيش وانقلبت حياته رأسا على عقب ، فلزم الزهد وأهمل مظهره حتى أصبح محط الاستهزاء ، وصاح النّاس فى وجهه مخبول مخبول .(١)

وكان فرنسوا فى بدء أمره ، من أهل الفسق والمجون ، بعيدًا عن حياة القساوسة حتى ألم به المرض فتحول فجأة الى حياة التقشف ، وسار حافى القدمين ، يبشر بالإنجيل ، وجمع حوله زمرة من أصحابه ، وقصد روما سنة ١٢١٠م ، مع رفاقه ليحصل على إذن بمزاولة نشاطه ويقول صاحب كتاب (نشأت الطوائف المسيحية) : وبعد صعوبة كبيرة استطاع فرانسيس أن يقنع البابا " أنوسنت الثالث "(*) أن يوافق رسميًا على نظام الحياة البسيطة الذى وضعه فرانسيس لنفسه ولرفاقه ، وسرعان ما اشتهر الفرنسيسكان كما عرفوا بالتبشير والنصائح الروحية .(٢)

وقامت هذه الجماعة بدور هام فى الغرب فى الوقت الذى طغت فيه الكنيسة برجالها ، الذين تعالوا على الشعب حتى سخط عليهم ، ونقم على ترفهم فى تلك الظروف أظهرت جماعتهم شعار التقشف حتى حققوا لأنفسهم مكانة فى نفوس الشعب يقول : رولاند بيسنتون : وقد نشط الفرنسيسكان فى مكسيكو وجنوب كاليفورنيا ، حتى نجحوا فى اطلاق اسم " سان فرانسيسكو " على اسم القديس " فرنسيس " كما دعوا اسم " لوس انجيليس " معناها الملائكة و " سكرمنتو " ومعناها الفريضة (٣) ويمكن القول ان انغماس الكنيسة فى الشهوات ، وانحطاطها إلى الدرك الأسفل فى الرذائل ساهم فى رجحان كفة هذه الطائفة ، فنجح الفرنسيسكان فى نشر المسيحية فى أوربا لأنهم كانوا متواضعين وبعيدين عن المظاهر الكاذبة وذلك فى الوقت الذى كانت الكنيسة فيه تمثل طبقة الغنى

(*) " سبولينو " : اسمها الحالى : سابينا Sabina مقاطعة قديمة فى ايطاليا الوسطى (المنجد فى العلوم صـ ٣٤٢) .

(١) العصور الوسطى الأوربية د / عبد القادر أحمد يوسف صـ ٢٤٥ ، ٢٤٦ بدون عدد للطبعة طبع صيدا — بيروت ١٩٦٧م .

(*) " أنوسنت الثالث " : اعتلى كرسى البابوية من عام ١١٩٨م — ١٢١٦م يراجع: دائرة المعارف للبستانى مجلد صـ ٨ .

(٢) نقله إلى العربية المطران اسحق مسعد صـ ٧٧ .

(٣) الكنيسة من البدء إلى القرن العشرين صـ ١٧١ .

الفاحش والثراء الطاغى وكانت برجالها فى واد ، والشعب فى واد آخر " بحيث أن الكنيسة بعدت بنفسها وبعدت بالدولة عن الفضائل المسيحية الأصيلة ، وعن الشعوب المسيحية كذلك وما تتطلبه من حرية ، واخاء ، ومساواة وأن الكنائس فى أوربا تمالىء وتتمشى عادة وراء الحكومات الملكية والغريب أنها تنقسم عليها فى آن واحد لأنها تهدف أن تكون لها الكلمة العليا عليها وأن تكون دولة فى داخل الدولة لما لرؤساء الكنائس من الولاية على تتويج الملوك وإعطائهم الحق المقدس ، ولما لهم من أطماع دنيوية كالحال مثلا فى " البابا بونيفاشيوس الثامن " (*) عندما يمسك سيفين فى كلتا يديه ويصرخ قائلاً هذا سيف الدين وهذا سيف الدنيا أنا " بابا " وأنا " امبراطور " . (١)

ولذا كانت علاقة " فرنسيس " بالكنيسة موضع الأخذ والرد فهى معه فى مـل ء الفراغ التى عجزت عن ملئه حين سئم الناس رجال الكنيسة والمسيحية معا ، وهى ضده حين يعلن التقشف والبعد عن الدنيا فى الوقت الذى ينغمس فيه رجال الكنيسة فى زينة الحياة بل ويغرقوا فى شهواتها إلى آذانهم ، ولذا لما ذهب قائد الجماعة إلى بلاد الشرق عمل رجال الكنيسة على اعادة تشكيل الجماعة بصورة أقرب الى فكرهم فأفضت هذه التغييرات إلى تخليه عن رياستها .

تبشير " فرنسيس " فى بلاد الإسلام

لقد تجول كثير من المبشرين فى البلاد الإسلامية ، وكان من طلائع المبشرين فى الشرق الإسلامى القديس " فرنسيس " نفسه ، فقد رحل إلى مصر أثناء الحملة الصليبية الخامسة وقابل السلطان الملك الكامل محمد فى معسكره بدمياط ودعاه وجنوده لاعتناق المسيحية ، وقد قدم لنا الأستاذ الدكتور " محمد مصطفى زيادة " صورة واقعية لهذه المقابلة فقال :

" وبينما تجرى المفاوضات بين السلطان الكامل والقيادة الصليبية فى مجراها الفاشل (وكان ذلك فى أعقاب الحملة الصليبية الخامسة على دمياط) جاء إلى المعسكر الصليبى فى دمياط رجل مشرف على الأربعين من العمر ، بالى الثياب وليس فى مظهره إلا مايثير سخرية الجاهل .

(*) (بونيفاشيوس ٨) ولد فى " أنانيى " نحو سنة ١٢٢٨م ثم انتخب بابا سنة ١٢٩٤م وتوفى فى روما سنة ١٣٠٣م يراجع (دائرة المعارف للبستانى مجلد (٥) صـ ٧١٩ ، المنجد فى العلوم صـ ١١٢ .

(١) الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان صـ ٧٩ ، ٨٠ .

كان هذا الرجل هو القديس" فرنسيس " الذى يرجع إليه تأسيس جماعة الرهبان الفرنسيسكان ، وهم الذين أطلق عليهم اسم الإخوان الفقراء ، أو الفقراء الرماديين إشارة إلى لون ملابسهم الرهبانية ، ووصل القديس " فرنسيس " إلى المعسكر الصليبى ، حيث وجد الزعامات الصليبية مختلفة حول قبول عروض السلطان الكامل للجلاء الناجز الشامل عن دمياط والسواحل المصرية ، واشترك " القديس" فى النقاش المضطرب ، ونصح بقبول عروض السلطان حقنا للدماء ، غير أن نصيحته لم تلق مجيبًا فرحل عن المعسكر الصليبى إلى أطراف معسكر المسلمين فى " فارسكور " حيث قبض عليه الحراس المصريون دون أن يبدى آية مقاومة ، وهو يتكلم كلاما لم يفهم أحد منه شيئا سوى لفظ " صلدان " يريد بذلك أنه يرغب فى المثول بين يدى السلطان الكامل ، وأخيرا وجد القديس نفسه فى حضرة السلطان الكامل تحيط به حاشية قليلة من قادته ومترجميه ، وربما كان بعض أولئك التراجمة ممن اشتراهم الكامل أيام نيابته عن أبيه بالقاهره من أفراد حملة الأطفال ، وشرح القديس للسلطان الكامل سبب قدومه إليه ، واستأذن أن يعظه ويصف له المسيحية ويدعوه إليها وأذن السلطان للقديس فى الكلام واستمع له فى دماثة المتمكن من عقيدته ، المحترم لعقيدة غيره .

ومما يدعو إلى الالتفات أن " الكامل " لم يجادل القديس" فرنسيس" فيما قال ولم يستدع أحدا من علمائه لمجادلته ، بل اكتفى بالمبالغة فى اكرامه ، واكتفى القديس بدوره فى الإمعان فى إطراء السلطان ، بعد أن أوصاه بحسن معاملة الأسرى من الصليبيين ، وبعد أن طلب إليه إعطاء الإخوان الفرنسيسكان سدانة كنيسة القيامة ببيت المقدس ، ثم استأذن القديس " فرنسيس " " السلطان " فى الاتصال بالجنود الأيوبيين المسلمين والحديث إليهم ، فأذن له ، وظل القديس المسيحى يتقلب فى معسكر المسلمين بضعة أيام حتى قرر الرحيل ، فرده السلطان الكامل محروسا إلى أطراف معسكر الصليبيين .

ورجع القديس " فرنسيس " إلى أصحابه ليخبرهم بما شهد وسمع من أحوال المسلمين وسلطانهم ، ولينذرهم بما عساه يتطور إليه مشروع الهجوم على دمياط ، وليكرر عليهم فوائد عروض السلطان ، لكنه وجد النية معقودة على الحرب ، وهى عكس ما أراد أن يسهم به فى خدمة المسيحية فاقتنع بأن لامصلحة فى مقامه ، ونفض تراب المعسكر الصليبى عن قدميه ويمّم نحو الشام وفلسطين بإذن من السلطان الكامل حيث أقام بضع سنوات ليؤسس للإخوان

الفرنسيسكان نواة أعمالهم فى سدانة كنيسة القيامة ببيت المقدس حتى العصر الحاضر .[1]

تطلع " فرنسيس " لبيت المقدس

لم يكن ذهاب " فرنسيس " لبيت المقدس وليد الصدفة وإنّما سبقه إعداد ثم محاولة فشلت حيث لم يتحقق له الوصول إلى الديار المقدسة ،ولما تمكن من الوصول فى المرة الثانية ولم يظفر بمراده فى تبشير سلطان المسلمين وجنود بيت المقدس وجه دعوته إلى مصر وبلاد الشام ، ومنذ عام ١٢١٠م حيث حصل على موافقة " البابا انوسنت الثالث " بمزاولة العمل " انطلق مع اتباعه منذ ذلك التاريخ لممارسة الوعظ بالمدن واتخذ من كنيسة القديسة " مارى " قرب " أسيس " مركزا له .

ودفعه حماسه الدينى لكسب النصر للصليبيين عن طريق التبشير فى الأراضى المقدسة وحاول ذلك فعلا سنة ١٢١٢م إلا أن سفينته جنحت لشواطىء " دلماشيا " [*] نتيجة للأعاصير فاضطر إلى الرجوع لإيطاليا غير أنه ذهب إلى الديار المقدسة سنة ١٢٢٠م أثناء الحملة الصليبية الخامسة على مصر .[2]

كما ذكرت فيما سبق ، ومما يجدر ملاحظته أن الرجل لم ييأس وولى وجهه شطر الشام ومصر كما ذكر هـ . ج ولز : فأخذ يعظ الناس فى مصر وفلسطين مبشرا بدعوته لايعترض المسلمون عليه .[3]

وقام اتباعه من بعده بنقل التبشير فى صورة منظمة من أوربا الى آسيا ، وإفريقيا ، فى محاولة منهم لتنصير المواطنين .

نشاط الفرنسيسكان العلمى بالشرق :

لهذه الجماعة نشاط بارز فى بلاد الشرق الإسلامى ، فقد تعلموا اللغات الشرقية بالأديرة والجامعات ، وانتشرت جماعتهم فى بلاد الشرق بالقاهره ، وبيروت ، والقدس حيث

(١) حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة الأستاذ / محمد مصطفى زيادة ص٥١ ـ ٥٢ ط (١) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهره ١٣٨١ هـ = ١٩٦١م ، التاريخ الاسلامى وأثره فى الفكر التاريخى الأوربى فى عصر النهضة ص ٨٢ ـ ٨٤ .

(*) دلماشيا : منطقة ساحلية فى يوغسلافيا شمال شرقى الادرياتيك قاعدتها سبليت مركز سياحى يراجع (المنجد فى العلوم صـ ٢٨٧) .

(٢) العصور الوسطى الاوربية صـ ٢٤٧ .

(٣) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث (فى المسيحية والإسلام والعصور الوسطى وعصر النهضة صـ ٩٠٧ .

أنشأوا مركز دراسات الكتاب المقدس فيها ١٨٥٠م، وألحقوا به مكتبة ١٨٩١م تحتوى على ٦٣٠٠٠ صنف بينها الكثير من الآثار ، وبعضها من تصنيف علمائهم ، ثم أصدروا له مجلة الأرض المقدسة ١٩٢١م ثم حوليات ١٩٥١م ولم يقف نشاط الفرنسيسكانيين على الأماكن التى ذكرت فقد أسسوا مطبعة عربية فى طنجة(*) ١٨٦٣م ، وكلية إكليركية فى الجيزة ١٩٣٩م ، وأنشأوا مجموعات علمية وتاريخية ، ومكتبة وتراجم ، ووثائق ، ودراسات وغيرها .

وصنفوا فى نطاقها وخارجا عنها مصنفات عن الشرق بلغات مختلفة ، وطبعوها فى أوربا وأمريكا ، وأنشاوا أيضا مركز الدراسات الشرقيه فى القاهره ١٩٥٤م وأصدروا عنه نشرة الدراسات الشرقية ، ورتبوا له مكتبة تحتوى على ١٦ ألف مجلد معظمها نصوص أصلية وفرمانات وفتاوى وكتب مقدسة فى طبعاتها الأولى ، ومجموعات اسلامية نادرة ، وقواعد للغات الشرقية كاملة .(١)

انقسام جماعة الفرنسيسكان

بعد انتشار أفراد الطائفة فى الغرب ، وتحول البعض منهم إلى الشرق حادت جماعتهم عن الطريق المرسوم من قبل المؤسس لها ، يقول الدكتور / عبد القادر أحمد اليوسف بلغ عدد الفرنسيسكان عند وفاة المؤسس سنة ١٢٢٦م خمسة آلاف راهب انتشروا فى " هنغاريا " و " ألمانيا " و " بريطانيا " و " فرنسا " و " أسبانيا " وأصبح عددهم سنة ١٢٨٠ مايقارب المائتى ألف موزعين بين ثمانية آلاف دير ، ومع ذلك فقد انقسم الفرنسيسكان على أنفسهم حال وفاة المؤسس مكونين جناحين كبيرين هما :

الفرنسيسكان الماديون الذين أجازوا الهبات ، والفرنسيسكان الروحانيون الذين تمسكوا بشعار الفقر، وكاد تطرف الفرقة الروحانية إلى الاصطدام بالبابوية فى عهد " جون الثانى عشر " الذى اتهمهم سنة ١٣٢٢م بالمروق الدينى .(٢)

الفرير (الإخوة)

امتلكت الأديرة الكثير من الأراضى والثروات ، فاستشرى فيها الفساد ، ودب فيها الفوضى ، وظل أمرها يتردى فى الأوضاع السيئة حتى نهاية القرن الثانى عشر حيث هبت أنظمة المندكانت كما يقال : أو الفرير (الإخوة) التى كان من أشهرها الفرنسيسكان والدومنيكان .

(*) طنجة : مدينة فى المملكة المغربية تقع على مضيق جبل طارق يراجع المنجد فى العلوم ص ٤٣٧ .

(١) يراجع المستشرقون نجيب العقيقى ج ٣ ص ١٠٤٥ بتصرف .

(٢) العصور الوسطى الأوربية ص ٢٤٧ .

وسميا بهذين الإسمين نسبة لمؤسسيهما ، وعارضت أنظمة المندكانت نظام الرهبنة الذى يعزل الرجال والنساء عن العالم والمجتمع الإنسانى . (١)

وخرجت إلى واقع الحياة تنشر المسيحية فى الشرق والغرب وتذلل العقبات التى تعترض طريقها بالدراسة والتعلم حتى قيل فى شأنهم :

وقد حمل عبء التبشير والدعوة المسيحية جماعات الرهبان الدومنيكيين ،والفرنسيسكانيين ففى سنة ١٢٥٠م أنشأ مجلس المبشرين فى مدينة طليطلة أول مدرسة للدراسات الشرقية أنشئت فى أوربا ، وفى هذه المدرسة كانت تعلم اللغتين العربية والعبرية لإعداد من سيقومون بالتبشير للنصرانية بين المسلمين واليهود . (٢)

وقد تكلمت عن الفرنسيسكان ودورهم التبشيرى فى الشرق والغرب ونشاطهم العلمى وبقى الحديث عن النظام الثانى .

٣ ـ الدومنيكان

النظام الدومنيكى منسوب لمؤسسة " دومنك " الذى " ولد فى مدينة " كالا روكسا " فى قشتالة بأسبانيا سنة ١١٧٠م وترعرع تحت كنف عمه الذى كان قسيسا " . (٣)

ومع أنه اتبع الفقر ، وجعله مثله الأعلى مثل الفرنسيسكان إلا أنه اختلف عنهم بأن كان همه الأول هو التعليم والتبشير بالإيمان ، وحفظه من " الهرطقات " ولذلك فقد أدوا دورا هاما فى التحقيق البغيض الذى حدث خلال القرن الثالث عشر " وكان القديس دومينيك الأسبانى (١١٧٠ ـ ١٢٢١م) شخصية مغايرة جدا للقديس" فرنسيس " فقد كان قبل كل شيء تقليدى العقيدة ، وكان ولوعا بهداية الهراطقة عن طريق الجدال ، فندبه البابا " أنوسنت الثالث " للذهاب والتبشير بين الاليبجستيين وكان عمله يسير جنبا إلى جنب مع القتال والمذابح التى تمت أثناء الحملة الصليبية عليهم فمن لم يستطع دومينيك أن يهديهم إلى سبيل الدين ، أعمل فيهم صليبيو أنوسنت السيف والنار ، ومع هذا فإن نشاطاته واعتراف " البابا " بعقد رهبانيته وتشجيعه

---

(١) نشأة الطوائف المسيحية صـ ٧٦ .
(٢) التاريخ الإسلامى وأثره فى الفكر التاريخى الأوربى فى عصر النهضة صـ ٨٢ .
(٣) العصور الوسطى الأوربية دكتور / عبد القادر احمد اليوسف صـ ٢٤٧ .

إيّاه لَتَشْهَدُ بتصاعد سبل المناقشة ، وباعتقاد النّاس كافة بما فيهم البابوية نفسهـــا بأن القوة ليست علاجا للموقف[1] ، وهذه صورة لإكراه من لم يعتنق النصرانية على التنصير اجتمع فيها تأييد السلطان مع جماعة الدومنيكان ، ووصل بهم الأمر منتهاه حين قاتلــوا طوائفهم المنشقة عليهم واستعملوا بسيف السلطة فى إبادتهم .

موقف الدومنيكان تجــاه القــدس

شأن الدومنيكان شأن إخوانهم فى نظرتهم لبيت المقدس فلقد انتشرت فعاليـات المبشرين الفرنسيسكان والدمنيكان فى أكثرية أرجاء العالم المعروف انذاك فأم قسم منهـــم أواسط آسيا وأدوا دورًا خطيرًا فى الاتصالات بين البابوية والمغول من أجل استعداء هؤلاء على المسلمين لغرض انقاذ المملكة الصليبية فى الأراضى المقدسة .[2]

وواقع هاتين الطائفتين يشهد بأنهما وإنْ سلكا طريق اللين فى أول الأمر إلا أنّهما لم يشذا عن خط سير الكنيسة فى محاربة المسلمين وفى الضرب بيد من حديد علـــى ما يسمونهم بالهراطقة وهذا مادعا المؤرخ المسيحى هـ . ج ولز : إلى القول الآتى :
وتطور عقد الرهبان السود أى " الدومينكين " إذ كان الفرنسيسكانيون هم الرهبا ن الشهب[*] يبين لنا من عدة أوجه أن الكنيسة الكاثوليكية كانت وهى عند مفترق الطرق تتردى مستسلمة رويدا فى أعماق الاعتقادية الحتمية (Dogma) المنظمة ، وبذا تقع فى نزاع لارجـاء فيه مع ذكاء الإنسانية المتوقد وشجاعتها المشبوبة .

وبذلك تخيرت الكنيسة طريق القسر والإجبار ، وهى التى واجبها الأوحد أن ترشد وتهدى ولايزال آخر حديث ألقاه القديس "دومينيك" إلى الهراطقة الذين جهد أن يهديهم إلى الطريق السوى باقيًا لنا إلى اليوم وهو من صوى التاريخ الهامة وأنه ليكشف لنا عـــن رجل تغلى مراجل غيظه القَتّال لأنّه فقد إيمانه فى قوة الصدق نظرًا لأ ن صدقه " الخاص " لم ينتصر قال : " قد نصحتكم سنين عديدة بلا جدوى ، باللطف والموعظة والرجاء والبكـاء ولكننا تبعا للمثل القائل فى بلادى " حينما تفشل البركات عن إتمام أى شئ ، فمــــن الجائز أن تفيد اللكمات " ، سنثير عليكم الأمراء والأحبار الذين سوف ـ ويا للأســـف ـ

(١) معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٣ صـ ٩٠٧ ، ٩٠٨ .
(٢) العصور الوسطى الأوربية صـ ٢٤٨ .
(*) الشهب جمع أشهب وهو الرمادى اللون " المترجم " .

يسلحون الأمم والممالك ضد هذه البلاد وبذ اتغيد اللكمات حيث كانت البركات واللطف غير ذات جدوى . [1]

أين هذه التعاليم من هدى الإسلام ورحمة القرآن الكريم ؟ (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إنّ ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) . [2]

وقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء) . [3] .

ومخاطبة الله تعالى للمسلمين : لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم . [4]

نشاط الدومنيكان العلمى

تطلعت جماعة الدومنيكان إلى علوم الشرق ، ومعرفة لغته ولهجاته " وقرر مجمع طليطلة (١٢٥٠م) الإنفاق على ثمانية من الرهبان الدومينيكيين ، على رأسهم رايموند ومارتينى كانوا قد انقطعوا لدراسة العربية وصنف أحدهم أول معجم عربى اسبانى (١٢٣٠ م)خلا نفر من زملائهم أرسلوا إلى باريس لتعلم اليونانية والعربية والعبرية فيها (١٢٥٥ م)ثم كلفهم مجمع بلنسية (١٢٥٩ م)تأسيس مدرسة للعربية والعبرية فى قطلونيا (١٢٦١م)م وقد صنف أحدهم وهو " غليوم الطرابلسى " كتابا عن الاسلام أهداه الى من أصبح البابا غريغوريوس (١٢٧١ ــ ١٢٧٦م) وألف " دى مونتى كروسيس " كتابا ثانيا عن عقائد تركيا والتتر . [5]

ويلاحظ أن جماعة الدومينكانيين من ناحية فلسفة ابن رشد فيقال فى شأنهما : وشجر النزاع حول حركة ابن رشد بين الرهبانيات طوال مائة عام وقسم الدفاع نفسه إلى

---

(١) معالم تاريخ الانسانية (المجلد الثالث) صـ ٩٠٨ .
(٢) سورة النحل الآية ١٢٥ .
(٣) سورة البقرة من الآية ٢٧٢ .
(٤) المرجع السابق الآية ٢٥٦ .
(٥) المستشرقون جـ ١صـ ٩٨ .

معسكرين : الصوفى الأفلاطونى ومعظمه من الرهبان الفرنسيسكانيين والعقلى الأرسطاطلى وجله من الرهبان الدومينيكيين .

هذا على اختلاف فيما بين الرهبانية الواحده : فتوما الأكوينى الدومينكى اعتمد على فلسفة ابن رشد ، مع أنه من أشد خصومه فى التوفيق بين الفلسفة والدين ورد عليه زميله رايموند ومارتينى الدومينكى فى كتابه خنجر الإيمان .(١)

وقد اتجه الدومنيكان إلى التعليم ، وبرزوا فى تشييد النهضة الأوربية مقتبسين من التراث الثقافى العربى بواسطة علمائهم وفلاسفتهم واستخدموا ثقافتهم فى نشر المسيحية فى بلاد الشرق الإسلامى وفى وصف نشاطهم العلمى يقول العقيقى ما ملخصه :

فقد وفدوا على الشرق منذ القرن السابع عشر وأسسوا فى الموصل مطبعة عربية نشرت التوراة جميعها نشرا علميا فاخرا (١٨٧١م) واكليركية (١٨٨٢م) ثم مدرسة الكتاب المقدس فى القدس (١٨٩٠م) وأصدروا لها مجلة الكتاب المقدس (١٨٩٢م) ومعهد الدراسات الشرقية فى القاهره (١٩٤٤م) ونظموا مكتبته (١٩٤٥م)م وأصدروا له مجلة بعنوان : منوعات المعهد الدومنيكى للدراسات الشرقية (١٩٥٤م) .(٢)

ومن خلال هذه المؤسسات والنشاطات العلمية ودور التعليم ، أخذ تبشيرهم بالمسيحية يشق طريقه فى صفوف المسلمين وغيرهم فى بلاد الشرق فى محاولة دائبة لتحقيق أهدافهم .

٤ ـ الآباء الكبوشيون

هم فرع من الرهبانية التى أسسها القديس فرنسيس الأسيزى ، وقد ساروا على نهج الفرنسيسكان ويقول فى شأنهم "رولاند بيمنتون" : وقد نشأ فرع جديد من الرهبان الفرنسيسكان عام ١٥٢٨م اسمهم الرهبان الكبوشيون ، كانوا يلبسون على رؤسهم قبعة القديس الأسيزى ، وكانوا يتبعون خطى القديس فرنسيس فى التمسك بالفقر ولهم دور بارز فى النشاط المرسلى .(٣)

ظهر أثره فى بلاد الإسلام فى صور متعددة ومختلفة من مدارس ومؤسسات وغير ذلك وقد قدموا الشرق منذ القرن السابع عشر وشيدوا فيه الأديار والمدارس والمؤسسات الخيرية

(١) المرجع السابق صـ ١١٨ .
(٢) المرجع السابق جـ ٣ صـ ١٠٥٢ باختصار .
(٣) الكنيسة من البدء الى القرن العشرين صـ ١٤٠ بتصرف يسير .

صيدا (١٦٢٥ م) ، القاهره (١٦٢٦ م) حلب وبيروت وحصرون وبغداد (١٦٢٨ م) ، طرابلس (١٦٢٩ م) ، دمشق (١٦٣٧م) ، عبية (١٦٨٦)م ، عزيز (١٦٩٥م) ،[1] ونالـوا الإستقرار التام فى العراق ويقال فى وصولهم إليها :

وفى سنة ١٦٢٦م وافى الآباء الكبوشيون دار السلام وكان ديرهم فى محلـة رأس القرية قال الكاتب الايطالى " أوربا نوجيرى " (Urba Nogerri)

إن الكبوشيين شيدوا فى بغداد كنيسة وديرا ، وقد أحرزوا نجاحا عظيما وفازوا باعزاز المسلمين لمهارتهم فى الطب والرياضة وكان يتردد إلى كنيستهم من السريان والأرمن الكاثوليك الكثير من الأفراد ، ويرسلون أولادهم إلى مدرستهم وقال أحد الآباء اليسوعيين الفرنسيين فى رسالة أرسلها عام ١٦٧٥م من البصرة إلى فرنسا بعدما مر ببغداد أو قادما من الموصل " إن المرسلين الكبوشيين نالوا راحة لامثيل لها فى أى مكان آخر من بـلاد تركيا ".[2]

٥ ــ الآبـاء الكرمليـون

هذه الطائفة نشأت فى بلاد الشرق بخلاف غيرها من الجماعات الأخرى الـتى ظهرت فى بلاد الغرب فى بدء الأمر ونقلت نشاطها بعد ذلك إلى الشرق الإسلامى ، ويقول نجيب العقيقى عن نشاط الكرمليين : تأسست رهبانيتهم فى " القرن الثانى عشـر" بأرض فلسطين ومنها انتقلت الى أوربا ، ورجع بعض رهبانها إلى الشرق منذ القرن السابـع عشر وشيدوا المدارس فى حيفا ، وحلب (١٦٢٧م) م وقرى لبنان (١٦٤٣ م) ثم فى بشـرى وطرابلس والقبيات وبغداد (١٧٢٢م) ، وماردين (١٧٤٧ ــ ١٨٠٠ م).[3]

ويذكر صاحب كتاب : تاريخ نصارى العراق .. دور هذه الجماعة فى بلاد العراق فيقول : ومنذ عام (١٦٢٢م) أتى العراق الرهبان الكرمليون ثم الكبوشيون والدومنيكيون ، ونشر هؤلاء المرسلون التعاليم الكاثوليكية بين النساطرة واليعاقبة[4] ، ثم ذكر فى موطـن آخر أنه عين أول مطران منهم على " بابل " و " أصفهان " وأنه بقيت بيعتهم بالبصـرة

(١) المستشرقون جـ٣ صـ ١٠٥١ .
(٢) تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية فى الأقطار العراقية إلى أيامنا تأليف/ رفائيل بابو اسحق صـ ١٢٩ بدون عدد للطبعة مطبعة المنصور ـ بغداد ١٩٤٨م.
(٣) المستشرقون جـ٣ صـ ١٠٥١ .
(٤) تأليف / رفائيل بابو اسحق صـ ١٢٥ .

وعين رئيسهم فى سنة ١٦٧٩م قنصلا فرنسيا بالعراق .[1]

وبذا تظهر صلة هؤلاء الرهبان بدولهم سياسيا ، ودورهم فى فلك قادة الدول الإستعمارية ، وعلى قدر نشاطهم فى خدمة سياسة الإستعمار تكون المكافآت المادية والرتب العلمية ، والوظائف المدنية .

٦ ـ الجزويت

طائفة الجزويت هى نفسها طائفة اليسوعيين ، ونظرا لأن جل الكتاب لم يوضحوا هذه النقطة مما يجعل الباحث يتوهم أنهما طائفتان وليس الأمر كذلك تعرضت لها بالبيان حتى لايحصل لبس .

فالجزويت : يعرفون باليسوعيين ، أو بجمعية المسيح[2] ، وتسموا بذلك نسبة إلى " يسوع المسيح " المخلص وقد قيل فى وصفهم : أما فريق الجزويت فهو نوع قد بذاته من المبشرين وهو أخطرهم جميعا لأنه أعلمهم ، ولأنه أكثرهم تعصبا للكاثوليكية ، ولأنه يتدخل فى السياسة ، ولأنه أكثرهم تنظيمًا ولهم ادارة وحكومة خاصة بهم .

أنشأ هذا الفريق " اغناطيوس دى لويولا " الذى ولد سنة ١٤٩١م وتوفى فى سنة ١٥٥٦م وهو من إقليم الباسك فى أسبانيا ، وكان فريقه من القوة فى التبشير لدرجة أنه أعاد للمذهب الكاثوليكى أرضا كبيرة ونفوسا عديدة كان قد فقدها هذا المذهب من قبل أمام انتشار المذهب البروتيستنتى .

ولد " دى لايولا " فى عائلة عسكرية تفضل الجندية وأراد أن يكون هو بدوره كذلك كمن حوله فى محيط الأسرة من أقاربه وقد جرح وهو يدافع عن إحدى المدن وهو فى الجيش ونقل إلى المستشفى ثم انتابته الحمى وأثرت كل التأثير فى أحد سيقانه مما جعلته يبتعد عن حياة الجندية إلى حياة أهدأ هى الحياة الدينية وأن يصبح جنديًا من نوع جديد أى أن يكون جنديًا للسيد المسيح عليه السلام فابتدأ حياته هذه

---

(١) تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية فى الأقطار العراقية إلى أيامنا صـ١٢٥ .

(٢) دائرة المعارف الحديثة (موسوعة فى العلوم والآداب والفنون) أحمد عطية الله المجلد الثانى صـ ٦٢٣ ط (٢) نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥م .

بأن يكون مبشرا بالمسيحية فى فلسطين التى ارتحل إليها ثم وضع نفسه واتباعه تحت تصرف " البابا " الذى أقر قيام فريقه باسم " جماعة الجزويت " .[(١)]

ولما كان التبشير والاستعمار صنوان يسقى بماء واحد ونبت فى تربة واحدة ساندة السلطات الاستعمارية هذه الجماعة التى أصبحت فيما بعد دولة عسكرية وكان هدف تبشيرهم أمرين :

الأمر الأول : هو محاربة البروتستنتيه وهى المذهب الجديد فى المسيحية الذى قال به " مارتن لوثر " فى ألمانيا بوجه خاص وغيرها من بلاد شمال أوربا فكانوا بمثابة جيش مقاتل لنصرة البابوية الكاثوليكية .

الأمر الثانى : هو محاربة الإسلام وهو الذى يهمنا .[(٢)]

وإذا كان هؤلاء لم يتورعوا فى محاربة أبناء ملتهم علنا فما بالنا بمعاداتهم للإسلام والمسلمين ، فهم من أشد الطوائف الكاثوليكية تعصبا للمذهب ، وتعصبا ضد المسلمين .

ولقد أنعمت عليهم البابوية بالامتيازات ، وأفاض عليهم البابا " بولس الثالث "[(*)] ، بالعطايا المعنوية والمادية فثبت الرهبانية سنة ١٥٤٠م ، ووثق الرياضات الروحية سنة ١٥٤٨م ، ورخص للجمعية فى الإنعامات الممنوحة للرهبانيات الأخرى سنة ١٥٤٩م[(٢)] وزاد فى إنعامهم بصورة كبيرة حتى وصل تفكيرهم أن يستغلوا هذه المنح فى الاستيلاء على العالم وهى نفس الفكرة الصهيونية يقول محمد فريد وجدى : وزاد البابا " بولس الثالث " فى

---

(١) الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان ص ٨٩ بتصرف .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين (الرابع عشر الهجرى) المجلد الثالث ص ١٠٢ ط (٢) طبع دار المعرفة ـ بيروت ١٩٧١م ، الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان صـ ٩١ بتصرف من كلا المرجعين .

(*) بولس الثالث : ولد فى " كانينو " سنة ١٤٦٨م ولما شب تدرج فى الرتب الكهنوتية حتى انتخب بابا لروما فى ١٣ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٥٣٤م (يراجع دائرة المعارف للبستانى مجلد (٥) صـ ٧٠٢) .

(٢) القديس " اغناطيوس دى لويولا " مؤسس الرهبانية اليسوعية تأليف الأب هنرى بروا اليسوعى نقله عن الفرنسية الأب ج عقيقى اليسوعى صـ ٩٣ طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .

امتيازاتهم فجعلهم غير خاضعين لأى سلطة فى الأرض إلا سلطته وسلطة رئيسهم وقد عرف الجزويت كيف يستفيدون من هذا المركز الاستثنائى فبذلوا جهدهم لتحقيق أمنيتهم وهى قيادة العالم والسيطرة على أرواحهم .(١)

وقد دفعهم هذا الطمع الجائر إلى إعلانها حربا شعواء على كل من يخالف جماعتهم .

محاربتهم لبنى جنسهم

بلغ من خطر " الجزويت " أنّهم يظهرون غير مايبطنون ، وأنهم اتخذوا " مبدأ الاعتراف " وسيلة لمعرفة خفايا الملوك والرؤساء ، ثم التسلط عليهم واستخدامهم لتحقيق مآربهم ومع أن مبادئهم الذى أعلنها قائدهم " اغناطيوس دى لويولا " هى الابتعاد عن السياسة وترك التدخل فيها ، وعدم مناصرة حاكم ضد آخر والبعد عن مشاحنات الأمراء والأحزاب ، رغم إعلانهم لهذه المبادئ نجدهم يلجون أبواب السياسة من كل جانب وقد دفعهم تدخلهم فى السياسة إلى احتراف الجاسوسية وقد نقل صور من قيامهم بهذه الأدوار الدكتور / " عبد العزيز عزت " بقوله :

فمن ذلك رغم أن المستبد " كرومويل " فى انجلترا أمر بعدم إيواء أى جزويتى بين الأهالى وإلا حوكموا بالقتل فإن الأب الجزويتى " تشرفيل " كان يصادقه ويلعب معه الشطرنج ويحرك أعوانه ليتجسسوا " لكرومويل " على الحكام الكاثوليك فى " أوربا " وهى خيانة صريحة ، وهناك أيضا الأب الجزويتى " دوبنتون " وكان يعترف أمامه الملك " فيليب الخامس " ملك " اسبانيا " ولكنه فى الوقت نفسه كان يتجسس " لفرنسا " عليه وكتب مباشرة " لباريس " عندما اعترف له فى ثورة غضب أنه سيترك الحكم ويتخلى عنه .

ولكن " باريس " أرسلت خطاب هذا القسيس الجزويتى إلى " فيليب الخامس " بنصه وفضحت القس .(٢) وقد اشتهر الجزويت فى كل قطر حلّوا فيه بصنع الفتن وإثارة القلاقل ، والعمل فى الخفاء مما جعلهم من المنبوذين " فحين ضغطت " فرنسا " على الإمبراطورة " مارى تريز " ملكة النمسا لطرد " الجزويت " من أرضها كما صنعت " فرنسا "

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين (الرابع عشر الهجرى) المجلد ٣ ص ١٠٣ .

(*) " فيليب الخامس " (١٦٨٣ – ١٧٤٦ م) " حفيد لويس ١٤ " ملك فرنسا عين ملكا على اسبانيا ١٧٠٠ م يراجع (المنجد فى العلوم ص ٥٣٧ ، ٥٣٨) .

(٢) الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان ص ٩٤ ، ٩٥ بتصرف يسير .

ترددت الإمبراطورة فأظهرت لها حكومة " باريس " تقريرا باعترافها كتبه الأب الجزويتى " كاميللر " ذكر فيه كل ماقالته له بخصوص تقسيم " بولونيا " سياسيا .(١)
أرأيت جاسوسية باسم الدين وصلت إلى هذا الحد كما فعل الجزويت ؟ إنهم لايحترمون أوامر الدين نفسه ، فمن باب أولى لايعرفون للأسرار حرمة ، ولا للدين مكانة .

إنهم يستخدمون الدين الذى ينهى عن التجسس وعن الوقيعة بين الناس فى كل هذه الأغراض الكريهة " فهم الذين مكنوا من قطع العلاقات فيما بين " فرنسا " و " السويد " فى صالح " ألمانيا " سنة ١٦٤٥م ، أما عن حروبهم فحدث ولاحرج فقد ذكر عنهم أنهم " كانوا يخزنون البارود والمفرقعات فى كهوف تحت الأرض عندما استولى الفرنسيون على " نامير " من أيدى " النمسا " فى سنة ١٦٩٢م .

ولمدة تزيد عن قرن من الزمان من (سنة ١٥٦٨م) الى (سنة ١٦٨٨م) ساهم الجزويت فى إنجلترا فى كل أنواع الحروب والحركات السياسية فمثلا ساهموا فى المؤتمرات التى هدفت إلى قتل اليزابث(*) فى صالح " مارى ستيوارت "(*) و " فيليب الثانى "(*) .

وعملوا أن تكون لهم حظوة لدى شارل الثانى (*) سنة ١٦٦١م وقاموا بأعمال ضد البروتستانت ، ومحاولة تحويل الجيش إلى الكاثوليكية وأقروا منذ سنة ١٤١٨م مبدأ

---

(١) المرجع السابق صـ ٩٥ بتصرف .
(*) اليزابث ١ (١٥٣٣ - ١٦٠٣م) ملكة إنجلترا وهى ابنة هنرى الثامن من زوجته آن بولين (المنجد فى العلوم صـ ٦٢) .

(*) مارى ستيوارت (١٥٤٢ - ١٥٨٧م) ملكة اسكتلندا ثم ملكة فرنسا بعد زواجها من فرنسوا الثانى أسرت ثم قتلت يراجع المرجع السابق صـ ٦٢٧ .

(*) فيليب الثانى : (١٥٢٧ - ١٥٩٨م) ابن كارل ٥ (شارلكان) ملك إسبانيا وهولندا ١٥٥٦م ثم البرتغال ١٥٨٠م المرجع السابق صـ ٥٣٧ .

(*) شارل الثانى (١٦٣٠ - ١٦٨٥م) ملك إنجلترا بعد أبيه (المرجع السابق صـ ٣٨ .

قتل الملوك إذا عادوهم ، واعتبرتهم " أوربا " كلها منذ ذلك الحين من سفاكي الدماء لأنه كان لهم ضلع في المؤتمرات ضد حياة " اليزابث " في إنجلترا وضد " هنرى " الثالث والرابع ، وضد الملك لويس الخامس عشر .[1]

الجزويت دولة محاربة

علمنا مما تقدم أن مؤسس جماعة الجزويت " اغناطيوس دي لويولا " كان في سلك الجيش ، لكنه لما أصيب تركه ليشتغل بالحياة الدينية الروحية ، إلا أن النزعة القتالية كانت تجري كالدم في عروقه ، فحافظ عليها ، وغرسها في نفوس أتباعه ، وعلم أتباعه الطاعة العمياء ورباهم على نظام الجندية في حياتهم العملية ، فكون منهم جيشا محاربا .

وكانت مجهودات الجزويت ترمى إلى غرض واحد وهو توزيع جيشهم الجرار في كل مكان بحيث إذا أعطيت لهم إشارة قاموا دفعة واحدة في آن واحد لتحقيق مراد داعيهم الأكبر[2] فاهتمت طائفتهم بالحروب كما اهتموا بالمؤامرات السياسية لبسط نفوذهم وفرض سلطانهم ، فنراهم في أمريكا الجنوبية يقودون فرقا من الجيوش المسلحة الأسبانية ويحاربون الأهالي الأصليين المتأخرين في حضارتهم وينتصرون عليهم ويستعمرونهم علانية أي أن التبشير لايستحي اطلاقا أن ينقلب أحيانا وبشكل ظاهر إلى استعمار سافر مسلح ولذا كون " الجزويت " لأنفسهم دولة عن طريق الحروب تبلغ مساحتها ثلث مساحة " فرنسا " ، ووافقت أسبانيا على منحهم هذه الأرض لتكون قاعدة لدولتهم التي سميت دولة " الجزويت " تحت رئاسة بعض قساوستهم .[3]

ويقال إن هذه الدولة استمرت من سنة ١٦١٠م إلى سنة ١٧٦٠م ، وفي هذه الفترة جمعوا الأموال الوفيرة ، وعاشوا في ثراء فقد اغدقت عليهم هذه المستعمرة الذهب والفضة وتحولوا إلى مستعمرين سفاكين ومستغلين سافرين ولاشك أن حوادث لبنان وحروبها المستمرة من جراء وجود الجزويت " اليسوعيين " بها ، ونشر تعاليمهم وبثها في شعب لبنان عن طريق مؤسساتهم .

---

(١) المرجع السابق صـ ٩٤ .
(٢) دائرة معارف القرن العشرين " الرابع عشر الهجرى " المجلد (٣) صـ ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٣) الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان دكتور / عبد العزيز عزت صـ ٩٧ ط (١) مطبعة دار التأليف بمصر ١٩٧٤م .

نشاط الجزويت " اليسوعيين " في الشرق

انتقل اليسوعيون بنشاطهم إلى بلاد الشرق ، وأعانهم جمع المال على إنشـــاء الجامعات كجامعة " سان جوزيف " فى بيروت ، وبنوا كليات للطب لها تأثيرها الكبير فى تبشير الناس وتحويلهم إلى المسيحية ، وبالذات حين يكون الاهتمام الظاهرى وشفاء المرضى بالعناية المركزة ، والتودد اليهم بالترحاب ، والابتسامات كما أنشأوا المدارس فى " بيروت " و " حلب " و " دمشق " و " زحلة " .

كما استخدموا التجارة وسيلة للتبشير أيضا وللتأثير على الناس وبالرغم من حبهم الجم لجمع المال وسعيهم الدائب وراء الدنيا ومتطلباتها التى لاتقف عند حد استخدموا المال فى خدمة مبادئهم وأغراضهم فى الغرب والشرق .

" وامتدت بعثات اليسوعيين إلى بلاد كثيرة وقد تخصص بعض أعضائهم فى مواجهـــة البروتستانتية مثل أولئك الذين توجهوا الى انجلترا فى حكم الملكة اليصابات(*) الاولى وكان هذا سببا فى اعتبارهم خونة لوطنهم ، وأدى إلى كراهة شديدة للكنيسة الكاثوليكيـــة الرومانية من جانب الشعب الانجليزى عامة الأمر الذى استغرق قرابة الأربعة قرون للتغلب عليه .

وذهب بعض الكاثوليك المنفيين من انجلترا إلى كلية اليسوعيين فى " دواى " بهولنـــدا الاسبانية (بلجيكا الحديثة) حيث ظهرت نسخة " دواى " Dalai من الكتاب المقدس وكانت هى النسخة الانجليزية الرسمية الوحيدة للكتب المقدسة التى استعملها الكاثوليـك حتى القرن العشرين ".[1]

وبرز دورهم فى عواصم الشرق الاسلامى فبنوا المدارس وأنشأوا المطابع وأصدروا الجرائد والمجلات وأشار إلى جانب من نشاطهم نجيب العقيقى فقال : وقدموا الشـــرق منذ القرن السابع عشر : حلب ١٦٢٥م ، ودمشق ١٦٣٤م ، وصيدا ١٦٤٤م ، وطرابلس ١٦٤٥م .

وبعد إلغاء رهبانيتهم(*) (١٧٧٣م ـ ١٨١٤م) عادوا الى بيروت (١٨٣١م) والاسكندرية ١٨٨١م والقاهرة ١٨٧٩م ، ثم تغرقوا بين أقطار الشـرق وشيـــدوا فيها الأديـــار

(*) اليصابات الأولى (١٥٣٣ ـ ١٦٠٣م) ملكة انجلترا وهى ابنة هنرى ٨ من زوجته حنّه نظمت الكنيسة الانجليكانية ، وقربت إليها رجال الأدب والفن (يراجع : المنجد فى الادب والعلوم) للأب فردينان توتل اليسوعى صـ ٣٣ طبع بيروت شباط ١٩٥٦م .

(١) نشأة الطوائف المسيحية صـ ١٠١ ، ١٠٢ .

(*) أصدر البابا كليمان الرابع عشر أمره بمحو طائفتهم عام ١٧٧٣م وأعادها البابا بيوس السابع (١٨٠١م) يراجع دائرة معارف القرن العشرين المجلد الثالث محمد فريد وجدى صـ ١٠٤ .

والمدارس ، وخصوا بيروت بمطبعة ومكتبة وجريدة ومجلات ومجموعات وجامعة[1] ، وقاموا بأدوار تبشيرية فى " الهند " وأوفدوا البعوث إلى الصين وغيرها .

تكوين اليسوعيين " الجزويت "

المسلمون بحاجة إلى معرفة هذا النوع اليسوعى المتلون ، وكيف أعد ؟ هؤلاء الناس الذين اصطنعوا الحلم وتدخلوا فى حياة الملوك ونفذوا إلى القادة والمقودين فكانوا هم الحكام من وراء الستار ولا أتحدث عن الاشارات التى اصطلحوا عليها كالماسونيين وانما عن اعدادهم حيث ينقسم أعضاء هذه الطائفة الى أقسام خمس :

١ ـ الأعضاء الزمنيون وهم الذين يمكثون سنة تحت التمرين تؤخذ عليهم عهود بسيطة ، ويشتغلون بأعمال يدوية .

٢ ـ الأعضاء الجدد وهم شبان متعلمون يعتنى بانتخابهم بعد مضى عامين بدون تعلم يسمح لهم بدراسة الأدب والفلسفة والعلوم ، فإذا بلغوا الثامنة والعشرين بدأوا ، بدراسة علم اللاهوت ، ثم الانقطاع بعد ذلك عن اختلاط الناس لمدة عام ، وتؤخذ عليهم العهود ثم يعينوا قساوسة .

٣ ـ الأعضاء الذين يطلق عليهم التلاميذ هم المتعلمون المكلفون بالإرشاد والقيادة بعد أخذ العهود السرية عليهم .

٤ ـ الأعضاء الروحيون وهم أرقى من السابقين ويساعدون الأساتذة .

٥ ـ الأساتذة وهم الطبقة العليا من هذه الطائفة[2] وقد انتشرت جماعة " الجزويت" اليسوعيين فى " آلسكا "[*] ، وفى ماليزيا وفى أواسط أفريقيا وفى الصين فقد بلغ عدد رجال الطائفة ٣٥٤٣٨ فردا فى سنة ١٩٦٣م منهم ١٩٢٣٥ كاهنا و ١٠٣٤٩

---

(١) المستشرقون جـ ٣ صـ ١٠٥٨ باختصار .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين (الرابع عشر الهجرى) المجلد الثالث صـ ١٠٣ باختصار .

(*) آلسكا . Alaska : شبه جزيرة غرب كندا ٠٠٠ ر٥٢٠ و ١ كم^٢ ، وقد صارت منذ ١٩٥٨م ولاية من ولايات أميركا المتحدة يراجع (المنجد فى العلوم صـ ٥٩) .

اسكولاستسكا(*) و ٥٨٥٤ أخا مساعدا .(١)

وكل هؤلاء الأفراد تعدهم " جمعية يسوع " المسيح إعدادا خاصا ليتخرج كل منهم مدربا على مايقوم به من عمل " وتقبل الجمعية دائما شبابا يرغبون فى أن يكونوا كهنة وتدعوهم سكولاستيك أو طلابا ، وتفرض عليهم أن يقضوا عشر سنوات فى دراسات أدبية وفلسفية ولاهوتية وتلك ارادة القديس " اغناطيوس " أن يتكون أبناؤه تكونا بطيئا شاملا وعميقا ، كما تكون هو نفسه فى " برشلونة "(*) ، و " آلسكا " وخاصة فى باريس .

وعلى الطلاب قبل الدروس أن يقضوا عامين فى الاختبار أو الابتداء يسافرون بـــــلا نقود ، ويخدمون المرضى ، ويعملون بأيديهم ، ويلتقون خاصة بيسوع المسيح فى ممارســة الرياضات الروحية ، مدة ثلاثين يوما بالصمت التام .

ويقطع الدور بفترات تربوية فى المدارس ويعود اليسوعى بعد سيامته كاهنا فيقضـى عاما ثالثا فى الاختبار فى " مدرسة القلب " ويعيدوه الى الرياضات الروحية ثانية مدة ثلاثين يوما مما يولى هؤلاء الرجال البالغين خبرة روحية لا شئ يعوض عنها لا درس ولا كتاب وتقبـــل الجمعية من جهة أخرى رجالا يتخلون عن الكهنوت لينصرفوا الى خدمات وضيعة قليلـــة التقدير فى نظر البشر شديدة الضرورة للحياة العامة ولكل تنظيم ارسالى يريد له اتباعه النجاح .

فهؤلاء الاخوة المساعدون فى الجمعية يتعاطون مختلف المهن فهم بناءون وممرضون وطهاه ، وكتبة أسرار ، وكهربائيون ، ومدربون ، ومدرسو تعليم مسيحى فى الارسالات .

وهم يقضون عامين فى الابتداء ويمارسون الرياضات الروحية مدة ثلاثين يومــــــا(٢) هذه صورة مختصرة لتكوين هذه الطائفة واعدادها لتجابه الحياة بكل متطلباتها ولتخدم أهدافها

(*) اسكولاستسكا : لفظ يطلق على الطلاب الراغبين فى التعلم ليكونوا قساوسة .
(١) القديس " اغناطيوس دى لويولا " ترجمة عقيقى اليسوعى صـ ١٤٦ .
(*) برشلونه : مرفأ فى شمال شرقى أسبانيا على البحر المتوسط وهى قاعدة اقليم قتالونيه مركز صناعى فتحها المسلمون العرب ٧١٣م فى عهد موسى بن نصير ، واستولى عليها الاسبان ١١٣٧م (يراجع المنجد فى العلوم صـــ ١٢٥) .

(٢) المرجع السابق صـــ ١٤٦ باختصـــــار .

التى تسعى لتحقيقها والتى أساسها الأول السيطرة على العالم .

٧ ـ الآباء البيض

الآباء البيض من الطوائف التبشيرية الاستعمارية وهم قد أدوا أدوار من سبقهم من الجماعات التبشيرية ، وزادوا بملازمتهم للدوائر الاستعمارية فهم الظل الدائم للمغتصبين ولذا يطلق عليهم المبشرون الرسميون التابعون للحكومات الاستعمارية ، وفى الوقت نفسه ينعمون بالوظائف فى دوائر هذه الحكومات .

أمثلة للآباء البيض:

ومن أهم الأمثلة لهذه الجماعة الأب بورجاد (١٨٠٦ ـ ١٨٦٦) م

وكان قد تعلم العربية فى "باريس" ثم قصد الجزائر ١٨٣٨م ،ثم "تونس" ١٨٤٠م ، حيث رأس مدرسة "القديس لويس" وأنشأ فيها كلية بورجاد على اسمه وعرفت فيما بعد بمعهد الآداب العربية ، وأنشأ المطبعة العربية الأولى وطبع فيها صحيفة : عقاب باريس مستعينا بمحرر عربى .[1]

أما المثال النشيط فى المجال التبشيرى بأفريقيا من هذه الجماعة فهو :

"الكردينال لافيجرى" ويعتبرونه المثل الأعلى للجماعة والرافع لراية التبشير بالدين المسيحى الكاثوليكى فى كل من بلاد "الجزائر" و "الصحراء الكبرى" و "السودان" الفرنسى ولد فى سنة ١٨٢٥م وتوفى فى سنة ١٨٩٢م وهو عالم من خريجى السربون تعمق فى اللاهوت والتاريخ وذهب إلى الجزائر محيطا بكل مايجرى هناك قديما وحديثا .

ووضع خطة للعمل الدينى التبشيرى لمرؤسيه من القساوسة بل تعدى كثيرا دائرة الدين إلى التدخل فى دائرة السياسة .[2] ، وتتلخص آراؤه فيما يأتى :

١ ـ يرى الكردينال لافيجرى ضرورة قيام الاستعمار لترقية المسلمين وإنه يجب أن يسبق التبشير فالقوة العسكرية واستعمال العنف ضرورة لازمة فى مبدأ الأمر مع الأهالى حتى يخضعوا تماما ثم يأتى دور المبشر بعد المستعمر الغاشم ليفتحوا أعينهم

---

(١) المستشرقون جـ ٣ صـ ١٠٥٧ بتصرف .

(٢) الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان صـ ١٢٠ بتصرف .

على تأخرهم وسوء حالهم ، ووجوب الخروج من هذه الحالة المتأخرة وبهذا يشعرون بالرفق والرحمة بعد القوة والقسوة والعنف ـ وأن التبشير يمكن أن ينجح حيث يفشل العمل العسكرى والعمل الادارى .

٢ ـ يجب أن يساعد التبشير الاستعمارى وذلك بإنشاء هيئة تبشيرية جديدة تدعى " هيئة الآباء البيض " مهمتها محاربة الإسلام فى الجزائر والصحراء وغيرها .

٣ ـ أن الاسلام هو عدو فرنسا الأول وعدو الحضارة الغربية ، ويجب مقاومته ومحاربته ، والانتصار عليه بكل السبل الممكنة ولهذا يرى الكردينال " لافيجرى " أنه بجانب الآباء البيض يجب إنشاء هيئة جديدة أخرى للآباء الملونين من السود ، أى إنشاء قساوسة من أهالى البلاد ، وتكوينهم تكوينا أوربيا مسيحيا كاثوليكيا بكل دقة أو حسب قوله : " لاينصر الإفريقيين إلا الإفريقيين ، ومن النوع نفسه " .

وهو اتجاه جديد فى التبشير نشأ منذ القرن التاسع عشر وبخاصة عند انتشار المذاهب الاشتراكية .

٤ ـ على التبشير أن يمهد للاستعمار والعكس أيضا ، وقد حدث أن فتح التبشير الباب " لفرنسا " لاستعمار "مراكش" ودخول أرض المغرب ، ولقد نجح فى هذا لأن فرنسا استعمرت " تونس" فى سنة ١٨٨١م ودخلت المغرب فى سنة ١٩١٢م وهذا يؤكد أن التبشير يمهد للاستعمار كما أن العكس صحيح أيضا .

٥ ـ محاولة استغلال بلاد الإسلام اقتصاديا بكافة الوسائل وجعل بلاد الاسلام مزرعة للغرب وثرواتها الخام تحت تصرف مصانعه .

٦ ـ المحاولة الدائبة لبث فكرة أن الاستعمار جاء محررا للشرقيين من بعضهم وأصدق دليل على هذه المحاولة ادعاء ان فرنسا جاءت لتحرير أهل الشمال الإفريقى من رق العرب والأتراك ، ثم العودة بهم إلى أصلهم اللاتينى والمسيحى(*) ، ومن ثم يدعو أهل شمال افريقيا الذين يدينون بالإسلام للتعصب ضد الإسلام وإخوانهم المسلمين ويأمرهم بمحبة " فرنسا " المستعمرة لبلادهم ، والمسيحية الكاثوليكية المؤيدة للاستعمار .

٧ ـ العمل على إقناع الأفارقة انهم قبل دخول الإسلام كانت بلادهم لاتينية مسيحية وأن الإسلام دخيل عليهم اغتصبهم اغتصابا وأخضعهم لسلطة العرب ولمذلة الأتراك .

(*) وهو ادعاء لا أساس له من الصحة .

٨ ـ استغلال أجهزة الإعلام الرسمية فى الدعاية للتبشير والاستعمار ونشـــر هذه الأفكار ثم طبع المنشورات بهذه الامور وتوزيعها حتى يتقبل النّاس التبشير والاستعمار كمخلصين لأهل البلاد من أنفسهم .[1]

وظهر من هذا العرض الموجز أن " الآباء البيض" اسم على غير مسمى فهـــم بيض الثياب سود القلوب تشهد عليهم بذلك ألسنتهم .

التبشير الفـــردى

كما وجدت جماعات قامت بالتبشير المسيحى بصورة منظمة ، وجد أيضا أفراد قاموا بهذا الدور تطوعا ولعل أهم هذا النوع هو الأب " شارل دى فوكو " الذى قيل فـــى وصفه : إنّه طراز قائم بنفسه يقوم على المغامرة وحب التفرد الذاتى واشباع شهوة الطمـوح الدينى ، وقد نشأ فى عائلة ارستقراطية من " الألزاس " و " اللورين " بفرنسا ، ومـات أبوه وأمه وهو طفل صغير فرباه جده لأمه ،حتى أتم دراسته الثانوية دخل الكلية الحربية وكان من زملائه قواد فرنسا فى الحرب العالمية الأولى [2] ، وبالرغم من انغماسه فـــى الشهوات والملذات إلاأنه غير مسار حياته وهو فى الخامسة والعشرين من عمره فابتـــدأ بتعليم اللغة العربية واهتم بأمور إفريقيا وأهلها ، وقام برحلات إلى " مراكش " فى رفقـة مرشد يهودى ، أطلعه على كل نواحى البلاد .

وكان لهذه الرحلات أثر بالغ فى توجيهه الوجهه الدينية فقد ابتعد فـــى أثنائها عن المدنية ، وأساليب الحضارة الأوربية واعتاد حياة الغربة والتقشف وأحـــب الصحراء الإفريقية فقام بعدة رحلات فى جنوب الجزائر ، وظل يتردد بين " فرنسا " و " روما " و " الجزائر " قابل فى فرنسا القسيس " هيفلان " صديق عائلته والموجه الدينى له كمـا تقابل مع رئيس مقاطعته .

وبعد هذا عاد إلى الجزائر بتوصية منها إلى رئيس التبشير فى الصحارى ورئيس الآباء والقساوسة البيض الذين يبشرون فى مستعمرات شمال إفريقيا فكلفه الأول أن يتجـــه

(١) يراجع المرجع السابق ص ١٢٠ ـ ١٢٣ باختصار مع التصرف .
(٢) المرجع السابق صـ ١٠٠ بتصرف .

بعد ذلك إلى الجنوب ليقوم بمهمته التبشيرية ، ويغزو آفاق المسلمين الروحية .[1]

صورة واقعية لمساندة الاستعمار للمبشرين

ماحدث للأب " دى فوكو " أثناء تبشيره بالجزائر يؤكد حقيقة تدعيم الاستعمار للتبشير وهذا ما أشار اليه الدكتور / عبد العزيز عزت قائلا :

والتبشير كما قلت لاينفصل عن الاستعمار ، والقوة المسلحة فهى التى تحميه فى كل مكان بدليل مادى فى حالتنا هذه أن أخطرت السلطات الاستعمارية الفرنسية كل الضباط والجنود فى محطات الطريق الذى سيسلكه " دى فوكو " بمروره من وهران الى بنى العباس ، وهم الأقوام الذين وقع عليهم الاختيار للتبشير فيما بينهم مارا " بعين الصفرة " وهى واحة فى الصحراء الجزائرية ، أخطرتهم بالقيام بحمايته ، والمحافظة على حياته ، وتقديم كل المساعدة التى يطلبها فى الحاضر والمستقبل فاستقبله فى عين الصفراء الحاكم الجنرال "كوشميز" بنفسه وأنزله أى الأب دى فوكو بطرفه إكراما له وجهز له كتيبة خاصة من الجنود المسلحين تحت قيادة الضابط "ميو" وزاد فى إكرامه أن قدم له حصانا ليركبه ويمتطيه من عين الصفراء الى بنى العباس جنوبا فى قلب الصحراء .

وفى أثناء الطريق أتت خصيصا لتحيته فرقة من الخيالة المرابطة فى منتصف الطريق بقيادة الكابتن " سوسبيل " الذى حيا " دى فوكو " وهو على حصانه التحية العسكرية الرسميه وهو رد التحيه بأحسن منها .[2]

وهكذا بينت الصورة السابقة تعاون القوم على الإثم والعدوان ، وكشفت أن التبشير ظل الاستعمار وأوضحت تبعية كل منهم للآخر .

الحركة المرسلية الحديثة

لقد مهدت الجماعات التبشيرية المذكورة سابقا لهذه الحركة وأعطتها دفعة قوية إلى الأمام ، وإذا اعتبرنا الفترة الزمنية منذ سنة ٥٠٠م إلى سنة ١٥٠٠م - (ألف عام) - فترة انتشار المسيحية فى بلاد الغرب عموما ، فإنه منذ القرن السادس عشر والحركات

---

(١) يراجع المرجع السابق صـ ١٠١ - ١٠٣ .

(٢) الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان ص ١٠٣ .

المرسلية فى تطور مستمر ومع تقدم الزمن ، وسهولة الاتصالات التى تقرب المسافات نجـد أنها تسرع الخطا فى نشر رسالتها فى بلاد الشرق .

" ففى القرن السادس عشر انشغل أعضاء " جمعية يسوع " الحديثة التكويـن بالعمل المرسلى ، وكان الأول من جماعتهم الذى وصل إلى الهند واحدا من أشهـر المرسلين فى تاريخ الكنيسة " فرانسس كسافييه " وكان من أصل شريف وقد تأثر جدا بـ " اغناطيوس دى لويولا " فانضم إلى نظام اليسوعيين وفى سنة ١٥٤٢م وصل فرانسس إلـى جوا عاصمة " الهند البرتغاليه " حيث اعتنى بالمرضى ، والمسجونين والبرص ، وعلـم الأطفال [١] ولشدة تأثره بمعلمه أصبح جنديا فريدا من جنود المبشرين ، فاستعذب المصاعب فى نشر مبادئ المبشرين ، وانطلق من قطر إلى آخر واضعا نصب عينه فتـح الشرق للمسيحية " فتحرك من الهند حتى وصل جزر إندونيسيا ، ومنها انتقل الـى اليابان ثم الصين وفى نهاية رحلته التبشيريه عاد إلى " جوا " بالهند سنة ١٥٥١م .

ومرض ومات وهو فى سن السادسة والاربعين واستمر عمل اليسوعيين التبشـيرى وكرست الجمعية المذكورة كل مجهوداتها للمرسليات الخارجيـة " . [٢]

واهتم اليسوعيون " بالهند " خاصة يقول ك . م . بانيكار : وقد أسس قساوسـة اليسوعيين فى " جوا " أول مطبعة بالهند كما أسسوا أيضا بعض المعاهد اللاهوتيـة التى يلوح أنها وإن كان المقصود منها تعليم القسوس قد وجهت بعض التفاتها لدراسـة اللغات الهنديه . [٣]

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر امتد النشاط التبشيرى واتسع ميدان عمله فى أقطار " آسيا " و " إفريقيا " فقامت جمعيتان - غير كاثوليكيتين - بدور كبير فى نشـر الاناجيل ، وهما جمعية نشر المعارف المسيحية (S.P.C. K) وجمعية نشر الانجيـل (C . M.S) وقد أسسهما رجال الكنيسة الإنجليزية فى سنة ١٦٦٨م وسنة ١٧٠١م بالتتابع بالإضافة إلى ماقامت به الجماعات البروتستانتيه والتى من بينها " جماعة الميثودست " الـتى تألفت فى سنة ١٧٨٧م وعملت فى هذا الميدان الجديد ، وبادرت من أجل ذلك إلـى

---

(١) نشأة الطوائف المسيحية ص ١٠٩ ، ١١٠ .
(٢) يراجع آسيا والسيطرة الغربية ص ٤٠١ - ٤٠٨ بتصرف ، نشأة الطوائف المسيحية ص ١١٠ .
(٣) آسيا والسيطرة الغربية ص ٤٠٠ .

إرسال الجماعات التبشيرية إلى الخارج وفى سنة ١٧٩٥م تألفت " جمعية لندن التبشيرية" بمعاونة التجار فى " لندن " وبدأت عملها فى " الهند " و " الصين " ثم امتدت إلى كل مكان آخر من العالم تمتد إليه التجارة البريطانية .(١)

وجاء القرن التاسع عشر ليشهد بتقدم المسيحية جغرافيا وخلال هذا القرن تعرضت " افريقيا " لهجوم تبشيرى شرس ، نال مصر نصيب خطر منه ولولا الأزهر برجاله لانقلبت الموازين فى مصر حصن العالم الإسلامى وبالتالى جميع الدول الإسلامية التى تستقى من روافد الأزهر وكانت موجات الإرساليات البروتستانتيه مركزة على هذا البلد اشد التركيز وأهم الموجات البروتستانتيه اثنتان :

" الأولى : جاءت من انجلترا بعد سقوط نابليون ولم تستطع الاستمرار فخرجت لتعود ثانية فى أعقاب الاحتلال البريطانى وتحت أعلامه .

والثانية : جاءت من أمريكا عن طريق بلاد الشام (٢) ، ويسمى المسيحيون القرن التاسع عشر " بالقرن العظيم " لامتداد المسيحية فيه ، ولنهضة الكنائس داخليا ولتحول شعب الكنيسة إلى شعب مبشر ، وقد اغدقت الأموال على العمل المرسلى ، وامتلأت صناديق المبشرين ودوت الشعارات المسيحية فى أرجاء القارة الإفريقية ، والتى من بينها نداء " لفنجستون " القائل " فتح إفريقيا للتجارة والمسيحية . (٣)

وشعار "موفات" (١٨١٧ ـ ١٨٦٨)م " الكتاب المقدس والمحراث لإفريقيا " وفى عام ١٨٧٠م قال " ساكر " المرسل فى " الكاميرون " يتصور بعض الناس المرسل رجلا يحمل كتابه المقدس فى يده ويغط للناس تحت ظل شجرة ، ولكن الصورة تختلف معى عن هذا ، فأنا أذهب إلى الرجل فى بيته أواسيه فى آلامه ومتاعبه وأعاونه لإصلاح حاله ثم أحدثه عن الحياة الأفضل .

هذا وقد كان التركيز على تعليم الحرف قويا فى مدارس الإرساليات الألمانية.(٤) وقد أثرت الحركة المرسليه الحديثة على العالم الإسلامى فكريا ومعنويا كما أعطت دفعة قوية لاتحاد الكنائس ، فعن طريق تنسيق العمل بينهم فى أرض الإسلام بدأ تبادل الآراء والتقارب بين طوائفهم التى كان يسودها الشقاق .

---

(١) نشأة الطوائف المسيحية صـ ١١٠ .
(٢) الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية صـ ٢٢ ، ٢٣ .
(٣) قصة انتشار المسيحية منذ عام ١٧٠٠م حتى اليوم صـ ٧٧ .
(٤) يراجع المرجع السابق صـ ٨٥ .

الحركة المسكونية

أعقبت " الحركة المسكونية " الحركة المرسلية الحديثة ، وكان القرن العشرين الميلادى بداية التحام الكنائس المسيحية والذى تم بصورة لم يسبق لها مثيل فى النصف الثانى من القرن المذكور فبالرغم من تعدد الكنائس ، واختلاف مذاهبها ، وطقوسها نجد توحيد صفها ليس فى العبادة أو المذهب والطقس وانما فى العمل على نشر المسيحية فى كل بقعة من الأرض .

وكان الاجتماع الثالث لمجمع (مجلس الكنائس العالمى) فى نيودلهى عام ١٩٦١م مثالا لهذه الوحدة بنص قراره الذى جاء فيه " نؤمن بأن الوحدة التى هى ارادة الله وعطيته للكنيسة صارت ظاهرة فى كل مكان للذين اعتمدوا فى يسوع المسيح ويعترفون به ربا ومخلصا ، وصار بالروح القدس شركة كاملة لها نفس الايمان الواحد الرسولى ، وتكرز بانجيل واحد ، وتكسر الخبز الواحد ، وتشترك فى الصلاة العامة ، ولها حياة مشتركة تصل للجميع بالشهادة والخدمة ، والتى تتحد فى الوقت عينه بالشركة المسيحية فى كل الأمكنة وكل العصور " . (١)

كما حاول البابا " يوحنا (*) الثالث والعشرون " لم شمل الكنيسة فلم يتحدث عن الخارجين عن كنيسته " كهراطقة " بل " اخوة منفصلين " وجاء خليفته من بعده (البابا بولس (*) السادس) ليتعانق مع (بطريرك القسطنطينية) " اثينا غوراس الأول " فى مدينة سنة ١٩٦٤م ، عندما أعلن القائدان المسيحيان بالتبادل بأن الحرمانات التى نطق بها ضد كنائسهم ، احداها على الاخرى فى سنة ١٠٥٤م (باطلة) وليست ذات موضوع وخطوة كهذه بعد ٦٠٠ سنة من البغضاء والتعصب من الجانبين كانت لها أهميتها العظمى بالنسبة للعلاقات المستقبلة بين المسيحية فى الشرق والغرب . (٢)

وتلى ذلك اجتماعات لايجاد تقارب بين الكنائس الشرقية والغربية (والكنائس المصلحة - والانجليكانية) للتفاهم وتقريب وجهات النظر ، ولتعاون البعثات التبشيرية المتعددة وللتنسيق بينها وكل ذلك يتم ولو على حساب الحق ، المهم ان تنسى الكنيسة أحقادها التى استمرت مايقرب من ألف عام ، وتستيقظ لنشر المسيحية بين أهل الاسلام .

---

(١) نشأة الطوائف المسيحية صـ ١٢٩ ، ١٣٠ .

(*) يوحنا الثالث والعشرون : تقلد كرسى البابوية من عام ١٩٥٨م الى عام ١٩٦٣م ، ودعا الى عقد المجمع الفاتيكانى الثانى وافتتحه عام ١٩٦٢م (يراجع المنجد فى العلوم صـ ٧٥٣) .

(*) بولس ٦ : اسمه (جيوفانى باتينا مونتينى) : ولد فى كونشيزيو قرب بريشيا ١٨٩٧م ، عين سكرتير لدولة الفاتيكان ١٩٤٤م وتقلد كرسى البابوية فى ٢١ يوليو (حزيران) ١٩٦٣م وقد واصل المجمع الفاتيكانى الثانى وختمه ١٩٦٣ - ١٩٦٥م . (المرجع السابق صـ ١٥٢) بتصرف .

(٢) نشأة الطوائف المسيحية صـ ١٣١ - ١٣٣ .

الفصل الثالث

" البابوية ودورها فى التبشير وحماية المبشرين "

البابوية[*] ركيزة هامة من ركائز التبشير فى العالم أجمع فهى تمد المبشرين بالمال وترعاهم فى كل الأقطار وموقف البابوية تجاه الإسلام والمسلمين عدائى على الدوام فبالرغم من انشغالها فى العصور الوسطى بالصراعات مع الأباطرة ، وانغماسها فى الملذات وجمعها للمال وكنزها له إلا أنها فى جانب المسلمين كانت يقظة دائما ، فهى المحركة للحروب الصليبية كما علمنا .

وهى التى حاولت الاستفادة من علوم المسلمين بالرغم من محاربتها للعلم والعلماء فى أوربا ، وهى التى رسمت الخطة للقضاء على المسلمين فى الأندلس وصاحبه فكرة دواوين التحقيق لاستئصال المسلمين أو تنصيرهم بالإكراه .

ثم هى فى العصر الحديث قد استقلت بنفسها مكونة " دولة الفاتيكان " وجمعت قوتها مع جهد " مجلس الكنائس العالمى " لخدمة الاستعمار ، والسير فى ركابه وجادت بالمال الوفير لخدمات التبشير فى دول " آسيا " و " إفريقيا " .

ومما يدل على سير البابوية فى خط الاستعمار موقفها المدعم لعدوانه ، ومساندتها للصهيونية العالمية ومباركتها لاعتداءاتها المتكررة على المسلمين فهى بحق ركيزة للعدوان وإن تصريحات البابوية فى الآونة الأخيرة وتحركاتها المحسوبة ضد الإسلام وثائق دامغة فى جبينها تشهد بجرمها فى حق الإنسانية ، وذلك فى الوقت الذى تتشدق فيه ، بأنها تدعو إلى نبذ الشقاق والخصام ، وهذا الفصل يوضح دورها المساند للتبشير .

(*) معنى لغظة : " بابا " المنسوب إليها البابوية : أصله فى اللغة اليونانية " باباس " أى الأب وكان سابقا يطلق على الأسقف أيًا كان لاسيما أسقف الاسكندرية ثم خص بأسقف روما سنة ١٠٧٣م فى أيام البابا غريغوريوس السابع .[1]
وقيل : لفظة " بابا " أصلها " أب الآباء " فصارت " أبابا " ثم خففت فقالوا " بابا " وهى لأسقف روما كما يتلقب بها أسقف الاسكندرية إلى اليوم .[2]

(١) كتاب اتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات فى أوربا ترجمة خليفة بن محمود (الخاتمة) ج ٢ ص ١٥ بدون عدد للطبعة مطبعة بولاق بمصر ١٢٥٨ هـ .

(٢) تاريخ نشأة المسيحية وطائفة الروم الكاثوليك ص ١٣ بتصرف واختصار .

البابوية فى القرون الوسطى

عكفت البابوية فى العصور المظلمة على استخدام كل أسلحتها ضد من يعترض على تصرفاتها ، أو يحاول من إصلاحها والقضاء على إفسادها ، فكثيرا ما انتهكت الحرمات باسم الدين وبلغ من سيطرة البابوية أنها كانت تطوى تحت سلطانها الحكام ، وإذا حدث نزاع بينهما خرجت البابوية منه منتصرة فى الغالب .

فقد كان " للبابا " سلاح قوى لايتحرج من استعماله إذا أراد إخضاع أمير خارج عليه ، وهذا السلاح هو الحرمان يحرمه من المسيحية وقد يحرم رعيته فتكف الكنائس عن دق النواقيس وتقفل أبوابها فلا يستطيع أحد أن يتزوج ، وأيضا يحمل الموتى إلى قبورهم بلا صلاة ، وفى الوقت نفسه يغرى " البابا " أحد الأمراء المجاورين لكى يغير على إمارة هذا الأمير الخارج ويبارك فى غارته وللمرء أن يتصور أحوال الرعية فى هذا الوقت فإن كل مسيحى كان يرى نفسه مرتبطا بولائين ، ولائه لأميره ، وولائه للبابا .

فإذا اختلف هذان الإثنان إحتاج إلى أن يقرر ترك أحدهما ، وفى الترك خسارة عليه على كل حال ، فهو يختار أهون الخسارتين ، فكان ينزل عن الولاء لأميره ويخرج عليه لإرضاء البابا .

ومن الحوادث التى تنازعت فيها البابوية فى عصورها المظلمة مع الأباطرة ما يأتى :

١ ـ إختلف (يوحنا) ملك بريطانيا الذى مات فى القرن الثالث عشر الميلادى مع البابا ، فحرمه البابا وعطلت الكنائس فى الصلاة ومنعت عقود الزواج وحملت الجثث إلى القبور بغير صلاة فاضطر الملك " يوحنا " أن يطلب الصفح صاغرا فعفا عنه بعد ذل وعذاب .

٢ ـ حدث فى القرن الحادى عشر أن هنرى(*) الرابع إمبراطور ألمانيا الذى مات سنة ١١٠٦م ، اختلف مع البابا " غريغوريوس السابع (*) " على مسألة أوقاف الكهنة فلم يكن

(*) هنرى الرابع ولد فى عام ١٠٥٠م بالتقريب وصار إمبراطورا لألمانيا فى الفترة من (١٠٦٦ ـ ١١٠٥م) قاوم غريغوريوس السابع فالتزم أن يؤدى الخضوع للبابا فى كنوسا ١٠٧٧م ، ثم توفى ١١٠٦م (المنجد فى العلوم ص ٧٣١ بتصرف) .

(*) غريغوريوس السابع : ونطق : جريجورى السابع (١٠٧٣ ـ ١٠٨٥م) وكان اسمه البابوى سابقا " هلد براند العظيم " ومن أعماله : تقريره العزوبة على رجال الدين وتشبثه بسيادة الكنيسة على الملوك والأمراء لتظل مصدر السلطة فى روما (معالم تاريخ الإنسانيه مجلد (٢) ص ٩١٠ بتصرف .

بأسرع من أن حرمه " البابا " ، وألب عليه أمراء المانيا ، ورأى الإمبراطور أنه بين رعيتـــه كالأجرب لايقرب منه أحد بعد هذا الحرمان فخرج ساعيا إلى البابا ، وكان البابا فى طريقه إلى المانيا قد نزل فى قصر كانوسه فوقف الأمبراطور على الباب ثلاثة أيام وهوفى لباس الرهبان حافى القدمين عارى الرأس يحمل عكازه ويقر بتوبته .

وبعد هذا الذل أذن له البابا فقبل الأرض بين يديه وخرج إمبراطورا مسيحيا كما كان قبل الحرمان ولكن نار الانتقام صارت تأكل قلبه فعاد إلى البابا بجيش جرار سنة ١٠٨١م وطرد البابا وأقام غيره .(١)

ويلاحظ أن البابوية فى فترة العصور الوسطى كانت منتصرة فى صراعها مع الحكام غالبـــا وكانت السلطة الزمنية تستمد بقائها من البركات البابوية وما يحدث بخلاف هذا فهو أمر نادر أوشاذ .

البابوية بعد القرون الوسطـــى

إنتهت القرون الوسطى بالتسلط البابوى فى الغالب وجاء عصر الإصلاح ، وتبعه عصــر النهضة وفيهما دخلت البابوية فى صراع مرير ، سنعرض بإيجاز نماذج من سلوك البابـــوات فى هذه الفترة الزمنية مع ذكر الحال التى انحطت إليها البابوية .

وقد حاول البابا " مارتن الخامس "(*) إخضاع البابوية لسيطرته المباشرة والعمل علـــى ازدهار " روما " لكن أساليب الجباية التى اتبعها هوت به إلى الحضيض وزعزعت البابويـــــة من جذورها .

كما أن سياسة البابا " سيكستوس الرابع "(*) جعلت من إيطاليا مسرحا للحروب ومع ذلك كتب على قبره مات باسم السلام العظيم ، وقد استحوذ كل من " أنوسنت الثامن "(*) و " الإسكندر بورجيا "(*) على البابوية بالرشوة والتهديد .(٢)

(١) فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية دكتور / عز الدين فراج ص ١٣٢ ، ١٣٣ بدون عدد للطبعة طبع : دار الهنا للطباعة بالقاهرة عام ١٩٧٨م باختصار .

(*) مارتن الخامس : تقلد منصب البابوية من عام ١٤١٧م الى عام ١٤٣١م يراجع (المنجد فــى العلوم صـ ٦٥٢) .

(*) سيكستوس الرابع : إنتخب بابا لروما من سنة ١٤٧١م إلى سنة ١٤٨٤م بنى له ميكل أنجلــو البنايات الفخمة ومنها المعبد السيكستينى (المرجع السابق ص ٣٧٧ باختصار) .

(*) انوسنت الثامن : إنتخب بابا لروما من عام ١٤٨٤م الى عام ١٤٩٢م " المرجع السابق صـ ١٣ ابتصرف

(*) الإسكندر بورجيا : وهو الإسكندر السادس ولد فى بلنسية من اسبانيا سنة ١٤٣١م وانتخب بابا سنة ١٤٩٢م وهو من باباوات عصر النهضة إنصرف للسياسة وبرع فيها وزاغ فى حياتها الخاصة وتوفى سنة ١٥٠٣م " دائرة المعارف للبستانى مجلد (٢) صـ ٥٦٨ ، المنجد فى العلوم صـ ٤٣) .

(٢) العصور الوسطى الاوربية دكتور / عبد القادر أحمد يوسف صـ ٣١٩ ، ٣٢٠ باختصـــار .

وحتى لانطيل فى عرض النماذج المزرية ، ترفعا بأنفسنا – والتى لولا ذكر الحقيقة التاريخية ، ما تعرضنا لها – نذكر بعضا مما يحدث من معارضة البابوية ورجال الدين المسيحى للعلم والعلماء ، فقد وقفوا لنور العلم بالمرصاد يريدون إطفاءه ، وتخلصوا من العلماء بكافة وسائل الإجرام ، ولايزال حديث محاكم التفتيش وتقتيل المفكرين والمخترعين أمام عدالة قضاة الكنيسة نقطة سوداء فى جبين التاريخ الكنسى البابوى ، وكنا نتوقع من حركة الإصلاح التى جاءت على يد " لوثر " (*) ورفقائه أن تترفع عن هذه المخازى لكنها لم تتورع هى الأخرى عن الولوغ فى هذه الجرائم .

ويصاب المرء بالصدمة حين يسمع لصاحب كتاب : " سقوط الحضارة " وهو يقول : كان " لوثر " فى لحظة من لحظات عذابه قد قال : (إن النّاس يصغون إلى المنجم الذى يحاول أن يريهم الأرض وهى تدور ولايصغون إلى السماء) . وكان هذا المنجم هو " كوبرنيكس " الذى استطاع فى كتابه عن ثورات الأجسام السماوية (*) أن يقدم النظرية القائلة بأن الأرض تدور حول الشمس خطوات إلى الأمام بدلا من الفكرة القائلة بأن الشمس تدور حول الأرض .

واتفق زعماء الإصلاح " لوثر " و " كلفن " (*) وغيرهما مع الكنيسة الكاثوليكية على شجب " كوبرنيكس " وسجن " جيوردا فوبرنو " – وهو قس دومنيكى – سبع سنوات وأحرق فى عام ١٦٠٠م ، لانه أيد نظرية " كوبرنيكس " الفلكية ورجع البروتستانت والكاثوليك معا إلى المصدر الوحيد – الإنجيل – ليثبتوا أن الأرض هى المصدر للكون ، وأن الشمس والقمر والنجوم خلقت لتهب الأرض الضياء .

وظهر العالم والفلكى العظيم جاليلو جاليلى (١٥٦٤ – ١٦٤٢م) إلا أنه اضطر إلى الحضور أمام هيئة التفتيش لإعلان تبرئه " لرأيه المهرطق " الذى قال فيه إن الأرض تدور حول الشمس ، ولم ينج من المصير الذى لقيه " برونو " إلا بعد إنكاره هذا الرأى وسجن

(*) مارتن لوثر : (١٤٨٣ – ١٥٤٦م) راهب لاهوتى ومفكر بدأ الإصلاح الدينى فى ألمانيا وانفصل عن الكنيسة الكاثوليكية معلنا الحركة (البروتستانتيه) عام ١٥١٧م (المنجد فى العلوم ص ٦١٥ باختصار) .

(*) نشر كوبرنيكس كتابة عام ١٥٤٢م قبل وفاته بسنة (عقائد المفكرين فى القرن العشرين) للأستاذ / عباس محمود العقاد ص ٣٢ بدون عدد للطبعة مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهره بدون تاريخ .

(*) كلفن " يوحنا " (١٥٠٩ – ١٥٦٤م) مصلح فرنسى نشر فى فرنسا وسويسرا مذهبا حمل اسمه له كتاب " الاسس المسيحية " يراجع (المنجد فى العلوم ص ٥٩٢) .

" كامبا نيلا " ـ وهو دومنيكي آخر ـ لمدة ثمان وعشرين سنة لتفكيره العلمى ، وأحرق " لوسيليو فانيللى " للسبب ذاته .[1]

ويكفى أن نضع بين يدى القارئ الكريم تقرير لجنة الكرادلة الذين أمرهم البابا " بولس الثالث "[*] أن يكتبوا تقريرا عن الرذائل الغاشية فى رجال الكنيسة ، والوسائل التى يشيرون بها لتلافيها أو التخفيف منها ، فإنها فى نظرهم حائل بين الكنيسة وطابعها التبشيرى ، " وفى مارس ١٥٣٧م قدمت اللجنة للبابا " نصيحة الكرادلة المعينين لإصلاح الكنيسة " وقد فضحت هذه النصيحة الاجتماعيه ، بحرية مذهلة مفاسد الحكم البابوى، وعزتها بشجاعة : إلى مغالاة الفقهاء الكنسيين عديمى الضمير فى سلطة " البابا " مغالاة مستهترة ورأى التقرير " أن بعض البابوات ادعوا الحق فى بيع الوظائف الكنسية ، وقد أفشت هذه المتاجرة بالرتب الكهنوتيه الرشوة والفساد فى الكنيسة على نطاق واسع بحيث أشرفت هذه المنظمة العظمى على الخراب بسبب انعدام الثقة فى نزاهتها وحث التقرير على فرض رقابة صارمة على أى نشاط تقوم به الإدارة البابوية وعلى فرض رقابة على الإعفاءات الكنسية ، وعلى وقف دفع المال لنيلها ، وعلى مستوى أعلى فى جميع الوظائف وفى شروط اختيار الكرادلة والقساوسه ، وحظر الجمع بين عدة وظائف كنسية ذات دخل أو الانتفاع بهذه الوظائف غيابيا وأضاف التقرير " لقد هجر معظم الرعاة قطعانهم فى العالم كله ووكلوها إلى الأجراء " .

أما الطرق الديرية فيجب تجديدها ، وأما أديار الراهبات فيجب إخضاعها للرقابة الأسقفية ، لأن زيارة الرهبان لها أفضت إلى الفضائح وتدنيس المقدسات .

وأما صكوك الغفران فيجب الإعلان عنها مرة واحدة فى العام فقط .[2]

هذه مقتطفات من تقرير " لجنة البابوية " قدمه كرادلة موصوفون بالنزاهة ، وإنه ليبين للإنسانية مدى انحطاط سمعة البابوية ، وما حل بها من فوضى ولو وضع هذا التقرير غير رجال الدين المسيحى لقلنا أنهم من المعادين لرجال الدين المسيحى يلصقون بهم التهم ، ويصفونهم بالنقائص ، ومن خلال العرض الموجز لصور من التحدى للرأى العلمى

---

(١) سقوط الحضارة كولن ولسون ترجمة أنيس زكى حسن ص ١١٨ ط(١) مطابع دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٩م .

(*) بولس الثالث : ولد فى سنة ١٤٦٨م ثم تقلد عدة مناصب كهنوتية وانتخب بابا لروما سنة ١٥٣٤م وتوفى عام ١٥٤٩م (دائرة المعارف للبستانى مجلد (٥) ص ٧٠٢) بتصرف .

(٢) قصة الحضارة لـ (ول ديورانت جـ٦ من المجلد السادس " الإصلاح الدينى ") ترجمة فؤاد اندراوس ، ومراجعة : على أدهم ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

ينكشف موقف رجال الكنيسة من العلم والعلماء الباحثين فى الكون ، وهو موقف كله جمود وقسوة لامثيل له ، فى الوقت الذى تتلى فيه آيات القرآن الكريم تحض النّاس على النظرة المتأملة فى الكون ، وتأمرهم بكشف أسراره ومكنوناته (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)(١) .

البابوية بعد القرن الثامن عشر

ظلت البابوية فى صراع مع الدولة ، واشتدت الخصومات بين الكنيسة والدولة وكونت الكنيسة دولة داخل الدولة لدرجة أن حكومة إيطاليا المدنية لم تستطع أن تسيطر على الدولة كلها ، فضاعفت من جهودها حتى سيطرت على الدولة ، واستعادت سلطتها المسلوبة ، يقول (رولاند بيسنتون) ماترجمته :

وفى عام ١٨٧٠م صارت لإيطاليا حكومة واحدة وضاعت سيطرة الكنيسة ، وتضايق البابوات من كل هذه الخطوات لأنهم اعتقدوا أن رئيس الكنيسة لايجب أن يحيا فى رعاية حكومة أرضية ، لأن الكنيسة تحمل سلطان الله ملك كل الناس وحلت هذه المشكلة عام ١٩٢٦م حين سمح للبابا أن يحكم على منطقة فى " روما " اسمها " مدينة الفاتيكان " (*) وهى رقعة صغيرة لاتجر وحدة إيطاليا ولكنها كبيرة بدرجة تسمح بإبعاد " البابا " عن سيطرة أية حكومة أرضية ، وللفاتيكان سكته الحديدية ومحطة إذاعة ومصلحة بريد خاصة به .(٢)

ولها أيضا سفارتها الخاصة بها ، وقد حصل الفاتيكان على كثير من الامتيازات بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى " فأنشئت سفارة منتظمة لدى الحبر المقدس (البابا) فى

---

(١) سورة يونس الآية ١٠١ .

(*) الفاتيكان : مقام البابوات ويتألف من البلاط والمعبد السيكستينى والمتاحف والمكتبة التى تعد إحدى أهم مكتبات العالم بها (نحو ٦٧,٠٠٠ مخطوط وأكثر من نصف مليون كتاب) ، ويضم المعبد واللوحات الفنية ، ودولة الفاتيكان اعترفت بها إيطاليا فى معاهدة لاتيران ١٩٢٩م ورئيسها " البابا " ومساحتها نحو ٤٤ هكتارا ويوجد فى هذه الرقعة كنيسة القديس بطرس ، والبلاط البابوى وملحقاته بالإضافة إلى القصور والبنايات الموجودة فى العاصمة الإيطاليه (المنجد فى العلوم ص ٥١٦ باختصار) .

(٢) الكنيسة من البدء إلى القرن العشرين رولاند بيسنتون ترجمة القس عبد النور ميخائيل ص ١٤٥ .

سنة ١٩٢٨م ، ومن هذا يتضح أن البابا كان له مقام دولى أو قل إنه اكتسب لنفســـه هذا المركز ، ويضاف إلى ذلك أن إيطاليا ، بمقتضى الإتفاقية التى عقدها " موسولينى " مـع " البابا " فى سنة ١٩٢٩م إعترفت بالفاتيكان كدولة لها منفذ إلى البحر ، وأقرت بـــأن " البابا " شخصية دولية ، ولذلك منحت الكنيسة فى طول البلاد وعرضها حقوقا وامتيازات كانت تأباها عليها الحكومات الإيطالية منذ سنة ١٨٦٠م ، وفى مقابل ذلك أصبح هنـــاك وفاق جدى بين البابوية والمملكة الإيطالية .(١)

وما يهم العالم أن لقبة " الفاتيكان " تأثيرها الروحى على المسيحيين وينبغى أن يستخدم هذا التأثير فى صالح الإنسانية لاضدها وفى سبيل سعادتها لافى شقائها .

" ولقد طالب بعض البابوات بالسلام العالمى قال البابا : " بيوس الحادى عشر " (*) بعد الحرب العالمية الأولى ان الكراهية بين الدول تضر حتى الذين كسبوا الحـــرب وتشوشر على مستقبل العالم ، وقال لايجب أن ننسى أن أفضل طريق لحفظ السلام هـــو ثقتنـــا ببعضنا وصداقتنا ، وليس كثرة سلاحنا " (٢)

وإذا كان بعض البابوات نادى بالسلام فإن الكثيرين قد أشعلوا الأرض نارا شعـــواء بالسيف كما حدث فى الحروب الصليبية وبالكلمة الجائرة كما سنعرف فيما يأتـى .

البابوية حرضت ملوك النصارى على تنصير المسلمين

حركت الكنيسة عواطف المسيحيين وألهبت مشاعرهم ضد المسلمين فى بلاد الأندلـــس ولما كان للمسلمين فى بلاد الأندلس حتى وهم فى النهاية دور لاينكر فى مجال العلـــم والزراعه ، والتجارة وكان ملوك النصارى يرون أنهم لايقدرون على الاستغناء عن الخـــبرة الإسلامية وأنهم فى مسيس الحاجة إلى التعلم من علماء الإسلام ، ومن أجل هذا يتسامحون أحيانا مع الطوائف الإسلامية القاطنة فى بلاد الأندلس والتى تحولت من بلد إسلامى إلـــى

---

(١) أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ - ١٩٥٠م) تأليف هارولد تمبرلـــى ، أ . ج . جرانت ترجمة محمد على أبو درة وغيره جـ ٢ صـ ٣٣٩ ، ٣٤٠ نشـــر مؤسسة سجل العرب بالقاهرة ١٩٦٥م .

(*) بيوس الحادى عشر تقلد منصب البابوية من عام ١٩٢٢م إلى عام ١٩٣٩م وقع معاهدة اللاتيران ، فأصبح الفاتيكان دولة ذات سيادة ونشط الحركة المرسلية (المنجد فـى العلوم صـ ١٧٩) بتصـــرف .

(٢) الكنيسة من البدء إلى القرن العشرين صـ ١٤٥ .

بلد نصرانى ، لكن الكنيسة برجالها حرضت الملوك وحضتهم على سلوك سياسة العنف ضد الرعايا المسلمين لأنها ترى فى تعلق المسلمين بدينهم وتمسكهم بلغتهم تحديا ينبغى مقاومته ، ومما يؤكد هذا البغض النصرانى ماذكره محمد عبد الله عنان من تحريض " البابا " ودفعه لتنصير المسلمين بالإرهاب " ومنذ أوائل القرن الثالث عشر تتوالى أوامر البابوية وقراراتها ضد المدجنين(*) ، والحض على استرقاقهم أو تنصيرهم ومن ذلك ما أمر به البابا " انوسان الرابع "(*) فى سنة ١٢٤٨م ملك أراجون الأول من وجوب استرقاق المسلمين فى الجزائر الشرقية ولكن خايمى لم يأبه لذلك الأمر .(١)

وإذا كان خايمى تراخى فى تنفيذ أمر البابوية فإن غيره لم يتباطأ فيما تشير به البابوية وعلى سبيل المثال " فرديناند و الخامس "(*) والملكة " ايزابلا " .

" فرديناند " و " ايـزابيـلا "

كانت الدلائل تشير بحق " ايزابيلا " فى وراثة العرش بعد وفاة أخيها " هنرى الرابع " ملك قشتالة فى سنة ١٤٧٤م لأنها قد نالت حق وراثة العرش بتأييد " مجلس النواب " لها عقب وفاة أخيها " الفونسو " فى سنة ١٤٦٨م.

(*) شاع استعمال هذا اللفظ بالأندلس منذ أوائل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) والمدجنون : من دجن أى أقام وصدره الدجن والتدجن ومنه دواجن البيوت وهى طيور وحيوانات أليفة مقيمة (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين) محمد عبد الله عنان صـ ٥٦ ط(٢) مطابع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.

(*) انوسان الرابع : اعتلى كرسى البابوية من عام ١٢٤٣م الى عام ١٢٥٤م (دائرةالمعارف للبستانى مجلد (٥) صـ ٨) .

(١) نهاية الأندلس (وتاريخ العرب المتنصرين) صـ ٦٢ .

(*) فرديناند و الخامس عاش من عام ١٤٥٢م الى عام ١٥١٦م ملك " أرغوان " ثم قشتالة بعد زواجه " بايزابلا " وارثه عرش قشتالة والمولودة عام ١٤٥١م والملقبة بالكاثوليكية والتى استولت على غرناطة من المسلمين عام ١٤٩٢م ثم توفيت سنة ١٥٠٤م ببلدة " تورو " الواقعة فى قشتالة والمنسوب إليها القس "توماس دى تركيمادا " مربى الملكة الدينى ورئيس ديوان التفتيش (يراجع المنجد فى العلوم صـ ١٠١ ، ٥٢٣ والحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية للأمير شكيب أرسلان جـ ١ صـ ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

ثم تزوجت قبل وفاة أخيها هنرى ببضعة أعوام ، بابن عمها الأمير " فرديناند و " الأرجونى ولد الملك خوان الثانى ، وهى التى فضلته على غيره ممن تقدم لها .[1]

وكسبت حب الشعب برقتها ، واحتشامها ، بيد أنه كانت تجيش فى قلبها نزعة دينية كلها حقد وتعصب دفين سقاها إياها الرهبان ما جعلها تأتمر بأمرهم وتنفذ توجيهاتهم .

" فقد وقعت تحت تأثير " توماس دى تركيمادا " أحد الرهبان " الدومنيكيين " وكان قسيسا لها قبل أن تكون ملكة وحملها يوما على أن تعده بتكريس حياتها لاستئصال (المسلمين) إذا هى وليت الملك ".[2]

وسارعت بتنفيذ العهد مبكرا ، وشرطت على زوجها الملك أن لايتوانى فى قتال المسلمين ، ضمن الشروط الأخرى التى قيل عنها " ووضعت شروط الزواج بين الفريقين سرا نظرا لمعارضة الملك هنرى .

وفيها يتعهد " فرناندو " بأن يحترم قوانين قشتاله وتقاليدها ، وأن يجعل مقر إقامته فيها ، وأن لايغادرها دون إذن " إيزابيلا " وأن لايجرى أى قرارات أو تعيينات فى المملكة دون إذنها ، وتعهد بالأخص بأن يتابع الحرب ضد المسلمين وفى أكتوبر سنة ١٤٦٩م عقد الزواج فى مدينة " بلد الوليد "(*) حيث كانت تقيم الأميرة فى حفل خاص.[3]

وهكذا أتت تربية الرهبان أكلها ، فقد عرفوا الطريق المحكم للقضاء على المسلمين أو تنصيرهم وكانت الكنيسة والبابوية وراء تعميم دواوين التحقيق وانتشارها فى أقاليم بلاد الأندلس وفى الوقت نفسه لهما الهيمنة الكاملة على مايجرى داخل الدواوين من محاكمات وتعذيب ، وظلت السلطة الكنيسية تسهر منقبه فى ديانة الناس ، وضمائرهم

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٠ بتصرف .

(٢) مذابح وجرائم محاكم التفتيش فى الاندلس محمد على قطب ص ١٢٠ بدون ذكر الطبعة مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥م .

(*) بلد الوليد : هذه اللفظة عربية محرفة عن " بلد الوالى " هكذا أسماها العرب فأضاف إليها الإسبان حرف الدال ، فيتوهم أنها بلد بناها رجل يقال له الوليد وهى مدينة بوسط أسبانيا الى الشمال تأهل فيها فرديناندو بإيزابيلا (الحلل السندسية" .. جـ ١ ص ٣٣٨ بتصرف .)

(٣) نهاية الأندلس ... ص ١٨٢ .

بينما السلطات العسكرية والمدنيه والأمنية فى سهر دائم تراقب تحركات المسلمين ، وأعمالهم حتى بعد إرغامهم على النصرانية .

فما كاد " فرديناندو " و " إيزابيلا " يتربعان على عرش المملكة الأسبانيه حتى قاما بتنفيذ ما تعاهدا عليه ، ولقد كانت مملكة " غرناطة " وقتئذ تحت قيادة " السلطان علـــى أبو الحسن " ولد السلطان سعد المستعين بالله ، فشهر الحرب عليها ، بكل قـــوة وفرض التنصير على المسلمين فرضا ، واتخذت السلطات الكنسية أعنف وسائل التعذيب ولما لم يستكن المسلمون واستماتوا فى مواجهة قوة البغى ، واستنجدوا بإخوانهم فى المغـــرب ومصر ، وقسطنطينية ، لكن هؤلاء الإخوة شغلتهم الإنقسامات الداخلية ، فلم يهرعـــوا لنجدة مسلمى " غرناطة " مما أعطى الفرصة لرجال الكنيسة ، أن يجهزوا عليهم بإنشـاء ديوان تحقيق بغرناطة تحت إشرافهم يساق إليه المسلمون ، ثم يسحقون .

سعى رجال الكنيسة لتعميم دواوين التحقيق

لما رأى مجلس الدولة الأسبانية صلابة المسلمين فى دينهم ، ومحاولتهم الإتصال بإخوانهم ، من أجل نصرتهم قضى بحملهم على النصرانية ونفى المخالف منهم خارج الأراضى الأسبانيه فقد تقدم " ديجو ديسا " أسقف جيان(*) المحقق العام بوجوب إنشاء ديوان للتحقيق فى غرناطه(*) ، وعارض " فرديناندو " و " إيزابيلا " فى إنشاء ديوان التحقيق فى غرناطـــه ذاتها ، واقترحا أن تحال شئونها إلى اختصاص ديوان التحقيق فى قرطبة وألا يُقَـــدَّم المسلمون أو الموريسكيون إلى الديوان إلا لتهم خطيرة ، ولكن الكنيسة لم تقنع بهـــذه الإجراءات ، وسارت فى طريقها حتى أُقنعت فرناندو .

" وكانت الكلمة للكنيسة دائمًا ، ففى ٢٠ يوليو سنة ١٥٠١م أصدر " فردينانـــدو " و " إيزابيلا " أمرًا ملكيا خلاصته " أنه كما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطـــة من الكفرة " ، فإنّه يحظر وجود المسلمين فيها فإذا كان بها بعضهم فإنّه يحظر عليهم أن يتصلوا بغيرهم ، خوفا من أن يتأخر تنصيرهم وبأولئك الذين نصروا لئلا يفســـدوا

(*) جيان : إقليم من أقاليم الأندلس (المنجد فى العلوم ص٢٢٣ باختصار) .
(*) غرناطة : مدينة بالأندلس حكمها المرابطون عام ١٠٩٠م واتخذها محمد بن نصـــر مؤسس سلالة بنى الأحمر عاصمة له سنة ١٢٣٥م واستمرت عاصمة للدولة حتى سقوطها عام ١٤٩٢م ، المرجع السابق ص ٥٠٥ بتصـــرف .

إيمانهم ، ويعاقب المخالفون بالموت أو مصادرة الأموال .[1]

وإنه لإكراه وإجبار من الرهبان للمسلمين على التنصير كرهًا بأبشع الوسائل ، فأين سيف الإسلام من رحمة الرهبان ؟

تدخل البابا " سكتوس الرابع "[*]

لما اهتم الملكان بمصالح " قشتالة " الداخلية وأغضا الطرف عن المسلمين بعض الشيء بهذه المملكة ، ثارت البابوية وتدخل البابا " سكتوس الرابع " محاولا أن يقنع " فرناندو " و " إيزابلا " بإنشاء نظام للتحقيق في قشتالة ، فأرسل إليهما مبعوثا بابويا مزودا بكل السلطات للتحقيق والقبض على المارقين ومعاقبتهم ، وبمداومة قرع الباب اقتنع الملكان بإنشاء ديوان التحقيق .

ويقال : إنه في سنة ١٤٧٨م أرسل " فرناندو " و " إيزابلا " سفيرهما إلى " البابا " للحصول على المرسوم البابوي وصدر المرسوم بالفعل في نوفمبر من هذا العام بالتصريح بإنشاء ديوان التحقيق في قشتالة وتعيين المحققين لمطاردة الكفر ومحاكمة المارقين .[2]

ثم صدر بعد ذلك مرسوم بابوي في سنة ١٤٨٣م بإنشاء مجلس أعلى لديوان التحقيق ، وتبعه المرسوم البابوي في أكتوبر سنة ١٤٨٣م بتعيين القس " توماس دي تركيمادا " معترف الملكين ، في هذا المنصب الخطير ، وخُوِّلَ في الوقت نفسه سلطة مطلقة في وضع دستور جديد للديوان المقدس .[3]

وقد ارتكب هذا القس المذكور من الفظائع ماتقشعر منه الجلود وكل الجرائم التي ارتكبها أدخلته حظيرة القديسين .

" وقد ظل ذلك الشرير سبع عشرة سنة في أسبانيا يسرح ويمرح ، حرق في أثنائها سبعة عشر ألف شخص وهم على قيد الحياة " .[4]

---

(١) نهاية الأندلس ص ٣٢٤ .
(*) سبق التعريف به ص ٣٦٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٣١ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٣٢ .
(٤) مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس ص ١٢١ .

والذي فعله البابا " سكتوس الرابع " فعل أكثر منه غيره من الباباوات ، فقد قيل إنه فى الثانى عشر من شهر مارس(آذار) عام (١٥٢٤م) ، الموافق السادس (٦) من جمادى الأولى سنة (٩٢٠هـ) حث البابا رجال التفتيش بأن يعجلوا بإجبار المسلمين على اعتناق المسيحية (الكاثوليكية) ومن أبى من المسلمين فعليه أن يخرج من " أسبانيا " وأمهلوهم مدة ، فمن لم يعتنق المسيحية أثناءها كان جزاؤه أن يصبح رقيقا عبدًا طوال حياته وأصدر مرسوما بذلك أمر فى ختامه بجعل كل المساجد هناك كنائس .(١)

وأبيد المسلمون ، ومحيت آثارهم الإسلامية وتحولت مساجدهم إلى كنائس وإلى أماكن للهو والعبث باسم المسيحية الرحيمة وبمباركة من البابوية الكريمة وتم كل هذا بصورة من الفظاعة لم تعهدها الإنسانية مما عجل بنهاية المسلمين فى الأندلس .

" دور البابوية فى رعاية التبشير علميا "

قامت البابوية بدور مزدوج ففى الوقت الذى تمارس فيه التبشير بكل ما أتيح لها من امكانيات ، تعمل على حماية المبشرين ورعايتهم بكل الوسائل ، ولما كان لرجال الدين المسيحى الأثر الواضح فى نقل المعارف والثقافة الإسلامية إلى أوربا فى نهاية العصور الوسطى ونقل نظمها من مواطن الإسلام بعد التعلم فى مدارس المسلمين ، وتلقى العلوم على أيدى علماء الإسلام ، فى الوقت الذى كانت بلاد الغرب فيه تسبح فى دياجير الظلام ، وتهوى فى حضيض الجهالات ، وإذا كان غير رجال الدين من النصارى قد انكب على علوم المسلمين ينهل من مواردها العذبة ويتخذ منها واقعًا علميا لحياته ، ويحاول إذاعاتها بين بنى جنسه فإن فى المقدمة : هؤلاء الذين يقول عنهم نجيب العقيقى نقلا عن البارو القرطبى : وفى طليعة هؤلاء رجال الدين ، الذين نهلوا من مدارس المسلمين ومجامعهم ومكتباتهم ، ثم قبعوا فى أديرتهم ينقحون ذلك التراث ويترجمونه ، ويفسرونه ويصنفون فيه ويذيعونه بين الرهبان ، وطلاب العلم ، فينتشروا انتشارا سريعا بفضل مدارسهم فى أديار : ريبول — حيث تعلم الأب " جربر " وترجم إلى اللاتينيه من مخطوطات مكتبتها المصنفات الرياضيه والفلكيه — وسان ميليان ، وثيلا نوبا ، وسائر مدارس المستعربين

---

(١) المرجع السابق صـ ٥١ بتصرف يسير .

فى قرطبة .(*)

ومنذ القرن العاشر حملت الكاتدرائية العبء الأكبر عن الأديار ، فذاعت شهـــرة مدارس أوبيدو ، وليون ، وبيك ، وخيرونا ، وبرشلونه ، وسانتياجو دى كومبوستيلا ، وقامـت مثيلات لها فى : باريس ، وشارترز ، وأورليان ، وتور ، ولاون ، وريمس(*) ، وفى كـبرى مدن ايطاليا ، وانجلترا وبلجيكا وغيرها .(١)

ولم يقتصر الأمر على نقل العلوم ، والتعليم كطريقة ، وإنما تعداه كما ذكـــر وما سنعلمه بوضوح إلى نظام التعليم والجامعات .

" دور البابوية فى نقل أسـلوب التعلم والجامعات للغـرب "

من الحقائق الثابتة أنه فى القرون الوسطى كان لايتقلد المناصب الكبرى فى الغرب فى الغالب إلا من نعم بالتعلم فى مدارس المسلمين وتلقى العلم من أفواه علماء الإسلام وكان الأب جربرت من شرف بهذا التعليم فيقال : فى الجزء الأخير من القرن العاشـر كان " جربرت " من أورياك . Gerbert Of Aurillac الذى صار فـى سنة ٩٩٩م البابا سلفستر الثانى (Sylvester .) أول " بابا فرنسى " ، مشهورا كعالم وكمعلم وكان هو نفسه مدينا للتعليم العربى ، وقيل إنه أدخل الأعداد العربيـة إلى العالم الغربى .(٢)

وكان الفضل فى تربيته لمدارس المسلمين بالأندلس التى لقنته التعليم للعلـــم لا للتأثير على العقيدة ، يقول نجيب العقيقى عنه ما اختصاره : لقد قصد " الأندلس " وأخذ على أساتذتها فى مدارس ريبول وأشبيليه وقرطبة ، حتى أصبح أوسع علماء عصـره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك ولما تقلد البابوية بروما أمر بإنشاء مدرستين عربيتـين الأولى فى " رومة " مقر خلافته ، والثانية فى " رايمس " وطنه ، ثم أضيف اليها مدرسـة " شارترز "(*) (٣) وقامت المدرسة المذكورة بدور هام فى نشر الثقافة فى الغرب وكان مـن

(*) قرطبة : مدينة فى اسبانيا كانت عاصمة الدولة الأموية فى الأندلس منذ ٧٥٦م وظلت تحت الحكم الإسلامى حتى استعادها فردیناند و (يراجع : المنجد ص ٥٤٧) .

(*) كانت كلها بلدان واقعة فى بلاد الأندلس .

(١) المستشرقون نجيب العقيقى ج ١ ص ٩٧ ، ٩٨ ط (٣) مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٤م باختصار .

(٢) نشأة الطوائف المسيحية نقله إلى العربية : المطران اسحق مسعد ص ٧٨ ، ٧٩

(*) شارترز : مدينة موقعها الآن فى شمال فرنسا وكانت ضمن بلاد الأندلس سابقا (المنجد فى العلوم ص ٣٨٠ بتصرف) .

(٣) المستشرقون جـ ١ صـ ١٢٠ .

تلاميذها ، من نسقوا للجامعات بأوربا .

فقد نقل عن كتاب : نشأة الطوائف المسيحية ماترجمته : ويلاحظ أن مدرسة شارترز Shartirs في فرنسا خرّجت Fulbert " فولبرت " ، تلميذ جربرت والذي كان أول معلم ، وقام " فولبرت " بعمل " جربرت " واتبع طريقته ودعاه تلاميذه " سقراط " .

وبعد موته في سنة ١٠٢٩م استمر التعليم في " شارترز " كما يشهد بذلك البيان الهام للمنهاج الذي تركه " يوحنا " الذي ولد في " سالزبوري " في " إنجلترا " ثم صار أسقف " شارترز " حيث مات سنة ١١٨٠م .

وكانت هذه الثقافة لفائدة أولئك الذين يتعلمون للخدمة المسيحية أما لغيرهم فلم يتعلم سوى القليل ، وفي الربع الأخير من القرن الثاني عشر تأسست " الجامعه " التي كانت تلقب بـ Studinagerale . في باريس ، التي أعد لها " فلبرت " الكثير وكانت هناك جامعات أخرى في بولوجانا . Baloganc في إيطاليا وفي " اكسفورد " و " كمبردج " في انجلترا ، وبالإضافة الى دراسة " الفنون السبعة الحرة " وجدت دراسة اللاهوت طريقها إلى الجامعة وكثيرون من رجال الكنيسة أدوا دورا ممتازا في حياة الجامعات وعلمها وأعطوا الكثير للتعليم والفكر في العصور الوسطى .(١)

وما سبق يبين لنا أن نظام الجامعات كان موجودا عند المسلمين ونقل بواسطة رجال الدين الذين نالوا الحظ الوافر من التعاليم في الجامعات الإسلامية المنتشرة آنذاك في المدن الأندلسية وبلاد العرب ، وهذا مادعا نجيب العقيقي إلى القول الآتي :
طلبت "فرنسا" الثقافة العربية في مدارس الأندلس وصقلية ثم أنشأت لها منذ القرن الثاني عشر مدرسة ريمس Reims بأمر البابا " سلفستر الثاني " ومدرسة شارترز Chartres . التي بلغت الذروة في عهد " برنار " أحد مواطنيها ١١١٧م وأخيه " نيوريك " (١١٤٠م) ومدرسة الطب في مونبليه(*) (١٢٢٠م) Montpellier وقد أنشأتها بقية من الجالية الإسلامية المغربية (٢) ولم يقف الأمر عند نقل رجال الدين لأنظمة

---

(١) نشأة الطوائف المسيحية صـ ٧٩ ، ٨٠ .

(*) مونبليه : مدينة في جنوب فرنسا شهيرة بجامعتها لاسيما معهد الطب (المنجد في العلوم صـ ٦٩٦) .

(٢) المستشرقون جـ ١ صـ ١٥١ باختصار .

الجامعات والتدريس إلى بلاد الغرب والإفادة منها وإنما وصل إلى حد عظيم حيث نقلت بعض الجاليات الإسلامية ، هذه الأنظمة وأنشأت المدارس العلمية بأوربا بغية نشر العلم والحضارة للإنسانية جمعاء ، بروح التسامح .

موقف الغرب من قضية نقل نظم الجامعات

وقف مفكرو الغرب من هذه القضية موقف رجلين ، فحاول البعض الادعاء بأن نشأة الجامعات فى أوربا فى نهاية القرن الثانى عشر وبداية القرن الثالث عشر الميلاديين كان من ابتكار الأوربيين دون أن يكون له أثر خارجى ، فهذه الجامعات الأوربية من وجهة نظرهم نماذج فريدة لاسابق لها عند الإغريق ، والرومان والبيزنطيين والمسلمين فلا مثيل لها فى التاريخ ، وذلك فى الوقت الذى يعلم الجميع دور الجامعات الإسلامية ونشاطها العالمى وسبقها للجامعات الأوربية ، وقد أرجع مؤلف ألمانى معاصر الفضل فى نشأة الجامعات إلى العقلية الأوربية ونشر رأيه فى كتاب صدر سنة ١٩٥٧م .

وقوبل رأيه باعتراض من الرأى الأخر ، وكان المؤلف الغربى شبرجس H.Schippeges من المعترفين بفضل العقلية الإسلامية فرد عليه بعد خمس سنوات من صدور الكتاب .

وكتب يتساءل لماذا لم يخطر ببال المؤلف أن يبحث عما إذا كانت نماذج هذه المؤسسات ومبادئها قد وجدت فى العالم الإسلامى ؟ ؟ ، وبعد مناقشة وسرد للأدلة استطاع أن يثبت أن هذه الجامعات التى نشأت فى أوربا فى القرن الثانى عشر كانت تقليدا مطلقا للجامعات الإسلامية فى طليطلة وغيرها من مدن الأندلس والمغرب .(1)

وليس المسلمون فى حاجة إلى اعتراف مفكرى أوربا بفضلهم وسبقهم بقدر ماتحتاج الإنسانية كلها إلى معرفة الحق ونسبة العلم لأهله والفكرة لمبتكرها ، حتى لاتنقلب موازيين الأشياء وتضيع الذات حين تزيف الحقائق ، ويشاع بين المسلمين أن لاماضى لهم فى التقدم العلمى والحضارى ، فى الوقت الذى يشمخ فيه الغربى بأنه صانع الحضارة ومبتكر النظم التعليمية والثقافيه وما إلى ذلك فتتأكد ذاته من جديد ، وهذا مايسعى إليه الغرب جاهدا بواسطة زمرة من مثقفيه .

---

(1) مجلة منار الاسلام (تصدرها وزارة العدل والشئون الاسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة فى غرة كل شهر عربى) (العدد الثامن ـ السنة الخامسة) صـ ٦٥ لقاء مع الدكتور فؤاد سزكين أعده دكتور / عبد المجيد وافى ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

السطو البابوى

من المفارقات العجيبة أن يولى قيادة الأمور الدينية من يسرق العلم ، ويزيد استغراب المرء إذا تأكد له أن من يفعل هذا الشيء الأب الروحى للمسيحيين " بابا " روما ، وينقل صورة لهذا النوع ضمن عدة صور الباحث المسلم الدكتور / فؤاد سزكين فيقول :

وهذه هى الأمثلة ـ أمثلة الادعاء والانتحال ـ أمثلة صارخة تدل على افتقاد الأمانة العلمية .

فى القرن العاشر الميلادى ، ترجم " لوبيتوس البرشلونى " كتابا عن العربية إلى اللاتينية بعنوان اسطرولوجى . Astrologia وفى أواخر هذا القرن العاشر الميلادى ـ ظهر أول كتاب عن الاسطرلاب ـ آلة فلكية استعملها الغرب فى دراساتهم لحركات النجوم والأفلاك ـ لمؤلف يدعى جربرت . Gerbert ورفض بعض مؤرخى الرياضيات القول بأن " جربرت " أخذ محتوى كتابه عن الفلكيين المسلمين أو استفاد منهم وكاد هذا الرفض أن يجد قبولا فى أواخر القرن التاسع عشر .

ولكن الحقيقة مالبثت أن اتضحت ، اذ اكتشف الكتاب الذى ترجم عنه " ليبتوس " وثبتت الصلة بين الترجمة والأصل ، بل واكتشف خطاب " جربرت " إلى " ليبتوس " وفيه يقول " إننى سمعت أنك ترجمت كتابا عربيا فى " الاسطرلاب " أرجوك أن ترسل الى الترجمة وإننى مستعد أن أكافئك بأى شكل كان " . (1)

" وجربرت " هذا هو الذى عرف باسم " سلفستر الثانى " بابا النصارى بروما ، وإذا كان الحبر الأعظم عند النصارى قد قام بهذه السرقة فإن كثيرين من علماء النصارى قد انتحلوا آراء ، واختراعات علماء المسلمين ولاتثريب عليهم مادام زعماؤهم الروحيون يفعلون نفس الشيء ، ولقد اكتشف ابن الهيثم ـ القرن الرابع الهجرى ـ الحجرة المظلمة أساس فكرة آلة التصوير الضوئى ـ " الكاميرا " واستخدمها فى رصد القمر ولكن القوم نسبوا هذا الكشف إلى أحد علمائهم المسمى " ليفى بن كرسون " وقد ذكر بعض انتحالهم الدكتور فؤاد سزكين : مسجلا هذه النتيجة بقوله : ولقد توصلت خلال دراستى لتاريخ العلوم أن قضية أخذ اللاتين عن العالم الإسلامى ، أعظم من أن تستطيع تبيانها جماعة من العلماء فى عشرات السنين .

---

(1) المرجع السابق .

وكلما أمعن الإنسان النظر فى دراسة المصادر الأصلية للنهضة الأوربية ازداد تصوره أن هذه النهضة المزعومة أشبه ماتكون بالولد الذى نسب إلى غير أبيه الحقيقى .(١)

مساندة البابويــة للتبشير

سبق أن أشرت إلى ماقامت به البابوية من دور هام فى نقل نظم التعليم من جامعات الإسلام إلى جامعات النصارى بالغرب ، كما أوضحت أنهم اقتبسوا فكرة الجامعة من المسلمين ، وهنا أبين أنهم استخدموا كل هذه المؤسسات لنشر المسيحية ، فلقد وقفت البابوية على طول الخط تساند التبشير والمبشرين فى كل البلاد وبالأخص بلاد الإسلام ولايجافينى الصواب إن قلت إنّ البابوية هى المخططة للتبشير ، والقائمة على رعايته من البداية إلى النهاية وقد تأكد لنا بما لايدع مجالا للشك أنّ البابوية قائد أساسى للحروب الصليبية ، وبالتالى يتأكد لنا أنها رأس الحربة التبشيرية فى جل أحوالها يقول د / عبد العزيز عزت : وإذا كان البابا " اربان الثانى "(*) كما رأينا هو أبو الحروب الصليبية فإن البابا " انوسنت الثالث "(*) هو أبو التبشير ومنشئه فى أوربا ضد الإسلام والمسلمين ، فهو الذى بارك " فرانسوا داسيز " ونصبه ممثلا له ليبشر بالمسيحية ونشرها بين المسلمين فى الشرق سنة ١٢١٢م وقد سمى أتباعه بالفرنسيسكان نسبة اليه .(١)

واستمر البابوات فى تدعيم العمل التبشيرى ومناصرة أفراده وجماعاته ، وبالذات خارج حدود الغرب ، يقول روبير شنيرب : وبفضل الوحدة وتسلسل السلطان حقق العمل الكاثوليكى آنذاك نتائج قيمة خارج أوربا .

فقد سبق " لبيوس السابع "(*) أن أحيا جمعية اليسوعيين وأعاد إنشاء جمعية الرسالات فى الخارج ، واستفاد خلفاؤه من الظروف ـ (ضعف الإمبراطورية التركية واحتلال الجزائر ، والتدخل فى الصين) ـ لإحداث نيابات وأسقفيات رسولية جديدة .(٢)

(*) سبق التعريف به صـ ٦٢

(*) أنوسنت الثالث : تقلد منصب البابوية من عام ١١٩٨م الى عام ١٢١٦م يراجع (دائرة المعارف للبستانى مجلد (٥) صـ ٨ .

(١) الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان صـ ٧٢ .

(*) بيوس السابع : ولد فى سنة ١٧٤٣م ولما شب تقلد منصب البابوية منعام ١٨٠٠م إلى عام ١٨٢٣م وهو العام الذى توفى فيه بروما يراجع (دائرة المعارف للبستانى مجلد ٥ ص ٧٨١ ، والمنجد فى العلوم صـ ١٧٩ .

(٢) تاريخ الحضارات العام المجلد (٦) (القرن التاسع عشر) تعريب يوسف أسعد داغر فريدم داغر ط (١) طبع بيروت ـ بلبنان ١٩٦٩م .

وسار على نهجه " البابا " لاون الثانى عشر [*] (١٧٦٠ ـ ١٨٢٩) فقيل عنـــه : إنه استمر هذا " البابا " على سياسة " البابا " بيوس السابع ومن جهوده البناءة أنّـــه بعث الإرساليات التبشيرية ، وشجع العلماء وأدخل التحسينات على نظام التعليم ، وأنقص الضرائب ، وخفف من نفقات التقاضى وخصص المال للإصلاحات العامة .[١]

وطورت البابوية خطتها ، فسلطت الجمعيات وسخرت الجماعات لجمع المال ثم استخدمته فى التخطيط لنشر المسيحية وتنظيم الكنيسة ورعاية المبشرين .

وقد جمعت جمعية نشر الإيمان وحدها ٢٦٨ مليونا ، تبرع الفرنسيون بـ ١٧٤ منها بين السنة ١٨٢٢ والسنة ١٨٩١م فاستطاع " بيوس التاسع "[*] و " لاون الثالث عشر "[*] تقسيم أوقيانيا ، وأفريقيا ، وآسيا من أرمينيا إلى اليابان ، إلى دوائر كنسية .

وقد برزت أسماء شخصيات شهيرة : الأب " هوك " وصاحبا السيادة " أوغدار " " رسول الكونغو " ، " لافيجرى " مؤسس الآباء البيض ، والأب " دى موكو " الذى كان ناسكـــا أكثر منه مبشرا على كل حال ، وبينما لم يكن هناك أكثر من ٣٠٠ مرسل خارج أوربا فى السنة ١٨١٥م نرى عددهم يرتفع إلى ٦١٠٠ فى السنة ١٩٠٠م بصرف النظر عن جوقات المربين .

فسارت الهند فى الطليعة لجهة عدد الاهتداءات تليها الهند الصينية والصين وألف الشرق الأدنى منطقة ثالثة من حيث الأهمية ، متقدما على إفريقيا .[٢]

ودعمت البابوية سلطانها ، بما سنته من قوانين ، واتخذته من قرارات كان لهـــا الأثر البالغ داخل بلاد الغرب وخارجها .

(*) لاون الثانى عشر : ولد عام ١٧٦٠م وتقلد منصب البابوية من عام ١٨٢٣م إلى عام ١٨٢٩م يراجع المنجد فى العلوم صـ ١١٠ .

(١) موسوعة تاريخ العالم أصدرها وليام لانجر أشرف على الترجمة د / مصطفى زيادة جـ ٥ صـ ١٧٥٣ ، ١٧٥٤

(*) بيوس التاسع : ولد عام ١٧٩٢م وخلف غريغوريوس السادس عشر فى كرسى البابوية سنة ١٨٤٦م إلى أن توفى فى روما سنة ١٨٧٨م وأثناء بابويته أعلن عقيدة الحبل بلا دنس ١٨٥٤م والعصمة البابوية عام ١٨٧٠م ، وعقد المجمع الفاتيكانى الأول (يراجع : دائرة المعارف للبستانى مجلد (٥) صـ ٧٨٢) .

(*) لاون الثالث عشر : اعتلى الكرسى البابوى من عام ١٨٧٨م إلى عام ١٩٠٣م (يراجع المنجد فى العلوم صـ ٦١٠) .

(٢) تاريخ الحضارات العام (المجلد السادس ـ القرن التاسع عشر) صـ ١٤٩ .

دور مجمع الفاتيكان(*) الأول في تدعيم سلطة البابوية

بالرغم من سقوط سمعة البابوية ، إلا أنها في جانب السلطة احتلت الصدارة وكادت في بعض الأحيان أن تنافس السلطة الزمنية ، أما السلطة الروحية فكانت لها الهيمنة الأولى إن لم تكن الوحيدة ، فقد قيل :

كانت سلطة " البابا " قاطعة دون ما حاجة إلى إعلان عصمته فلما أخذت الأفكار الحرة تتسلل إلى الإمارات الايطالية في مطلع القرن التاسع عشر نهض البابا جريجوري السادس عشر بمقاومتها ، وأصدر في ذلك منشورا عام ١٨٣٢م ثم عقب " البابا " بيوس التاسع بمنشور آخر أصدره عام ١٨٦٤ على النهج نفسه ثم فاجأ الفاتيكان العالم بقرار أعلن فيه أن البابا معصوم من الخطأ .(١)

وفي الفترة من (ديسمبر ١٨٦٩ : ٢ أكتوبر ١٨٧٠) المنعقد فيها مجمع الفاتيكان الأول تحقق فيها أمل البابوية فقد كان أقصى مجد " بيوس " الديني حينما أعلن مجمع الفاتيكان - (وهو أول مجمع ديني عام منذ " مجمع ترنت " منذ ثلاثة قرون) - قرار عصمة البابوية ، وهي عقيدة تذهب إلى أن " البابا " معصوم في قراراته التي تتعلق بالعقيدة أو الأخلاق ، بفضل ماله من سلطة رسولية مطلقة ، وقد أدت تلك العقيدة إلى نتائج هامة إذ عبرت عن الانتصار البابوي النهائي على الأغراض المجمعية للكنيسة فهي تستهدف إعلاء شأن البابوية فوق جميع السلطات غير الدينية وأن يمتد " الإيمان والأخلاق " إلى الدولة السياسية .(٢)

(*) المجمع الفاتيكاني الأول : مجمع مسكوني عقد في روما من سنة ١٨٦٩م إلى سنة ١٨٧٠م دعا إليه ورأسه " بيوس التاسع " درست فيه قضايا الايمان ، وحددت فيه عقيدة العصمة البابوية (المنجد في العلوم صـ ٥١٦) بتصرف .

(١) مشكلات الجيل في ضوء الاسلام محمد المجذوب صـ ١٧٧ بالهامش طـ (٣) طبع دار الاعتصام بالقاهره ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام دكتور توفيق الطويل ١٤٠ ، ١٤١ بدون عدد للطبعة مطبعة دار نشر الثقافة بالاسكندرية ١٩٤٧م باختصار .

(٢) موسوعة تاريخ العالم جـ ٥ صـ ١٧٥٦ ، ١٧٥٧ باختصار يسير .

ولقد نظر بعض المفكرين الأوربيين على أن هذا العمل الإنسانى المحض نوع من الوحدة والتسلسل القيادى أدى نتائج قيمة لخدمة المسيحيين خارج أوربا بغض النظر عن أثره السيء على الملة المسيحية فقال :

ألم يؤكد المجمع الفاتيكانى فى السنة ١٨٧٠م أن خليفة القديس " بطرس " " يمتلك العصمة التى أراد المخلص الإلهى أن يقلدها كنيسته فى تحديد العقيدة حيال الإيمان والأخلاق " ؟

وبفضل الوحدة وتسلسل السلطان حقق العمل الكاثوليكى آنذاك نتائج قيمة خارج أوربا .(١)

ومعنى ذلك أن " البابا " يتخذ مايراه من قرارات تسهل الحركة التبشيرية وتساعدها على الانتشار ، ولا اعتراض إن خالفت النصوص المعتمدة من الأناجيل عندهم لأنه معصوم وظهر من هذا أن مصادر المسيحية " البابوية " أولاً قبل الأناجيل يقول الشيخ / محمد المجذوب : وما أخال أحدا قد نسى بعد ذلك النبأ الجرىء الذى أرسله جناب " البابا "(*) قبل بضعة أعوام ، يوم وقف يعلن فى جماهير الحجاج أن العذراء قد رفعت إلى السماء وأن على كل كاثوليكى أن يؤمن بذلك دون ريب ، وإلا عرض نفسه للحرمان ! " .

ولقد تلقى يومئذ مئات ألوف الحجاج هذا البلاغ طبعا بالانحناء ، ولعل قليلين جدا منهم هم الذين سألوا أنفسهم فى همس بالغ : ومن أين استقى جنابه الخبر الذى جهله العالم المسيحى كله طوال العشرين قرنا !

وطبيعى أن أصحاب هذا السؤال من القلة التى لاتستطيع الإيمان بعصمة قداسته(٢) ولما كانت الأناجيل لم تشر من قريب أو بعيد إلى رفع السيدة مريم إلى السماء فمن الذى أخبر " البابا " بهذا النبأ المفاجىء ؟

بلا شك ستكون إجابته الوحى ، ويكون سؤال العقلاء هل الوحى يأتى رجل الدين المسيحى قبل تقليده منصب البابوية أو بعده فإن كان الجواب قبله فيالها من نعم تعم رجال الدين

---

(١) تاريخ الحضارات العام جـ٦ صـ ١٤٨ ، ١٤٩ .

(*) البابا " بيوس الثانى عشر " وهو الذى تقلد المنصب البابوى من عام ١٩٣٩م - إلى ١٩٥٨م وأعلن رسميا عقيدة انتقال العذراء إلى السماء نفسا وجسدًا سنة ١٩٥١م (المنجد فى العلوم صـ ١٧٩ باختصار) .

(٢) مشكلات الجيل فى ضوء الإسلام .

المسيحى بلا استثناء ولماذا اختص هو بهذا النبأ دون غيره ؟ وإن كان بعد تقلد المنصب فهنيئا لك فسيأتى بعدك من الباباوات ، من يقول : أنك بجوار المسيح فى السماء ، ومن لم يعتقد ذلك فقد حل عليه الحرمان وهكذا دواليك والبقية تأتى .

بين يدى المجامع

ملاحظة أبديها قبل الحديث عن المجمع الفاتيكانى الثانى (*) ، التى بدت فيه النزعة التبشيرية سافرة ، ومدعمة بالسلطة الدينية والدنيوية معا ، وهى أن المجامع المسيحية المسكونية إبتداء من المجمع النيقاوى وقبله مجمع أورشليم المحلى إلى المجمع الفاتيكانى الأول ، والتى يقدر عددها بعشرين مجمعا ، عدا المجامع الإقليمية والمذهبية الكثيرة ، كان جُلُّ أعمالها بحث الخلافات العقيدية والتشريعية ، والأخلاقية .

وقد ابتدأت فى العقيدة بتأليه المسيح والعياذ بالله ، وتحويل النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، وتبع ذلك تعدد المذاهب والكنائس المختلفة ، وصار لكل مذهب عقيدة خاصة به ولكل كنيسة طقوسها وهكذا حتى آل الأمر فى النهاية إلى عقيدة عصمة " البابا وحرمان من لم يعتقد برفع العذراء إلى السماء كما علمنا .

وفى الناحية التشريعية تغير الحال بدء من " مجمع أورشليم المحلى " فقد قرر هذا المجمع عدم التمسك بالختان ، وناقض شريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وكان " لبولس " اليد الطولى فى هذا التغيير ، لينتقل بالتبشير إلى الأميين ، ولما كانت التوراة تحرم أكل لحم الخنزير كما جاء فى سفر التثنية (والخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لايجتر فهو نجس لكم فمن لحمها لاتأكلوا وجثثها لاتلمسوا) .[1]

أمر بطرس بحل لحم الخنزير قائلا ما مفهومه أنه رأى السماء مفتوحة وإناء نازلا منها عليه فيه كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء وتردد صوت قم يابطرس إذبح وكل وبعد تردد (فصار إليه أيضا صوت ثانية ماطهره الله لاتدنسه أنت) .[2]

(*) المجمع الفاتيكانى الثانى : مجمع مسكونى عقد فى روما من سنة ١٩٦٢م إلى سنة ١٩٦٥م دعا إليه وافتتحه يوحنا ٢٣ واختتمه بولس ٦ " المنجد فى العلوم ص ٥١٦ " بتصرف .

(١) سفر التثنية (١٤ : ٨) .

(٢) سفر أعمال الرسل (١٠ : ١٥) .

وهكذا إن كل ما يدخل الفم ليس ينجس الإنسان إنما ينجس الإنسان كل مايخرجه من فيه يعنى السفه والكفر كما يقولون :

وأما الكنائس فتفرعت وتشعبت تبعا لقرارات المجامع فاختلفت الطقوس ، والأسـرار والتقاليد الكنيسية .

وفى الجانب الخلقى كانت المجامع بما سنت من قرارات أثرا سيئا وعاملا قويا مـن عوامل شيوع الفساد ، والانحلال الخلقى حيث أنها تأمر بتحريم من يعارض القرار ، أو نفيه ، أو قتله ، وتأمر بحرق كتبه وكل كتاب يخالفها .

فشاعت البدع والخرافات من بيع لصكوك الغفران إلى الإقرار بالذنب أمام الكهـان وترتب على ذلك أكل أموال النّاس بالباطل ، وهتك الأعراض ، وكشف الأسرار ، وكل ماهـو ضـار .

قبيل المجمع الفاتيكانى الثانـى

هذا المجمع أو " مجلس الكنائس العالمى " (*) كما أطلق عليه سبق انعقـاده ، عدة مؤتمرات ، كلها مهدت له الطريق والأمر الذى ينبغى لنا أن نعيه جيدا أن مجلس الكنائس ، ضم إلى صفوفه مختلف الأعمار ، وجميع الطبقات .

ومختلف الطوائف المسيحية فى محاولة جادة لتوحيد الصف المسيحى ، وتحويل العالم كله إلى المسيحية ، وخدمة السياسة الاستعمارية ، بطريق التوجيه البابوى المدروس ، وتحت قبة الفاتيكان ، وفى كنف المظلة البابوية يتم وضع الخطط .

وقد ظهر الخط التبشيرى لهذه المؤسسة بوضوح منذ اجتماعهم لوضع دستور المجلس المذكور ، حيث مثل المجتمعون ، كل الكنائس فى معظم بلاد العالم ماعدا البلاد المعدودة التى خلت من الكنائس أصلا ، كما أشرت فى الحديث عن المؤتمرات التبشيرية . (1)

وقد ابتهج القوم بهذا الزحف المسيحى السريع وحثّوا القلة المسيحية الموجودة فـى أى بلد على نشر المسيحية واعتبروا ذلك مهمة ملقاة على عاتقهم حتى لاتكون هناك أقليـة

(*) يلاحظ أن المجمع الفاتيكانى " ومجلس الكنائس العالمى " هيئتان منفصلتان ونظـرا لتنسيق المواقف بينهما مؤخرا يمكن إطلاق أحدهما على الآخر .

(1) صـ ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

مسيحية فى أى مكان بل أكثرية وذلك بقولهم :
"إن الوطنيين فى كل بلد ، فى كل كنيسة تأسست قادرون على إكمال المهمة وإنجازها "[1]

وأثناء وضعهم لدستور " مجلس الكنائس العالمى " ذكروا مجموعة من الحقائق وتواصوا فيما بينهم أن يضعوها فى حسابهم وسأذكرها حتى يفطن المسلم ، ويأخذ الأمر مأخذ الجد ألا وهى :

١ ـ عدد غير المسيحيين اليوم أكثر مما كان منذ ١٥٠ سنة تزيد نسبة سكان العالم بدرجة لم تكن معروفة قبلا ، وهذا معناه أن أمامنا الكثير لنعمله باستمرار حتى نربح النّاس للمسيح .

٢ ـ القوى المضادة للمسيحية أقوى اليوم مما كانت منذ ٥٠ سنه : كانت القوى الوطنية فى البلاد الوثنية عاملا على إحياء الديانات القديمة التى كانت على وشك الانقراض ، ثم هناك نوازع لادينية تحارب الدين .

٣ ـ حاجة العالم تزداد أكثر من الماضى : تضايقت كنائس كثيرة بنمو المدن ونقد الروح الجماعية والتصنيع فى القرن التاسع عشر ، واليوم تواجه نفس هذه المشاكل كنائس ناشئة فى آسيا وأفريقيا ، تفتقر إلى الموارد الكافية والنصح الروحى .

٤ ـ الجزء الذى تكمل جزء صغير : ٦٠ ٪ من الأمريكيين لهم صلة ما بالكنيسة وبعض كنائس شمال أوربا لاتضم سوى ٣٠ ٪ من السكان ، ولكن آسيا وأفريقيا تقدمان صورة أخرى فنسبة المسيحيين فى أفريقيا ١١٪ ، وفى آسيا ٣ ٪ ، ومعظم الـ ٨٩٪ والـ ٩٧٪ لم تعرف تأثيرات مسيحية بالمرة مع أن أكثر من نصف سكان العالم يقيمون فى آسيا وعلى المسيحيين أن يمضوا ويعملوا حيث الحاجة أكثر وأشد ، لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم وأنتم شهود لذلك[2] شهادة لجميع الأمم ثم يأتى المنتهى .[3]

هذه حقائق أربع أو نصائح وجهت للذين حضروا إعداد الدستور الأول " لمجلس الكنائس العالمى " .

وقد نقلتها ليعيها كل قارئ مسلم ، فالمبشرون ، بالرغم ماحدث من انتشار للمسيحية فى بلاد الإسلام يطمعون أن تعم المسيحية بقاع الأرض وفى سبيل الوصول

---

(١) قصة انتشار المسيحية منذ عام ١٧٠٠ حتى اليوم صـ ١٢٠ .
(٢) انجيل لوقا (٢٤ : من ٤٧ ، ٤٨) .
(٣) انجيل متى (٢٤ : من ١٤) .

لهذا الغرض لاينامون حتى يأتى المنتهى .

فما هو المنتهى ؟ :

سأكتفى بنقل رسم بيانى يمثل مراحل تقدم الكنيسة ، وانحسارها منذ القرن الأول الميلادى حتى نهاية القرن التاسع عشر ، مع نقل تعليق المؤلف المسيحى على هذا الرسم ، حيث قال :

ترى بعد هذا الكلام رسما بيانيا يبين تقدم الكنيسة ونكستها فتقدمها ونكستها ، فتقدمها لكن كل تقدم كان أعلى من سابقه ، وكانت كل نكسة أقل من سابقتها ويقول البعض أننا وصلنا اليوم أعلى مرحلة من مراحل التقدم ، وأن النكسة أمامنا فدعنا ننظر إلى النكسة الأولى لنتعلم منها :

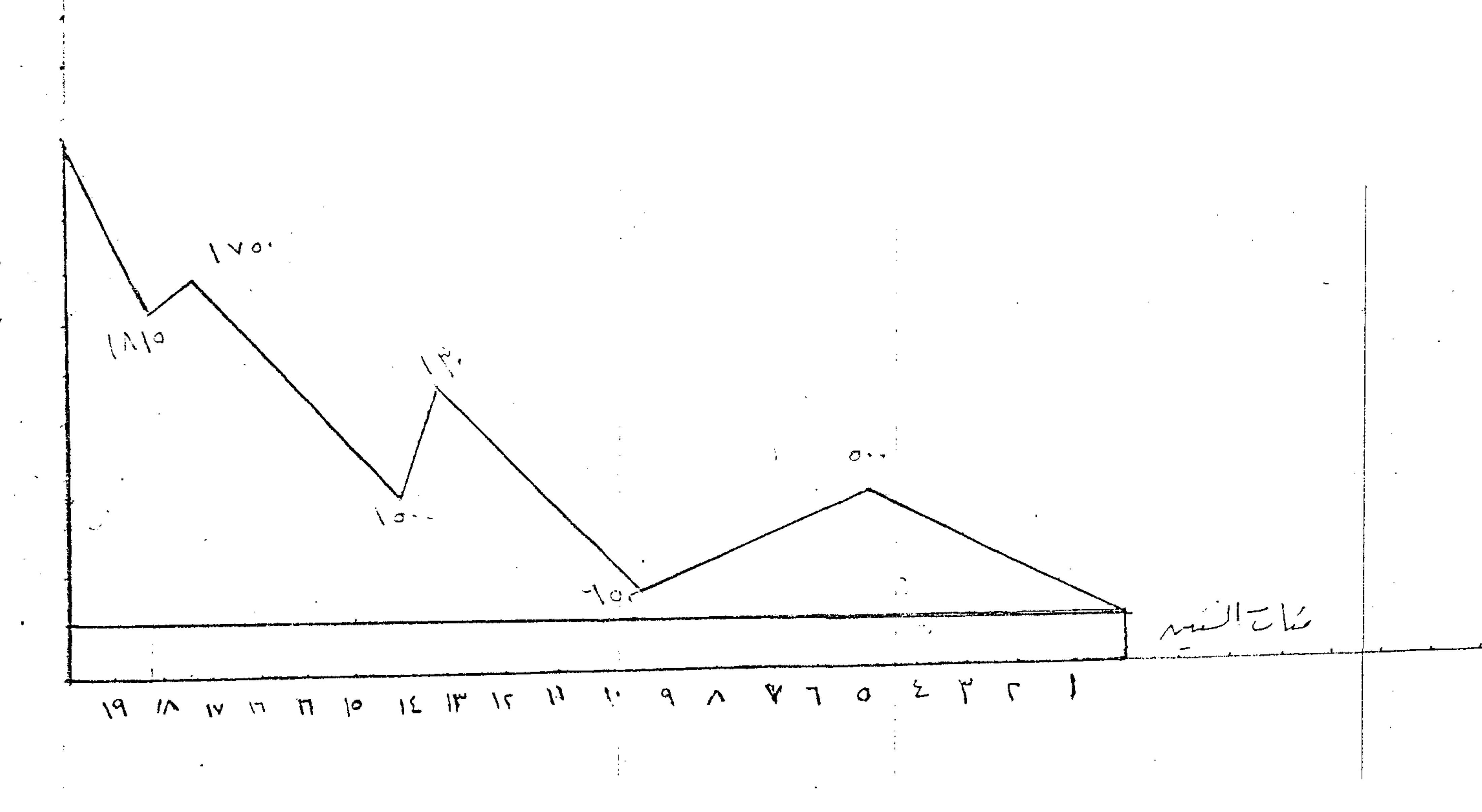
فى عام ٤٢٦م أكمل أغسطينوس أسقف " هبو " فى شمال إفريقية كتابه : " مدينة الله " وهى المحاولة المسيحية الأولى لشرح معنى التاريخ ، فقد أشرفت فترة التقدم الأولى فى تاريخ الكنيسة على النهاية ، وكان العالم يتغير ، ولابد أن تساير الكنيسة هذا التطور ولم يكن أحد يستطيع رؤية المستقبل ، ولكن أغسطينوس عرف أن مقاصد الله أكيدة فقال :

" لم يجهل الله أن الإنسان سيخطئ ، فحتى الأسود لم تحارب بعضها ولا الحيات قتلت بعضها بالحروب كما فعل الإنسان ولكن الله رأى بسابق نعمته شعبا مقدسا دعاه لنفسه .

شعب الله الذى افتداه بدمه ، يسافر عبر القرون على صفحة التاريخ الى أورشليم السماوية .[1]

---

(١) المرجع السابق صـ ١٢٢ ـ ١٢٤ .


١٧٥٠
١٨١٥
١٥٠٠
٥٠٠
مئات السنين
١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

وتحرك جيش الكنيسة بكل قواده لنشر المسيحية فى آسية ، وافريقية ، واستمرت التعبئة من حين لآخر حتى انعقد مجلس الكنائس فى دورات متتالية بدءً من عام ١٩٦٢م ، وأثناء دوراته كشف أوراقه السياسية ، بلا مواربة أو استحياء ، وبادل الصهيونية المساندة إن صح التعبير ، أو تحرك وفق سياسة صهيونية مرسومة وأكبر دليل على هذا ماحدث فى دورته الثانية من عرض وثيقة تحمل بين طياتها تبرئة اليهود من دم المسيح ، وقبلت الوثيقة بالرغم من تناقض التبرئة لما هو مذكور فى الأناجيل المسيحية وسأتحدث عن هذا الموضوع أثناء العرض السريع لأعمال المجلس .

مجمع الفاتيكان الثاني و " مجلس الكنائس العالمى "

مجمع الفاتيكان الثانى ، والذى يمكن تسميته مجمع " مجلس الكنائس العالمى " فقد اجتمعت كل الوفود الممثلة لطوائف المسيحية وتبادلت الآراء والتفت حول مائدة واحدة وتلقت التوجيهات البابوية ، التى تهدف ضمن أهدافها خدمة السياسة القائمة على أمر هذا المجمع والمعدة لبرامجه ، والمرتبة له ، والتى تقف فى النهاية من ورائه وكل هذا ظهر بوضوح تام فى إحدى دوراته الأربع .

فهذا المجمع بدأ أعماله سنة ١٩٦٢م واستغرقت دورته الأولى من أكتوبر إلى ديسمبر سنة ١٩٦٢م ، وانعقدت دورته الثانية فى سبتمبر سنة ١٩٦٣م ، ودورته الثالثة فى سبتمبر سنة ١٩٦٤محتى نوفمبر سنة ١٩٦٤م وقد شارك فى أعماله ٢٢٠٠ ، كاردينالا ثم بدأ المجمع جلسة أخرى فى سبتمبر سنة ١٩٦٥م وضم دورته الأخيرة هذه يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٦٥م وفى هذه الدورة الأخيرة عقد المجمع ٤٦ جلسة وحضرها ـ ٢٢٥٠ أسقفا ، ٩٧ كاردينالا ، ٩٧ مراقبا يمثلون ٢٨ كنيسة ، وثلاثة من أبناء الكنيسة الأثيوبية .[1]

ونظراً لما قام به " مجمع الكنائس العالمى " قبل انعقاده من دور فى توحيد الصف المسيحى ، أو مايطلقون عليه الروح الجديدة التى سادت الكنيسة الكاثوليكية حديثا ، فتقربت إلى الكنائس الأخرى والتى حضرت اجتماعات المجمع كمراقبه .

---

(١) وثائق للتاريخ أو الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط للأنبا غريغوريوس صـ ١٢٩ (منشورات أسقفية الدراسات العليا واللغة القبطية ـ ٦) مطبعة دار العالم العربى بالقاهره ١٩٧٥م .

وقد اهتم " البابا " كيرلس السادس(*) بايفاد ممثلين للكنيسة القبطية فى هذا المجمع التاريخى طوال دوراته الأربع فى الفاتيكان بروما ، فمثل الكنيسة ـ فى الدورة الأولى ١٩٦٢م القس " يوحنا جرجس ، والمستشار تادرس ميخائيل تادرس ـ فى الدورة الثانية ١٩٦٣م القمص باخوم المحرقى والمستشار فريد الفرعونى .

ـ الدورة الثالثه ١٩٦٤م : الأنبا صموئيل " أسقف الخدمات والقس " مرقس إلياس عبد المسيح "

ـ فى الدورة الرابعة ١٩٦٥م : الأنبا " أنطونيوس " مطران سوهاج وسكرتير المجمع المقدس ، والقس " يوحنا جرجس " والمستشار فريد الفرعونى .(1)

ويلاحظ أن حضور الكنيسه القبطية فى صورة ممثليها كان صورة شكلية أو مجرد استمالة لها فقط فلم يسمع اعتراضها على وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح .

أغراض " مجلس الكنائس العالمى "

إن " مجلس الكنائس العالمى " بما يضمه من طوائف مسيحية يعمل لخدمة الغرب ويثير القلاقل والفتن فى البلاد الإسلامية ويتخذ من الدين ستارًا لكل عمل يقوم ، ولقد كتب مواطن مصرى مسيحى ما يؤكد ذلك فى يوميات الأخبار قائلاً :

لقد فوجئت حين وجدت أن مايتعرض له " مجلس الكنائس العالمى " من مسائل ليست من الموضوعات الدينيه التى ينتظر أن تكون هى موضوع اهتماماته ، فمثلا عقد المجلس مؤتمرا فى مدينة سالونيك باليونان سنة ١٩٥٩م .

قرر فيه أن السياسة هى المجال الذى يتحتم على الكنيسة فى دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينيه أن يعمل فيه والغريب أن المجلس يقرر فى نفس المؤتمرين المبدأ الغربى الذى يقضى بفصل الدين عن الدولة لايمكن اقتباسه فى دول العالم الثالث .

" بمعنى أن الكنيسة يجب عليها أن تتدخل فى شئون الدولة " ثم يتساءل هل هناك نوعان من المسيحية أحدهما تطبقه بلاد الغرب ، والآخر يعمل به فى الدول النامية ؟

(*) كيرلس السادس : هو مينا المتوحد البرموسى ولد فى دمنهور ثم تمت سيامته فى العاشر من شهر مايو ١٩٥٩م باسم البابا " كيرلس السادس " بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وتوفى عام ١٩٧١م (يراجع : عشر سنوات مجيدة فى تاريخ الكنيسة ص٩ ، المنجد فى العلوم ص ٦٠٤) .

(1) عشر سنوات مجيدة فى تاريخ الكنيسة ص ٩٧ .

ويتابع هذا المؤتمر قراراته فيطالب الكنائس فى إفريقيا وآسيا ، وأمريكا اللاتينية أن تراقب خطط التنمية فى البلاد ، ثم يحرض الكنائس على مجابهة الدولة فى الدول النامية " إلى الحد الذى يقرر فيه " مؤتمر نيودلهى الذى عقد سنة ١٩٦١م أن الكنيسة يجب أن تكون متأهبة للصراع مع الدولة فى أى وطن وتحت أى نظام .[١]
ويمكن أن نعدد الأغراض الأساسية للمجلس فى الآتى :

١ ـ خدمة السياسة الغربية والاستعمارية ، بصفة عامة يقول " سامى بولس " : خصوصا وأن المجلس فى كل تاريخه وكل أعماله ثبت أنه وليد السياسة الدولية وينتمى ناحية معينة من نواحى المعسكرات الدولية أن سرا أو جهرا [٢]

٢ ـ توجيه الأقليات المسيحية فى العالم الإسلامى حسب الرغبة السياسية المتجهة للدول الغربية ، وقد خشى من تأثيره على أقباط مصر " سامى بولس " وحذرهم من الإنطواء تحت لوائه ، وبين أنه يتخذ الدين ستارا لأغراضه بقوله : فهو لم يسلك هذا الطريق الدينى إلا ليصل إلى أغراضه السياسية وليشيع الفرقة بين المصريين عامة ، والأقباط خاصة ويوجد الانقسام بينهم وفى الكنيسة القبطية بالذات .[٣]

وأردف ذلك بالحديث عن كبار أعضائه وهو الخبير بهم ومن بنى جلدتهم فقال : ـ هذه هى حقيقة وضع مجلس الكنائس وأغراضه ، بل أكثر من هذا فقد تفشى بين أفراده كل إثم تقشعر منه الأبدان .[٤]

ثم تابع الحديث عن المعونات المقدمة للدول النامية أو اللاجئين أو عند حصول الكوارث والنوازل والتى تأتى بواسطة المجلس فقال عن القصد من ورائها : هذه المعونات المادية ، ليس الغرض منها إلا شراء الذمم والانحياز وراء صفوف معينة من أصحاب الاتجاهات الدولية .[٥]

٣ ـ تعزيز سلطة البابوية فى روما ، لتنال لها مكانتها بحضور كل الطوائف المسيحية واستجابتهم لأوامرها وتنفيذهم لقرارات الفاتيكان ومشروعاته .

---

(١) أخبار اليوم (العدد ٤٢٩٦ ـ السنة الرابعة عشرة) ص ١٢ الاثنين ٢٠ من ذى الحجة ١١ من ابريل ١٩٦٦م باختصار .
(٢) مجلس الكنائس العالمى وتدخله فى الكنيسة القبطية والسياسة الدولية ص ٢٠ بدون عدد للطبعة ـ المطبعة المتحدة بالقاهرة نشر المكتبات القبطية ـ بدون تاريخ .
(٣) ، (٤) ، (٥) ـ المرجع السابق ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ بالترتيب .

فالأهداف الأساسية للمجلس سياسية بالدرجة الأولى وسيطرة تماما على الناحية الدينية ، والدليل المؤكد لذلك ما يأتى :

الوثيقة الخاصة بتبرئة اليهود من دم المسيح

هذه الوثيقة نالت اهتمام البابوية الرومانية ، فعرضت أثناء انعقاد مجمع الفاتيكان الثانى فى عام ١٩٦٣م المسمى " مجلس الكنائس العالمى " ضمن مشروع كبير قدم للمجمع عن " الحركة المسكونيه " وقد احتلت الوثيقة الفصل الرابع فى المشروع ، المكون من اربعة فصول : كما هو مذكور فى البيان الذى أذيع فى المؤتمر الصحفى المنعقد فى بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالقاهرة فى يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩٦٣م عن موقف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من المشروع الخاص بعلاقة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية باليهود .

فقد تكلموا فى الفصل الأول عن المبادىء والمفاهيم التى تقرها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لمعنى الوحدة المسكونية المسيحية وفى الفصل الثانى : عن التطبيقات العملية لهذه المبادىء ، وفى الفصل الثالث : عن الكنائس الأخرى غير الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وهى الكنائس الشرقية الأرثوذكسيه ، والكنائس الغربية البروتستانتيه .

وأما الفصل الرابع فهو الخاص بعلاقة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بغير المسيحيين ولاسيما اليهود فقط وكانت هذه هى إحدى المآخذ على هذا الفصل ، مما دعى القمص باخوم المحرقى أن يقول : وقد أحسسنا بإهانة شديدة إذ تكلموا عن الكنائس المسيحية غير الكاثوليكية فى نفس الباب الذى عالجوا فيه موضوع اليهود .

واليهودية ديانة أخرى مستقلة عن الديانة المسيحية وكان على خبراء المجمع إذا أرادوا أن يعالجوا منها شيئا أن يفردوا لها بابا مستقلا مع غيرها من الديانات غير المسيحية .(١)

ويا سبحان الله : إهانة شديدة أن يدرج موضوع تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام ضمن الكلام على الكنائس المسيحية غير الكاثوليكية ولم يشعر القمص باخوم بأن الإهانة التى لاتدانيها إهانة ، أو المذلة حقا ، أن هذه الوثيقة تناقض ما هو مذكور فى الأناجيل من قصة الصلب وتزداد الأمة المسيحية حسرة حين تلف قصة الصلب فى ثوب من الحرير

---

(١) وثائق للتاريخ أو الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط ص ٢١ .

الخز ، وتدفن على مرأى ومسمع ، تحت قبة الفاتيكان ولتعلن البابوية إسدال الستار على هذه المسرحية ، بأن صلب المسيح وموته قد كفر خطايا كل النّاس ومن بينهم اليهود .

وأقول توا مادام الأمر كذلك فلا تجهدوا أنفسكم بالتبشير بالمسيحية ، فالمسيح قدم فداء لخطايا الجميع ، وشكرا لليهود على هذه الفعلة الحسناء .

الفصل الخاص باليهود

وفى هذا الفصل قد تناسى " البابا " وخبراء الفاتيكان ماهو مذكور فى الأناجيل من تآمر اليهود(*) على المسيح ، ومن اضطهادهم لأتباعه ، ومن اتهامهم للسيدة مريم أم المسيح بما هى منه براء ، فكالوا لليهود الثناء ولم يشيروا إلى غيرهم ، وهذا ما أعلن بشأنهم تحت قبة الفاتيكان فقد قيل : إن الكنيسة تقر بأن اليهود أبناء إبراهيم ومع ان الكنيسة خليقة جديدة فى المسيح لكنها لايمكن ان تنسى أنها استمرار لذلك الشعب الذي دخل اللّه معه فى عهد قديم منذ إبراهيم .

ثم إن الكنيسة تؤمن بأن المسيح قد جمع فى حبه اليهود والأمم وجعلهم واحدا فيه إذ قد تصالح العالم كله فى المسيح ، وعلى الرغم من أن قسما كبيرًا من الشعب اليهودى لايزال إلى اليوم منفصلا عن المسيح ، لكن ليس من الحق أن يوصم هذا الشعب باللعنة لأنه مازال عزيزا عند اللّه من أجل الآباء والعطايا والمواهب التى أعطيت لهم .

وليس من الحق أن يوصف هذا الشعب بأنه مرفوض من اللّه حيث أن المسيح بصلبه وموته قد كفر عن خطايا جميع النّاس ، هذه الخطايا التى كانت فى الحق علة آلامه وموته .

على أن المسيح عندما صلب ومات لم يصلب بواسطة الشعب اليهودى كله الذى كان يعيش فى ذلك الزمان ، وبالأولى أن يقال ذلك عن يهود اليوم لذلك يجب على الكهنة ورجال الدين أن يكونوا حذرين فى تعليمهم ووعظهم ، حتى لايثيروا فى قلوب من يسمعونهم

(*) فهم الذين قالوا بصلبه (قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح قال له الجميع ليصلب ، انجيل متى (٢٧ : ٢٢) وهم الذين قالوا دمه علينا وعلى أولادنا انجيل متى (٢٧ : من الفقرة ٢٥) وبراجع يوحنا (١٩ : ٦) .

حقدًا أو كراهيةً أو احتقارًا لليهود .

والكنيسة لاتنسى أنه من هذا الشعب قد ولد المسيح حسب الجسد ، وكذلك مريم العذراء أم المسيح ، بل والرسل الذين هم أعمدة الكنيسة المسيحية ، ولما كانت الكنيسة المسيحية يربط بينها وبين المجمع اليهودى هذا الإرث المشترك فإنّ المجمع المقدس للكنيسة الرومانية الكاثوليكية يريد أن يوصى بالتقدير المتبادل ، والتفاهم الذى يمكن أن تتيحه للدراسات اللاهوتية ، والحوار الأخوى بين النّاس .

والمجمع يدين بشدة كل أنواع الظلم التى ترتكب ضد النّاس جميعا أينما كانوا ويدين كذلك كل أنواع الكراهية والاضطهاد التى يُعامَلُ بها اليهود سواء كان ذلك فى الماضى أو فى زماننا الحاضر .[١]

ولسنا نحن المسلمين ــ من دعاة كراهية الناس لبعضهم، وفى الوقت نفسه ننفى الصلب عن نبى وصفه اللّه تعالى بقوله : (إذ قالت الملائكة يامريم إن اللّه يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهًا فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) .[٢]

نجاة عيسى عليه السلام من الصلب

قامت دعوة عيسى عليه السلام على المحبة ، والتسامح ، والتجرد التام من ماديات الحياة ، وحنق اليهود عليه وهم القساة ، والمنغمسون فى ماديات الحياة ، فأغروا به الحاكم الرومانى ولما لم يستجب لهم فى بادئ الأمر ، التمسوا لعيس عليه السلام سقطة تثير الحاكم يقول الدكتور أحمد شلبى :

فلما لم يجدوا تقولوا عليه وكذبوا ، فأُغضبوا الحاكم الرومانى على عيسى ، فأصدر أمره بالقبض عليه وحكم عليه بالإعدام صلبا .[٣]

وانطلق جند الرومان يبحثون عن المسيح عليه السلام ، حتى عرفوا مكانه وعثروا عليه ، ولما هموا بالقبض عليه ، ألقى اللّه شبه عيسى على رجل يدعى " يهوذا الاسخريوطى " فقبضوا عليه وأسكته اللّه حتى نفذوا فيه حكم الصلب أما المسيح عليه السلام فقد نجا كما نص

---

(١) وثائق للتاريخ الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط ص ٧٩ ــ ٨٠ بتصرف .
(٢) سورة آل عمران الآية ٤٥ .
(٣) المسيحية دكتور / أحمد شلبى ص ٣٦ ، ٣٧ ط ٤ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٩٧٣م .

القرآن الكريم :

(وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما) .[1]

فالمسيح عليه السلام كرمه الله ومن الصلب نجاه ، ولاشك فى ذلك بين المسلمين ، ومن أصدق من الله قيلا .

وثيقة الصلب لاتدل على تنفيذه

لقد استشهد بوثيقة الصلب الشيخ محمد المجذوب وهو من النافين لحدوثة ليدلل على أن المسيح لم يدع الألوهية ، وكل ما أخبر به أنه نبى الله فقال تحت عنوان وشاهد من التاريخ مانصه :

ولقد عثرت لجنة الاكتشاف الفنية الملحقة بالجيش الفرنسى فى بعثة نابليون عام ١٨٢٠م على صورة الحكم الجنائى الذى أصدرته المحكمة الرومانية على المسيح ، محفورا على صفحة من البرونز ضمن وعاء من الرخام الأبيض ، فى مذبح دير الكابوشيين من ضواحى القدس ، وهو مكتوب بالعبرية ، ومحفوظ حتى الآن بالدير نفسه ، وهانحن أولاء ننقل ترجمة هذا القرار كما نشرتها مجلة (الإيمان) المسيحية الدمشقية ـ عدد نيسان ١٩٥٧م منقولا عن مجلة فرنسية : " بيلاطس البنطى حاكم الجليل الأدنى ، المتسنم رئاسة مجلس الشيوخ يحكم على يسوع الناصرى بالموت على الصليب بين لصين للأسباب التاليه :

١ ـ أن يسوع مضلل

٢ ـ أنه ضال

٣ ـ أنه عدو الشريعة (القانون) .

٤ ـ أنه يدعى نبوة الله بطلا .

٥ ـ أنه يدعىّ ملك إسرائيل بطلا .

٦ ـ أنه دخل الهيكل والجموع تتبعه بسعف النخيل .

وبناء عليه فان بيلاطس يأمر " كرينوس كير نبليوس " قائد المائة أن يقود المجرم إلى مكان العقاب ، ويحظر على أى شخص أن يسترحم السلطة بشأن هذا العقاب .[2]

---

(١) سورة النساء الآيتان ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) مشكلات الجيل فى ضوء الإسلام محمد المجذوب ص ١٨٣ .

وكل ما قررته الوثيقة أن المسيح ادعى النبوة ولم يدع الألوهية ضمن بنودها الست المذكورة ، ومن أجل هذا صدر حكم الموت عليه صلبا ، ولم تبين تنفيذ هذا الحكم ونحن أتباع محمد عليه الصلاة والسلام نعتقد اعتقادا جازما بأن الحكم لم ينفذ على المسيح بناءً على ما أخبر به القرآن الكريم .

" بداية وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح "

لم تكن الوثيقة وليدة مجمع الفاتيكان الثانى ، وإنّما هى وليدة عشرات السنين قبله ، دبر لها فى الخفاء وأعد لها الأمر ، وتمت اللقاءات بين زعماء اليهود ، وكبار رجال الفاتيكان ، ويكشف عن هذا الأمر حوار أجراه الاستاذ / سامى داود : وهو يوجهه لكل من الأستاذ فريد الفرعونى ، والقمص باخوم المحرقى ، الأستاذ سامى داود :

اسمح لى بمزيد من الاستيضاح لأهمية البيانات التى تصدر عن سيادتكم فى تنوير الرأى العام فى مسألة من أهم المسائل التى تشغلنا كمواطنين عرب هل نستطيع أن نعرف تاريخ تدوين هذه الوثيقة ؟ .

الأستاذ فريد الفرعونى : إنّها أعدت فى عهد البابا " يوحنا الثالث والعشرين "(*) ، الأستاذ سامى داود يسأل بما اختصاره : أى بالتحديد بعد الحرب العالمية الثانية بعد انتهاء كل اضطهاد لليهود فى جميع أنحاء أوربا فهل هناك ما يبرر صدور هذه الوثيقة فى أوربا الغربية فى وقت أصبح اليهود فيه متمتعين بمزايا المواطن الأوربى ولكن أقول مدللين بما يشعر به مضطهدوهم السابقون من الشعور بالإثم أو عقد الذنب الماضى؟ أليس هذا فى نظر سيادتكم موضع غرابة ؟ وألا يدل هذا على أن للصهيونية يد وراء تدوين هذه الوثيقة ؟

ويجيب القمص باخوم المحرقى : (الأنبا غريغوريوس) بما ملخصه : أنه سيتكلم من وجهة نظر الذين وضعوا الوثيقة ذلك أنه فى الوقت الذى اضطهد فيه اليهود فى ألمانيا لم يستطع الذين يعطفون عليهم من الوجهة الإنسانية أن يعبروا عن هذه الرغبة لأن الحكم كان وقتها فى أيدى الذين يكرهون اليهود هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذه الوثيقة وثيقة دينية تعرض على مجمع الفاتيكان الثانى ، وطبعا كانت قد مضت عشرات السنين

(*) تربع على كرسى البابوية بروما خلال خمس سنوات من سنة (١٩٥٨م إلى سنة ١٩٦٣م) .

لم ينعقد فيها مجمع للكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، لأن مجمع الفاتيكان الأول وهو آخر مجمع للكنيسة الكاثوليكية ، قبل هذا المجمع الثانى ، كان فى سنة ١٨٧٠م فلم تكن هناك إمكانية لعرض مثل هذه الوثيقة على الهيئة الدينية الرسمية فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية إلا فى هذه الفرصة وهى بمناسبة انعقاد مجمع الفاتيكان الثانى فى سنة ١٩٦٣م.[1]

ولاندرى لماذا تحدث بوجهة نظر الفاتيكان ولم يتحدث بوجهة نظره ؟ وهل هو مقتنع بهذا الكلام أم لا ؟ أما قوله بأن الوثيقة دينية ولم تعرض إلا فى المجمع الفاتيكانى الثانى نظرا لطول الفترة بين المجمع الفاتيكانى الأول ـ والثانى فإنى أقول له أن اليهود يضطهدون من قديم الزمان وهو خير من يعلم ذلك ويكفى أن نذكر ببعض ماجرى لهم من تنكيل لسوء أعمالهم خصوصا بعد الميلاد على يد تيطس الرومانى عام ٧٠م ، وماجرى لهم فى روما ، وفى بلاد الأندلس على يد الوثنيين والمسيحيين ، وكانت المجامع المسكونية والمجامع المحلية المسيحية تعقد بين الحين والآخر ولم تطرأ مثل هذه الفكرة ولم ترد على لسان رؤساء المجامع ، فى فترة تزيد على تسعة عشر قرنا من الزمان ، فما الذى حدا بالبابوية إلى هذا التعاطف المفاجىء مع أعداء المسيح عليه السلام ؟ وهل كانت البابوية مخطئة فى نظرتها لليهود طيلة هذه القرون ، حتى جاء " البابا " يوحنا الثالث والعشرون ، فأعدت فى عهده ، وظهرت إلى الوجود فى عهد الحبر الرومانى " البابا " بولس السادس[*] ، وكل هذا يؤكد للمسلمين تغلغل اليهود ، وبسط نفوذهم على خبراء الفاتيكان ، أو على أقل تعبير تعانق الصهيونية مع البابوية ، وكنا نود من القمص باخوم المحرقى : (الأنبا غريغوريوس) الأرثوذكسى المذهب والمصرى الموطن أن يجيب على السؤال من وجهة نظره ، ويَصدُق خصوصا وأنّ البابوية الكاثوليكية لم تعمل لهم حسابا ولم ترفع لهم شأنا بل وضعت مناقشة مذهبهم مع مناقشة الوثيقة اليهوديه ويبدو أنه سلك طريق من خاف سلم .

البابا يوحنا بولس ودوره التبشيرى

واجهت " البابا " يوحنا بولس مشاكل عدة فى كنائس الغرب فقد انصرف الشباب بل والشيوخ عن الذهاب إلى الكنائس ، وانصرف الكهنة عن القيام بأعمالهم الكنسية

---

(١) وثائق للتاريخ : الكنيسة وقضايا الوطن والدوله والشرق الأوسط ص٣٠ ـ ٣٢ بتصرف واختصار .

(*) بولس السادس : ولد عام ١٨٩٧م ثم صار سكرتير دولة الفاتيكان سنة ١٩٤٤م ثم انتخب " بابا " لروما فى ٢١ يوليو ١٩٦٣م واصل المجمع الفاتيكانى الثانى وختمه (١٩٦٣ ـ ١٩٦٥) (يراجع : المنجد فى العلوم ص ١٥٢) .

والسبب فى ذلك عدم ملائمة التعاليم المسيحية للحياة وتطورها ، وللفجوة الكبيرة بين ماتشير به الأناجيل ، وما يجرى على أرض الواقع المسيحى ولعل " البابا " يوحنا بولس أدرك أفول شمس المسيحية فى الغرب فأراد لها أن تشرق من جديد فى الشرق بعد أن تأكد له عجز من سبق عن إحيائها فى الغرب وبعثها من جديد فى بلاد مقاييسها علمية فى كل شئ ، وبالتالى فهو ينفخ فى ماتبقى من رماد النار علها تنتعش من جديد فى بلاد الغرب ، ويضع ثقله فى بلاد المشرق منبع الديانة السماوية ، ومنبت النصرانية وذلك عن طريق التبشير المتستر أحيانا والمكشوف حينا آخر وهذا ماتحدث به مجلة الأمة مما يؤكد ما أخبرت به :

يمكن اعتبار اعتلاء " يوحنا بولس الثانى " السدة البابوية فى حزيران (يونيو) ١٩٧٨م بداية مرحلة جديدة فى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية ، وذلك بالنظر إلى العجز الذى أصيبت به الكنائس فى العقدين الأخيرين وفشلها فى اكتساب أتباع جدد بل حتى الاحتفاظ بالأتباع القدامى ، مما انعكس بشكل واضح على عمليات بيع الكنائس التى شهدتها أوربا وأمريكا وهى الموطن الذى انتهت اليه النصرانية مؤخرا .

والأخطر من ذلك ـ كما جاء فى إحصاءات صدرت عام ١٩٨٠م عن الكنيسة الكاثوليكية ـ الانحسار الرهيب فى عدد الذين يرغبون ـ من الأوربيين بشكل أخص ـ فى تكريس وجود كنائس بدون كهنة !

ولذلك كان هم " البابا " الأكبر ، إلى جانب كسب أتباع جدد اجتذاب الشباب إلى السلك الكهنوتى ، ولم يكتف لأجل ذلك بالنداءات " السرية " التى وجهها إلى المراكز الكاثوليكية فى العالم يدعوها لتكثيف الجهود لمواجهة " الوثنية التكنولوجيه " التى تحاول تدمير الحياة وتصرف الشباب عن الانخراط فى سلك الكهنوت ، وإنما انطلق يجوب قارات العالم المختلفة مركزا بشكل واضح على قارتى " أفريقيا " " وآسيا " اللتين أصبحتا ـ بما تضمان من كثافة سكانية وثنية ـ أمل الكنائس ومخزنها الاستراتيجى لضمان بقاء النصرانية .(١)

وجاب فى عدد من البلاد الإفريقية ، ومنها على وجه الخصوص توجو ، ساحل العاج الكاميرون ، جمهورية إفريقيا الوسطى ، زائير ، كينيا .

---

(١) مجلة الأمة (باب شئون المسلمين فى العالم) تحت عنوان (بابا الفاتيكان يزور الهند) صـ ٨٦ ، (العدد السابع والستون ـ السنة السادسة) ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

" على أن الوسيلة الوحيدة لضرب الإسلام ـ باعتبار أنه يتفق مع الفطرة عكس المسيحية ، ولمنع دخول المسيحيين فى الإسلام ـ هو مزج الكاثوليكية بالعادات الإفريقية مع التمسك فى الوقت نفسه بتعاليم الكنيسه !! .

وإذا كان " يوحنا بولس " يحاول بجهد مداراة الأمور حتى أنه قال : " إن الكنيسة تحترم من يذهب إلى الله بطرق مختلفة " إشارة إلى المسلمين إلا أنه أكد على المسئولين عن التنصير رغبته الشديدة والأكيدة فى تصحيح أخطائهم التى نفرت كثيرا من الإفريقيين من الدخول فى المسيحية وعلى رأسها موالاة الحكام الدكتاتوريين " .[1]

وقد تحدث " البابا " مع كل شعب فى كل بلد بما يتناسب وظروفه مما يدل على أن زيارته لإفريقيا سبقتها دراسة شاملة ، وتقرير واف عن كل بلد زارها ، واستغل " البابا " سذاجة شعب إفريقيا ، واغتنم فرصة طيبته وبداوته ففى " توجو " أعلن تبنى الكنيسة الكاثوليكية للتقاليد المحلية والطقوس التى تؤمن بأن للمادة روحا ، وللممارسات التى تسمح بالزواج التجريبى وتعدد الزوجات .

وفى احتفال جماهيرى قام " البابا " بترسم ١١ كاهنا من " توجو " وخاطبهم قائلاً : إن أفقكم كمبشرين ليس محدودا ببلدكم ، وعليكم أن تحملوا الأنباء السارة إلى جميع أبناء إفريقيا وبناتها .

وفى ساحل العاج ـ المحطة الثانية ـ قام " البابا " بافتتاح كاتدرائية " القديس بولس " والتى سبق أن وضع حجرها الأساس بنفسه عام ١٩٨٠م وتعتبر هذه الكاتدرائية صرح المسيحية الثانى فى العالم من حيث الضخامة بعد كاتدرائية " القديس بطرس " فى " روما " .

أما فى الكاميرون فقد كانت الكلمات الأولى التى أطلقها " البابا " إلى مستقبليه هى : " إننى لم آت إلى هنا كرئيس للكنيسة الكاثوليكية فحسب بل كمبشر أيضا " ولذلك حرص على أن يتنقل على مدى أربعة أيام بين أنحاء " الكاميرون " المختلفة وأن يلتقى بزعماء مسلمين وقبليين وأن يرسم ١٦ كاهنا كاميرونيا .

---

(١) مجلة الهدى النبوى (إصدار جماعة دعوة الحق الإسلامية) بالجيزة بالقاهره ص ١٧ تحت عنوان (يوحنا بولس يقول) ربيع الأول ١٤٠٦ هـ = نوفمبر ١٩٨٥م .

وخلال مقابلته لعشرة من زعماء المسلمين هناك هاجم " البابا " ـ بشكل خفي ـ التيار الإسلامي المتنامي : موجهًا دعوته للمسلمين بأن يمارسوا التسامح الديني وفي شمال الكاميرون حيث الأغلبية المسلمة دعاهم " البابا " في أكثر من لقاء إلى التعايش السلمي بين الطوائف المختلفة ، كما أشاد بالمنصرين الكاثوليك القدامى الذين وصلوا " الكاميرون " كمبشرين في سنة ١٨٩٠م .

ومرورًا بجمهورية أفريقيا الوسطى " فزائير " أنهى " البابا " في افريقيا السوداء بزيارة " كينيا " حيث كان التركيز خلالها على مهاجمة تعدد الزوجات والطلاق ، ودعوة أتباع كنيسته إلى مزيد من الإنجاب وأبدى " البابا " رغبته في زيارة " السودان " فلم يستجب له نظرا لما أحدثته الكنيسة هناك من انشقاق وانقسام بين شعب السودان الشقيق وزار " المغرب " في نهاية هذه الجولة الثالثة " لافريقيا " والتي بدأت في ١٩٨٥/٨/٨م ، واستمرت إثنا عشر يوما .

والعجيب أن " البابا " يطالب المسلمين بالتخلي عما يسميه عاداتهم القديمة ويدعوهم إلى ترك الحروب والخصام وهذا ماحدث منه في بلاد المغرب العربي كما ورد في مجلة الهدي النبوي تحت عنوان " يوحنا بولس " يقول :

أيها المسلمون تخلوا عن عاداتكم القديمة ، كانت هذه النداءات هي محور حديث " يوحنا بولس الثاني " بابا روما وحامي الكاثوليكية في العالم وقد جاء خلال خطبته في أحد ملاعب الدار البيضاء أمام ثمانين ألف مسلم ـ أثناء زيارته الخاطفة للمغرب التي دعا إليها الملك الحسن ـ وتعد هذه الزيارة الأولى من نوعها حسب ماجاء في مقالة " النوى بريسه " الألمانية في ٢٠ أغسطس ١٩٨٥م ـ وقد أضاف " يوحنا بولس " أنّ الحوار المسيحي ضروري في هذا الوقت .(١)

وكما صال " البابا " وجال في إفريقيا ووجه نصائحه إلى المسلمين بزيادة الدعة والمسكنة وكأنهم في نظره مغتصبوا الفاتيكان وليست السليبة ديارهم ، والطريدة أبناؤهم ، والجرحى شبابهم فعل نفس الشيء في آسيا .

وليته نصح اليهود بالكف عن جرائمهم في الأرض المحتلة أو نصح المسيحيين بالكف عن محاربة المسلمين في لبنان والفلبين وغيرها من بلاد المسلمين ، ليته فعل ذلك

---

(١) ص ١٦ .

لنقول إنه وزع نصائحه بالقسطاس المستقيم ، ولكنها الخطة التبشيرية فى أرقى مظاهرها تجردوا أيها المسلمون من أسلحة الدفاع واتركوا الجهاد الإسلامى ، ودعو الدفاع عن الشرف والوطن ، وعندئذ تتنزل عليكم الرحمات البابوية ، والتى لايعرفها إلا غر والنتيجة إما المسيحية ، أو المجازر البشرية ولابديل " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهوآءهم بعد الذى جآءك من العلم مالك من الله من ولى ولانصير .[1]

البابا " يوحنا بولس " فى أسيا

كما تحرك البابا " يوحنا بولس الثانى " فى إفريقيا قام بجولات عديدة فى آسيا شملت الصين ، والفلبين ، والهند ، ويرى بعض المراقبين الإسلاميين كما ذكر الأستاذ / حلمى محمد القاعود : أن الهدف من هذه الرحلات البابوية يتلخص فى شيئين :

الأول : طمس كل أثر للصحوة الإسلامية إعلاميا .

والثانى : هو التبشير[*] بالصليبية بطريقة مقنعة وجماهيرية[2] ، وبعض المجلات الإسلاميه ذكرت جولاته بالتحديد ، فتقول مجلة الأمة الإسلاميه ومثلما زار إفريقيا ثلاث مرات منذ وصوله إلى الفاتيكان ، زار آسيا ثلاث مرات أيضا ، كان آخرها جولته فى شبه القارة الهندية فى الفترة من ١ الى ١٠ شباط (فبراير) المنصرم وذلك بالرغم من أن الكاثوليكية غير منتشرة فى آسيا فالطائفة الكاثوليكية " بالهند " ءالتى تعتبر الثانية فى " آسيا " من حيث العدد بعد الفلبين ، لاتزيد نسبة أتباعها عن ٦ر١٪ من مجموع عدد سكان الهند البالغ ٧٥٠ مليون نسمة تقريبا .[3]

وقد ركز " البابا " فى زيارته على المناطق الإسلامية ، والمناطق الفقيرة وقد ذكرت المجلة المذكورة آنفا ذلك بقولها وكانت أول منطقة زارها بعد انتهاء الجانب الرسمى لجولته ، مدينة " رانشى " فى ولاية " بيهار " أفقر ولايات الهند ومنها توجه إلى " كالتكتا "

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٠ .

(*) استخدمنا هنا مصطلح " التبشير " رغم أنه لايدل على المضمون الصحيح للغزو الصليبى لعقائدنا وأفكارنا وتصوراتنا ولكن شيوعه واقترانه فى الذهن الإسلامى بعملية الغزو هذه جعلنا نؤثره على مصطلح " التنصير " .

(٢) الصحافة المهاجرة " دراسة وتحليل " صـ ٧١ ، ٧٢ .

(٣) مجلة الأمة (العدد السابع والستون ـ السنة السادسة) صـ ٨٦ .

ـ ولاية البنغال ـ لزيارة المنصّرة المعروفة " الأم تريزا " فى مقرها وسط مايسمى باحياء البؤس المطلق " وفى " بيت القلب النقى " الذى أنشأته عام ١٩٥٢م لإيواء بعض ساكنى أرصفة " كالكتا " شارك " البابا " فى توزيع وجبة طعام على النزلاء فى إشارة واضحة لأحد الأساليب التى تستخدمها الكنيسة لتنصير الفقراء ، ويذكر أن (٥٠) ألفا لجأوا الى هذا المأوى منذ افتتاحه وتوجه من شمالى الهند إلى جنوبيها حيث زار ولايتى " تاميل نارو " و " كيرالا " وهذه الزيارة التى يمكن تصنيفها فى إطار الصراع الحقيقى بين النصرانية والإسلام ، تكتسب أهمية خاصة وذلك لسببين:

أما السبب الأول : فهو أن ولاية " تاميل نادو " شهدت فى مطلع عام ١٩٨١م إقبال أفواج تعد بعشرات الألوف من طائفة المنبوذين " الهارجين " على اعتناق الإسلام ودخلت قرى بأكملها فى دين الله .

وغيرت قرية " منا كشيبورام " اسمها إلى " رحمت نجار " الذى يعنى قرية الرحمة ثم انتقل الإسلام من الجنوب إلى الشمال و " الهارجين " هم طائفة هندوسية (٢٠٠ مليون تقريبا) ولكنهم محرومون من جميع حقوق الإنسان ، فلا يستطيعون الجلوس مع الآخرين أو تناول الطعام مع الطبقات الأخرى من الهندوس أو التعبد فى معابدهم بل يحرم عليهم الشرب من البئر التى يشرب منها الآخرون وفوق ذلك لا يمكنهم المطالبة بأى حق من حقوق الإنسان وقد وجدوا فى الإسلام مالم يجدوه فى غيره من عدل ومساواة ، ولذلك شدد " البابا " فى خطاب له فى " مدراس " ـ عاصمة الولاية ـ على " حق المنصّرين المسيحيين فى نشر الإيمان فى مختلف أنحاء الهند " .

أما السبب الثانى : فهو أن ولاية " كيرالا " تعتبر معقل المسلمين فى الهند ورغم أنهم أشد الفئات فقرا إلا أن تأثيرهم بات واضحا فى مجتمع يعانى الفوارق الطبقية ولوحظ أنه خلال زيارته لمدينة " تريشور " العاصمة الثقافية للولاية و " كوشين " العاصمة السياسية والصناعية .

بارك خلال قداس دينى (١٣٠٠) حالة زواج وكأنه بذلك يدعو أتباع الكنيسة إلى التزاوج والتوالد لزيادة عدد الأقلية الكاثوليكية كما لوحظ أيضا تشديده فى خطبته التى ألقاها فى الولاية على قضيتين : الحوار ثم الوفاق والوحدة بين الطوائف المسيحية أولا وبين كل الذين يؤمنون بالدفاع عن حقوق الإنسان ثانيا إلا أن الحدث الأهم والذى اعتبر أبرز حدث دينى فى جولته ، هو القداس الذى أقامه فى مدينة " كوتايام " ، جنوبى " كيرالا " حسب الطقس السريانى المحلى وطوّب (والتطويب هو المرحلة الاخيرة قبل القداسة فى الكنيسة الكاثوليكية) فيه راهبة وكاهنا هنديين لأول مرة فى تاريخ الهند

وهو ما يأتى فى إطار السياسة التى ينتهجها من إمكان مزج الكاثوليكية بالعادات والتقاليد المحلية فى سبيل كسب أتباع جدد .[1]

وشمل تحرك " البابا " من أجل كسب الأتباع الجدد العالم من شرقه إلى غربه ، وكانت أمريكا اللاتينية ضمن خطة تحركه .

" البابا " يريد صنع أساقفة من نفس أوطانهم

علمنا أن كنائس الغرب أفلست من الرواد ، وأن جلها أصبح خاويا من القساوسة لانصرافهم عن هذه المهنة ، التى لاتتفق وعقولهم العلمية ، أو لعدم استجابة الشعب المثقف علميا لخداعهم ، ولما كانت " البابوية " مدركة لذلك تمام الإدراك ، أرادت أن تصطاد عصفورين بحجر واحد ، فعملت على تكوين أساقفة وطنيين ، لمعرفتهم بعادات بنى جنسهم ، ولتأثيرهم أكثر من القساوسة البيض هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى لتوفر لكنائس الغرب مايلزمها من الكهنة ، وقد نشرت جريدة هيرالد تريبيون يوم ٨ أغسطس الماضى : أن " البابا " منذ توليه منصبه عام ١٩٧٨م قام بسبع وعشرين زيارة للخارج وهو أمر لم يحدث قبل ذلك من أى " بابا " آخر الأمر الذى يكشف عن حقيقة الأهداف من وراء هذه الزيارات المتكررة المفاجئة كما تقول جريدة هيرالد تريبيون فى نفس العدد إنه كان فى إفريقيا بعد نهاية فترة الاحتلال الاستعمارى فى أواخر الخمسينات وكان بإفريقيا قسيس إفريقى واحد أما الآن فهناك أكثر من ٤٠٠ قسيس وعندما أقول إفريقى فإنى أشير إلى حقيقة هامة جدا ، وهى أن الكنيسة الكاثوليكية أو الفاتيكان لم تكن تقبل أن يكون من بين قساوستها رجل أفريقى أسود أما الآن فهناك مخطط لأن يكون أكثر القسس العاملين فى الكنائس التابعة للفاتيكان من أصل أفريقى .[2]

ويكشف عن الأسباب التى حدت بالفاتيكان أن يتجه هذا الإتجاه الدكتور عبد الودود شلبى قائلاً :

لهذه الأسباب قصة تاريخية أيضا فإن الأفارقة عرفوا المسيحية عن طريق البوارج والمدمرات الحربية ، وعن طريق القنص والخطف وتجارة الرقيق ، فرسخ فى عقولهم وقلوبهم

---

(١) المرجع السابق صـ ٨٧ .

(٢) جريدة " النور " (السنة الرابعة ـ العدد ١٨٣) حديث للدكتور عبد الودود شلبى صـ ٤ (تحت عنوان محاولات بابا الفاتيكان وقوى التنصير العالمية للقضاء على الإسلام ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

العلاقة بين المسيحية والاستعمار والخطف والقنص وقد شاهدنا ذلك فى قصة " جذور " للكاتب الأمريكى " اليكس هيلى " الزنجى الذى تتبع جذور أبائه وأجداده فى الولايات المتحدة فوجد أنه من المخطوفين على ظهر البواخر ومن المضحك أن السفينة التى كانت تحمل الرقيق كان اسمها " يسوع " اسم المسيح بهذا كلهفإن المسيحية لم تجد رواجا فى بادئ الأمر وكانوا يقولون فى " غانا " عندما جاء الاستعمار كان يحمل الإنجيل وحاكمنا يملك الأرض فأخذ منا الأرض وأعطانا الإنجيل فلما رحل أحرق الإنجيل وأحرق الأرض ومن هنا كان لابد أن تتجه الكنيسة الكاثوليكية فى اعتمادها إلى أصل افريقى[1] ليكون للمسيحية قدم راسخ فى بلاد الإسلام ، وليكون المبشر مقبولا لدى الشعب .

البابا " يوحنا بولس الثانى " وتوحيد الكنائس

لما كان القوم بأسهم بينهم شديد ، واتجاهاتهم شتى ، أراد " البابا " ان يجعلهم وإن اختلفوا فى كل شئ ، فليتحدوا ضد الإسلام من أجل نشر المسيحية وبدا واضحا من أعمال المسيحيين فى كل بلد ، وقد أفصح " البابا " عن نيته فى نهاية جولته بالهند كما يقال :

وفى اليوم قبل الأخير للجولة التى تعتبر التاسعة والعشرين " للبابا " خارج إيطاليا ، أكد على أن الكنائس عندما تلتقى على أراضى آسيا وأفريقيا بهدف التنصير أو إبعاد الناس عن الإسلام على أقل تقدير ، تتحد وتترك خلافاتها العميقة جانبا وتنظم مشروعات مشتركة وتتفق على اقتسام مناطق عملها جاء هذا التأكيد من خلال اجتماعه فى " بومباى " مع الدكتور " روبرت رونس " أسقف كانتربرى ، رئيس الكنيسة الإنجليكانية الذى تزامنت زيارته ذات الأسابيع الثلاثة مع زيارة " البابا " .[2]

---

(١) المرجع السابق .

(٢) مجلة الأمة (العدد السابع والستون ـ السنة السادسة) صـ ٨٦ .

الفصل الرابع

مساندة الصهيونية للتبشير والتعاون اليهودى المسيحى ضد المسلمين

بدا اليهود منذ عشرات السنين كقلعة من قلاع التبشير والاستعمار فى بلدان الشرق الإسلامى ، وحدث تعاون يهودى نصرانى على حساب الإسلام وأهله ، بصورة لم تعهد من قبل بتحديها السافر لكل القيم الإنسانية ، والقوانين السماوية ، ويمكن اعتبار القرن العشرين الميلادى خير شاهد على هذا النوع من التعاون القائم على الإثم والعدوان والذى بواسطته تم زرع اسرائيل فى قلب الأمة الإسلامية شوكة فى صدور المسلمين وقاعدة استعمارية للغربيين وركيزة تبشيرية للمسيحية الصليبية ، لتظل السيطرة الغربية ونشر المسيحية فى هذه الرقعة الإسلامية أمرًا ميسورا وما درى المسيحيون الغربيون أنهم أخطأوا قبل كل شيء فى حق أنفسهم بإيجادهم للكيان الصهيونى فى بلدان الإسلام فهم إن توقعوا معاونة اليهود لهم نتيجة هذا العمل فإن اليهود يبغون من وراء تسهيل الحركة الاستعمارية والحركة التبشيرية فى الشرق الإسلامى تكوين أنفسهم وصنع كيان ثابت لهم بمساعدة الغرب المسيحى ، ثم ضرب المسيحيين بالمسلمين ليكون المنتصر من الطرفين فى النهاية فريسة للصهاينة .

فالإسرائيليون يعتبرون تعاونهم مع الغرب ، ومساندتهم للحركة التبشيرية الغربية مرحلة توصلهم إلى تحقيق سيطرتهم على العالم أجمع من غربه إلى شرقه ، ولن يرحموا أتباع المسيح يوم يملكون زمام الأمور بأيديهم ، كشأنهم مع كل الإنسانية .

ثم إن المسيحيين الغربيين أخطأوا فى حق المسلمين الذين أحسنوا للإنسانية عامة على مدار التاريخ ، وراعوا حقوق غيرهم وخاصة حقوق النصارى القاطنين فى بلاد الإسلام وفى كل مكان ، وكان الواجب يحتم على أتباع المسيح أن يقدروا المسلمين حق قدرهم ، وأن لايتعاونوا مع الصهاينة ألد أعدائهم وهذا الفصل يضع النقاط على الحروف لمواقف اليهود والمسيحيين مع بعضهم ولتكاتفهم فى مواجهة المسلمين .

ويوضح التعاون بين اليهود والنصارى وأثره فى اضطهاد الأقليات الإسلامية فى العالم ، وماتقوم به البابوية الحديثة من تحركات لصالح الصهيونية العالمية وتأييدها على اعتبار أنها ركيزة التبشير وقاعدته فى بلدان الإسلام .

مساندة الحركة التبشيرية حيلة يهودية

ليس بغريب أن تتعاون الصهيونية العالمية مع الحركات التبشيرية ومبلغ علمنا أن اليهود يقصدون من وراء هذا التعاون تحقيق مصالحهم ، والظفر بمطامعهم فالمساندة من قبل اليهود للمسيحيين وسيلة تحقيق غاية غير أخلاقية .

والغريب حقا أن يمد أتباع المسيح عليه الصلاة والسلام أيديهم طالبين المساعدة من أبناء صهيون ، وهم الذين وقفوا للمسيح بالمرصاد ، ونكلوا بأتباعه من بعده ، ولكن المصالح السياسية والمنافع الدنيوية طغت على كل اعتبار حتى ولو كان دينيا ، وجعلت كلا منهم يتحايل على صاحبه فى سبيل الوصول لما يريد فاليهود يوجهون باباوات " روما " بما يملكون من وسائل من أجل تحقيق أحلامهم ، وحماة الصليب ينكسونه أمام الضغط الصهيونى ظنا منهم أنه سيزول موخرا فهم يرون أن الخطر الأكبر على المسيحية كامن فى الاسلام وأتباعه ، ويتوهمون أنهم إن تمكنوا من المسلمين ، فلن يغلت اليهود من قبضتهم علما بأن الصهاينة يتوقعون ضرب المسلمين على أيدى المسيحيين ، ويصرحون بانتظارهم لحدوث هذا الأمر كى يتحكموا فى العالم كله ، وتخطيطات اليهود وأعمالهم فى كافة المجالات قرائن مؤكدة لخطرهم على الإنسانية جمعاء فهم فى سعى مستمر للسيطرة على العالم يقول المحامى / محمد عبد الله عنان :

ذلك أن اليهودية اليوم توصف بأنها قد أصبحت خطرا داهما على مستقبل الحريات والمدنية ، ويعتبر الخطر اليهودى اليوم أهم مسالة سياسية واجتماعية تواجه العالم المتمدن ويقول أصحاب هذه النظرية إن اليهودية تعمل بوسائلها الخفية لاستعباد العالم ومحو الأديان ، والنظم والتعاليم الأخلاقية الحاضرة ، وأن فكرة فوز اسرائيل على أمم الأرض جميعا مازالت رغم قدمها تتقد فى صدور بنى اسرائيل وتتخذ نوعا من العقيدة المقدسة حتى فى أذهان المتنورين والأحرار من اليهود .

وفى وسعنا أن نقول إن ظفر الصهيونية بإقامة دولة اسرائيل بالعنف والغصب ، وبمعاونة الاستعمار البريطانى قبل الأمريكى فى قلب البلاد العربية وتطلعها إلى إحياء المملكة اليهودية القديمة بسائر معالمها وحدودها ، إنما هو خطوة أولى فقط فى سبيل تحقيق هذه الفكرة العالمية الكبرى[1] ، فوقوف اليهود بجانب رجال الدين المسيحى فى كثير من الأمور ومناصرتهم للحركات التبشيرية أسلحة سيستخدمونها لصالحهم فى الوقت المناسب ، ولذا تراهم

---

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ط (٢) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

حديثا يساندون الكرسى البابوى كى يتمكن " البابا " أن يوجه العالم من فوقه فإذا تـم له ذلك بلا منافس سوى اليهود الذين يديرون عجلة الكرسى حسب أهوائهم ، وفـى اللحظة الحاسمة ستسحب اليهودية هذا الكرسى من تحت " البابا " ليسقط على الأرض وليخر ساجدا تحت أقدامهم إلى ماشاء الله تعالى .

وسيلة الصهيونية للسيطرة على البابويـة

إن وسيلة الصهيونية فى إحكام القبضة على البابوية هى نفسها وسيلتها لحكم العالم بأسره ، بالمال أو بالإعلام فبالمال يتحكمون فى الاقتصاد ليركع من يريدون ركوعه وبالضجيج الإعلامى يوجهون دفة الفكر الإنسانى فضلاعن أنهم لايتورعون عن ارتكاب أى شئ فى سبيل الوصول لمآربهم يقول الماسونى " فشت " :

كل شئ جائز لمحاربة الذين يعارضوننا فى أعمالنا " القوة ، والغدر ،السيف والنار ، الخنجر والسم " ، وتعتمد الصحافة والمطبوعات للسيطرة على الرأى العـام العالمى وتوجيهه .[1]

وهم يمهدون الطريق للبابوية ، ويصنعونها أحيانا بكل الوسائل المذكـورة لتقوم بتنفيذ رغبة الصهاينة ويقولون فى مخططاتهم :

إن من بين مواهبنا الإدارية التى نعدها لأنفسنا موهبة حكم الجماهير والأفراد بالنظريات المؤلفة بدهاء ، وبالعبارات الطنانة وبسنن الحياة ، وكل أنواع الخديعـة الأخرى ، كل هذه النظريات التى لايمكن أن يفهمها " الأميون " أبدا مبنية ، علـى التحليل والملاحظة ستزجرن بفهم يبلغ من براعته ألا يجارينا فيه منافسونا أكثر مما يستطيعون أن يجارونا فى وضع خطط للأعمال السياسية والاغتصاب ، وإن الجماعة المعروفة لنا ويمكن أن تنافسنا فى هذه الفنون ، ربما تكون جماعة اليسوعيين Jesuits ولكننا نجحنا فـى أن نجعلهم هزءا ، وسخرية فى أعين الرعاع الأغبياء ، وهذا مع أنها جماعة ظاهـرة بينما نحن أنفسنا باقون فى الخفاء محتفظون بمنظمتنا سـرا .

---

(١) الصهيونية العالمية وخطرها الكبير على البشرية : المحامى / سليمان حاتـم صـ ١٧٧ ، ١٧٨ بدون عدد للطبعة دار اليقظة العربية للتأليف والترجمـة والنشر دمشق ـ سوريا ، بدون تاريـخ .

ثم ما الفرق بالنسبة للعالم بين أن يصير سيده هو رأس الكنيسة الكاثوليكية وأن يكون طاغية من دم صهيون ؟

ولكن لايمكن أن يكون الأمران سواء بالنسبة الينا (نحن الشعب المختار) قد يتمكن الأميون فترة من أن يسوسونا ، ولكنا مع ذلك لسنا فى حاجة إلى الخوف من أى خطر مادمنا فى أمان بفضل البذور العميقة لكراهيتهم بعضهم بعضا ، وهى كراهية متأصلة لايمكن انتزاعها .(١)

وبهذا يوقعون العداوة والشحناء بين المسلمين والنصارى ويطلقون عليهم " الاميون " احتقارا لشأنهم ، فينبغى للمسيحيين أن يفهموا جيدا أن اليهود يحتقرونهم أولا ، وأنهم يريدون الشر للناس جميعا وقد نبه ابراهيم سليمان الجبهان المسيحيين بقوله :

ولكننا نريد أن يعلموا أنهم بهذه الاضطهادات التى يمارسونها ضد المسلمين إنما ينفذون خططا يهودية اجرامية تهدف إلى تدمير النصارى والمسلمين بأيدى الفريقين أنفسهم وليغمدوا فى صدور الإنسانية خنجرهم المسموم الذى أعده مجرموا التاريخ فى محافلهم الماسونية قبل عشرين قرنا من الزمن .(٢)

وباستمرار ضغط اليهود على المسيحيين سيتحقق لهم ماتصبوا إليه أنفسهم وتشهد ألسنتهم بما يكنون فى صدورهم :

بكل هذه الوسائل سنضغط على المسيحيين حتى يضطروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دوليا وعندما نصل إلى هذا المقام سنستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحكم فى جميع أنحاء العالم ، وأن نشكل حكومة عالمية عليا .(٣)

قطعت اليهودية مرحلة للوصول إلى التحكم فى العالم فقد تحكمت فى جل دول الغرب وفى مقدمتها أمريكا التى طوعت المسيحية طبقا للتوجيهات اليهودية والخطة التى وضعتها الأقلام اليهودية لتحطيم رأس الكنيسة ، وتهشيم التاج المثلث ماثلة أمام أعين الجميع ومسجلة فى بروتوكولاتهم عباراتها حمم وألفاظها نار ذات لهب توجه لقلب

---

(١) الخطر اليهودى (بروتوكولات حكماء صهيون) محمد خليفة التونسى / ترجمة : عباس محمود العقاد صـ ١٧٥ ، ١٧٦ طـ (٢) المركز الإسلامى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٧م .

(٢) معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير صـ ٢٤ ط (٤) طابع عالم الكتب ويطلب مباشرة من الدار فى الرياض على العنوان هاتف ٤٠٤٣٣٨٣ ص.ب ، ٦٤٦٠ برقيا روبية " ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م .

(٣) الخطر اليهودى (بروتوكولات حكماء صهيون) صـ ١٨٠ ، ١٨١ .

النصارى بلا خجل أو وجل يقول أبناء صهيون :

ومتى حان لنا أن نمحق قصر الفاتيكان تهجم عليه جماعات تديرها يد غير منظورة وإذ ذاك يصبح ملك إسرائيل البابا الحقيقي للعالم ورأس الكنيسة الدولية حينما يحين لنا الوقت كي نحطم البلاط البابوى The Papai Court تحطيما تاما فإن يدا مجهولة ، مشيرة إلى الفاتيكان Vatican ستعطى إشارة الهجوم وحينما يقذف الناس أثناء هيجانهم بأنفسهم على الفاتيكان سنظهر نحن كحماة لوقف المذابح وبهذا العمل سننفذ إلى أعماق قلب هذا البلاط وحينئذ لن يكون لقوة على وجه الأرض أن تخرجنا منه حتى نكون قد دمرنا السلطة البابوية .(١)

الصهيونية تقوم بدور الصليبية

ذكرت في الموضوع السابق مباشرة أن المسيحية طوعت فى الغرب طبقا للتوجيهات اليهودية ، والآن حدث إندماج بين أتباعهما لإكمال المخطط الإجرامى ، للقضاء على المسلمين الذين يكنون الخير للإنسانية جمعاء وقامت اليهودية بدور الصليبية .

يقول الأستاذ الفرنسى المسيحى " لويس ماسنيون " (*) ، فى مقال نشر فى صحيفة " تيمواتياج كريتيان " تحت عنوان سقوط مدينة الناصرة بين اليهود المعتدين : منذ ألف سنة لعبت المسيحية الغربية لعبة المغتالين المضللين فعبأت الصليبيين لتحرير الأرض المقدسة من سيطرة الإسلام الذى كان متسامحا مع العرب المسيحيين ، لأن الإسلام يعترف بقداسة المسيح ، ويشهد بطهر أمه البتول .

وخضعت المسيحية الغربية فى ذلك الوقت لصدى ذلك الشعور الذى انطوى على السذاجة والوحشية معا ، فاستعملت الميكافيليين السياسيين من دعاة التوسع وتاقت فى حماس إلى انتهاز فرصة وجود إخوانهم مسيحى الشرق فى وضعهم القائم حينئذ بغية استعبادهم أما اليوم فإن المسيحية تقوم بأكثر من ذلك فإنها قد أصبحت عصرية وتأمركت

---

(١) المرجع السابق صـ ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(*) لويس ماسنيون : (١٢٩٩ ـ ١٣٨٢ هـ = ١٨٨٣ ـ ١٩٦٢م) مستشرق فرنسى مولده ووفاته بباريس تعلم العربية والعديد من اللغات الأخرى وكان ضمن أعضاء المجمعين العربيين فى دمشق والقاهره ، وعين فى وزارة المستعمرات فى شبابه ثم مستشارا لها بقية حياته ، وحمدت مواقفه فى قضيتى استقلال المغرب والجزائر (الاعلام المجلد (٥) صـ ٢٤٧ ، ٢٤٨ باختصار .

فلم تعد تؤمن بسر السيد المختار لتخليصها ، يريد البروفسور أن يقول إن المسيحية العصرية تقوم بأكثر من ذلك أى بأكثر مما قامت به المسيحية القديمة التى استعملت الميكافيليين السياسيين من دعاة التوسع فلقد استعملت المسيحية العصرية " الأمريكية " اليهود للقيام بدور الصليبيين الأوائل ، لأن المسيحية العصرية الأمريكية " لم تعد تؤمن بسر السيد المختارة .(١)

ولعل " ماسنيون " المخلص للمسيحية وصفها بأنها فى الوقت الحاضر صارت " عصرية أمريكية " ويقصد بذلك أنها " عصرية يهودية " وإلا فما الداعى لاستعباد المسيحى لأخيه المسيحى ؟ وما هى المبررات لسيطرة مسيحى الغرب لإخوانهم فى الشرق. إن هناك دوافع من الذين يكرهون المسيح ويطعنون فى أمه الطاهرة ، ولايحبون الخير لأتباعه ولا يشعرون نحوهم بأى احترام ، ولذا يقول " ماسنيون " فى موضع آخر من المقال :

ومادام العبرانيون يرتابون فى طهارة مريم ونقاوتها فإننا نحن النصارى لايمكننا ان نصدق تأكيداتهم التكتيكية عن احترامهم لديننا إلا إذا فقدنا احترامنا النبوى لامنا مريم .

ومع علم رجال الدين المسيحى بالنظرة اليهودية للمسيحية وأتباعها وللسيد المسيح عليه السلام ، وأمه العذراء لكنهم طمعا فى عطاء اليهود ، وخوفا من إعلامهم باعوا أخراهم بدنياهم ، وصارت تعاليم عيسى عليه الصلاة والسلام عندهم رمزا شكليا اكتفوا بمظهره ، فلم ينعموا بجوهره فباركوا اليهودية على أنها صليبية جديدة زرعت فى الشرق الإسلامى منبع الرسالات ومهد النبوات وأصبحت البابوية تسير على هوى الصهيونية

البابوية فى ركاب الصهيونية والاستعمار

إن الحوادث خير شاهد بخط سير البابوية ، فبعض الدول المغلوبة على أمرها فى فترة ما من تاريخها ظنت أن قيادة الفاتيكان الروحية ، قد تؤثر على الدول الغربية المستعمرة فتوقف من اعتداءتها ، أو تقلل منه ، وغرها ماتتشدق به البابوية من كلمات المحبة والرحمة للإنسانية فحاول أحد مفكريها أن يستنجد " بالبابا " ليتدخل

---

(١) الصهيونية فى الستينات " الفاتيكان واليهود " محمود نعناعه ص ٤٧ ، ٤٨ (سلسلة من الشرق والغرب) طبع الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٤م .

لدى من يقودهم روحيا فى مواقف إنسانية خاصة بأهل الإسلام فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار ، فبدلا من مناصرة المظلومين كان واقع البابوية معاونة المعتدين الظالمين .

ويكشف عن هذا الواقع المؤلم الأستاذ / علال الفاسى(*) بقوله :

وقف " البابا " دائما من الاستعمار موقف المؤيد ، وقد كانت بعض حكومات المغرب قد أملت خيرا فى بعض البابوات عساهم يؤثرون على الدول الخاضعة لنفوذهم الروحى فيخففون من حملاتهم العدائية ، وهيهات .

قال : وأنا أحكى قصتين وقعتا لى ونحن فى أشد المواقف أيام جهادنا لتحرير البلاد من الاستعمار الفرنسى :

الأولى : توجهنا باسم حزب الاستقلال أنا وصديقى المجاهد " عبد الرحمن انجاسى " إلى أمريكا الجنوبية لنتصل بشعوبها وحكوماتها شارحين قضيتنا راجين أن تصوت هذه الدول لمصلحتنا فى المحافل الدولية ، فكان يتبعنا حيث اتجهنا ـ تارة يسبقنا وتارة يلحقنا ـ الوزير الفرنسى " بول رينو " مبعوثا من قبل حكومته ، كما كان يتبعنا قسيس لبنانى مبعوثا من طرف الكنيسة وعلمنا أن إرساله تم بطلب من فرنسا وموافقة من " البابا " وقد قاما بجهود كبيرة ضدنا ومع ذلك فقد انتصرت دعوتنا والحمد لله ، وحصلنا على تأييد إخواننا العرب وصوتت معنا كل الدول التى زرناها " كالبرازيل " و " الأرجنتين " و " شيلى " وغيرها .

الثانية : دخلت سنة ١٩٥٢م مستشفى " الأميرة فريال " لإجراء جراحة بالكلية اليسرى وكنت أشكو من وجود أحجار بها وبلغنى وأنا فى انتظار العملية نبأ اعتقال الفرنسيين للشيخ " عبد الواحد بن عبد الله " من علماء " الرباط " وكان يدعو فى دروسه إلى تقدير التضحية والاستبسال فى نصرة الحق وتساءل لماذا يضيق الفرنسيون بكفاحنا لتحرير بلادنا ، ويعدون ذلك جرما وهم يقدسون السيدة " جان دارك " لأنها بذلت وسعها فى وطنها ؟ أليست لديهم مثالا يحتذى ؟ ولم يعجب هذا الكلام إدارة الحماية

(*) علال الفاسى (١٣٢٦ ـ ١٣٩٤هـ = ١٩٠٨ ـ ١٩٧٤م) أو (محمد علال) بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبد الله بن المجذوم الفاسى الفهرى زعيم وطنى من كبار الخطباء العلماء فى المغرب ولد بفاس وتعلم بالقرويين جاهد الاستعمار الفرنسى وعارض الظهير البربرى ١٩٣٠م فأثار أهل المغرب ضد الاستعمار واعتقل ثم نفى وبعد استقلال المغرب تولى وزارة الدولة للشئون الاسلامية وتوفى فى بخارست برومانيا ثم نقل جثمانه إلى الرباط (يراجع الاعلام المجلد (٤) ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

الفرنسية فقررت اعتقاله ورافق الاعتقال أن بعض الناس كان يدعو للتقارب بين المسيحية والإسلام ، فكتبت رسالة " للبابا بيوس الثاني عشر " منبها إلى ماحدث ، ومذكرا بأن علماء المسلمين لديه هذا التفتح الفكرى لايسوغ أن يلقى هذا المسلك ، وأنه لن يعقب هذا إلا توسيع شقة الخلاف بين مسلمى المغرب والنصارى المقيمين فيه وزارنى بعد تحرير الرسالة الأستاذ " ماسنيون " المعروف بتدينه ، وإخلاصه الشديد لمسيحيته ، فأنعم النظر فيها ثم قال لى : هل أنت مخلص فيما تبديه من رغبة التقريب بين المسلمين والمسيحيين على أساس القيم الأخلاقية المشتركة بين الدينيين ؟ قلت نعم أيها السيد الجليل ولو لم أكن مخلصا ماكتبت هذه الرسالة فى وقت أتهيأ فيه لجراحة خطيرة قد ألقى فيها ربى وأنا أتطلع إلى عفوه قال : ثق أن " البابا " لن يستجيب لك ولا لغيرك لأنه يأخذ المال من الصهاينة ولما رآنى استغربت قوله قال لى : ياسيد علال لاتستغرب ، ومايفعله " البابا " لايجعلنى أتخلى عن مسيحيتى ، كما أن قولى هذا لايخرجنى عن دينى الذى تعلم مقدار تمسكى به .

والبابا الذى تحدث عنه " ماسنيون " غير " البابا " الذى أصدر الوثيقة الشهيرة بتبرئة اليهود ترى كم أخذ الأخير ؟[1] .

وصدق " ماسنيون " حين ذكر أن " البابا " يأخذ المال من الصهاينة وبواسطة المال ، ومن أجل الحصول عليه تنازلت البابوية عن كثير من التقاليد المسيحية ولقد أتاحت سيطرة اليهود المالية والاقتصادية نفوذا سياسيا عاتيا لليهودية ، فاستحوذوا على ثقة ولاة الأمور إذ كانت حاجة الملوك والحكام إلى المال ـ خصوصا فى أوقات الحرب ـ باعثا على حرصهم على مرضاة اليهود وتملقهم لإمدادهم بالقروض ، حتى أن " البابا " حين لجأ إلى مصرف " روتشيلد "(*) يستقرضه سمح لشارل " روتشيلد " بتقبيل يده تكريما له وأعفاه من تقبيل قدميه كما جرت العادة بذلك .[2]

ولم يقتصر الأمر على معافاة البابوية لليهود من تقبيل أرجلها كما جرت العادة بذلك ، وإنما امتد إلى حماية البابوية للصهيونين ، وبدأ " الفاتيكان " منذ أوائل

---

(١) قذائف الحق للشيخ / محمد الغزالى صـ ١٢٠ ، ١٢١ بدون عدد للطبعه طبع بيروت ١٣٩٣هـ .

(*) روتشيلد (ماير انسليم) (١٧٤٣ ـ ١٨١٢م) مصرفى يهودى ألمانى الأصل جد أسرة روتشيلد الشهيرة بغناها وسمى المصرف المذكور باسمه . (يراجع المنجد فى العلوم صـ ٣١١) .

(٢) الصهيونية بين الدين والسياسة صـ ٣٧٧ .

القرن العشرين مظلة لليهودية ، ولو انكمش ظله عنها بعض الشيء ناله اللوم وحفه التشهير ويكشف الأمر المذكور ما يأتي .

موقف اليهود من البابا " بيوس الثاني عشر "

هذا الموقف يحدد سلوك كل من اليهود والبابوية حيال الآخر وذلك أنه فيما بين عامي ١٩٦٠م ، ١٩٧٠م ظهرت مسرحية المندوف ، وهي تمثل صورة لتقصير البابا "بيوس الثاني عشر" تجاه اليهود وقت الغزو الهتلري .

وقد علقت مجلة الطائفة اليهودية الإيطالية على المسرحية مدافعة عن " البابا " الذي شهر به اليهود لكنها آخذته على تقصيره في حقهم فقالت :

إنه على أثر الهجوم الألماني على الحي اليهودي في " روما " في أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٤٣م وجه " البابا " " بيوس الثاني عشر " أحد رجال الفاتيكان إلى القائد الألماني " شتاهل " يطلب إليه إيقاف ترحيل يهود " روما " حفظا للعلاقات السلمية بين الفاتيكان والحكومة الألمانية وألمح رسول " البابا " إلى أن عدم وقف الاعتقالاتاليهودية قد يضطر قداسته إلى اتخاذ موقف المقاومة العلنية .

وفي اليوم التالي أبلغ الجنرال الألماني " شتاهل " رسول " البابا " أن " هتلر " أمر بإيقاف عملية الاعتقالات نزولا عند رغبة الفاتيكان .

وتعلق المجلة اليهودية على هذا التصرف فتقول : " وهكذا فلا يخطيء الناس حين يعتقدون أنه كان باستطاعة " البابا " أن يعمل الكثير ضد المجازر التي تعرض لها اليهود في أوربا الهتلريه وعلى أي حال فإن أفراد الجالية اليهودية في إيطاليا يؤثرون ذكر مافعله ـ لامالم يفعله ـ البابا " بيوس الثاني عشر " (ج . ك ـ ١٩٦٣/٦/٧م) .[1]

وعرف اليهود وزنهم بالرغم من قلة عددهم فاستحسنوا من " البابا " ما أيدهم فيه وردوا عليه مجرد سكوته ، في وقت لم تتح الظروف فيه " للبابا " أن يدافع عن اليهود حين كانت النازية بألمانيا تقوم بتأديبهم نتيجة لغدرهم .

---

(١) الصهيونية في الستينات (الفاتيكان واليهود) صـ ٥٤ .

مسرحية المنـــدوف

" The Represe Ntativa"

هى مسرحية من تأليف شاب ألمانى بروتستانتى يدعى رولف هوشهوت ، وهـــى تشتمل بصفة رئيسية على انتقاد مرير " للبابا " " بيوس الثانى عشر " بحجة أنه سكت علـــى الجرائم النازية التى تعرض لها اليهود .

وقد سلطت الصهيونية أضواء بالغة القوة على هذه المسرحية فى الإذاعات ، والتلفزيون والصحافة فى أوربا وأمريكا وإسرائيل مما أدى إلى ردود أفعال قوية تمثلت فى التظاهرات التى قام بها الكاثوليك فى أكثر من بلد أوربى كما وجه بعض أفراد ــــــن الجماهير المسيحية فى أوربا تهديدات بالقتل إلى الممثلين الذين لعبوا أدوار المسرحية ومنهم المدعو وليامز الذى مثل فيها دور ابخمان .(١)

وحدث كل هذا فى الفترة التى ظهرت فيها المسيحية من عام ١٩٦٠م ـــ ١٩٧٠م ، ولم يشفع " للبابا " المذكور دفاع الذى جاء عقبه وهو البابا " بولس السادس" فقد ذكر راديو إسرائيل بتاريخ ١٢/٣/١٩٦٤م أن البابا " بولس السادس " دافع مـــرة أخرى عن سياسة البابا " بيوس الثانى عشر " أيام الحرب العالمية الثانية وذلك فى حفـــل إزاحة الستار عن تمثال " بيوس الثانى عشر " فى كنيسة الفاتيكان وأضاف الراديو ان هذه هى المرة الثالثة التى يدافع فيها البابا " بولس السادس " عن " بيوس الثانى عشر " منـــذ نشر مسرحية المندوف .(٢)

والمعروف أن البابا " بولس السادس " قدم خدمات لليهود لاتنسى ويكفيـــــه ما أذاعته وكالة " رويتر " من " جنيف " بسويسرا بتاريخ ٩/٤/١٩٦٤م تصريحا للدكتـــور " هانز دوتش " المحامى الدولى والناشر ورئيس المؤسسة الثقافية فى " برن "(*) جاء فيــه أن قداسة " البابا بولس السادس " تعهد ببذل مافى وسعه من جهد لخلق روح التعاون والتسامح بين المسيحيين واليهود وقال الدكتور " دوتش " الذى اجتمع بقداسة " البابا "

---

(١) المرجع السابق صـــ ٥٠ .

(٢) المرجع السابق صـــ ٥١ .

(*) " برن " عاصمة سويسرا الفدرالية " وقاعدة اقليم " برن " على نهر الآر لغة أهلها الألمانية وبها جامعة ، ومنظمة اتحاد البريد الدولى يراجع المنجد فى العلوم صـــ ١٢٧ .

اجتماعا خاصا : أن البابا صدق على نداء فيه محاولة لإنهاء التمييز وسوء التفاهم القائمين بين اليهود والمسيحيين منذ قرون .[١]

وتحت ستار إزالة العداء لليهود ، تتوالى من قبل القيادة الفاتيكانية التبريرات لما ترتكبه الصهيونية العالمية من إجرام فى حق الشعوب ، وخاصة الشعب المسلم .

واستدروا عطف العالم بإشاعة أن النازية قضت على الملايين منهم ، وقد ألقى الكردينال أغسطين " بيا " من " ألمانيا " ورئيس سكرتارية الوحدة المسيحية ، ومقدم مشروع الوثيقة كلمة اجتماع المجمع المسكونى الثانى دافع فيها عن مشروعه وكان مما قال :

إن مايدعو إلى وجوب بحث هذه المسألة هو سيطرة العداء لليهودية ، منذ عشرات السنين فى بعض المناطق واتخاذه صورة إجرامية ، كما حدث فى ألمانيا إبان حكم النازى حيث قتل ملايين اليهود .[٢]

وهى نغمة مكررة تستجلب بها إسرائيل عطف الدول الغربية وتبتز بها أموال " ألمانيا " على أنها تعويض لما حدث لهم فى الماضى بالإضافة إلى تغذية جرائم الصهيونية فى الأراضى العربية الإسلامية .

ولقد ذكر " أبا إيبان " سفير اسرائيل ووزير خارجيتها فيما بعد فى مذكرة قدمها لحكومة " أميركا " أن على الحكومات المتصرفة فى شئون " ألمانيا " الزامها بدفع ألف وخمسمائة مليون دولار كتعويض لستة ملايين من اليهود أهدر هتلر دمهم .

وقد ذكر هذا الرقم عشرات المرات مما دعى " جون بيتى " صاحب كتاب الصهيونية لعبتها " أميركا " إلى القول : وكيف أحصوا عدد ضحايا هتلر ؟ .

فبموجب آخر الإحصاءات الرسمية الموثوق بها ، بلغ عدد يهود العالم زهاء ٦٣٨ ر ٧١٣ ر ١٥ نسمة ، بينما بينت الإحصاءات الرسمية قبل الحرب ان عددهم كان ٣٥٩ ر ٣١٩ ر ١٥ فهم إذن لم ينقصوا بل زادوا إبان الحرب فكيف ذلك ؟ .

وما هو السر فى الزيادة ، وهتلر كما يقولون تخرم أنفاس ستة ملايين ؟ إن عدد اليهود فى ألمانيا كان فى عام ١٩٣٩م حوالى ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٦ نسمة .

---

(١) المرجع السابق ص ١٩ .
(٢) المرجع السابق ص ١٦ .

فنزح الكثيرون منهم إلى الولايات المتحدة بينما هاجر بعضهم إلى فلسطين وبقى البعض الآخر فى ألمانيا أما بصدد اليهود الذين كانوا يعيشون فى شرق أوربا فقد فروا من وجه الغزو الألمانى إلى روسيا .

وقد جاء منهم بعد ذلك عدد كبير إلى الولايات المتحدة وإلى فلسطين وإيران ورجع آخرون إلى موطنهم الأول فى "أوربا" ليؤلفوا من أنفسهم نواة الحكم الشيوعى فيه فمن أين جاء هتلر بالملايين الستة التى أهلكها ؟ .[1]

إن ماحدث لليهود فى "ألمانيا" كان بناءً عن خطة موضوعة بين زعماء الصهيونية والنازية فقد رأت الصهيونية أن تسوق اليهود إلى فلسطين ، فقابلتها مشكلة ارتباط اليهود بالبلاد التى يقيمون فيها خلال الشتات فتمخض التفكير الشيطانى الصهيونى عن ضرورة إحداث مذابح لليهود فى البلاد التى يستقرون بها حتى يجبروا اليهود على الفرار إلى فلسطين لتكون وطنا قوميا لهم ، وتم الاتفاق بين الزعماء الصهاينة وبين إخمان على ما ارتكب من مجازر .

ولقد أثبت "جارودى" بالوثائق الرسمية من قلب إسرائيل أن التعاون المخلص كان هو الموقف الثابت بين الصهيونية ممثلة فى أقطابها وايزمان ، وبن جوريون ، ومناحم بيجين ، وإسحاق شامير ، وفريق من الزعماء الذين ماتوا أيضا ، وبين أجهزة الحزب النازى والحكومة الهتلرية .[2]

فلم يكن القصد إبادة الجنس اليهودى ، فى هذه القضية المرسومة وإنما إقامة وطن يهودى فى قلب الأمة الإسلامية محاطا بهالة من عطف العالم حتى يضمنوا له البقاء .

أيهما أقرب للنصارى المسلمون أو اليهود

أثبت التاريخ الصادق أن المسلمين على مدار الزمن تسامحوا مع غيرهم من الأمم والشعوب أصحاب الملل والنحل المختلفة وخاصة مع المسيحيين ، ويشهد الواقع أن الأقليات

---

(١) الصهيونية لعبتها أميركا جون بيتى صـ ٩٥ ، ٩٦ دار النشر للجامعيين بدون تاريخ .

(٢) أخبار السبت (العدد ٢١٦٩ ـ السنة الثانية والأربعون) صـ ١٠ من مقال للدكتور عبد الصبور شاهين بعنوان (فلسطين أرض الرسالات والنبوات للمفكر الإسلامى رجاء جارودى" ١٦ من رمضان ١٤٠٦ هـ = ٢٤/٥/١٩٨٦م .
ومن أراد المزيد من معرفة صور التعاون الصهيونى النازى فليرجع إلى كتاب (فلسطين أرض الرسالات الإلهية تأليف رجاء جارودى ، ترجمة د / عبد الصبور شاهين صـ ٣٨٨ ـ ٤٠٠ مطابع المختار الإسلامى ١٩٨٦م .

المسيحية نالت ولاتزال تحظى من عدل الإسلام ورعايته مالم تنله أقلية مسيحية تحت رعاية أمة أخرى من الأمم غير المسلمة ، وقد عاش النصارى فى ظل مجتمع الإسلام عيشة أرقى آلاف المرات من حياة الأقليات الإسلامية التى اضطهدت ، ومازالت تعانى من أبشع الاضطهادات على أيدى المسيحيين .

والواجب يحتم على النصارى أن يبادلوا المسلمين المودة فالإسلام قرب صلتنا بهم (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون).[1]

فنحن المسلمين أقرب صلة بأتباع عيسى عليه السلام وألصق بهم زمانا وعشرة ، ونؤمن بعيسى رسولا من عند الله تعالى وكنا نود أن تكون المعاملة بالمثل ، لكن بلغ السيل الزبى وتكاتف المسيحيون مع اليهود أعدائهم ، وأعداء الإنسانية وتناسوا جرم اليهود فى حقهم على مدار الزمن ، وكل ذلك على حساب الإسلام والمسلمين ، ووصل بهم الأمر أن ضربوا عرض الحائط بأقوال "بولس" فى حق اليهود "الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكى يخلصوا حتى يتمموا خطاياهم كل حين ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية".[2]

ثم تغاضوا عن أقوال اليهود المناوئة لهم بل وتحاشوا عما هو وارد فى البروتوكولات من قولهم "لقد اهتممنا بإسقاط هيبة الإكليروس عند الأمميين ولقد خطونا خطوة عظيمة فى هذا السبيل فأصبح نفوذ الإكليروس على الشعب يتناقص ولن يمر القليل من الأعوام حتى يتلاشى الدين المسيحى .

وهو ماتسعى إليه اليد الصهيونية التى تريد محو الدين لتضع مكانه تعليمات أبناء صهيون ويكفى أتباع المسيح عليه السلام ماذكر فى التلمود من إهانة وسب "ليسوع" يقول الدكتور جوزيف باركلى : إنّ الطبعات الأولى من التلمود شملت كثيرًا من كلمات السب والشتم ضد سيدنا المسيح عليه السلام ، والمسيحية ولكن الطبعات الأخيرة لاتشمل إلا القليل جدا بعد أنْ طهرتها الكنيسة ومن طبعات التلمود التى كانت تسب وتشتم سيدنا "المسيح" طبعة أمستردام[*] لسنة ١٦٤٥م ، وقد نعت فيها المسيح بكثير من

---

(١) سورة المائدة الآية ٨٢ .

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكى (٢ : ١٥ ، ١٦) .

(*) امستردام : عاصمة هولندا ، المنجد فى العلوم صـ ٦٥ .

الكلمات التى تشين مثل أحمق ، مجذوم ، غشاش بنى إسرائيل[1]

فهل أبصر رجال الدين المسيحى مثل هذا الكلام ؟ ، بالطبع شاهدوه بعيونهم وقرأوه بألسنتهم ، لكنهم تحاشوا اليهود ، وكانت أمانة الدين تحملهم مسئولية بيان هذه الأمور لمن يرعونهم فى أغلى شئ على الإنسان لكنهم خانوا الأمانة وطرحوا الدين وراءهم ظهريا .

وصادقوا اليهود ، وتوجهوا إلى كل الطوائف المسيحية بالدعوة لمصادقتهم ، وفى الوقت نفسه عادوا المسلمين الذين يحبون المسيح عليه السلام كحبهم لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

التحالف اليهودى المسيحى

إلتقت الأهداف اليهودية مع الأهداف المسيحية التبشيرية ثم ظهرت الصلة بينهما فى صورة تحالف رسمى قال عنه المستشار / محمد عزت إسماعيل الطهطاوى :

ولقد كان أول تحالف رسمى بين اليهود والمسيحيين عام ١٥٠٥م ، وذلك بهدف القضاء على الكيان الإسلامى فقد كتب دافيد روبنس مشروعا وقدمه إلى "البابا" فحواه

١ ـ إحتلال العالم الإسلامى .
٢ ـ إنتزاع الأرض المقدسة من المسلمين .
٣ ـ إحتلال اليهود لفلسطين .

وحقق التحالف الصهيونى المسيحى مشروع روبنس ، فاحتل الغرب المسيحى بلاد المسلمين عسكريا وفكريا ، ثم اقتصاديا ، ومكن الغرب إسرائيل من احتلال "فلسطين" ، وتجرأ اليهود فاستولوا على الأماكن المقدسة عند المسلمين والمسيحيين على السواء بالقتال الضارى والعدوان الصارخ والدعم بكل القوى الاستعمارية .

يقول الأستاذ الدكتور / "محمود السمرة" أثناء عرضه لكتاب فلسطين فى ضوء الحق والعدل : والذى وصفه بأنه "نور يهدى" الراغبين فى معرفة حقيقة القضية الفلسطينية ، و "نار تحرق" باطل الدعاية الصهيونية ودجلها ، ونشأ عن الحرب مشكلة أخرى خطيرة هى احتلال إسرائيل لمدينة القدس القديمة ، وإخضاعها الأماكن المقدسة

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه ل (ظفر الإسلام خان صـ ٦١ ط (٢) دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٧٢م باختصار .

للمسلمين والمسيحيين لسيطرتها ، ومحاولتها الحثيثة لتهويد المدينة المقدسة دون احتفال بالرأى العام العالمى ، وبقرارات مجلس الأمن .

وقد أعربت " لجنة كنج ـ كرين "(*) فى سنة ١٩١٩م عن مخاوفها من قيام دولة يهودية فى فلسطين ، تكون مسئولة عن الأماكن المقدسة ، فقالت فى تقريرها : (إن من المشكوك فيه أن يستطيع اليهود أن يبرزوا أمام المسيحيين أو المسلمين بوصفهم الحراس الصالحين على المقدسات ، أو المسئولين عن الأرض المقدسة ، أما سبب ذلك فهو أن أقدس الأماكن عند المسيحيين وهى التى تتعلق بالسيد المسيح ويقدسها المسلمون أيضا ، لايقتصر الأمر على كونها غير مقدسة لدى اليهود ، بل إنهم يكرهونها ولما كانت الأماكن المقدسة للرسالات الثلاثة مقدسة عند المسلمين فإن من الطبيعى جدا أن يتولوا هم حراسة هذه البقاع المقدسة على نحو أبعث على الرضا ما يستطيعه اليهود .

وقد حدث ما خشيته لجنة كنج ـ كرين ، ففى ٢١ أغسطس " آب " ١٩٦٩م ـ أضرمت النار بالمسجد الأقصى ، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وأصيب بأضرار بالغة .(١)

وقبل هذا التاريخ حاول اليهود تدمير مسجد الصخرة ، والمسجد الأقصى توطئة لإعادة هيكل سليمان من جديد على أنقاض معالم المسلمين والمسيحيين على السواء ، ومن أجل طمس المعالم الأثرية والدينية لغير اليهود قامت إسرائيل برسم خرائط لمعالم فلسطين انتزعوا منها كل المعالم الإسلامية ، والنصرانية ، ونشروها مزينة بالهيكل يعلوها الشعار القومى والدينى للصهيونية وقد نشرت " لجنة صهيون " بيانا فى جريدة نيويورك تايمز الأمريكية بتاريخ ١١ يونيو عام ١٩٦٨م ضمنته خريطة لمدينة القدس وقد خلا منها المسجد الأقصى وقبة الصخرة وجعل مكانهما ميدان الهيكل .(٢)

كما لم يوجد بها آثار واضحة للمسيحية أيضا هذا فضلا عن الاعتداء المستمر المتكرر على قدسية كنيسة القيامة وسرقة تاج العذراء وإشعال النار عمدا فى دير راهبات القربان

(*) " لجنة كنج ـ كرين " لجنة دولية أوفدت إلى فلسطين لبحث حالة السكان وبدأت عملها بيافا فى ١٠ يونيو ١٩١٩م وهى مؤلفة من عضوين الدكتور (كينج ـ والمستر كراين) وثلاثة مستشارين وقد بحثت الحالة فى مدن فلسطين والبلاد المجاورة (يراجع وثائق الحركة الوطنية الفلسطينيه من أوراق أكرم زعيتر صـ ٢٦٢٢ طبع مؤسسة الدراسات الفلسطينيه بيروت لبنان بدون تاريخ) .

(١) مجلة العربى (العدد ١٣٨ ـ إصدار وزارة الإرشاد بالكويت) مايو ١٩٧٠م = صفر ١٣٩٠هـ ـ كتاب (فلسطين فى ضوء الحق والعدل) تأليف (هنركتن ـ صدر بالإنجليزية ـ وترجمته للعربية (مكتبة لبنان) بيروت عرض الأستاذ / محمود السمرة صـ ١٤٩ .

(٢) الصهيونية بين الدين والسياسة صـ ٢٢٢ .

وإحراق كنيسة الآباء البندكت.[١]

وغير ذلك مما لايعيه الحصر ، وكل هذا يؤكد عداء اليهود تجاه المسلمين والمسيحيين ، وهو عداء دينى بحت يؤكده سعى اليهود الدائب لمحاربة المسلمين فى كل مكان ، وهم يستخدمون المسيحيين فى العدوان على المسلمين لارغبة فيهم وإنما استنصارا بهم حتى تلوح لهم فرصة ضربهم أيضا فتحالف الصهاينة مع النصارى تحالف إسمى وشكلى فقط وكونهم ركيزة للمسيحيين مؤقت أيضا وإن كان هذا يؤدى الدور المضاد للإسلام وللمسلمين فى كل مكان بشكل يشير إلى صداقة أتباع الملتين ، وقد تبدو صورة التحالف سافرة كما هو الحال ضد مسلمى الفلبين .

صورة من التحالف الاسرائيلى المسيحى

توضح صورة هذا التحالف العداء للمسلمين فى أبشع صورة عرفها التاريخ الحديث فمسلمى الفلبين قلة مجردة من أسلحة الدفاع ، فى مواجهة كثرة مسيحية فى يدها السلطة الصليبية بعتادها وعدتها ، ولكن الصهيونية العالمية تتحسر حين ترى القلة المسلمة صامدة بإيمانها فى هذه البقعة أمام الكثرة الصليبية الحاقدة ، فتنظر إليها وكأنها مستبطأة لمخطط الإجهاض الصليبى لمسلمى الفلبين فتتدخل مسرعة للإجهاز عليهم ، بوضع خطة مشتركة مع " ماركوس " لإبادة المسلمين والتى وصفتها مجلة الأزهر بأنها : " مأساة المسلمين فى الفلبين " وذكرت صورة لهذا التحالف الهادف إلى إبادة المسلمين بقولها ففى زيارة جولدا مائير للفلبين عام ١٩٦٤م ـ وكانت يومئذ وزيرة الخارجية لإسرائيل ـ إنتهى إجتماعها بالزعماء المسيحيين إلى اتفاق تتحمل فيه إسرائيل مساعدة الفلبين بمعونات مادية ومعنوية إشترطت جولدا مائير مقابلها أن يعمل المسيحيون بكل طاقتهم على امتلاك الأراضى الإسلامية فى الجنوب ، وتسلم " فرديناند ماركوس " رئيس الجمهورية عشرة ملايين دولار مساعدة من إسرائيل أعقبتها شحنة أسلحة سلمت جميعها إلى عصابة " ابلاجوس " التى تمارس قتل المسلمين وتشريدهم .[٢]

وبالرغم من مقاومة المسلمين الباسلة لهذه العصابات المدربة إلا أنهم يضطرون تحت مساندة الجيش والبوليس الفلبينى للعصابة إلى ترك أراضيهم فى الجنوب بعد التضحية

---

(١) يراجع : الكنيسة ومزاعم اسرائيل السبعة للأنبا غريغوريوس أسقف عام للدراسات اللاهوتية العليا .. صـ ٢٧ بدون عدد للطبعة مطبعة دار العالم العربى ١٩٧٣م.

(٢) مجلة الأزهر (جـ ٢ ـ السنة ٤٤) صـ ١٨٩ عام ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

بجل أبطالهم .

ويشهد بذلك الدكتور / محمد محمد زيتون : والمسلمون لايتركون أرضهم إلا بعد أن يقدموا كثيرا من أبطالهم شهداء فى مقاومة جماعة (ابلاجاس) وهى تنظيم سرى هدفه الاستيلاء على الأرض التى يملكها المسلمون وقد درب أفراد هذه الجماعة على حرب العصابات فى إسرائيل ووجد كثير من المدافع الرشاشة الإسرائيلية فى حوزتها وهذه الجماعة تعد من أخطر الجماعات الكاثوليكية تعصبا ضد المسلمين حيث يعملون على إبادة المسلمين والاستيلاء على أرضهم وتحت ضغط قواهم المتفوقة على المسلمين فى العدد والسلاح يترك المسلمون أرضهم لينضموا إلى معسكرات اللاجئين المسلمين التى تضم اليوم مايزيد على خمسين ألف لاجئ .(1)

وتكشف " مجلة الأزهر " ستر هذا التحالف المعادى للمسلمين والمدعم بكل وسيلة إجرامية بقولها : وقد استحكم التحالف الإسرائيلى المسيحى فى مخططه التنفيذى باثنين من الصهاينة هما :

" مانويل أليسالدى " مستشار " فرديناند ماركوس " لشئون الأقليات ، والجنرال - " هانز منزى " مستشار " ماركوس " الخاص وكلا الرجلين يمتلكان مزارع شاسعة فى جنوب الفلبين حيث يسيطر المسلمون ويقفون حجر عثرة فى سبيل توغل النفوذ الإسرائيلى وكان بإمكان الرجلين أن يحركا كل القوى التنفيذية والضاربة لإبادة المسلمين توافقهما فى ذلك رغبة الحكومة الفلبينية فى تشجيع التبشير .

موقف الأزهر ازاء محنة المسلمين فى الفلبين

نظرا للحال التى وصل اليها مسلمو الفلبين دعا فضيلة الإمام الأكبر " مجلس الأزهر الأعلى " ، و " مجلس مجمع البحوث الإسلامية " إلى اجتماعين طارئين إتخذت فيهما القرارات التالية :

قرارات المجلس الأعلى للأزهر

عقد المجلس الأعلى للأزهر جلسته الطارئة الثالثة والعشرين فى الواحدة من بعد ظهر يوم الأربعاء ١٥ من المحرم سنة ١٣٩٢هـ الموافق الأول من مارس سنة ١٩٧٢م ، للنظر فى الحادث الأليم الذى حل بالمسلمين فى جنوب الفلبين على أيدى العصابات

(1) المسلمون فى الشرق الأقصى (الفلبين - إندونيسيا - ماليزيا) دكتور / محمد محمد زيتون صـ ٤٩ بدون عدد للطبعة طبع دار الوفاء للطباعة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م .

الكاثوليكية وانتهى بشأن ذلك إلى القرارات الآتية :

١ ـ إرسال وفد من علماء الأزهر فورا إلى الفلبين للاتصال بالمسئولين والمسلمين هناك للعمل على تسكين الفتنة ووقف الاضطهاد .

٢ ـ إرسال برقية إلى المؤتمر الإسلامى المنعقد الآن فى جدة للعمل السريع على إنقاذ مسلمى الفلبين من هذه الاضطهادات والمذابح التى تنزل بهم .

٣ ـ تفويض فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر ورئيس مجلسه الأعلى فى الاتصال بالحكومات الإسلامية لبذل جهودها العاجلة فيما يدفع هذه الكارثة عن المسلمين فى الفلبين .

٤ ـ الموافقة على اشتراك الأزهر فى المؤتمر الإسلامى الأول الذى سيعقد فى " مانيلا " فى شهر يونيو سنة ١٩٧٢م لمناقشة مشاكل المسلمين هناك .

وقرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية إرسال البرقية التالية إلى مؤتمر وزراء الخارجية وقد رفعها فضيلة الإمام الأكبر دكتور محمد الفحام شيخ الأزهر .(١)

إن وقفة الأزهر أمام هذا التحالف الصهيونى المسيحى لها وقعها فى نصرة الحق وإنقاذ المستضعفين فى الأرض إنه يبعث فريضة الجهاد من جديد ويدعو المسلمين فى كل بقاع الأرض إلى الصمود والتذرع بهذه العقيدة لتحرير المستضعفين من الرجال ومن النساء والولدان ، ولذا لم تهمل ولم تعطل عقيدة الجهاد وآية ذلك بقاء المسلمين فى الفلبين أربعة قرون أو يزيدون ، يكافحون بروح الإسلام الأسبان الصليبيين وتحرير أرض الجزائر من أيدى الفرنسيين ، والسعى الدائب لتحرير فلسطين .

وكان رأى الأزهر فى حسم الموقف فى الفلبين يتمثل فى أمرين :

١ ـ أن تبعث على الفور نداءات من شتى الدول الإسلامية ليتدخل رئيس الفلبين كى يضع حدا لهذا العدوان الأثيم .

٢ ـ أن يتجاوب المسلمون فى بقاع الدنيا لنجدة إخوانهم فى الفلبين على النحو الذى يفرضه كتاب الله على كل مسلم .(٢)

الفوائد التى جناها اليهود من التحالف مع المسيحيين

حقق اليهود من وراء تحالفهم مع المسيحيين مكاسب كثيرة ألخصها فى الآتى :

---

(١) مجلة الأزهر (ج ٢ ـ السنة ٤٤) ص ١٩٠ ،

(٢) المسلمون فى جزر الفلبين " جهادهم ومطالبهم الدكتور / رؤف شلبى ص ٩٥ ، ٩٦ ط (١) دار الحمامى للطباعة بالقاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦م .

١ ــ أقنع اليهود المسيحيين بأنهم أقرب الناس إليهم ، وتمكنوا من ضم التوراة (كتاب العهد القديم) إلى الأناجيل المسماة كتاب (العهد الجديد) تحت اسم (الكتاب المقدس) . ونجح اليهود فى جعل أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام تبعا لهم ، فى بعض أمور الدين ، فسخروهم فى أمور الدنيا .

٢ ــ حقق لهم هذا التعاون الأثيم الاستيلاء على فلسطين فاغتصبت من أيدى المسلمين بالمكر والخديعة مع القهر وسفك الدماء .

٣ ــ مكن المسيحيون اليهود من الاستيلاء على فلسطين ولولا الصليبية ماتمكنت إسرائيل من إقامة دولة لها . فلولا الانتداب الإنجليزى على فلسطين ماتحقق هدف إسرائيل وقد شارك إنجلترا فى معاونة الصهاينة فرنسا ، والولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتى .

٤ ــ لم تقتصر أطماع الصهيونية عند الاستيلاء على فلسطين بل تمتد لتشمل من النيل إلى الفرات ، وأكثر من هذا والخرائط الإسرائيليه تشير إلى هذا التوسع ولقد سئل " وايزمان " عما يعنى تماما بالوطن القومى ، فرد بجوابه المشهور أن تتاح لنا فرصة لنبنى بالتدريج قومية فى فلسطين ، هى لليهود بمقام الأمة الفرنسية للفرنسيين والأمة الإنجليزية للإنجليز .

٥ ــ إزدياد حقد المبشرين على المسلمين حتى وصل بهم الأمر إلى التجسس لخدمة إسرائيل ، ولقد نشرت مجلة الشرطة والأمن العام بدمشق فى كانون الأول ١٩٥٣م ــ ٩ ربيع الآخر ١٣٧٢هـ مقالا عن داعية ومبشر أمريكى ، إسمه والف بانى يدعى أنه يدير جمعية للتقارب المسيحى ، مع أن اسم جمعيته الحقيقى جمعية التقارب المسيحى اليهودى ، ويعمل على مساعدة اليهود والدس على العرب ، والتجسس عليهم وتشويه سمعتهم ، مع أنه كان يرتدى ثياب المبشرين .

وغير هذا المبشر ممن كانوا يعملون بإتقان ضد العرب والإسلام كثيرون ، لكن فى صمت حتى يتعذر إقامة الدليل والبرهان على كيدهم خصوصا وأن حكوماتهم تسبغ عليهم حمايتها لخدمة غاياتها الاستعمارية[1] ، وقد تكلم " أديسون " عن فلسطين وقت الانتداب البريطانى المشئوم الذى هيأ بمساعدة من التبشير تلك القطعة العزيزة فى الوطن العربى لكى تلتهمها الصهيونية فنراه يقول :

منذ الاحتلال البريطانى لفلسطين إتسع التبشير البروتستنتى وأخذ المبشرون يستخدمون

(١) يراجع : التبشير والاستشراق (أحقاد وحملات على النبى محمد صلى الله عليه وسلم (سلسلة مجمع البحوث الإسلامية) للمستشار / محمد عزت إسماعيل الطهطاوى ص ١٠٧ ــ ١١٢ طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م .

كل شكل من أشكال التبشير استخداما فعالا ، من ذلك التبشير الجماعى ، والتبشير الفردى ، ومن ذلك توزيع الأناجيل والكتب المسيحية الأخرى ، وكذلك التعليم الابتدائى والثانوى ، حتى أصبح فى " فلسطين " ٤١ مدرسة تضم ٤٨٠٠ أربعة آلاف وثمانمائة تلميذ .

ثم هناك الأعمال الطبيه والمستشفيات والمستوصفات والأعمال الاجتماعيه ، التى تقدمها مؤسسات جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية تكون مجلس مسيحى سنة ١٩٤٢م لمساعدة يهود فلسطين بتأثير من الصهيونى " مانويل نيومان " الأمريكى ودعى هذا المجلس " المجلس المسيحى لفلسطين " ويضم ضمن أعضائه الذين بلغوا سنة ١٩٤٥م نحو ٢٤٠٠ عضو الكثير من الطائفة البروتستانتية الذين كانوا يرون فى دعوة اليهود إلى فلسطين تحقيقا لنبوءة الكتاب المقدس .

الفوائد التى جنتها المسيحية الغربية من هذا التحالف

جنى المسيحيون من هذا التحالف فوائد عدة ، فى مقابل تحكم اليهود فى جل الدول المسيحية وتغريرها بالبابوية ، فقد قدم اليهود للمسيحيين فى الغرب كل ماعرفوه عن أحوال المسلمين فى مواطن الضعف والقوة ، وقد ساعدهم فى تقديم المعلومات الدقيقة عن المسلمين لأمم الغرب تغلغلهم فى الدول الإسلامية وتسامح المسلمين المفرط ، وكل هذه الأمور مكنت دول الغرب من السيطرة على الدول الإسلامية ، عسكريا ، وفكريا ، واقتصاديا

رأى المبشرون أن فى جمع اليهود فى فلسطين مايسهل عليهم مهمتهم فى الوصول إلى المسلمين ، لذلك كثرت الجمعيات التبشيرية وقتئذ حتى وصلت فى عددها الى ٢٧ جمعية مختلفة الجنسيات ، وكانت تعمل بلا ملل أو توقف فى فلسطين .

توقع المبشرون من وجود اليهود فى فلسطين حدوث قلاقل وحروب وهذا مايعملون من أجله ، فهم لايصيدون إلا فى الماء العكر ، فإثارة القلاقل بأنواعها المختلفه من سياسية واجتماعية ، وأخلاقية ، واقتصادية فضلا عن تمكين المبشرين من القيام بأعمالهم تجعل الدول الأوربية تتدخل من حين لآخر كحكم بين الخصمين المتحاربين .

المبشرون لايخافون اليهود ، ولكنهم يخافون من المسلمين ولأن التبشير فى صورته الحديثه ، يؤدى الدور الاستعمارى فى أسلوب حضارى ، فالقائمون عليه ينظرون على أن الخطر

الداهم لهم كامن فى الإسلام ، ولم تتغير هذه النظرة من قديم الزمان ، فالتقرير الذى رفعه " بنرمان " رئيس الوزراء البريطانى فى مطلع هذا القرن يقضى بكمون الخطر المرتقب على عامة الاستعمار الأوربى فى مواطن التقاء الشرق بالغرب، حيث الجبهة العربية العريضة التى تلتقى شعوبها عند جامعة اللغة والتاريخ والوجدان ، ولاسبيل إلى الابقاء على الإمبراطوريات الاستعمارية التى تمتد عبر هذه المناطق ، إلا بتمزيق هذا المارد الجبار قبل أن يستتم خلقه وتستحصد قواه .[1]

فالتبشير ، والاستعمار ، والصهيونية هذا الثالوث البشع أجمعوا أمرهم على حرب المسلمين ، وفك شملهم وبالرغم من اختلاف وجهات نظرهم إلا أنهم التقوا جميعا حول هذا الهدف وهو " تمزيق الأمة العربية مناط الاتفاق بين هذه القوى الثلاث ، وهو الوحدة الجامعة لمصالحهم المتشابكة وهم فيما وراء هذه الغاية المشتركة مختلفون فى النشأة ومختلفون فى الأهداف البعيدة والقريبة على السواء .[2]

وكل يعمل من وراء الآخر لمصلحته ، ومختلفون فيما بينهم من أجل منافعهم الظاهرة والخفية .

مكمن الضعف فى الثالوث

إذا كانت مصلحة الجميع من وجهة نظرهم فى خلق إسرائيل وزرعها فى قلب الأمة الاسلامية ، ظنا من الاستعمار أنه بهذا أبعد خطر الصهيونية عن بلاده ، واعتقادا من المبشرين أن الصدام المباشر بين اليهود والمسلمين يسهل دورهم التبشيرى فى بلاد الإسلام فإن الصهاينة لايقنعون " بفلسطين " ، وإنما هى فى نظرهم نقطة ارتكاز ، ومكان انطلاق يتحركون منه لامتلاك العالم كله ، والتحكم فى الأميين ويؤكد هذه النظرة اليهودية ما سجلوه فى البروتوكول الرابع والعشرين فبدايته (والآن سأعالج الاسلوب الذى نقوى به دولة الملك داود حتى تستمر إلى اليوم الآخر) .[3]

وخاتمته : (إن قطب العالم فى شخص الحاكم العالمى World Ruler الخارج من بذرة إسرائيل - ليطرح كل الأهواء الشخصية من أجل مصلحة شعبه إن ملكنا يجب أن يكون مثال العزة والجبروت .[4]

---

(١) جوانب من قضايا الأمة العربية (فى الاستعمار والاستشراق والصهيونية) د / حلمى على مرزوق ج ١ ص ٣ ط ١ طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٠م .

(٢) المرجع السابق ص ٤ .

(٣) الخطر اليهودى " بروتوكولات حكماء صهيون ص ٢٧٩ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٨٢ .

فغايتهم السيطرة على العالم كله ، وفى سبيل ذلك لايرتبطون بصداقة ولايوفون بعهد .

أما العداء بين المسيحيين الأوربيين واليهود فله مظاهر عدة منها انطواء اليهود وانعزالهم فى المجتمعات الأوربية وتحاول الدول الغربية بكافة الوسائل التخلص من شرور اليهود ، وترى وضعهم فى بقعة معينة ، وقاية لها من خيانتهم وتجسسهم وتخلصا من وجودهم المقلق ، ومن أجل إبعادهم عن حياة الغرب كان التعاون فى خلق دولة إسرائيل ، ومادرى الغربيون أن وجود اليهود داخل إطار دولة أكبر خطر عليهم .

هذا وإن كثيرا من مفكرى الغرب يحذرون أممهم من وجود اليهود بها وتوغلهم فيها ، ويؤكدون أن ذلك مصدر خطر كبير ومن هؤلاء المفكر الأمريكى " جون بيتى " الذى يخشى على أمريكا من خطرهم ، ولاتقتصر النزعة العدائية على المفكرين أو الساسة ، وانما هى متأصلة فى نفوس المسيحيين لما حل بهم من مكر اليهود وعدائهم " ولا أدل على العداء المستحكم بين الرجل الأوربى وأحلام الصهاينة من تلك النزعة المناهضة للسامية التى رأيناها فى أبشع صورها على يد هتلر ، ومهما قيل فى هذا الصدد ، فإن الهتلريين محمولون على الوجدان الاوربى وفعلهم محمول على هذه الحضارة ولاشك كمايقول آرنولد توينبى : ولا أظن هذا العداء الخفى بين الصهيونية والاستعمار أقل مما هو بينها وبين التبشير بحال من الأحوال " .[1]

ولم يقف العداء عند حد بين الثالوث البغيض ، فبين النوع الواحد منهم عداء فهناك الخلاف والنزاع بين الصهاينة وغيرهم من عامة اليهود ، والعداء بين المسيحيين أنفسهم " فأزمة المسيحية قد استحكمت حلقاتها ، وكان لأصحاب النظريات أفكارهم الخاصة من الداروينيين ، والفرويديين ، والعقائديين وكانت شعارات الثورة الفرنسية أبلغ دليل على هذا العداء ومن أبشعها " أن اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس "[2] ولما كان الاستشراق والتبشير صنوان ، فالتبشير يتلقى العلم بلغات العرب ، وآدابهم وعاداتهم وتقاليدهم على أيدى المستشرقين الذين تفرغوا للبحث فى هذه العلوم والمعارف وطوعوها لخدمة أغراضهم .

وهم يدركون كما يدرك علماء اليهود ما لجدوى السبق والأصالة فى تقرير الحقائق العلمية وإرجاعها إلى مصادرها من آثار هامة فى تثبيت الإدعاءات ، ولذا فهم يتنافسون

---

(١) جوانب من قضايا الامة العربية دكتور / حلمى على مرزق جـ ١ صـ ٧

(٢) يراجع المرجع السابق صـ ٨ .

فيما بينهم ويتصارعون لإثبات سبق الحضارة لأممهم والصراع الخفى بينهم يظهر أحيانـــا ونلاحظ اختفاء، يتم على مائدة التآمر ، الصهيونى الاستعمارى الاستشراقى التبشيرى حين يجتمعون من أجل المكائد للعالم الإسلامى ، ويكمن الضعف فى هذا الثالوث البغيض أنهم لايلتقون على حق واحد أو مبدأ جامع ، وإنما هى المصلحة الحالّة والمنفعة العاجلة وهم فيما عدا ذلك من المواقف مختلفون أشد الاختلاف قال الله تعالى : (بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون) .[1]

كشف القنـــاع

سبق أن تحدثت عن الوثيقة الخاصة بتبرئة اليهود من دم المسيح وذكرت أنهـــا أعدت فى الخفاء .

وهنا أبين الدور اليهودى فى سياسة الفاتيكان والذى من خلاله تتضح التدخلات الصهيونية فى السياسة الفتيكانية ، فالكردينال الذى قدم وثيقة التبرئة لمناقشتها " بالمجمع الفاتيكانى الثانى " كان قسا مغمورا فى " ألمانيا " فاتصل به اليهود قبل ذلك ، ثـــم صعدوه بوسائلهم إلى رئاسة سكرتارية الوحدة المسيحية فى الفاتيكان حتى يتثنى له تحقيق مطالبهم .

فقد ورد فى أحد التقارير الموثوق بها عن مؤتمر " سيلبرج " الذى عقد عام ١٩٤٨ واشترك فيه مسيحيون ويهود أن المؤرخ اليهودى الفرنسى جول ايزاك وضع المقـــررات العشر للمؤتمر .

ومن هذه المقررات استوحى الكردينال " بيا " النص المتعلق بمشروع وثيقة التبرئـــة ويقول التقرير : إن جول ايزاك تعرف فى روما بكاهن ألمانى متواضع كان يؤثر البعد عـــن الأضواء ، ويميل إلى العزلة وهو الذى أصبح بعد ئذ الكردينال " بيا " .

كما جاء فى التقرير أن البابا الراحل " يوحنا الثالث والعشرين " استقبل المـــؤرخ اليهودى جول ايزاك فى حزيران " يونيو " عام ١٩٦٠م وأفسح له مجالا للاتصال بالكرادلـــة المنفذين ، وأحال الى الكردينال " بيا " مقترحاته ومقترحات " جول ايزاك " بشأن تحسين

---

(١) سورة الحشر من الآية ١٤ .

الروابط بين المسيحية واليهود [١]

بقى أن نعلم أن الذى قدم مشروع الوثيقة هو رئيس سكرتارية الوحدة المسيحية فى الفاتيكان وهو الكردينال " بيا " .[٢]

وكان تحرك الصهيونية إلى القطاع الكاثوليكى مرحلة ضمن المراحل فى خطتها ، فبعد تحريكها للحركة البروتستانتية واحتوائها بعد كثرة أتباعها ، وضمان وقوفها فى صف اليهود إتجهت إلى الكاثوليك بكل الوسائل كى يقفوا فى صفها " فقد عقد فى الولايات المتحدة الأمريكية مؤتمر لرجال الكنيسة البروتستانتية عام ١٩٤٤م .

واتخذ مقررات لصالح اليهودية العالمية ووقع عليها نحو خمسة آلاف كاهن بروتستانتى واستغل اليهود هذه المقررات ليضعوا على كاهل الشعب الأمريكى وحكومته تبعة المشاركة الماسة لبريطانيا فى الجريمة الكبرى التى كان إنشاء إسرائيل حلقة واحدة متوسطة لا غير من حلقاتها المتتابعة .

وبعد أن ضمنت الصهيونية القطاع البروتستانتى من العالم المسيحى ، واستنفذت كثيرا من طاقاته لمصلحتها ، عمدت إلى القطاع الكاثوليكى ، فشكلت الجمعيات اليهودية فى شتى بقاع العالم ودست يهودا متنصرين على الكهنوت الكاثوليكى ، ثم ألقت بثقلها على أبواب الفاتيكان تدقه بعنف وإصرار ، وهى تحاول جاهدة أن تفتحه لإسرائيل تمهيدا لاعتراف الفاتيكان بها ، وما يمثله هذا الإعتراف من قوة أدبية ضخمة لإسرائيل والصهيونية فى كافة أنحاء العالم .[٣]

وخطوات باباوات الفاتيكان منذ الستينات فى القرن العشرين للميلاد تتجه نحو خدمة السياسة الصهيونية وتمهد للإعتراف بالكيان الصهيونى الاستعمارى فى قلب بلاد الإسلام .

الزيارة البابوية لفلسطين

تحرك " بابا روما " لزيارة فلسطين ، وتوجه لتكريم الصهاينة المعتدين ، ولم تتلهف إسرائيل على هذه الزيارة حبا فى صاحب القداسة ، وإنما لما وراء مجئ البابا من مباركة

---

(١) الصهيونية فى الستينات " الفاتيكان واليهود " صـ ٣٥ .
(٢) يراجع المرجع السابق صـ ٢٩ .
(٣) المرجع السابق صـ ٨ .

للعدوان الصهيونى ، وهذا ماشهد به الكاتب المسيحى د / وليم سليمان بقوله :

ففى مستهل عام ١٩٦٤م قام " البابا بولس السادس " بأول زيارة يقوم بها عاهل الفاتيكان لفلسطين ، وأعلنت دوائر الفاتيكان أن هدف الزيارة دينى بحت ومهما تكن وجاهة هذه الأسباب ، فإنه مما لاشك فيه أن للزيارة آثارا بالغة المدى .

" فالبابا " يزور دولة لم تعترف بها الفاتيكان وسوف يستقبله رئيسها ووزراؤها بالترحيب وكان من الطبيعى أن تستغل كل أجهزة الصهيونية هذه الزيارة إلى أقصى حدود الاستغلال .[1]

فهى فى الواقع اعتراف بالكيان الصهيونى ، ومباركة بابوية لعدوان الصهيونية مهما قيل فى شأنها من أسباب وهى امتداد لخط اللقاء بين اليهود والمسيحيين ، الذى بالرغم من حدوثه وقرب عهده واصل امتداده حتى وصل إلى المجاملة على حساب الدين وهو ماقام به " يوحنا بولس الثانى " من زيارته لكنيس يهودى " بروما " وأدائه الصلاة فيه ، ثم مخاطبته اليهود بأحبائه الأعزاء وإخوته الكبار بالإيطالية حينا وبالعبرية أحيانا مثنيا عليهم ، معربا عن أسفه العميق للإهانات،والاضطهادات والعزل الذى تعرضوا له عبر القرون ، وبعد استنكاره لجرائم النازية ولمعاداة السامية ، وضح أن الفاتيكان قد دحض رسميًا إتهام اليهود بالمسئولية عن دم المسيح عليه السلام،وتبرئة اليهود من دم المسيح مسألة تخص النصرانية وأتباعها وأثرها على النصرانية باق مابقى فرد من أتباع عيسى عليه السلام.أما معاداة اليهود ، وتعذيبهم المبالغ فيه فقد وقع على أيدى مسيحيين لابأيدى مسلمين ، فإن أراد المسيحيون أن يكفّروا عن أخطاء إخوانهم فى الملة والعقيدة فلهم ذلك من مالهم الخاص ومن أرضهم وأوطانهم أما أن يُحمّلوا المسلمين أخطاءهم ويعاونوا اليهود فى إقامة دولة لهم فى بلاد الإسلام وعلى أرض المسلمين ثم يتباكون على ما أصاب اليهود من عدوان فى الماضى فهذا مالا يقبله منطق العدالة ولاتقره رسالة سماوية وإن باركته البابوية .

ونحن المسلمين نود من " البابا " وهو الأب الروحى للنصارى أن يربأ بنفسه وبمنصبه أيضا عن السقوط إلى هذه الدرجة فيضع اليهود فى كفة المظلومين دائما بينما هم فى الواقع الظالمون أصحاب مذبحة دير ياسين وماتلاها من إرهاب ، وقتل للأبرياء ، وتشريد لعرب فلسطين من وطنهم وديارهم .

---

(١) الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية صـ ٨٨ .

ولشدة وثوق الصهاينة من أن البابوية لاتستطيع أن تخالف إرادتهم ، ولما بـدا من البابا " يوحنا بولس الثانى " ما يؤكد ذلك ، عقب حاخام روما اليهودى على " البابا " بقوله :

" إن عودة اليهود لأرض الميعاد حق يجب الإعتراف به كما أن الإعتراف بإسرائيل يعزز دورها الذى لاخلاف عليه بأنها الخلاص الذى وعد به الرب ، وهى مسألة لاتقبـل الإنكار " .

واختتم كلمته بتوجيه الدعوة " للبابا " للقيام بعمل مشترك لمحاربة الإرهاب وأعداء السامية ، والسعى لحرية اليهود الدينية فى الإتحاد السوفيتى .[1] ، فمن هم الإرهابيون ؟ ومن الذى يحدث الإرهاب ؟ لعلم " البابا " بالجواب لم يكلف نفسه بسؤال الحاخـام اليهودى عن تحديد الإرهابيين .

ومنذ الإحتلال الصهيونى الإرهابى لفلسطين ، والعلاقات بين الفاتيكان واليهود تزداد ارتباطا وتوثيقا فقد حكى أن البابا يوحنا الثالث والعشرين مر بسيارته يوم سبـت بجوار كنيسى يهودى " بروما " وتصادف مغادرة اليهود للكنيسى فى تلك اللحظـة فمد " البابا " يده من نافذة السيارة ومنح بركته لليهود الخارجين من الكنيسى وعلـق كبير حاخامى روما على هذه البادرة وهو يرويها بقوله : (إن يهود روما يعرفون أن ذلك لم يحصل من قبل[2] .

وحقا لم يحدث هذا الإتجاه الجارف تجاه اليهود من قبل ذلك ، فتدعيم البابوية للصهيونية وتحريك الصهيونية للبابوية من أجل خدمة أهدافها العدوانية أمر حديث وجديد حتى فى بداية القرن العشرين كانت البابوية تتخذ قرارها بمعزل عن التأثير اليهـودى ويدل على ذلك أن " البابا " بيوس العاشر جاهر برأيه فى اليهود عند مقابلة هرتـزل لنيافته .

هل أخطأ البابا " بيوس العاشـر " ؟

لقد طلب " هرتزل " مؤازرة الفاتيكان بشأن اقتراح " هرتزل " منح الأراضـى المقدسة وضعا إقليميا خاصا تمهيدا لتحقيق الأهداف الصهيونية ، وذلك فى ٢٥/١٢/١٩٠٤م أثناء لقائه بالبابا وكانت إجابة " البابا " واضحة حيث وضع النقط على الحـروف

(١) مجلة الأمة (العدد التاسع والستون ـ السنة السادسه) ص ٨٧ تحت عنوان (شئون العالم الإسلامى ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

(٢) الصهيونية فى الستينات (الفاتيكان واليهود) صـ ٢٦ بايجاز .

وبدون مواربة ، أو مجاملة قال البابا " بيوس العاشر " :

هناك احتمالان : " إما أن يظل اليهود محتفظين بمعتقدهم ينتظرون مجئ المسيح والمسيح عندنا قد جاء وتمت بعثته للبشر ، وفى هذه الحالة نعتبر اليهود منكرين للاهوت يسوع المسيح ولامجال هنا لمساعدتهم فى فلسطين هذا هو الوجه الأول .

والآخر أن يذهبوا إلى فلسطين شعبا بلادين بالمرة وفى هذه الحالة نجد أنفسنا فى مجال أضيق وغير مستعدين لمؤازرتهم ومعلوم أن الدين اليهودى هو أساس ديننا ، ولكن الدين اليهودي قد جاءت عليه تعاليم المسيح وحلت محله ولهذه العلة فليس من الممكن أن نقدم اليوم لليهود من المساعدة أكثر مما فعلنا من قبل والذين أنكروا المسيح من اليهود ولم يعترفوا به مازالوا على هذا الإنكار حتى اليوم ، وهنا أجاب " هرتزل " : إن النكبات والإضطهادات لم تكن فى اعتقادى خير وسيلة لإقناع قومى بما يكرهون .

وهذه العبارة استفزت قداسة " البابا " فحمى دفاعه عن وجهة نظره وقال لهرتزل : إن سيدنا يسوع أتى إلى هذا العالم ولاقوة له ولاسلاح فقد جاء فقيرا من حطام الدنيا وهو لم يضطهد أحدا وإنما هو الذى تعرض للإضطهاد وتخلى عنه الناس وسلطانه على الأرض لم يظهر إلا بعد انقضاء رسالته .

ولم يقم للكنيسة كيان إلا بعد مضى مالايقل عن ثلاثمائة عام على تأسيسها وقد كان بوسع اليهود خلال تلك الفترة أن يقبلوا رسالة المسيح فلم يقبلوها ورفضوها ومازالوا يرفضونها حتى هذه الساعة .(١)

هذه إجابة " البابا " وحديث هرتزل معه لم نختصر منه شيئا وكان رأى اليهود فى هذا الموقف البابوى الغير مجامل لهم ماذكره هرتزل بقوله :

إن البابا بيوس العاشر إمتعض منى لانى لم أقبل يده عند اللقاء ولو كنت قبلتها كما فعل " كونت لباى " (الذى رتب للمقابلة) ولما كان قداسته ذهب المذهب الذى صدر عنه .(٢)

فهرتزل مؤسس دولة الصهيونية اعتبر مجرد تقبيل يد " البابا " كاف ليغير الحبر الروسى أراءه ومبادئه ، وهمز بأنه لم يرتب للمقابلة ، ووضح بهذا رأى اليهود على لسان

---

(١) المرجع السابق صـ ٨٤ ، ٨٥ .
(٢) المرجع السابق صـ ٨٥ بتصرف .

زعيمهم ، فما رأى المسيحيين وبالأخص قادة الكنيسة فى موقف " البابا بيوس العاشر " إن كان صوابا وهو مانعتقده فلماذا جاء " باباوات " النصف الثانى من القرن العشرين واتخذوا مواقف مخالفة لما صنع ، وإن كان خطأ فليخبرونا بخطأه ، وعلى كل حال فالأمر بالنسبة لنا أتباع محمد " صلى الله عليه وسلم " واضح لاغموض فيه والقرآن الكريم كشف الغطاء ، وبين أن بعض اليهود أولياء لبعض النصارى والعكس صحيح (يا أيها الذين أمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدى القوم الظالمين) .[1]

البابوية الحديثة تعمل لحساب إسرائيل

بدء من يوحنا الثالث والعشرين ، والبابوية الحديثة تتخذ مواقف مؤيدة لليهود ومخالفة لتعاليم الأناجيل ، وضاربة عرض الحائط بآراء من سبق من إخوانهم من الباباوات كما حدث بالنسبة للبابا " بيوس العاشر " الذى لم يوافق الصهاينة فى مطالبهم العدوانية وبين أنهم مازالوا أعداء للسيد المسيح عليه السلام و " لجريدة المسلمين الدولية " رأى خاص بما جد على البابوية أنقله بنصه بسبب مايحتوى من معان لها تأثيرها :

لم يكن وصول الكاردينال البولندى إلى كرسى البابوية من قبيل الصدفة بل كان نتيجة لخطة مدروسة ومدبرة ، خاصة وأن البابا " يوحنا بولس الأول " لم يمكث فى منصبه سوى ٣٤ يوما مات بعدها فجأة حقيقة أن لكل أجل كتاب وأن الأعمار بيد الله ولكن موته أثار وقتها تساؤلات الكثيرين ، فالرجل كان فى صحة جيدة ، وكان مملوءا حيوية ونشاطا وهو يلوح لمهنئيه من شرفة كنيسة " القديس بطرس " ، ومنذ الأيام الأولى لتوليه أعلن عن نيته فى التغيير من الداخل وعن مشروعات إصلاحية أخرى ، ولكنه مات بعد أقل من خمسة أسابيع من يوم جلوسه على كرسى البابوية ، وهكذا جاء بعده " البابا " البولندى " يوحنا بولس الثانى " وهو ثانى " بابا " أجنبى فى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية يتولى حكم الفاتيكان .

وأدهش " البابا " الجديد الناس ، بهمته ونشاطه حين أخذ يزور دول العالم واحدة بعد أخرى .

" فالبابا " حين يبذل جهده للتصدى للمد الإسلامى ، فهو بهذا يؤدى خدمة جليلة لإسرائيل وقد بات دوره مكشوفا حين توثقت علاقاته بالقادة الإسرائيليين ، وكثر

---

(١) سورة المائدة الآية ٥١ .

اجتماعه بممثلى الجاليات اليهودية فى العالم ، بل إنه خرق تقاليد الفاتيكان بقيامه مؤخرا بزيارة معبد يهودى فى روما .

وقد قوبلت هذه الزيارة - بالطبع - بكل ترحيب من المسئولين الإسرائيليين وأعرب أحدهم عن أمله فى أن تكون خطوة تمهيدية للإعتراف " الرسمى " بإسرائيل وفى الحقيقة أن البابا " يوحنا بولس الثانى " جىء به إلى الفاتيكان ليكمل الشوط الذى بدأه البابا " يوحنا بولس السادس " صاحب الوثيقة المشهورة الذى برأ فيها اليهود من دم المسيح مناقضا بذلك عقيدة المسيحيين .

ولهذا ليس غريبا أن تكون قنوات الاتصال سالكة بين " بابا " الفاتيكان وبين قادة إسرائيل ، أو أن يكون أول " بابا " فى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية يزور معبدا يهوديا .(1)

" مؤتمر بازل الجديد " صورة حديثة للتحالف

انعقد المؤتمر الأول للحركة الصهيونية فى مدينة " بازل " بسويسرا عام ١٨٩٧م وفى الفترة من ٢٧ - ٢٩ أغسطس ١٩٨٥م انعقد " مؤتمر بازل الجديد " بحضور أكثر من ٦٠٠ من القيادات الصهيونية المسيحية قدموا من ٣٧ دولة ، كما حضر أكثر من العدد المذكور من المراقبين ، قدموا من الصين والهند وسريلانكا ونيجيريا وجنوب افريقيا واليابان وساحل العاج وزائير وقصة هذا المؤتمر تبدأ من الوقت الذى رفض فيه المجتمع الدولى قرار حكومة إسرائيل باعتبار القدس (عاصمة موحدة أبدية لها) واحتجاجا على موقف إسرائيل نقلت عدة دول سفاراتها من " القدس " إلى " تل أبيب " .

وفى ذلك الوقت هبت المسيحية تؤيد إسرائيل فى موقفها وتتحدى الدول الساخطة على العدوان الصهيونى الصارخ فكونت منظمة من ٣٣ دولة أطلقت عليها إسم (السفارة المسيحية الدولية) وحدث هذا فى نهاية سبتمبر عام ١٩٨٠م حيث اجتمع أكثر من ألف رجل مسيحى فى مؤتمر بمدينة القدس المحتلة وكأنهم يعلنون على الملأ رضاهم عن احتلال القدس ووقوعها فى أيدى الصهاينة واستمر نشاط السفارة فى خدمة إسرائيل بصور متعددة وأبرز نشاط لها ظهر حديثا " مؤتمر بازل الجديد " ١٩٨٥م .

(1) المسلمون (العدد الثالث والستون - السنة الثانية ص ٩ تحت عنوان (رأى المسلمون) ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

أهم قرارات مؤتمر بازل الجديد ١٩٨٥م.

صدرت قرارات مؤتمر بازل الجديد ١٩٨٥م متناولة مجموعة من القضايا الرئيسية وخصوا مقدمتها بإسرائيل وهى :

١ ـ الضغط بإتجاه مزيد من الإعتراف الدولى " بإسرائيل " كدولة لليهود ودعم عمليات تجميعهم من شتى أنحاء العالم ، وخصوصا من الإتحاد السوفيتى ، لاستيطان الضفة الغربية وغزة ، وتكملة المشروع الصهيونى الممتد من الفرات إلى النيل ، تحقيقا للنبوءات التوراتية .

٢ ـ مطالبة جميع الدول والمؤسسات الدولية الحكومية والخاصة فتح أبوابها كاملة للمشاركة الإسرائيلية ، وعلى الدول الصديقة الإنسحاب من هذه التجمعات إذا ماطردت منها " إسرائيل " .

٣ ـ مطالبة جميع الأمم بالاعتراف " بالقدس " عاصمة موحدة وأبدية " لإسرائيل " وبالتالى نقل سفاراتها إليها .

٤ ـ إدانة كل أشكال اللاسامية ضد اليهود .

٥ ـ مطالبة الدول الصديقة بالإمتناع عن تسليح العرب بما فيهم مصر .

٦ ـ تشجيع أطروحة توطين الفلسطينيين (يسميهم المؤتمر اللاجئين من " إسرائيل ") فى الوطن العربى ، وتوفير العدالة للاجئين اليهود العرب فى " اسرائيل " .

٧ ـ دعم ومساندة الإقتصاد الإسرائيلى وإنشاء " صندوق استثمار مسيحى دولى " لهذه الغاية مقرة فى أمستردام وبرأس مال مبدئى قدره مائة مليون دولار ، ويخصص للصناعات التقنينية والسياحة فى "إسرائيل " .

٨ ـ مطالبة العالم بعدم الإنصياع لأنظمة المقاطعة العربية " لإسرائيل " .

٩ ـ تعبئة الكنائس لنصرة " إسرائيل " وإنشاء تنظيمات بجذور شعبية لهذه الغاية ومطالبة مجلس الكنائس العالمى بالإعتراف بالربط التوراتى بين الشعب اليهودى وأرضه

الموعودة ودولته "إسرائيل" .

١٠ ـ الصلاة انتظارا للمجيء الثاني للمسيح ومملكته القادمة في القدس[1] .

إسرائيل وتغيير نوعية الصـراع

لم تتوان الصهيونية في تسخير الدين لتحقيق ماتريد وهى فى صراعها مع الأمـة العربية استطاعت أن تحرك المشاعر وتغير المواقف فبدلا من أن يكون صراعها مع الفلسطينين أصحاب الأرض نقلته إلى دائرة القومية العربية حتى لاينال المطرودون من الأرض عطـف العالم من ناحية ، ومن ناحية أخرى ليثبت للعالم أنها أمام قومية عربية تريد أن تبتلعها ووصل الأمر إلى مانخشاه فصارت صورة الصراع بين العرب وإسرائيل قومية عربية فى مواجهة قومية يهودية مع الفارق الكبير فى ميدان العمل بين قومية عربية مفككة ، لم تجعل للدين نصيبا فى حياتها ، وبين قومية يهودية قائمة أصلا على الدين تستغل الدين فى كل حركة تقوم بها ، مما دعا الدكتور / وليم سليمان الى أن يقول :

وهكذا تبرز مرة أخرى المهارة الصهيونية فى استخدام الدين لخدمة أغراضهـا فعلى الرغم من أن الصهيونية حركة علمانية سياسية ، فإنها استعملت لمساندة مخططاتها كل حجة وفى المقدمة تأتى الفكرة التى يتلقاها القارئ السامى لأسفار "العهد القديـم" بخصوص عودة اليهود إلى فلسطين ولكن إذا كان معقولا أن ينجح الصهيونيون فى إقناع باقى اليهود بعبارات من كتبهم ، فكيف يستطيعون أن يكسبوا تعاطف الأمريكيين من غير اليهود الذين ترفض معتقداتهم الدينية استمرار اليهودية وبعث كيانها ؟.[1]

وبالرغم من طول السؤال جاءت الإجابة المختصرة والدقيقة من طارح السؤال حين قال :

هنا يبرز دور الدولار ، يحرك المنظمات الدينية العالمية ويتحكم فيها ولقد شهدت الستينات من هذا القرن أكبر مد صهيونى استطاع أن يحصل من الهيئات المسيحية على قرارات ومواقف عديدة كانت فى النهاية رصيدا أضيف لحساب الصهيونية وعدوانها فى فلسطين.[2]

ويستمر الدكتور / وليم سليمان فى كشف الأقنعة اليهودية بالحقائق التاريخيـة محللا مدى تأثير القرارات المسيحية المؤيدة للصهيونية على ضياع الحق العربى فى فلسطين وتدعيم الباطل قائلا :

والمسألة واضحة نعم لقد تعرض اليهود للإضطهاد منذ قرون عديدة ، وفى القرن

---

(١) الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية صـ ٨٢ ، ٨٣ .
(٢) المرجع السابق صـ ٨٣ .

العشرين ولكن أين تم هذا كله ، إن التاريخ والكتاب المناصرين للصهيونية أنفسهم يشهدون بأنه على امتداد الدولة العربية منذ نشأتها وفى أبعد أقاليمها بالأندلس كان لليهود مكانهم المحفوظ بين المواطنين .

مسرح " الجيتو " والتعذيب والذبح كان فى أوربا وهنا تبرز حقيقة جديدة أن " الجيتو " والإضطهاد والمطاردة مضى زمانها وأصبح هتلر خبر يروى عبرة وقصصا فى أكبر دول العالم وبدأ وضع مغاير تماما لما سبقه اذ تعرض شعب لم تصدر عنه إساءة لليهود لاعتداءات رهيبة على أرضه وحياته .

فهل يتصور فى هذه الظروف الجديدة أن يكون الحديث عن اضطهادات اليهود فتصدر القرارات التى تشجب معاداة السامية وتحض على العناية باليهود دون أدنى إشارة للأرض المغتصبة والشعب المعتدى عليه ، فإذا صدر مثل هذا القرار وسط هذه الظروف الجديدة فماذا تكون آثاره .

إنه أولا — يعطى تبريرا لما يقترفه اليهود فما يحصلون عليه اليوم هو أقل تعويض عما حاق بهم طوال القرون الماضية وأين مايصنعونه اليوم ماحدث لهم على أيدى القياصرة والملوك والنازيين .

وهو ثانيا — يصور دفاع العرب عن أرضهم على أنه داخل فى نطاق معاداة السامية واضطهاد اليهود .

وهو ثالثا — يحفز كل صاحب سلطة أن يتخذ موقفا محددا لتأييد الضحايا اليهود فى مواجهة أعدائهم .

وفوق هذا كله ، يفاجأ القارئ للقرارات المؤيدة لليهود بلهجة غريبة هى لهجة المجرم الذى يقر دون تحفظ بذنبه ، ويعترف بأنه طوال قرون عديدة كان يأثم فى وحشية ضد أنقى عناصر البشرية وأكثرها براءة ورحمة .

ونحن لانريد أن نحلل الظروف التى بسببها ظهرت معاداة السامية ، وما مدى مسئولية اليهود والأوربيين فى هذا الصدد ، ولكن الذى نتساءل عنه هو لماذا تصدر مثل هذه القرارات اليوم بالذات .[1]

---

(١) المرجع السابق صـ ٨٣ ، ٨٤ .

ولماذا تقف المنظمات الدينية فى جانب الصهيونية ؟ لقد استطاعت إسرائيل أن تجعل من نفسها ركيزة للاستعمار العالمى وركيزة للتبشير خاصة ، وأدى نفوذها المالى دوره الهام فى التأثير على البابوية .

سلطان المال اليهودى

للمال بريق عند كنازه يلهيهم عن الحق واتباع العدل وأدركت الصهيونية بمعاييرها المادية مدى حب الرهبان للمال من قديم الزمان ، ومن ثم كان المدخل إلى قلب المسيحيين عن طريقه .

" فمن الأمور المعروفة المشهورة أن الفاتيكان قوة اقتصادية فى العالم وطبقـا لإحصاءات هيئة الأمم المتحدة يملك ثروة تبلغ مائة ألف مليون دولار ويأتى فى المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة وروسيا والرقم الذى تشير إليه إحصاءات الأمم المتحدة فيمـا يتصل بثروة " الفاتيكان " مجرد معلومات بنيت على ماهو ظاهر من أملاكه ونشاطه واستثمارات هذه الثروة منتشرة فى جميع أنحاء العالم ففى إيطاليا مثلا أقامت أموال الفاتيكان شركة العقارات الضخمة ، وشركة السكك الحديدية لجنوب إيطاليا ، وشركة ادرياتيك للملاحة فى البندقية وبيوتا مالية أخرى تمثل أقوى وأضخم رؤس الأموال فى إيطاليا .

وللفاتيكان أملاك كبيرة فى سويسرا وهولندا وفرنسا وفى شركات أخرى نمساوية وإنجليزية وألمانية وفى أمريكا اللاتينية يسيطر بالتعاون مع رأس المال الوافد من الولايات المتحدة إلى هناك والذى تحمى استثماراته سياسة الدولة الأمريكية بكل قواها الحربية والسياسية ، يسيطر على أغلب المصانع والبنوك والشركات الكبرى إلى جانب أراض واسعة معفاة من الضرائب فى أغلب دول أمريكا اللاتينية .[1]

ولما كان " مجلس الكنائس العالمى " مكون معظمه من الكنائس البروتستانتية ثم الكاثوليكية ، ومعظم هذه الكنائس بأمريكا وإنجلترا وألمانيا الغربية ومصادر تمويل المجلس تأتى من هذه الكنائس والجزء الأكبر منها يأتى من كنائس أمريكا .

---

(١) الأهرام الإقتصادى د . الطاهر أحمد مكى صـ ١٧ تحت عنوان الفاتيكان قوة إقتصادية فى العالم . أول مارس ١٩٦٥ م .

ومن الثابت أن الرأسمالية الأمريكية والصهيونية العالمية تجمعهما رابطة عضوية واحدة كما أنه من الحقائق الواضحة أن النشاط المالى " للفاتيكان " ، وتمويل " مجلس الكنائس العالمى " واقع تحت سيطرة الرأسمالية العالمية والحركة الصهيونية وهذا هو السر فى عطف المنظمات المسيحية العالمية على اليهود ودولة إسرائيل المزعومة ، حتى وصل الحال بالإسرائيليين أن يجعلوا من أنفسهم حماة للمسيحيين فى الصورة وفى الوقت نفسه هم يتهيأون لمزيد من العدوان على العرب .

وبعد أن ذكرت أهم الركائز التبشيرية ، وأشرت إلى خطورتها على العالم الإسلامى ، وبينت أن الصهيونية . والرأسمالية الأمريكية ، والسياسة الاستعمارية ، والدولة الفاتيكانية قد اجتمعوا سويا كقوة موحدة لمجابهة المسلمين فى كل مكان ، الأمر الذى يحتم على كل مسئول فى أرض الاسلام أن يتحرك لمقاومة هذه الركائز التى ظهرت آثارها الضارة فى أمة الاسلام . كما سنتحدث عنها بعون الله تعالى فى الباب التالى :

الباب الثالث

آثار التبشير في العالم الإسلامى

ويحتوى هذا الباب على ثلاثة فصول :-

١ - الفصل الأول :-
ظهور النزعات الجنسية ، والقومية .

٢ - الفصل الثانى :-
نماذج من آثار التبشير فى بلاد الإسلام .

٣ - الفصل الثالث :-
تسرب الفكر التبشيرى فى الثقافة الإسلامى .

الفصل الأول

ظهـور النزعات الجنسية ، والقوميـة

ظهرت النزعات الجنسية ، والقومية في أرض الإسلام كأثر من آثار التبشير ، فقـد ساهمت مدارس الغرب التبشيرية ومؤسساته في تعليم هذه النزعات ونشرها ، وبلغ مـن تأثيرها على الأمة الإسلامية أنها كانت تصنع عقول بعض شباب الإسلام بعد وضعها في قوالب خاصة وأطر معينة ثم تصب فيها الأفكار المدمرة فإذا تأكدت من تشكيلها علـى ماتريد أوحت إلى ساسة الاستعمار بأسماء هؤلاء ليكون منهم قادة المسلمين في جميع ميادين الأعمال في أقطار الإسلام وليقوموا بدور التبشير وبث أفكاره وقد تمزقت دولة الخلافة الإسلامية من هذا الطريق بعد أن كانت أمة الإسلام شامخة بوحدتها متآلفة بترابطهـا وظلت أكثر من ألف عام تعلم أن وحدتها منقذة لها من الضياع فجمعت مختلف الألوان والأجناس تحت لواء الإسلام وكانوا جميعا لايرضون به بديلا ولا يرفعون أمامه نسـبا أو جنسـا حتى فاجأهم الفكر التبشيري الغربي بكل مايهدم بنيانهم من أنواع الجنسيات والعصبيات والأقليميات المتعددة والمختلفة ليعودوا إلى الجاهلية بعد أن نجاهم اللـه منها بالإسلام الذي محا النزعة الجنسية وأمات الشعوبية والقبلية .

لكنّ الغرب في العصر الحديث يريد الكيد للإسلام ويتربص بأهله الدوائـر فواجههم بأسلحة التجزئة ، وصنع بيده الحدود والفواصل بين أقاليمهم ولم يكتف بذلك فجابه كل بلد بشعوبية حديثة وهم في غفلة من أمرهم فجاء إلى مصـر مغـرقا من باب الفرعونية ، والحضـارة القبطيـة وإلى لبنان من باب الفينيقية ، وإلى بلاد المغـرب الإسلامي من ناحية البربر .

ثم أدخل على بلاد الشام شعوبية عنصرية بغيضة جمعها من الشتات وزرعهـا في قلب بلاد المسلمين وفي الوقت نفسه ساق إلى أمتنا القوميات القائمة على التعصب والتحزب ، قوميات قوامها البغضاء والشحناء فزاد أمة الإسلام فرقة وصار حال المسلمين إلى مانشاهده اليوم من التحلل والانفصام والتأخر وغير ذلك مما يندى له الجبين .

وكان للفكر التبشيري الغربي الريادة والأثر المباشر في استمرار هذه النزعات بعـد بعثها في صفوف المسلمين وهو يريد لأمة الإسلام أن تتلاشى وتذوب ، وهذا مابدى يظهر ويلوح في الأفق وإن كنا نأمل الخير لهذه الأمة ونطمع في نجاتها من هذا الطوفان المدمر فلاأقل من أن نعرض هذا الجانب من زاوية إسلامية لنتدارك مافاتنا ونجمع شملنا .

١ ـ النزعات الجنسية

جاء الإسلام دينا قيما يصلح حياة البشرية جمعاء وكمل بإرسال خاتم الأنبياء والمرسلين محمد " صلى الله عليه وسلم " وكان خطابه للناس كافة بلسما شافيا للنفس الإنسانية قاطعا الطريق على كل من يتعالى بجنسه أو لونه ، أو يفتخر بقبلياته ، داعيا الناس إلى التآلف والتعارف أيا كانت مشاربهم : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) (١) .

وأفاض النور النبوى الكريم فى ضوء هذه الآية الكريمة فكان نورا من النور السامى يضيء الطريق للجميع بلا استثناء فعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن ربكم واحد وأباكم واحد فلا فضل لعربى على أعجمى ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى (٢) " ، وروى البزار بنحوه إلا أنه قال : إن أباكم واحد وإن دينكم واحد أبوكم آدم وآدم خلق من تراب . (٣)

" فجميع الناس فى الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهى طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله " صلى الله عليه وسلم " (٤) ، وفى تفسير قول الله تعالى : " وجعلناكم شعوبا وقبائل " .

يقول الإمام الألوسى : الشعوب جمع شعب بفتح الشين وسكون العين وهم الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد ، وهو يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر والعمارة بفتح العين وقد تكسر تجمع البطون ، والبطن تجمع الافخاذ ، والفخذ تجمع الفصائل (٥)
ويقول ابن عباس رضى الله عنهما فى ذلك :

الشعوب الجماع ، والقبائل البطون ، بطون العرب ، والشعب ماتشعب من قبائل العرب والعجم وكل جيل شعب (٦) فليس هناك شرف للعرب إلا باعتبار الخصال

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى المتوفى سنة ٨٠٧ بتحرير الحافظين الجليلين : العراقى وابن حجر جـ٨ صـ ٨٤ (كتاب الأدب ـ باب لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى نشر مكتبة القدسى بالقاهره سنة ١٣٥٣ هـ .
(٣) المرجع السابق وفيه : رجال البزار رجال الصحيح .
(٤) تفسير القرآن العظيم " لابن كثير " جـ ٤ صـ ٢١٧ .
(٥) روح المعانى جـ ٢٦ صـ ١٦٢ .
(٦) لسان العرب المجلد الأول صـ ٥٠٠ (فصل الشين ـ حرف الباء) باختصار .

الحميدة ومكارم الأخلاق فإن هم ابتعدوا عن ذلك فسواهم أفضل منهم ومن الأعاجم من فاق في المعالى كثيرا من العرب وفى مقدمتهم سلمان الفارسي الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في منزلة آل بيته فقال " صلى الله عليه وسلم " " سلمان منا أهل البيت " (١) والإسلام وجد اتباعه مهما تنائت ديارهم ، وتعددت لغتهم - وجعل رباط أمته العقيدة وحدها (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)(٢) ويوم أن عمل المسلمون بهذه الآية الكريمة ، والتزموا بسنة النبي محمد " صلى الله عليه وسلم " دانت لهم الأرض من مشرقها إلى مغربها وأصبحوا على عدوهم ظاهرين وعز على أعدائهم أن يروهم في هذه المكانة فبدأوا في مخططاتهم من قديم الزمان لإيجاد أنواع من الحزازات وأنماط من الفروق تضعف من قوة المسلمين وتفتت في عضضهم وسنحت لهم الفرصة في نشر هذا اللون من العصبية هذا عربى وذاك أعجمى وهكذا .

بوادر الشعوبية

ظهرت بوادر الشعوبية منذ القرن الأول الهجري واتخذت صورة التشيع الشعوبي بادعاء أن على بن أبى طالب رضى الله عنه أحق بالخلافة من أبى بكر رضى الله عنه " ولعل نقطة البدء هنا من القرن الأول الهجري وبالتحديد سنة ٣٠ هـ ففى ذلك التاريخ ظهرت الدعوة السبئية التي كان يقودها سرا حبر يهودى ماكر اسمه عبد الله بن سبأ ويعرف في كتب التاريخ بابن السوداء وقد كان هذا الحبر الأسود الصنعانى المولد والنشأة قد تظاهر بالإسلام في أواخر خلافة عمر أو أوائل خلافة عثمان أى في سنتى ٢٤ أو ٢٥ هـ ثم أخذ يفكر ويدبر حتى خرج حوالى سنة ٣٠ بهذه الدعاية الواسعة النطاق وهى أن المسلمين من العرب قد غيروا وبدلوا . (٣)

وانتقل هذا اللون الشعوبى إلى العرب والعجم وانتهز الزنادقة ظهور بعض الخلافات بينهما ، فعمقوا جذوره ووسعوا دائرته ، " وأصبح هذا الصراع بادرة للحركة الشعوبية التي ظهرت بوضوح في العصر العباسي الأول " . (٤)

---

(١) قال الحاكم في شأن هذا الحديث (قلت) سنده ضعيف : المستدرك على الصحيحين جـ٣ صـ ٥٩٨ (كتاب معرفة الصحابة - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " سلمان منا أهل البيت " .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٢ .

(٣) المجتمع العربي والإسلامي دكتور / عبد الحميد بخيت جـ٢ صـ ٢١٥ ط (٢) دار مطابع الشعب بالقاهرة ١٩٦٧م ، تاريخ العالم الإسلامي " عصر البناء والانطلاق " جـ١ صـ ١٥٣ د / إبراهيم أحمد العدوى بدون ذكر لعدد الطبعة مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٣م .

(٤) الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما سميرة مختار الليثى صـ ٣٧ بدون عدد للطبعة المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة ١٩٦٨م .

فكانت المشاحنات بين العرب والفرس تزداد نتيجة لبث الفتن بينهما فى العصر الأموى ، وكانت الزندقة صاحبة اليد الطولى فى توسيع شقة الخلاف بينهما ، الذى أدى بدوره إلى ظهور الشعوبية فى صورة الدعوة إلى المساواة بين العرب والموالى والتى تطورت خلال المائة سنة الأولى للعصر العباسى (١٣٢ – ٢٣٢) هـ . . وأطلت برأسها محاولة تمزيق الصف الإسلامى وتفريق التجمع الدينى .

ظهور الشعوبية

ظهرت الشعوبية بصورة ملفتة للأنظار أثناء المائة سنة الأولى للعصر العباسى (١٣٢ – ٢٣٢) هـ ، وسادت نزعات ثلاث فى العصر العباسى المذكور .

النزعة الأولى : تذهب إلى أن العرب خير الأمم .

النزعة الثانية : تذهب إلى أن العرب ليسوا أفضل من غيرهم ولا أية أمة أفضل من غيرها فالناس خلقوا من الطين والتفاضل بينهم بالتقوى .

النزعة الثالثة : تحط من شأن العرب وتفضل غيرهم من الأمم عليهم . [1]

وأصحاب النزعة الأخيرة كانوا ينادون بالمساواة بين العرب والعجم فى الظاهر وإن كان هدفهم التقليل من شأن العرب " وقد أطلق على أصحاب النزعتين الأخيرتين اسم " الشعوبية " وهم الذين يقولون بأنه لافرق بين الشعوب من عرب وغيرهم فى الشرف والخسة " . [2]

على أن هذا اللفظ أطلق فى مفهومه العام على معنى المساواة بين الناس فالشعوب سواء ، فالعرب شعب ، والفرس شعب ، والروم شعب ، وهكذا والقرآن الكريم بين أنَّ جَعْلَ النّاس شعوبًا للتعارف وأطلق لفظة "شعوبا " لتشمل العرب وغيرهم لكن وجد من فسر الشعوب بالعجم ، والقبائل بالعرب ووصل الأمر بالمعادين للعرب أن أطلقوا لفظ "الشعوبية" على الذى يصغر شأن العرب ولايرى لهم فضلا على غيرهم [3] ، وبهذه الصورة " غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر العرب شعوبى " . [4]

وقد انتشر الشعوبيون فى كل مكان وصل إليه الإسلام " ومن الذين لهم الدور البارز فى الحركة الشعوبية " أبو مسلم الخراسانى " ومن أتباعه اسحق التركى ، والمقنع

(١ ، ٢) يراجع ضحى الإسلام أحمد امين جـ١ صـ ٤٩ – ٥٥ ط٩ مطابع الإسلام بالقاهره ١٩٧٧م .

(٣ ، ٤) يراجع لسان العرب المجلد الأول صـ ٥٠٠ .

الخرسانى وكان ظهورهم فى العصر العباسى "[1] ، كما ظهرت الحركات الشعوبيـــــة المتعددة فى هذا العصر ، ومن حاملى راية الشعوبية بالأندلس محمد بن سليمان المعافرى وأبو محمد عبد الله " ابن الحسن المتوفى ٣٣٥هـ " وأبى عامر " ابن غرسية ".[2]

وقد قاوم هؤلاء الشعوبيين أمراء المسلمين وعلماء الدين ووقفوا لهم بالمرصاد ، حتى كشفوا أمرهم للناس وشلوا حركتهم بعد أن انتشر فكرهم ، وكادوا يكونون حجر عثرة فـــى طريق المسلمين ، وجاء العصر الحالى ليشهد شعوبية من لون جديد شعوبية يغذيهـــا الاستعمار الحديث ، ويقوم التبشير ببث أفكارها بين الناس بكل الطرق لإشعال الفـــتن وإثارة القلاقل بين المسلمين لتنكسر شوكتهم ، ويظل بأسهم بينهم شديدا فيتناحـــروا طوائف وأحزابا ، ويتصارعوا فرقا ودولا فيذهب ريحهم ، وينتهى أمرهم ، بعد أن يتحولوا إلى لقمة فى فم أعدائهم .

الشعوبية الحديثة

لما كانت نظرة الشعوبيين فى القديم الحط من شأن العرب وخلق جو من التشاحن بينهم وبين بقية الأمم ، فإن الشعوبية فى العصور الحديثة ركزت على سلب كل مـــيزة للعرب وشوهت كل تقدم للمسلمين فى أى ميدان من ميادين الحياة وسعت بجديـــة لتهشيم كل تجمع إسلامى بأى صورة من الصور " ومن خلال محطات التغريب ، بـــرزت مجموعة من التابعين الذين شكلهم النفوذ الغربى فى ارسالياته ومعاهده ، يحتقرون كل قيم العروبة والإسلام ويعارضون كل مقوماتها ويقفون موقف الاستهانة والغض من قدرها .

وقد تشكل من خلال هذه المضامين المنحرفة مايسمى " بالشعوبية الحديثة "[3] ، وأصحابها معارضون للقيم الإسلامية ، والمفاهيم المستقيمة للقرآن الكريم وسنة خاتم النبيين " صلى الله عليه وسلم " ويعلنون الحرب الشعواء على الإسلام والتاريخ وكتب الـــتراث واللغة العربية التى جاء بها القرآن الكريم فى الوقت الذى يرفعون فيه من شأن الدعوات القديمة البالية فنراهم يمجدون " الفرعونية " والفينقية " ، والعصبية العربية والوثنيـــة اليونانية ، ويعملون على إحيائها فى الأدب والتاريخ وينشرونها بواسطة وسائل الإعـــلام المتاحة لهم .

---

(١) يراجع الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليهما صـ ١٠٧ ـ ١٢٦ .

(٢) رسالة فى الرد على ابن غرسية " نوادر المخطوطات ـ ٣ ـ " تحقيق عبد الســـلام هارون صـ ٢٤٢ ط(١) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهره ١٣٧٣هـ = ١٩٥٣م باختصار .

(٣) الموسوعة الإسلامية العربية (٢) (الإسلام والدعوات الهدامة) أنور الجندى صـ ٢٥٥ ط(١) طبع دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت ١٩٧٤م .

" وتستهدف الشعوبية الحديثة إذابة العرب والمسلمين فى مفهوم زائف وخطير هو مفهوم عالمية الثقافة ، أو منهج الفكر الحر ، وكلاهما فى صياغ الدعوات الهدامة التلمودية الصهيونية " . (١)

والمبشرون وأذنابهم آداة المستعمرين فى نشر سياسة التغريب فى عالم الإسلام ومعاول هدامة فى بنيان الإسلام المتين .

" الشعوبية فى مصر "

المعروف أنه عاش فى مصر منذ سبعة آلاف سنة الفراعنة وكانت لهم حضارة بسادت كما بادت الوثنية ، وكانت الرسالات السماوية مصادر إشعاع يهدى الإنسانية إلى طريق الكمال ومن محتويات رسالة موسى عليه الصلاة والسلام وضمن حدودها دعوة فرعون مصر إلى عبادة الله وحده ، ولما جحد فرعون الدعوة وتعالى عن عبادة الله كانت النهاية الغرق له وكل من تبعه من دعاة الفرعونية ، ومَنَّ الله على المستضعفين فى الأرض ، وخلصهم من العهد البائد ، وجعلهم أئمة .

وأراد المستعمر لمسلمى الكنانة العودة مرة ثانية إلى العهد البائد عهد الظلم والجبروت وحضارة الحجارة ، فدفع بعض مفكرى الأقباط للمناداة بالفرعونية فى كل محفل وهذا ماشهد به محمد جميل بيهم قائلا :
وجد المستعمر بمصر فى القومية الفرعونية أمنيته المنشودة استنادا إلى وجود تاريخ خاص بمصر حافل بالأمجاد سابق للتاريخ العربى ، فدفع بعض المفكرين من الأقباط إلى تبنيها اعتمادا على مادونه الأستاذ " أولبرى " وغيره من الأجانب الداعين إلى هذه القومية . (٢)

وجند الاستعمار كل القوى المتاحة له لبث الفرعونية وانطلقت الصحف السائرة فى ركابه تمجد الفرعونية وآثارها " كما تبرع روكفلر " (*) بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية فى مصر " . (٣)

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٦ .
(٢) العروبة والشعوبيات الحديثة محمد جميل بيهم ص ٩٦٨ بدون عدد للطبعة طبع بيروت ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م .
(*) روكفلر " جون " (١٨٣٩ - ١٩٣٧م) رجل اعمال أمريكى أسس شركة ستاندرد أويل وخصص قسما من ثروته لمؤسسات العلم والفن وخدمات التبشير (المنجد فى العلوم ص ٣١٣ بتصرف) .
(٣) الفكر العربى المعاصر فى معركة التغريب والتبعية الثقافية أنور الجندى ص ٢٤٩ .

وهدف أعداء الإسلام إبعاد مصر عن الإمة الإسلامية وسلخها من عروبتها فأبرزوا المصرية على أساس أنها متصلة بالفرعونية " وكانت الدعوة إلى المصرية هدف إقامة أدب محلى ، وفن فرعونى واحياء التاريخ المصرى القديم فى حلقاته الثلاث الفرعونية - والقبطية - والرومانية واعتبار العرب غزاة كالفرس والترك والإنجليز .

والعمل على تمصير كل شئ : اللغة ، والفكر ، والتاريخ وقد ارتبطت الدعوة إلى الماضى الفرعونى ، ونشرت فى سبيل ذلك أبحاث أخرى لمحاولة اثبات أن المصريين ليسوا من العرب ولامن الشرق ولكنهم من دول البحر الأبيض يرتبطون مع الغرب ومع أوربا فى العقلية والثقافة وتركيب الجمجمة والبشرة .(1)

وإنها لمحاولة مرسومة لطمس ماضى مصر الإسلامى المشرف الذى نعم فيه القبط بالعدل والأمان ، إلى عهد وثنى بائد ومجد زائف " وكانوا يحتالون لرد حياة مصر المعاصرة فى مختلف مظاهرها إلى أصل فرعونى قديم ويدعون بكل صراحة أنه يجب أن تقوم النهضة المصرية على المجد الفرعونى القديم ، مثلما قامت النهضة الأوربية الحديثة على بعث التراث اليونانى والرومانى فى عصور الوثنية السابقة على المسيحية " .(2)

أما عن الوسائل التى يقول بها دعاة " الفرعونية " لإحيائها من جديد فهى تتم من وجهة نظرهم بالرجوع إلى الفن المصرى واللغة المصرية المنفصلة تماما عن اللغة العربية والأدب المصرى يقول محمد محمود الصواف :

وكان مما يقترحه هؤلاء الدعاة من الوسائل إلى خلق هذه الروح المصرية الفرعونية فى النشئ ، هو توجيه المسرح المصرى إلى الناحية القومية ، وجعله مسرحا مصريا روحا وقوة وإنتاجا والعناية بالأناشيد القومية ، وجعلها تصور على قدر الإمكان أمانى المصريين وآمالهم ، والعناية بالآداب الفكهة والأدب الريفى إلى ماهناك من دعوات ووسائل لفرعنة مصر وسلخها عن العروبة والإسلام ، ولاشك أن هولاء الدعاة كانوا يخدمون مصالح الاستعمار بدعوتهم هذه ، وأنهم يريدون أن يقطعوا أوصال البلاد العربية والإسلامية ، ويفصلوا بعضها عن البعض الآخر ببث روح التنافر والتدابر ، والتقاطع بين أفرادها وجماعاتها استدامة للوضع الراهن الذليل الذى كانت عليه تحاشيا من اتحادها مع بقية الأقطار الذى يؤدى إلى قوتها ، وعزتها وتمردها على هذا الوضع(3) .

---

(1) المرجع السابق صـ ٢٥٣ .
(2) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام صـ ١٣٩ .
(3) المرجع السابق صـ ١٤١ .

الشعوبية بلبنـان

لقد سلك التغريب مع لبنان نفس المسلك الذى سلكه مع مصر وبقية بلدان العالـم الإسلامى ، لعزل لبنان عن العروبة والإسلام فقامت مدارس التبشير فى هذا البلد العربى المسلم بنشر فكرة أن منطقة لبنان كان يسكنها الفينيقيون منذ أكثر من ثلاث آلاف مـن السنين وأن أهل لبنان الحاليين متفرعين من هؤلاء فهم لايمتون للعرب بصلة .

" وقد ارتكزت هذه الدعايات على أن اللبنانيين هم أحفاد الفينيقيين القدماء الذين كانوا سكان هذا الساحل قبل أن يأتى العرب وادعت بأنهم تاريخيا ليسوا عربا ، وإنما هم خليط من أبناء الفينقيين ، وأحفاد الإمارات الصليبية " . (١)

وقد حاول الاستعمار الفرنسى أن يغرس هذه الدعايات فى نفوس اللبنانيين بكـل ما أوتى من قوة وقد لفت أنظار المسلمين لهذا المسلك الاستعمارى الصليبى محمد جميـل بيهم بقوله :

منذ احتل الفرنسيون لبنان بعد الحرب العالمية الأولى وعهدت إليهم عصبة الأمـم بالانتداب طمعوا بأن يخلقوا فيه أمة إذا طالبت بالاستقلال فإنما تطالب بالاستقلال عـن العروبة وعن كل شئ يتصل بها ، وطمعوا أيضا بأن يجعلوا من وطننا ذا وجه غربـى إذا تلفت إلى الماضى فإنما يولى وجهه شطر الفينيقية وإذا التفت إلى الحاضر فإنما يتجه بقلبه إلى الغرب عامة وإلى الأم الحنون خاصة ، وذلك على أمل أن يبقى لبنان يـوم تزلزل الأرض زلزالها ضد الاستعمار فى بلاد الشام " يقصدون الاستعمار التركى " ومستقـرا أمينا لهم ومركزا استراتيجيا فى شرق البحر المتوسط وقد استهلت دولة الانتداب عملهـا بتهديم كل مناعة عند المعارضين فأقصتهم عن المناصب المرموقة ، وحرمتهم من المنافـع العامة ، بينما أخذت تباعد بين المواطنين وتنشط الشعوبيات وكاد يبلغ بها الحرص علـى التفريق بين المسلمين والمسيحيين ، وبين السنة والشيعة مُسْتَوى ماتقوم به بمراكش فى صـدد التفريق بين العرب والبربر . (٢)

وانتشرت الدعوات التى تهدف إلى تقسيم " سوريا " وتجزئة دول حوض البحـر الأبيض المتوسط ، وكلها دعوات هدامة تبناها الاستعمار الغربى ، وعمل على نشرها بواسطة

---

(١) الموسوعة الإسلامية العربية ـ أنور الجندى صـ ٢٣١ .

(٢) العروبة والشعوبيات الحديثة صـ ١٦ ، ١٧ .

مؤسساته التبشيرية فى الشرق والغرب حتى رأينا كثيرا ممن يحملون رايات الشعوبية الحديثة فى كل بلد عربى من أولئك الذين تربوا على أيدى المبشرين ، وتحت اشراف هيئاتهم .

الطائفية بلبنان

حين نعود إلى الوراء قليلا نجد أن " التنظيمات " التى أعلنتها الدولة العلية العثمانية كانت أحد العوامل المباشرة التى أدت إلى إثارة الفتن الطائفية فى لبنان لأنها أعطت امتيازات للأقليات التى استغلتها بتشجيع من الدول الاستعمارية التى تريد تقويض دولة الخلافة وهى التى سعت فى أول الأمر واستعملت وسائل الضغط على الدولة العلية حتى استصدرت هذه الامتيازات حتى صار وضع الأقلية أحسن من وضع الأغلبية فى كافة المجالات فظهر التنافر والتنازع بين أبناء الوطن الواحد ، وأدت المؤسسات التبشيرية دورها فى إثارة موجات التعصب بين الموارنة وهم من طائفة الكاثوليك ،والدروز وهم من المسلمين ، ومكن لازدياد التعصب حدة سيطرة محمد على على بلاد الشام فقد كان يرمى فى سياسته إلى ترجيح كفة الموارنة وجعلهم السادة على الدروز المسلمين وبالتالى أدى هذا الأمر إلى التدخل من قبل الدول الاستعمارية ذات المطامع الخاصة .

كما أن محمد على ـ اتباعا للسياسة نفسها ـ أذن للبعثات التبشيرية بالقدوم إلى لبنان وسوريا ، وسمح لها بمباشرة نشاطها فى أثناء حكمه الذى استمر نحو تسع سنوات (١٨٣١ ـ ١٨٤٠م) فكان فى مقدمة الوافدين بعثات " الجزويت " أى اليسوعيين التى بدأت عملها فى عام ١٨٣٣م بعد أن كان متوقفا منذ صادر " البابا " جماعتهم قبل ستين سنة ثم لحقت بها ـ فيما بعد ـ البعثات الأمريكية والإنجليزية .

ولم يكن نشاط تلك الإرساليات قاصرا على الدين ، بل كل منها كانت تمهد لنفوذ سياسى وتعمل على خلق الجو الثقافى المناسب لاستعمار الدولة التى هى تتبعها أو للاستعمار الاوربى بوجه عام .

ولما كانت سياسة " محمد على " رامية لتقوية نفوذ فرنسا وممهدة لاستعمارها لبلاد الشام فقد رأت انجلترا وروسيا أن تقفا فى وجهه ، ورأت انجلترا أن تتصل بالدروز وقد كان ،فاتخذت منهم حلفاء لها وحرضتهم على الموارنة الكاثوليك ، وكان لها فى نفس الوقت غرض دينى وهو أن تقنع الموارنة بأنه لاحماية لهم فى ظل " فرنسا "

ولابد لهم أن يتحولوا من الكاثوليكية إلى "البروتستنتيه" ويعيشوا فى كنف "انجلترا بدلا من "فرنسا" وكان الأمريكيون أيضا يشجعون الإنجليز فى هذا السبيل .(١)

وبهذه الصورة هيىء الجو للفتن ، والأحقاد الطائفية وظل آثارها للآن حربا مدمرة تأكل الأخضر واليابس وتلتهم شباب الوطن ، وينبغى أن ننوه إلى أن هذه الطائفية المدمرة تعدت كل الحدود فهى لاتقتصر على مسلم ومسيحى فحسب بل يظهر تعدد المذاهب الإسلامية فنجد الشيعى والدرزى والسنى ، كما نجد تعدد الطوائف المسيحية الموارنة والروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك والأرمن وفئات مسيحية أخرى والاستعمار يستخدم بعض هذه الطوائف لتحقيق مصالحه .

والمؤسف حقا أن يجد الاستعمار له أعوانا وأنصارا يغرهم الدرهم والدينار وتعميهم العصبية البغيضة فيأخذون المعاول لهدم بنيان أوطانهم بأيديهم .(٢)

ومن هؤلاء الاعوان الآباء اليسوعيون فى بيروت فقد قاد أحدهم حملة استعمارية ضد عروبة لبنان قال الأب اليسوعى :

"أى مصلحة تربطنا بالدول العربية : لبنان ليس عربيا ولم يكن على مر التاريخ عربيا مطلقا لبنان ذو وجه عربى فقط ثم قال : طائفة المسلمين هم الذين يتأثرون بتيارات تأتى من وراء الجبال ووراء البحار وتسمم أفكارهم ومعتقداتهم .

هذه الطائفة هى التى نخاف منها ، هذا ماقاله الأب اليسوعى العميل للاستعمار (٣) ولو فكر أهل لبنان بعقولهم لطرحوا أفكار الاستعمار والتغريب وراءهم ظهريا ، ولأدركوا أن مؤسسات التبشير قد جرت عليهم النكبات بفكرها الموالى للدول الاستعمارية وأن عليهم أن يتناسوا آثار الحروب ، ويبدأوا صفحة جديدة تتمثل فيها رحمة الإسلام فى رسالته الخالدة ورسالة النصرانية الحقة فى دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام كى يعود الأمن والسلام للبنان .

الشعوبية فى سوريا

اتبع الاستعمار الفرنسي مع "سوريا" أسلوبا خاصا وذلك لبسالة شعبها فعقب معركة ميسلون سنة ١٩٢٠م ، تأكد أن روح الإيمان مشتعلة فى قلوب السوريين لم تخمد

---

(١) تباشير النهضة فى العالم الإسلامى أو "الشرق الأوسط فى التاريخ الحديث" ، د / محمد ضياء الدين الريس ص ١٢١ ، ١٢٢ بتصرف .
(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١٨٤ .
(٣) المرجع السابق ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

جذوتها بعد " فوطد الفرنسيون العزم على إخمادها واستئصالها بسياسة التفريق بين الأفراد والجماعات والبلاد ، وبإثارة النعرات الشعوبية ولكنهم كانوا يحاولون عبثا .

وعلى هذا القصد استهل الجنرال " غورو " عمله بتقسيم " سوريا " إلى حكومات متعددة بلغت خمسا فجعل كلا من دمشق وحلب وجبل الدروز واللاذقية والإسكندرونه حكومة مستقلة ترجع كلها في صغائر الأمور وكبائرها ، إلى المفوضية الفرنسية في " بيروت " ونصب على كل من جبل الدروز وبلاد العلويين حاكما فرنسيا كان يحكم حكما مباشرا على سياسة شعوبية هدفها التفريق بينهما وبين سوريا ، والتبعيد بين شعبيهما وبين العرب والمسلمين بينما منح متصرفية الأسكندرونه استقلالا إداريا وامتيازات خاصة وبث فيها روح الخلاف بين العرب والترك حتى كأنه كان يعدها لقمة سائغة لحكومة فرنسا وبالاتفاق مع انجلترا [1] كما ظهرت الحركات المعادية للعرب بل والحاقدة على العروبة والإسلام وأبرزها " حركة أنطون سعادة " في لبنان المنتشرة إلى حد ما في الأردن والإقليم السوري ، وقد جمعت بين الطائفية والعنصرية معا وصاغت نفسها في قالب علماني وحدوي يخدع النظر . [2]

وحل الاستقلال المحلي لسوريا سنة ١٩٤١م ، وكان المنتظر من الحرية الخير " لسورية " ولكن سوريا منيت في عهدها الاستقلالي بشعوبية طارئة لاتزال تعاني منها المشاكل، ذلك أنه أثناء ماكان لبنان يطارد الحزب القومي السوري بعد إعدام زعيمه " أنطون سعادة " [x] ثم بعد أن قتل الحزب السيد رياض الصلح انتقاما منه " لسعادة " فتحت سوريا أبوابها على رحابها لهذا الحزب واعترفت به ، حتى أفسحت له المجال لأن يتمثل في مجلسها النيابي ، وكان من عواقب ذلك أن تغلغل الحزب في أوساط الجيش ، ولاسيما خلال حكم السيد أديب الشيشكلي العسكري ، وأن يتخذ دمشق قاعدة لأعماله . [3]

وخطة الحزب القومي السوري قائمة على التجزئة وإثبات أن العرب متخلفون عن بيئة سوريا ، وتعمل جاهدة على هدم تراث العرب وإحياء تراث الشعوب التي حكمت سوريا قبل كالآشوريين والكلدانيين والبابليين والحيثيين والفينيقيين ، وجاء دور حزب البعث العربي الذي أسسه " ميشيل عفلق " المسيحي وقد ظل هذا الحزب كابوسا

---

(١) العروبة والشعوبيات الحديثة ص ٢٧ بتصرف .
(٢) تطور المفهوم القومي عند العرب أنيس صايغ ص ٩٩ ، ١٠٠ ط(١) طبع دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت ١٩٦١م.
(x) قبض على " أنطون سعاده " في ٢٠ يوليو ١٩٤٩ م وحكم عليه بالإعدام.
(٣) العروبة والشعوبيات الحديثة ص ٣٠ ، ٣١ بتصرف يسير .

جاثما على صدور السوريين ومحطما لآمال العراقيين ، والذى أظهر الشعوبية وفلسف القومية بفكره الخاص فجردها من الدين ، وفرغ كل سمومه فى حزب البعث والذى اعتبره الدكتور كليم صدقى تطورا أوربيا دخل إلينا مستعمرا ثم مسيطرا ثم مبيدا من بـاب القومية .

هذا التطور تم بعض منه بتدخل خارجى تحت ستار فكرة القومية ، والبعض الأخر على يد بعض العرب المحليين ، بدءً من خريجى بيروت التبشيرية إلى القوميين العرب إلى " انطون سعادة " إلى البعث المعاصر لميشيل عفلق طابور خامس صليبى من داخل العرب .[1]

الشعوبية فى العراق

كانت العراق بعد الحرب العالمية الأولى من نصيب الاحتلال الإنجليزى ولقد حاولت لندن منذ احتلالها العراق ، أن تستغل خلافا قديما فيه كان قد نشب بين أهل السنة والشيعة قبل العهد العثمانى وخلاله ولكنها لم تفلح لأن الوطنية البارزة فى الرافدين غمرت كل خلاف بين الطوائف ، وجمعت بينها صفا واحدا ضد الاستعمار فكانت الثورة التى اشتعلت بشدة ضد الإنجليز منذ صيف سنة ١٩٢٠م على أن انجلترا وإن استطاعت فى النهاية ، أن تقمع الثورة ، ولكنها لم تستسلم للعاطفة فى النكاية بالمعارضين شأن فرنسا بسوريا بعد ثورة ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧م وإنما راعت رغبات العراقيين فى الاستقلال فأنشأت دولة لهم رفعت على رأسها الملك فيصل بن الحسين (*) ملك سوريا السابق ، وذلك على أساس معاهدة تعقد بين لندن وبغداد .[2]

وسعت دولة الاحتلال البريطانى فى إثارة الخلاف بين السنة والشيعة ولم تكتف بذلك فاتجهت إلى بث الشعوبية العنصرية لتقضى على كل تجمع للشعب العراقى المسلم مما سبب فى حدوث ثورات طائفية بالعراق " فبرزت ثورة أكراد السليمانية فى سنة ١٩٣٠م .

---

(١) مجلة (المختار الإسلامى) (العدد ٣٧ ـ السنة السابعة) صـ ٣٢ (ندوة عالمية حول : تأثير القومية على الأمة الإسلامية) تحت رعاية المعهد الإسلامى بلندن فى الفترة مابين ٣١ يوليو ـ أغسطس ١٩٨٥) ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .

(*) فيصل الأول (١٣٠٠ ـ ١٣٥٢هـ) = (١٨٨٣ ـ ١٩٣٣م) وهو فيصل بن الحسين بن على الحسينى الهاشمى ، أبو غازى ، نودى به ملكا على البلاد السورية سنة ١٣٣٨هـ ـ ٨/٣/١٩٢٠م) وبعد موقعة ميسلون ٢٤/٧/١٩٢٠م واحتلال الجيش الفرنسى لسوريا رحل الملك فيصل إلى أوربا إلى أن رشح لعرش العراق سنة ١٣٣٩هـ = ١٩٢١م وظل ملكا حتى توفى فى سويسرا ودفن ببغداد (الإعلام ـ المجلد (٥) صـ ١٦٥ ، ١٦٦ باختصار .

(٢) العروبة والشعوبيات الحديثة صـ ٣١ ، ٣٢ .

وتلتها فتنة أخرى قام بها الشيخ محمود الزعيم الكردى الذى هاجم العراق على رأس قوة كبيرة ، ورفع مذكرة إلى المندوب السامى الإنجليزى كرر فيها نغمة إنشاء حكومة كردية مستقلة فى "كردستان"[*] تحت الانتداب البريطانى ولكن حكومة بغداد التى كانت قد قمعت بشدة ثورة أكراد السليمانية انقضت على الشيخ محمود أيضا واعتقلته فى ١٣ مارس سنة ١٩٣١ وشتت جموعه[1] ، وكانت هذه الثورة الكردية فى الفترة التى علت فيها صيحة القومية العربية وذلك لشعورهم بأنها دعوة خاصة فمادام العرب يعملون على إقامة قومية خاصة بهم فلماذا هم أيضا لايكونون قومية خاصة بهم .

والحق يقال : إن الأكراد لم يستجيبوا لكل القوى الخارجية التى حاولت استخدامهم ضد باقى الإمة الإسلامية ، حاولت بريطانيا ، وبعدها أمريكا وروسيا ومازال ، وتحاول حاليا اسرائيل بكل الوسائل وجميع الإغراءات لكن المدخل الذى أثارهم ضد إخوانهم العرب كان مدخل القومية العربية وقد استطاعت بريطانيا بواسطته أن تثيرهم .

علما بأن الأكراد بين شقى الرحا منذ القضاء على دولة الخلافة،الروس يقاتلونهم والأرمن يقاتلونهم ، وهم يقومون كمنطقة عازلة بين ثورة إسلامية فى إيران وبين بعث لادينى فى الهلال الخصيب وبين روسيا الشيوعية المقتربة منهم فى أفغانستان ، وأهم من ذلك الإنكار التام لحقوق مدنية من جانب إخوانهم المسلمين وأهمها حقوق المواطنة المشروعه والاشتراك فى الغنم كما يشتركون هم فى الغرم منذ صلاح الدين حتى آخر خليفة للمسلمين .[2]

الشعوبية الدخيلة على فلسطين

إن الشعوبية التى تسللت إلى فلسطين لها طابع خاص فهى تختلف عن كل الشعوبيات فالعنصرية تسرى فى دم أصحابها ، وهم أنفسهم يفتخرون بها ، ومن خلالها يريدون فرض سيطرتهم على سواهم ، ولقد ابتلى العالم الإسلامى بهذا النوع المتعالى على الإنسانية

(*) كردستان : منطقة جبلية بين الأناضول وأرمينيا وأذربيجان والعراق تتقاسمها تركيا والجمهورية العراقية وإيران والاتحاد السوفيتى سكانها أكراد (المنجد فى العلوم صـ ٥٨٦) .

(١) المرجع السابق صـ ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) مجلة "المختار الإسلامى" (العدد ٣٢ ـ السنة السادسة) صـ ٥٥ من مقال "الأكراد يتامى المسلمين" د/ فهمى الشناوى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م بتصرف .

يقول عبد الرحمن زكى : فى أوائل الحرب العالمية (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) اتفقت الحكومه الإنجليزية مع المغفور له الملك حسين على استقلال البلاد العربية شرقى قناة السويس من عدن الى جبال طورس ومن خليج فارس (الخليج العربى) وحدود إيران إلى البحر الأحمر ، والبحر المتوسط ماعدا المنطقة الواقعة غربى خط حلب ـ حماه ـ دمشق فقد أرجئ النظر فى مصيرها إلى مابعد الحرب .

بيد أن هذا الاتفاق بين انجلترا والعرب لم يحل دون عقد الإتفاق السرى المعروف باسم اتفاقية " سايكس ـ بيكو" فى التاسع من مايو عام ١٩١٦ على تقسيم البلاد العربية إلى منطقتى نفوذ إحداهما لانجلترا والثانية لفرنسا ، وفى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧م ، صدر وعد "بلفور" بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود .(١)

والهدف من جعل فلسطين وطنا خاصا باليهود :

١ ـ الاستفادة من قوى اليهود العالمية .

٢ ـ إقامة حاجز أجنبى بين الأمصار العربية فى آسيا وبين شمال أفريقيا يحد من تضامنهما على مكافحة الاستعمار .

٣ ـ إعداد قاعدة استراتيجية لانجلترا على البحر المتوسط " بفلسطين " .

وبرت انجلترا بوعدها للصهيونية أم الشعوبية ، فحين تأكدت من هيمنة اليهود على فلسطين أعلنت سحب انتدابها عام ١٩٤٨م تاركة لليهود فرصة إعلان قيام اسرائيل وهكذا زرعت انجلترا دولة شعوبية بين البلاد العربية وهى أخطر نوع فى الشعوبية العالمية لأنها شعوبية نابعة من ذات نفسها يشعر بها اليهود دائما فى صورة تعال على كل الأجناس ، وافتخار بالجنس اليهودى ، شعوبية لايريد لها أصحابها أن تذوب ضمن البشرية الرحبة ، والإنسانية السوية ، وهى فى الوقت تعتدى فى أى لحظة تشعر فيها بالقوة ولن يهدأ العالم أجمع إلا إذا أدى المسلمون عامة واجبهم والعرب خاصة دورهم المفروض عليهم وتخلصوا من هذه الشعوبية البغيضة .

---

(١) الشرق الأوسط صـ ١٦٥ ، ١٦٦ .

الشعوبية في المغرب

من قديم الزمان كان يقطن بلاد المغرب العربي جماعة البربر(*) وقد تعددت الأقوال وتضاربت في أصل البربر فمن قائل إنهم من ولد سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ومن قائل إنهم يمنيون أو من غسان ، ومن قائل إنهم من نسل النعمان بن حمير بن سبأ وفدوا إلى بلاد المغرب ، ونخرج من هذه الأقوال بأنهم جماعات من عرب الصحارى والبوادى في الشام وجزيرة العرب ، الصلة بينهم وبين عرب الحواضر وثيقة من الوجهة الإجتماعيه .

وقد اختلف العلماء في أصل الشعوب التى كانت تقطن أفريقيا الشمالية قبل الفتح الفينيقي والاحتلال الرومانى ، بل قيل أن يكون بين البحرين المتوسط والأطلنطى المضيق الذى يدعى اليوم بمضيق جبل طارق ففى ذلك الزمان الجيولوجى يوم كانت أوربا متصلة بأفريقيا ، نزحت بعض الشعوب الأفريقية إلى أوربا واستوطنتها فيكون الأوربيون بحسب هذا الرأى العلمى من أفريقيا أصلا ولايكون الأفريقيون من أوربا .

وقد ذكر ابن خلدون أن البربر من عرب اليمن نزحوا إلى المغرب قبل الفتح الإسلامى . (١)

ولا أحد يستطيع أن ينكر أن القبائل البربرية اختلطت بالعرب الفاتحين ونسلهم فصار الدم بين الشعبين واحدا ومن ينكر أن دول المغرب منذ الفتح الإسلامى حتى اليوم هى دول إسلامية وأن للبربر المسلمين الكثير من المآثر الحميدة والمجيدة فى دولتى المرابطين ، والموحدين لاينكر ذلك إلا عدو حاقد خصوصا وأنه قد برز فى الدولتين أبطال مشهورون كابن صوفر ، وابن ياسين والبربرى العظيم يوسف ابن تاشفين

(*) أصل كلمة " بربر " يقال إن الذين سموهم بهذا الاسم هم العرب حينما خالطوهم ولم يفهموا كلامهم قالوا : " ما أكثر بربرتكم " فسموا بالبربر والبربرة بلسان العرب هى اختلاط الاصوات غير المفهومة وقيل : إن أول من اطلق كلمة " البربر " على هؤلاء الخلق هم الرومان (يراجع كتاب امير المسلمين يوسف ابن تاشفين تأليف إبراهيم محمد حسن الجمل صـ ١٣ ، ١٤ بدون عدد للطبعة مطابع دار الشعب بالقاهره ١٩٧٦م .

(١) المغرب الأقصى " رحلة فى منطقة الحماية الأسبانية أمين الريحانى جـ١ بدون عدد — للطبعة طبع دار المعارف بمصر .

قاهر الصليبيين فى الغرب وموحد المغرب والأندلس (٤٠٠ ــ ٥٠٠ هـ) •

محاولة تجزئة المغرب " البربر والعرب "

لما فشلت فرنسا فى فرنسة أهل المغرب العربى (تونس والجزائر ومراكش) فكرت فى تمزيق الأمة العربية بالفصل بين البربر والعرب على اعتبار أن سكان المغرب يرجعون فى جنسهم إلى عرقين

١ ــ الحاميون الشماليون وهم البربر •

٢ ــ والساميون وهم العرب •

على اعتبار أن البربر جنس لم يذب فى الجنس العربى بل ظل محتفظا بميله إلى الجنس الأوربى " وأفسح الفرنسيون المجال للبعثات التبشيرية بين البربر لتنصيرهم ووجهوا حملة إعلامية دعائية إلى البربر على أساس أنهم شعب مستقل عن " الغزاة العرب " ينحدر من شعوب أوربية • وأنهم أوربيون أصلاء • ولذلك يجب أن يرتبطوا مع فرنسا وأن يتجهوا إلى الغرب • وعمد الفرنسيون من ناحية أخرى إلى احياء العرف والعادات والتقاليد القديمة • واعترفوا بها مصدرا للتشريع المدنى وأقاموا لهم عملاء وأعوانا من شيوخ القبائل الذين أصبحوا حلفاءهم " •(١)

وقد وضعت فرنسا برنامجا لتحقيق وإبراز هذه الشعوبية " حين أصدرت الظهير البربرى(*) الأول ١٩١٩م • والثانى ١٩٣٠م ومجملهما أن القبائل ذات التقاليد البربرية يجرى عليها الحكم والإدارة بموجب شرعها الخاص وعاداتها أما ظهير (١٦ مايو ١٩٣٠) فقد قضى بإغلاق محاكم الشرع الإسلامى بين البربر على أن ترجع قضاياهم إلى هيئة تؤلف تسمى الجماعة تربط مباشرة بالسلطة الفرنسية •(٢)

ويرى أمين الريحانى أن الظهير وضع لأغراض ثلاثة :

أولا : فصل القبائل البربرية عن المغاربة لغة ودينا وذلك بنشر التعليم الفرنسى فيهم وبالتبشير بالدين المسيحى الكاثوليكى •

---

(١) الفكر العربى المعاصر فى معركة التغريب والتبعية الثقافية الأستاذ / أنور الجندى صـ ٢٢٧ •

(*) هو عبارة عن وثيقة استقلال البربر عن العرب المسلمين • والعودة بهم إلى تحكيم عادات وتقاليد القبيلة بدلا من أحكام الإسلام •

(٢) المرجع السابق •

ثانيا : استقلال القضاء البربري ، أو مايسمونه العرف البربرى عن الشرع الإسلامــي وادخاله تدريجيا فى القضاء الفرنسى .

ثالثا : تملك الفرنسيين أرض القبائل بطرق مشروعه يستنبطونها من عادات البربر وتقاليدهم التى تعهدوا أن يحترموها .[1]

ويتساءل " الريحانى " قائلا فهل فى احلال القضاء الفرنسى محل القضاء العرفى كما هى الحقيقة فى التقارير الملحقة بالظهير وهل فى احلال الثقافة الفرنسية محــل الثقافة العربية شئ من الاستقلال البربرى ، أو من المحافظة على حقوق البربر التقليدية؟

ثم يجيب بأن المسألة مرتبطة بقاعدة استعمارية هى قاعدة " فرق تسد " وهذا ما نطق به بعض الكتاب الفرنسيون : قال " روبرتو " : يوم يصبح فيه أبناء فرنسا أصحاب الرأى المطلق فى الشمال الأفريقى فينشأ على أنقاض الإرث الرومانى بسأمن وسلام شعب فرنسى ويرفرف على شواطئ البحر المتوسط العلم المثلث الألوان هو ذا الفوز الــذى يضمن لنسلنا المتزايد أصقاعا أمينة يلجأ إليها كلما مست الحاجة إلى ذلك .

وقال مارتى (P . Marty) : " ماجئنا هذه البلاد " أفريقيا الشمالية " حبا بأهلها ، بل لنجعل من تربتها أرضا صالحة لأبناء فرنسا ، ونعيدها إلى الحظيرة اللاتينية كما كانت قبل الغزو الإسلامى " .

وقال جيرو (Guiraud) الذى انتدبته الحكومة الفرنسية لإصلاح العدلية التونسية وكان بعدئذ عضوا فى لجنة اصلاح العدلية المغربية : " إن القضاء البربــرى قائم على الفكرة فى أن البربر مسيحيون فلا يجب أن يخضعوا للشرع الإسلامى " .[2]

وبلغ من يقظة شعب المغرب أن عقد مؤتمرا اسلاميا بمدينة فاس فى ٢٧ رجــب و ٢٧ شعبان عام ١٣٥٠هـ ، وعهد المؤتمر إلى رئاسته بالاحتجاج على موضــوع الظهير ويطلب الغائه والكف عن الأعمال التبشيرية .

---

(١) المغرب الأقصى صـــ ٢٢٨ .
(٢) المرجع السابق صـــ ٢٢٩ .

ب ـ ظهور النزعات القومية

إن بنية دولة الإسلام قامت على الوحدة الشاملة ولقد كانت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة حقيقة واضحة للوحدة الإسلامية في أجلى معانيها شملت المهاجرين والأنصار وآخت بينهم أخوة لم تعهد من قبل وكانت هذه الوحدة الشاملة جزءاً من صلب رسالة الإسلام واستجابة لأمر القرآن الكريم : " واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تهتدون " . (١)

ودولة الإسلام الواحدة أساس متين للإسلام وعون للمسلمين في تأدية رسالتهم في الحياة كما أمر الله تعالى يقول الدكتور كليم صديقي : والحقيقة هي أن القومية كانت مجهولة لدى المسلمين قبل نحو مائة عام سواء كنظرية سياسية أو كشعور شعبي وكان المسلمون على مدى ١٣٠٠ عاما قبل ذلك يحكمون أجزاء كبرى من العالم وأنشأوا دولا وإمبراطوريات كبيرة بدون أن يثيروا في غرائز الناس شيئا يشبه القومية الحديثة ولا بصورة غامضة . (٢)

معنى القومية

اختلف المعرفون للقومية في تحديد مفهوم لها وتعددت تعاريفهم حولها تبعا لاختلاف نظرتهم إلى الرابطة التي يلتف حولها الناس أو تربط مجموعة منهم وتؤلف من مجموعهم قومية واحدة ولذا يقول الدكتور / محمد محمد حسين :

القومية مصدر صناعي ، مقيس على ماتواضع العرب المعاصرون على اشتقاقه بإضافة ياء النسب ، وتاء التأنيث لمواجهة الكثرة الغامرة المتدفقة من المصطلحات الحديثة في مختلف العلوم والمعارف الإنسانية المستحدثة وهي ترجمة للاصطلاح الغربي Nationalism . (٣)

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

(٢) المختار الإسلامي صـ ٣٠ (من مقال بعنوان) ندوة عالمية حول تأثير القومية على الأمة الإسلامية .

(٣) الإسلام والحضارة الغربية د / محمد محمد حسين صـ ١٩٥ .

وقد شرحت " الإنسيكلوبيدى "(*) كلمة الأمة Nation بما يلى اسم جمع يستعمل للدلالة على كمية كبيرة من الناس الذين يعيشون على قطعة من الأرض داخل حدود معينة ويخضعون لحكومة واحدة ، كما أنها شرحت كلمة الدولة " Etat " بما يلى :

اسم جنس يدل على جماعة من الناس يعيشون معا تحت حكومة واحدة فى حالة سعادة أو شقاء يظهر من ذلك أن " الانسيكلوبيديين " ماكانوا يميزون بين الجماعة التى تؤلف الأمة وبين الجماعة التى تعرف باسم تبعة الدولة ورعاياها ، ونظرتهم للدولة والأمة تستلزم ـ كما يفهم من التعريفين ـ اعتبار جميع رعايا الدولة الواحدة أمة واحدة بقطع النظر عما يكون بينهما من فروق واختلاف كما تستلزم أيضا أن الناس الذين يخضعون لدولتين مختلفتين منقسمون لأمتين دون مراعاة لما بينهما من مشابهة كبيرة بل مجانسة تامة .(١)

ويعرف : هانز كهن القومية : بأنها شعور الفرد بالولاء المطلق الموجب عليه نحو دولته القومية(٢) ويرى أنها تستعصى على التعريف الدقيق وكثير منها يشتمل على عناصر خارجية معينة تميزها عن غيرها من القوميات كوحدة الاصل واللغة ، أو الاقليم أو الوحدة السياسية ، أو العادات والتقاليد أو الدين .

ولكن من الواضح أن وجود القومية أو تعريفها لايستلزم أى عنصر من هذه العناصر فشعب الولايات المتحدة لايدعى وحده ومع ذلك فهو يكون قومية ، والشعب " السويسرى " يتحدث بثلاث لغات أو أربع ومع ذلك فهو يؤلف قومية واضحة المعالم ومع التسليم بأن العناصر الخارجية ذات شأن كبير فى تكوين القوميات فإن ألزم العناصر لتكوينها هو وجود إرادة حية جماعية فعالة هذه الارادة هى التى نسميها القومية(٣) وينبغى أن نعلم أنه ذكر الدين كعنصر للقومية عرضا ، وهو فى الواقع الأساس والذى ساعد على ظهور القومية بأوربا ضعف الكنيسة وبالتالى ضعف التدين فمنذ القرن الرابع عشر الميلادى والكتاب يشيرون إلى القومية كبديل عن التجمع حول الكنيسة بمعنى أنه لو كانت الكنيسة تسير على نهج المسيح عليه السلام لما كانت أوربا فى حاجة إلى قومية

(*) الإنسيكلوبيديا : هى دائرة العلوم والفنون الفرنسية ، أنشئت فى القرن ١٨ ثم أطلقت على كل دائرة علوم وفنون (يراجع المنجد فى العلوم صـ ٧٧ ، ٧٨) .

(١) ماهى القومية ساطع الحصرى صـ ١٥ ط(١) دار العلم للملايين بيروت حذيران يونيو ١٩٥٩ .

(٢ ، ٣) القومية معناها وتاريخها تأليف هانزكهن صـ ١ ، ٣ بتصرف يسير ، ترجمة أمين محمود الشريف بدون عدد للطبعة مطبعة نهضة مصر بالقاهرة بدون تاريخ .

وكفاها الدين رباطا يوحدها ، وهو مايقول به : " بويد شيفر " وترجمته ولوأن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لم تفقد قوتها وجاذبيتها لكانت القومية الحديثة أضعف بكثير وأقل انتشارا مما هى عليه الآن وكان من المحتمل أن تظهر دولة عالمية تقوم على أسس ودعائم دينية ولكن الكنيسة لم تعد تحتفظ بالمركز الأول المسيطر على حياة الناس وهذا ماحمل هؤلاء الناس على البحث عن الخلاص فى مكان آخر عند الملك وعند الأمة فقد حول بعض الناس الكثير من الحماس والولاء الذى كان يشعر به أسلافهم للكنيسة نحو الأمة [1] وكان التفكير فى القومية كبديل عن الالتفاف حول الكنيسة وانتشرت القومية فى أوربا وأمريكا إبان القرن التاسع عشر بصورة ملفتة للنظر ثم سرت عدواها فى آسيا وإفريقيا إبان القرن العشرين للميلاد .

ولقد استعاض الغرب عن الوحدة الشاملة التى تنبع من العقيدة بأحلاف عسكرية تظهر قوته ، ثم بوحدة اقتصادية تسد حاجته بينما كانت " القومية " فى كل من " آسيا " و " إفريقيا " نكبة حلت بالشعب الإسلامى ، وفتحت باب الشعوبية من جديد ، فأقبلت الإقليمية هى الأخرى تظهر بصورة مخيفة .

أوربا والقومية

كانت هناك بدايات للقوميات فى الغرب منذ القرن الرابع عشر وكانت تتمثل فى الدعوة إلى الإتحاد إلى أن جاء عهد النهوض القومى (١٨٣٠ - ١٨٤٨م) ، وانتهى هذا العهد بعصر انتصار الحرية والقومية والأمر الملفت للنظر أن القوميات فى أوربا كان لها ما يبررها

١ - فهى بالدرجة الأولى تخلص من تناقضات الكنيسة وتسلطها المتجبر باسم الدين .

٢ - وهى تجميع لقبائل متعددة تحت شعار قومية معينة فقومية " فرنسا " حققت وحدة لها بواسطتها تمكنت أن تحمى نفسها من عدوان جيرانها ، وقومية إيطاليا كانت بمثابة تحقيق لوحدة إيطاليا على أثر الفشل الذى أصاب الثورات التحررية .

---

(١) القومية (عرض وتحليل) تأليف / بويد شيفر ترجمة د / جعفر خصباك د / عدنان الحميرى ، تقديم / محمد بديع شريف ، ومراجعة حسن على الذنون ، أحمد رفعت البدراوى ص ٢١٣ بدون عدد للطبعة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بغداد - نيويورك ١٩٦٦م .

ولما رأى مازينى " Mazzini " (١٨٠٥ ـ ١٨٨٢م) الذى يلقبونه برسول الحرية والحركة القومية أن " جمعية الكاربونارى " الثائرة لاتؤدى إلى تحقيق الآمال القومية فأنشأ جمعية "إيطاليا الفتاة" وجعل شعارها " الله والشعب" فسوى بذلك بين الإيمان الدينى والإيمان الوطنى وكان قصده من ذلك على مايبدو أن تقوم القومية على نزعة دينية عقدية .

فجانبه الصواب لأنه سوى بين الايمان بالدين والوطن وأرادت ألمانيا أن تجعل قوميتها رداء يجمع ولاياتها فى اتحاد واحد فقد كان أمير لكل من سكونيا وغبرج و هتوفر وكل أمير يرفض أن يعترف لغيره بالزعامة ولم تكن القوميات الأوربية كلها تجميع للإمارات فبعضها كان انفصالا من إمبراطوريات يقول الدكتور / محمد محمد حسين : وقد نتجت عن الحركات القومية فى أوربا فى القرن التاسع عشر ظاهرتان متناقضتان ، أحدهما يدعو إلى الإنسلاخ من الامبراطوريات الكبرى ، كالذى حدث فى حركات دول البلقان والبلاد العربية حين تداعت إلى الإنسلاخ من الدولة العثمانية ، والأخرى تدعو إلى ضم شتات الإمارات الصغيرة التى يعتقد بناء على علم الأجناس البشرية الحديث ـ أنها تنتمى إلى أصول عرفية مشتركة ، كالذى حدث فى نشوء الدولتين الألمانية والإيطالية واجتماع كل منهما فى دولة كبرى بعد أن كانت مجموعة من الإمارات الصغيرة المتنافسة .(١)

عناصر القومية

القوميات التى ظهرت فى أوربا وفى البلاد الغربية عامة تكونت فى الغالب من مجموعة من العناصر ، أو العوامل المشتركة كالعرق واللغة والتاريخ المشترك والمصالح المشتركة ووحدة الأرض كما يدعى القوميون .

وعلى أرض التجربة ومن الواقع المشاهد ثبت فشل بناء القومية على أى من هذه العناصر ، وقد أثبت عدم صحة قيام القومية على أى من العناصر المذكورة أو مجموعها محمد محمود الصواف حين قال نقلا عن " مازينى " مؤسس القومية الإيطالية : لانستطيع أن نجد فى بقعة واحدة من بقاع أوربا شعبا نقيا خالصا لم يمتزج بسلالات شعبية أخرى ففرنسا من الأمم الحديثة أهلها مزيج من الألمان والسلافيين والرومان وهذه

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية صـ ١٩٥ .

النظرية تنطبق على أكثر الشعوب بما فيها الشعب العربى فانه بعد الفتح الاسلامى اتصل العرب بالفرس والروم والترك وغيرهم من شعوب العالم .[١]

ولم يكن عنصر اللغة هو العنصر الأساسى للوحدة القومية فالهند يتكلم أهلها بأكثر من ثلاثمائة لغة تختلف بعضها عن البعض الآخر اختلافا أساسيا بحيث لايستطيع أحدهم التفاهم مع الآخر ، ولابد من مترجم بينهم ومع ذلك فسكان الهند شعب واحد وحكومة واحدة وكذا الحال فى " الباكستان " فاللغات الأصلية فيها خمس لغات عدا اللغات الفرعية وهى أمة واحدة وشعبها شعب واحد .

كما نجد " أمريكا " و " انجلترا " تتكلمان اللغة الإنجليزية ذات الأصول والقواعد والاشتقاقات الواحدة ومع ذلك فهما شعبان مختلفان وأمتان متباينتان فلم تجمعهما اللغة الواحدة ولم تربط بينهما قومية واحدة لاشتراكهم فى اللغة الواحدة ، والقائلون بأن التاريخ المشترك يكون الوحدة ، يرد عليهم بأن التاريخ يصنعه الرجال ، وكثيرا ماقامت أمم بأعمال جسام .

وسجل التاريخ لتلك الأمم الانتصار الذى جاء نتيجة الجهد الموحد فإذا انتهت المهمة التى من أجلها كان الاتحاد ذهب كل إلى وجهته ، وفى الحرب العالمية الأولى قاتلت " ألمانيا " دول الحلفاء إلى جانب " تركيا " وفى الحرب العالمية الثانية اشتركت أمريكا وبريطانيا وروسيا سويا فى محاربة ألمانيا النازية وعند انتهاء الحرب بدأ الصراع الرهيب بين هذه الدول فكان تجمعها لدرء الخطر ، أو لجلب المصالح وانتهى بتأدية الدور والذين يجعلون من الأرض رباطا يصدمهم الواقع فالأرض العربية سكنتها شعوب مختلفة متباينة فى كل شئ الآشوريون ، والفينيقيون والفراعنة كل هؤلاء جميعا عاشوا على الأرض العربية التى نسكنها نحن اليوم وهم شعوب مختلفة منهم بقايا بيننا ، ولكننا لانشعر أبدا بما يربطنا ويشدنا إلى هذه الشعوب .

ونرى الدول التى تربطها مصالح مشتركة متباينة فى كثير من الأحوال .
والخلاصة : أنه يظهر مما تقدم أن نظرية العرق ، واللغة والتاريخ ، والأرض ، - والمصالح المشتركة كلها لاتصلح أسسًا ولا قواعدَ للفكرة القومية ، والفكرة القومية نفسها لاتصلح أساسًا لوحدة الأمة العربية فى هذا الزمن والذى يسود الشعوب ويجمع بينها ويصنع منها أمة واحدة إنما هو العقائد ، والحرب منذ القدم عقائدية وقد انتهى

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام صـ ٢٣ ، ٢٤ .

عصر القوميات .(١)

المبشرون والدعوة القومية

حاول المبشرون ومن يسير فى ركابهم إثارة النعرات القومية من جديد فى عالم الإسلام ، فلقد فكر أعداء الإسلام من الفرنج فى سعة رقعة البلاد الإسلامية ، وتقدم أتباعها ، وسريان دعوة الإسلام فى أرجاء الأرض فى فترة وجيزة ، وعرفوا أن أسباب رفعة المسلمين وعلو مكانتهم وسر قوتهم هو التمسك بالدين والالتفاف حول عقيدة الإسلام التى جمعت المسلمين فى المشارق والمغارب قلبا وقالبا ، فكانت وحدتهم نقطة الانطلاق والنصر مما أغاظ أعداء الإسلام ، فأجمعوا أمرهم فى صورة صليبية حديثة تتحرك من منطلق فكرى معاد للمسلمين ، وترسم الخطط لإزالة الترابط الإسلامى وتقطيع أوصال أمة الإسلام ، وسلك أعداء المسلمين طريق التفرقة بإثارة النزعات العصبية وبعث مايسمونه بالقومية علما بأن الإسلام قضى على هذه النزعات ودفن أمثال هذه القوميات وتبرء من كل من يريد الانشقاق لإمة الإسلام أو يفعل ذلك فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى " صلى الله عليه وسلم " أنه قال : من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّة يَغْضَبُ لعَصَبَةٍ أو يَدْعُو إلى عَصَبَة فقتل فقتله جاهلية ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولايتحاشى من مؤمنها ولايفى لذى عهد عهده فليس منى ولست منه .(٢)

واستجاب اتباع محمد صلى الله عليه وسلم لهذه التعاليم فعاشوا أخوة متحابين يربطهم الإيمان برباطه المتين ، وعز على أعدائهم أن يتألم المسلم لألم أخيه المسلم أيا كان لونه ووطنه يقول : محمد محمود الصواف :

ولكن الغرب قرر احياء هذه العصبيات ، وبذل الجهد والمال وبث الرجال من وكلائه فى ديار الإسلام حتى يعملوا على نشر هذه العاطفة القومية التى من شأنها أن تبعد المسلم العربى عن أخيه المسلم الأعجمى وتنشر بينهم هذه العصبية التى نهى

---

(١) يراجع المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام من ص ٢٣ - ٢٩ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٢ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ " كتاب الإمارة - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفى كل حال وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة .

عنها الرسول صلى الله عليه وسلم وحاربها الإسلام " ليس منا من دعا إلى عصبية " (١) لكن الاستعمار وعملاءه أرادوا الشر لعالم الإسلام فأثار الاستعمار القومية الطورانية فى تركيا والقومية الفارسية فى إيران ، والقومية العربية فى البلاد العربية والقومية البربرية فى المغرب ، والقومية الباكستانية فى باكستان ، والقومية الجاوية فى إندونيسيا ، وكل هذه النعرات وغيرها فى ديار الإسلام رعاها الاستعمار وغذاها رجاله وأعوانه ليهدم بها بنيان الإسلام الشامخ ويمزق شمل المسلمين ويشتت وحدتهم . (٢)

ومما يؤسف له أن يلتقط بعض المثقفين أشياع الفكر الغربى فكرة القومية ويرددونها ويفلسفونها كل على حسب هواه تقليدا للغرب واقتداء به فى كل شيء .

فكرة القومية عند الأتراك

المتتبع لنشوء الفكرة القومية عند الأتراك العثمانيين يرى أن الأتراك العثمانيين كانوا على علاقة وثيقة بالأمة العربية فلقد كانت دولة الخلافة العثمانية تحكم معظم الأمة العربية وكانت دولة إسلامية بكل ماتحمله الكلمة من معنى .

" كان الأوربيون يسمونها " تركيا " ولكنها هى نفسها ماكانت تتلقب " التركية " أبدا بل كانت تسمى نفسها على الدوام " الدولة العليا العثمانية (*) " . (٣)

وكان المسلمون فى جميع الأقطار العربية يجلون السلطنة لما تقدمه للإسلام من تضحيات يقول ساطع الحصرى : والسبب فى ذلك يعود إلى تاريخ نشوء السلطنة وكيفية تأسيسها ، فمن المعلوم أن الدولة العثمانية كانت فى بادئ الأمر إمارة من الإمارات التابعة إلى الدولة السلجوقية ثم انفصلت واستقلت عندما مات آخر سلاطين

(١ ، ٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام صـ ٢١ ، ١٨٢ .

(*) سميت " بالدولة العليا العثمانية " نسبة إلى مؤسسها وهو السلطان عثمان ـ وذلك فى أواخر القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وقد استقر له ولذريته الحكم فى هذه السلطنة ، (انتشار الإسلام وأشهر مساجد المسلمين فى العالم محمد كمال حسين صـ ٩٤ ط (١) طبع دار التراث العربى بالقاهرة ١٩٧٦ م .

(٣) محاضرات فى نشوء الفكرة القومية (أبو خلدون ساطع الحصرى) صـ ١١٣ ط (٢) (ألقيت هذه المحاضرات فى قاعة الجمعية الجغرافية بالقاهرة بدعوة من كلية الآداب ١٩٤٨ م .

السلاجقة ، وهذه الإمارة كانت تمتاز عن سائر الإمارات التى انفصلت عن الدولة السلجوقية بموقع جغرافى هام ، إنها كانت شاخمة لحدود الإمبراطورية البيزنطية الهرمة من نواحيها الغربية من الدردنيل فكان أمامها مجال واسع للفتوحات على أساس " غزو بلاد الكفر " والجهاد فى سبيل الإسلام وكلما كانت تفتح مدينة من المدن البيزنطية كانت تتلقى من سائر أمراء المسلمين رسائل التهانى والتبريك لأنهم كانوا يعتبرون هذه الفتوحات بمثابة توسيع حوزة الإسلام ونشر رايته بين الأنام .[1]

ومما يدل على الوفاق بين مسلمى دولة الخلافة فى ذلك الحين أنهم كانوا يحرصون على استعمال اللغة العربية فى مكاتباتهم ، ويعتبرون لفظة " تركيا " مرادفة للعامية وكان الكتاب والمؤرخون يعتبرون التاريخ العثمانى جزءا متمما لتاريخ الإسلام ، وينظرون إلى السلاطين العثمانيين كأخلاف لسلفهم من الخلفاء الأقدمين من الراشدين فالأمويين إلى العباسيين وسلاطين الأتراك لم يرغبوا فى الانتساب إلى التركية لأن كلمة التركية كانت فى عرف رجال الدولة مرادفة للعامية والبدائية وبعض المؤرخين عندما يضطرون إلى ذكر كلمة أتراك كانوا يردفونها بتعبير " بى إدراك " بمعنى المحرومين من الإدراك .

هذا واللغة الرسمية ماكانت تنسب إلى التركية بل كانت تنعت بالعثمانية فانهم يقولون " لسان عثمانى " بمعنى اللغة العثمانية وصرف عثمانى " بمعنى الصرف العثمانى " وأدبيات عثمانية بمعنى الآداب العثمانية .

وذلك لأن الكتاب والأدباء كانوا يكثرون من استعمال الكلمات العربية والفارسية وكانوا يعتبرون القواميس العربية والفارسية ملكا مباحا ومشاعا يسوغ لهم أن يقتبسوا منها ماشاءوا من الكلمات لإيجاد قوافى طريفة فى أشعارهم ، أو ابداع عبارات رنانة فى كتاباتهم[2] ، وظل الأمر فى السلطنة العثمانية على هذا الوضع كل شىء فيها يدعى بالعثمانى أو الإسلامى ، وفكرة القومية بعيدة عن خاطر رجال الدولة ومفكرى الأمة ، وسواد الشعب ، حتى جاء العصر الذى عرف فى التاريخ العثمانى باسم عهد التنظيمات وخلاله ظهر دعاة القومية الطورانية ، ودارت الاتجاهات داخل السلطنة العثمانية فى القرن التاسع عشر فى ثلاث محاور متباينة : واحد يؤيد الجامعة العثمانية بوضعها الراهن ، وآخر يحض على إقامة جامعة إسلامية ، وثالث يدفع

---

(١) المرجع السابق صـ ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) محاضرات فى نشوء الفكرة القومية صـ ١١٦ ، ١١٧ بتصرف .

الشعب دفعا إلى القومية الطورانية ، وساعدت الحوادث على بروز الاتجاه الثالث فقد قيل أن الحرب الكبرى الماضية قضت على الأولى ، "وصطفى كمال" عزل الثانية عن تركية فلم يبق إلا الثالثة وهذه النزعة نفسها تحولت إلى نزعة تركية بدل أن تكون طورانية .(١)

وكان لأفكار دعاة الطورانية أثر ملموس فى بروزها على سطح الأحداث وفى مقدمة الدعاة إليها "ضياء كوك ألب" الذى يقول عنه السيد أبو الحسن على الحسينى الندوى : إن "ضياء كوك ألب" دعا بكل قوة وصراحة إلى سلخ "تركيا" من ماضيها القريب ، وتكوينها تكوينا قوميا خالصا ، وإيثار الحضارة الغربية على أساس أنها امتداد للحضارة القديمة التى ساهم الإتراك - على زعمه - فى تكوينها وحراستها .(٢)

فهو يرى أن هناك عصرا طورانيا سابقا للعصور القديمة وأن هذا العصر الطورانى عصر أجداده الأتراك الذين سكنوا آسيا الوسطى وكانت لهم حضارة رقاها الأتراك المسلمون ثم نقلوها إلى الأوربيين .

ومن هنا عاوده الحنين إلى الحضارة الغربية على أساس أنها من صنع أجداده والتاريخ لم يثبت هذا التوهم الذى قال به هو ورفاقه الذين نبذوا فكرة الجامعة الإسلامية واستبدلوها "بفكرة الجامعة الطورانية المبنية على التأليف بين الناطقين باللهجات التركية أولا ثم تكوين اتحاد حلفى منهم ومن الأمم التى أصلها طورانى مثل المجر "هنغاريا" "والبلغار" و "فنلندا" فهو يرى الاتفاق مع هؤلاء طبيعيا ومفيدا أكثر من فكرة الجامعة الإسلامية .(٣)

واستطاعت القلة المتأثرة بالتعاليم والحضارة الغربية المادية أن تجذب إليها من شباب تركيا الذين لايحملون عداوة للإسلام لكنهم فى نفس الأمر وقعوا تحت تأثير دعاة القومية ولذا يقول شيخ الإسلام بدولة الخلافة العثمانية مصطفى صبرى : وبالرغم من أن

---

(١) العروبة فى ميزان القومية نقولا زيادة صـ ٥٢ بدون عدد للطبعة طبع دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٠م بتصرف .

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية صـ ٤١ ط (٢) مطبعة التقدم بالقاهرة ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

(٣) الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية (دراسة حول كتاب "النكير على منكرى النعمة من الدين والخلافة والنعمة لشيخ الاسلام مصطفى صبرى تقديم د / مصطفى حلمى صـ ١٧٢ ، ١٧٣ .

الداعين إلى الجامعة الطورانية كثيرون فإن الذين يضمرون العداوة منهم للإسلام أقلية غير أننا نقول بكل أسف أن هؤلاء لم يكونوا موجودين من قبل فصاروا الآن موجودين وأن عددهم فى ازدياد ولهم تأثير لايمكن انكاره وإذا كان هذا التأثير ليس هو كل شىء فى تركيا فإنه إذا لم يقاوم ، وإذا لم يقف عند حد سيكون له شأن غير شأنه الآن فهم يعتبرون الدين مظهرا من مظاهر القومية العربية ومفخرة من مفاخرها ورجال الإسلام هم أمجاد الأمة العربية .

أما الترك فهم فى نظر هؤلاء لاعلاقة لهم بكل ذلك وخير لهم أن يحيوا ذكرى عقائد الجاهلية التركية كالوثن التركى القديم " بوزقورت " (الذئب الأبيض) ولهذا الوثن أناشيد يترنمون بها وهو مصور على بعض طوابع بوسطة حكومة أنقرة .[1]

وانكشف أمر الطورانيين ، ورأى الجميع أن الطورانية فى أجمل صورها خضوع لغير الله تعالى وعودة للجاهلية بما فيها من تمجيد للأصنام ، وحب للأوثان يقول هانزكوهن ماترجمته : وأضخم شخصية وضعت أسس القومية التركية فى الربع الأول من القرن العشرين كان هو " ضياء كوك ألب " وقد تحول من العثمانية إلى التركية ، من مجموعة من الشعوب التى تعيش تحت الحكم العثمانى والأخوة فى الإسلام إلى وحدة الجنس والثقافة المفترضة فى كل الشعوب التى تتكلم التركية وتعتبر " طوران " (تركستان فى آسيا الوسطى) وطنهم المشترك .

وقد كتب إحدى قصائده " إن المشاعر التى تنبض فى دمى هى صدى ماضى أنى لا أقرأ عن الأعمال المجيدة لاسلافى فى صفحات ممزقة صفراء متربة من التاريخ ، ولكن فى الدم الذى يجرى فى عروقى وشخصيات " أتيلا " (*) وجنكيز خان (*) البطولية لاتقل

---

(١) المرجع السابق صـ ١٧٣ ، ١٧٤ .

(*) أتيلا Attila ملك الهون (٤٣٢ - ٤٥٣ م) والهون أقوام أسيوية جاءوا من " سيبيريا " أو من أواسط القارة الآسيوية (منغوليا) وقد انفرد أتيلا بحكمهم عام ٤٣٤م وغزا الإمبراطورية البيزنطية عام ٤٤١م وهاجم " غاليا " وهى البلاد الشاملة لـ (فرنسا - وبلجيكا - وايطاليا الشمالية) وقد اجتاح مدن إيطاليا دون أن يمس روما ٤٥٢م ، (يراجع المنجد فى العلوم صـ ٢٢ ، ٥٠٢) .

(*) جنكيز خان (ابن يشوكى) ، (١١٦٧ - ١٢٢٧م) منشىء الإمبراطورية المغولية التى انتشرت فى العالم ولد فى إقليم دولون بلدق (بلاد الروس) وكان اسمه الأصلى تيموجين هز بفتوحاته أركان الدول جميعا فيما بين الصين والبحر الأسود (يراجع المرجع السابق صـ ٢١٩) .

ضخامة عن الإسكندر وقيصر .

وأدنى مع ذلك إلى قلبي أوكوزخان وهو شخصية مغمورة غامضة في التاريخ ومع ذلك فهو يعيش في قلبي وينبض في عروقي بكل مجده وعظمته و " أوكوزو " هو الذي يفرح قلبي ويوحي لي بأن أهتف بفخر أن تركيا ليست وطن الأتراك ولا التركستان أنها الأرض الابعد من ذلك امتدادا إنها طوران الخالدة .(١)

وانطلق " ضياء كوك ألب " نحو الغرب مقلدا إياه في مظاهر خادعة ، وصور براقة في طريقة المأكل ، والملبس ، والزينة ، واللهو ، في الوقت الذي تحلل من تعاليم الإسلام وسنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

يقول شيخ الإسلام مصطفى صبري : وهذا الرجل وأمثاله يعتقدون أن الدين الإسلامي هو عبارة عن احتلال عربي بسط سلطانه على الترك ودخل بيوتهم وجعل لنفسه سيادة على نفوسهم ومن الواجب الخلاص منه بأي حال ويقولون إن الوضوء وسائر القواعد الإسلامية وضعت لأمم تسكن البلاد الحارة والمعتدلة أما الترك وأمثالهم من أبناء الأمم الباردة فلا تلائمهم هذه القواعد .(٢)

ومضى في طريق " ضياء كوك ألب " مصطفى كمال وكان هذا الرجل قد تعلم في المدارس الفرنسية منذ صغره فلما خرج منها كان يؤمن بأربع نظريات :

١ ـ أفضلية نظام " الدولة اللادينية " .
٢ ـ تقديس المادة واعتبارها أساسا للعلاقات الدولية .
٣ ـ اعتبار " فرنسا " وأنظمتها ، أمثلة عليا جديرة بأن تقلدها الشعوب .
٤ ـ الإزدراء بالحضارة العربية وانكار فضلها على الإنسانية(٣) ، ولذا احتقر ماضي تركيا العثماني والإسلامي ، وجنح في رغبته إلى الغرب مرتميا في أحضانه ، وكما كتب " خليل اينالكيك " الأستاذ بجامعة أنقرة قائلا : كان انتصار " مصطفى كمال " هو انتصار " التغريب " في أكثر مافهم من أشكاله فهما جذريا كانت الدولة التي أصبحت جمهورية منفصلة تماما عن الدين وألغى الإسلام بوصفه نظاما سياسيا وأصبح التعليم

---

(١) عصر القومية تأليف هانز كوهن ترجمة عبد الرحمن صدقي ومراجعة مصطفى حبيب صـ ١٥٠ .
(٢) الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية صـ ١٧٣ .
(٣) المغرب المسلم ضد اللادينية إدريس الكتاني صـ ٤٦ ، ٤٧ بدون عدد للطبعة مطبعة الجامعة بالدار البيضاء ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م .

والقانون والأدب عصريا وغربيا تماما ونزعت من اللغة كل ارتباطاتها التقليدية "العربية أو الفارسية" وكانت تكتب بالحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية واستبعد كل مايمت للإسلام بصلة وصارت تركيا مثلا للقومية التى قطعت كل روابطها بماضيها غير الأوربى[1] فسلخها "أتاتورك" من جلدها وعراها من ثوبها الأصيل .

وما قام به مصطفى كمال بعد الحرب العالمية الأولى إنما كان تطبيقا صريحا لدعوة "ضياء كوك ألب" الذى دعا إلى إلغاء المشيخية الإسلامية ، والمحاكم الشرعية ، والمعاهد الدينية ، وتأسيس مدرسة للإلهيات فى الجامعة وإلغاء نظارة الأوقاف ، بعد أن فرق بين الخلافة والسلطنة وعرف الأولى بأنها الإمامة الكبرى وبأنها رئاسة جميع الأئمة الذين يصلون بالمسلمين فى جميع انحاء الإسلام وهذا بعض ماورد فى قانون ٨ نيسان ١٩٢٤م.[2] يضاف إلى ذلك الدعوة إلى السفور ، والحملة الشعواء على الحجاب ووصفه بأنه عادة عربية ، والتطاول على اللغة العربية والأدب وكل الأخلاق الإسلامية ، والمواعظ الحسنة والعادات الاصيلة القويمة على اعتبار أنها لاتتمشى مع الأخلاق والعادات التركية ، وذلك فى الوقت الذى اقتبس فيه سفاسف الأمور من الغرب على اعتبار أنها قمة التحضر والرقى والتقدم .

بدء الاستتراك وتمامه

حركة الاستتراك بدأت فى اللغة أولا ، وانتقلت إلى الأبحاث التاريخية والأدب فقد وضعت الأديبة التركية المشهورة "خالدة أديب" رواية كبيرة عنونتها باسم "الطوران الجديد" وتخيلت فيها أبطال الرواية يرتلون هذا النشيد : أيها الطوران الجديد أيها القطر الجميل ! أرنا أين السبيل إليك .[3]

وبجريان اللفظ على ألسنة الناس ، وسعّى القوميين الى تعميق مفهومه وبالتقليد الأعمى تحول الاستتراك من مرحلة إلى أخرى حتى صارت الدولة تسمى باسم الحركة "تركيا" فى النهاية .

وهو ماتوصل إليه "ساطع الحصرى" وعبر عنه بقوله : إن الفكرة القومية عند الأتراك العثمانيين بدأت أولا كحركة لغوية أدبية ، ثم صارت تظهر فى الأبحاث التاريخية

---

(١) عصر القومية صـ ١٥٣ بتصرف يسير .

(٢) اليقظة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار صـ ٣٩ ، يراجع تركيا الحديثة محمد عزه د روزه صـ ٧٢ مطبعة الكشاف ببيروت ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م.

(٣) محاضرات فى نشوء الفكرة القومية صـ ١٤٥ .

وبعد ذلك انتقلت إلى ميادين الحكم والسياسة ، وإذا سمينا حركة القومية التركيـــة بالاستراك جاز لنا أن نقول : إن تيارات القومية التركية عند الأتراك العثمانيين ـ بدأت باستراك اللغة ثم انتقلت إلى استراك التاريخ وانتهت فى آخر الأمر إلى استـــراك الدولة .(١)

وينبغى أن لانغض الطرف عن الدور الأول لمفكرى القومية الغربية فى هذه الحركة الاستراكية فهم الموجه الأول لها ، والمحرك الأساسى لدعاتها ويرى " لوتس ف توماس " أن هذه الدعوة الطورانية نزعة عاطفية أكثر منها حقيقة علمية ، ويجب أن نقول إن ـ القومية التركية ليست فى الواقع سوى تقليد للقومية الغربية فى كثير من وجوهها ، وأن الدافع الحقيقى لنشأة القومية التركية هو إحساس هذه القلة المثقفة بأن القومية ستكـــون رباطا يجمع ماتبقى من أوصال مفككة للإمبراطورية التركية التى لم يكن لها أمل فى أن تعيش إلا إذا أخذت بأساليب الحكم والإدارة الأوربية .

وهكذا يمكن القول إن هذا التيار قد شق طريقه منذ عام ١٨٦٥م حتى تبلـــور عام ١٩٠٨م فى نظام حكم وفى عام ١٩٢٤م فى الانقلاب الكمالى وأنه كله كان امتدادا طبيعيا للمدرسة الغربية التى كانت تعلن بأن الطريق الوحيد للدولة العثمانية فى مواجهة التخلف والضعف ومرحلة الجمود لن يحقق إلا ببلوغ نهاية الطرف الآخر من الاتصـــال بالحضارة والفكر الأوربى ـ انتقالا من مفهوم الوحدة الإسلامية إلى القومية الطورانيـــة المتعصبة للأجناس ومن الفكر الإسلامى إلى الفكر الغربى ومن اللغة ذات الحـــروف العربية إلى اللغة ذات الحروف اللاتينيه .(٢)

مدلول القوميـــة العربيـــة

لما كانت القومية العربية أبرز القوميات التى نشأت فى بلاد الإسلام وتحيرت المفاهيم فى مدلولاتها مما جعل الدكتور : محمد محمد حسين يقول :

وكان المقصود بها فى كل الأحوال هو الصفات الجامعة لذلك الجنس من النـــاس المسمى عند المعاصرين بـ " العرب " على خلاف مابين الناس فى تصور مدلول هذه الكلمة وفى مقومات ذلك الجنس .

---

(١) المرجع السابق صـــ ١٢٢ .

(٢) اليقظة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار (منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولـى) صـــ ١٠٤ .

فالمحافظون من دعاة القومية العربية يرون أنها فرع من التصور الإسلامى ، وكل مافى الأمر أنه خاص بالذين يتكلمون العربية من المسلمين الذين تتجاور مساكنهم والذين تكونت منهم الدولة الإسلامية أول الدول التى ضمتها الخلافة الإسلامية منذ ظهور الإسلام أما المتفرنجون من دعاة القومية العربية ، فهم يستمدون تصورهم من غلاة القوميين عند مفكرى الغرب ، ولايقيمون وزنا لقديم العرب الإسلامى الذى حدد شخصيتهم ولايرتبطون بالسمات التاريخية لهذه الشخصية .(١)

والقومية العربية يتسع مدلولها باتساع كلمة عرب وهذا من وجهة نظرنا فكلمة عرب بمجىء الإسلام تشمل المسلمين فى كل مكان ، وسنعرض مدلول الكلمة ببعض التفصيل .

" مدلـول كلمة عـرب "

كلمة " عرب " كانت تطلق قبل الإسلام على سكان الجزيرة العربية التى يحدها من الشمال (العراق والشام بما فيها الأردن) والتى يحيط بها من الشرق الخليج العربى (الذى كان يسمى الخليج الفارسى) والمحيط الهندى ومن الجنوب خليج عدن ، ومن الغرب البحر الأحمر من العرب .(٢)

وتشمل هذه المنطقة : المملكة العربية السعودية ــ دول جنوب شبه الجزيره العربية والخليج العربى ــ سلطنة عمان ، دولة الإمارات العربية المتحدة (إمارة ابو ظبى ــ دبى ــ الشارقه ــ رأس الخيمة ــ الفجيرة ــ عجمان ــ أم القوين) دولة البحرين ــ دولة الكويت .

وسكان هذه المنطقة العربية هم الجنس العربى الأصيل الذين تركوا ميراثا هائلا فى اللغة العربية والبلاغه والأدب والشعر والنثر لايضاها ــ وهذا الميراث الهائل ــ زاده القرآن بهاء وكشف عن محاسنه وهذب منه مايحتاج إلى تهذيب فى بلاغة وأدب ، لايحاكى كما كانت السنة النبوية الكريمة اثراء لادب العرب ممن أوتى جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا " صلى الله عليه وسلم " فكثت بما يحتاج إلى تكثيه ، وناضأدبهما بما دعت إليه من مكارم الأخلاق ، قومت الإعوجاج ، وحصنت التقاليد القومية فزادت أمة العرب بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حسنا ، وصفاء وجلدا وقوة فى الحق

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية صـ ١٩٧ .
(٢) يراجع المرجع السابق .

ونصرته ودفاعا عن المحامد وكانت لقبائل العرب من سكان الجزيرة العربية هجرات ورحلات قبل بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعدها تعدو فيها نطاق الجزيرة العربية اندمجوا بسكان البلاد التى رحلوا إليها ونقتطف من كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر" لابن خلدون بعض أثمار من قبائل عربية رحلت إلى إفريقيا وبلاد المغرب العربى حيث يقول :

١ ـ ثم ترجع إلى ذكر المنتقلين من هذه الطبقة إلى إفريقيا والمغرب فنستوعب أخبارهم لأن العرب لم يكن المغرب لهم فى الأيام السابقة بوطن وإنما انتقل إليه فى أواسط المائة الخامسة أفاريق من بنى هلال وسليم اختلطوا فى الدول هنالك ، وكانت آخر مواطنهم برقة وكان فيها بنو قرة بن هلال بن عامر ، ولما أجاز بنو هلال وسليم إلى المغرب خالطوهم فى تلك المواطن ثم ارتحلوا معهم إلى المغرب .

٢ ـ فيما بين برقة ، والعقبة الكبيرة ، والإسكندرية على التوالى أولاد سالم ، وأولاد مقدم ، وأولاد قائد .

٣ ـ حى محارب ويقال إنهم من جعفر بن كلاب وقبيلة رواحه التى تنتمى الى آل زبيد ، ومسكنهم الواحات من بلاد القبلة .

٤ ـ يوجد فيما بين الإسكندرية ومصر قبائل عربية كثيرة ومتنوعة ومنهم من ينتقل فى نواحى البحيرة .

٥ ـ يوجد فى " الصعيد " الأعلى من أسوان وماوراءها إلى أرض النوبة الى بلاد الحبشة قبائل متعددة ، وأحياء متفرقة كلهم من جهينة إحدى بطون قضاعه والذين يلون أسوان منهم يعرفون بأولاد الكنز كان جدهم كنز الدولة وقد نزل معهم فى تلك الأماكن من أسوان إلى قوص بنو جعفر بن أبى طالب ويعرفون بالشرفاء الجعافرة . (١)

وفى كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى للسلاوى وهو مؤرخ معاصر استمر كتابه إلى سنة ١٣١٢ هـ أخبار كثيرة عن القبائل العربية التى تدفقت على

---

(١) كتاب " العبر ديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر " ويسمى الكتاب (تاريخ ابن خلدون) " عبد الرحمن بن خلدون المغربى " جـ ٦ صـ ٤ ـ ٦ طبعة بولاق ، ويراجع كتاب : العرب والعروبة محمد عزة دروزه جـ ٣ صـ ١٦ ـ ١٨ بدون عدد للطبعة طبع دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ـ بسورية ١٩٥٩م .

المغرب الأقصى وانتشرت فى أرجائها وماكان من نشاطها ومشاركتها فى الأحداث التى كانت تقع فى عهود دول هذا المغرب الأولى . (١)

وقد ذكر القلقشندى فى كتابه " صبح الأعشى " عن العرب العاربة وهم بنو قحطان ، والمشهور منهم شعبان

أ ـ جُرهم : وهم بنو جرهم بن قحطان .

ب ـ يَعرب وهم بنو يعرب بن قحطان .

وهم أصل عرب اليمن ، والقحطانيون ينتسبون إلى قبيلتين قبيلتا حمير ، وكهلان ولدى سبأ بن قحطان وتفرعت من حمير " قبيلة قضاعة " ومنها فروع " بمصر " وفروع قضاعة السبعة المذكورة فى " صبح الأعشى " هى بَلَىّ ، وجهينة ، وكلب ، وعذرة ، وبهراء وبنو نهد ، وجرم ، ولأربعة منها بقايا فى مصر .

- قبيلة بلى : ولهم بقايا بالديار المصرية بصعيدها الأعلى ، وبقايا بالحجاز وغيرهما .
- ومثلها قبيلة جهينة .
- وقبيلة عذرة : ولهم بقايا بالدقهلية والمرتاحية من الديار المصرية ، وبقايا بالشام .
- قبيلة بهراء : وهم منتشرون مابين بلاد الحبشة وصعيد مصر .
- قبيلة " بنى كلب " ينزلون دومة الجندل ، وتبوك ، وأطراف الشام ، ومنهم فروع حول القسطنطينية ، وبشيزر وحلب .
- قبيلة " بنى نهد " وكانت منازلهم باليمن ، وكان منهم طائفة بالشام .
- قبيلة " جرم " وهم من فروع طى ومنهم ببلاد غزة من الشام ، ودخلت طائفة منهم مصر . (٢)

فلما ظهر الإسلام ، وانتشرت الفتوحات الإسلامية بالتدريج والتوالى فى شبه الجزيرة العربية ، وماحولها فكانت غزوة مؤتة سنة ٨هـ ، ثم غزوة تبوك سنة ٩ هـ والتى انتهت بمصالحة صاحب أيلة (العقبة اليوم) على الجزية وحدثت واقعة اليرموك سنة ١٣ هـ فى خلافة سيدنا أبى بكر " رضى الله عنه " وقد توفى أثناءها قبل أن يتحقق النصر للمسلمين ، وتوالت فتوحات عمر بن الخطاب فى العراق ومصر وما وراءهما ثم فى خلافة سيدنا عثمان ومن بعده .

---

(١) العرب والعروبه محمد عزه دروزه صـ ٣٥٣ .

(٢) يراجع صبحى الأعشى للقلقشندى جـ ١ من صـ ٣١٥ ـ ٣١٧ ، العرب والعروبه جـ ٣ صـ ١٩ ـ ٢١ .

وتتابعت هجرة القبائل العربية إلى الأمصار المفتوحة فمنهم من طابت له الحياة فاستقر فى موطنه ومنهم من استمر غازيا مع الجيوش الفاتحة ، ومنهم من هاجر طلبا للأمراء الذين أرادوا أن يتقووا بهم كما حدث فى ولاية " الوليد بن رفاعة " على مصر فى خلافة هشام بن عبد الملك الأموي حين استقدم القيسيه ومنهم من هاجر التماسا لسعة العيش فى هذه البلاد .

ولما كان العرب يعتزون بأنسابهم ، حافظوا عليها فلم يختلطوا بغيرهم من أهل البلاد المفتوحة ، فظل اطلاق " العرب " فى عهد الدولة الأموية على من قدم من شبه الجزيرة العربية إلى البلاد المفتوحة فى مقابل اسم (الموالى) الذى يطلقه العرب على غيرهم من أجناس البلاد المفتوحة ، ويستثنى من ذلك بلاد الشام والعراق التى بدأ اختلاط العرب فيها بأهل البلاد منذ الفتح ، لانتشار العنصر العربى فيها من عهد بعيد قبل الإسلام ، فضلا عن انتقال عاصمة الخلافة إليهما فى عهد الأمويين ثم العباسيين .[(١)]

وبازدياد الانتشار الإسلامى ، ازداد معه انتشار لغة القرآن الكريم وتبادل أهل البلاد الحديث بها مع الفاتحين فحصل ارتباط وامتزاج زاد بتوالى السنين ، وكثر الزواج والتسرى من ناحية أخرى بين العرب بغير العربيات فى العامة والخاصة ، حتى أصبح الخلفاء فى أواخر الدولة الأموية ، من بعد الوليد بن يزيد وفى سائر الدولة العباسية من بعد الأمين بن الرشيد من أمهات غير عربيات .

وزاد على مر الأيام عدد الفقهاء ، والشعراء والمشتغلين بالعلوم العربية ، والذين يشغلون المناصب الخطيرة الشريفة من غير العرب ، بل سادت عناصر غير عربية وتسلطت على الدولة منذ عصر المعتصم وبذلك انتهت النعرة العنصرية العربية وأصبحت الصبغة الظاهرة فى البلاد الإسلامية على اختلافها هى الإسلام ، وأصبحت اللغة العربية وعلومها وآدابها حظا سائغا بين العرب وغير العرب بلا تمييز وكثر عدد المشتغلين بها والذين يدونون بها شعرهم ونثرهم وفكرهم ومعارفهم من غير العرب وبرز العديد منهم فى مختلف العلوم .[(٢)]

ويجمل الدكتور محمد محمد حسين القول حين يبين بوضوح أن البلاد العربية كلها من الخليج العربى شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا ـ فضلا عما وراءها شرقا

(١) الإسلام والحضارة الغربية ص ١٩٨ بتصرف .
(٢) المرجع السابق ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ باختصار .

من بلاد ارتدت بعد ذلك عن عروبتها ـ ليس لها تاريخ فى العروبة يسبق الإسلام بل إن عروبتها فى الحقيقة تتأخر عن إسلامها ، وهذه العروبة لم تجئها إلا عن طريق الإسلام وبسببه .[1]

ومن هنا كان التفريق بين العروبة والإسلام فى أيامنا لايستند إلى أساس فالإسلام جمع العرب ومن دخل فيه من غيرهم ومزجهم فاجتمعوا حول الكتاب الكريم والسنة الشريفة أمرا ونهيا ، واطلاق لفظ العروبة على من يسكنون شبه الجزيرة العربية مغالطة دينية وتاريخيه فالعروبة بالإسلام امتدت وشملت بلاد الشام والعراق وامتد خطها من مصر والسودان إلى بلاد الشمال الأفريقى بل تعدته إلى أسبانيا والبرتغال عبر مضيق جبل طارق وانسابت العروبة المسلمة فى بلاد الأندلس .

وفى الوقت نفسه انسابت العروبة المسلمة إلى أواسط آسيا ـ إلى بلاد إيران وإلى الهند وجزر الهند الشرقية وكانت فى شمولها أمة تربطها العقيدة الإسلامية قبل أى شىء آخر .

القومية العربية صورة للتفكك

كانت القومية العربية ـ فى نهاية دولة الخلافة ـ حركة انسلاخ من الدولة العثمانية ، وكان الأمل المرجو من وراء هذه القومية جمع الأمة العربية تحت قيادة موحدة وتكوين أمة واحدة ، وخاب الأمل بتعدد آراء القوميين .

فمن قائل بوحدة لبنان وعدم بقائه فى حدود عام ١٨٦٠م وتوسيعه ليشمل البقاع وبيروت ومن رأى يقول بوحدة سوريا الطبيعية وتشكيل دولة صغيرة منها ضمن اطار الدولة العثمانية ويبدو من خلال ذلك وضوح فى التسمية " سوريه " و " لبنان " .

كما انبثت الدعايات الأجنبية وخاصة على يد اليسوعى الأب " لامنس " وكان يدرس التاريخ فى جامعة بيروت اليسوعية ، ويكره الإسلام وفكرة القومية العربية ، ويدعوا إلى فكرة كيان سورى ، وإليه ترجع فكرة التمييز بين السوريين والعرب[2] فالقومية على النمط

(١) المرجع السابق صـ ٢٠٠ .
(٢) يقظة القومية العربية " وهو عبارة عن محاضرات ألقيت على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية " د / نور الدين حاطوم ص ١١٠ المطبعة الفنية الحديثة بالزيتون بالقاهرة ١٣٧٨ هـ = ١٩٦٨م .

المذكور تقسيم الأمة العربية وتجزئتها إلى أقاليم متعددة ، وأخذت الدعوة إلى القومية العربية التى كان المأمول منها جمع شمل العرب فى دولة واحدة كما صرح الكثير من دعاتها تتحول إلى دعوة تفكك الأمة العربية إلى قوميات متعددة ومختلفة تحت ضغط الظروف والواقع السياسى المفروض على العرب بعد الحرب العالمية الأولى الذى قسم بلادهم بين انجلترا وفرنسا ، وراحت كل قومية من هذه القوميات الناشئة تدعم وجودها ، وتعمق جذورها وتوصل كيانها باحياء تاريخها السابق على الإسلام والتغنى بأمجاد تلك الأيام الغابرة .(١)

وتوجيه التاريخ والأدب والفنون المتنوعة من موسيقى وتصوير ونحت ، ومسرح لخدمة هذا الهدف وهذا النوع من القوميات أبغض مايكون إلى الإسلام ، والنوع الثانى من القومية وهو الذى يهدف أتباعه إلى توحيد العرب جميعا دون غيرهم من بقية المسلمين كان لعلماء الإسلام المحايدين رأى صريح فيه ومن تحدث فى ذلك فى جريدة المصرى شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغى قائلا " ليس لى رأى فى الوحدة العربية لا اشتغل به لست من انصارها ولا من أعدائها غير خاف عليكم أن الدين لم يذهب إلى العصبية الجنسية ولم يفرق بين العرب وغير العرب وجعل الإمة الإسلامية وحدة لافرق بين أجناسها .إن الاتجاه بالتفكير إلى الوحدة التى يتطلبها القرآن الكريم هو الذى يتحتم على علماء المسلمين ."(٢)

فأى قومية تميز مسلما عن مسلم ، وتفصل مسلما عن أخيه نوع من الانحلال وقطع للصف الإسلامى وفرط لعقده .

نتائج الدعوة القومية

من الواضح أن الفكرة القومية التى حلت بالبلاد العربية أوفدت إليها من الغرب لفك رباط الدين الذى يربط المسلمين فى كل بقاع الأرض.

وهكذا فإن تيار الفكرة القومية كان مهمته اقصاء الإسلام وتفريغ القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى الإسلامى ، واحلال فلسفة أخرى وعقيدة أخرى محل

---

(١) يراجع : الإسلام والحضارة الغربية صـ ١٦٦ .
(٢) ماهى القومية ؟ " أبحاث ودراسات على ضوء الاحداث والنظريات." ساطع الحصرى صـ ٢٠٣ ، ٢٠٤ ط (١) طبع دار العلم للملايين - بيروت ١٩٥٩م

عقيدته واستبدال رابطة أخرى برابطته لعزل الشعوب الإسلامية بعضها عن بعض عزلا نهائيا بحيث تكون صلة بعضها ببعض كصلتها بأى شعب من الشعوب الأخرى التى تدين بالوثنية أو الماركسية أو غيرها ، والتى لم تكن تربطها بها أى رابطة ، وبذلك تنقطع الصلات بين الشعوب الإسلامية وتضعف روابط الثقافة المشتركة ولغة القرآن ، والقيم الخلقية ويقضى تيار الفكرة القومية على الإخوة الإسلامية .(١)

وينتهى الأمر بحدوث التمزق بين أمة الإسلام الواحدة لوهن العلاقة بين اتباعها تلك العلاقة التى كانت من القوة والصلابة بمكان والتى أمرنا القرآن الكريم أن نحافظ عليها : " إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون " .(٢)

١ ـ " بداية التمزق نتيجة لدعوة القومية " :

إن حركة القومية كانت بداية أليمة ، وضربة موجعة للأمة الإسلامية ويشير إلى أضرارها " أنور الجندى " بقوله : ولقد كانت نقطة التمزق الأولى هى دفع الخلاف بين الترك والعرب إلى ذروته ، ومحاولة التفرقة بين القومية والدين ، وبين العروبة والإسلام فقد التمس المفكرون الذين هم أكثر تطرفا ما التمسته أوربا فى العصر الحديث من إقامة جمعيتها على أساس وحدة الجنس واللغة ، ورأى أمثال " كوك ألب " وغيره من الناظرين إلى ضرورة التماس مناهج الغرب أن الوحدة التى قامت على أساس الفكر الإسلامى قد ضعفت وأصابها الاضطراب (وعندنا أن ضعفها كان لنتيجة تخلف المسلمين عن مفاهيم فكرهم الأصيلة فى هذه الفترة وليس لضعف فى هذه الفترة وليس لضعف فى هذه المقومات ذاتها ، وأن على العالم الإسلامى أن يلتمس قوته فى القومية والرابطة الجنسية واللغوية .(٣)

ولم يقف الأمر عند التفرقة بين العرب والترك أو القومية والدين على أساس أن دولة الخلافة قائمة على أساس متين من رباط الدين ، وحاملى لواء القومية من كل الأطراف المتنازعة وخصوصا الذين ينادون بالقومية الأقليمية يحملون فكرا يعادى الوحدة القائمة على أساس الدين ولذا يقول جب : وتطورت نقطة النزاع إلى شىء أبعد مدى فما كان فى ذلك الحين ، لم تكن الحركات السياسية ، هى التى بدأت

---

(١) أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى د / على محمد جريشه ، د / محمد شريف الزيبق صـ ٧٢ ط (٢) طبع دار النصر للطباعة الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٠ .

(٣) اليقظة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار (منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الاولى صـ ٩٦) .

تصب العالم الإسلامى فى قالب جديد وتهزه بما لم يسبق له مثيل منذ ألف عـــام وفى ظاهر الأمر جاء الإصلاح السياسى أولا ومعه الإصلاح الاجتماعى تابعا ضئيــل الشأن ، أما الدين ومبادئه ، فقد تركا وحدهما عمدا لغرض مرسوم ،هو أن زعماء ــ القومية أبوا مخاصمة الشعور الدينى ، ومع ذلك فإن الشباب الذين تصدروا حركـــة القومية بينما طرحوا الخمول الذى دام طويلا ، وأحلوا محله نشاطا سياسيا قويـــا وأحيانا عتيقا نبذوا فى الوقت نفسه الجزء الأكبر من وجهة نظر الإسلام الأولى وقبلوا بدلها آراء الغرب السياسية الحديثة وأهم مافيها مبدأ السيادة القومية .

واضطروا فوق هذا أن يقبلوا أصول هذه السيادة ولواحقها فيما يختص بتكويـــن الدولة ، وماهية القانون ووظيفته ، وحقوق المشتركين فى الوطن وواجباتهم . (١)

٢ ــ ومن النتائج المؤلمة لدعوة القومية العربية :
ضياع فلسطين واقتطاعها من قلب الأمة العربية والإسلامية وماتبع ذلك من تحويـــل القضية الفلسطينية من قضية إسلامية مقدسة ، إلى قضية عربية صرفة ، أو بالأحـــرى إلى مشكلة فلسطينية تخص أصحابها فقط على الرغم من أن القضية إسلامية بالدرجـــة الأولى كما يقول محمد محمود الصواف :

فالأقصى لم يكن قبلة العرب الأولى بل كان قبلة المسلمين الأولى ومعاركنا عـبر القرون كانت معارك دينية ، لم تكن معارك قبلية أو قومية ، ومن زعم غير ذلك فقد خدع نفسه وافترى على الواقع والتاريخ . (٢)

فمن قديم الزمان وساحة فلسطين المقدسة تشهد للمناضلين المسلمين من جميــع البلدان ومختلف الشعوب بالتضحية وبذل النفس والمال فى سبيل الله وفى مقدمـــة هؤلاء الشهيد نور الدين زنكى " التركى " ، والبطل صلاح الدين الايوبى " الكردى " العربى المتوج قبل كل شئ بتاج الإسلام .

والذى ضم جيشة المسلمين من المشارق والمغارب الكل جاء يحلمن الشهادة ويرفع راية القرآن الكريم فمكنهم الله عز وجل من عدوهم ، واستعادوا قدس الإسلام الأرض المقدس ، التى فرط العرب المسلمين أثناء القرن العشرين فى ترابها الغالى فوطأت

---

(١) وجهة الإسلام " نظرة فى الحركات الحديثة فى العالم الإسلامى صـ ٥٠ ، ٥١ " .
(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام صـــ ٢٣٤ .

أقدام الصهيونية ثراه ولم يستطع المسلمون تخليص هذا الثرى الشريف لأنه قد انحل عقدهم تحت تأثير الدعوات الإقليمية ، والقوميات العرقية ، وتحزب كل فريق ضد الآخر وصار كل حزب بما لديهم فرحون ، فتمكنت الصهيونية تعاونها القوة الاستعمارية من التهام قلب الأمة الإسلامية ، ثم اطلقت عليه اسم النبى يعقوب عليه السلام " اسم اسرائيل " لتعلن على الملأ أنها تحيا من جديد وتنشأ دولة من العدم على العقيدة والدين بينما تقوقعت البلاد العربية وصار الدفاع عن فلسطين مقتصرا على شعبها الشريد الطريد ، الذى لم يمكن هو الآخر من دق أوتاد على الحدود ، يتخذ من خيامها مأوى ومرتكزا يدافع منه ، ليطهر أرضه ، ويسترد وطنه ولو كانت الأمة الإسلامية متحدة لدافعت عن هذا المكان الطاهر بكل قوتها ولتغير الحال .

وما حدث فى المؤتمر الإسلامى الأول المنعقد فى كراتشى عاصمة الباكستان يؤكد لنا ضرورة اتحاد المسلمين فى العالم كله للدفاع عن الأرض المقدسة جماعة ، فقد اجتمعت قوى الشر وزرعت الصهيونية فى الأرض الإسلامية ، وعلى قوى الخير أن تجتمع لكى تزيل هذا الجرم .

إن وفود رؤساء " قبائل الباتان " وتلكم القبائل التى تعد بالملايين - رجالهم أولى قوة وبأس شديد ، سلاحهم من صنع أيديهم يسكنون الجبال الممتدة بين باكستان وأفغانستان يفصلها مضيق خيبر المشهور .

عند مناقشة قضية فلسطين احتدم الجدال فقام رئيس هذه القبائل الشجاع فوقف وسط المؤتمر وتكلم باللغة العربية وكان من قوله المملوء بالجد والحماس :

افتحوا لنا الطريق أيها العرب نحن نكفيكم الحرب ، ونحن نقتل ونطارد اليهود والإنجليز ونخلص مسجدنا المبارك ومسرى نبينا وحبيبنا وإمامنا محمد صلى الله عليه وسلم وقبلتنا الأولى المعظمة ، افتحوا لنا الطريق لنجاهد فى سبيل الله اعلنوها أيها العرب جهادا اسلاميا ونحن ننقذ الأقصى وأنهى حديثه بقوله افتحوا لنا الطريق لنموت شهداء فى سبيل الله كيف تضيع منكم فلسطين ؟ كيف تضيع ؟ كيف تضيع ؟ ثم دمعت عيناه وجلس وساد المؤتمر صمت عجيب وشعرنا نحن العرب بالخجل والأسف ثم أيده رجال القبائل جميعا .[1]

---

(١) المرجع السابق صـ ٢٣٨ ، ٢٣٩ باختصار .

فما الذى جرى ؟

إن النعرات القومية آتت أكلها ضعفين حين تغنى دعاة القومية بأمجاد عفنة وتركوا واقع أمرهم لعدوهم ولم يجمعوا أمرهم فكان التخلف الحضارى من نصيبهم فتحول عدوهم بالرحى فى عكس اتجاهها ليسحقهم سحقا ، ويجعل من جثثهم رمادا تطأه الأقدام بينما هم فى غفلة معرضون وإثارة النعرات الطائفية بين السنة ، والشيعة وبين الأكراد والعرب وخلافه عود بالرحى على المسلمين .

الفصل الثاني

نماذج من آثار التبشير في بلاد الإسلام

بعد الحديث عن ظهور النزعات الجنسية ، واحيائها في الأمة الإسلامية من جديد ، ونقل فكرة القومية إلى مجتمع الإسلام المؤمن بالله تعالى ، والمقربا لوحدة الإسلامية من منطلق الإيمان ، وبيان دور الفكر التبشيري في تغلغل هذه النزعات وسريانها في كيان الأمة الإسلامية حتى تنقسم إلى دويلات ، وتفرقت إلى شيع وأحزاب متضاربة فجنى أعداؤها الثمار ، في الوقت الذي يلعق فيه المسلمون في كل مكان مرارة التفكك ويكتون فيه بنار الصراعات الإقليمية والمذهبية التي سرت كالتيار الكهربائي في جسم الأمة الإسلامية بواسطة المستشرقين والمبشرين .

بعد ذكر هذه الأمور ، وكشف أبعادها ، والتحذير من مخاطرها على كل المسلمين أعود لإعطاء نماذج من آثار التبشير في البلاد الإسلامية فالمبشرون - يؤيدهم الاستعمار ، وتدعمهم الهيئات الغربية ماديا ومعنويا - لم يتركوا فرصة إلا اغتنموها ضد الإسلام واتباعه ، فقد استخدموا كل أسلحتهم من أجل تنصير المسلمين ، ولايزالون في استغلال كل جديد لإكراه المسلمين على الدخول في حوزتهم فخلقوا المواقف الحرجة في أرض الإسلام كوسيلة للضغط على المسلم واجباره على ترك دينه فإما أن يستجيب للمبشرين ، وإما أن يحرم من ضروريات الحياة بدء من لقمة العيش إلى حق الإنسان في التعليم ، وذلك كله يحدث في الوقت الذي تصم فيه حواس السمع عند الحكومات وتعمى الأبصار فتجري عمليات التنصير الفردي والجماعي على مرأى ومسمع وكأن شيأ لم يقع مما يدعونا إلى الحيرة والشك .

لذا سأقتصر على ذكر بعض النماذج لآثار التبشير في قارتي آسيا وأفريقيا فإن في ذكرها عبرة لمن يعتبر " إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد " (١)

وأبدأ بنماذج لآثار التبشير في آسيا كاشفا المخطط التبشيري الاستعماري .

---

(١) سورة ق الآية ٣٧ .

١ - إندونيسيا (*)

إندونيسيا بلد إسلامى به نسبة كبيرة من المسلمين وقد تعددت الأقوال فى تحديد زمن دخول الإسلام إلى هذا البلد ، لكنها اتفقت فى دخوله إليها قبل المسيحية وقبل الاحتلال البرتغالى لجزر اندونيسيا .

فقد قال " ماركوبولو " Marco Polo الذى صرف خمسة أشهر فى الشاطئ الشمالى من سومطرا سنة ١٢٩٢م " إن كل السكان كانوا مجوسا وعباد أصنام عدا سكان البلدان فى مملكة بارلك Parlak الصغيرة الموجودة فى الشمال الشرقى من سومطرا لإنهم اعتنقوا الإسلام بواسطة تجار العرب .(١)

وشاهد ابن بطوطة أثناء رحلته بهذه الجزر ملكا مسلما وأقر أن حدود سلطنته على امتداد مسافة شاسعة وأكد مشاهدة ابن بطوطة السيد اساعيل العطاس فى محاضرة ألقاها فى نادى الشبان المسلمين بالقاهرة فى ٦ يناير ١٩٢٩م والمدونة فى كتاب حاضر العالم الإسلامى :

حيث قال : ولما دخل ابن بطوطة " سومطرا " سنة ١٣٤٥م ، وجد هناك ملكا مسلما اسمه الملك الزاهر وتمتد سلطنته على الشاطئ مسافة أيام سفرا وقد كان محبا للمباحثة مع علماء الدين وكان فى حاشيته شعراء وعلماء .(٢)

كما يقال إن الإسلام دخل هذه البلاد منذ القرن الأول الهجرى على أيدى التجار العرب ، ولهذا فقد زار تجار العرب تلك الجزر واستوردوا منها وصدروا إليها حتى أن التقاويم الصينية تتحدث فى عام ٦٧٤م عن جالية عربية فى الشاطئ الغربى من سومطرا ولكن ظلت الدعوة الإسلامية تسير بخطى بطيئة حتى أواسط القرن الثامن الهجرى " الرابع عشر الميلادى " حيث بدأ الإسلام يأخذ مكانة شعبية بين الجماهير فى اندونيسيا .(٣)

(*) " إندونيسيا " كلمة تحتوى على مقطعين " إندو " ومعناها الهند ، و " نيسيا " ومعناها جزر أى أن " اندونيسيا " معناها " جزر الهند " " يراجع : انتشار الإسلام وأشهر مساجد المسلمين فى العالم . محمد كمال حسين ص ١٠٦ " .

(١) ، (٢) حاضر العالم الإسلامى تأليف لوثروب ستودارد الأمريكى تعليق : الأمير شكيب أرسلان ج ١ ص ٣٦٧ طبع دار الفكر العربى - بيروت بدون تاريخ .

(٣) آسيا المعاصرة ، وكتاب المسلمون فى العالم د / عبد الرحمن زكى ص ٥١ .

ودافع شعب إندونيسيا المسلم المستعمر وظل يقاوم نير الاستعمار الصليبى ، فى صوره المتعددة من برتغال ، وانجليز ، وهولنديين مايقرب من ثلاثة قرون ونصف حتى استرد استقلاله فى ١٧ من أغسطس عام ١٩٤٥م (٩ من رمضان سنة ١٣٦٥هـ) ومنذ نيله الحرية والغزو الصليبى لم ينقطع عن أرضه فى صورة محاولات تبشيرية مستمرة تستهدف القضاء على الإسلام فى هذه الرقعة الشاسعة ، بتحويل أكبر تجمع إسلامى فى آسيا إلى النصرانية الغربية .

وقد وضعت الهيئات التبشيرية الخطة لتنصير هذا البلد المسلم وهى تطبقها فى القرى الإندونيسية فقد أعلن فى أندونيسيا أن قرية مسلمة فى " بونوروجو " بشرق "جاوه" قد تحولت إلى الكاثوليكية بعد أربعة عشر عاما من تنفيذ خطة لتنصير أهلها .

وقد بدأت الخطة عام ١٩٦٨م بإقامة كنيسة كبيرة فى القرية ثم اتخذت الخطوات الآتية بمساعدة السلطات :

١ ـ تنحية عمدة القرية المسلم واستبداله بمسيحى .
٢ ـ تنحية أعضاء مجلس القرية المسلمين ووضع مسيحيين محلهم .
٣ ـ اجبار طلاب القرية الذين أنهوا مرحلة التعليم الابتدائية على اعتناق الكاثوليكية كشرط لدخول المدارس الثانوية الكاثوليكية بمدينة مودين القريبة .
٤ ـ قامت الكنيسة بتوزيع الطعام المجانى على أهالى القرية بالإضافة إلى منح للطلاب لاكمال دراساتهم المتوسطة والعليا فى معاهد كاثوليكية .[(1)]
٥ ـ اشتركت فى هذا المخطط عدة كنائس وأفراد من ألمانيا الغربية حيث قدموا معونات لهذا الغرض وكانت المحصلة النهائية للعملية اعتناق ألف ومائة وثلاثة وعشرون شخصا للمسيحية من بين سكان القرية البالغ عددهم ألفين وخمس وأربعين شخصا وتعتزم الكنيسة اعتبار هذا المشروع تجربة رائدة تعمم فيما بعد على القرى المجاورة .

خطة للمنصرين فى إندونيسيا

إن المبشرين يضعون خطة للإنتهاء من تنصير إندونيسيا كافة خلال عشرين سنة على الأكثر ويكفى أن نشير إلى احصائية (١٩٧٥)م :

أ ـ طائفة البروتستانت ٩٨١٩ كنيسة ٣٨٩٧ قسيس ، ٨٥٠٤ مبشر متفرغ

---

(1) مجلة " المختار الإسلامى " (السنة الخامسة ـ العدد ٢٩) صـ ٣٠ ، ٣١ من مقال بعنوان تبشير : للتحرير ١٥ محرم ١٤٠٥هـ = اكتوبر ١٩٨٤م .

ب ـ طائفة الكاثوليك ٧٢٥٠ كنيسة ٢٦٣٠ قسيس ، ٥٣٩٣ مبشر متفرغ ، فشعب إندونيسيا الآن أمام جيش رهيب يغزو قلوب المؤمنين ، وقد زود هذا الجيش بما يضمن له نجاحه ، وبالقاء نظرة إلى إقليم واحد من إندونيسيا هو منطقة (كاليمنتان الغربية) نرى مدى الإمكانيات المتاحة لهذا الجيش الصليبي فالمؤسسات التبشيرية في هذا الإقليم وحده تملك ٢٧ مطارا تبشيريا ، وأسطولا من السفن وضع تحت تصرف المبشرين .

فإذا أضفنا أن المبشرين يملكون صحفا يومية كبرى (صحيفة الكومباس وسينارهارابان) كما يسيطرون على وسائل الإعلام ولديهم الإذاعات المحلية التبشيرية كما أن لديهم شبكة اتصال لاسلكية .

إذا عرفنا كل هذا أدركنا المأساة التي يعيشها الشعب الإندونيسي المسلم وأدركنا فداحة الجريمة التي يرتكبها المسلمون بصمتهم وسلبيتهم ازاء إخوانهم المستضعفين [1]

والواجب يحتم على المسلمين أن يتعاونوا ويقدموا لإخوانهم يد العون حتى يتمكن المخلصون في هذه الجزر المسلمة من إبطال دور التبشير وإبطال مفعوله ، والقضاء على باطله .

أخطر أسلوب تبشيري في إندونيسيا

لم يترك الغزو التبشيري فرصة إلا واغتنمها في تحقيق أطماعه ، والفرصة التي سنحت للمبشرين بإندونيسيا ـ ضمن الأشياء المتعددة والأمور الكثيرة التي يغتنمها ـ وجود غابات كثيرة ماتزال بكرا ، وكانت الفكرة المطروحة للبحث تهجير السكان من الأماكن المزدحمة بالسكان في جزيرة " جاوا " إلى الغابات الموجودة بـ " كاليمنتان " و " سولاويس " وسومطرا " .

وللمرء أن يتصور خطورة الدور التبشيري أمام خطة التهجير فالمؤسسات التبشيرية جندت نفسها بأساطيلها الجوية وسفنها البحرية لتقوم بعملية نقل السكان إلى الأماكن البكر كما سخرت المعدات لتطهير الغابات وبناء مساكن مجهزة مكان الغابات التي أزيلت ثم تكوين قرى نموذجية مهيئة للعمل التبشيري فالمدارس المسيحية مشيدة ، والكنائس

---

(١) أخطار التبشير في ديار المسلمين صـ ٢٤ ، ٢٥ ببعض التصرف .

مقامة والمستشفيات مجهزة وكل القائمين على أمر الإسكان الجديد من أنصار الصليب والويل لمن يعترض هؤلاء فى سيرهم ويظهر شعائر إسلامه ، ويصور هذا التسلط المسيحى ومدى تأثيره وفاعليته رجل عاش فى واقعه وهو من أهل البلاد فيقول :

فالذى يحدث أنها (أى الهيئات التبشيرية) تقوم بالإنفاق والإشراف والوصاية على المهاجرين فى مهاجرهم الجديدة وأكثرها واقعة فى أماكن نائية عن مراكز التجمع الإسلامى اشرافا يمكنها من التصرف وفق مخططات التبشير قد يكون أغلبية المهاجرين من النصارى وقد لايكون كذلك ، ولكنهم فى مقرهم الجديد لايلبثون إلا وقد عين لهم موظفون إداريون مسيحيون ، وقادة عسكريون وبوليس مسيحيون ، وهكذا يجدون أنفسهم أمام واقع لايستطيعون منه فكاكا ، وقد يكون جيرانهم الأصلاء فى المنطقة ممن تم تنصيرهم مسبقا ، وهكذا يستمر العمل تحت اشراف الهيئة التبشيرية التى تسارع إلى انشاء كنائس ومدارس الأحد وغيرها .

وتصبح السبل موصدة أمام المسلمين حيث لاتتوفر لهم فرص التوظف والعمل ، وفرص التعليم أمام أبنائهم نادرة جدا .(١)

كل هذه الأمور عوائق لانطلاق المسلم بإسلامه فى هذه الأماكن الجديدة وفرص تضغط بها المؤسسات التبشيرية على المسلمين ، ولما كانت هذه المناطق خالية من أماكن عبادة للمسلمين إلا ماندر فعلينا أن نتصور مدى التأثير المسيحى على المسلمين فى هذه المناطق وعلى أجيالهم على المدى البعيد إن الأمر يحتاج لتحرك إسلامى شامل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل فوات الأوان .

٢ ـ " ماليزيا "

ماليزيا من الدول الواقعة فى جنوب شرق آسيا وتتكون من ١٤ ولاية وعدد سكانها يبلغ ١٢ مليون نسبة ٥٢٪ فى المائة فقط مسلمون ، ويتعرض المسلمون للخطر الشيوعى فى الداخل والخارج ، حيث الحزب الشيوعى الصينى فى الداخل وفى الخارج الدول الواقعة شمال ماليزيا ، والتى سرى فيها التيار الشيوعى " كفيتنام ـ ولاوس ـ وكمبوديا " وقد وجدت الإرساليات المسيحية مجالا خصيبا فى هذا البلد وشكلت خطر لأهله .

---

(١) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا : أبو هلال العسكرى صـ ٩٦ ـ ٩٩ باختصار .

فضلا عن الخطر التبشيرى الذى لفت الأنظار إليه الدكتور / عبد الجليل حسن بقوله :

وتشير الدلائل إلى وجود أعمال تبشير نشيط عبر حدود ولاية سراواك وولاية صباح (بماليزيا) ولقد تدفقت ملايين الدولارات إلى هذه المنطقة من المنظمات المسيحية من جميع انحاء العالم ، وهناك تقارير تفيد وضع كثير من طائرات " الهليكويتر " تحت تصرف المبشرين وفيهم عدد من القسس الأجانب ، ونظمت العملية كلها تنظيما محكما ومولت تمويلا سخيا .(١)

وذلك فى محاولة منهم لاستغلال حاجة الفقراء ، والاستفادة من كل ثغرة فى المجتمع الإسلامى لتحويل المسلمين إلى النصرانية وقد أوجد ذلك رد فعل لدى كثير من علماء المسلمين جعلهم ينشطون فى بث التعاليم الإسلامية بين مختلف الفئات وخاصة الشباب .

ولكن المبشرين يعرفون طريقهم فقد حولوا دفة التنصير بسرعة بين غير المسلمين كما تشير الجريدة التى تسمى " المسلمون " بقولها :

ومع ذلك فإن التبشير ينمو بسرعة بين غير المسلمين فمؤتمرات " كنيسة اللــــه " التى يرأسها هندى قد نمت خلال عامين من حفنة من الأعضاء أكثر من ١٢٠٠ خلال ما يزيد قليلا عن السنتين وأيضا احتفلت كنيسة باسل المسيحية فى ماليزيا وهى كنيسة لوثرية بعيدها المئوى بمناسبة مرور قرن على تأسيسها وخصصت مبلغ ثلاثة ملايين ونصف المليون من الدولارات الماليزية لبناء مجمع يخلد المناسبة وسيؤمن هذا المجمع المبالغ اللازمة للكنيسة لمتابعة مهمة تنميتها على المدى الطويل ولتحقيق أهدافها فى الاعتماد على نفسها .(٢)

٣ ـ الفلبين

الفلبين من المناطق التى شهد فيها المسلمون الحملات التبشيرية الشرسة والاضطهادات المسيحية فى صورتها الصليبية والتى لم تترك للمسلمين شيئا إلا انقضت عليه بشراسة ، وقد وصل الإسلام لجزر الفلبين منذ عهد مبكر ، ويقال إنه وصل إليها

---

(١) المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية جـ ٢ صـ ١٨٩ طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م .

(٢) جريدة " المسلمون الدولية (السنة الأولى ـ العدد الحادى عشر السبت ٣٠ رجب ١٤٠٥هـ = ١٥ / ٤ / ١٩٨٥م) صـ ٧ من مقال بعنوان استنفار تبشيرى فى أوربا) .

مع انتشاره فى أراضى الشعوب (المالاوية فى جنوب شرقى آسيا ـ بمعناها الجغرافى (شبه جزيرة الملايو ـ وجزر إندونيسيا وبورينو ـ والفلبين) وتقرر الدراسات الدينية التاريخية أن الفلبين كانت تضم عدة دول إسلامية قبل أن يذهب إليها الرحالة الصليبى المتعصب " ما جلان " فى ١٦ مارس ١٥٢١م :

أ ـ فكانت فى جزيرة " سولو " سلطنة إسلامية تأسست حكومتها عام ١٣٨٠م .

ب ـ وكان فى جزيرة " مندناو " حكومة إسلامية أسسها الشريف كيوغسوان .

جـ ـ وكان فى منطقة (لاناو) حكومة إسلامية أسسها شقيق كيوغسوان) .[١]

وما أن جاء القرن الخامس عشر حتى كان للمسلمين سلطنة مستقلة تمثل أرقى نظام فى تاريخ الفلبين برئاسة السلطان شريف الهاشم[*] ، ومع مرور الوقت اتسعت سلطة الحاكم المسلم وتجاوزت حدود أرخبيل سولو .

وعندما وصل المستعمر الأسبانى لارخبيل الفلبين (١٥٦٥م) كان الإسلام ينتشر ويتوسع فى هدوء فى تلك الجزر وكانت سلطنات " سولو " و " مندناو " و " بوايان " قائمة ومترابطة ، وكانت " مانيلا " احدى البلديات المسلمة (أصل الاسم : أمان الله) وكانت أحكام الشريعة الإسلامية مطبقة فى عدة مناطق فى " خليج مانيلا " حتى أن الاسبان أطلقوا على سكانها الاسم نفسه الذى يعرفون به مسلمى شمال إفريقيا والأندلس (موروس Moros) واستغل اليسوعيون " الجزويت " انشغال المسلمين بمحاربة الأسبان ، " فسارع اليسوعيون بوضع خطة لتنصير المسلمين هناك " ولما استعاد مسلمو الفلبين قلعة " زانبوانجا " حرض اليسوعيون ملك اسبانيا لاحتلالها مرة ثانية .[٢]

وذلك ليتمكنوا فى النهاية من تنصير كل المسلمين فى هذه البلاد ، والآن وبعد أربعة قرون من كفاح المسلمين بالفلبين للصليبيين كى يحافظوا على إسلامهم وأرضهم يواجهون خطر الإبادة والتهجير والطرد وليس أمامهم إلا التسليم بالأمر الواقع أو البقاء تحت رحمة الغزوات التبشيرية المتعددة والمجهزة بأحدث وسائل العصر .

---

(١) المسلمون فى جزر الفلبين ـ جهادهم ومطالبهم الدكتور / رؤف شلبى ط (١) طبع دار الحمامى للطباعة بالقاهرة ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م .

(*) قبره موجود على إحدى منحدرات جبل (كومانتانجش ـ بالقرب من مدينة بواتسا) .

(٢) يراجع : مجلة الأمة (العدد الحادى والأربعون ـ السنة الرابعة) ص ٥٧ ، ٥٨ استطلاع بعنوان " المسلمون فى جنوب الفلبين من مغامرة ماجلان الصليبية إلى الحرب السابعة " ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

المناطق الإسلامية والغزو التبشيرى

إن المناطق التعليمية الخاصة بالمسلمين فى الفلبين يوجد بها هيئات تعليمية إسلامية تحاول أن تقف أمام أعاصير الهجمات التبشيرية وهى تحتاج من المسلمين أن يمدوها بكل ماتحتاجه ، وتنادى الدول الإسلاميه أن يكون لها موقف ووزن حتى تحمى الأقليات المسلمة ، وتحافظ على حقوقها ، والمناطق التعليمية يمكن تقسيمها إلى ثلاث مناطق :

المنطقة الأولى : وهى منطقة " المرناو " والتى تشمل منطقة " لاناو " الجنوبى والشمالى وحول بحيرة " لاناو " والتى تمد " منداناو " بالطاقة الكهربائية نتيجة تدفق المياه من هذه البحيرة الكبيرة .

وفى هذه المنطقة يوجد الآن مركز " الملك فيصل " للدراسات العربيه والإسلامية والذى يعتبر إحدى كليات جامعة منداناو الحكومية وجامعة الفلبين الإسلامية وكلية " بنغا مزغان " التى تدرس قدرا من العلوم العربيه والإسلامية بالإضافة إلى المعاهد والمدارس المنتشرة فى جزيرة " منداناو " كما قامت جمعية إقامة الاسلام بإقامة جامعة إسلامية ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧م أسسها (أجاما إسلام أكاديمى ") وبها كلية المعلمين ، وكلية التربية ، وكلية الآداب ، كلية التجارة .

المنطقة الثانية : تقع هذه المنطقة إلى الجنوب من المنطقة الأولى تمتد من الحدود الشمالية " لكوتاباتو " إلى حدود " دافاو " من الشرق وتسمى منطقة " المنداناو " وبالرغم من وجود عدد من المدارس بهذه المنطقة إلا أنه نظرا لعدم الاستقرار بالمنطقة نتيجة للحروب المعلنة على المسلمين ومايتبعها من جهل وفقر ومرض لم تؤد هذه المدارس الدور المنوط بها ، ماجعل المنطقة مفتوحة أمام الغزو التبشيرى المدعم بالاستعمار .

المنطقة الثالثة : وهى منطقة " التاوسق " وتقع إلى الجنوب الغربى من المنطقة الأولى والثانية ونشطت المدارس الإسلامية بهذه المنطقة وكثر بها الطلاب نتيجة لقدوم مبعوثوا الأزهر الشريف سنة ١٩٦٢م .

وأنشىء فى مدينة " هولو " كلية مسلمى الفلبين ونظرا لاقبال الطلاب المسلمين عليها وازدهارها بالتعليم وبالعلوم ، عز على العصابات الصليبية أن ترى مؤسسة إسلامية تؤدى

دورها فى تثقيف أبناء المسلمين وتزويدهم بسلاح العلم والمعرفة وتربيتهم إسلاميا .

عز على العصابات المسيحية أن ترى براعم هذه الكلية شامخين بتعليم الإسلام فقامت بحرقها ، والواقع يشهد أن المسلمين فى هذه المنطقة يعانون من إرهاب خطير إنه إرهاب أشد ضراوة وأكثر شراسة من إرهاب المستعمرين إنه إرهاب مزدوج دمجت فيه عصابة الصليب بعصابة الصهيونية فلم يقتصر على ناحية واحدة بل يمتد ليشمل تدمير المساجد ، والمدارس ، وتخريب البيوت حتى أن علماء المسلمين قد شغلتهم حروب العصابات المسيحية والصهيونية الدائمة ، ووقوف الحكومة بجانب عصابات البغى عن تأدية رسالتهم التعليمية ، وكان ذلك بمثابة فرصة ذهبية للمبشرين ليمرحوا فى البلاد بنشاطهم الصليبى وقد فرغت لهم الساحة من علماء المسلمين الذين أنهكتهم الحروب ، وكبلت أيديهم السلطات .(١)

٤ ـ الهند

لقد تمتعت الهند بدخول الإسلام إليها مبكرا فيقال : إن أول حملة إسلاميه وصلت إلى بلاد السند كانت سنة ٢٥ هـ ، ومن ذلك الوقت والإسلام يمتد نوره فى بلاد السند وماجاورها من بلاد الهند ، وقد زاد انتشاره هناك منذ الفتوحات الإسلاميه التى تمت على يد السلطان محمود سبكتكين الغزنوى (*) (٢)

ولما كانت الدولة الغزنوية هى الدولة التى سطع فى عهدها نور الإسلام بالهند نَتَحَدَّثُ عنها بإيجاز قائلين :

أسس هذه الدولة الأمير ناصر الدين أبو المظفر سبكتكين وكان تركيا من موالى آل سامان وقادة جيوشهم وقد جاهد حتى تمكن من الاستقلال بمملكة صغيرة (عاصمتها غزنة)(*) وورث أبو القاسم محمود بن سبكتكين هذه المملكة عن أبيه واتخذها قاعدة حربية بدأ منها غزواته للأقاليم المجاورة لها والتى امتدت من لاهور شرقا إلى أصفهان غربا .(٣)

---

(١) يراجع كتاب (المسلمون فى الشرق الأقصى) د / محمد محمد زيتون صـ ٨٩ ـ ١٠٠

(*) ولد محمود سبكتكين الغزنوى سنة ٣٨٨ هـ وتوفى ٤٢١ هـ الموافق بالميلاد (٩٩٨ـ١٠٣٠م)

(٢) الإسلام ظهوره وانتشاره فى العالم الأستاذ / حامد عبد القادر صـ ٢٦٢ ط (٢) مطبعة نهضة مصر بالفجالة بالقاهره ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م .

(*) مدينة غزنة هذه تقع فى أفغانستان الحالية لأن أفغانستان وباكستان والهند كانت جميعها يطلق عليها شبه القارة الهندية .

(٣) المرجع السابق .

وكلها فتوحات إسلامية اتسمت بالرحمة والعدل ، وترتب عليها دخول الهند في الإسلام .

" وفي القرن الثاني عشر دالت دولة سلاطين غزنة وقامت على انقاضها السلطنة الغورية وفي عام ١١٩٣م استولى السلطان محمد غور على دلهي وبناريس وتم له اخضاع الهند العليا ١٢٠٣م وعهد إلى إدارة شئون الهند إلى " مالك قطب الدين أيبق " الذي أسس دولة " الملوك العبيد " الذين حكموا الهند من دلهي حتى عام ١٨٥٧م "(١) فكانت الهند تنعم بالحكم الإسلامي حتى هذا التاريخ .

وبعد التاريخ المذكور حل الاستعمار الغربي ولقى المسلمون اضطهادا من المستعمر ما دعى المسلمون إلى المطالبة بتكوين دولة إسلامية خاصة بهم " وفي مؤتمر " مدراس " عام ١٩٤١م كرر المسلمون المطالبة بإنشاء دولة إسلامية وأطلقوا عليها الاسم الذي اختاره لها مولانا رحمت على منذ ١٩٣٣م الباكستان وهي تجمع الأحرف الأولى لأسماء الولايات الإسلامية في الهند ب : بنجاب ـ أ : أفغانستان الشمالية الغربية ـ ك : كشمير ـ س : سند ـ تان : بلوخستان(٢) .

وماكاد الاستعمار البريطاني يرحل عن الهند حاملا عصاه على كتفه ، حتى سلمها للحكم الوثني يتحكم في المسلمين الذين قدموا الكثير من أجل تحرير الهند والذين كان حكامهم المسلمون مثالا للإنسانية الكريمة العادلة في حكمها طيلة ثمانية قرون ، وكان من جراء الحكم الوثني المعترف به من قبل الاستعمار أن اضطر المسلمون إلى الهجرة من المقاطعات الهندية (من دلهي وضواحيها ومنطقة شرق البنجاب ومقاطعات الهند الوسطى ، وولاية حيدر آباد الدكن) من كل هذه الولايات هاجر المسلمون إلى باكستان تحت ضغط الاضطهاد الوثني للحكم في الوقت الذي ترك فيه الحبل على الغارب لعصابات التبشير النصراني تسرح وتمرح في البلاد ، وترتكب باسم المسيحية في العصر الحديث مايخجل منه الإنسان فالأم " تيريزا " تعمل في حقل التنصير في الهند على نطاق واسع ، وفضيحة بيع الفتيات الهنديات للكنيسة الكاثوليكية في أوربا منذ سنوات لإدخالهن في الأديرة كراهبات بعد خلو هذه الأديرة من المتقدمات الأوربيات ليست ببعيدة عن الأذهان مهما حاول أنصار الفاتيكان اسدال الستار حولها ، وإحاطة الأم " تيريزا "

---

(١) يراجع كتاب : الإسلام في العالم الحديث ـ المسلمون في آسيا جنرال " بوهير " أندري تعريب لويس الحاج جـ ٢ صـ ٤٧ ط (٢) طبع بيروت لبنان ١٩٥٣م .

(٢) المرجع السابق صـ ٦٣ .

ـ صاحبة الدور الكبير فى صفقة بيع الهنديات ـ بدعاية واسعة فى الإعلام العالمى وجعلها فى مصاف القديسات ، وذلك على العكس حين أرادت قبائل (الهاريجان) وهم طوائف من الهندوس المنبوذين) أن تختار الإسلام دينا لما رأت فيه من الخير والكمال هبت وسائل الإعلام الموالية للاستعماريين تتهم حكومات ومنظمات إسلامية بأنها تستدرج هؤلاء المنبوذين وتغريهم بالمال ، يقول الدكتور عبد المجيد وافى :

وترجع بداية القصة إلى سنة ١٩٨١م عندما تحدثت صحيفة " تايمز أوف أنديا " عن مخطط يعمل على تحويل ـ ثمانين مليونا ـ من الهندوس " المنبوذين " الهاريجان البالغ تعدادهم مائة وعشرين مليونا إلى الإسلام ، وذلك عن طريق المعونات المالية والمساعدات الاجتماعية ، وكانت البداية خمسين أسرة من الهاريجان ، قبلت الإسلام بعد تقديم معونة ـ ٤٠٠,٠٠٠ ـ أربعمائة ألف روبية هندية لإقامة مشروع زراعى وهى فى الحقيقة ـ كما زعموا ـ للاستدراج إلى الإسلام .

وتدعى الصحيفة المذكورة أن إسلام " الهاريجان " مخطط منظم من جماعة الإسلام فى الهند تموله دول بترولية عربية والمنظمات الإسلامية فى أوربا والتى من بينها مايدعى بمنظمة (تأسيس الإسلام بلندن وهذا ماذكرته مجلة " الموج ") الإسبوعية الصادرة فى نيودلهى فى نفس الوقت تقريبا .(١)

والسبب الحقيقى لإسلام " الهاريجان " مايعانونه من الظلم والاحتقار من طوائف أخرى فى الهند فى الوقت الذى يشاهدون فيه عدل الإسلام وسماحته فى تعامل المسلم معهم ومايقال ويشاع عن تحريض دول أو إغرائها بالمال لدفع " الهاريجان " إلى الإسلام إدعاء صليبى وتحريض استعمارى وصنعت أسسه بريطانيا منذ أكثر من مائة وخمسين عاما وروج له زعماء التبشير ومناصروهم فى محاولة منهم للقضاء على الإسلام الذى انتشر فى معظم أرجاء الهند فى القرن الأول الهجرى .(٢)

وفى الوقت نفسه يحاولون قطع الصلة بين المسلمين وإخوانهم المستضعفين فى البلاد النائية بحجة أن أى معونة تقدم إليهم القصد منها التحريض على الوثنية فى كافة صورها ، فى الوقت الذى يتاجر التبشير فيه بالانسان ويشتريه ويبيعه فى آن واحد بحجة

---

(١) يراجع (منار الإسلام : العدد الرابع ـ السنة التاسعة) ص ١٠٠ من مقال للدكتور عبد المجيد وافى بعنوان إسلام الهاريجان ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

(٢) المرجع السابق بتصرف .

هدايته ويالها من نكسة إنسانية تسترق الإنسان بدعوى إنقاذه فياله من إنقاذ مشين .

٥ ـ إمارات الخليج والخطة التبشيريه

جدد المبشرون خطتهم التبشيرية فى منطقة الخليج العربى على أساس يكفل لهم نشر الإنجيل بين رعيل المسلمين بلامنازع وهذا ماورد على لسان أحدهم ليكون محل التطبيق العملى على أرض الخليج العربى :

أ ـ يجب أن يكون الهدف التبشيرى غالبا على التعليم .

ب ـ يجب أن يكون للإنجيل المقام الأول فى الدروس اليومية وحضور هذا الدرس كما يجب أن يكون شرطا للقبول فى المدرسة .

جـ ـ يجب أن يكون الهدف التبشيرى ظاهرا وأن يعلم الآباء بأن أبناءهم يحضرون إلى المدرسة ليتحولوا إلى المسيحية .

د ـ يجب بذل الجهود للحد من استخدام المدرسين المسلمين وتزويد المؤسسة بهيئة قادرة على التأثير الفردى المباشر .

هـ ـ يجب على خبراء التبشير أن يضعوا فى حسابهم أهمية هذه الأمور وارتباطها بالنشاطات التبشيرية الأخرى .(١)

آثار التبشير فى دول الخليج العربى

ظهرت آثار التبشير سافرة فى دول الخليج العربى فى محاولة لتنصير ولاياته ، ومسح تعاليم الإسلام فى هذا الجزء المسلم من قارة آسيا ، وتتكشف آثار التبشير الخطيرة فيما ذكره الدكتور / عبد الودود شلبى نقلا من وثائق مركز الدعوة الإسلامية ـ الشارقة ـ دولة الإمارات (م ٠ش) بعنوان : حقائق عن التبشير فى أبو ظبى :

أولا ـ الكنائس:

توجد فى أبو ظبى ٣ كنائس ، اثنتان منهما فى شارع الكورنيش وهو الشارع الرئيسى على الخليج فى المدينة وتقعان فى مكان بارز ومن العجيب أن بجوارهما توجد سفارة

---

(١) التبشير فى منطقة الخليج العربى (دراسة فى التاريخ الاجتماعى والسياسى د / عبد المالك خلف التميمى صـ ١٦٠ .

الكويت فى أبو ظبى ، أما الكنيسة الثالثة فتقع فى حى الخالدية وهو من أرقى أحياء أبو ظبى ويلاحظ الآتى :

أ ـ الأرض المقامة عليها هذه الكنائس هبه وهدية من الدولة وتقع هذه الأراضى فى أفخم وأرقى الأماكن فى أبو ظبى ويقدر ثمنها بعدة ملايين من الدراهم .

ب ـ سيتم نقل الكنيستين المقامتين فى شارع الكورنيش إلى أماكن وسط المدينة ويبدو أن ذلك تم بعد إعادة النظر فى موقع هذه الكنائس وستعطى الحكومة لأصحاب هذه الكنائس أرضا أخرى ذات مساحة كبيرة جدا وعدة ملايين من الدراهم .

جـ ـ يلاحظ أن الكنيسة الكبيرة المقامة على الكورنيش ملحق بها مدرسة راهبات الوردية التى يتعلم بها كثير من أطفالنا المسلمين كما ألحقت بالكنيسة مدرسة أخرى اسمها مدرسة القديس جوزيف .

د ـ الكنيسة المقامة فى حى الخالديه تقع بجوار المدرسة الإنجليزية ويتعلم بها كذلك عدد من ابنائنا المسلمين ، ويقال إن وزير التربية والتعليم السابق قدم إعانات كبيرة لهذه المدارس .

ثانيا ـ المدارس :

المدارس الأجنبية أساسا هى مراكز للتبشير فى أبو ظبى وأهم هذه المدارس الأجنبيه هى :

١ ـ مدرسة راهبات الوردية : وهى مدرسة لبنانية أصلا .

٢ ـ مدرسة الشويفات : وبدأت أصلا فى قرية الشويفات بلبنان ثم فتحت أول فروعها فى الشارقة ، ومنذ حوالى سنتين فتحت فرعها فى أبو ظبى ، وتقيم هذه المدارس بالذات احتفالات فى العديد من المناسبات مثل عيد الأم مثلا فى الربيع ويحضرها كبار رجال الدولة والشيوخ وتقوم الصحف ووسائل الإعلام المختلفة بنشر صور المسئولين فى هذه الاحتفالات .

٣ ـ مدرسة سانت جوزيف .

٤ ـ مدرسة جاك آند جل .

٥ ـ المدرسة الأمريكية .

٦ ـ المدرسة الفرنسية .

٧ ـ المدرسة الألمانية .

٨ ـ مدرسة الليينز .

٩ ـ المدرسة الهولنديـــة

١٠ـ المدرسة الإنجليزية •

وقد حدث أن طالبت المدرسة الفرنسية من وزارة التربية والتعليم عدم الالـــتزام بتدريس الدين الإسلامى فردت عليها الوزارة بأن ذلك ممكن لو أن تلاميذها كلهم مـــن الفرنسيين لكن إذا دخلها أطفال مسلمون فلابد من الالتزام بتدريس الدين الإسلامى •

ويلاحظ كذلك أن مدرسة الشويفات المسيحية اللبنانية تم دعمها بمبلغ ٢٢ مليـــون درهم من بعض الجهات الحكومية (وغير خاف أن ماجرى ويحدث بلبنان من نكبات السبب الأول والرئيســى فى جريانه وحدوثه تلكم المدارس والمعاهد التبشيرية الأجنبيه) •

ثالثا ـ المستشفيات والبنوك :

أ ـ فى بعض المستشفيات يكون رؤساء الأقسام من المسيحيين فمثلا رئيس قســـم العظام فى المستشفى المركزى مسيحى من مالطة واسمه الدكتور أماتو وقام بنقل ٣ أطبـــاء مسلمين من بينهم طبيب عظام عالمى قام باعادة يد عامل بنجالى مقطوعة إلى مكانها بينما أبقى الطبيب المسيحى معه ٣ أطباء مسيحيين لم ينقلهم •

ب ـ بنك أبو ظبى الوطنى : واجهة الدولة المصرفية رئيسه مسيحى مصرى اسمه "اسعد سمعان " وبالتالى فإن معظم موظفى البنك فى أبو ظبى وفروعه من الأقباط والمسيحيـــين وهذا أمر معروف لكل رجال البنوك •[1]

يضاف إلى ماتقدم : " دور الفنادق التبشيرى ، ودور المستشفيات ، والأندية "[2] وتدل الإحصائيات الرسمية على أن نسبة غير المسلمين ترتفع فى دولة الإمارات بشكل مطرد سريع •

ففى خلال عشرين سنة ارتفعت نسبتهم فى السكان من نصف فى المائة إلى عشرين بالمائة خصوصا بعد تدفق العمال السيخ من الهند والعمال النصارى من الفلبين ولبنــان وأوربا •[3]

أما فى المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين الذى انعقد فى القاهره فى أوائل شهـــر ذى الحجة سنة ١٣٩٧ هـ ، فقد قدم الشيخ عبد الله بن على المحمودى إلى المــــؤتمر " وثيقة تبشيرية " وكان من أخطر ماورد فى الوثيقة ـ كما يقول الشيخ عبد الله :ـ

---

(١) أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية دكتور / عبد الودود شلبى صـ ٩٤ ـ ٩٦ •

(٢) يراجع المرجع السابق صـ ٩٦ ـ ١٠١ " لمعرفة دور هذه المؤسسات " •

(٣) المرجع السابق صـــ ٩٨ •

إن التبشير ركز من نشاطه فى الخليج تمهيدا للقضاء على الإسلام والسيطرة على معاقله الرئيسية ، وإن المنظمات التبشيرية العالمية قررت جعل "دبى" مركزا وقاعدة للانطلاق والهجوم على مكة المكرمه [1]

ولتحقيق ذلك أقيمت أكبر كنيسة وأكبر مدرسة تبشيرية فى هذه المنطقة والشىء المحزن والمؤلم حقا أن أثرياء المسلمين وأصحاب النفوذ "بدبى" كانوا من أسبق الناس تبرعا وسخاء لإقامة هذه المؤسسة التبشيرية الضخمة ، وقد وضع الشيخ عبد الله النقاط على الحروف وقد لخص بحثه فى عدة نقاط مبينا خطورة الهجمات التبشيرية وواجب المسلمين فى التخلص منها ومحوها مع آثارها فى الآتى :

أولا : إن التبشير يهدف إلى غاية خطيرة تتمثل فى هذه الهجمات الشرسة التى يقوم بها فى العالم الإسلامى كله وإن هذه الهجمات قد خطط لها من زمن بعيد على نحو ماورد فى كتاب " الغارة على العالم الإسلامى " الذى ظهر وطبع منذ خمسين سنة .

ثانيا : إن تقصير المسلمين تجاه إخوانهم المنكوبين وتخليهم عن واجبهم تجاه مايتعرضون له من المحن والنكبات يتيح لهؤلاء المخربين الفرص لضرب الإسلام فى معاقله والتشكيك فى الرابطة الإسلامية بين شعوبه .

ثالثا : إننا نستطيع بالتعاون المنظم بين الشعوب الاسلامية والجماعات الاسلامية العاملة فى هذه الشعوب أن نفسد هذا المخطط ونكشف هذه المؤامرات ولايتم ذلك إلا بالعطاء والبذل والتضحية بالقليل من الأموال والمساعدات .

رابعا : إننا لاننكر أن لمصر والمملكة السعودية والكويت ودولة الامارات مواقف نبيلة تجاه المنكوبين المسلمين فى شتى بقاع العالم ولكن هذا المؤتمر يستطيع أن يخطط لعمل إسلامى موحد يتم بمقتضاه دراسة الأحوال ، وتقديم المساعدات والتصدى لكل المحاولات الهدامة ضد الإسلام والعالم الإسلامى .

خامسا : إن الدعوات التى تنطلق هنا وهناك داعية إلى التفاهم بين المسلمين وغيرهم من أصحاب العقائد والديانات لن يكتب لها النجاح مالم يتوقف أصحاب هذه

---

(1) المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية جـ ٢ ص ٤٤٠ (وثيقة تبشيرية لسماحة الشيخ عبد الله بن على المحمودى بدولة الإمارات بتصرف ، مجلة الأمة (العدد التاسع عشر ـ السنة الثانية) ص ٨٠ من مقال بعنوان غارة تنصيرية شرسة على الخليج د / عبد الودود شلبى ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .

العقائد عن حملاتهم المسعورة ضد الإسلام وشعوبه ويقدموا الدليل الواضح على صدق هذه الدعوة بالتفاهم والحب لابالبغضاء والكراهية وسوء النية والتناقض الواضح بين أقوالهم المعلنة وأعمالهم الخفية .

سادسا : إن الأزهر كما يتضح من هذا التقرير خطر كبير على أعداء الإسلام فى كل الدنيا ، فعلينا أن نعمل لتقويته واعلاء شأنه ، وإحاطته بكل أنواع الرعاية والإعزاز والمساعدة .

سابعا : لابد من الإسراع فى إنشاء صندوق خاص للدعوة الإسلامية تتجمع فيه كل أنواع التبرعات والزكوات والمساعدات – حكومية أو شعبية – وأن يكون لهذا الصندوق مجلس إدارة تمثل فيه كل الشعوب الإسلامية وتتكون له فروع فى كل الأقطار القادرة على الإسهام فى هذه القضية المقدسة .[1]

هذا ماعرضه صاحب الوثيقة من نقاط وضح فيها آثار التبشير الخطيرة وقدم الوسيلة الفعالة لمجابهتها ، وإذا لم نتعاون فيما بيننا لنصرة ديننا ، ولحماية عقيدتنا وأجيال المسلمين من كل معتد أثيم فالطوفان قادم إلى بلادنا نحن المسلمين ، والويل لمن يقصر أو يتوانى أو يحط من شأن هذا الخطر الكبير يقول وليم جيفورد :

متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا أن نرى العربى يتدرج فى طريق الحضارة التى لم يبعده إلا محمد وكتابه ، فالزحف إلى مكة إذن هو الغاية والتبشير فى الخليج هو رأس الحربة فى هذه الغارة .[2]

تمهيد حول الإسلام فى إفريقيا

إن الإسلام دخل قارة إفريقيا عن طريقين :–

١ – عن طريق الساحل الشرقى المحاذى للبحر الأحمر ، ويعتبر الجغرافيون أن هذا البحر ليس حاجزا أو فاصلا بين شبه الجزيرة العربية وبين شرق إفريقيا ، وإنما هو مجرد كسر التوائى بين منطقتين فى أرض واحدة مناخها واحد وتضاريسها متشابهة ، ومما يؤكد الصلة القوية بين سكان المنطقتين أنه فى السنة الخامسة من البعثة النبوية أشار النبى محمد صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالهجرة الأولى إلى الحبشة

---

(١) المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية (وثيقة تبشيرية) صـ ٤٤٨ .
(٢) " مجلة الأمة " (العدد التاسع عشر – السنة الثانية) صـ ٨٠ .

فخرج من مكة أحد عشر رجلا وأربع نسوة ولما وصلوا إلى البحر ركبوا سفينة أوصلتهم إلى الحبشة فأقاموا فى جوار النجاشى ، وكانت هذه الهجرة لفتة كريمة مبكرة بالدين الإسلامى فى هذه البلاد واعلانا مباشرا برسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فى هذه البقعة الطيبة ، وتصريحا بعالمية الدعوة الإسلامية التى لاتقف فى وجهها حواجز أو موانع ، وبلغ من تأثير المهاجرين الأوائل فى بلاد الحبشة أن أسلم ملكهم النجاشى ولذا لما مات صلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، واستغفر له[1] ، ومن حين الهجرة الأولى والإسلام يمتد نوره إلى إفريقيا من هذه الجهة الشرقية .

٢ ـ عن طريق مصر فى الشمال الشرقى للقارة ، ومن هذا المدخل وفد الإسلام بضوئه الساطع إلى بلاد المغرب العربى ، وتشعب نوره إلى قلب القارة ، وإلى جبل المناطق فى غربها ، فى الوقت الذى يسرى فيه الإسلام إلى قلب إفريقيا من جهة الشرق والجنوب الشرقى حتى وصل غرب القارة فى فترة ظهور الإسلام .

فمن جهة وصول الإسلام من الشمال الشرقى إلى الشمال الغربى فقد سار عمرو بن العاص إلى مصر فى سنة تسع عشرة من الهجرة النبوية فنزل العريش ثم أتى الفرماء وبها قوم مستعدون للقتال فحاربهم فهزمهم وحوى عسكرهم ومضى قدما إلى الفسطاط وبعد إتمام فتح مصر توجه إلى الإسكندرية ، يقول الشيخ الشرقاوى :

فلما وصل إليها وحاصرها حصارا شديدا حتى أشرف على أخذها أرسل إليه المقوقس يسألهم فى الصلح وأن يجعل لهم عليه الجزية[2]. لكن عمروا تمكن من فتحها ، وتابع فتوحاته حتى برقة[*] فلما كان عهد عثمان مد عبد الله بن أبى سرح فتوحه أكثر إلى الغرب وأخضع جزءا من إفريقية ودانت له قرطاجنة بدفع الجزية، وقد ظل عمرو بن العاص واليا على مصر فترة خلافة عمر بن الخطاب فلما توفى عمر وَوُلِّى عثمان بن عفان الخلافة وَلَّى عبدَ الله بن أبى سرح على مصر بدل عمرو بن العاص ، فبعث السرايا لغزو أفريقيا

---

(١) وكان موت النجاشى فى رجب من سنة تسع من البعثة ، ونعاه رسول الله " صلى الله عليه وسلم " إلى الناس فى اليوم الذى مات فيه وصلى عليه بالبقيع (السيرة النبوية لابن هشام جـ١ صـ ٢٩٤ بالهامش) بتصرف يسير .

(٢) فتوح الشام (بالهامش ـ تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين للإمام الشيخ : عبد الله الشرقاوى صـ ٥٠ . بدون عدد للطبعة ـ المطبعة المصرية ١٣٠٢هـ

(*) برقة ـ مدينة فى أنطابلس ، وهى بين مصر وأفريقيا " وهى المنطقة الشرقية من جمهورية ليبيا العربية فتحها عمرو بن العاص سنة ٦٤٢م ومن مدنها الهامة بنغازى ، طبرق ، درنه (المنجد فى العلوم صـ ١٢٦) .

فتوغلت فى البلاد وأصابت الكثير من المغانم وتمكن عبد الله بن الزبير من قتل ملك أفريقيا (جرجير) ، واستمر التقدم الإسلامى فى القارة حتى جاء عهد يزيد ابن معاوية يقول الدكتور / عبد الفتاح على شحاته :

فقد استعمل يزيد عقبة بن نافع الفهرى على إفريقيا ، فافتتح بلاد المغرب حتى وقف على المحيط الأطلسى فى حركة عسكرية خاطفة وأنشأ مدينة " القيروان " لتكون مركزا إسلاميا وله الآن بالجزائر مسجد .(١)

وبعد موته خلفه حسان بن النعمان الغسانى من قبل عبد الملك ابن مروان فكان لحسان الفضل الأكبر في استعادة إفريقيا وطرد الروم منها سنة ٧٨هـ = ٦٩٨م فقد فتح " قرطاجنة (*) ، " وتونس " وحمل على البربر فقتل الكاهنة ملكتهم ، ثم خلفه موسى بن نصير وفى عهده بعث القائد طارق بن زياد سنة ٩٣هـ = ٧١٢م لفتح بلاد الأندلس وواصل المسلمون الفتح حتى جبال الألب بفرنسا ، وقد توغل العرب فى شجاعة إلى أن وصلوا إلى قلب فرنسا عند مدينتى تور وبواتيه .(٢)

ومن الباحثين من يشير إلى أن الإسلام سلك طريقه إلى غرب أفريقيا من ثلاثة منابع رئيسية وفد منها الإسلام بلغته وحضارته .

١ ــ من مصر إلى النوبة (*) إلى برنو (*) إلى بلاد " الهوسا " .

٢ ــ عن طريق الحبشة إلى " اليوروبا " و " الأشانتى " .

٣ ــ من شمال إفريقيه عبر الصحراء إلى حوض النيجر الأوسط والغربى .(٣)

---

(١) تاريخ الأمة العربية ــ دراسات فى تاريخ الأمويين جـ٢ صـ ٩٢ ط (١) مطبعة زاهران بالقاهرة ١٣٨٨هـ = ١٩٦٩م .

(*) قرطاجنة : مدينة فى تونس قامت على أنقاض مدينة قرطاجة يراجع " المنجد فى العلوم صـ٥٤٧ "

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٦ " مادة الأندلس " صـ ٦ .

(*) النوبة : منطقة إفريقية تمتد على شاطئ النيل بين أسوان والسودان وتنقسم إلى النوبة السفلى : وهى الجزء الواقع فى مصر بين أسوان ووادى حلفا ، والنوبة العليا وهى المناطق الواقعة فى السودان يراجع (المنجد فى العلوم صـ ٧١٥) .

(*) البرنو : من مناطق السودان الأوسط مساحتها نحو ١٥٠,٠٠٠ كم٢ ويحدها شمالا الصحراء ، وغربا بلاد الهوسا بنيجيريا ، وجنوبا " ادموه " بجرمى ، وشرقا تشاد وسكانها من العرب والبربر (يراجع المرجع السابق صـ ١٢٧) .

(٣) الإسلام واللغة العربية فى غرب أفريقيا " مستخرج من حوليات كلية الاداب " جامعة القاهرة المجلد السابع والعشرون ١٩٦٥م " د / ابراهيم على طرخان صـ ٥٣ بدون عدد للطبعة مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٩م .

وقد ساهم الدعاة والتجار المسلمون الذين جاءوا من وادى النيل ومصر بصفة خاصة ومن بلاد المغرب فى نشر الدعوة الإسلامية فى غربى إفريقية ومعهم دخلت المدنية الإسلامية وماحوت من علوم وآداب وتقاليد اجتماعية ونظم حكومية " ويؤرخ لدخول الاسلام فى غربى أفريقية بالقرن السابع الميلادى أى بالقرن الذى ظهر فيه الإسلام لإول مرة وبما أن مالى جزء من غربى إفريقية ، فقد وصلها الإسلام كما وصل غيرها من جهات هذه البقعة ، ولكن بدرجة محدودة فى فجر ظهور الإسلام ويكفى دليلا على اتساع انتشار الإسلام فى حوض النيجر ، أنه عندما أراد ملك جنى " على النيجر ، أن يعتنق الإسلام فى القرن الثانى عشر الميلادى ، أمر بحشر العلماء فى بلاده ، فاجتمع له فيما يقول السعدى ٤٢٠٠ عالم مسلم وأسلم على أيديهم ، وليس من المعقول أن يكون هذا العدد أو حتى نصفه من العلماء قد تكون فى فترة قليلة ، كما أنه ليس من الضرورى أن يكون جميع هؤلاء العلماء من الوطنين الإفريقيين فى غربى إفريقيه ، أو من الأجانب بل إن اجتماع مثل هذا العدد ، فى وقت واحد ، يدل على مدى نشاط الدعوة الإسلامية ، وكثرة المعتنقين للإسلام ، فضلا عن تشجيع الحكام المحليين للدعاة على العمل وحرية التنقل .[1]

ويشير الدكتور إبراهيم على طرخان إلى دخول الإسلام مبكرا إلى هذه البلاد قبل عهد المرابطين ، وإلى الاتصال الإسلامى بين مصر والسودان الأوسط والغربى والشمال الإفريقى منذ عهد مبكر مما يؤكد حيوية الإسلام وسرعة انتشاره وتقبل الشعوب له لأنه دين الفطرة وذلك بقوله : الإسلام قديم فى غرب إفريقية عامة،إنه لم يدخل تلك البلاد لأول مرة على المرابطين فى القرن الحادى عشر الميلادى كما هو مشهور بل إن الصلات المتنوعة القديمة القائمة بين بلاد السودان الأوسط والغربى وبين البلاد الإسلامية فى وادى النيل وماوالاه شرقا ، وشمال إفريقية كانت ذات أثر كبير فى وصول الإسلام والتعريف به فى بلاد السودان وذلك قبل عهد المرابطين بما لايقل عن أربعة قرون .

وأثرت دولة البرنو الإسلامية المكتبات العربية ، بالمصنفات فى شتى فنون العلوم الإسلامية التى خلفتها بالرغم من ضياع معظم المصنفات العربية خلال حركات الصراع الإفريقى ضد المستعمر الأوربى .

---

(١) قيام امبراطورية مالى الإسلامية (دراسات فى التاريخ القومى الإفريقى) " مستخرج من مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم العدد الأول سنة ١٩٧٠م " د / إبراهيم على طرخان ص ٢٦ بدون عدد للطبعة مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٠م ، الإسلام واللغة العربية فى غرب إفريقيا ص ٥٥ ، ٥٦ .

وتلاشت إمبراطورية البرنو التاريخية فى غمرة الاستعمار الأوربى فى مطلع القرن العشرين بعد أن جزءها إلى عدة أقسام وأقام على أنقاضها أو على أجزاء منها دويلات منها :

١ ـ جمهورية تشاد التى شملت أغلب الأجزاء الشرقية من الإمبراطورية .
٢ ـ جمهورية أفريقيا الوسطى التى ضمت الأطراف الجنوبية من الإمبراطورية .
٣ ـ جمهورية النيجر وتحتوى على أغلب الأجزاء الشمالية والشمالية الغربية .
٤ ـ جمهورية نيجيريا وتضم إقليم برنو الأصلى غربى بحيرة تشاد .
٥ ـ جمهورية الكمرون وتضم الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من برنو واستقلت جميعها على مدار عام ١٩٦٠م .

" وبرنو " مملكة قديمة واسعة كانت من ممالك السودان القديمة وصل نفوذها إلى حدود مصر شمالا وإلى المحيط الأطلسى جنوبا وكانت صلتها بمصر متينة أدت إلى إرسال بعثات علمية إلى مصر وتخصيص رواق منسوب إليها ضمن الأروقة الإسلامية بالأزهر ويدعى حتى اليوم برواق برنو .(١)

وهناك عدة مراكز هامة فى شمالى أفريقيا ينطلق منها الدعاة المسلمون إلى غرب القارة ، ومازال هذه المراكز عوامل تثبيت للدعوة الإسلامية فى مواجهة الزحف التبشيرى الشرس القادم من أوربا ، ومن الأمريكتين عبر المحيط الأطلنطى ، مما يجعلنى أشير إلى بعض هذه المراكز نظرا لأهميتها التى مازالت قائمة ولمحاولة العمل التبشيرى الدائبة لسلب فاعليتها وهاهى :

١ ـ برقة بلبيا : كانت قوافل المسلمين تغادر برقة محملة بالبضائع وتتوجه صوب بيلما " Bilma " حتى تصل منطقة بحيرة تشاد ، وقد تصل القوافل نفسها بلاد برنو " Borno " .
٢ ـ القيروان بتونس : كان التجار المسلمون يغادرون القيروان بجما لهم المحملة بمنتجات " إفريقية " إلى " تكيدة " حيث تقع مناجم النحاس ، ومنها تقصد كانو " Kano " فى بلاد " الهوسا " بنيجيريا .
٣ ـ تلمسان بالجزائر : كانت قوافل التجار المسلمين تنطلق من تلمسان إلى ثنية نهر النيجر حيث تقع مدينتا تمبكتو وغاو الشهيرتان .

---

(١) موجز تاريخ نيجيريا : آدم عبد الله الألورى ص ٦٦ طبع منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥م .

٤ ـ طريق المتونة : وهى الاتية من المغرب الأقصى على امتداد ساحل المحيط الأطلسى إلى حوض نهر السنغال [1] ، ويظهر أن الإسلام وفد ومازال إلى غرب إفريقيا من الطريق الثالث والرابع .

نبذة حول غرب إفريقيـا

فى كثير من دول غرب إفريقيا نسبة عالية من المسلمين وتشمل هذه الدول كلا من موريتانيا ، والسنغال ، وجامبيا ، وغينيا ، وغينيا بيساو ، وسيراليون ، وفولتا العليا ، ومالى ، والنيجر ، وتشاد ، ونيجيريا ، والكاميرون - ومن الملاحظ أن الإسلام ينتشر فى جميع دول غرب إفريقية بلا استثناء بحيث يكون هو الدين السائد فى بعض تلك الدول وهى الدول الإسلامية المذكورة سابقا ، (اثنتا عشرة دولة) بينما تكون أقليات مسلمة كبيرة وذات شأن (أكثر من ٢٠ ٪ من السكان) فى بقية الدول وهى ليبيريا ، وساحل العاج ، وغانا ، وتوجو ، وبنين (داهومى)(*) وإفريقيا الوسطى وجزر الرأس الأخضر .

وسنقتصر على نماذج محددة لدول غرب أفريقيا توضح آثار التبشير الخطيرة فى هذه المنطقة من القارة الإسلامية ومنها :

١ - موريتـانيـا :

ويحدها من الشمال الشرقى الجزائر ومن الشمال والشمال الغربى الصحراء المغربية ومن الشرق مالى ومن الغرب المحيط الأطلنطى ومن الجنوب مالى والسنغال .

وأراد الاستعمار أن يمنع الرافد الإسلامى عن الساحل الغربى لإفريقيا بجعل " موريتانيا " حدا فاصلا بواسطة الهجوم التنصيرى المركز عليها وخاصة فى السنوات الأخيرة لقد بدأت الزحف النصرانى على " موريتانيا " بالتدريج بعد أحداث الجفاف عامى ١٩٧٣ - ١٩٧٤م ، وأظن أن هذه الأحداث كانت مجرد مبرر فقط ، وقد بدأ الزحف النصرانى المركز جدا على موريتانيا منذ ١٩٨٣م بعد إعلان تطبيق الشريعة الإسلامية فى

---

(١) المسلمون فى السنغال (معالم الحاضر وآفاق المستقبل (كتاب الأمة - ١٢) عبد القادر محمد سيلا صـ ٥١ ط (١) مطابع الدوحة الحديثة ١٤٠٦هـ .

(*) (داهومى) صارت بنين حاليـا .

موريتانيا وقد تنبه الغربيون إلى نقطة هامة جدا هى أن موريتانيا تقع إلى جوار اثنتين من أهم الدول فى غرب أفريقيا ، السنغال التى تعتبر أهم بلد بالنسبة للفرنسيين فى غرب أفريقيا ، ومالى وهى دولة ذات تركيز إسلامى عال جدا فى المنطقة ويمكن أن تؤثر على ساحل العاج وعلى " بوركينا فاسو " (*) وغيرهما من دول غرب أفريقيا هذا بالإضافة إلى أن هناك مجموعة قوية وكبيرة جدا من الطلاب الزنوج فى هذه الدول يأتون باستمرار إلى " موريتانيا " ليتعلموا اللغة العربية ، والعلوم الإسلامية فى المحاضر وغيرها من المؤسسات التعليمية .(١)

كما أنه يوجد " بالسنغال " وهى الدولة المجاورة " لموريتانيا " صحوة إسلامية ذات مضمون شمولى تحاول أن تبنى الأمة على تعاليم القرآن الكريم وتنبذ كل ما دسه الاستعمار والتبشير من تعاليم فاسدة وعادات قبيحة وهذه الصحوة الشمولية تمدها " موريتانيا " بالزاد فهى تواجه الاستعدادات النصرانية التى تمتلك مئات المدارس من ابتدائية واعدادية وثانوية منتشرة فى المدن والقرى وتتسلم الطائفة النصرانية من أجل تسييرها مساعدات سخية من الدولة منذ أيام الاستعمار .

وعلى سبيل المثال : حصلت المدارس النصرانية عام ١٩٨٤م على مايزيد قليلا على (٥٥) مليون فرنك أفريقى من أصل (٧٥) مليون فرنك قدمتها الحكومة لمساعدة المؤسسات التعليمية الحرة عدا ماتتلقاه من المنظمات النصرانية العالمية ، الأمر الذى جعل مدارسها أفضل تجهيزا وأكثر ازدهارا من أية مؤسسات تعليمية أخرى فى البلاد كلها .(٢)

ولذا خشى أرباب الغزو التنصيرى من تأثير الإسلام على السنغال الذى أصبح مركزا للمبشرين الذين تضاعف نشاطهم فيه فى السنوات الأخيرة ، فبالقرب من السنغال من يمد مسلميها بالزاد الدينى والتعليم الإسلامى وباستمرار هذا المدد سوف يبقى النشاط الإسلامى حيا ومتحركا يقض مضاجع المنصرين وأسيادهم بل ويزيل أعشار المبشرين من هذا البلد الاسلامى الكريم لذلك حاولت الكنيسة ان تحاصر " موريتانيا "بالتنصير لتقطع الطريق على المد الاسلامى .

وبدأت هذه المحاولات فى صورة منظمات خيرية عادية مثل " كاريتاس " " وتيرديزوم " أو " أرض الرجال " " كوردى لابيه " أو " هيئة السلام " وأندية الروتارى و " الليونز "

(*) اسمها سابقا (فولتا العليا) (السياسة الدولية ـ ٨٤) صـ ٣١٦ سنة١٩٨٦م

(١) مجلة " الأمة " (العدد الحادى والسبعون ـ السنة السادسة) صـ٧٥ .

(٢) المسلمون فى السنغال " معالم الحاضر وآفاق المستقبل صـ ١٠٥ بتصرف .

هذه كلها الآن مؤسسات تنصيرية موجودة فى داخل " موريتانيا " وتعمل علنا .[1]

ويخشى منها على مسلمى السنغال ، لأن خلاياها تعمل بجد ونشاط ، وأفرادها يجدون العون المادى والأدبى من قبل الاستعمار .

٢ ـ صورة للتبشير النصرانى " بنيجيريا "

دخل الإسلام " نيجيريا " قبل أن تتسلل النصرانية إليها بنحو سبعة قرون يقول آدم عبد الله الآلورى:

لقد قامت دولة الإسلام فى " برنو " بالقرن الحادى عشر الميلادى وقامت دولته فى بلاد كانو أيام " محمد رنفا " فى القرن الثالث عشر الميلادى (التاسع الهجرى) .[2]

وكالعادة أقبلت النصرانية إلى " نيجيريا " بصحبة الاستعمار الذى جاء من أوربا عبر المحيط الأطلنطى حتى الشاطئ الغربى من إفريقيا ولما كان للاستعمار البرتغالى جولة " بنيجيريا " منذ عام ١٤٧٢م فإن التبشير النصرانى لم تكن له فعالية تذكر إلا فى القرن التاسع عشر حين حل الاستعمار الإنجليزى محل الاستعمار البرتغالى وبدأت عملية التبشير بصورة جدية على أيدى المرسلين من الإنجليز الذين نزلوا أولا بمدينة بداغرى ١٨٤١م ، ثم تغلغلوا إلى داخل البلاد ، وهبطوا إلى " أبيكوتا " و " كلابر " ١٨٤٦م ثم تبعهم (جمعية الكنائس التبشيرية) (C. M. S) التى اتخذت مركزها " بأبيكوتا " وبداغرى .

ثم تتابعت موجات البعثات التبشيرية من " انجلترا " " وأمريكا " وخصوصا من " سيراليون " التى تمركزت فيها كلية تبشيرية تدعى " كلية فورابى " التى قامت بإمداد " نيجيريا " بالمبشرين المتخرجين منها .[3]

ولما كانت الخطة المرسلية قائمة على " أفرقة الكنيسة " وتزويدها بكهنة أفارقة فرأوا أن يعدوا أساقفة من عبيد إفريقيا الذين تحرروا بغية إرسالهم إلى الكنائس فى غربى أفريقيا " وقد نزلت الدفعة الأولى من موجات التنصير المركز إلى نيجيريا فى عام ١٨٤١م وكان من بينهم " صموبل اجاى كراوثر " الذى تحرر مع المتحررين وتخرج مع

---

(١) مجلة الأمة ـ (العدد الحادى والسبعون ـ السنة السادسة) صـ ٧٥ بتصرف .
(٢) الإسلام اليوم وغدا فى " نيجيريا " صـ ٥٧ .
(٣) موجز تاريخ " نيجيريا " صـ ٨٨ .

المنصرين ، ثم أرسل إلى نيجيريا مع المرسلين إلى جنوب " نيجيريا " حيث عمل بجد ونشاط ، وقد وضع أيضا الحروف اللاتينية لكتابة لغة " اليوروبا " لترجمة الإنجيل ، بدلا من الكتابة العربية التى كان المسلمون يكتبون بها لغة اليوروبا "[1] .

ويقال فى الدور الذى قام به المبشر المذكور سابقا " ولقد أرسلوه بصفة " اسقف " وأنفق فى سبيل التبشير المسيحى كل مرتخص وغال وأسس عدة مدارس ، وكنائس ومكتبات ولقد تمركز المبشرون أولا " بأبيكوتا " وصار لهم مكان مرموق بين رجال السلطة المحلية وبدأوا فى اصدار جريدتهم المسماة بصحيفة الأخبار وكادوا يقبضون زمام الحكم كله لولا أن تفطن بعض العقلاء لهذا الخطر التبشيرى المحدق بهم فأجلوهم منها إلى "لاجوس " سنة ١٨٩١م ، فأصبحت بفضل كونها العاصمة أكبر مراكز التبشير وأهمها فى هذه البلاد.[2]

وبمرور الزمن تغير الوضع ووجد الإسلام حصنا فى " لاجوس " فبعض الذين أعدهم التبشير وصنعهم على عينه من أهل البلاد ليكونوا عونا له فى محاربة الإسلام تأثروا بالمنشورات الإسلامية الواردة من علماء " الهند " و " باكستان " أمثال منشورات " حسن خان " و " الأمير على " والشاعر " محمد إقبال " وأشباههم .

وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى تحولت مدينة " لاجوس " بالتدريج إلى مركز من مراكز الإسلام فى غرب إفريقيا إلى أن تحررت نيجيريا مع البلاد المتحررة عام ١٩٦٠م وجاءتها المنح الدراسية من البلاد الإسلامية وخاصة جامعة الأزهر الشريف فتلألأ فى البلاد نور الدعوة الإسلامية من جديد " وكان أمر الله قدرا مقدورا " وتحقق وعد الله " يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون "[3] ، [4] .

ومايحدث بنيجيريا من نشر للدعوة الإسلامية ، ومقاومة للتبشير الغربى ، يعطى صورة حقيقية لجهاد علماء المسلمين الدوائر فى كل مكان ، ويوضح أثرهم فى مقاومة الخطر المتربص بالمسلمين ، كما يبين بجلاء أثر الجامعات الإسلامية فى حماية المسلمين من كيد المبشرين

---

(١) مجلة الأمة (العدد الرابع والأربعون ـ السنة الرابعة) صـ ٤٨ من مقال بقلم بابكر حسن محمد قدر مارى : عنوانه (التبشير النصرانى فى غرب افريقيا) ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م بتصرف يسير .

(٢) موجز تاريخ نيجيريا صـ ٨٨ .

(٣) ، (٤) يراجع الإسلام اليوم وغدا فى نيجيريا صـ ٦٨ ، ٦٩ التوبة الآية ٣٢ .

وتدبيرهم ، ويبرز دور جامعة الأزهر الشريف التى بحكم مسئوليتها الإسلامية تتحمل العبء الأكبر فى مواجهة التيارات المعادية للإسلام والمسلمين فى كل البلاد .

محاولة تنصير قبيلة " الفولانيين "

هذه القبيلة الضاربة بجذورها فى أعماق غرب إفريقيا والتى يزيد عدد أفرادها عن عشرة ملايين ، ولهم قوة لابأس بها فى نيجيريا ، قوة يحسب العدو حسابها وللمبشرين تجربة مع قبيلة الفولانى فركزوا عليها لسببين :

السبب الأول :

هو أن جل أفراد القبيلة لم يتعرفوا أحكام الإسلام ، ومبادئه وبالتالى يسهل خداعهم باسم الدين وذلك لأنهم فى شوق إلى المعرفة والتعلم ، ولذا يقول : عبد الرحمن أحمد عثمان :

إن تجربة الفولانيين فى الإسلام تختلف عن غيرها ، إذ أنهم يجهلون أسسه ومبادئه ، لذلك فقد حاول المنصرون إيهام الفولانى بأن الإسلام والنصرانية لايختلفان فعيسى هو ابن الله ، فعلم المسلم أن يعتقد ذلك وعندما تتمكن منه هذه العقيدة يسعى المنصرون لتمكين عقيدة أخرى هى أن المسيح ابن الله يتحمل عن يؤمن به عناء الصيام والصلاة فقد استمعنا إلى هذا الكلام مشافهة ممن استطاع المنصرون التأثير عليهم ثم قرأناه فى وثائقهم .

والسبب الثانى :

(هو أن الفولانيين قوم فيهم مكونات الزعامة ، فمنهم عثمان انفوديو الذى أسس امبراطورية " سكتو " وهى التى مكنت للإسلام فى غربى إفريقيا ، ومنهم كثير من زعماء الدول الافريقية الحالية " رئيس جمهورية نيجيريا الاتحادية ، شيخو شقارى ، ورئيس جمهورية الكاميرون ، بل إن الأصول التاريخية ترجع برئيس وزراء السودان الأسبق السيد " اسماعيل الازهرى " إلى أصول فولانية) .[1] ، مما جعل الهيئات الكنسية تجمع أمرها فيما بينها لتنصير هذه القبيلة .

ولما كانت اذاعة " جوس " بولاية بلاتو النيجيرية تبث برامجها التنصيرية " بالهوسا " والإنجليزية ، والفولانيون ليسوا على علم بهذه اللغات .

(١) مجلة الأمة (العدد السادس والخمسون ـ السنة الخامسة) ص ٣٠ من مقال بقلم عبد الرحمن أحمد عثمان بعنوان : " تنصير قبيلة الفولانى فى غربى افريقيا ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

لذا اتجهوا إلى إذاعة " سيشل " وراديو " الوا " فى " منروفيا " أما إذاعـــة " الجابون " فقد رصدت عربة صالون (داتسون) لمن ينجح فى حل المسابقة الراميـــة لتحديد الزمن المناسب للبث التنصيرى لقبيلة الفولانى ، والجدير بالذكر أن استوديوهات قاؤندرى " بالكاميرون " هى التى تزود كل هذه الإذاعة بأشرطة الكاسيت الفولانية .

ومحاولة تنصير الفولانيين بل والإفريقيين عموما باستخدام البرامج المذاعة مرحلـــة أولى تليها عدة مراحل :

ــ منها استغلال التنصير لتعلق الفولانيين بأبقارهم فقام المنصرون بجلب الدواء والعلف واستخدموا الصيدلية البيطرية ، والطب البيطرى فى المعالجة وعمليات التهجين .

ــ ومنها التعليم التنصيرى فى جميع المراحل وخلو ساحة المدارس من مدرسى التعلـــيم الدينى فى الغالب .

ــ ومنها دور الحضانة والملاجئ الخاصة بالأطفال واللقطاء والمستشفيات ، والمستوصفـات والعيادات .

وآخر المراحل التبشير المكشوف بدعوة القبائل للدخول فى النصرانية والتقرير الموضح هو للجنة متغيرة منحصرة فى ولاية " قنقولا " شرقى " نيجيريا " [1] .

تقرير لجنة العمل التابعة للمنصرين C.R. CN

ولاية قنقولا " يولا " نيجيريا ، باسم المسيح نحييكم ونتوجه إليكم بأطيب الأمانـى إن لجنة التنصير التابعة لـ " سى . آر . سى . ان " تود أن تتقدم بالشكر على روح التعاون التى أبديتموها نحو الحملة التنصيرية التى قمنا بها فى عام ١٩٨١م وفيما يلى التقرير الذى يعكس التقدم الذى أحرزناه حتى الآن بفضل الرب ومعونته .

تقرير رقم (١) الحملة التنصيرية أثناء عام ١٩٨١م ، لقد عينا أحد عشر منصرا مـن المنصرين الجدد وذلك عندما تلقينا طلبات من أهل القرى الذين عبروا عن رغبتهـــم فى الإنضمام إلى النصرانية وهنالك كنائس فى جميع هذه القرى تدرس فيها النصرانيـــة

---

(١) يراجع المرجع السابق صـ ٢٠ ، ٢١ .

ولقد استقبلنا أربعين من المعتنقين الجدد الذين تحولوا إلى النصرانية وتم تعميدهم وبعضهم لايزال يتلقى دروسا فى التعميد ، أما القرويون الذين يقطنون منطقة جبل " فالى " فقد بدأنا بإنشاء الكنائس بينهم منذ بداية العام ، ولقد اكتمل بناؤها والآن فإن ثمانية عشر من الوافدين الجدد إلى النصرانية يتلقون دروسا فى التعميد وفى قرية " جكواى " بالقرب من جبل " بيت " فإن طبيبا من الأهالى ألقى حديثا نصرانيا مؤثرا أعلن فيه قبوله للنصرانية فى حضور ذويه القرويين وذلك فى التاسع عشر من يوليو (تموز) ١٩٨١م واليوم فإن عدد المعتنقين الجدد للنصرانية قد بلغ الثمانية والعشرين .

ولقد عقدنا هناك فى أغسطس (آب) دورة تنصيرية مع الفولانيين ولقد حضرها فوق المائتين وخمسين فولانيا ، وفى ختام الاجتماع وزعنا أشرطة الكاسيت للوافدين الجدد حتى يتمكنوا من تعليم النصرانية لذويهم فى مناطقهم الدعوية ، كما يوجد منصر يتجول بينهم بدراجته البخارية على سبيل التشجيع ، وكذلك فإن الفولانيين الأربعة الذين تحولوا إلى النصرانية يترددون على المدرسة الإنجيلية ويتقدمون بصورة حسنة .

وفى وسط المجتمع المسلم فى مدينة " يولا " يعمل منصر نصرانى كان فى السابق مسلما وهو يعيش بين ظهرانى هذه الجماعة بصورة سرية وبعد نقل التقرير نعود إلى خطتهم التى أعلنوها قائلين خطة عملنا لعام ١٩٨٢م .

نريد أن نعين منصرين مستديمين فى بعض القرى " ماى " "هولا " " قندن " — " دوتس" إجابة للطلبات الواردة من المعتنقين والذين يقطنون هنالك منذ عام ١٩٨٠م ، ونريد ارسال بعض المنصرين إلى " داكو " بين " بلى " " وقانين " لأن الأهالى هناك لم يستمعوا لكلامنا حتى الآن ونحن الآن نحضر للاجتماع مع الفولانيين الذى سيعقد فى مايو (آيار) ١٩٨٢م ، ولقد استلمنا بقرة هدية لتذبح أثناء الاجتماع أهداها إلينا أحد الفولانيين كما تلقينا تقريرا يفيد بأن عددا من الفولانيين يرغبون الاشتراك هذا العام كما نخطط لاقتناء قارب بخارى بين سواحل نهر " قنقولا " كما نريد أن نوظف صيدليا بجانب المنصر يستخدم القارب البخارى للوصول إلى أهالى قبيلة " جوكوت " الذين يعيشون محاذين لشاطئ النهر ودعوتهم إلى النصرانية .

ومن ضمن برامجنا أن ننجز الوعد الجديد عندما تقرأ كيف حول المسيح بعض الصيادين إلى حواريين فعلينا التأسى به قدوة إننا نعد بحثا ونأمل أن نتصل ببعض

أعضاء قبيلة " الكانوري " الذين يعيشون فى ولاية " برنو " وندعوهم إلى النصرانيـــة فإن سبعة أشخاص منهم قد اعتنقوا النصرانية من بين مليونين من أفراد القبيلة .

وكما جاء فى التاريخ فإن قبيلة " جوكنز " قد تعاونت مع أهل " الكانورى " فــى حروبهم ضد " الطوارق " فنود أن نستغل هذه الخلفية التاريخية للعلاقات الكانوريـــة " الجوكنزية " فى عملنا التنصيرى وسط الكانوريين وللوفاء بهذه المقترحات فإننا نطـــرح أمامكم الميزانية المرتقبة لتنفيذ هذه المقترحات .

إننا نتوجه إليكم بالدعوة للحضور والاشتراك والتعاون معنا لإنجاح هذا المشـروع وكل من يساهم معنا لإنجاح هذا المشروع فسنعطيه وصلا وسوف نرسل له تقرير عمل عـن كل ماتقوم به من نشاط .[1]

أثـر النشاط التبشيرى فى غربى إفريقيـا

إن النظرة الواقعية للنشاط التبشيرى فى إفريقيا عامة تؤكد لنا أن التبشير نشـب مخالبه فى هذا الجزء الكبير والهام من قارة إفريقيا .

فى " غانا " نشطت الكنائس فأنشأت المدارس ، وأسست كلية " أشموته " الثانويـة المختلطة " بأكرا " لإعداد مجموعات تنصيرية وطنية خاصة وتم إنشاء عدد من المكتبـات لخدمة التنصير ، وترجمة الإنجيل للغات المحلية .

وأنشئت مطبعة " بأكرا " بالإضافة إلى توالى جموع الإرساليات التنصيرية من قبـل انجلترا ، وفرنسا ، وهولندا إلى بلاد غربى أفريقيا ، حيث عم نشاطها كلا مــن " سيراليون " و " ليبيريا " و " ساحل العاج " و " الكاميرون " .[2]

وظهرت خطورة الإرساليات على المسلمين فى بلدان إفريقيا فبواسطتها تمكنت القلة النصرانية فى هذه الدول أن تمسك بزمام الحكم وتوجه الدفة فى دول إسلامية ، ولنأخذ دولة " سيراليون " كمثال على ذلك فنجد أن نسبة ٨٠٪ من السكان هم من المسلمين ولكن الأقلية النصرانية التى تبلغ نسبتها ٥٪ فحسب تسيطر على ١٧ مقعدا وزاريـــا

(١) يراجع المرجع السابق صـ ٣١ .
(٢) مجلة " الأمة " (العدد السادس والخمسون .) صـ ٤٢ .

من أصل ٢٢ كما نجد أن كلا من رئيس الدولة ورئيس الوزراء وزراء الخارجية والماليــــة والإعلام هم جميعا من النصارى ويزعمون أن المسلمين متأخرون وغير متعلمين أو مثقفين ولذلــك فإنهم غير قادرين على تسيير بلادهم وحكمها •

ـ وهذه هى نسب الأكثريات الإسلامية فى دول تحكمها أقليات غير إسلامية : السنغال ٩٠ ٪ سيراليون ٨٥٪ إفريقيا الوسطى ٧٠٪ تانزانيا ٤٥٪ الحبشة(*) ٤٥٪ تشاد ٣٣٪ فولتــا العليا ٣٣٪ وإذا ما استمر الوضع الراهن المؤلم وغير العادل فإن التبشير سوف يسيطر علــى غرب إفريقيا ذات الأغلبية المسلمة الكبيرة التى تستطيع بقليل من أعمال الفكر والجد والنشاط والاهتمام السياسى أن تتحول إلى دولة من أقوى الدول الاسلامية فى إفريقيا •(١)

ـ انتشار اللغات الأجنبية بجانب اللهجات المحلية فى جل أفريقيا وساعد على ذلــك سرعة النشاط التبشيرى بنشر لغته وترجمة كتبه إلى لهجات البلاد وأيضا قلة النشاط الإسلامى بالقارة بالكامل فهو محدود ، ويؤسفنا جميعا كمسلمين نتحدث بلغة القرآن الكريم وهدى خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام أن تترك جل الأفارقة يتحدثون بلهجات محلية بينما " إفريقيــا " قارة منحها الله عز وجل معاقل اللغة العربية وحصونها جامعات (الأزهر الشريف ـ والقرويين الزيتونة) فإهمال نشر لغة القرآن الكريم والتقصير فى تبليغ الدعوة لأهل هذه البلاد مكــن للغة المبشرين فى الانتشار وبالتالى تمكنوا من جذب الكثير من الأفارقة الى المسيحية ويقال :

ـ إن البعثات التبشيرية الغنية بالوسائل المادية والاعلامية والتى تؤيدها حكومتهــا القوية ومنظماتها المعطاءة تبذل نشاطا محموما فى التبشير بالنصرانية وفى إعاقة سير الإســلام بسبب الهجمات الضارية التى تشنها عليه.وإن ٣٥٪ من البعثات البروتستانتية فى العالم تعمل بنشاط فى إفريقيا كما أن الكاثوليك ليسوا أقل نشاطا وتركيزا على هذه القارة من زملائهم وبالإمكان إعطاء القارئ فكرة عن سرعة وشدة النشاط التبشيرى فى إفريقيا الوسطى على سبيل المثال •

فقد كان فى " الكونغو " قبل الاستقلال بعثات تبشيرية أجنبية يبلغ عددها ألف بعثــة وجميعها تعمل بنشاط محموم وقد تمكنت من جنى محصول غنى يبلغ تعداده خمسة مــلايين شخص مقابل هــذا العدد الضخم لا يــوجد فى " الكونغو " جمعيــة واحدة للدعــــوة

(*) نسبتها أكثر من ٥٠٪ إلا أن الاحصائيات الغربية تحاول تقليل نسبة المسلمين بها •

(١) مأساتنا فى أفريقيا د / عماد الدين خليل صـ ٨٣،ويراعى أنه قد يكون الحاكم مسلما فــى بعض السنوات إلا أن ذلك ندرة •

إلى الإسلام ونشر تعاليمه ، رغم وجود مالا يقل عن ٨٥٠ ألف مسلم فى " الكنغو " .

أما فى جنوب أفريقيا فإن الكنيسة الإصلاحية الهولندية وحدها تنفق هناك من ١ إلى ٢ مليون جنيه استرلينى سنويا من أجل التبشير أما تبرعات الموسرين من المسلمين لأجل نشر الدعوة الإسلامية هناك فإنها تساوى صفر .(١)

"إفريقيا الوسطى "

تقع " جمهورية إفريقيا الوسطى " جنوبى " تشاد " وشمال " الكنغو " ويحدها من الشرق " السودان " ومن الغرب " الكمرون " وكانت تعرف قبل استقلالها بمقاطعة " أوبنجى شارى " ويحتمل دخول الإسلام إلى هذه البلاد منذ القرن الحادى عشر الميلادى عن طريق التجارة مع الدول المجاورة لها وخاصة السودان ، والمسلمون موزعون فى أربع مناطق :

أ ـ منطقة "كوتو الشمالية " " قبائل الباندا " ويعود الفضل فى اعتناقهم الإسلام إلى الثائر " رابح السودانى " .

ب ـ منطقة " مبومو " حيث يعيش الزاندى (الأزاندى أو تيام نيام) .

جـ ـ منطقة " أواهم " فى الشرق حيث يعيش قبائل " مانجيابايا " و " لاكاس " وبعض مهاجرى الفولة .

د ـ منطقة " بانجوى " وهى أهم مناطق المسلمين حيث يختلط فيها قبائل " الفولا " و " الباجرمى " و " البورنويه " و " الهوسا " .(٢)

وقد برز نشاط بعض دعاة الإسلام فبلغوا الدعوة إلى أهل أفريقيا الوسطى فى القرنين التاسع عشر والعشرين (ومن ساهموا بنشر راية الإسلام رابح بن فضل الله وذلك حوالى عام ١٩٠٠م ، وقد اشتهرت غزواته بين عامى ١٨٧٣م ، ١٨٩٠م ، ومنهم أيضا " محمد السنوسى " فيما بين ١٨٩٠ ـ ١٩١١م) .(٣)

البعثات الكنسية إلى إفريقيا الوسطى

شهد القرن العشرين نشاطا كنسيا متمثلا فى الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتيه

---

(١) المرجع السابق صـ ٨١ ، ٨٢ .
(٢) الإسلام والمسلمون فى غرب إفريقيا د / عبد الرحمن زكى بدون عدد للطبعة مطبعة يوسف بالقاهره بدون تاريخ .
(٣) المرجع السابق صـ ١٤٤ .

وصول أتباع الكنيستين إلى أرض " أفريقيا الوسطى " أشاعوا الافتراءات حول الإســـلام في محاولة حاقدة لتشويه حقائقه ، وتغليظ وقائعه .

وقد حملوا شعار مكافحة الرق وإنهائه ، واستخدمت الكنائس والحكومات الاستعمارية هذا الشعار لتوقف زحف الإسلام بل لتجعل الناس يتحولون من الإسلام إلى النصرانية .

ونسوا أنهم كبار تجاره ، وأنهم استرقوا الإنسانية اقتصاديا ، وفكريا ، بل فـــى أعز مايملك الإنسان وهو الإيمان بمحاولتهم استغلاله عقديا .

" وقد ألف عدد من كتاب فرنسا وانجلترا كتبا كثيرة يذكرون فيها أن العرب مــا أتوا إلى إفريقيا إلا بحثا عن الرق ، واستجلاب سن الفيل ، وقد لاقت هذه الدعايـــة رواجا كبيرا في أوساط المدارس التي كان يقوم المبشرون بالتدريس فيها ، وكانت الـدول الاستعمارية تدعمها بكل وسيلة " .[1]

وقد تمكنت الكنيسة من الوصول إلى القرى الصغيرة ، وأشرفت على رياض الأطفـال والمدارس الابتدائية والإعدادية ، وقدمت الخدمات الطبية ، من كشف واعطاء للدواء بلا ثمن أو بثمن التكلفـــة .

كما فتحوا مكتبات كثيرة يبيعون فيها الكتب بأثمان رمزية ، وقد فتح هذا المجال الأبواب للدخول بعد أن كانت موصدة في وجهها .

وخرجت مدارس التبشير كبار السياسيين والإداريين والتربويين الذين قادوا البلاد فيما بعد ومن أوضح الأدلة على ذلك أن المؤسس للجمهورية " بارتلمى بوغندا " كـــان يشغل وظيفة راهب " أب كنسى " ثم نزل إلى ميدان السياسة ليمثل مهمته خـــــير تمثيل .[2]

الإسلام والمبشرون في إفريقيا الوسطى

علمنا دور الكنيسة في تنفير الناس من الإسلام في هذا البلد الإفريقي ، ولمــا كان المبشرون يدركون تأثير الدعوة الإسلامية المباشر على القلوب وفاعليتها في نفوس الناس

---

(١) الإسلام في إفريقيا الوسطى إبراهيم النعمة صـ ١٥ ط (١) طبع دار الاتحاد العربي للطباعة بالقاهرة ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م .
(٢) يراجع المرجع السابق صـ ١٥ ، ١٦ .

فإن المبشرين يموتون فرقا من دخول الإسلام ودعاته إلى هذه البلاد ، يقول إبراهيم النعمة :

ومن كلامهم الذى كانوا يتناقلونه بينهم : لقد دخل الوباء ـ ويعنون الإسلام ـ إلى أفريقيا اقرأوا على إفريقيا السلام [1] ، ويستمر فى حديثه قائلا :

ويمتلك المبشرون إمكانيات مادية كبيرة جدا ، ولا أحسب أن آية منظمة فى العالم تملك ماتملكه الحركات التبشيرية وقد قال لى مسئول يعمل فى المركز الثقافى الليبى فى (بانكى) إن المبشرين هنا يملكون أكثر مما تملك حكومة " ليبيا " كلها .

ففى العاصمة ـ وحدها ـ شيدوا عشرات ، بل مئات الكنائس الشاهقة وما تكاد تمش خطوات قليلة حتى يستوقفك منظر كبير ، فإذا هو كنيسة وكثير من هذه الكنائس تملك مطابع حديثة وتقوم بطبع الكتب طباعة جيدة على ورق صقيل وتوزعها على الناس مجانا مع الإنجيل . [2]

ويعطى واعظ مسلم صورة لما شاهده فى أوائل الثمانيات من القرن العشرين أثناء زيارته الاستطلاعية لإفريقيا الوسطى ، أن الاهالى يقومون ببناء المدارس بجهودهم الذاتية ليحصنوا أبناءهم من فخاخ المبشرين ، وليواجهوا تحدى المجتمع الكنسى المستغل لفقر الأهالى وحاجتهم إلى الغذاء والكساء والدواء وذلك فى الوقت الذى تقوم الإرساليات التبشيرية هناك ببناء مدارس على أحدث طراز ، وتلحق بها مساكن للطلبة والطالبات كما تقيم المستشفيات والكنائس وتبذل كل الجهود لتنصير أكبر عدد ممكن من الناس . [3]

وهى معتمدة على العون المادى والمعنوى الوارد من " مجلس الكنائس العالمى " كما تملك وسائل النقل الحديثة من سيارات ، وسفن ، وطائرات ، حتى المعونة الدولية من الأطعمة تعود إلى الإرساليات فتقوم بتوزيعها على الأفارقة لتشعرهم بأنها هى التى تقوم بإطعامهم ولاغنى لهم عنها وذلك فى الوقت الذى تحرم فيه القرى الإسلامية هذا العون .

البعثات التبشيرية تنشر الفساد

رحل الاستعمار الفرنسى عن " إفريقيا الوسطى " تاركا آثارا سيئة فقد ملأ الأرض وغبر الجو بالأمراض الاجتماعية وأعقبت البعثات التبشيرية والجماعات الكنسية الاستعمار

---

(١) المرجع السابق صـ ٢٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) منار الإسلام (مجلة إسلامية تصدر فى غرة كل شهر عربى) (العدد السادس ـ السنة السادسة) صـ ٤٤ من مقال (مع المسلمين فى إفريقيا الوسطى) للشيخ / عبد الوهاب عبد الرزاق ١٤٠١هـ = ١٩٨١م

فى هذه البلاد فحلت محل المستعمر وكان المظنون حسب ادعائهم أنهم سيعالجون الأمراض الخلقية والاجتماعية التى استشرى أمرها لكن وجدنا منهم التشجيع على نشر الفساد الخلقى فى البلاد ويؤيد مانقول :

ماقام به عدد من القسس فى مرتبة كنسية مهمة (مرتبة أب كنسى) من نشر الانحلال والرذيلة فى المجتمع فالاب Jeanle Grand (جان الاكبر) وكان إضافة إلى وظيفته الدينية يعمل استاذا فى ثانوية مختلطة تسمى Lyceede Ropide عمل على استدعاء عدد من الفتيات الفقيرات ، والتقط لهن صورا جنسية مخجلة مستغلا ظروفهن المعيشية السيئة وقد انكشفت هذه الفضيحة وأثارت ضجة كبرى فى البلاد ، الأمر الذى جعل رئيس الجمهورية " صلاح الدين أحمد بوكاسا " يقوم بطرده من البلاد ومعاقبة الفتيات .

هذا بعض مافعله " الكاثوليك " فى العاصمة (بانكى) ولم يكن نصيب " البروتستانت " أقل مما فعله الكاثوليك بشأن القذارة الخلقية ففى مدينة كبيرة تقع فى جنوب شرق البلاد تسمى (بنقاسو) وقع عدد من الفضائح المذهلة كان وراءها هؤلاء .[1]

وإن كنا نربأ بأنفسنا عن ذكرها وتعدادها لكنها نكبة منيت بها إفريقيا الوسطى يوم سقطت تحت براثن الاستعمار ، ويوم أن جالت بها بعثات التبشير تنشر الرذائل وتكمل دور الاستعمار ، فانتشرت الموبقات ، وعم الانحلال والميوعة بين الناس وشاع شرب الخمور والمسكرات وعم الضرر المجتمع بأسره فقد عطلت طاقات افراد المجتمع ، ودمرت قوته بوأد الفضيلة .

إسلام بوكاسا

لمس " بوكاسا " من موقع المسئولية سماحة الإسلام ، وصدق رجاله وحسن نيتهم بينما أحس بمراوغة من يتمسحون بالمسيح عليه السلام وخبث افعالهم فأسرع الرئيس (جان بيديل بوكاسا) بإعلان إسلامه يوم الاثنين ٢٥ شوال سنة ١٣٩٦هـ الموافق ١٨ أكتوبر سنة ١٩٧٦م وغير اسمه إلى (صلاح الدين أحمد بوكاسا) أما ابنه فقد غير اسمه إلى (أحمد) وسمى رئيس الوزراء بإسم مصطفى ، ووزير الإعلام بإسم محمود ، ووزير الدولة والتخطيط باسم محمد على ، ووزير الاذاعة المرئية باسم على ، وقد دخل هذا الجمع الغفير الجامع الكبير فى (بانكى) عاصمة الدولة وأعلنوا إسلامهم وما إن تم

---

(١) الإسلام فى أفريقيا الوسطى إبراهيم النعمه صـ ١٧ ، ١٨ بتصرف يسير .

لهم ذلك حتى ارتفعت حناجر المسلمين بالهتاف المعروف الله اكبر . الله أكبر وقد ارتدى " صلاح الدين بوكاسا " عند قدومه إلى الجامع زيا إسلاميا : هو عبارة عن جبة زرقاء وقلنسوة حمراء .

وبعد أن أدوا صلاة الظهر فى الجامع المذكور وأذيع هذا النبأ باللهجة المحلية - السانغوا - غير المسلمين فرح شديد وصار بعضهم يصافح بعضا ويقدم له التهانى .

موقف الاستعمار من إسلام " بوكاسا "

بالرغم من أن دول الغرب عموما تنادى بحرية الإنسان فى معتقده ، وتتشدق بخرافة الديمقراطية الجوفاء إلا أن موقفها من الإسلام كشف زيفها وخداعها وهذا ماحدث عندما أعلن " بوكاسا " إسلامه .

لقد كانت " أفريقيا الوسطى " تتلقى مساعدات من أمريكا وفرنسا وألمانيا ولما أعلن الرئيس إسلامه ، قطعوا هذه المساعدات وقالوا له : إن لم ترجع عن الإسلام فلا نعطيك شيئا من المساعدات ولكنه لم يلتفت إليهم ، وتحمل أزمة اقتصادية خانقة حتى أن موظفى الدولة ظلوا أربعة أشهر من غير أن يستلم أحدهم مرتبه من دائرته .

وهذا الوضع اضطر الرئيس (بوكاسا) إلى أن يبيع عمارته الخاصة به فى (باريس) ليعطى للموظفين مرتباتهم وإنها لتضحية إيمانية ستكون بفضل الله تعالى فى ميزان حسنات " بوكاسا " فى يوم لاينفع فيه مال ولابنون . وإنه لموقف مخز لمن يرفعون شعارات الديمقراطية والحرية وفى الوقت نفسه يحاربون الإنسان فى حريته وعقيدته .

آثار التبشير فى جنوب إفريقيا

بعد الحديث عن آثار التبشير فى " أفريقيا الوسطى " ننتقل إلى الحديث عن آثاره فى " جمهورية جنوب إفريقيا " فهذا البلد الإفريقى يتحكم فيه البيض ، وينهبون خيراته ، والحماية الغربية ، والمعاونة الإسرائيلية الصهيونية لهؤلاء البيض جعلا من " جمهورية جنوب أفريقيا " عصا غليظة لتأديب دول الجنوب الإفريقى بالكامل ، وامداد حركات التمرد بالسلاح وخلافه ، كما أن لهذه الدولة سيطرة اقتصادية على الدول المجاورة لها ويكفى العلم بأن المؤتمر المنعقد فى (هرارى) عاصمة " زمبابوى " فى الفترة من ٣٠ الى ٣١

يناير ١٩٨٦م عقد لوضع حد لسيطرة " جمهورية جنوب إفريقيا " اقتصاديا على الدول المجاورة لها ، وقد حضر المؤتمر ممثلو سبع دول وهي :

انجولا ـ بتسوانا ـ ليسوتو ـ مالاوي ـ موزمبيق ـ زامبيا ـ زمبابوي وحضر ممثلون عن دول أخرى . [1] ، وسكان جنوب افريقيا من البيض والافارقة ، والملونين الآسيويين وجلهم هنود ويحاول المبشرون تنصير هؤلاء الهنود جميعا .

فاستنادا إلى إحصاء عام ١٩٨٠م فان ١٢٪ من مجموع الهنود في جنوب افريقيا هم من المسيحيين ومن الواضح أن اعدادا كبيرة من الهندوسيين قد تنصروا خلال العقدين الأخيرين فأوجدوا بذلك وضعا جديدا بين الهنود .

والجماعة الهندية في جنوب إفريقيا هي من المهاجرين الذين كان بينهم ٢٠ ٪ إلى ٥٠ ٪ من المسيحيين و ١٧٪ من المسلمين بينما الباقون كانوا من الهندوس وقد بدأت أعمال التبشير بين هؤلاء الهنود على نطاق ضيق وبعد مقاومة عنيفة قبل كثيرون من الهندوس أن يتنصروا ، وكان معظمهم من شعوب التاميل والتيلوغو .

والآن أصبح هدف التبشير في جنوب افريقيا يتركز على الـ ١٧٪ الباقية من هؤلاء المهاجرين وهم في غالبيتهم يتكلمون باللغتين الكجراتيه والأردية .

ويعيش حوالي ٦٤٠٠٠ من المسلمين الهنود في منطقة " دربان " ويشكلون حوالي ١٢٪ من مجموع السكان الهنود في المنطقة ، ولديهم (٣٠) مسجدا والعديد من المؤسسات الاجتماعية والدينية وتقول المصادر المسيحية إن الشعور بالانتساب إلى الجماعة قوي جدا لدى المسلمين هناك ، وتعتقد هذه المصادر أن هذا الشعور يشكل أكبر عقبة في تنصيرهم كما تعتقد هذه المصادر بأن هؤلاء المسلمين يعرفون أركان دينهم ويطبقونها ، ولذلك اقترح المبشرون أن تشكل فرق تبشيرية خاصة للعمل بين المسلمين في منطقة " دربان "[*] للتنصير ويقترح أن يكون الفريق مؤلفا من ثلاثة أزواج ويفضل أن يكون أحد أفراد الفريق من المسلمين المتنصرين .

ويجب أن يدرب الفريق الذي سيوجه للعمل بين المسلمين تدريبا خاصا على أن يتابع فيما بعد دراساته للغة العربية وللقرآن وللثقافة الإسلامية .[2]

---

(١) يراجع (السياسة الدولية) (العدد ٨٤ ـ اصدار مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام) صـ ١٦٨ من مقال للدكتورة / سلوى لبيب بعنوان الجنوب الافريقي في الثمانينات ١٩٨٦م .

(*) تقع " دربان " في الجنوب الشرقي " لجمهورية افريقيا وتطل على المحيط الهندي .

(٢) منار الإسلام (العدد الحادي عشر ـ السنة العاشرة) صـ ١٠٥ ، ١٠٦ تقرير للندوة العالمية للشباب الإسلامي بعنوان (مخططات التبشير) ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

أثر التبشير فى شرق إفريقيـا

حين نتجه من غرب القارة الإفريقية إلى جنوبها ، ومنه نُوَلّى وجوهنا صوب الشـرق نجد الصليبية فاغرة فاها وبارزة أنيابها تحاول التهام هذا الجزء بكل ما أوتيت من قوة استعماريـة ومخططات غربية ولما كان الإسلام دخل شرق القارة فى بدء ظهوره وانتقل بعد ذلك إلـى أجزائها من الشمال الشرقى إلى الغرب إلى الوسط فإنّ الاتصال الأوربى بشرق إفريقيـا قد جاء مؤخرا فيقال : إن أول اتصال الأوربيين بأوغندا كان سنة ١٨٦٢م حين وصلهـا " سبيك " و " جرانت " فى رحلتهما لكشف منابع النيل كما وصلت أول بعثة تبشيرية سنـة ١٨٧٧م.

على أن اتصال الأوربيين بغرب إفريقيا جاء فى وقت مبكر فقد عرف البحارة البرتغاليون ساحل غانا منذ القرن الخامس عشر[1] ، فقد جاء الإسلام من الشرق ، وزحفت الصليبيـة من الغرب لتلتهم القارة المسلمة ، وإنها لمأساة حقيقية أن تمتد الأيدى التبشيرية المدعومة بالصليبية إلى هذه الرقعة الإسلامية من شرق القارة لتمحو أثر الإسلام وتزيل رائحة القـرآن الكريم فها هى مؤسسات التنصير تعمل ليل نهار ترمى بشررها ، وتصنع الحكام بنفوذهـا وتخلق حركات التمرد والعصيان بمكرها ثم تمدها بالزاد وزادها سهام موجهة لتدمير كـل ماهو إسلامى بوحشية منقطعة النظير ، وماجرى فى " زنجبار " من قتل ثلاث آلاف وعشريـن مسلما من مجموع ستة وعشرين ألفا ، وماجرى ويجرى من تمرد فى جنوب السودان وما يحدث من تسلط الحكومة التشادية المسيحية على رقاب الكثرة المسلمة بمساندة فرنسا حتى بعـد الاستقلال كل ذلك خير شاهد على العداء التنصيرى الصليبى للإسلام والمسلمين بل واستمراره يقول الدكتور / عماد الدين خليل :

ما إن استقلت معظم بلاد شرق إفريقيا ، استقلالها المزعوم حتى أُخذت البعثـات التبشيرية من بلدان أوربا وأمريكا تزيد نشاطها وراحت تنهال على القارة بأعداد كبـيرة وخطط جديدة ، حاملة معها الأموال والأغذية ، مستقدمة عددا ضخما من الأطبـاء المبشرين والقسس.[2]

---

(١) يراجع كتاب (صفحات من تاريخ شرق إفريقيا) (الكتاب ٢٢٧) بقلم رونالد ريث صـ ٢٥ طبع الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦١م.

(٢) مأساتنا فى إفريقيا صـ ١١١ ، ١١٢ .

والأمثلة كثيرة تؤكد محاولات البعثات التبشيرية ومن ورائها السلطات الاستعمارية للعمل على محاربة الإسلام وإخفاء حقيقة انتشاره فى هذه البلاد ، ومن هذه الأمثلة ماكتبته الانسة أليسون ردمين Ali Son Red Mane التى كانت تعمل مع المبشرين لمدة عامين وسط قبائل " الهيهى " داخل " تنجانيقا " لتصحيح مانشره الاستاذ ترمنجهام فى كتيب له عن قوة الإسلام بين هذه القبائل فنفت الانسة ردمين ماتوصل إليه المؤلف بعد دراسته لهذه الشعوب وأكدت أن الإسلام لم يكن فى يوم من الايام قويا بل إنها ذهبت إلى أبعد من هذا وادعت فى رسالتها أنه آخذ فى التدهور وقالت إن بعض أسباب هذا ترجع إلى أن التعليم فى جميع مستوياته فى المقاطعة التى تعيش فيها هذه القبائل خاضع للبعثات التبشيرية .

وبالإضافة إلى ذلك فإن مسئولا انجليزيا كبيرا فى الإدارة الإنجليزية فى " تنجانيقا " قبل استقلالها فى منتصف عام ١٩٦٢م كان قد أبلغنى أن المسلمين يشكلون ٢٢٪ من مجموع السكان بينما كان من الواضح أن الذى لايدعو إلى أى شك أن نسبتهم أكبر من ذلك بكثير بل إنها قد تتعدى نصف السكان فماهى أسباب وجود تلك الرغبة المشتركة بين العاملين فى الحقل التبشيرى ؟ ، وبين المسئولين فى الإدارة الأجنبية قبل الاستقلال لإخفاء الحقيقة وما هو السر الكامن وراءها ؟ .

ويقول المترجم : ولقد رأيت فى مناطق إفريقية أخرى زرتها مركزا للتبشير تقوم به سيدة منذ ثلاثين عاما فى منطقة جبلية نائية تقيم فى منزل أنيق تحيط به حديقة صغيرة ولديها طائرة عمودية " هليكوبتر " وضعت هى وطيارها تحت أمرتها لكى تنقلها فى أى وقت تختاره إلى وسط الغابه فتخاطب سكانها وتتحادث معهم بلهجاتهم التى أصبحت تتقنها اتقاناً تاما وتقدم الهدايا إليهم وتعيش بينهم أياما .

ثم تصحب المجذومين منهم بطائراتها إلى المركز العلاجى للجذام الذى أقامته وزودته بالأطباء والممرضات . (١)

وقد قام من سبقنا من علماء الأزهر العاملين بدور فعال تجاه الهجمات التبشيرية على العالم الإسلامى وخاصة شرق أفريقيا وأمامى تقرير للدكتور المرحوم / محمود حسب الله فى الأربعينات حين ذهب مبعوثا من الأزهر إلى بلاد شرق أفريقيا عام ١٩٤٦م .

---

(١) الإسلام فى شرق إفريقيا صـ ٢١ ، ٢٢ .

بناء على طلب مسلمى إفريقيا الشرقية ورسائلهم التى كانت كالسيل المنهمر والتى قام بإرسالها أفراد بل جمعيات •

تلكم الرسائل التى التمست من الأزهر أن يملأ الفراغ وحذرت علماءه من التقصير قائلة : إن لم يقم الأزهر بتلك الرسالة عاجلا كانت العاقبة وبالا • وكان رجال الأزهر أنفسهم مسئولين فان جهود المبشرين هناك بالمسيحية جهود جبارة وذات أساليب شتى • وتجد مع ذلك عونا من أولى الأمر فلو لم يتدارك الأزهر الأمر ليقوى على الأقل الحالة النفسيه للمسلمين بزياراته المتكررة لخشى على المستضعفين منهم أن تزل بهم الأقدام تحت الضغط والتخويف • أو بفعل الإغراء • والترغيب • ولكان مصير الأقوياء منهم إلى الفناء الاقتصادى والأدبى ثم إلى الزوال وبذلك تنمحى معالم الإسلام من إفريقيا الشرقية كما انمحت من قبل من إسبانيا • (١)

فكان ذهاب الدكتور / محمود حسب الله إلى هذه البلاد واطلاعه على أحوال أهل البلاد وكتب التقرير الذى نقتصر منه على الجزء الخاص بالمبشرين •

المبشرون وجهودهم — " فى شرق افريقيا "

كان بودى أن أنقل الجزء الخاص بالتبشير من تقرير الدكتور محمود حسب الله بالكامل بدلا من أن أقتطع منه بعض السطور لكن أكتب منه القليل الذى يحتوى على الكثير حتى نتبين مايراد بالإسلام والمسلمين • ونفعل ما يوجبه علينا اسلامنا • فقد قال الدكتور فى تقريره : عن شرق إفريقيا :

أما المبشرون بالمسيحية هناك فهم قوة لايستهان بها وهم متغلغلون فى جميع أنحاء البلاد • فلاتكاد تجد قرية أو بلدا يخلو منها نفوذهم • ولهم مراكز تبشيرية يتكون كل واحد منها من ملجأ • ومستشفى • وبعض المدارس والكنائس وهى موزعة توزيعا تاما على البلاد كلها والبلاد مقسمة إلى مناطق • وفى كل منطقة منها عدة من المراكز التى يختلف عددها باختلاف أهمية المناطق نفسها ولهم اقطاعيات كبيرة — أقطعتها إياهم الحكومة • أو اشتروها هم من ثروتهم التى تعد بالملايين من الجنيهات

---

(١) الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا (تقرير للدكتور / محمود حسب الله) (مبعوث الأزهر فى إفريقيا عام ١٩٤٦م) صـ ٥ مطبعة منبر الشرق بالقاهرة ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م •

التى يستمدونها من أرباب الثراء من أمريكا ، وانجلترا ، وأوربا ، ومن الجيوش الكثيرة فى هذه البلاد التى رصدت لهذا الغرض.

لذلك تراهم ينفقون بسخاء على بناء الكنائس والمدارس والمستشفيات والمكاتب العامة ، وكثيرا مايذهبون إلى البيوت ويوزعون كثيرا من الكتب التى تتضمن ، بجانب شرح المسيحية شرحا عاطفيا يتضمن كثيرا من المطاعن ضد الإسلام ، ولايفوتهم دائما أن ينبهوا المسيحيين ومن اعتنق المسيحية من الوطنيين بالتباعد عن المسلمين بقدر الإمكان .

ــ يصفون من يدخلون المسيحية لظروف ملحة وتحت ضغط الحاجة بأنهم منافقون بالمسيحية وأن طول العهد يجعلهم هم وأبناءهم من المسحيين حقا .

ــ مدارس التبشير ومستشفيات المبشرين مفتحة الأبواب للجميع ، ولكن جمهور المسلمين يخشاها ويصدق عنها ، وهى تنتهز ساعة الضعف ، وساعة الحاجة وتلك الساعة التى يضعف فيها المرء نفسيا عن الدفاع وتهاجم الإسلام ، وتبشر بالمسيحية لذلك ترى المسلمين يفضلون أن يموتوا بعلتهم وجهلهم على أن يضعوا أنفسهم فى مواطن الزلل ولكن يوجد من بينهم من يغريه حب التعليم أو تدفعه شدة وطأة المرض فيذهب هناك على كره منه فلايلبث أن يسمع تلك العبارة المريرة التى طالما حدثنى كثيرون أنهم سمعوها بآذانهم ألآوهى .أن الإسلام يقدم المرض والفقر والجهل ، وأما المسحية فتقدم الصحة والثروة والمعرفة ، كأن تلك المعانى من الأوصاف الذاتية واللوازم الضرورية للمسيحية والإسلام وهكذا يلعبون بعقول الاغرار وقت ضعفهم النفسى وحاجتهم إلى المعونة فماذا يصنع ضعفاء المسلمين هناك وقد سدت فى وجوههم سبل العيش وسبل التعلم وسبل الاستشفاء ولم يبق أمامهم إلا هذا السبيل الوعر ؟

ــ يحكى قصة حقيقية حدثت " بأوغندا " كان البرنس بدر الدين ابن سلطان " أوغندا " السابق ورث عن أبيه ضمن ميراثه مساحة ثمانين فدانا على أحد جبال ثلاثة محيطة بكمبالا وقد بنى على الجبلين الأخرين كنيستان واحدة للكاثوليك والأخرى للبروتستانت فكان من الطبيعى أن تكون هناك منارة للمسلمين على الجبل الثالث وهم كثيرون بالبلد .

وكان البرنس يعلم نية والده ورغبته فى بناء مسجد على هذا الجبل فأرسل السلطان المسيحى الذى تولى عقب والده من يساوم " البرنس " ويقدم له عشرة أمثال ثمن الجبل الحقيقى وظل يساوم حتى وصل العرض إلى ثمن خيالى لكن نفس " البرنس"

الأبية رفضت العرض وتنازل عن الجهل ليكون ملكا عاما للمسلمين فأقاموا عليه مسجدا ومدرسة.

— حركة التبشير هناك على مايدو حركة استعمارية ولكنها تلبس مسوح القسيس، وسحنة التاجر، وهذان يسبقان عادة رجال الجيش وهذا هو الشأن فى افريقيا الشرقيــــة فليست حركة التبشير اذن منبعثة عن حب للمسيحية أو حب للناس رجاء أن تطهر نفوسهم فيصلون إلى النعيم الأبدى ولكنها حركة استعمارية فطن لها الوطنيون أنفسهم ويعجبنى هنا ماقاله أحد الإفريقيين ردا على أحد القسيسين حين سمعه يقول :

إننا نجهد أنفسنا ونترجم الإنجيل إلى لغتكم الوطنية ونأتيكم بالتعليم وبالرحمة، والأمن والعافية لتزكوا نفوسكم ولتعيشوا فى أمن ورخاء وأما المسلمون فلا يأتونكم بشـــىء فقال الإفريقى : نعم إنكم تأتوننا بالإنجيل ومبادىء لاتؤمنون بها أنتم لأنكم لاتعملـــون بها، وتأخذون منا نظيرها أموالنا وأرضنا وحرياتنا ونصبح لكم عبيدا وخدما.

أما المسلمون فحق إنهم يأتون هنا مزودين بقليل من المعرفة ولكنهم يعملـــون بما يعرفون، ولايأخذون منا شيئا، بل يعملون مثلنا فى تعمير بلادنا من غير أن يطغوا علينا، وإذا قبلنا دينهم أصبحنا لهم إخوة وإخوانا، وأما إذا قبلنا دينكم ظللنا لكم عبيدا وخدما خذوا أنجيلكم وردوا علينا أموالنا وحرياتنا ودعوا أرواحنا تذهب ولو إلى الشياطين اعلوا بانجيلكم أولا ثم تعالوا للتبشير به فلم يحر القس جوابا.

— ثم يقول الدكتور محمود حسب الله فى نهاية تقريره عن المبشرين إننى مؤمـــن كل الإيمان بأنه لوكان للمسلمين هناك واحد من عشرة من جهود المبشرين لكانـــت البلاد الآن كلها أو جلها من المسلمين ولكن هل تنفع شيئا لو ؟.

ثم يتحدث عن بعض الأماكن التى زارها وحاضر فيها بافريقيا الشرقية فيوضـــح أنه زار " الزنجبار " وكثيرا من مساجدها وقراها كما زار " تنجانيقا " " ودار السلام " ورأى مساجد دار السلام الفسيحة، وأقام فترة طويلة من الزمن فى " ممباسا " ومكث أسبوعا فى نيروبى، وفى كثير من مقاطعات إفريقيا الشرقية رأى عددا وفيرا من مدارس المبشرين ومراكزهم التبشيرية.[1]

كما توجد بعض التقارير التى كتبت فى الستينات من القرن العشرين عن عديـــد من الدول التابعة لشرق إفريقيا من بينها.

---

(١) يراجع المرجع السابق ص ٢٦ – ٣٠.

تقرير للمجلس المركزى لمسلمى كينيـا :

وقد ورد فى تقرير للمجلس المركزى لمسلمى كينيا أن فى مدينة نيروبى ـ العاصمة ـ وحدها أربعين كنيسة مبنية بناء حديثا ، يقابلها للمسلمين ثمانية مساجد قديمة وفى حالة مهلهلة كما ذكر التقرير " إن الجمعيات التبشيرية تشترى أفضل المواقع لتقيم عليها أبنيتها وعلى واحد من هذه المواقع أقامت عمارة ضخمة من عشرة طوابق تشغلها رئاسة المجلس المسيحى الكينى ، يقابلها مكتبنا الصغير المستأجر الذى لايتسع لتأدية أعمالنا .

ولعل الرسالة التى بعث بها السيد " جمعة مبوندا " نائب رئيس المجلس المركزى لمسلمى كينيا ، إلى المركز الإسلامى فى جنيف عام ١٩٦٤م ، تلقى أضواء أوضح على النشاط التبشيرى فى شرق إفريقيا وعلى الظروف الصعبة التى يعيشها المسلمون ـ هناك .

وقد جاء فيها : " بين الاستقصاء Survey الذى أجريناه أن الجالية المسيحية قد وجدت نفسها تحت لواء الجمعيات الكبيرة التالية .

أ ـ الكنائس المسيحية لمجلس الكنائس فى كينيـا .

ب ـ المجلس العالمى للكنائس المسيحية .

جـ ـ البعثة التبشيرية للروم الكاثوليك .

د ـ كنائس اسرائيل .

وهذه الجمعيات تمول تمويلا جيدا من " روما " و " بريطانيا " والقدس المحتلة وأمريكا ، وفرنسا .[1]

أما التقرير الذى كتبته الدكتورة زهيرة حافظ عابدين التى دعتها هيئة الصحة العالمية ، بالاشتراك مع هيئة إغاثة الطفولة الدولية ، لجولة فى أقطار إفريقيا الشرقية ضمن ستة أطباء أطفال للاطلاع على مايبذل هناك من جهود صحية واجتماعية فى هذا التقرير نلتقى بمزيد من الحقائق عن مآسى المسلمين هناك فى مجابهة النشاط الصليبى : " إن هذه البلاد وإن كانت مفتقرة عموما إلى معاونة كثيرة للارتقاء بالتعليم على أنواعه ، والنواحى الاجتماعية والصحية ، واستصلاح الأراضى وزيادة الدخل الخ .. فإن مسلمى هذه البلاد خصوصا يقاسون ظلما اجتماعيا يدعو للأسف والحسرة حتى

---

(١) مأساتنا فى إفريقيا صـ ١١٣ ، ١١٤ .

فى البلاد التى تتمتع بأكثرية مسلمة كـ " تنجانيقا " وتعدادها حوالى ١١ مليون منهم أكثر من ٦٥٪ مسلمين الحاكم مسيحى وجل الوظائف الحكومية يشغلها مسيحيون أما المسلمون فإنهم فى فقر وجهل وذل اجتماعى ، ويرجع ذلك لسياسة المستعمر وأساليبه فمنذ دخل المستعمر هذه البلاد دأب على نشر المسيحية والعمل على القضاء على الإسلام (سواء لأغراض دينية بحتة بالغة فى الانتقام للحروب الصليبية أو لأغراض دينية ممتزجة بأغراض سياسية وهو فى الغالب) وذلك على النحو الآتى :

تقوم بالتعليم مدارس تبشيرية يتجنبها عادة المسلمون الذين لبثوا فى حالة جهل فى حين تخرج من هذه المدارس طائفة الافريقيين الذين اعتنقوا المسيحية ، وأسندت إليهم القيادات ، وشتى الوظائف الهامة ، وضع القيادات العليا فى يد أفريقى مسيحى حتى فى البلاد التى يكون المسلمون فيها الأغلبية كما قلت .

ولقد علمت أنه أول ما دخل الإنجليز " أوغندا " عزلوا الحاكم المسلم ووضعوا قانونا بألا يتولى الحكم إلا مسيحى إلى جانب هذا تغلغلت البعثات التبشيرية فى كافة أنحاء هذه البلاد تشيد المدارس ودور الحضانة (التى تربى الأيتام وأولاد الفقراء على المسيحية) والمستوصفات وتساندها الآن الهيئات المختلفة (هيئة إغاثة الطفولة الدولية ، هيئة الصحة العالمية وهيئة " نافيلد " و " روكفلر " .. الخ) .

والجامعات والعلماء والأطباء كل هؤلاء يعمل على نشر المسيحية تحت ستار العلم ويساند الهيئات التبشيرية بشتى الطرق المدروسة المنظمة ، وهكذا نجح المستعمر فى تحويل جل ، بل كل القبائل اللادينية إلى المسيحية ، فى أوغندا وتعدادها ٨ مليون أكثر من ٨٥ ٪ مسيحيون الآن ، وفى " كينيا " وتعدادها ٨ مليون أكثر من ٦٥ ٪ مسيحيون ، ولم يبق سوى قبائل قليلة لاتعتنق ديانات سماوية وهنا أريد أن أوضح أن المجهود التبشيرى مركز على بث روح عصبية ، وكراهية للمسلمين وكبرياء عليهم أكثر منها روح دينية وخلق سليم ، فهى مسيحية اسمية يسمح فيها بتعدد الزوجات الخ ، مادام الشخص مسيحيا بالاسم ويذهب إلى الكنيسة ، ويحقد ويتعصب ضد المسلم ويشعر بأفضلية عليه هذا وقد اتخذت أساليب شتى لاشعال روح الكراهية بين الافريقيين المسيحيين والافريقيين المسلمين من ناحية أخرى .

فعملت دعاية كبيرة حول استعباد وتسخير العرب للإفريقيين فمثلا فى صالة الاجتماعات الشهيرة فى " أديس أبابا " أول مايسترعى النظر فى شباك زجاجى كبير بجوار

السلم الداخلى ، رسومات ملونة تمثل العربى بعقاله يقود جماعة من الزنوج الافريقيين مربوطين بعضهم ببعض بالسلاسل .

وصورة أخرى تمثل هؤلاء الزنوج يفكون عنهم هذه القيود ويتخلصون من هذا العربى الظالم العاتى وحوالى نصف متحف تنجانيقا بـ " دار السلام " عبارة عن صور فوتوغرافية ورسومات تصور هذا المعنى .

ولقد قيل لى إن الإفريقى الآن يتعلم ويشبع بخطر المسلم ويقال له إن خطر المسلم والعربى أكبر من الخطر الشيوعى ، أما الأقلية من الإفريقيين المسلمين الذين ينالون قدرا من التعليم العالى (ثانوى أو جامعى) فالجهود منصبة على إفسادهم خلقيا مما يجعل تعاليم الإسلام أقرب للخيال منها للواقع ، ويجعل المسلم مسلما بالاسم لاغير .

أما المسلمون الفقراء والجهلاء فقد بدأ بعضهم ، بالإغراء وللحاجة والفاقة يتحول فعلا إلى المسيحية (كما علمت أن نسبة المسلمين فى " تنجانيقا " كانت حوالى ٨٥ ٪ والآن ٦٥ ٪ فقط) فالمسلم الإفريقى عموما معرفته بدينه سطحية نظرًا لجهله باللغة والدين .[1]

ولكون الحاكم فى الغالب مسيحى يحجب الرؤية الإسلامية عن الشعب ، ويسخر الإعلام لخدمة التبشير ، وأكثر من ذلك فقد يدفعه التعصب الصليبى إلى الإعتداء السافر علي المسلمين بصورة وحشية تخالف مايدعى من الرحمة المسيحية " وتجدر الإشارة هنا إلى أن حكومة " تنجانيقا " قد قامت فى يناير ١٩٦٤م (قبل قيام دولة تنزانيا) بمذبحة وحشية فى جزيرة زنجبار المسلمة وقتل عشرات الآلاف من أبناء زنجبار ، وكانت تلك المذبحة بقصد تغيير الهوية الإسلامية للشعب المسلم هناك تمهيدا لدمج الجزيرة مع تنجانيقا فى دولة تنزانيا المتحدة وقد بذلت حكومة الدولة الموحدة بعد ذلك جهودا ضخمة لإزالة الصورة الإسلامية لشعب زنجبار وساعد على ذلك وجود رئيس مسيحى متعصب على رأس الدولة التى ينتشر المسلمون بنسبة كبيرة فى شتى أنحائها وكذلك وجود من يتشدقون بالاشتراكية العلمية ويدعون أنها البديل الأمثل للتخلف الحضارى الذى يعانى منه المسلمون فى تلك البلاد على حد تعبيرهم .[2]

---

(١) مأساتنا فى إفريقيا صـ ١١٤ ـ ١١٧ نقلا عن المجتمع (السنة الرابعة عدد ١١) كانون الثانى ١٩٦٥م .

(٢) المسلمون فى العالم (أضواء على مشاكلهم وتوزيعهم دكتور / عادل طه صـ ٨٠ ، ٨١ .

وهى صورة متكررة وسياسة مرسومة تتبع مع دول إفريقيا المسلمة وتتشابك فيها أيـدى الحكام الصليبيين مع أصابع الاستعمار الحديث والصهيونية الماسونية وتتداخل الفكرة التبشيرية بحيث يصعب على الباحث أن يكتشف أيها وجه الضربة إلى المسلمين أولا ويعسر عليه تحديد دور كل منها ومن النماذج الدالة على ذلك ماحدث فى اثيوبيا ٠

أثيوبيا " الحبشـــة "

تعبير أثيوبيا يطلق على القومية السوداء ، ولكنهم نسبوه إلى دولة أثيوبيا ويقـال: إنه لما تحيز الأوربيون ضد الإفريقيين عبرت المقاومة الإفريقية عن نفسها بما يسمى بالأثيوبيـة وهى تكوين كنيسة زنجية سوداء تلون بها تعاليم المسيحية التى تلقوها من البعثات التبشيرية بما يلائم طرق المعيشة الزنجية ٠[1]

وكما فعلت حكومة تنجانيقا المسيحية مع زنجبار المسلمة فعلت حكومة أثيوبيا المسيحيـة بقيادة الإمبراطور هيلاسلاسى نفس الشىء مع أريتريا " المسلمة " فى محاولة للقضاء علـى المسلمين فما كادت بريطانيا تنهى احتلالها " لأريتريا " عام ١٩٥٢م٠ حتى صدرت الهيمنـة الصليبية متمثلة فى أعمال امبراطور الحبشة يقول الدكتور كمال الدين جعفر عباس :

ووفقا لأصول المخطط الصليبى وفى اليوم نفسه الذى صادق فيه على قانون الاتحـاد وعلى الدستور الأريترى[*] ، أصدر الأمر رقم ٦ لعام ١٩٥٢م والقاضى بتطبيق القوانين والنظم الأثيوبية على أريتريا فكان بذلك يجمد جميع ميزات وقوانين الحكم الذاتى لأريتريا ٠[2]

وبلغت الجرأة الصليبية مداها عند الامبراطور هيلاسلاسى فبجانب السيطرة علـى أريتريا عمد إلى محاصرة الوجود الإسلامى وتمزيقه وتشتيته ٠

---

(1) موجز تاريخ إفريقية صـ ٢٥٩ بتصـرف ٠

(*) فى ١٠ تموز يوليو ١٩٥٢ اقر البرلمان الأريترى الذى اجتمع لأول مرة فى ٢٨ نيسـان (أبريل) ١٩٥٢م ، الدستور الأريترى الذى جعل لأريتريا علما خاصا وسلطـات قضائية وتشريعية خاصة بها كما تم اعتماد اللغتين العربية والتجرينية لغات رسمية ٠

(2) مجلة (الأمة) (العدد السابع والأربعون ـ السنة الرابعة) صـ ٤٥ من مقال للدكتور كمال الدين جعفر عباس بعنوان : أريتريا " أرض الصدق " بين أحقاد الصليبيـة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م٠

" وفى سبيل ذلك نفذ خطته لاسكان النصارى فى المناطق الإسلامية ، فسلم الأراضى الزراعية الخصبة فى وادى زولا - وهو منطقة إسلامية - إلى نصارى جى" بهم من الهضبة كما بنى لهم كنيسة وشيد سدا فى الوادى لرى الأراضى التى ملكها النصارى وما فعله فى " زولا " فعل مثله فى " صوع " و " عصب " و " أغردات " و " كرن " والمناطق الإسلامية كلها ولعل فى تضيقه على المسلمين حتى يتركوا أرضهم ويهجروها إنما كان يتبع الأسلوب نفسه الذى تتبعه دولة صهيون فى فرض سيطرتها على الأراضى الإسلامية فى فلسطين .[1]

واستد خط الاستعمار الصليبى حتى التهم هذا البلد المسلم حيث أعلن راديو " أديس أبابا " فى ١٤ تشرين ثانى (نوفمبر) ١٩٦٢م الغاء الاتحاد الأريترى الإثيوبى وضم أريتريا إلى أثيوبيا ، وفى اليوم التالى أذاع الراديو نفسه أن أريتريا أصبحت الولاية الرابعة عشرة فى الإمبراطورية الأثيوبية .[2]

ويعتبر الإسلام فى أثيوبيا دينا لأكثر من نصف السكان حيث تعتنقه القبائل فى مناطق " أريتريا " وأوجادين (هرر) و " بالى " و " سيدامو " و " تجرى " وقبائل الجالا والقبائل الأخرى المنتشرة فى شرق وجنوب وغرب البلاد ويكون المسلمون فى منطقة أريتريا حوالى ٧٥ ٪ من سكان الإقليم وفى مناطق " هرر " و " بالى " حوالى ٨٠ ٪ من السكان (وهم من أصل صومالى) وتحدد المصادر الإسلامية عدد المسلمين فى اثيوبيا بأكثر من ٨ر١٥ مليون من نحو ٢٩ مليون نسمة هم سكان البلاد عام ١٩٧٧م أى بنسبة تزيد عن ٥٥ ٪ ، وباقى السكان منهم ٣٥ ٪ مسيحيون ، ١٠ ٪ وثنيون أما المصادر الغربية فإنها تذكر أن المسلمين فى " اثيوبيا " يشكلون ٤٥ ٪ من سكان البلاد ويشكل المسيحيون نحو ٤٨ ٪ وأصحاب الديانات البدائية (الوثنيون) نحو ٧ ٪ وللمسلمين فى اثيوبيا مشاكل جمة سواء أثناء حكم هيلاسلاسى المسيحى المتصلب أو مانجستو ماريام الماركسى النزعة وتقوم حكومة مانجستو حاليا بأعمال قمع وحشية للمسلمين فى اثيوبيا فتدمر قراهم وتهدم مساجدهم وتعمل على إبادة الأعداد الغفيرة منهم وخاصة فى إقليمى " أريتريا " وأوجادين لمطالبة سكان الإقليمين بالاستقلال عن إثيوبيا[3]. كما يوجد مخطط رهيب لتنصير أبناء شعب جيبوتى المسلم مائة فى المائة ويشترك فى تنفيذه وتمويله الفاتيكان

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق بتصرف .
(٣) يراجع المسلمون فى العالم ، أضواء على مشاكلهم وتوزيعهم صـ ٧٩ ، ٨٠ .

وفرنسا والمانيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية • والبداية بافساد اخلاق الشعب بتشجيع شرب الخمور وأكل شجر القات ونشر الدعارة.و " جيبوتى " المنفذ الرئيسى للوصول إلى القرن الإفريقى حيث تقع على الساحل الشرقى لقارة إفريقيا فى موقع استراتيجى على الشاطئ الغربى لمضيق باب المندب ويدين كل سكانها البالغ عددهم ٣٠٠ ألف نسمة بالدين الإسلامى •

وتوجد فى " جيبوتى " عدة منظمات تبشيرية مسيحية تعمل فى جميع مجالات الحياة هناك لهدم الإسلام • ومن بينها المنظمات الكاثوليكية ومصدرها الفاتيكان والمنظمات البروتستانتية ومصدرها ألمانيا الغربية والمنظمة الأمريكية ومصدرها أمريكا وهى تعمل مستقلة عن غيرها وتقوم برعاية اللاجئين وإيجاد المأوى لهم وترحيلهم إلى أمريكا ولها إدارة خاصة لتنظيم ترحيل اللاجئين من جيبوتى وتقوم المنظمة بنفس العمل فى السودان والصومال وأوغندا وبعض البلاد الإفريقية وتتضح خطورة السيطرة التبشيرية باشرافها على دار للأيتام بهذا البلد المسلم " جيبوتى " حيث يتعهدون الأطفال منذ صغرهم وعندما يكبرون - يرسلونهم إلى أوربا فى ضيافة عائلات نصرانية وبعد الفراغ من تعليمهم يعودوا إلى بلادهم ليتولوا مناصب قيادية• وليسيروا دفة البلاد وفقا للأفكار الغربية [1] • ومايفعلونه خير ضمان لتغريب كثير من أقطار إفريقيا بدون قتال وبالتالى يمكنهم استغلال خيرات البلاد الخام ثم إرسالها إليهم مصنعة بأغلى الأثمان •

ولاننسى الصومال وهى المجاورة " لجيبوتى " من جهة الشرق وللحبشة من جهة الشرق والجنوب • فللتبشير بها آثار ويقول محمود بيومى أثناء عرضه لكتاب الإسلام فى الصومال :

وقد سجل التاريخ الصومالى كفاح المسلمين ضد المنصرين الذين كانوا قد أقاموا مدرسة تنصيرية فى بربرة وأخرى فى قرية ديمولى واستطاعوا تنصير خمسين طفلا من الأيتام وحدث أن أطلق منصر بمدرسة بربرة الرصاص على أحد المسلمين وهو يؤذن لصلاة الفجر فقام المسلمون بحملة ضد المنصرين أدت إلى خروجهم من الصومال وعدم بناء الكنائس أو الأديرة وعدم فتح محلات للخمور أو السماح بتعاطيها •

غير أن الصراع عاد من جديد بين المنصرين والشعب الصومالى حينما ظهر التنصير مرة أخرى على يد الحملات التنصيرية الأمريكية وشركات البحث عن البترول ومن

---

(١) جريدة " النور " (السنة الرابعة - العدد ١٨٣) ص ٢ مقال بعنوان (منظمات تنصيرية غربية تحاصر المسلمين فى جيبوتى ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م•

أبرزهم القس " ويلبرت لند " البروتستانتي والقس الأمريكي " مورد بكرويد " .[1]

وتحت ضغط الحاجة ، وشدة الجفاف تمتد الأيادي المسيحية لأطفال المسلمين بحجة انقاذهم بينما تقوم بتنصيرهم كما ذكرت مجلة " الأمة " ماجرى في الصومال وهو أن منصرا بلجيكيا يدعى " دوجاردين - وزوجته " حصلا على موافقة السلطات الصومالية بتبني (٣٠٩٠٣) ثلاثين ألفا وتسعمائة وثلاثة من أطفال المسلمين الصوماليين .[2]

السودان

أما في السودان فقد تآزرت القوة الاستعمارية مع العصبة التبشيرية ومهد الاحتلال الإنجليزي البغيض لعملية عزل جنوب السودان عن شماله المسلم ، بواسطة البعثات التبشيرية وذلك لأن المستعمرين يعلمون مدى تأثير الإسلام ودعوته ، وسرعة انتشاره إذا ترك بدون معوقات ، كما ازداد معرفة بمواءمة الإسلام لفطرة الانسان ، فهو يمحو العصبية ويلبي مطالب الفطرة السوية ، ويقوى الصلة الإنسانية ويربط بين الأفراد والجماعات برباط الأخوة التامة وقد أدرك الاستعمار هذه الحقائق فبنى سياسته في جنوب السودان على أساس وقف تيار الهجرة إليه من الشمال ، أو الاختلاط بين أهل الشمال والجنوب وأطلق على هذه السياسة " سياسة الجنوب " والهدف الواضح منها هو جعل جنوب السودان حدا فاصلا في وجه المد الحضاري الإسلامي ، والثقافة الإسلاميه العربية حتى يحول بين كل ذلك وبين الوصول إلى قلب أفريقيا إذ يطمع في أن يجعل منها منطقة احتكار لانتشار التبشير المسيحي بين قبائل وثنية تعيش في ظلمات الجهل أسيرة التقاليد والعادات القبلية .

سياسة التبشير في جنوب السودان

أطلق الاستعمار أيدي الإرساليات التبشيرية في جنوب السودان منذ الاحتلال الإنجليزي لهذا البلد ، ودعمهم بالمال وخلافه ليقدموا خدمات يشعر بها أهل الجنوب من تعليم ، وتطبيب وبقية الخدمات الاجتماعية .

---

(١) مجلة " الأمة " (العدد الخامس والستون - السنة السادسة) صـ ٣٠ ، ٣١ من مقال (كتاب في مقال) الإسلام في الصومال للدكتور عبد الرحمن النجار عرض محمود بيومي ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م .

(٢) مجلة " الأمة " (العدد التاسع والعشرون - السنة الثالثة بعنوان (منظمة الدعوة الإسلامية في إفريقيا) صـ ٣٤ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

يقول محمد محمود الصواف عن تأثير هذه الخدمات :
أدت هذه الاعمال إلى احساس الأهالى بالجنوب بأن المبشرين الأجانب يعملون لصالحهم وتقدمهم فى جميع المجالات ، كما ربى طول التمرس لهذه الأعمال فى نفوس رجال التبشير الأجانب الاحساس بأنهم يمكنهم التحدث نيابة عن الأهالى ، وتولى رعاية شئونهم من جميع الوجوه .(١)

ومن أسطع البراهين التى تدل على استعمال الاستعمار الإنجليزى للهيئات التبشيرية كأداة لتنفيذ خططه فى تقسيم السودان هو ما جاء فى تقرير الحاكم العام للسودان سنة ١٩٢٩م حيث قال : إن الإرساليات هى أحسن قلعة ضد الإسلام فى الجنوب(٢) ، ومن أجل قيام الإرساليات التبشيرية بالمهام المنوطة بها من قبل الدول الاستعمارية وفر لها المستعمرون الإمكانيات البشرية ، والمادية ، والمعنوية .

فمن الناحية البشرية : زود الجماعات التبشيرية بالقسس وسمح لجميع الهيئات التبشيرية بالتجول فى جنوب السودان وقسمه إلى مناطق كل هيئة تبشيرية تقوم بدورها فى منطقتها الخاصة بلا منازع .

ومن الناحية المادية : منح الاستعمار الهيئات التبشيرية اقطاعيات من الأراضى الشاسعة لتستغلها فى الزراعة والانتاج كما مهد لها سبل التجارة مع الجنوبيين وأنشأوا خطوطا للمواصلات البرية ، والجوية ، وهيىء وسائل الاتصال اللاسلكى .

أما من الناحية المعنوية : فقد ترك الحرية للعمل التبشيرى دون رقيب وجعل مصالح الجنوبيين فى أيدى بعثات التبشير وكرم المتخرجين من مدارس الإرساليات بتوظيفهم بأرقى الوظائف .(٣)

وقد حدث كل هذا فى الوقت الذى أغلق الاستعمار فيه باب الجنوب فى وجه دعاة الإسلام ومنع تجار المسلمين من أهل الشمال من ارتياد الجنوب وحرم استخدام اللغة العربية والزى العربى فى الجنوب وأكثر من هذا منع آداء الشعائر الإسلامية وأغلق

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام محمد محمود الصواف صـ ١٧٣ .
(٢) المرجع السابق صـ ١٧٤ .
(٣) مجلة الأزهر (الجزء الثانى - السنة الحادية والأربعون) صـ ١٢٩ من مقال للأستاذ عبد الستار البدرى بعنوان (جنوب السودان الوثنى بين الإسلام والمسيحية) - ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م بتصرف .

المساجد واستمرت هذه السياسة الاستعمارية من (١٩٠٢م - ١٩٤٨م) ولو أنه اضطر إلى تغييرها تحت ضغط الغيرة الدينية فى نفوس سكان الشمال أو مايسمى بالحركة الوطنية فى شمال السودان إلا أن سياسة الاستعمار حيال التبشير فى هذه الفترة أدت مهمتها وخلقت جوا فى الجنوب معاديا للشمال وبدأت آثار التبشير فى أهل الجنوب كما استحكم نفوذ التبشير ، فبعد استقلال السودان أصدرت الحكومة السودانية عام ١٩٦٢م قرارا بتنظيم أعمال الإرساليات التبشيرية مع ضمان حرية العبادة والتبشير والاعتراف بالهيئات التبشيرية قانونيا فاعتبرت الهيئات التبشيرية هذا القرار مقيدا لنشاطها وتعرض السودان لحملة دعائية من بعض دوائر التبشير المسيحى فى أوربا كما نظروا إلى قرار تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية الذى أصدره الرئيس السابق جعفر نميرى فى سبتمبر ١٩٨٣م على أنه يعنى أن المواطنين من غير المسلمين تحولوا إلى مواطنين من الدرجة الثانية .

وأوضح آثار التبشير فى السودان الجنوبى ماحدث ويحدث الآن من تمرده ومحاولة انقسامه وانشقاقه عن الجزء الشمالى وإنها لأيدى التبشير ورسل المبشرين تعمل باسم المسيح تبث الفرقة والانقسام والمسيح عليه الصلاة والسلام برىء من أعمالهم وأقوالهم أليس هو القائل "كل مملكة منقسمة على نفسها تخرب" .

مصر

وحين ننتقل من بيان بعض آثار التبشير فى السودان إلى بيان بعض آثاره فى مصر بلد القرآن فيكفى أن نعلم أن الكنيسة القبطية فى مصر لم يقتصر نشاطها على تخريج قساوسة للعمل بإفريقيا وآسيا بل تعدى ذلك إلى نطاق أوربا تحت دعوى تقديم الخدمة لمسيحى المهجر ..

ولست من مثيرى المشاعر فما ذكره (الأنبا شنودة) فى الاجتماع المغلق الذى عقده فى ١٩٧٣/٣/٥م مع القساوسة والأثرياء بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية وسجلته الأجهزة الخاصة ، يبين بما لايدع مجالا للشك طمع القبط فى جعل مصر الإسلامية بلدة قبطية .

وسنكتفى بذكر فقرات من حديثه ونحيل القارىء الكريم إن أراد المزيد على نص الحديث بالكامل من المرجع الذى نقتطف منه الفقرات .

بدأ (البابا شنوده) كلمته بأن بشرهم بأن كل شيء يسير على مايرام حسب الخطة الموضوعة ، والتخطيط المرسوم لكل جانب من جوانب العمل على حده فى إطار الهدف الموحد وقد تحدث فى عدة موضوعات نشير إلى نقاط منها تبين آثار التبشير المسيحى وخطته فى بلد مسلم يكن كل الحب لرعاياه الأقباط .

١ ـ عدد شعب الكنيسة :

صرح " البابا " بأن مصادرهم فى إدارة التعبئة والإحصاء أبلغتهم أن عدد المسيحيين فى مصر أصبح مايقارب ثمانية ملايين نسمة ، ويجب أن يعلم ذلك شعب الكنيسة كما يجب عليهم أن ينشروا ذلك ويؤكدوه ، بين أفراد فئات المسلمين لأنه سيكون سندا فى المطالب التى سنطلبها من الحكومة وسنذكرها لكم اليوم .

والتخطيط العام الذى تم الاتفاق عليه بالاجماع ، والذى صدرت بشأنه التعليمات وضع على أساس بلوغ شعب الكنيسة إلى نصف الشعب المصرى حتى يتساوى عدد شعب الكنيسة مع عدد المسلمين لأول مرة (منذ الاستعمار العربى والغزو الإسلامى لبلادنا (على حد تعبيره) والمدة المحددة فى التخطيط للوصول إلى هذه النسبة هى بين (١٢ ـ ١٥) سنة من الآن .

وألخص من حديث " الزعيم الدينى " ما اتخذته الكنيسة لتحقيق هذه الخطة من وسائل :

أ ـ تحريم تحديد النسل وتنظيمه بين شعب الكنيسة .

ب ـ تشجيع تحديد النسل وتنظيمه بين المسلمين ـ خاصة وأن أكثر من (٦٥ ٪) من الأطباء وبعض الخدمات الصحية هم من شعب الكنيسة .

جـ ـ تشجيع الاكثار من النسل بين شعب الكنيسة بوضع الحوافز والمساعدات المادية والمعنوية للأسر الفقيرة من شعبنا .

د ـ التنبيه على العاملين بالخدمات الصحية على المستوى الحكومى وغير الحكومى بمضاعفة الخدمات الصحية بين شعبنا المسيحى ، وبذل العناية والجهد الوافرين وذلك من شأنه تقليل نسبة الوفيات بين شعبنا المسيحى على أن يكون تصرفهم غير ذلك مع المسلمين .

هـ ـ تشجيع الزواج بالسن المبكرة بتخفيض تكاليفه وذلك بتخفيض رسوم فتح الكنائس ورسوم الأكليل بالكنائس الكائنة بالأحياء الشعبية .

و ـ تحرم الكنيسة تحريما باتا على اصحاب العمارات والمساكن تأجير أى مسكن أو شقة

أو محل تجارى للمسلمين ، وتعتبر من يفعل ذلك من الآن مطرودا من رحمة الرب ورعاية الكنيسة كما يجب العمل بشتى الوسائل على اخراج المسلمين الذين يسكنون العمارات والبيوت المملوكة لشعب الكنيسة (*) ، وهذه السياسة الاسكانية إذا استطعنا تنفيذها بقدر الإمكان فإن من شأنها تشجيع الزواج بين الشباب المسيحى وتصعيبه وتضيقه بقدر الإمكان على المسلمين مما يكون له أثره الفعال للوصول إلى هذا الهدف حيث لايخفى أن الغرض من هذه القرارات هو انخفاض معدل الزيادة بين المسلمين ، وارتفاع هذا المعدل بين الشعب المسيحى .

٢ - انتصار شعب الكنيسة :

قال " البابا " إن المال يأتينا أكثر مما نطلب من ثلاث مصادر هى " أمريكا - والحبشة والفاتيكان " ولكن يجب علينا أن نعتمد على مالنا الخاص ، كذلك يجب الاهتمام بشراء الأراضى ، وتنفيذ القروض والمساعدات لمن يقومون بذلك لمساعدتهم على البناء ، وقد اثبتت الإحصاءات الرسمية أن أكثر من ٦٠٪ من تجارة مصر الداخلية بأيدى المسيحيين ويجب العمل على زيادة هذه النسبة وتخطيطها فى المستقبل يركز على إفقار المسلمين ونزع الثروة من أيديهم وبالقدر الذى يؤدى إلى إثراء شعبنا .

٣ - الجانب التعليمى :

قال " البابا " إنه يجب بالنسبة للتعليم العام للشعب المسيحى الاهتمام بالسياسة التعليمية حاليا فى الكنائس مع مضاعفة الجهد خاصة وأن بعض المساجد بدأت تقوم بمهمات تعليمية كالتى تقوم بها كنائسنا ، وذلك سيجعل مضاعفة الجهود المبذولة أمرا حتميا حتى تستمر النسبة التى نحصل عليها من مقاعد الجامعات ، وخاصة الكليات العلمية .

ثم قال : إنى أهنىء شعب الكنيسة وخاصة المدرسين منهم بهذا الجهد وهذه النتائج حيث وصلت نسبة الوظائف الخطيرة العامة كالطب والهندسة والصيدلة إلى أكثر

(*) هذا يحدث فى الوقت الذى تؤجر فيه مساكن الأوقاف التابعة للمسلمين لكثير من النصارى فى مختلف محافظات القاهرة ، وليرفع المار فى شوارع القاهرة وباقى المحافظات رأسه لأعلى ليجد جل مساكن الاوقاف عليها يفط وإعلانات لأصحاب مهن من اسمائهم يعرف أنهم نصارى ولم يفكر مسلم حتى فى حرمانهم من تأجير هذه المساكن فى الوقت الذى نجد فيه من المسلمين من يسكن المقابر والخيام .

من (٦٠ ٪) من الشعب السيحى ٠

٤ ـ التبشـــير :

قال البابا : إنه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية على أن الخطة التبشيريـــة التى وضعت بنيت على أساس أن الهدف الذى اتفق عليه من التبشير فى المرحلة القادمة هو التركيز على التبشير بين الأفراد وذلك لزحزحة أكبر عدد من المسلمين عن دينهـــم أو التمسك به ٠

ويرى " البابا " أن زعزعة فى نفوس المسلمين تكفى فى نجاح مخططاتهم فليس مـــن الضرورى دخولهم فى المسيحية بل يكفى إزاحتهم من طريقها ، ويخشى " البابا " من تسرب نجاح المسيحيين فى تنصير مسلم لأنه ينبه المسلمين وهذا يؤثر بالتالى على جهـــود المسيحيين ٠

ثم قال مانصه بالحرف الواحد :
إننا يجب أن ننتهز ماهم فيه من نكسة ومحنة لأن ذلك فى صالحنا ولن نستطيـــع إحراز أية مكاسب أو أى تقدم إذا انتهت المشكلة مع اسرائيل سواء بالسلم أو بالحرب ، وإنى أعتبر أن هذا الكلام خير نذير لولاة الأمور فى كافة المجالات وليس له من تعليـل غير أن المسيحيين عازمون وماضون فى جعل مصر وتحويلها إلى النصرانية ومن أراد ـ المزيد من تصريحات " البابا " ومطالبه التى تؤكد هذا الكلام فليراجع نص الحديث ٠(١)

نموذج للتبشير فى المغرب الإسلامى

إشارة سريعة وملخص قصير لما جرى ويجرى فى المغرب يبين الآثار الخطيرة والـتى ذكر بعضها المجاهد المغربى إدريس الكتانى بقوله :

ولانزال نذكر أن " فرنسا اللادينية " لم تكتف فى المغرب بعد احتلاله ، بإفســاح المجال أمام جيش المبشرين ، وبناء الكنائس فى جميع المدن والقرى النائية بل إنهـا استعملت سلطتها كدولة حاكمة لإملاء " الظهير البربرى " الذى كان يهدف لفصـــل

---

(١) يراجع مايجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن التبشير والنصرانية إبراهيم سليمان الجبهان من صـ ٢٣ ـ ٣٠ طبع بالرياض ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م٠

البربر المسلمين عن حكم الشريعة الإسلامية ، كمرحلة أولى لتنصيرهم ، وأعدت لهـــذه الخطة ٥٠٠ مبشر اختصاص فى " فن التمسيح " وصنعوا تصميما شاملا للهجوم على الإسلام بالمغرب بتعاون تام مع السلطات العسكرية ولولا يقظة الشعب المغربى الذى جعل مـــن ذكرى ١٦ مايو ١٩٣٠م يوم " المقاومة الإسلامية للاحتلال المسيحى " وتأييد العالم الإسلامى كله لنا لكانت الخطة الاستعمارية قد نجحت .

ولإعطاء مثل واحد لنشاط الجالية المسيحية الحديثة العهد فى المغرب بالنسبـــة لنشاط السكان المسلمين ، يكفى أن نذكر أن مدينة الدار البيضاء ، وهى أكبر مدينـــة مغربية تحتوى على ١٨ كنيسة لـ ٢٠٠٫٠٠٠ من السكان المسيحيين منها ١٥ كاثوليكيـــة وواحدة بروتستانتيه ، وواحدة أرثوذكسية ، وواحدة انجليزية ، بينما لايوجد فيهـــا إلا ١٤ مسجدا لـ ٧٠٠٫٠٠٠ من السكان المسلمين أى بمعدل كنيسة واحدة لكـــل ١١٫١١١ من المسيحيين فى مقابل مسجد واحد لكل ٥٠٫٠٠٠ من المسلمين .

هذا بالإضافة إلى أنه توجد كنائس فخمة فى قرى آهلة بالسكان المسلمين وخصوصا فى المناطق البربرية ، لايكاد يوجد فيها مسجد واحد بالمعنى الصحيح كما هـــــو الحال فى أفران وأمزار .(١)

كما أن المدن الشمالية المطلة على البحر الأبيض للمملكة المغربية والتى بدأ مسلسل الغزو بالنسبة للمغرب بهجـوم غادر على مدينة " تطوان " عام ١٣٩٩م تمهيدا لاحتـلال مدينة " سبتة " والذى تم عام ١٤١٥م ، " وطنجة " عام ١٤٧١م ، و " مليلة " عام ١٤٩٧م .

علما بأن تصفية الوجود الإسلامى بالأندلس كان فى عام ١٤٩٢م ، وقد انتهـــز الاستعمار الأسبانى خضوع القسم الشمالى من المغرب لحمايته ١٩١٢ ـ ١٩٥٦م ليكـرس احتلاله لمليلة فبدأ بإزالة كل المعالم الإسلامية والعربية حتى أن أحد المستطلعـــين لهذه المدينة يقول :

وقد تبحث فى المدينة عما يعطى لها وجها عربيا إسلاميا فلا تعثر إلا على مسجدين قديمين ومدرسة ابتدائية واحدة بالحى العربى وإمام المسجد يلاقى تهديدات مستمـــرة من انصار الصليب ، والأهالى هناك يعانون من ضغط الاحتلال وعدم وجود مدارس ـ تعليمية إسلامية ، وعلى أمل فى نصرة الله تعالى ومدد إخوانهم فى تخليص المدينـــة

---

(١) المغرب المسلم ضد اللادينية إدريس الكتانى صـــ ٨٦ ، ٨٧ .

المسلوبة من سيطرة الاستعمار ، ومايدعو إلى الحسرة أن " مليلة " المدينة الإسلامية ـ تحولت إلى وكر للمبشرين الذين يتحدثون العربية بطلاقة وهم يوزعون المنشورات باللغة العربية وبالمجان ، وكلها ترمى إلى زعزعة ثقة المسلمين بالإسلام ، وتوهين عزيمتهم . (١)

ومايحدث فى مليلة يجرى مثله فى بقية المدن المغربية التى تقع تحت الاحتلال الأسبانى والتى ذكرتها سابقا كسبتة وتطوان وهاهم المثقفون الجزائريون يطرحون فى رسالتهم المفتوحة قضية من أخطر القضايا التى تواجه المغرب العربى وهى " قضية الجيوب المنسية " وهم يحذرون الحكام من انشغالهم بالصراعات فيما بينهم ومحاولة سيطرة شعوب على شعوب شقيقة مجاورة بينما أهل " الجيوب المنسية " يئنون من نير الاستعمار ويطلبون النجدة فلا يجدون آذانا صاغية ، ولاقوة حامية حيث الحكام قد صكوا آذانهم وأغمضوا عيونهم وهذا مادعا مثقفوا الجزائر إلى القول :

ونحن أبناء المنطقة المدركين لكل تلك المخاطر فإننا نرى أن أولى تلك المخاطر هى الهروب من الواقع الوطنى وتشتيت القوى فى مغامرات الهيمنة والسيطرة بقوة السلاح على شعوب شقيقة ومجاورة ، وغض النظر عن الجيوب الاستعمارية الأسبانية فى مدن سبتة ومليلة والجزر الجعفرية هذه الجيوب التى مافتئت تذكرنا بليل الاستعمار الطويل ، وتقض مضاجعنا أنات سكانها المنكوبين ، ونداؤهم المستجدى . (٢)

" أما فى الجزائر فلم تترك الحكومة الفرنسية أية وسيلة للقضاء على الإسلام ومؤسساته ومعاهده ، بما فى ذلك الأوقاف التى صادرتها ، والمساجد التى حولت الكثير منها إلى كنائس والمدارس الإسلامية الحرة التى أغلقتها وتشرف السلطات الفرنسية بنفسها على إدارة الشئون الدينية الباقية ، فتقوم بتعيين الخطباء والمفتين والأئمة من قدماء المحاربين الجهلة ، بل إن الذين يفتحون المساجد ويشرفون عليها ، ويحملون عصا الخطيب يوم الجمعة هم جنود الشرطة البلدية بلباسهم الرسمى . (٣)

---

(١) يراجع مجلة الأمة (العدد الحادى والثلاثون ـ السنة الثالثة) صـ ٤١ ـ ٤٤ استطلاع بقلم بيجو فريد بعنوان (مليلة الجوهرة المسلوبة) .

(٢) الأهرام (السنة ١١١ ـ العدد ٣٦٤٣٥) من مقال بعنوان : " فتح ملف المغرب العربى الكبير عام ٢٠٠٠ " صـ ١٣ ٧ ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦م .

(٣) المغرب الغربى ضد اللادينية صـ ٨٧ .

وكان التبشير يسير قدما بقدم مع الاستعمار ، وقد عاش الأب " فوكو " ستة عشر عاما بين رجال الطوارق جنوب الجزائر ، وعلى حدود (مالى) والنيجر ليكون بعد ذلك دليل الجيوش الفرنسية التى دخلت هذه البلدان الإفريقية فى بدايات القرن العشرين وتذكر " مجلة العالم " الأسبوعية أنه بعد أعوام قليلة من الاحتلال الفرنسى للجزائر ، وبالضبط عام ١٨٣٢م أنشأت السلطة الاستعمارية أول صحيفة تصدر بالفرنسية والعربية ، وهى صحيفة " المبشر " وهى اسم على مسمى ومن خلالها راحت تتقرب إلى انسان المنطقة المهزوم .(١)

ولقد سارت حكومة الجزائر عقب التحرير فى طريق السياسة الغربية يقول الندوى لائما عليها هذا الاتجاه : الجزائر التى دفعت ضريبة الحرية بتضحية مليون نسمة وكان السر فى هذه التضحية والثبات " الذى لايوجد له نظير فى العصر الحديث " حب الشهادة ، والحنين إلى الجهاد وكانت وكالات الأنباء الغربية تعبر عنهم - أى الجزائريين - بكلمة المسلمين فحسب فى أخبار معاركهم وكفاحهم ، هذه الجزائر المجاهدة تعانى نفس المشكلة وتمر بنفس التجربة التى مرت بها الدول الإسلامية التى يتزعمها قادة التجديد والتغريب فى هذه البلاد .(٢)

أما تونس :

فقد سار بها رئيسها الأول الحبيب بورقيبة بعد استقلالها عام ١٩٥٧م فى طريق " كمال أتاتورك " وسلسلة التحقيقات التى نشرتها " جريدة لوموند " الباريسية عن " تونس المستقلة على عتبة السنة الثالثة " نجدها تنشر فى الفصل المعنون " بين الغرب والإسلام " بتاريخ ٢٩/١/٥٨ مانختصر منه الآتى :

١ - وضع الحبيب بورقيبة حدًا لتعدد الزوجات ثم (تم إبطاله فعلا)
٢ - ومنع الطلاق الإنفرادى ، وما سماه بالاستبداد الزوجى .
٣ - اتبع هذا التحرير العائلى فى نظره بتحرير سياسى واجتماعى فدخلت المرأة فى جميع الوظائف وصارت ناخبة ومنتخبة .
٤ - نتيجة لذلك نهجت تونس نهج تركيا الكمالية ، فالحجاب أخذ يقل عند الفتيات وجلس الرجال والنساء جنبا إلى جنب فى الاجتماعات والنوادى .

---

(١) مجلة " العالم " الأسبوعية (العدد ٢٤) صـ ٤٥ السبت ٢٨ تموز (يوليو) ١٩٨٤ - ٢٩ شوال ١٤٠٤هـ) .
(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية السيد أبو الحسن على الحسينى الندوى صـ ٤٩ ط (٢) مطبعة التقدم بالقاهرة ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م .

٥ ـ تجنب " بورقيبة " مهاجمة الجامع الكبير (الزيتونة) وجها لوجه ، ولكنه منذ سنتين يحدد بالتدريج دوره ومهامه ويفكر كما قيل فى تحويله إلى مجرد كلية لعلم اللاهوت فى إطار الجامعة التونسية .[1]

ويحرك المجاهد إدريس الكتانى مشاعر " بورقيبة " عله يرتدع عن غيه بأسلوب رقيق قائلا :

إن العالم فى عهد الرئيس " بورقيبة " هو غير عالم الرئيس " أتاتورك " فإذا كان أتاتورك عاش أيام الاستعمار العاتية ، فان بورقيبة لايعيش فقط ساعات احتضاره الأخيرة ولكنه يساهم فى الاستعدادات العالمية للاحتفال بجنازته ، وإذا كان أتاتورك قد خلف جيلا من العبيد يقفون على منبر هيأة الأمم المتحدة ليصوتوا ضد استقلال تونس أولا والمغرب ثانيا والجزائر أخيرا من غير أن يحسوا بالعار يصفع وجوههم بينما " الحبيب بورقيبة " فى السجن وشعبه يعيش تحت العذاب ، و " محمد الخامس " وأسرته فى المنفى ، وأمته تعانى الإرهاب والتقتيل ، و " أحمد بن بلا ورفاقه " فى السجن والجزائر كلها بنسائها وشيوخها وأطفالها تجابه النار والإبادة والخراب ، فإن الأجيال التى بعثها " محمد الخامس " فى المغرب والحبيب بورقيبة فى تونس ، " وجبهة التحرير " فى الجزائر جديرة بأن تعطى اليوم دروسا فى " المثل العليا " لخلفاء مصطفى كمال الذين افتقدوها .[2]

ولكن بكل أسف وجدنا منهم أمثال الحبيب بورقيبة الذى سار فى خط التغريب وتوج كفاح شعبه وكفاحه بارتداء مسوح الغرب والتتبع لخطوات التبشير وكلها نهايتها التغريب بكل أبعاده .

---

(١) المغرب العربى ضد اللادينية صـ ٩٥ ، ٩٦ بتصرف واختصار .
(٢) المرجع السابق صـ ٩٧ .

الخـــلاصـــة

خـلاصة هـذا الفصل أن جيش التبشـير توغل مـع جيش الاستعمار فـى كـــل من "آسيا" و "إفريقيا" وتعـاونا سويـا فى تحقيق المهـام الاستعمـارية ولـــو كان جيش المستعمـــر يقتـل ويسيـل الدماء فان جيـش البابـا يضمد الجــروح ويتبنى الأيتـام ويفتـح الملاجئ تحت شعـار هدايـة الضالـين كما يـزعمون وبعد رحيل الاستعمـار يظل التبشـير قابعـا فى أوكـاره ، يدعمه الاستعمـار بكل وســائـل الدعم ليـؤدى دوره فـى تغريب البـلاد .

وهـم يصرحون بأنهـم فـى سبيـل القضـاء علـى الإسلام فـى "آســيـا" وتحـويل "إفريقيـا" عام ٢٠٠٠ الى النصرانيـــة .

فهل استيقظ المسلمـون ؟ ، ومـــاذا هم فاعلـون ؟ .

الفصل الثالث

تسرب الفكر التبشيري في الثقافة الإسلامية

من المعلوم أن ثقافة الإسلام لها طابعها الخاص في تكوين الإنسان ، وفي بنيان مجتمعه ، فهي مستمدة من القرآن الكريم وسنة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

والتبشير كأداة من أدوات الاستعمار يقوم بالعبء الأكبر والدور الهام في الحركة التغريبية الشاملة ، والتي تنفذ في بلاد الإسلام ، ويحمل لواءها الغرب عامة بكل مؤسساته وهيئاته لإحلال ثقافته ومنهجه في الحياة محل ثقافة الإسلام ومنهجه .

ومن أجل ذلك قام الاستشراق والتبشير بدور فعال في تسريب أفكار الغرب إلى أمة الشرق المسلم من تغريب اللسان لقطعه عن لغة القرآن الكريم إلى تغريب الأخلاق والآداب والنظم الإسلامية إلى تغريب التعليم في محاولة لربط المسلم بالغرب وتقليده له فيما يسمح به الغرب فقط من شكليات ومظاهر أو على أقل تقدير فصل المسلم عن تعاليم دينه مما يجعله في ضياع ويتم كل هذا على أيدي زبانية الغرب من المبشرين ومن يسير في فلكهم ويقوم بدورهم من أولئك المحسوبين على الإسلام وعلى مفكريه ، بينما هم في أودية الغرب يترددون ، فلاغرابة إن وجدنا منهم من يساعد المبشرين في تسريب الثقافة الغربية ، فيطالبون بإحلال اللغة العامية واللهجات المحلية محل لغة القرآن في وقت كنا نتوقع فيه أن يطالبوا بارتقاء الناس والصعود بالعامة من العامية واللهجة المحلية إلى تعلم العربية الفصحى ، لكنهم قطعوا حبال الأمل فيهم حين طالبوا بتقديم اللغات الأوربية على العربية ، وما إلى ذلك من محاولات للإنتقاص على لغة القرآن والفتك بها وبمعاقلها أيضا في الوقت الذي نجد فيه من يدعو المسلمين والمسلمات إلى تقليد الغرب في التفرنج والتخنث والسفور ، والبعد عن التخلق بأخلاق الإسلام .

أو من يقلد الغربيين في عاداتهم أو تقاليدهم الاجتماعية حتى وصل الأمر أن تبادل البعض التحية بالفرنسية أو الإنجليزية بدلا من تحية الإسلام ، أو سمى أبناءه اسماء غربية بدلا من الأسماء العربية الإسلامية وهكذا .

ويتحمل رجال الإسلام عبأ كبيرا فى كشف أبعاد هذه الأفكار والتقاليد الغربية المتسللة إلى بلادنا وبيان أغراضها حتى لاينخدع الناس ببريقها ويتقبلونها على أنها لون من ألوان الحضارة والرقى بينما هى فى الواقع بُعْدٌ عن تعاليم الإسلام ونظمه ، وثقافته كما يتضح فى الآتى :

١ ـ تسرب الدعوة إلى العامية كبديل للغة العربية :

شن المستعمرون حربا شعواء على الإسلام فاستخدموا المستشرقين والمبشرين فى الهجوم على لغة القرآن الكريم فقاموا بالهجوم عليها تارة عن طريق الدعوة إلى استعمال العامية ، واللهجات المحلية ، وتارة أخرى عن طريق استخدام الأحرف اللاتينية بدل الأحرف العربية .

وتغيير لغة الإنسان المسلم ، يقصد بها تغيير فكره بالكامل ، يقول الاستاذ / محمد المجذوب : سئل " كونفشيوس " (*) عن أفضل الوسائل إلى تصحيح الأفكار فأجاب " تصحيح الألفاظ " وفى اعتقادى أن فى هاتين الكلمتين جواب كل سؤال عن كل اصلاح ، فما لم يتمكن الإنسان من استعمال اللغة فى مدلولاتها الصحيحة لم يتمكن من تحديد أفكاره ، وبالتالى سلوكه ، ومن ثم تعذر عليه أن يفهم أو يفهم وكفى بذلك اضطرابا وبلبلة [1] فكان مسعى المستشرقين والمبشرين فى القضاء على اللغة العربية لخلق جو مضطرب فى عالم الإسلام ، تتميز فيه كل لهجة بميزة خاصة يضارب بها اتباعها أصحاب اللهجة الأخرى بدلا من التقارب بين الجميع حول فهم لغة القرآن الكريم والتقاء أفكارهم وزيادة الصلة بينهم عن طريق لغتهم .

وكل ذلك يسهل المهمة الاستعمارية الرامية إلى السيطرة على الأمة الإسلامية كما أشار أنور الجندى إلى هذا بقوله : وقد شغل عدد من هؤلاء الأجانب بأمر العامية واهتموا بها وألفوا عنها وفى مقدمتهم فى مصر " دولهم سبتيا " ، و " كارل فولرس " و " سلدن ولمور " و " وليم ويلكوكس " وقد بدأ ذلك منذ عام ١٨٨٠م واستمر حتى عام ١٩٢٦م وفى خلال ذلك كان " لطفى السيد " و " قاسم أمين " وسلامه موسى "

(*) كونفوشيوس : عاش الفترة من (٥٥١ ـ ٤٧٩ ق.م) وهو فيلسوف صينى ، أسس المذهب الكونفوشيسانى وهو مذهب فلسفى لايقر بالله إنما يدعو إلى حياة عائلية واجتماعية مثلى (يراجع المنجد فى العلوم صـ ١٠٦) .

(١) مشكلات الجيل فى ضوء الإسلام . محمد المجذوب صـ ٣١٥ ، ٣١٦ .

قد حملوا هذه الدعوة ، ثم اتصل ذلك بالدعوة التى دعاها عبد العزيز فهمى عام ١٩٤١م عندما نادى بالكتابة بالحروف اللاتينيه ، هذا فى مصر وأما فى المغرب فقد تولى "كولان" ومن بعده "ماسنيون" لواء هذه الدعوة وفى لبنان ظهر كثير من الدعاة إلى الحروف اللاتينية والعامية اللبنانية وقد كان هدف هذه الدعوة التى حمل لواءها التبشير أساسا لخدمة مخطط السيطرة الاستعمارية الثقافية إنما يرمى إلى تمزيق اللسان العربى فى العالم الإسلامى كله وليس العربى وحده ، والقضاء على لغة القرآن كلية باحلال اللهجات العامية محل اللغة الفصحى فى كل قطر وبذلك ينفرط عقد الوحدة الجامعة التى يكون قوامها هذا الكتاب المنزل والذى حفظ وحدة اللغة العربية طوال أربعة عشر قرنا .[1]

وتبع ذلك تلك الدعوة التى تتحدث كثيرا عن الأدب الشعبى والفلكلور الشعبى ووجهوا بحوثهم إلى الثقافة الشعبية مستندين إليها مايمس باللهجات العامية " وقد جرت هذه الدعوة فى الوقت الذى كان " دنلوب " يستولى فيه على مقاليد التعليم فى مصر وينسج النظام الذى يجرى به تغليب العامية والإنجليزية .

وبعد الاحتلال جاء دور " سلدن ولمور " فأضاف إلى من سبقوه العمل على كتابة العامية بالحروف اللاتينية وآزرت مجلة " المقتطف " والجماعة من خريجى الارساليات والمعاهد الأجنبية هذه الدعوة ورددوا آراء هؤلاء الذين يرون احلال اللغة الأجنبية فى التعليم نتيجة الارتباط بالدول الأوربية .

ومن أجل تقريب ثقافة المستعمر ونشرها بين أجيال المسلمين أنشأ " كرومر " ، " كلية فكتوريا " لتربية أبناء الحكام والزعماء والوجهاء تربية غربية ، ليكونوا أنصار الاستعمار فى بلاد الإسلام ، وأدواته فى الوقت نفسه فى نشر حضارته الغربية .

" وقد أعرب " اللورد لويد " الذى كان ممثلا لبريطانيا فى مصر ، أو " مندوبا ساميا " كما كان يسمى فى ذلك الوقت عن هذا الهدف ، حين قال فى خطبة ألقاها فى كلية " فكتوريا " بالأسكندرية سنة ١٩٣٦م ، عن طلبة هذا المعهد وخريجيه كل هؤلاء لايمضى عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل

---

(١) الإسلام فى وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير) صـ ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٠ يراجع كتاب : تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها فى مصر د / نفوسه زكريا سعيد صـ ٢٠٧ ط (٢) مطابع دار الناشر بالإسكندرية ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

المشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ ، فيصيروا قادرين على أن يفهموا أساليبنا ويعطفوا عليها ومتى تسنى للجمهور أن يعرف هذه الكلية أكثر مما عرف عنها في الماضى يتنبه الآباء إلى أن تعليم أولادهم فيها ينمى فيهم من الشعور الإنجليزى مايكون كافيا لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقى والغربى . (١)

وإن كان " اللورد لويد " يرى أن هناك وسائل أخرى تؤدى الغرض نفسه ومنها تطوير الإسلام نفسه وإعادة تفسيره من جديد بحيث يبدو متفقا مع الحضارة الغربية أو على الأقل غير متعارض معها .

ومنها أيضا : استخدام النصارى الموجدين بالبلاد الإسلامية والعربية خصوصا الذين لايشاركون المسلمين فى الاحساس بالولاء القلبى للحكم الإسلامى والذين تتعلق آمالهم بالعلمانية الغربية ، التى تقوم على الفصل بين الدين والدولة ، وحين يحدث هذا فى بلاد المسلمين سيزول احساس المسلمين بالاعتزاز ، وسيشعر النصارى بالغبطة والافتخار . (٢)

ودخل التغريب إلى ديار الإسلام من هذه المداخل وعن طريق هذه الوسائل من النصارى القائلين بالعامية " سلامة موسى – ولويس عوض " من تلاميذ المستشرقين والمبشرين " سلامه موسى " " ولويس عوض " وهما من نصارى العرب، ولم يشعرا بالولاء لحكم الإسلام ومن الذين ساروا فى ركب الاستعمار ، وتربوا على فكرته فسارا على نهجه فى الدعوة إلى العامية ، ورددا مقولته التى غزت بلاد المسلمين فى كل مكان كما يقول صاحب كتاب " أباطيل وأسمار " ، وأقرب ذلك عهدا تقرير " لندبرج الاسوجى " فى مجمع اللغويين فى ليدن سنة ١٨٨٣م ، وتقرير " دوفرين " اللورد الإنجليزى المحترق ، الذى رفعه إلى وزارة الخارجية البريطانية فى شأن اللهجة العامية المصرية ، وأمين دار الكتب الألمانى بمصر ، و " ولمور " القاضى الإنجليزى بالمحكمة المختلطة ، ومترجم الإنجيل إلى العامية لأقباط مصر " وليم وكلكس " المهندس المبشر الذى كان مقيما بمصر ، والذى وصفه التالف القديم " سلامه موسى " فى كتابه الذى ملاه بذاءة على العرب والمسلمين ، وسماه " اليوم والغد " قال : " والهم الكبير الذى يشغل بال السير ولكلكس " بل يقلقه ، هو هذه اللغة التى نكتبها ولانتكلمها ، فهو يرغب فى أن نهجرها ونعود إلى لغتنا العامية ، فنؤلف فيها وندون بها آدابنا وعلومنا " .

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية ص ٤٦ .

(٢) يراجع المرجع السابق ص ٤٦ ، ٤٧ .

فهذه الدعوة كانت قائمة في انجلترا في الجامعات التي تدرس المشرقيات وفي مراكز التبشير ، قبل أن يولد هذا الداعية الجديد .[1]

أما لويس عوض الذي كتب كتابا سنة ١٩٤٧م سماه "بلوتو لاند وقصائد أخرى من شعر الخاصة" فقد قال في الصفحة الأولى منه :
حطموا عمود الشعر ، لقد مات الشعر العربي مات عام ١٩٣٣م ، مات بموت أحمد شوقي مات ميتة الأبد مات .[2]

فالدعوة إلى العامية وليدة الأمم الغربية ، واستخدموا من أجل نشرها في بلاد الإسلام نصارى الشرق ومن استهوتهم شهوات الدنيا فانساقوا تبعا لأهوائهم

الرد على دعـاة العامية

أذكر دعاة العامية والذين يفضلون اللغات الأجنبية ويقدمونها على العربية بل ويشترطونها في بعض الوظائف في بلاد الإسلام أذكر هؤلاء بما تحدث به مسيحي أسباني متعصب واصفا اقبال طلاب العلم من قومه على اللغة العربية وأدبها .

قال مطران قرطبة " ألفارو "Alvaro في القرن التاسع الميلادي " الثالث الهجري " : إن جميع الشبان المسيحيين المميزين بالذكاء كانوا يعرفون لغة العرب وأدبهم ، ويقرأون ويطالعون كتب العرب بولع ، ويجمعون مكاتب كبيرة من تلك الكتب بنفقات باهظة ، ويعلنون في كل جهة على رؤس الأشهاد اعجابهم بذلك الأدب .

وإن كان ماقاله " الفارو " ترديد لكاتب مسيحي يتحسر على إهمال النصارى للغتهم في حين أنهم يقبلون على اللغة العربية واقبالهم عليها ليس عن طريق الإجبار والقسر ، وإنما رغبة منهم واستحسانا لبلاغتها ولما احتوته من ألفاظ عذبة ومعان جذابة وأدب فريد ، ولذا نرى من تتمة كلام الرجل المسيحي كما ورد على لسان " الفارو " عن شباب قومه قوله : "بينما هم حينما يسمعون بالكتب المسيحية يأنفون من الإصغاء إليها محتجين بأنها شيء لايستحق منهم مؤونة الالتفات فيا للأسى أن المسيحيين

---

(١) أباطيل وأسمار : محمود محمد شاكر جـ ٢٥١ صـ ١٤٧ .
(٢) المرجع السابق صـ ١٤٣ .

قد نسوا لغتهم فلانكاد نجد فيهم اليوم واحدا فى كل ألف يكتب بها خطابا إلى صديق أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب .[1]

أليس بعد ذلك دليل يثبت أن لغة القرآن الكريم هى لغة العلم ؟ وهى جديرة بما فيها من اشتقاقات وبما تحتويه من معان فى كل كلمة من كلماتها أن تكون لغة الحياة التامة ، ويكفى أن الحق تبارك وتعالى العالم بما يصلح كونه اختارها لغة للرسالة الخاتمة الخالدة .

شبهة " اللغة الدينية "

أراد المبشرون وأعوانهم أن يجعلوا لغة القرآن لغة اخبار وعظات وعبادات ورسوم كما هو العهد بلغة التوراة والإنجيل وتناسوا أو أغمضوا الطرف عن أن اللغة العربية لغة القرآن الكريم لايمكن لأحد من المسلمين أن يستغنى عنها حتى العامى من غير الناطقين بها مطالب بمعرفتها ويتعلم آيات وسور قصار من القرآن الكريم بلغة القرآن بداية .

أما ذوى الخبرات والاختصاص فى العلم فهم فى أشد الاحتياج إليها كل فى اختصاصه فى الفقه ، فى الأدب والبلاغة والنحو فى المنطق ، وسواء بعد ذلك أكتب فى اختصاصه باللغة العربية أم بغيرها من سائر اللغات وقد عرف علماء التفسير القرآن الكريم بقولهم : القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على محمد " صلى الله عليه وسلم " المتعبد بتلاوته .[2]

واللغة العربية نزل بها القرآن الكريم " قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون " .[3]

وهى لغة الحديث النبوى الشريف وعلى هذا فأمة الإسلام ترى أن اللغة العربية حياتها التى لايمكن الاستغناء عنها بحال فبها يعرف المسلم المراد من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فيصل إلى ما يصلح دينه ودنياه فى جميع النواحى من

---

(١) الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى المعاصر دكتور / على عبد الحليم محمود ص١٣٦ ط (١) مطابع الشروق القاهره - وبيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م نقلا عن " منشورات وزارة التعليم الأصلى والشئون الدينية بالجزائر (مولودقاسم،انية وأصاله) ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م .

(٢) النبأ العظيم (نظرات جديدة فى القرآن) دكتور محمد عبد الله دراز ص١٤ ط (٢) طبع دار القلم الكويت ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م .

(٣) سورة الزمر الاية ٢٨ .

دينية وعملية ، ومن نظام اجتماعيه ..

ولذا يقول الأستاذ / محمود محمد شاكر : فالأمم المسلمة سواء أكانت عربية اللسان والأصل أم كانت غير عربية اللسان والأصل ، لاترى القرآن إلا على الوجه الذى حاولت بيانه فيما سلف .

وشى لاتعد اللغة الفصحى ، أو اللغة العربية ، "لغة دينية" أى لغة للعبادات والرسوم ، كالذى عند طوائف أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، بل هى عند جميعهم لغة المسلمين التى لايستغنى أحد من الناس كائنا ماكان عن اتقانها ، والتوسع فى معرفتها ، والضبط لعلمها ومادتها وفقهها مادام منتسبا إلى شأن من شئون الحضارة التى يعيشها . (١)

ويستمر فى دحض هذه الشبهة "شبهة اللغة الدينية" مزيلا اللبس عمن توهم ذلك ، وحاضا العرب إلى حمل أمانة اللغة العربية ونشرها فى أرجاء المعمورة الأستاذ محمود شاكر بقوله : وأما شبهة "اللغة الدينية" فإن الداعى إليها ، إن صح ما أقول ، هو أن الدعاة والمبشرين والمستعمرين ، لما دخلوا بلاد الإسلام فى إفريقية والهند وغيرهما ، ورأوا الطفل الصغير والجارية والغلام كلهم يحفظ القرآن عن ظهر قلب ، ويتلوه فى صلاته خاشعا باكيا ، ورأوا أن بعضهم لايعرف من العربية إلا مايحفظ من القرآن ، ولايحسن أن يقرأ شيئا بالعربية إلا القرآن ، ظنوا أن ذلك كذلك لأن اللغة العربية "لغة دينية" وهذا ظن سخيف جدا عندنا بالطبع .

وذلك لأن كل مسلم ، عربيا كان أو غير عربى ، يعلم علما يقينا أن القرآن كلام الله ، وأن مجرد تلاوته عبادة يثاب المرء عليها ، وحفظه عبادة أخرى وفهمه عبادة ثالثة ، والتفقه فى معانيه عبادة رابعة والنظر فى كتابته عبادة خامسة ولكل شىء من هذه العبادات ثواب ،فضلا عن أنه كلام الله الذى يفارق كلام البشر من كل وجه ، وعلى المسلم المتعبد بالقرآن أن يتعلم لغة القرآن وكل هذا كاف فى الدلالة على أن اللغة العربية ليست "لغة دينية" بالمعنى الذى تعد به "اللاتينية" مثلا "لغة دينية" ومن يمعن النظر يجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كانا أول فاتحين فتحا جل الكرة الأرضية فى مدى قرن واحد من الزمان .

وهذا خليق أن يدفع العرب إلى حمل أمانة القرآن بحقها مرة أخرى والإقدام بلاتردد على انجاز أكبر فتح بِرَدِّ جميع البلاد الإسلامية غير العربية إلى القرآن كلام

---

(١) أباطيل وأسمار جـ ١ صـ ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

الله واتمام مابدأه الآباء من تعريب نصف اللغة كما فى التركية والفارسية والأردية وغيرها يردد هذه الألسنة إلى لسان واحد هواللسان العربى بعد أن أزاله عن مكانه مكــر العدو وطغيان الغازى (1) ، وعلى العرب المسلمين أن يجاهدوا بكل ما أتوا من قــوة وعلم فى نشر لغة القرآن ابتغاء مرضاة الله عز وجل فهى الرباط الذى يحمى أمــة الإسلام من التفكك وهى المفتاح لفتوحات الإسلام وتبليغ دعوة الإسلام فى كل مكان .

كيف ننهض باللغة الفصحى ؟

إن اللغة العربية لم تعد غريبة عن الاسماع ولابعيدة عن الأذهان ،والوسائل لتقريبها للأذهان كثيرة ومتنوعة المدرسة ، والمعهد ، والمسجد ، والصحافة ، والإذاعة وكل المؤسسات الثقافيه الملتزمة باللغة العربية فضلا عن قيام علمائنا الأفاضل ببيــان مكنونات اللغة فى كتب عديدة من مختلف فروعها فى النحو والصرف ، والبلاغة والأدب وكل ذلك يؤذن بازدهار العربية ، ويعيد شبابها من جديد .

لكننا نلاحظ إشاعة مغرضة مازالت تنتشر فى الجو المدرسى وهى " صعوبة ــ اللغة العربية " وهى أكذوبة لا أساس لها من الصحة يراد من ورائها تنفير الطلاب من لغتهم الجميلة ، بعد توفر الوسائل المعينة على فهمها من المدرس الكفء والكتب الموضحة الشارحة ، ووسائل الإيضاح وعلى مدرسى هذه اللغه وآدابها أن يزيلوا هذه الفكرة من نفوس الطلاب ، وأن يفسروا الطلاب بآيات من روائعها ، وأبيات من نفائسها وأمثال من تجارب حكمائها .

وأن يزيلوا من تفكير أبنائهم الطلاب أن اللغة العربية مادة تقاس بالدرجات وعلى المسئولين وولاة الأمور كل فى موقعه أن يجعلوا للغة القرآن اعتبارا فى نفوسهم وأن يضعوها فى ميزان الوظيفة والعمل .

يقول الشيخ محمد المجذوب : ومن أجل تصحيح نظرنا إلى لغتنا يجــب أن نؤمن بما يلى :

١ ــ أن هذه اللغة هى الصلة الوثقى التى تربطنا بماضى أمتنا وتراثنا الإسلامى .
٢ ــ أنها الأداة الوحيدة للتعبير عن إحساسنا بالحياة وفهمنا لحقائقها .
٣ ــ أن كل كلمة نتعلمها من هذه اللغة ، وكل تعبير سليم نقتبسه من روائعهــا يضيف إلى شخصيتنا جزءا من الثروة العقلية التى تميز الانسان .

---

(1) أباطيل وأسمار جـ ١ ، ٢ صـ ٢٤٠ ، ٢٤١ باختصار .

وأخيرا علينا أن نتذكر دائما أن في كل كلمة فكرة فبمقدار مانملك من الكلمات نملك من الأفكار [١] ، وهذه بعض الإشارات من أجل اللغة العربية .

٢ ـ تسرب فكرة السفور والاختلاط

من المعلوم أن الاسلام دين كله خير ، وقد جاء مبقيا على الفضائل ، وماحيـا للرذائل ، وكانت جاهلية ماقبل الإسلام في الغالب تصون المرأة خوفا من العار لاخشية للجبار بخلاف الجاهلية الأولى الذى نهى القرآن الكريم نساء المؤمنين عن الاقتداء بنسائها يقول الله تعالى : " ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى " .[٢]

وآلم الغرب أن يرى النساء المسلمات ملتزمات ، فعمل جهده لفرنجة المرأة المسلمة لتعود إلى سيرة الجاهلية الأولى ولتلحق بالمرأة الغربية في ركب العرى .

فكثر الكلام في صحف الغرب ، وكتبه عن القيود والأغلال التى توضع فيها المرأة الشرقية كما يعبرون ، وانتقلت الصورة إلى صحافة الشرق وإلى بعض كتابه والقصد من ذلك محاكاة المرأة الشرقية المسلمة للمرأة في الغرب وتحت شعار " تحرير المرأة الشرقية " حدث مالـم يحدث قبل في الوقت الذى صارت فيه المرأة الغربية المطلوب محاكاتها سلعة رخيصـة لجلب المنافع الدنيئة لأصحاب الأهواء والمآرب فهى رقيقة يباع شرفها من أجل المـال وتلصق صورها المخزية على غلاف الصحف والمجلات وهى وسيلة من وسائل الجاسوسيـة وهى غير ذلك مما يعف القلم عن كتابته .

ويريد أعداء الإسلام أن يقهروا أمته من هذا الطريق طريق إفساد المسلمة وتحويلها عن فطرتها البناءة التى فطرها الحق عليها يقول الدكتور محمد محمد حسين :

أساءت المرأة إلى نفسها ، وأساء إليها الذين ظاهروها وأعانوها ممن يزعمـون أنهم أنصارها فقد كانت ريحانة تشم فأصبحت مشكلا يتطلب الحل ، وكانت عرضا يصان وأمانة تحفظ فأصبحت حملا ثقيلا يضيق به الأب والأخ ويتحتم معه على المرأة أن تعمل لتعيش .[٣]

وعلى سلم المرأة الغربية تنزلق أقدام المرأة في بلاد إسلامية ، وبحجة حرية المرأة تهوى المرأة فـى السقوط إلى القـاع وتتحول في الرق إلى درجـة لـم يشهدهـا

---

(١) مشكلات الجيل في ضوء الإسلام صـ ٣١٨ ، ٣١٩ .
(٢) سورة الأحـزاب من الآية ٣٣ .
(٣) حصوننا مهددة من داخلها صـ ٨١ ، ٨٢ .

التاريخ قبل حضارة الغرب والحرية عند من يفتقدونها ليست لها حدود والسائر فى نهجها لايصل إلى بر الأمان ، وكان على رأس المنادين بحرية المرأة قاسم أمين : وتتلخص آراؤه فى الآتى :ـ

١ ـ أن الحجاب دور من الأدوار التاريخية لحياة المرأة فى العالم .

٢ ـ أن الحجاب الموجود عندنا ليس خاصا بنا ولأن المسلمين هم الذين استحدثوه ولكنه كان عادة معروفة عند كل الأمم تقريبا ثم تلاشت طوعا لمقتضيات الاجتماع وجريا على سنة التقدم والترقى .

٣ ـ لو أن فى الشريعة الإسلامية نصوصا تقضى بالحجاب على ماهو معروف الآن عند بعض المسلمين لوجب على اجتناب البحث فيه ولما كتبت حرفا يخالف تلك النصوص مهما كانت مضرة فى ظاهر الأمر .

٤ ـ بعد ذكره لآية سورة النور يقول : أباحت الشريعة فى هذه الآية للمرأة أن تظهر بعض أعضاء من جسمها أمام الأجنبى عنها غير أنها لم تسم تلك المواضع .

٥ ـ النقاب ، والبرقع من أشد أعوان المرأة على اظهار ماتظهر وعمل ماتعمل لتحريك الرغبة لأنهما يخفيان شخصيتها فلا تخاف أن يعرفها قريب أو بعيد .

٦ ـ يجعل التشريع الإسلامى فى مسألة الحجاب منقسما إلى قسمين وبالتالى موجه إلى صنفين من النساء وهذا مالم يقل به أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما لم يشر إليه أحد من سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ، حيث يقول قاسم أمين : أما مايتعلق بالحجاب بمعنى قصر المرأة فى بيتها والحظر عليها أن تخالط الرجال فالكلام فيه ينقسم إلى قسمين :

مايختص بنساء النبى " صلى الله عليه وسلم " وما يتعلق بغيرهن من نساء المسلمين ولا أثر فى الشريعة لغير هذين القسمين :

أ ـ وأما القسم الأول فقد ورد فيه ما يأتى من الآيات (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستئنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لايستحى من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما) .[1]

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٥٣ .

" يانساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلاتخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وءاتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " .(١)

ولا يوجد الاختلاف فى جميع كتب الفقه من أى مذهب كانت ولا فى كتب التفاسير فى أن هذه النصوص الشريفة هى خاصة بنساء النبى صلى الله عليه وسلم ثم بنى على هذه النتيجة الباطلة ماهو باطل بقوله : " وكانت أسباب التنزيل خاصة بهن لاتنطبق على غيرهن فهذا الحجاب ليس بفرض ولا بواجب على أحد من نساء المسلمين " .

ب ـ وأما القسم الثانى فغاية ماورد حديث عن النبى " صلى الله عليه وسلم " نهى فيه عن الخلوة مع الأجنبى وهو " لايخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم " ثم ينتقل إلى الحجاب من " الجهة الاجتماعية "

١ ـ فيرى قاسم أمين : أن حجاب المرأة سبب تأخر المجتمع بقوله : (وإنما نحن بصدد مابه قوام حياتنا. كلامنا الآن ، هل يلزمنا أن نعيش ونحيا أو نقضى على أنفسنا بأن نموت ونفنى ؟ ، هل علينا أن نهتز مكاننا ونرضى بما وجدنا عليه آباءنا والناس من حولنا يتسابقون إلى منابع السعادة .

٢ ـ ثم يقول بالحرف : على أن القول بأن الحجاب موجب العفة وعدمه مجلبة الفساد قول لايمكن الاستدلال عليه لأنه لم يقم أحد إلى الآن باحصاء عام يمكن أن نعرف به عدد وقائع الفحش بالضبط والدقة فى البلاد التى تعيش فيها النساء تحت الحجاب ، وفى البلاد الأخرى التى تتمتع فيها المرأة بحريتها .

٣ ـ يدعو إلى الاختلاط بين الجنسين فى مراحل التعليم وفى كافة المجالات .

٤ ـ يرى أن عفة المحجبة قهرية فيقول :

وبديهى أن المرأة التى تحافظ على شرفها وعفتها وتصون نفسها عما يوجب العار وهى مطلقة غير محجوبة لها من الفضل والأجر أضعاف مايكون للمرأة المحجوبة فإن عفة هذه قهرية أما عفة الأخرى فهى اختيارية والفرق كبير بينهما .

وأهم مافى حديثه أنه كشف عن حقيقته وفضح نفسه بقوله وقبل أن أختم الكلام فى هذا الباب أرى من الواجب على أن أنبه القارئ إلى أنى لاأقصد رفع الحجاب

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٣٢ ، ٣٣ .

الآن دفعة واحدة والنساء على ماهن عليه اليوم فإن هذا الانقلاب ربما ينشأ عنه مفاسد جمة لايتأتى معها الوصول إلى الغرض المطلوب كما هو الشأن فى كل انقلاب فجائى .

الرد على " قاسم أمين "

يتناول الرد أولا على الشق الدينى فالحجاب ليس دورا تاريخيا وإنما هناك أمم التزمت نساؤها بالحجاب والعفة فكان الرقى والتقدم " كاليونان " ثم لما تركن الحجاب كان الانحطاط والتأخر على أن الحجاب ليس موضة تغير فبالرغم من تخلى بعض الأمم عنه بقى بعض النساء الملتزمات بالعفة يرتدينة .

والحجاب فى الإسلام له مواصفات خاصة من جملتها أن يستر الثوب جميع البدن إلا الوجه والكفين ، وأن لايشف أو يصف ، وأن لايكون من جنس لباس الرجال أو شبيه بلباس الكافرات .

يضاف لذلك خمار الرأس ، ترد المرأة ماتبقى منه على فتحة الثوب جهة الصدر والعنق والأحاديث الواردة فى هذا الباب كثيرة كل ما أباحت الشريعة للمرأة إظهاره وجهها وكفيها عند أمن الفتنة .

وكلامه عن أن النقاب والبرقع يساعد المرأة على إظهار ماتظهر لايستقيم مع منطق العدل والحق وإن كنت أرى أن البرقع ليس من الحجاب فى شئ إلا أن المرأة لو خرجت محجبة فذلك أدعى لاحترامها وبالتالى يكون هذا دليل منها على العفة بخلاف ما لو خرجت سافرة غير محتشمة ولا متسترة فإن هذا يعرضها لنظرات الفساق وتحرشاتهم وتكون هى السبب الأول فى حدوث الإيذاء ووقوع البلاء .

أما حديثه عن آيات سورة الأحزاب وهى قوله تعالى : " يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول .. إلى آخر الآيتين) ، وقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى إلى قوله تعالى إن ذلكم كان عند الله عظيما " توجيه الحديث فى الآيتين " ٣٢ ، ٣٣ " من سورة الأحزاب لايعنى أن أمهات المؤمنين قد خصصن به دون سائر المسلمات وهل مراد الله تعالى إرشاد نساء النبى صلى الله عليه وسلم فقط وهن القدوة ، وأبعد مايكن عن الريبة ؟ .

كما أن الآية الكريمة التى نزل فيها " وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن " عللت الحكمة فى كون الحديث الى نساء لابد أن يكون من خلف ستار وذلك بأنه أضمن إلى طهارة الطرفين وأحوط فى تجنب أسباب الفتنة .

وما يؤكد أن قصد " قاسم أمين " إفساد نساء المؤمنين أنه فى الصفحة المقابلة للصفحة الموجود بها الآية السابقة بها الأمر الألهى للنبى " صلى الله عليه وسلم " بالزام كل المؤمنات بالحجاب : (يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) . (١)

والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته أيضا فكل داعية مأمور أن يدعو نساءه وبناته ونساء المؤمنين بالحجاب كما أن رب كل أسرة مأمور ومسئول عن أسرته فى هذا الأمر ، وعلى قاسم أمين ومن آزروه وزر دعوتهم لسفور المرأة ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

أما قوله بأنه لاخلاف فى أن آيات الحجاب خاصة بنساء النبى "صلى الله عليه وسلم" فيرد عليه بالآية السابقة ، ويقولنا له إن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فهذا صحيح ، لكن أن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن فهذا غير صحيح فكثيرا ماتنزل الآية القرآنية بحكم بسبب أمرأة لكن الحكم يطبق بعد نزولها على كل المسلمات كما فى آيات الظهار وأما حديثه عن القسم الثانى وهو ما فيه نهى الرسول "صلى الله عليه وسلم" عن الخلوة مع الأجنبية فإن كل النساء داخلين فى اطار النهى ماعدا من كانت مع ذى محرم من المحارم أو زوج وليس هذا خاصا بالنساء المؤمنات دون نساء النبى صلى الله عليه وسلم فقد ورد فى الحديث الشريف عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لايخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم فقام رجل فقال يارسول الله امرأتى خرجت حاجة واكتتبت فى غزوة كذا وكذا قال إرجع فحج مع امرأتك . (٢)

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٥٩ .

(٢) البخارى بهامشة بقية حاشية السندى بتمامها وتقريرات شرحى القسطلانى وشيخ الإسلام رحمهم الله تعالى ص ١٧٦ ط(١) طبع بالمطبعة العامرة المليجية بالقاهرة سنة ١٣٣٢ هـ .

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاتسافر المرأة ثلاثــا إلا ومعها ذو محرم ". (١)

فلو لم يكن الأمر فى الحجاب للوجوب لأقر النبى صلى الله عليه وسلم رؤيــة النساء كاشفات الأذرع والسيقان وهذا مالم يحدث ولو لم يكن النهى عن خلوة الأجنبى غير المحارم بالمرأة مؤكد التحريم لقال النبى صلى الله عليه وسلم جاهد اعداء اللـه واتركها تحج وحدها لكن قال له ارجع فحج مع امرأتك .

كلام قاسم عن مضار الحجاب " من الجهة الاجتماعيه " لايستحق الرد عليه

ولذا أضع النقاط التالية لتكون بمثابة رد على أمثال هذا الكلام الذى يتقول به دعاة السفور :

١ ـ يخطىء من يقول بتقدم الغرب نتيجة لسفور المرأة الغربية فالغرب تقدم لأخذه بأسباب التقدم فى الحياة ، وسفور المرأة فى الغرب صورة من صور التأخر واختلاطها بالرجال من بوادر انتكاسة الغرب مرة أخرى وإن غدا لناظره قريب .

٢ ـ ظهرت نتائج سفور المرأة واختلاطها بالرجال فى الغرب فى الآتى :

أ ـ تفشى أمراض الجنس وظهور أنواع أخرى من الأمراض الجنسية مستعصية العلاج بالرغم من التقدم العلمى فى بلادهم .

ب ـ كثرة اللقطاء وبالتالى كثرة الملاجىء لتربية هذا النوع من الأطفال فاقدى الرعايــة الأموية والأبوية وللمرء أن يتخيل غد مجتمع سيكون جل أبنائه من هذا النوع .

جـ ـ غير خاف عدم توفر الأمن فى هذه المجتمعات نتيجة لهذه النوعية وبالتالــى كان ظهور الجرائم وكثرتها وعلانيتها مع توفر وسائل الاكتشاف المبكر للجريمة .

د ـ العزوف عن الزواج من قبل الرجال وظهور العانسات بشكل يهدد المجتمع .

هـ ـ اتخاذ الخليلات .

و ـ ظهور المترجلات ، وكثرة الرجال المتخنثين وكلها بوادر تؤذن بسقوط مجتمعـات الغرب وأفول حضاراتها مهما وصلت بها الحضارة ومهما قطعت من أشواط فى التقدم .

العودة لمجتمع الإسلام

وحين نعود لمجتمع الإسلام نجد أنه فى الصدر الأول فتح جل الكرة الأرضية .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (كتاب النكاح ـ باب لايخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم) جـ ٩ صـ ١٠٢ ، ١٠٣ .

ونسوة الإسلام المحجبات أدين دورا بارزا فى هذا التقدم ، فأنجبن البنات الفضليات والأبناء الأقوياء ، وكن خلف صفوف الفاتحين ومع المجاهدين معاونات ، ومعالجات وللقرآن والسنة قارئات ، ومعلمات ولم يمنعهن الحجاب كما لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين .

- أما من يوم أن شجعهن قاسم أمين وكل الشياطين على التجرد من الحياء ، فكشفن الأذرع والسيقان ، وشققن الجيوب ، وطلين الأظافر والخدود فكانت النتيجة مانرى جميعا من شابات وشبان لايعرفن فضيلة لأنفسهم ولاحرمة لمجتمعهم ولاحقوقا لآبائهم وأجدبت الأمة الأسلامية من أن تنتج كثرة من الرجال الصالحين فضاعت بلاد الإسلام واحتلت دياره ، على مرأى ومسمع ونحن فى انتظار العودة ليس للحجاب فقط بل للدين كله وإن كان حجاب المرأة من أهم أجزاء هذا الدين فهو صورة تنبىء عن مخبر سليم ، وعن مجتمع مستقيم .

ولتجرؤ من كتبوا عن السفور وطعنوا فى الحجاب ملأت نفس كلمة الشيخ محمد المجذوب وهى قوله : أما مسألة السفور والحجاب ، على كثرة من كتب وماكتب فيها فمن المؤسف أن يترك أمرها لمثل هذه الفوضى يقول فيها كل بما يشاء وعندنا أنها جزء من القضية الكبرى قضية موقفنا من الإسلام شعوبا ودولا أنخضع حياتنا لأحكامه ، فنستشيره فى كل مانأخذ وماندع أم ننسلخ منه فنسلم قيادتنا إلى أهواء لن تراعى فى هذه الأمة الا ولا ذمة ؟ .(١)

غمز الصحابة والسلف الصالح

تسرب هذا الفكر إلى الأمة الإسلامية تلكم الأمة التى كان رجالها يعرفون للصحابة قدرهم ، وللسلف الصالح مكانته ، فانقلب حالها فى الآونة الأخيرة وصار مايسميه الناس بكبار رجال الصحافة يكتبون عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقلين مادسه أعداء الإسلام فى كتب التاريخ فى الوقت الذى يتعمدون فيه ترك الأحاديث بل والروايات التى تشهد بما لصحابة رسول الله " صلى الله عليه وسلم " من فضل والتى منها ما أخرجه الشيخان ، وأصحاب السنن عن أبى سعيد الخدرى "رضى الله عنه " قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : " لاتسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولانصيفه " .(٢)

---

(١) مشكلات الجيل فى ضوء الإسلام صـ ٢٥٩ .

(٢) البخارى بشرح القسطلانى جـ٢ صـ ١٩١ (كتاب بدء الخلق - باب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم) .

وما أخرجه الترمذى وابن حيان فى صحيحه من حديث عبد الله بن مغفل رضى الله عنه " قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه " (١) .

والأدهى والأمر من كتابه مايسموهم برجال الصحافة الكبار أن تدرس كتب التاريخ الإسلامى للناشئة وهى مملوءه بهذه الأكاذيب حول صحابة رسول الله " صلى الله عليه وسلم " وقد تسرب كل ذلك فى غفلة من علمائنا وعلى سبيل المثال لا الحصر مايدرس بالنسبة لقضية التحكيم بين على ومعاوية ، وما يقال عن عمرو بن العاص وما يوصف به من مكر ودهاء وخداع ومايحكى عن أبى موسى الأشعرى من البله وعدم الحنكة وما إلى ذلك مما دسه خصوم الإسلام على الصحابيين الجليلين من الأباطيل ، ومن يرد معرفة أمر التحكيم وبراءة كلا الحكمين من الأوصاف التى أطلقها الأعداء عليهم فليعد إلى كتاب : (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ)(٢) ففيه بيان بالحقيقة حيث كذب ماقيل عن اتفاق كل من عمرو بن العاص وأبى موسى على خلع صاحبه فقال إن معاوية لم يكن خليفة حتى ينادى أبو موسى بخلعه ، وبين أن كل ماجرى هو اتفاق الرجلين على جعل الأمر فى النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، واتفاق الحكمين على ذلك لايتناول معاوية لأنه لم يكن خليفة .

أما عمرو بن العاص فكثير من الروايات الصحيحة تصفه على حقيقته فى التقوى والورع فلا ينبغى أن يوصف بالمكر ، أو الخيانة وأبو موسى الأشعرى قد أرسله النبى " عليه الصلاة والسلام " إلى اليمن مع معاذ بن جبل وكان واليا لأبى بكر ومعاذ الله أن يرسل رسول الله من يوصف بالبله لدعوة أهل اليمن للإيمان أو أن يولى أبو بكر من كانت هذه صفته وبذا يظهر لنا أن أعداء الإسلام قد دسوا هذه المفتريات فى الماضى ثم سربوها إلينا حتى صار الحال كما نرى .

---

(١) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه (الجامع الصحيح وهو : سنن الترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة ٢٠٩ - ٢٩٧) تحقيق إبراهيم عطوة عوض ج٥ ص ٦٩٦ (كتاب المناقب باب (ماجاء فى فضل من رأى النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه) ط(٢) مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥م) .

(٢) د / ابراهيم شعوط من ص ١٩٤ - ١٩٩ ط(٤) مطبعة دار التأليف بالقاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦م .

ولما كان هذا نموذج لكتب تاريخية تدرس فى بلاد الإسلام فيها من أمثال هذه الطعون ، فإن الشيخ محمد المجذوب ينبه إلى مايدرس بعيدا عن أعين المسلمين فى بلاد كانت للإسلام فيها دولة وصولة فيقول :

تلقيت رسالة من أحد الطلاب العرب فى إسبانيا وكان مما حملته تلك الرسالة إشارة إلى كتب تدرس للطلاب الأسبان ، وهى مشحونه بالطعن على الإسلام والافتراء على صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم مما لايتعذر إبطاله على أى مسلم ذى ثقافة متوسطة ، ومع ذلك فإن تلك الأباطيل تمضى فى طريقها إلى عقول الأجيال الأسبانية فتملؤها حقدا وبغضا للإسلام وأهله .(١)

ولاتجد هذه المفتريات من يرد عليها ولو أحس الأسبان باهتمام أى مسئول من العرب والمسلمين ، أو تحرك السفارات العربية الإسلامية لقاموا بتصحيح الوضع ولكن بالطبع هذا شئ لايهم الدبلوماسية الإسلامية الآن .

نموذج لطعن السلف

دأب تلاميذ التبشير على همز ولمز كل ماهو يمت إلى الإسلام بصلة حتى لفظة " السلفيين " جعلوها تتردد فى ألسنة العامة على غير معناها المستقيم ولذا ينبهنا الأستاذ / محمود محمد شاكر إلى مافعله صبيان المبشرين بهذه الكلمة الشريفه بقوله :

فمن معسكر الصراع بين الحضارة الغازية ، وبين الحضارة الإسلامية أو بقاياها يومئذ ، ظهرت كلمة " السلفيين " مقرونة بتبغيضها إلى العامة وتصويرها فى صور منكرة تكرهها النفوس لأنها تشق عليها ، ثم بدأت الكلمة تدخل فى محيط الصراع الاجتماعى فمن أول ما أذكر من ذلك أن التالف الكريه المسمى " سلامة موسى " صنيعه المبشر " ويلككس " كان أكثر الناس استعمالا للفظ " السلفيين " للدلالة على التأخر والتشدد والتخلف .

وردد هذا اللفظ تلميذ سلامة موسى ، المسمى " لويس عوض " وشيعته من صبيان المبشرين واستخدم اللفظ فى مقالات ظهرت بارزة عام ١٩٢٢م.(٢)

وحور اللفظ بالكامل فأطلقوا على الثلة الظاهرة لفظ " الرجعيين " كما قيل :

فبعد قليل رأينا لفظ " الرجعيين " يحل محل السلفيين فجأة ، وهو لفظ سهل على لسان العامة وغير العامة وإذا بنا نراه مستعملا على ألسنة ضرب من الكتاب

(١) مشكلات الجيل فى ضوء الإسلام صـ ١٥٢ بتصرف .

(٢) أباطيل وأسمار جـ ١ ، ٢ صـ ٥٠٦ ، ٥٠٧ بتصرف .

أمثال التالف الغبى " سلامة موسى " من صبيان " التبشير " وسفهائه الذين يسانفهون عنه وعلى ألسنة اصحاب الصحف من نصارى لبنان المقيمين فى مصر ، والمستولين على صحافتها كلها يومئذ ثم لم نلبث إلا قليلا حتى رأينا هذا اللفظ ينتقل للدلالة على الحياة الإسلامية كلها [1] ، فكل من أنكر الحضارة الغربية الوثنية ، أو عاب عليها وظلمها وخداعها .. بل من أنكر على المعتدين على الإسلام بالفعل أو بالقول ينبز من خدم الفكر الغربى بأنه " رجعى " أو متخلف ، فكل من يسير على نهج السلف الصالح يوصف عندهم بهذا الوصف ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

تسرب فكرة فصل الدين عن الدولة

الدين نظام إلهى يحدد للإنسان معالم السلوك فى الحياه تلكم الحياة الدنيا التى تعتبر معبرة إلى حياة لاتنتهى والدين بهذا المفهوم لاغنى للمرء عنه ، (وكذلك أوحيناَ إليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاَء من عبادنا وإنك لتهدىَ إلى صراطٍ مُستقيم). [2]

والدين إذن حقيقة تستقر فى باطن الإنسان تملأُ قلبه بالنور والعرفان فتلزمه السلوك العادل والأخلاق الكريمة ويؤثر الدين على الحياة من كافة نواحيها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وبالتالى الحياة المستقيمة فى كافة هذه النواحى لايمكن أن نستغنى عن الدين .

وكانت فكرة فصل الدين عن الحياة فكرة غربية ارتكزت على عبارة قالها المسيح لم يقصد بها هذا التوجيه وإنما تهرب من الإجابة عن السؤال الموجه إليه حتى لايتقول عليه الوشاة أمام الحاكم (فقال لهم أعطوا مالقيصر لقيصر وما لله لله) [3] ، واتخذ الغرب هذه الكلمة ذريعة فى صراعه مع الكنيسة والكنيسة هناك بعيدة عن الدين وليست مرادفا له وإنما هى مؤسسة كبيرة وجهاز إدارى معقد وأموال كثير ونظام كهنوتى يقف فى مواجهة نظام الدوله وينازعه السلطان وقد أدى هذا النظام إلى انحسار الكنيسة وانتصار السلطة الزمنية على الدينية .

---

(١) المرجع السابق صـ ٥٠٧ .
(٢) سورة الشورى الآية ٥٢ .
(٣) إنجيل متى (٢٢ : ٢١) .

من الناحية النظرية والعملية ، ومن وقتها وهناك فى المجتمع الغربى ثنائية دولة فى جانب وكنيسة فى الجانب الآخر وبرز مايسمى بالعلمانية وفى تحديد معناها يقول الاستاذ / محمد البهى : إن العلمانية تنسب على غير قياس إلى العالم أو العالمية Secularism هى نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الدينى والعبادة الدينية هى اعتقاد بأن الدين والشئون الإكليريكية (اللاهوتية والكنسية) والرهبنة لاينبغى أن تدخل فى أعمال الدولة . (١)

وللاستاذ / عبد الصبور شاهين رأى وجيه فى تحديد العلمانية حيث يقول : والمشكلة فى مصطلح (العلمانية) إن بعض المثقفين ينطقونه بكسر العين ، وكأنهم ينسبون إلى (العلم) وهذا وهم لم يسلم منه حتى الأكابر ، وقد أوقعهم فى خطأ خطير حين ظنوا أن مايعنيه مصطلح (العلمانية) هو استخدام العلم فى صنع الحياة وإذن فالإسلام علمانى والعلمانية إسلام ولافرق بينهما ولانكير وهذا ـ فى رأينا ـ من أفدح الخلط واخطر مظاهر التزييف فى معانى المصطلحات ذلك أن (العلمانية) مصطلح لم يوجد إلا فى ظروف الصراع بين الكنيسة والدولة حول السلطة فرأى المفكرون آنذاك أن الحل يكمن فى إبعاد الكنيسة عن السلطة وأطلقوا على الوضع الناشئ عن هذا الإبعاد وصف العلمانية وكان ذلك فى المرحلة الأولى التى توصف بالاعتدال ، حتى إذا جاء ماركس ومدرسته تطور مفهوم العلمانية عندهم إلى معنى القضاء على الدين تماما لتحقيق العلمانية الحقة ، وأطلق على هذه المرحلة مرحلة العلمانية المتطرفة .

فالعلمانية فى كل أحوالها مفهوم سياسى ـ لاحضارى ـ يستهدف إما فصل الدين عن الحياة ، وإما القضاء التام عليه وكلا المفهومين مرفوض من وجهة نظرنا نحن الإسلاميين (٢) ، وساعد على سيطرة العلمانية فى الغرب موقف رجال الدين بهيمنتهم على الدين ، وخلقهم من أنفسهم مصادر له حتى اعتقد المسيحيون بذلك يقول الشيخ محمد المجذوب : ومن العقائد الأساسية لدى كل مسيحى إن رجال الكنيسة هم الممثلون لسلطة التشريع فى كل مايتصل بموضوع الدين وقد أدى ذلك مع الأيام إلى أن تصبح مقررات هؤلاء الرجال هى المصدر الرئيسى إذا لم نقل الوحيد للمسيحيين (٣) ورأى

---

(١) العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق دكتور / محمد البهى ص ٤ بدون عدد للطبعة طبع دار الطباعة المحمدية بالقاهرة بدون تاريخ .

(٢) أخبار السبت (العدد ٢١١٩ ـ السنة الواحدة والأربعون) ص ١٠ من مقال للدكتور عبد الصبور شاهين بعنوان : (العلمانية هى العدو المعاصر للإسلام) ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

(٣) مشكلات الجيل فى ضوء الإسلام ص ١٦٧ .

رجال السلطة الزمنية أن لاحرية لهم ولانجاح لسعيهم فى الحياة إلا بالفصل بين الدين والدولة ، واستقر الغرب على فكرة أن حرية العقيدة وحرية الكلمة لاقيام لها إلا فى ظل هذا الفصل وقد أقام الدين سلطتين منفصلتين إحداهما تحل وتربط فى الأرض وفى السماء فيما هو من خاصة الدين ، والأخرى تحل وتربط فى الأرض فيما هو من خصائص الدنيا [1] ، وترتب على هذا الصراع أن صارت الأناجيل رموزا معنوية تقرأ للتبرك فقط وقلما نجد مسيحيا يعرف شيئا عن مضمون العهد القديم ما دعى " بيارد دودج " الذى كان رئيسا للجامعة الأمريكية فى بيروت فى السابق، أن يقول صراحة نحن المسيحيين مع إهمالنا سفر اللاويين ، وبعض النصوص الواردة فى رسائل بولس تعنى عناية جدية بالموعظة التى ألقاها المسيح على الجبل ، والقاعدة الذهبية وبعض النصوص الجميلة التى تتعلق بالحياة الحديثة . [2]

هذا مانتج عن رجال الدين فى النصرانية ، ومواقفهم المتزمتة حيال الدين فهل الأمة الإسلامية بحاجة إلى فصل الدين عن الحياة ، وهل علماء الإسلام على هذه الشاكلة ؟

الجواب على هذا السؤال :

إن تاريخ الأمة الإسلامية لايعرف مثل هذا النوع من الصراع فليس للدين مؤسسات تشبه الكنائس لامن قريب ولامن بعيد وليس فيه سلطة كهنوتية ، " والسلطة المدنية فى الإسلام مقرونة بالسلطة الدينية ملتزمة بحكم الشرع لأن الحاكم العام هو الحاكم والخليفة لكل المسلمين ".[3] وهو متبع لامبدع ومثله مثل سائر المسلمين فى فهمه لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، يخطئ ويصيب ، ويرد عليه عند الخطأ فليس معصوما وهو لايزعم أنه يتلقى الوحى بل هو متبع لتعاليم الإسلام ومنفذ لها وبتعاليم الإسلام يتحرر الانسان وتنطلق مواهبه ويشعر بكيانه ، فبها " حررت الروح من الهوى وأطلقت إرادة الإنسان من القيود التى طالما أبقته موثقا إلى إرادة أناس آخرين أو إلى إرادة قوى أخرى يدعونها خفية لقد هوى الكهان ، وحفظة الألغاز المقدسة الزائفون ، وسماسرة الخلاص ، وجميع أولئك الذين تظاهروا بأنهم وسطاء بين الله والإنسان والذين اعتقدوا بالتالى أن سلطتهم فوق إرادات الآخرين ـ نقول

---

(١) الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده صـ ٤٢ بدون عدد للطبعة مطبعة محمد على صبيح وأولاده بمصر ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤م .

(٢) الإسلام فى نظر الغرب بقلم فيليب متى وآخرون تعريب د / اسحاق موسى صـ ٣٣ بدون عدد للطبعة طبع بيروت ١٩٥٣م .

(٣) الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده صـ ٩ بتصرف .

لقد هوى هؤلاء كلهم عن عروشهم إن الإنسان أمس خادم الله وحده ، ولم تعد تشده إلى الآخرين من الناس غير التزامات الإنسان الحر نحو الانسان الحر . (١)

وكان من فضل الله تعالى على الأمة الإسلامية أن جاء الدين الحق بما لاتعارض فيه بين مطالب الدنيا والآخرة " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون " . (٢)

فجعل درجات الآخرة العليا لمن عملوا أجل الأعمال فى الدنيا ولنتأمل قول الله تعالى فى وعظ " قارون " : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد فى الأرض إن الله لايحب المفسدين) . (٣)

فالدين عندنا يؤلف نظاما عمليا دقيقا يلازم النفس فهى أبدا فى مراقبة واعية لكل حركاتها وسكناتها ، وفى شعور تام بالمسئولية أمام الله تعالى ، وبهذه المراقبة والشعور الواعى تتحول أعمال النفس جميعها إلى عبادة خالصة لله ، وتصبح الأرض على سعتها مكان عبادة لله ويصير الإنسان عابدا لمولاه فى سره ونجواه فى المسجد فى الحقل فى المتجر فى كل عمل يقوم ومن هنا ندرك أن الدين فى الوسط الإسلامى لاغنى عنه للإنسان كالماء والهواء .

نتائج فصل الدين عن الحياة

١ ـ تهرب الحاكم والمحكوم من المسألة والحساب فى الدنيا فالدين من معانيه الحساب (مالك يوم الدين) أى يوم الحساب والناس فى دولة الإسلام من رئيس الدولة إلى كناس الشوارع كل محاسب على ماكسبت يداه فى دنياه أولا قبل المثول بين يدى الله " يوم لاينفع مال ولابنون . الامن أتى الله بقلب سليم " (٤) فكل من ينادى بفصل الدين عن الحياة يريد أن يتهرب من المحاسبة فى الدنيا ، وبذلك تعطل الحدود وتسقط ويثبت الحق للقانون الوضعى .

٢ ـ ظهور دعوات الإلحاد الجماعى التى تحمل فى طياتها السخرية الدين ورسالات السماء وترتب على ذلك :

أ ـ تغيرات فى جو المجتمعات فى المنزل وفى المدرسة ، وفى المصنع ..

---

(١) دفاع عن الإسلام لورا فيشيا فاغليرى تعريب منير البعلبكى صـ ٤٦ ، ٤٧ ط (٢) طبع دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٦م .
(٢) سورة النحل الآية
(٣) سورة القصص الآية ٧٦ .
(٤) سورة الشعراء الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .

ومن ثم تنشأ أجيال خاوية من القيم الدينية والروحية .

ب ـ أثر على أخلاق الناس وبالتالى على سير المجتمع وعمت الشكوى المجتمع شكوى مما يلقاه المرأ من أهله وأصدقائه ، وجيرانه ومن جمهرة المتصلين به فى شئون حياته شكوى من الغدر ، والاستغلال فى المعاملة ، والظلم شكوى من الأنانية والجفاء فى المعاشرة ، والخيانة وفقدان الغيرة والاعتداء على الحرمات ، والاستهانة والاستهتار بالتقاليد الحسنة والمقدسات .

جـ ـ ظهور الأعمال المستهجنة من الشباب " كظهور الخنافس والهيبز ، ونوادى العراة ، وغير ذلك من الأفعال والأعمال التى لاتقرها الأذواق والفطر السليمة وسبب ذلك وما ينتج عنه من انهيار المجتمع وعدم التشبع النفس بمبادئ الدين ، وهنا تفلت الغرائز والأهواء تهدم وتدمر دون حدود أو سدود .

وهذا مايعانى منه الغرب الآن ويضع له الحلول ويعالجه بكل ما أوتى من قوة العلم والتقدم فى الحياة لكنه برغم كل الحلول يقف عاجزا لأن المصلحة فى نظر الإنسان محدودة وعند من يعلمها ليس لها حدود .

وما نشكو منه نحن المسلمين تسرب هذا الفكر فى حياتنا ومناداة حكام المسلمين فى الغالب بفكرة فصل الدين عن الحياه وتريد بها فى أوساط التعليم وكأنها هى الحل لمن نحن فيه من تأخر وتناسى الجميع أنه يوم أن كان الدين فى حياتنا كالماء والهواء كنا سادة العالم ودانت لنا الأرض ، ويوم أن أهملنا الدين وجعلنا القرآن وراءنا ظهريا كان التأخر والضعف أمام تقدم من حولنا فلايأتى لنا التقدم إلا بالعودة إلى الدين فى أعمالنا لتفوز دنيا وأخرى ، عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا .(١)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (كتاب الإيمان ـ باب ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا) جـ ٢ صـ ٢ .

الخاتمه

وتشتمل على مايلى :-

أولا : مواجهة الغزو التبشيرى .

ثانيا : أهم نتائج البحث .

الخـــاتمـــة

وتحتوي على أمـــرين :

أولا ـ مواجهـــة الغزو التبشـــيرى :

ومواجهة الغزو التبشيرى واجب على كل مسلم بقدر استطاعته ويحتاج إلى استخدام كل الطاقات فى العالم الإسلامى سواء كانت طبيعية أو صناعية ، علمية ، وفكرية ، حـــتى نحمى بلادنا من أخطار التبشير ، ونودى بعض الواجبات نحو ديننا ، وأرى أنه يمكـــن الحد من آثار التبشير أو وقف نشاطه بالآتـــى :

١ ـ الإشراف على المؤسسات التبشيرية المقامة ببلاد الإسلام :

وذلك بإخضاع هذه المؤسسات للرقابة الإسلامية الواعية وليس فى هذا نوع من التدخل وإنّما فيه وقاية وأمن للبلاد والعباد ، وفى البلاد الغربية يصنعون ذلك بالأقليات المسلمة فإن أقامت أقلية مسلمه مسجدا تكون ادارتهالمسلمة خاضعة للإشراف الغربى .. وهكذا

ولتكون المعاملة بالمثل ينبغى أن تكون مهمة الإشراف فى أى بلد إسلامى متـــدة للمؤسسات الأخرى الغير اسلامية لتكون بأعين الدولة الإسلامية فلا يرتكب فى بلاد الإســلام مالايرضاه أهله بحجة التطبيب أو التعليم أو النشاطات الرياضية والكشفية .

٢ ـ العناية بمـــراكز نشـــر الدعوة :

مراكز نشر الدعوة الاسلامية كثيرة ، وهى منارات تشع بالنور والهداية لكل الإنسانيـــة وكانت فى الماضى حافلة بالعلماء والفقهاء والمفسرين فخرجت دعاة فتحوا قلوب العباد قبـل فتح البلاد ، وهى فى العصر الحاضر بحاجة إلى النهوض بها فى كافة الوجوه لنعيـــــد لها سيرتها الأولى ، ومن هذه المنارات :

- جامع عمرو بن العاصى المقام بمدينة الفسطاط بمصر القديمـــة .
- جامع القيروان الذى أسسه عقبة بن نافـــع .
- جامع القرويين : نسبة إلى القيروانيين الذين رحلوا من الأندلس فى عهد الحكم بن هشام .
- الجامع الأزهر الذى أسسه جوهر الصقلى القائد الفاطمى تنفيذا لتوجيهات الخليفة المعز لدين الله الفاطمى وكان ذلك سنة ٣٥٩ هـ وأقيم هذا الجامع لنشر المذهب الشيعـــى

بمصر وسبقت إرادة الله فصار منارة للعلم المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى اللـه عليه وسلم بعيدا عن الصراعات المذهبية •

- الجامع الأعظم فى بغداد والذى تخرج منه العديد من العلماء فى عهد الإمام أبى حنيفة النعمان " رحمه الله " •
- جامع الزيتونة " بتونس " •

هذا بخلاف المؤسسات الإسلامية كالمدرسة النظامية فى بغداد والبصرة ودار العلوم فى لكنؤ بالهند التى أقامتها ندوة العلماء سنة ١٣١٦هـ[1] ، وكل هذه المنـارات الإسلامية بحاجة إلى عون إسلامى شامل ليفيض نورها على العالم من جديد •

٣ - اقامة مركز إسلامى جامع :

هذا المركز الإسلامى الجامع يقوم بالتنسيق بين جميع المراكز الإسلامية فى العالـم بشرط أن يكون هذا المركز مجهزا بجميع الوسائل العصرية لنشر التعاليم الإسلامية وأن يضم مفكرين وعلماء من مختلف البلدان الإسلامية وتتلخص الأعمال التى يقوم بها المركـز فى الآتـى :

أ - إصدار مجلات إسلامية عربية وترجمتها لجل اللغات ووظيفة هذه المجلات تعريف أجيال المسلمين بأمور دينهم ثم بروح العصر ومتطلباته •

ب - ترجمة الكتب الإسلامية الأساسية إلى اللغات الأجنبية •

جـ - إعداد جيل إسلامى مثقف وعلى علم بدينه ولغته وبعض اللغات الأخرى ثم تدريبه على البحث حتى يتمكن من نشر الدعوة الإسلامية •

د - تبادل زيارات علماء الإسلام ومفكريه لتهيئة مناخ إسلامى عالمى يساعد علـى تنشيط العقول الإسلامية •

هـ - الإتصال بمن أسلم من المفكرين والعلماء والمثقفين فى بلدان الغرب والشـرق الملحد ومعرفة آرائهم فى نشر رسالة الإسلام فى هذه البلدان •

و - تكوين لجنة فى المركز وظيفتها بحث مشاكل المسلمين على الطبيعة ورعاية الأقليات الإسلامية فى العالم وحل مشاكلها حتى لاتذوب فى المجتمعات التى لاتدين بإسلام •

---

(١) يراجع (التبشير والاستشراق خططا ومنهجا وتطبيقا وأثر ذلك على الإسلام والمسلمين فى الفرد والمجتمع وواجب الأمة نحو ذلك د / عبد الله عبد الحى صـ ٢٢٥ ، ٢٢٦ ط (١) طبع دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م •

ولكى يؤدى هذا المركز دوره الإسلامى عالميا ينبغى إلزام الدول الإسلامية القادرة بإمداده بالمعونات المادية والمعنوية وتسهيل مهامه [١] ، وأفضل أن يكون مقر هذا المركز الأزهر الشريف وأن تكون لجنة خاصة تابعة لهذا المركز من جميع الدول الإسلامية وعلى كافة المستويات ، مهمتها الإطلاع على أحوال الأقليات الاسلامية فى جميع الدول وعلاج مشاكلها من واقع اسلامى بعيدا عن الصراعات الدولية وذلك بالاتى :

أ - أن ترسل اللجنة بعثات دينية من الأزهر لدراسة أحوال الأقليات الإسلامية لدراسة مشاكلهم على الطبيعة .

ب - إمداد الأقليات المسلمة بما يلزمهم من مدرسى الدين واللغة العربية .

جـ - أن يتبع اللجنة إذاعة إسلامية مستقلة توجه إلى العالم برامجها من واقع إسلامى وبالتالى يصل صوتها إلى الأقليات المسلمة فى العالم ، وينبغى أن لانستهين بالأمر فعدد المسلمين الموجودين بالخارج يزداد باستمرار نتيجة للهجرة وخاصة فى كل من أوربا والأمريكتين واستراليا ، والأقليات المسلمة تعيش تحت ظروف بيئية مختلفة وتواجه أوضاعا دينية ، واجتماعية ، واقتصادية وسياسية وثقافية مختلفة ، والأقلية المسلمة القاطنة فى اطار الكتلة الشيوعية تعانى من الاضطهاد الالحادى فالدول الملحدة لاتعترف بالدين فيتعرض المسلمون هناك لإغلاق المساجد ، كما يتعرض النصارى أيضا لاغلاق الكنائس .

ومثال لما يحدث من تحد سافر للمسلمين فى الدول الشيوعية مسلمو البلغار فجميعهم يعانون من العزلة والاضطهاد ويقاسون الأمرين تحت وطأة الحكم الشيوعى [٢] ، أما المسلمون فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية فمشاكلهم متعددة ومن هذه المشاكل مشكلة التعليم الدينى ويكفى إعطاء مثال لذلك يقول / محمد علوى عبد الهادى :

اتصلت شخصيا بالمسلمين فى النمسا وعن طريقهم عرفت أحوال المسلمين فى ألمانيا وبعض الدول الأوربية ومشكلة المشاكل التى تواجه المسلمين هناك هى التعليم الدينى فالدولة تترك أمر تعليم الدين إلى الكنائس وعلى أولياء أمور التلاميذ أن يسجلوا أبناءهم لدى الكنيسة التى يتبعونها [٣] وبالطبع أين الهيئة الإسلامية التى تتولى تعليم الدين

(١) يراجع : الإسلام والعصر الحديث وحيد الدين خان ترجمة ظفر الإسلام خان صـ ٧٤ ، ٧٥ ط (١) مطابع المختار الإسلامى بالقاهره ١٩٧٨م .

(٢) يراجع : مجلة المسلم المعاصر (العدد ٣٠) صـ ٤٤ من مقال للدكتور أبو بكر باقادر بعنوان الأقليات المسلمة وحقوق الإنسان (إصدار مؤسسة المسلم المعاصر - بيروت ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .

(٣) مجلة الأزهر (جـ ٤ - السنة ٤٤) صـ ٧٢ ، ٧٣ من مقال للأستاذ / محمد علوى عبد الهادى بعنوان : (الإسلام والمسلمون فى أوربا) المحرم ١٣٩٢هـ ، فبراير ١٩٧٢م .

لتلاميذ المسلمين بهذه البـلاد ؟ .

٤ ـ مازالت البقية الباقية من المسلمين فى بلاد الأندلس فى حنين بالغ وشوق لكل ما هو إسـلامى :

والمطلوب من المسلمين فى بلاد الإسلام أن يعملوا جهدهم على تنمية هذا الشعور ووصل حلقات الإتصال بإخوانهم فى هذه البلاد التى مازالت آثار الإسلام بها واضحـة ولغة القرآن لها معالمها التى لاتمحى ، ويكفى أن نعلم أن نصارى الأندلس ظلـوا يستخدمون اللغة العربية فى التخاطب ، وتحرير العقود حتى القرن الرابع عشر الميلادى يقول الدكتور / هشام أبو أرميلة :

بقيت اللغة العربية محتفظة بمكانتها الرفيعة عند النصارى كلغة للعلم والحضـارة أكثر من مائتين وخمسين سنة بعد سقوط طليطلة بأيدى النصارى فى سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م فقد استمر المعاهدون يستخدمون اللغة العربية فى تحرير عقود الزواج والممتلكات وفـى غيرها من المصالح العامة حتى القرن ٨هـ / ١٤م ، مما أدى إلى دخول كثير من المفردات والمصطلحات العربية فى اللغة الأسبانية الحديثة .

كما اضطر رجال الكنيسة ـ نظرا لانتشار اللغة العربية واستخدامها إلى تعريـب مجامعهم القانونية وإلى قراءتها باللغة العربية فى الكنائس الأسبانية [١] ، فالعناية من قبل المسلمين فى كل بقاع الأرض بهذه البلاد التى كان للإسلام بها دولة غزت أوربا كلهـا بالعلم والحضارة ستعيد عهد الإسلام من جديد فى هذه البلاد المنتظرة لقدومه والراغبة فى عودته .

٥ ـ دعوة نصارى العرب إلى الدخول فى الإسلام :

وهذه الدعوة من منطلق الأمر الآلهى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظـة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) [٢] ومعنى دعوة النصارى للدخول فى الإسلام بهذه الوسائل التى ذكرها القرآن الكريم .

ـ أن نبين لهم محاسن الإسلام من غير قسر أو إجبار ومحاسن الإسلام لاحصر لهـا

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية (اصدار ـ الكويت) المجلد الثلاثون جـ ٢ صـ من مقال (الأسبان والحضارة الإسلامية) ذو القعدة ١٤٠٦ ـ ربيع الآخر ١٤٠٧ هـ ـ يوليو ـ ديسمبر ١٩٨٦م .

(٢) سـورة النحل الآيـة ١٧٥ .

ويكفى أن الإنسان فى الإسلام يتجه بعبادته إلى الواحد الأحد الفرد الصمد فهو وحده الذى يقبل صالح الأعمال ويثيب عليها ، وهو وحده غافر الذنب وقابل التوب بخلاف ما يجرى عند النصارى فالتائب عندهم لاتقبل توبته الا بفضح نفسه وتذلله لبشر مثله لكى يغفر له ذنوبه .

ــ بيان أن رسالة عيسى عليه السلام دخلها الإصلاح فأفسدها فمن غير المعقول أن يصلح بشر رسالة سماوية لذا يقول أحد علماء البروتستانت : (اذا كان الدين المسيحى ليس شيئا سوى الكثلكة المحتاجة إلى الإصلاح (المذهب الرومانى) أو الكثلكة التى دخلها الإصلاح (المذهب البروتستنتى) .

فالقرن الموفى للعشرين (القرن الحاضر) لايكون مسيحيا أبدا ومعنى هذا أن الدين المحتاج إلى الإصلاح هو دين ناقص ، والناقص لايكون إلهيا ، إذا الكثلكة ليست بدين سماوى والدين الذى دخله الإصلاح بعيد عن العصمة لأن هذا الإصلاح بشرى والإنسان غير معصوم عن الزلل لذلك لابد من اهتداء ابن القرن العشرين بدين آخر .[1]

٦ ــ توضيح النظرة اليهودية للمسيحيين حتى لاينخدع المسيحيون ويتعاونوا مع اليهود ضد المسلمين :

فقد نشرت " مجلة فرنسا القديمة " فى عام ١٨٨٠م أن اليهود يعملون منذ القرن الخامس عشر فى سبيل الفتح اليهودى ففى ١٣ كانون الثانى (يناير) سنة ١٤٨٩م كتب " شامور " ربانى يهود مدينة " ارل " بفرنسا إلى المجمع اليهودى العالمى القائم فى الإستانة يستشيره فى بعض حالات حرجة قال : إن فرنسا وبين " اكس " و " ارل " ومرسيليا يتهددون معابدنا فماذا نعمل ؟ فورده الجواب الآتى :

أيها الإخوة الأعزاء بموسى ، تلقينا كتابكم وفيه تطلعوننا على ماتقاسونه من الهجوم والبلايا فكان وقع هذا الخبر شديد الوطأة علينا وإليكم رأى المرازبة (الحكام) والربانيين بمقتضى قولكم إن ملك فرنسا يجبركم أن تعتنقوا الدين المسيحى فاعتنقوه لأنه لايسعكم أن تقاوموا، غير أنه يجب عليكم أن تبقوا شريعة موسى راسخة فى قلوبكم بمقتضى قولكم إنهم يأمرونكم بالتجرد عن أملاككم فاجعلوا أولادكم تجارا ليتمكنوا رويدا رويدا من تجريد المسيحيين من أملاكهم بمقتضى قولكم إنهم يعتدون على حياتكم فاجعلوا أولادكم أطباء

(١) دعوة نصارى العرب إلى الدخول فى الإسلام بقلم خليل اسكندر قبرصى صـ ١٤ (نشرت أولا فى صحيفة " الفتح " بدون عدد للطبعة المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٩هـ) .

وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم بمقتضى قولكم إنهم يهدمون معابدكم فاجعلوا أولادكم كهنة واكليركيين ليهدموا كنائسهم ، بمقتضى قولكم إنهم يسومونكم تعديات أخرى كثيرة فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى وكتبة عدل وليتداخلوا دوما فى مسائل الحكومة ليخضعوا المسيحيين لنيركم فتستولون على زمام السلطة العالية وبذلك يتسنى لكم الانتقام سيروا بموجب أمرنا هذا فتتعلمون بالاختيار أنكم من ذلكم وصنعتكم تتوصلون إلى ذروة القسوة والعظمة فى ٢١ كاسلو (ت٢) ١٤٨٩ التوقيع أمير اليهود [(١)]

فاليهود يعملون جهدهم لضرب النصارى وهم فى انتظار الفرصة التى تمكنهم من ذلك وقد قال أخيرا الكاتب الاسرائيلى مرخاى كنش فى صحيفة حبروت بتاريخ ١٩٦٤/١١/٢٧م ، مقالا بعنوان " نحن والعالم المسيحى " إن لنا حسابا دمويا طويلا مع العالم المسيحى .[(٢)]

ثانيا : أهم نتائج البحث :

١ ـ الرسالة التى جاء بها كل نبى من أنبياء بنى إسرائيل " عليهم الصلاة والسلام" خاصة بالاسرائيليين ومقصورة عليهم .

٢ ـ اليهود يعتقدون بأن الشريعة ابتدأت بموسى " عليه السلام " وانتهت به فليس بعده نبى وماجاء قبله تمهيد له ، ويعتقدون أيضا أنهم وحدهم جنس مختار وعلى هذا فرسالتهم ليست تبشيرية لكل الأمم ، لكنهم يحاولون زيادة عددهم عن طريق التبشير برسالتهم لزيادة الكم وليس عن اقتناع دينى كما يحاولون زيادة عددهم عن طريق الزواج من غير الاسرائيليات وحشد اليهود من مختلف البلدان فى فلسطين للغرض ذاته .

٣ ـ رسالة عيسى عليه السلام خاصة ببنى اسرائيل بنص الأناجيل وقد بين المسيح " عليه السلام " لحوارييه ذلك .

٤ ـ لم يخرج الحواريون على تعاليم المسيح إلى بعد مجمع أورشليم سنة ٥٠ م وذلك بدعوة كل الأمم إلى المسيحية مما يدل على أن هذا أمر اتفق عليه بعد رفع المسيح بما يقرب من ربع قرن من الزمان .

٥ ـ النصوص الإنجيلية التى يفهم منها التبشير لجميع الأمم مطعون فى صحتها .

---

(١) مؤامرة اليهود على المسيحية " بحث فى حقيقة أهداف الحركة الصهيونية ومايغلى فيها من شهوة الانتقام من النصرانية " اميل الخورى حرب ص ٤٠ ـ ٤٢ بدون عدد للطبعة ـ طبع دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٤٧م .

(٢) الكنيسة ومزاعم اسرائيل السبعة للأنبا غريغوريوس ص ٢٦ .

٦ ـ رسالة الإسلام التى جاء بها النبى محمد صلى الله عليه وسلم عامة لكل الخلق ودعوة الناس اليها مسئولية المسلمين وخاصة علماء الدين إلى أن تقوم الساعة ٠

٧ ـ مفهوم التبشير النصرانى قد تغير من الدعوة للدخول فى النصرانية فى الماضى إلى احتواء الإنسان ليكون فى دائرة السياسة الاستعمارية الغربية ، وإخراج المسلم من دينة ليصير غير معروف الهوية فى العصر الحاضر ٠

٨ ـ " بولس " صاحب فكرة التبشير برسالة المسيح لكل الأمم بعد أن كانت مقصورة على اليهـود ٠

٩ ـ منذ اعتراف قسطنطين بالمسيحية ضمن الديانات الموجودة فى الدولة الرومانيـة والأفواج الداخلة فى المسيحية لم تدخل عن اقتناع إلا ماندر فالدخول فيها يتم إمـا بعصا السلطان أو بالعطاء المادى ٠

١٠ ـ قسطنطين مكن من وئد دعوة النصارى الموحدين ، وساعد أصحـاب التثليث فى نشـر وثنيتهم ٠

١١ ـ توجد صلة بين التبشير والحروب الصليبية ، فالحروب الصليبية نادى بهـا البابوات ، ونتج عنها تبشير منظم تقوم به هيئات ، وجماعات ، بعد أن كان يقوم به أفراد كما انشئت له مدارس ومعاهد وكراسى لدراسة اللغة العربية لتدريب القائمين به ٠ (١)

١٢ ـ الحروب الصليبية ساعدت المبشرين ، وأدت دورها بالنسبة للغرب فبالرغـم من انتصار المسلمين وجلاء الصليبيين عن بيت المقدس إلا أن أنصار الصليب استفادوا الكثير من ورائها :

أ ـ شغلت مسلمى الشرق عن نجدة اخوانهم فى بلاد الأندلس ما مكن الصليبيـين من القضا على المسلمين هناك ٠

ب ـ بالرغم من أن الحروب الصليبية كانت وسيلة هامة لنقل حضارة الإسلام إلـى الغرب إلا أنها أوقفت انسياب المد الإسلامى إلى بلاد الغرب ، وذلك لأن انصار الصليب اتخذوها دعاية لبث الكراهية فى نفوس الغربيين فصاروا ينفرون من الإسـلام وأتباعه ٠

جـ ـ أفرزت الحروب الصليبية تبشيرا منظما يقوم على الخطط المدروسة وفى الوقت نفسه مدعوما بالاستعمار الغربى لتحقيق أهدافه ٠

---

(١) يراجع : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى د / محمود حمدى زقزوق صـ ٢٨ ط (١) مطابع الدوحة الحديثة ١٤٠٤ هـ ٠

١٣ ـ أهداف التبشير مرتبطة بأهداف الاستعمار سواء كانت سياسية ، أو اقتصادية أو اجتماعيه .

١٤ ـ حقق التبشير كثيرا من الأهداف الاستعمارية فى بلاد الإسلام بدء من بث فكرة القوميات والقضاء على الخلافة الإسلامية إلى الاستيلاء على بيت المقدس واعطائه هدية لليهود .

١٥ ـ وسائل التبشير المستخدمة لتحقيق الأهداف متطورة ومتجددة بحيث تلائم كل عصر ، واستخدمت فيها الكنيسة والمدرسة والمستشفى ، ووسائل الإعلام ، وكل جديد .

١٦ ـ المؤتمرات التبشيرية وسيلة من وسائل نشر المسيحية وبواسطتها توضع الخطط لشل مراكز الإشعاع العلمى والحضارى فى أقطار الإسلام وفى أروقتها يتم التنسيق بين السياسة الاستعمارية والسياسة التبشيرية ليقوم المبشرون بتنفيذ مايمليه الاستعمار .

١٧ ـ المؤتمرات التبشيرية تؤدى أعمالا متعددة من تقريب بين الطوائف المسيحية ، ونشر للمسيحية ، وخدمة للسياسة الاستعمارية .

١٨ ـ لابد من ركائز يستند إليها المبشرون لتحقيق الأهداف ولاستخدام الوسائل اللازمة بدقة وفى مأمن .

١٩ ـ من أهم الركائز التبشيرية مراكز التبشير المقامة فى العالم الإسلامى والتى تخرج أفواج المبشرين .

٢٠ ـ الموسسات التبشيرية المنشأة فى أرض الإسلام تكأة ينطلق منها المبشرون لتنفيذ مهامهم .

٢١ ـ الجماعات التبشيرية ركيزة هامة لنشر المسيحية فهى تتخذ مواقعها فى البلاد ، ثم تقيم الكنائس ، وتبنى المدارس ، وتنشأ المطابع ومن خلال ذلك تقوم بالتبشير وأفرادها فى الغالب مدربون على القيام بأعمالهم ، هذه الجماعات فى الغالب يخالف ظاهرها باطنها .

٢٢ ـ البابوية قامت بدور تبشيرى مكشوف ، وكما نفخت فى بوق الحروب الصليبية نادت بالحملات التبشيرية بل وأرسلتها إلى بلاد الإسلام .

٢٣ ـ البابوية حرضت ملوك النصارى للقضاء على المسلمين فى بلاد الأندلس وتقوم بدفع المبشرون لتنصير المسلمين .

---

٢٤ ـ البابوات يقومون بأنفسهم بالتبشير فى قارتى آسيا وأفريقيا ، والتحركات البابوية فى السنوات الأخيرة تؤكد ذلك والجولات الأخيرة للبابا " يوحنا بولس الثانى " فى بلاد المسلمين تبين مساندة البابوية للتبشير بكافة مظاهره .

٢٥ ـ التعاون المتبادل بين اليهود والمسيحيين قائم على حساب المسلمين .

٢٦ ـ مساندة الصهيونية للتبشير أمر محسوب من قبل الصهيونية التى تريد أن تنفرد بالمتنصر من المسلمين أو المسيحيين .

٢٧ ـ الصهيونية تنفذ مخططات إجرامية مع المسيحيين للقضاء على الأقليات الإسلامية كما يحدث فى " الفلبين " .

٢٨ ـ العقول الصهيونية تحرك السياسة البابوية .

٢٩ ـ من آثار التبشير فى العالم الإسلامى ظهور النزعات الجنسية التى فتت الأمة الإسلامية وولدت الكراهية والعداء بين صفوف أفرادها .

٣٠ ـ فكرة القوميات فكرة غربية .

٣١ ـ الفكر التبشيرى بث فكرة القومية فى صفوف المسلمين وهذه القومية أجهزت على دولة الخلافة ، ونحت تركيا فى الاتجاه العلمانى وقسمت الأمة العربية إلى دويلات يسودها التمزق .

٣٢ ـ للتبشير آثار واضحة فى كل قطر إسلامى يجد فيه مرتعا له من نشر النصرانية كما حدث فى إندونيسيا حيث زادت نسبة النصارى فيه نتيجة التبشير زيادة كبيرة فكانت ٢,٨ ٪ من مجموع السكان ١٩٣٣م ، ثم وصلت ١٩٨٠م إلى ٧,٧٦ ٪ من مجموع السكان.[(1)]

٣٣ ـ المبشرون وأعوانهم يحاولون العودة ببلاد الإسلام إلى آثار بالية ، لكى تنسلخ كل بلد من مجدها الإسلامى فهم يقولون مصر فرعونية ، ولبنان فينيقية ، وبلاد المغرب بربرية وهكذا .

٣٤ ـ الفكر التبشيرى تسرب إلى الثقافة الإسلامية وظهرت آثاره فى الدعوة إلى العامية ، واتهام السلفيين بالرجعية ، ودعوة المرأة إلى السفور .

---

(١) يراجع : الحركة التبشيرية فى إندونيسيا وموقف المسلمين منها رسالة مخطوطة موجودة بكلية الدعوة الإسلامية د . عبد الرحيم أرشد بن محمد أرشد صـ ٥٨٣ ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

٣٥ ـ ظهرت آثار الفكر التبشيري فى صورتغريبية قلدها الكثير من المسلمين على أنها مظهر حضارى بدء من التحية إلى اختيار الأسماء .

وبعد فإن قدر لهذا البحث المتواضع أن يسمو ليكون جهدا مخلصا يضاف إلى جهود المخلصين من علماء الإسلام وأساتذتنا الكرام الذين سبقونا فى كشف أهداف الاستشراق والتبشير ،وخطورة فكرهما على العالم الإسلامى فهذا مانرجوه من الله العلى القدير وبالله التوفيق .

المراجع

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
١ ـ القرآن الكريم	
٢ ـ آراء غربية فى مسائل شرقية بدون عدد للطبعة طبع فى مطبعة المقيد بدمشق ١٩٢٥م ٠	تعريب / عمر فاخورى
٣ ـ آسيا والسيطرة الغربية بدون عدد للطبعة طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٢م٠	ك٠م بانيكار ترجمة / عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة أحمد خاكى
٤ ـ البهرة فى الأسواق (دراسة فى النحل والأهواء القديمة فى الشرق) ط(١) الدار الإسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م٠	للدكتور / رؤوف شلبى
٥ ـ أباطيل وأسمار الطبعة الثانية مطبعة المدنى بالقاهره ١٩٧٢م ٠	محمود محمد شاكر
٦ ـ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ط(٤) مطبعة دار التأليف بالقاهره ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م٠	للدكتور / ابراهيم شعوط
٧ ـ إتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات فى أوربا بدون عدد للطبعة مطبعة بولاق بمصر ١٢٥٨م ٠	ترجمة / خليفة بن محمود
٨ ـ أحقاد وأطماع التبشير فى إفريقيا المسلمة ط(٢) مطابع المختار الإسلامى ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م٠	عماد الدين خليل
٩ ـ أخطار التبشير فى ديار المسلمين بدون عدد للطبعة ـ طبع دار الأنصار بالقاهره ، رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٠/ ٢٠٩٢ ٠	محمد عبد الرحمن عوض
١٠ ـ أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى ط٢ طبع دار النصر للطباعه الإسلاميه بالقاهره ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م٠	للدكتور / على محمد جريشة والدكتور / محمد شريف الزيبق
١١ ـ اسرائيل ركيزة للاستعمار بين المسلمين " سلسلة مجمع البحوث الإسلامية " طبع بالهيئة العامه لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م	للدكتور / حسن ظاظا

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
١٢ ـ أضواء جديدة على الحروب الصليبية بدون عدد للطبعة مطابع دار القلم بالقاهره ١٩٦٤م٠	للدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور
١٣ ـ أضواء على تاريخ الكنيسة (سلسلة صوت مجمع الله الخمسينى) صدر بشبرا مصر بدون ذكر المطبعة وبدون تاريخ ٠	صموئيل مشرقى
١٤ ـ إظهار الحق المطبعة الخيرية بالقاهره بدون تاريخ	رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى
١٥ ـ إفريقيا الثائرة ط١ مطابع دار الكشاف ـ بيروت ١٩٦٠م٠	البير تيفوبو جرى تعريب / نجدة هاجر / وسعيد العز
١٦ ـ أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية ط ٣ طبع دار المجتمع للنشر والتوزيع بجده ١٤٠٥هـ = ١٦٨٥م٠	للدكتور / عبد الودود شلبى
١٧ ـ أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين بدون عدد للطبعة ـ مطابع دار الشعب بالقاهره ١٩٧٦م٠	ابراهيم محمد حسن الجمل
١٨ ـ أنت والكنيسة " سلسلة كتب شباب تحت العشرين ـ ١٠ " ط١ طبع بمطبعة دار الطباعة القومية بالفجالة بالقاهره ١٩٧٦م٠	للقس / منيس عبد النور
١٩ ـ أوربا العصور الوسطى " التاريخ السياسى " ط ٨ طبع دار الطباعة الحديثة بالقاهرة ١٩٨١م٠	للدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور
٢٠ ـ أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ ـ ١٩٥٠م) نشر مؤسسة سجل العرب بالقاهره ١٩٦٥م٠	هارولد تمبرلى أ٠ ج جرانت ترجمة / محمد على أبودرة وغيره

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٢١ ـ إيماننا الاقدس " سلسلة محاضرات الصوم الاربعين ـ ٢ " بدون عدد للطبعة ـ طبع دار العالم العربى بالقاهره ١٩٧٩م.	الأنبا يوأنس أسقف الغربية
٢٢ ـ استعمار افريقيا بدون عدد للطبعة ـ طبعة دار القومية للطباعة والنشر بالقاهره ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م	للدكتور / زاهر رياض
٢٣ ـ انتشار الإسلام وأشهر مساجد المسلمين فى العالم . ط ١ طبع دار التراث العربى بالقاهره ١٩٧٦م	محمد كمال حسين
٢٤ ـ الإتجاهات الحديثة فى الإسلام ط ١ المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر بيروت لبنان بدون تاريخ .	تعريب / جماعة من الأساتذة الجامعيين
٢٥ ـ الإخاء الدينى ومجمع الأديان وموقف الإسلام ط ١ طبع دار التضامن للطباعة بالقاهرة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.	للدكتور / محمد البهى
٢٦ ـ الأخبار السنية فى الحروب الصليبية . ط ١ بالمطبعة القوية بمصر ١٣١٧هـ = ١٨٩٩م.	سيد على الحريرى
٢٧ ـ الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية . بدون عدد للطبعة مكتبة الوعى العربى بالفجالة بالقاهره ١٩٧٢م.	الأستاذ / ابراهيم خليل أحمد
٢٨ ـ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ط ١ مطابع الدوحه الحديثة ١٤٠٤هـ .	للدكتور / محمود حمدى زقزوق

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٢٩ ــ الإستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب ١٠ رمضان . بدون عدد للطبعة مطبعة دار التاليف بمصر ١٩٧٤م.	للدكتور / عبد العزيز عزت
٣٠ ــ الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية " دراسة حول كتاب النكير على منكرى النعمة من الدين والخلافة والنعمة " . ط ١ طبع دار الدعوة بالإسكندرية ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م.	لشيخ الإسلام / مصطفى صبرى تقديم الدكتور / مصطفى حلمى
٣١ ــ الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام . ط ٢ مطبعة دار العالم العربى بالقاهرة ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م.	للدكتور / على عبد الواحد وافى
٣٢ ــ الإسلام ظهوره وانتشاره فى العالم . ط ٢ مطبعة نهضة مصر بالفجالة بالقاهرة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.	الأستاذ / حامد عبد القادر
٣٣ ــ الإسلام فى إفريقيا الوسطى . ط ١ طبع دار الاتحاد العربى للطباعه بالقاهره ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.	ابراهيم النعمة
٣٤ ــ الإسلام فى العالم الحديث " المسلمون فى آسيا " . ط ٢ ــ طبع بيروت لبنان ١٩٥٣م.	جنرال بوهر أندرى تعريب / لويس الحاج
٣٥ ــ الإسلام فى نظر الغرب . بدون عدد للطبعة ــ طبع بيروت ١٩٥٣م.	فيليب متى وآخرون تعريب الدكتور / إسحاق موسى
٣٦ ــ الإسلام فى وجه التغريب " مخططات الاستشراق والتبشير " . بدون عدد للطبعة وبدون ذكر السنه . مطابع الناشر العربى بالقاهره .	أنور الجندى
٣٧ ــ الإسلام والتحرر الإفريقى " العدد ٢٧ السنة الثالثة " اصدار المجلس الأعلى للشئون ــ الإسلاميه بالقاهره ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣م.	عبد السلام شحاته

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٣٨ ـ الإسلام والحضارة الغربية ط ٢ طبع بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م .	للدكتور / محمد محمد حسين
٣٩ ـ الإسلام والخلافة فى العصر الحديث . " نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم " . ط ٢ دار الجيل للطباعة بالقاهره ١٣٩٢ هـ = ١٩٨٢م .	وحيد الدين خان ترجمة / ظفر الاسلام خان
٤٠ ـ الإسلام والعصر الحديث . ط ١ مطابع المختار الإسلامى بالقاهرة ١٩٧٨م .	وحيد الدين خان ترجمة / ظفر الاسلام خان
٤١ ـ الإسلام واللغة العربية فى غرب إفريقيا " مستخرج من حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة " . المجلد السابع والعشرون بدون عدد للطبعة ـ مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٩م .	للدكتور / ابراهيم على طرخان
٤٢ ـ الإسلام والمسلمون فى شرق إفريقيا . بدون عدد للطبعة ـ مطبعة منبر الشرق بالقاهره ١٣٦٦هـ = ١٩٧٧م .	للدكتور / عبد الرحمن زكى
٤٣ ـ الإسلام والمسلمون فى غرب إفريقيا . بدون عدد للطبعة ـ مطبعة يوسف بالقاهره ١٣٦٧هـ = ١٩٧٧م .	للدكتور / عبد الرحمن زكى
٤٤ ـ الإسلام والنصرانية . بدون عدد للطبعة ـ مطبعة محمد على صبيح وأولاده بمصر ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤م .	للشيخ / محمد عبده
٤٥ ـ الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام واظهار محاسن دين الإسلام ، وإثبات نبوءة نبينا عليه الصلاة والسلام مطابع دار التراث العربى بالقاهره بدون تاريخ	للإمام القرطبى تحقيق الدكتور / أحمد حجازى السقا

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٤٦ ـ الأعلام " قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين " . ط ٦ طبع دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٤م .	خيرى الدين الزركلى
٤٧ ـ الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة فى مدينة الله . بدون عدد للطبعة ـ طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٢م .	للدكتور / اسحق عبيده والدكتور / جورج شحاته قنواتى
٤٨ ـ البخارى بهامشه حاشية السندى بتمامها ، وتقريرات من شرحى القسطلانى وشيخ الإسلام رحمهم الله . ط ١ طبع بالمطبعه العامرة المليجية بمصر ١٣٣٢هـ .	السندى وهو : أبو الحسن بن عبد الهادى السندى توفى ١١٣٦هـ . القسطلانى وهو : أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك " ٨٥١ ـ ٩٢٣هـ " .
٤٩ ـ التاريخ الإسلامى وأثره فى الفكر التاريخى الأوربى فى عصر النهضة . بدون عدد للطبعة طبع المؤسسة التجارية للطباعة بيروت ١٩٦٩م .	للدكتور / جمال الدين الشيال
٥٠ ـ التبشير فى منطقة الخليج العربى " دراسة فى التاريخ الاجتماعى والسياسى " . ط ١ شركة كاظمة للنشر والترجمة بالكويت ١٩٨٢م .	للدكتور / عبد المالك خلف التميمى
٥١ ـ التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبى محمد صلى الله عليه وسلم " سلسلة مجمع البحوث الإسلامية " . طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م	المستشار / محمد عزت اسماعيل الطهطاوى
٥٢ ـ التبشير والاستشراق خططا ومنهجا وتطبيقا وأثر ذلك على الإسلام والمسلمين فى الفرد ، والمجتمع وواجب الأمة نحو ذلك . ط ١ طبع دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .	للدكتور / عبد الله عبد الحى

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٥٣ ـ التبشير والاستعمار ط ٤ مطبعة بيروت ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م .	للدكتور / مصطفى الخالدى والدكتور / عمر فروخ
٥٤ ـ التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح المطبعة الميمنيه بمصر ١٣٢٣هـ .	" للحسين بن مبارك الزبيدى " الإمام / أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجى الزبيدى " فرغ من تجريده ٨٨٩ هـ
٥٥ ـ التقرير السنوى لجمعية التبشير الإسلاميـــة لجميع بلاد ملايو عن السنة المنتهية فى يوليو ١٩٣٦م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهره ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦م .	
٥٦ ـ التلمود تاريخه وتعاليمه . ط ٢ دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيـــع بيروت ١٩٧٢م .	ظفر الاسلام خان
٥٧ ـ التنبيه والأشـــراف طبع مطبعة بريل فى مدينة ليدن ١٩٦٧م .	لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى
٥٨ ـ الجمعيات القبطية ومدى اتساع أعمالها بدون عدد للطبعة ـ مطبعة الأمانة بالفجالة بمصر بدون تاريخ .	رمزى تادرس
٥٩ ـ الحركة التبشيرية فى إندونيسيا وموقف المسلمين منها رسالة مخطوطة موجودة بكلية الدعـــوة الإسلامية بالقاهره ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م .	للدكتور / عبد الرحيم أرشد بن محمد أرشد
٦٠ ـ الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى . ط ٤ طبع دار الطباعة الحديثة بالقاهره ١٩٨٢م .	للدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور
٦١ ـ الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية . بدون عدد للطبعة طبع بيروت ١٣٥٥ هـ	للأمير / شكيب أرســلان

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٦٢ ـ الخطر اليهودى " بروتوكولات وحكماء صهيون " ط ٢ المركز الإسلامى للطباعة والنشر بالقاهره ١٩٧٦م .	محمد خليفة التونسى ترجمة / عباس محمود العقاد
٦٣ ـ الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة . بدون عدد للطبعة طبع بمطبعة القبر المقدس بالبطريركية المختصة بدير الروم العامرة فى أورشليم ١٨٦٧م .	عن مختصر / " استفانوس قوميدا " المقتطف من تاريخ ميلانيوس " مطران أثينا الكائسى " .
٦٤ ـ الديانات فى إفريقيا السوداء " الألف كتاب ٥٢ " . مطابع دار الكتاب المصرى بالقاهره ١٩٥٦م .	هوبير ريشان تعريب الدكتور / محمد عبد الله دراز و / أحمد صادق حمدى
٦٥ ـ الزندقة والشعوبية وانتصار الإسلام والعروبة عليها . بدون عدد للطبعة ـ المطبعة الفنية الحديثة بالقاهره ١٩٦٨م .	سميره مختار الليثى
٦٦ ـ " السنكسارى " الجامع لأخبار الأنبياء والرسل والشهداء	
٦٧ ـ السيرة النبوية لإبن هشام شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م .	لأبى محمد بن عبد الملك بن هشام المعافرى المتوفى سنة ٢١٣ هـ ، تحقيق / طه عبد الرؤف سعد .
٦٨ ـ الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته " من مجموعة الألف كتاب رقم ١١٦ " . بدون عدد للطبعة مطبعة الرسالة بالقاهره بدون تاريخ .	كويلر ينج ترجمة الدكتور / عبد الرحمن محمد أيوب
٦٩ ـ الشرق الأوسط " دراسة شاملة لبلدانه وأحواله الإقتصادية والإستراتيجية " بدون عدد للطبعة ١٩٤٨م .	البكباشى عبد الرحمن زكى
٧٠ ـ الشرق الجديد . بدون عدد للطبعة مطابع مطابع دار المعارف بالقاهره ١٩٦٢م .	محمد حسين هيكل

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٧١ ـ الصحافة المصرية وموقفها من الإحتلال الإنجليزى بدون عدد للطبعة . دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م.	للدكتور / سامى عزيز
٧٢ ـ الصحافة المهاجرة " دراسة وتحليل " . بدون عدد للطبعة ـ دار العلوم للطباعة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م .	حلمى محمد القاعود
٧٣ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية وبين الفكرة الغربية ط٣ مطبعة التقدم بالقاهره ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.	أبو الحسن على الحسينى الندوى
٧٤ ـ الصهيونية العالمية وأرض الميعاد ط ١ مطابع الشعب بمصر ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م.	على إمام عطية
٧٥ ـ الصهيونية العالمية وخطرها الكبير على البشرية بدون عدد للطبعة دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر دمشق سوريا بدون تاريخ .	المحامى / سليمان حاتم
٧٦ ـ الصهيونية بين الدين والسياسة . بدون عدد للطبعة ـ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.	عبد السميع الهراوى
٧٧ ـ الصهيونية فى الستينات . الفاتيكان واليهود " سلسلة من الشرق والغرب " . بدون عدد للطبعة ـ طبع الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهره ١٩٦٤م.	محمود نعناع
٧٨ ـ الصهيونية لعبتها أمريكا . دار النشر للجامعيين بدون تاريخ .	جون بيتى
٧٩ ـ الصهيونية والإستعمار . بدون عدد للطبعة ـ مطبعة مخيمر بمصر ١٣٩٢ = ١٩٧٢م.	للدكتور / محمود حسن صالح منسى

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٨٠ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ويسمى كتاب " تاريخ بن خلدون " طبعة بولاق بدون تاريخ .	عبد الرحمن بن خلدون المغربى
٨١ ـ العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ط ١ مطابع رويال بالإسكندرية ١٩٦٣م	للدكتور / جوزيف نسيم يوسف
٨٢ ـ العرب والعروبة . بدون عدد للطبعة ـ طبع دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية ٩٥٩	محمد عزة دروزه
٨٣ ـ العروبة فى ميزان القومية . بدون عدد للطبعة طبع دار العلم للملايين بيروت ـ ١٩٥٠م .	نقولا زيادة
٨٤ ـ العروبة والشعوبيات الحديثة . بدون عدد للطبعة طبع بيروت ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧م .	محمد جميل بيهم
٨٥ ـ العصور الوسطى الأوربية . بدون عدد للطبعة ـ طبع صيدا بيروت ١٩٦٧م .	للدكتور / عبد القادر أحمد يوسف
٨٦ ـ العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق . بدون عدد للطبعة . طبع دار الطباعة المحمديه بالقاهره بدون تاريخ .	للدكتور / محمد البهى
٨٧ ـ الغارة على العالم الإسلامى . ط ٤ المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ١٣٦٨ هـ .	أ ـ ل ـ شاتليه لخصها ونقلها إلى العربية / محب الدين الخطيب ومساعد الباقى .

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٨٨ ـ الغزو الفكرى . ط ٤ مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥م .	محمد جلال كشك
٨٩ ـ الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى . ط ١ مطابع الشروق بالقاهرة ـ بيروت ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .	للدكتور / عبد الحليم محمود
٩٠ ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل بهامشه " الملل والنحل للشهرستانى " . بدون عدد للطبعة ـ مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالقاهرة بدون تاريخ .	للامام أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ) للشهرستانى هو ابن أبى الفتوح محمد بن أبى القاسم أحمد الشهرستانى ، (٥١٠ ـ ٥٤٨ هـ) .
٩١ ـ الفكر العربى المعاصر فى معركة التغريب والتبعية الثقافية . بدون عدد للطبعة وذكر المطبعة والتاريخ .	أنور الجندى
٩٢ ـ الفينيقيون وركائز الذهب واكتشاف أمريكا . ط ٢ مطبعة جريدة البصير ١٩٥٠م .	عبد الله يوسف النحاس
٩٣ ـ القديس " اغناطيوس دى لويولا " مؤسس الرهبانية اليسوعية . بدون عدد للطبع ـ طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .	الأب هنرى برو اليسوعى نقله عن الفرنسية الأب ج . عقيقى اليسوعى
٩٤ ـ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم " دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة " طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٩م .	موريس بكاى
٩٥ ـ القومية عرض وتحليل . بدون عدد للطبعة ـ مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بغداد ـ نيويورك ١٩٦٦م .	بويد شيفر ترجمة الدكتور / جعفر خصباك ، والدكتور / عدنان الحميرى تقديم / محمد بديع ، مراجعة / حسن على الذنون ، وأحمد رفعت البدراوى .

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٩٦ ـ القومية معناها وتاريخها • بدون عدد للطبعة مطبعة نهضة مصر بالقاهره بدون تاريخ •	هانس كهن ترجمة / أمين محمود الشريف
٩٧ ـ الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث • ط ١ طبع بالمطبعة الكبرى بالأميرية ببولاق مصر ١٢١٨ هـ = ١٩٠٠م •	ميخائيل شاروبيم بك
٩٨ ـ الكتاب المقدس " العهد القديم والعهد الجديد " بدون عدد للطبع دار حلمى للطباعه بالقاهره ١٩٧٠م •	
٩٩ ـ الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ـ صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى ـ طبع بيروت ١٩٨٣م	للدكتور / وليم إدى
١٠٠ ـ الكنيسة المتغربة • ط ٢ مطبعة الحضارة العربية بالفجالة بالقاهره ١٩٧٣م •	أ • هـ برودنت ترجمة / وليم وهبـه
١٠١ ـ الكنيسة المصرية تواجه الإستعمار والصهيونية بدون عدد للطبعة ـ طبع دار الكاتب العربى للطباعه والنشر بالقاهره بدون تاريخ •	وليم سليمـان
١٠٢ ـ الكنيسة فى مجتمع القرية بدون عدد للطبعة طبع دار الطباعة ـ الفجالة بالقاهره بدون تاريخ	أديب نجيب سلامة
١٠٣ ـ الكنيسة من البدء إلى القرن العشرين بدون عدد للطبعة • المطبعة التجارية الحديثة بالقاهره بدون تاريخ •	رولاند بيسنتون ترجمة / القس عبد النور ميخائيل
١٠٤ ـ الكنيسة ومزاعم اسرائيل السيحة بدون عدد للطابعة • مطبعة دار العالم العربى ١٩٧٢م •	الأنبا / غريغوريوس عالم الدراسات اللاهوتية العليا

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
١٠٥ ـ الله أو الدمار . ط ٣ مطابع المختار الاسلامى ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦م .	سعيد جمعه
١٠٦ ـ المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الإسلام مطبعة وزارة الأوقاف ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣م .	للدكتور / محمد البهى
١٠٧ ـ المجامع المسيحية وأثرها فى مذاهب الكنيسة وعقائدها (رسالة دكتوراه) مخطوطة بكلية أصول الدين ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .	للدكتور / محمد رجب عبد الرحمن داود الشتيوى
١٠٨ ـ المجتمع العربى الإسلامى . ط ٢ مطابع دار الشعب بالقاهره ١٩٦٧م .	للدكتور / عبد الحميد بخيت
١٠٩ ـ المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام . ط ٣ دار النصر للطباعة الإسلامية بالقاهره ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م .	محمد محمود الصواف
١١٠ ـ المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبى . طبع بيروت . بدون تاريخ	للامام / أبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى المتوفى ٤٠٥ هـ .
١١١ ـ المستشرقون . ط ٣ طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .	نجيب العقيقى
١١٢ ـ المسلمون فى آسيا . ط ١ طبع بيروت لبنان ١٩٥٣م .	جنرال " بوهر " جنرال داندرى تعريب / لويس الحاج
١١٣ ـ المسلمون فى السنغال " معالم الحاضر وأفاق المستقبل " (كتاب الأمة ـ ١٢) ط ١ مطابع الدوحة الحديثة ١٤٠٦ هـ .	عبد القادر محمد سيلا

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
١١٤ ـ المسلمون فى الشرق الأقصى " الفلبين ـ إندونيسيا ـ ماليزيا " • بدون عدد للطبعة طبع دار الوفاء للطباعة ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م•	للدكتور / محمد محمد زيتون
١١٥ ـ المسلمون فى العالم أضوء على مشاكلهم • ط ١ مطبعة حسان بالقاهره ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م•	للدكتور / عادل طه
١١٦ ـ المسلمون فى جزر الفلبين ـ جهادهم ومطالبهم ط ١ دار الحمامى للطباعة بالقاهـــرة ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م•	للدكتور / رؤوف شلبى
١١٧ ـ المسيحية : ط ٤ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٩٧٣م•	للدكتور / أحمد شلــبى
١١٨ ـ المسيحية " نشأتها وتطورها " • ط ٢ طبع دار المعارف بالقاهره بدون تاريخ	شارل جينيبير ترجمة الإمام / عبد الحليم محمود
١١٩ ـ المغرب الأقصى رحلة فى منطقة الحماية الإسبانية • بدون عدد للطبعة ـ طبع دار المعارف بمصــر •	أمين الريحـــانى •
١٢٠ ـ المغرب المسلم ضد اللادينية • بدون عدد للطبعة • مطبعة الجامعة بالدار البيضاء ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م•	إدريس الكتانـــى
١٢١ ـ المنجـــد فى العـــلوم • ط ٨ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٧٦م•	لمجموعة من الأساتذة ذوى الاختصاص
١٢٢ ـ المؤتمر الثامن عشر لمجمع البحوث الاسلاميـــة جـ ٢ طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م•	

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
١٢٣ ـ الموسوعة الإسلامية العربية (٣) الإسلام والدعوات الهدامة . ط ١ طبع دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٤م .	أنور الجندي
١٢٤ ـ النبأ العظيم " نظرات جديدة في القرآن " ط ٢ طبع دار القلم ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠م .	للدكتور / محمد عبد الله دراز
١٢٥ ـ النصارى في الشرق " سلسلة الثقافة السياسية " ط ١ طبع مطابع الاتحاد بيروت ١٩٤٦م .	بيبيد روندو
١٢٦ ـ النصرانية والإسلام " عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة " . مطبعة التقدم بالقاهره ١٩٧٧م .	محمد عزت اسماعيل الطهطاوي
١٢٧ ـ النيل الأبيض . بدون عدد للطبعة ـ طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .	آلن مورهيد ترجمة / محمد بدر الدين خليل
١٢٨ ـ الوثيقة الإسلام الخطر دار نافع للطباعة والنشر بالقاهره ١٩٨٥م .	نص الخطاب الذي ألقاه و . هـ . ت جايردينر / في مؤتمر أدنبره ١٩١٠م . ترجمة / محمود الشاذلي .
١٢٩ ـ الوحدة الإفريقية . " سلسلة إقرأ ـ ٢٧٥ " طبع دار المعارف ١٩٦٤م .	محمد أبو الفتوح الخياط
١٣٠ ـ اليقظة الإسلامية في مواجهة الإستعمار (منذ ظهورها الى أوائل الحرب العالمية الأولى) ط ١ دار العلوم للطباعة بالقاهره ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .	للدكتور / أنور الجندي
١٣١ ـ اليهود انثربولوجيا . بدون عدد للطبعة طبع دار الكتاب العربي بمصر ١٩٦٧م .	للدكتور / جمال حمدان

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
١٣٢ ـ اليهود بين الدين والتاريخ (دراسة الجوانب العقائدية والتاريخية عند بنى اسرائيل) . ط ١ شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة ١٩٧٢م.	صابر عبد الرحمن طعيمة
١٣٣ ـ اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس . ط ١ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤م .	زكى شنـوده
١٣٤ ـ اليوبيل الذهبى لجمعيات خلاص النفوس . بدون عدد للطبعة مطبعة الخلاص ١٩٧٧م .	إعداد رزق جاد الله
١٣٥ ـ باباوات الكرسى الإسكندرى ١٨٠٩ ـ ١٩٧١ مع موجز لمعاصريهم من أساقفة الأقاليم . ط ١ مطبعة حجازى بالقاهرة ١٩٧٧م .	القمص / صموئيل تاوضروس السريانى
١٣٦ ـ تاريخ البشرية " المجلد السادس " . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م	إعداد اللجنة الدولية ترجمة ومراجعة / عثمان نويه وزميلاه
١٣٧ ـ تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى (العصر العباسى الثانى فى مصر والمغرب والأندلس) ط ٢ مطبعة المعرفة ميدان لاظوغلى بالقاهره ١٩٨٢م .	للدكتور / حسن ابراهيم حسن
١٣٨ ـ تاريخ الأقباط . ط ١ مطبعة فايقة محفوظ للتدريب المهنى بحدائق القبة بالقاهره ١٩٦٢م .	زكى شنـوده
١٣٩ ـ تاريخ الأمة العربية " دراسات فى تاريخ الأمويين ط ١ مطبعة زهران بالقاهره ١٣٨٨هـ = ١٩٦٩	للدكتور / عبد الفتاح على شحاته

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
١٤٠ ـ تاريخ التعليم الأجنبي فى القرنين التاسع عشر والعشرين . بدون عدد للطبعة ـ طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية بالقاهره ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣م .	جرجس سلامة
١٤١ ـ تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ط ٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهره ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤م .	محمد عبد الله عنان
١٤٢ ـ تاريخ الحضارات العام . ط ١ طبع بيروت بلبنان ١٩٦٩م .	تعريب / يوسف أسعد داغر ، وفريد رمز داغر
١٤٣ ـ تاريخ الحضارات العام (روما وإمبراطوريتها ط ١ بيروت دار الإرشاد للطباعة ١٩٦٤م .	أندريه ايمار ، السيده / جانين أوبوايه نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر وفريدم داغر .
١٤٤ ـ تاريخ الحضارة المصرية " العصر اليونانى والرومانى والعصر الإسلامى " المجلد الثانى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر .	اعداد نخبة من العلماء
١٤٥ ـ تاريخ الحروب الصليبية . ط ٢ مطبعة بيروت بلبنان ١٩٦٨م .	ستيفن رنيسمان ترجمة الدكتور / السيد الباز العرينى
١٤٦ ـ تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها فى مصر ط ٢ مطابع دار الناشر بالإسكندرية ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م .	للدكتوره / نفوسه زكريا سعد
١٤٧ ـ تاريخ الصحافة . بدون عدد للطبعة ـ طبع المطبعة الأدبية بيروت ١٩١٣م .	الفيكونت فيليب د طرازى
١٤٨ ـ تاريخ العالم . بدون تاريخ	نشره بالإنجليزية السيرجون ٠ هامرتن المترجم بوزارة التربية والتعليم .

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
١٤٩ ـ تاريخ العالم الإسلامى عصر البناء والإنطلاق . بدون ذكر لعدد الطبعة . مطبعة جامعة القاهره ١٩٨٣م.	للدكتور / ابراهيم أحمد العدوى
١٥٠ ـ تاريخ القرن التاسع عشر فى أوربا منذ عهد الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العظمى . بدون عدد للطبعة . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهره ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م.	للدكتور / محمد قاسم والدكتور / حسين حسنى
١٥١ ـ تاريخ الكنيسة . بدون عدد للطبعة . مطبعة الوحدة بالفجالة بالقاهره ١٩٦٠م.	يوسابيوس القيصرى ترجمة / القس مرقس داود
١٥٢ ـ تاريخ الكنيسة . " المجامع المسكونية الأولى والغزوات الكبرى " . بدون عدد للطبعة . مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.	نقله عن الفرنسية الأب ج عقيقى اليسوعى .
١٥٣ ـ تاريخ المذهب الخصيبى فى مصر . بدون عدد للطبعة . مطبعة الأمانة بشبرا مصر ١٩٨٥م.	القس / صموئيل مشرقى
١٥٤ ـ تاريخ سوريا " المجلد الأول " . بدون عدد للطبعة ـ المطبعة العمومية الكاثوليكية ـ بيروت ١٨٩٣م.	للمطران / يوسف الدبس
١٥٥ ـ تاريخ نشأة المسيحية وطائفة الروم الكاثوليك بدون عدد للطبعة ـ مطبعة الأمانة بالفجالة بالقاهره ١٩٢٨م.	مترى بك قسيس

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
١٥٦ ـ تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العراقية إلى أيامنا . بدون عدد للطبعة . مطبعة المنصور ببغداد ١٩٤٨م .	رفائيل بابو اسحق
١٥٧ ـ تاريخ يوسيفوس بن كريون اليهودى بدون عدد للطبعة طبع في المطبعة العامية ليوسف ابراهيم صادر في بيروت بدون تاريخ .	
١٥٨ ـ تباشير النهضة في العالم الإسلامى أو " الشرق الأوسط في التاريخ الحديث " ط ١ طبع دار الدعوة للطباعة والنشر بالقاهره ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م .	للدكتور / محمد ضياء الدين الريس
١٥٩ ـ تحقيق الكنيسة " سلسلة مقالات الشباب ٦ " بدون عدد للطبعة ـ دار يوسف كمال للطباعة القاهره ١٩٨٠م .	اعداد المركز الأرثوذكسى للدراسات المسيحية ص.ب ١٤ حدائق القبة القاهره .
١٦٠ ـ تراث الإسلام . بدون عدد للطبعة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦م .	تأليف شاخت ، وبوزوروث . ترجمة / حسين مؤنس وزميلاه .
١٦١ ـ تراث العصور الوسطى . مطبعة مخيمر بالقاهره ١٩٦٥م .	ج كرامب ، اجاكوب ، ترجم باشراف وزارة التعليم العالى ، راجع الترجمة / محمد بدران ، محمد مصطفى زياده .
١٦٢ ـ تركيا الحديثة . بدون عدد للطبعة . مطبعة الكشاف بيروت ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦م .	محمد عزة دروزه

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
١٦٣ ـ تطور المفهوم القومى عند العرب . ط ١ طبع دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٦١م .	أنيس صايغ
١٦٤ ـ تفسير القرآن العظيم . نشر مكتبة كلية الدعوة الإسلامية بالأزهر ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م .	للإمام الجليل / الحافظ عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى ٧٧٤ هـ .
١٦٥ ـ تفسير سفر أعمال الرسل . بدون عدد للطبعة المطبعة العصرية بالقاهره بدون تاريخ .	للدكتور / لورانس براون ترجمة / حبيب سعيد
١٦٦ ـ تقرير عن أحوال المسلمين فى بلاد الصومال وأريتريا ، وعدن ، والحبشه . بدون عدد للطبع مطبعة الأزهر ١٣٧١ هـ = ١٩٥١م .	الأستاذ / عبد الله المشد والأستاذ / محمود خليفة
١٦٧ ـ تقرير مجلس إدارة مدارس سندوس النيل " مرفوع إلى سندوس النيل الإنجيلى " فى دورية " ٨٧" المنعقدة بمدينة القاهرة فى ٢٦/٤/١٩٧٧م . مطبعة دار الجيل .	
١٦٨ ـ جذور الصهيونية " السلسلة السياسية ـ ١٤ " طبع وزارة الثقافة والإرشاد بغداد ١٩٦٦م .	الكاتب التركى ـ ضياء أو يغور ترجمة وتقديم / ابراهيم الداقوقى
١٦٩ ـ جوانب من قضايا الأمة العربية " فى الإستعمار والإستشراق والصهيونية " ط ١ طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٠م .	للدكتور / حلمى على مرزوق
١٧٠ ـ حاضر الحبشة ومستقبلها . بدون عدد للطبعة مطبعة مصر بالفجالة بدون تاريخ .	رمزى تادرس

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
١٧١ ـ حاضر العالم الإسلامي • بدون عدد للطبعة ـ طبع دار الفكر العربي بيروت • بدون تاريخ •	لوتروب ستودارد الأمريكي تعليق الأمير شكيب أرسلان •
١٧٢ ـ حقائق عن التبشير • ط ١ مطبعة أطلس بالقاهره ١٣٩٥ هـ •	عماد شرف
١٧٣ ـ حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر • بدون عدد للطبعة • دار غريب للطباعة بالقاهره ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م •	أحمد عبد الوهاب
١٧٤ ـ حكمة الغرب " سلسلة كتب ثقافية " إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت ـ ٦٢ " ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م •	برتد راند رسل ترجمة / فؤاد زكريا
١٧٥ ـ حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة ط ١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهره ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م •	الأستاذ / محمد مصطفى زياده
١٧٦ ـ حياة المسيح • ط ٤ دار يوسف كمال للطباعه ـ حدائق القبة بالقاهره ١٩٨٣ م •	مكس مشيل
١٧٧ ـ حياة وأخلاق الأنبياء • ط ١ طبع دار اقرأ بيروت لبنان ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م •	أحمد الصباحي عبد الله
١٧٨ ـ خفايا المبشرين في تنصير أبناء المسلمين • بدون عدد للطبعة • طبع المطبعة السلفيــة بالقاهرة ١٣٥٣ هـ •	أحمد محمد سالمان
١٧٩ ـ دائرة المعارف • طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ •	بطرس البستاني

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
١٨٠ ـ دائرة المعارف الإسلامية " المجلد الثالث " العدد الثاني ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧م .	نقلها إلى العربية عباس محمود العقاد وآخـــرون .
١٨١ ـ دائرة المعارف الحديثة " موسوعة في العلوم ، والآداب والفنون " . ط ٢ نشر مكتبة الانجلـــو المصرية ١٦٧٥م .	أحمد عطية الله
١٨٢ ـ دائرة معارف القرن العشرين " الرابع عشـــــر الهجري " . ط ٣ دار المعرفة للطباعة والنشـــر بيروت لبنان ١٩٧١م .	محمد فريـد وجدى
١٨٣ ـ داخل إفريقيا " مؤسسة فرنكلين للطباعـــــة والنشر القاهره ونيويورك " ١٩٥٧م .	جوجنتر . إشراف وتقديم / حسن جلال العروسى .
١٨٤ ـ دستور الكنيسة الإنجيلية بمصـــر . ط ١ طبع مطبعة دار نوبار بالقاهره ١٩٨٥م .	" نشر دار الثقافة المسيحية ص . ب ١٣٠٤ القاهره " بدون ذكر للمؤلف
١٨٥ ـ دعوة نصارى العرب إلى الدخول في الإســـلام بدون عدد للطبعة ـ المطبعة السلفية بالقاهره ١٣٤٩ هـ .	خليل اسكندر قبرصى .
١٨٦ ـ دفاع عن الإسلام . ط ٣ طبع دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٦م .	لورا فيشيا فاغليرى تعريب / منير الفلكى
١٨٧ ـ رسالة إلى البابا بولس السادس بدون عدد للطبعة ـ طبع المطبعة الفنيه بالقاهره ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م .	للدكتور / عبد الودود شلبى
١٨٨ ـ رسالة في الرد على ابن غرسيه . " نوادر المخطوطات ٣ " ط ١ مطبعة لجنـــــة التأليف والترجمة والنشر بالقاهره ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣م .	تحقيق / عبد السلام هارون
١٨٩ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبـــع المثاني . ط ٢ طبع دار ادارة الطباعة المنيريـــة بيروت بدون تاريخ .	للإمام / أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسى البغدادى (١٢١٧ ـ ١٢٧٠ هـ " .

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
١٩٠ ـ سقوط الحضارة ط ١ مطابع العلم للملايين بيروت ١٩٥٩م .	كولن ولسون ترجمة / أنيس زكى حسن
١٩١ ـ سنن الترمذى ط ٢ مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .	لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سوره "٢٠٩ ـ ٢٩٧هـ" . تحقيق / ابراهيم عطوة عوض .
١٩٢ ـ سنن النسائى . طبع بيروت ـ لبنان بدون تاريخ .	الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى
١٩٣ ـ شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة "عرض ونقد" رسالة مخطوطة بكلية أصول الدين ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .	محمد زين العابدين محمد الطاشو
١٩٤ ـ شرح البيجورى على الجوهره المسمى "تحفة المريد على جوهرة التوحيد" . بدون عدد للطبعة ـ مطبعة دار مطابع الشعب ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م .	لشيخ الإسلام / ابراهيم البيجورى
١٩٥ ـ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . بدون عدد للطبعة ـ مطبعة بيروت .	للقاضى انشوان بيد سعيد الحميرى اليمنى ـ تصحيح القاضى / عبد الله بن عبد الكريم الجرافى اليمنى .
١٩٦ ـ صبحى الأعشى للقلقشندى	القلقشندى
١٩٧ ـ صحيح البخارى "كتاب الشعب" . بدون عدد للطبعة . مطابع الشعب ١٣٧٨هـ	لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى "١٩٤ ـ ٢٥٦هـ" .
١٩٨ ـ صحيح مسلم بشرح النووى . بدون عدد للطبعة المطبعة المصرية ومكتبتها ١٣٤٩هـ .	للإمام / بن الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابورى "٢٠٤ ـ ٢٦١هـ" والنووى هو الإمام / محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف ـ النووى "٦٣٠ ـ ٦٧٦هـ .

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
١٩٩ ـ صفحات من تاريخ شرق إفريقيا • بدون عدد للطبعة ـ طبع الدار القومية للطباعه والنشر بالقاهره ١٩٦١م•	رونالد ريث
٢٠٠ ـ صراع عبر الزمان أو المسيحية معركة متواصلة • مطبعة المنيل المسيحية بدون تاريخ	السيده / مايل وربرتن نقله إلى العربية القس/ إيليا خورى
٢٠١ ـ ضحى الإسلام ط ٩ مطابع الإسلام بالقاهره ١٩٧٧م•	الأستاذ / أحمد أمين
٢٠٢ ـ عشر سنوات مجيدة فى تاريخ الكنيسة بدون ذكر للطبعة والمطبعة ١٩٦٩م•	للدكتور / حكيم أمين والدكتور / يوسف منصور
٢٠٣ ـ عصر القومية (من مجموعة الألف كتاب ـ ٥٢٢) بدون عدد للطبعة ـ مطبعة دار الحماسى بالقاهرة ١٩٦٤م•	ترجمة / عبد الرحمن صدقى ومراجعة / مصطفى حبيب
٢٠٤ ـ عقائد المفكرين فى القرن العشرين • بدون عدد للطبعة • مطبعة الإستقلال الكبرى بالقاهره بدون تاريخ •	عباس محمود العقاد
٢٠٥ ـ عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية ط ١ مطبعة دار البيان بمصر "١٤٠٥هـ=١٩٨٥"	حسنى يوسف الأطير
٢٠٦ ـ علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية "المجلد الأول" ط ٥ مطبعة الأمانة بشبرا بالقاهره ١٩٧٤م•	ميخائيل مينا
٢٠٧ ـ غارة تبشيرية على إندونيسيا ط ٤ مطابع الشروق بيروت ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م•	أبو هلال الإندونيسى
٢٠٨ ـ فتوح الشام وبهامشه تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاه والسلاطين للشيخ عبد الرحمن الشرقاوى ـ بدون عدد للطبعة المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٠٢هـ •	للإمام الواقدى

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٢٠٩ـ فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربيـــة بدون عدد للطبعة ـ طبع دار الهنا للطباعـة بالقاهره ١٩٧٨م .	للدكتور / عزالدين فـراج
٢١٠ ـ فلسطين أرض الرسالات الإلهية بدون عدد للطبعة . مطابع المختار الإسلامى ١٩٨٦م .	المفكر الاسلامى / رجاء جارودى ترجمة الدكتور / عبد الصبور شاهين
٢١١ ـ فلسفة الإستشراق وأثرها فى الأدب المعاصر بدون عدد للطبعة ـ مطابع دار المعارف ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م .	للدكتور / أحمد سمايلو فتش
٢١٢ ـ قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله بدون عدد للطبعة ـ المختار الإسلامى للطبع والنشر بالقاهره ١٩٧٤م .	جلال العـــالم
٢١٣ ـ قاموس الكتاب المقدس ط٦ مطبعة بيروت ١٩٨١م .	تأليف نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين .
٢١٤ ـ قذائف الحق . بدون عدد للطبعة ـ طبع بيروت ١٣٩٣هـ	للشيخ / محمد الغزالى
٢١٥ ـ قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس . طبع دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ	أبى إسحاق احمد بن ابراهيم النيسابورى المعروف بالثعلبى المتوفى (٤٢٧هـ) .
٢١٦ ـ قصة الإضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام بدون عدد المطبعة مطبعة دار نشر الثقافـــة بالإسكندرية ١٩٤٧م .	للدكتور / توفيق الطويل
٢١٧ ـ قصة الحضارة (المجلد الرابع) عصر الإيمـان مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧م .	ل ول ديورانت ترجمة / محمد بدران

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٢١٨ ـ قصة الديانات دار الوطن العربى للطباعة والنشر بدون تاريخ	سليمان مظهر
٢١٩ ـ قصة الصحافة العربية (فى مصر) منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين ـ بدون عدد للطبعه مطبعة دار المعارف ببغداد ١٩٦٧م ٠	للدكتور / عبد اللطيف حمزة
٢٢٠ ـ قصة انتشار المسيحية منذ عام ١٧٠٠م حتى اليوم ٠ صدر عن لجنة النشر المسيحى بالإشتراك مع المجمع المسيحى للشرق الأدنى ط ١ مطبعة النشر شبرا مصر ١٩٦١م ٠	جون فوستر ـ نقله إلى العربية القس / منيس عبد النور ٠
٢٢١ ـ قيام إمبراطورية مالى الإسلامية دراسات فى التاريخ القومى الإفريقى " مستخرج من جامعة القاهره بالخرطوم " العدد الأول ١٩٧٠م بدون عدد للطبعة مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٠م ٠	ابراهيم على طرخان
٢٢٢ ـ كتاب الحديقة الندية شرح الطريقة المحمديه بدون عدد للطبعة دار الطباعه العامره ١٢٩٠هـ ٠	العارف بالله / عبد الغنى النابلسى الحنفى الدمشقى ٠
٢٢٣ ـ كتاب السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ٠ بدون عدد للطبعة ٠ صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى طبع بيروت ١٩٧٣م ٠	تأليف نخبة من علماء اللاهوت
٢٢٤ ـ لسان العرب ٠ طبع دار المعارف بالقاهره ١٤٠١هـ = ١٩٨١	للامام / أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقى المصرى (٦٣٠ هـ ـ ٧١١ هـ) تحقيق / محمد عبد الله على الكبير وآخرون ٠

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٢٢٥ ـ مأساتنا فى إفريقيا " الحصار الفاسى " ط ٢ طبع مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١م .	عماد الدين خليل
٢٢٦ ـ ماهى القومية ط ١ دار العلم للملايين ـ بيروت حزيران " يونيه " ١٩٥٩م .	ساطع الحصرى
٢٢٧ ـ مايجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن التبشير والنصرانية . طبع بالرياض ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م .	ابراهيم سليمان الجبهان
٢٢٨ ـ مجلس الكنائس العالمى وتدخله فى الكنيسة القبطية والسياسة الدوليه . المطبعة المتحدة بالقاهرة بدون تاريخ .	سامى بولس
٢٢٩ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد نشر مكتبة القدسى بالقاهرة ١٣٥٢ هـ .	للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى المتوفى ٨٠٧هـ بتحرير الحافظين الجليلين العراقى وابن حجر .
٢٣٠ ـ محاضرات فى النصرانية ط ٤ مطبعة أحمد على مخيمر ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م .	الشيخ / محمد أبو زهره
٢٣١ ـ محاضرات فى نشوء الفكرة القومية	أبو خلدون ساطع الحصرى
٢٣٢ ـ مذابح وجرائم محاكم التفتيش فى الأندلس بدون ذكر للطابعة ـ مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥م .	محمد على قطب
٢٣٣ ـ مراصد الإطلاع على اسماء الامكنة والبقاع " وهو مختصر معجم البلدان " ط ١ طبع دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤م .	صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى المتوفى ٧٣٩هـ تحقيق / على محمد البيجوى
٢٣٤ ـ مشكلات الجيل فى ضوء الإسلام . ط ٣ طبع دار الإعتصام بالقاهره ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩	محمد المجذوب

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٢٣٥ ـ معالم تاريخ الإنسانية . ط ٣ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٧٢م.	هـ . جويلز ترجمة / عبد العزيز توفيق جاويد
٢٣٦ ـ معجم البلدان . طبع دار صادر بيروت ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧م.	للشيخ الإمام / شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ .
٢٣٧ ـ معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير ط ٤ " طبع عالم الكتب " ويطلب مباشرة من الدار في الرياض على العنوان ـ هاتف ٣٨٣ ، ٤٠٤٣ ص.ب ، ٦٤٦٠ برقيا : روبيه ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦م.	ابراهيم سليمان الجبهان
٢٣٨ ـ معجم متن اللغة " موسوعة لغوية حديثة " المجلد الأول حرف الهاء . مطابع دار صادر ودار بيروت ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨م.	للشيخ / أحمد رضا
٢٣٩ ـ مقارنات الأديان " الديانات القديمة " بدون عدد للطبعة دار النصر للطباعة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥م.	للشيخ / محمد أبو زهرة
٢٤٠ ـ ملجأ الايتام الخيري بأسيوط تأسس سنة ١٩١٠ م تحت رقم ٥٢ . ط ٤ مطبعة بخيت ومكتبتها بأسيوط ١٩٦٠م .	لليان تراشر
٢٤١ ـ مؤامرة اليهود على المسيحية " بحث في حقيقة أهداف الحركة النصرانية وما يغلي فيها من شهوة الإنتقام من النصرانية " . بدون عدد للطبعة . طبع دار العلم للملايين بيروت ١٩٤٧م.	إميل خوري حرب

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٢٤٢ ـ موجز تاريخ إفريقيا . بدون عدد للطبعة . مطبعة كوستا توماس وشركاه ١٩٦٥م. القاهره .	رولاند أوليفر ، وجون فيج ترجمة الدكتورة / دولت أحمد صادق مراجعة الدكتور / محمد السيد غلاب
٢٤٣ ـ موجز تاريخ نيجيريا . طبع منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٦٥م.	آدم عبد الله الآلورى
٢٤٤ ـ موسوعة العصور الوسطى " العلاقات السياسيه والكنيسة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى " . ط ١ مطبعة دار دمشق بدمشق ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.	للدكتور / عادل زيتون
٢٤٥ ـ موسوعة تاريخ العالم . بدون عدد للطبعة ـ مطابع الدار القوميـة بمصر ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م.	أصدرها وليام لانجر أشرف على الترجمة / محمد مصطفى زياده
٢٤٦ ـ نشأة الطوائف المسيحية . بدون عدد للطبعة دار الجيل للطباعه الفجالة بالقاهره ـ بدون تاريخ .	نقله إلى العربيه المطران اسحق سعد
٢٤٧ ـ نهاية الأندلس " وتاريخ العرب المتنصرين " ط ٣ مطابع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.	محمد عبدالله عنان
٢٤٨ ـ وادى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة ـ مذيل بكتاب تاريخ الأديرة البحرية بدون عدد للطبعة ـ مطبعة السفير بالإسكندرية ١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م.	الأمير / عمر طوسون
٢٤٩ ـ وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية . بدون عدد للطبعة . طبع مؤسسة المؤسسات الفلسطينيه ببيروت لبنان بدون تاريخ .	أكرم زعيتر

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٢٥٠ ـ وثائق للتاريخ أو الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط " منشورات أسقفية الدراسات العليا واللغة القبطية ـ ٦ " مطبعة دار العالم العربي بالقاهره ١٩٧٥م٠	للأنبا / فريغوريوس
٢٥١ ـ وجهة الإسلام " نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي ٠ ط ١ المطبعة الإسلامية بالقاهرة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤م٠	هـ ـ أ ـ جب وأخران نقله عن الإنجليزية / محمد عبد الهادى أبو ريده ٠
٢٥٢ ـ هل هو يوحنا المعمدان ؟ طبع القاهره الحديثة للطباعه ١٩٧٩م٠	عزت السعدنى
٢٥٣ ـ يقظة العالم الإسلامى ٠ بدون عدد للطبعة ـ مطبعة دار الحكمة بيروت ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦م٠	ف ٠ و فرنسو ترجمة / بهيج شعبان تعليق الشيخ / سليمان طاهر
٢٥٤ ـ يقظة القومية العربية ٠ المطبعة الفنية الحديثة بالزيتون بالقاهره ٠ بدون عدد للطبعة ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٨م٠	للدكتور / نور الدين حاطوم
٢٥٥ ـ يوحنا المعمدان " يحيى عليه السلام " بين الإسلام والنصرانية ٠ ط ١ مطبعة دار التراث العربى ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٨م٠	للدكتور / أحمد حجازى السقا

" الدوريـــات "

٢٥٦ ـ أخبار اليوم العدد ٢٠١٧ " السنة الثالثة والثلاثون " ، والعدد ٢١١٩ " السنة الحاديه والأربعون " ٠	

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٢٥٧ ـ الأهرام العدد ٣٦١٦٣ ـ ، والعدد ٣٦١٦٠ والعدد ٣٦١٦٠ ـ والعدد ٣٣٣٥٧٥ ، والعدد ٣٣٥٧٧ .	
٢٥٨ ـ الأهرام الإقتصادى أول مارس ١٩٦٥م .	للدكتور / الطاهر أحمد مكى
٢٥٩ ـ المسلمون " العدد الثالث والستون ـ السنة الثانية " ، والعدد " الحادى عشر ـ السنة الأولى " .	
٢٦٠ ـ جريدة المسلمون الدولية " السنة الأولى ـ العدد الحادى عشر " .	
٢٦١ ـ جريدة النور الإسبوعيه " السنة الرابعة ـ العدد ١٨٣ .	
٢٦٢ ـ مجلة الأزهر ـ " جـ ٢ ـ السنة ٤٤ " وعدد جـ ٢ ـ السنة الحادية والاربعون .	
٢٦٣ ـ مجلة الأمة العدد " العشرون ـ السنة الثانية " والعدد " ٥٤ ـ السنة الخامسة " والعدد " ٤١ ـ السنة الرابعة " والعدد " الثالث ـ السنة الاولى " والعدد " ٦٥ ـ السنة السادسة " والعدد " السابع والستون السنة السادسة " والعدد " الحادى والستون ـ السنة السادسه " والعدد " الحادى والأربعون ـ السنة الرابعه " والعدد " السادس والخمسون ـ السنة الخامسه " .	

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :

٢٦٤ ـ مجلة السياسة الدولية " العدد ـ ٨٤ " إصدار مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ١٩٨٦م٠

٢٦٥ ـ مجلة الرسالة الكنسيه لخدمة الريف " العدد ٦" مطبعة النصر بشبرا بالقاهره ١٩٧٢م٠

٢٦٦ ـ مجلة العالم الإسبوعية " العدد ٢٤ " ٠

٢٦٧ ـ مجلة العربى " العدد ـ ١٣٨ " والعدد " ٣٢٦ " ٠

٢٦٨ ـ مجلة الهدى النبوى " اصدار جماعة دعوة الحق الإسلامية بالجيزة ـ القاهره ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦

٢٦٩ ـ مجلة المختار الإسلامى " العدد ٢٩ ـ السنة الخامسة " والعدد " ٣٧ ـ السنة السابعة " والعدد " ٣٢ ـ السنة السادسه " والعدد " ٢٩ ـ السنة الخامسة " ٠

٢٧٠ ـ مجلة المسلم المعاصر " العدد الثلاثون " إصدار مؤسسة المسلم المعاصر ـ بيروت ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م ٠

٢٧١ ـ مجلة الوعى الإسلامى " العدد ٩٨ ـ السنة التاسعة " والعدد " ١٨٠ ـ السنة ١٥ " ٠

٢٧٢ ـ مجلة عالم الفكر " المجلد الرابع عشر ـ العدد الرابع " ٠

٢٧٣ ـ مجلة " رابطة الاقباط الأرثوذكس " العدد ١٦١ السنة ٤١ " ٠

اسم الكتاب :	اسم المؤلف :
٢٧٤ـ مجلة معهد المخطوطات العربية " المجلـــد الثلاثون " اصدار الكويت ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م٠	
٢٧٥ـ مجلة منار الإسلام " العدد الثامن ـ الســـنة الخامســـة " ٠ والعدد " الرابع ـ السنة العاشـــرة " والعدد " السادس ـ السنة السادسة " والعدد " الرابع ـ السنة التاسعـة "	
٢٧٦ـ مجلة نور الإسلام " المجلد الرابع " ج ٣ من مقال بقلم التحرير عنوانه حول حوادث التبشير ٠ مطبعة المعاهد الدينية الإسلاميـــة ١٣٥٢هـ = ١٩٢٣م٠	

فهرست الرسالة

الموضوع :	الصفحة :

الموضوع : | الصفحـــة :

الموضوع :	الصفحــة :

الموضـوع :	الصفحـة :

الموضـوع : | الصفحـة :

الموضوع :	الصفحة :

الموضــوع : | الصفحــة :

الموضـــوع :	الصفحـــة :

الموضوع :	الصفحة :

الموضـوع : | الصفحـــة :

الموضـــوع :	الصفحـــة :

الموضـــوع :	الصفحـــة :

الموضـوع :	الصفحـة :
البعثات التبشيرية تنشر الفساد	٤٠٩
إسلام بوكاسـا	٤١٠
موقف الاستعمار من إسلام "بوكاسا"	٤١١
آثار التبشير فى جنوب إفريقيـا	٤١١
أثر التبشير فى شرق إفريقيا	٤١٣
المبشرون وجهودهم - "فى شرق إفريقيا"	٤١٥
تقرير للمجلس المركزى لمسلمى كينيا	٤١٨
أثيوبيا "الحبشـة"	٤٢١
السودان	٤٢٤
سياسة التبشير فى جنوب السـودان	٤٢٤
مصـر	٤٢٦
نموذج للتبشير فى المغرب الإسلامى	٤٢٩
الخـلاصـة	٤٣٤
الفصل الثالث : تسرب الفكر التبشيرى فى الثقافة الإسلامية	٤٣٥
الرد على دعاة العاميـة	٤٣٩
شبهة اللغة الدينيـة	٤٤٠
كيف ننهض باللغة الفصحى ؟	٤٤٢
تسرب فكرة السفور والإختلاط	٤٤٣
الرد على "قاسم أمين"	٤٤٦
كلام قاسم عن مضار الحجاب" من الجهة الاجتماعيه"	
لايستحق الرد عليـه	٤٤٨
العودة لمجتمع الإسـلام	٤٤٨
لمز الصحابة والسلف الصالح	٤٤٩
نموذج لطعن السـلف	٤٥١
تسرب فصل الدين عن الدولة	٤٥٢
نتائج فصل الدين عن الحياه	٤٥٥
الخاتمـة	٤٥٧

الموضوع : | الصفحة :

تمت بحمد الله تعالى